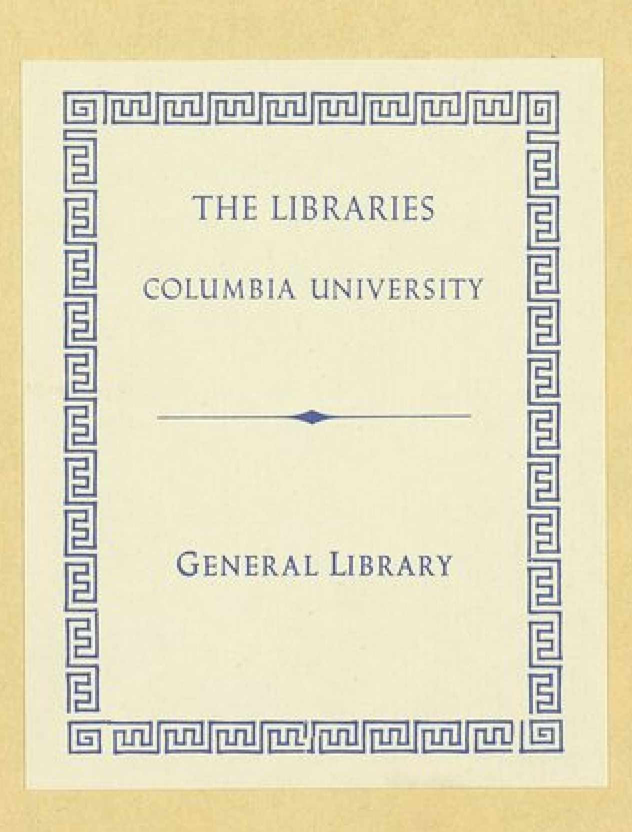



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY
GENERAL LIBRARY

العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الثالث

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر

بشارع رقعة القمح رقم ٦ بجوار الأزهر الشريف بمصر

على نفقة أصحابها

ورثة المرحوم فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي

(الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م)

الممدود أحب اليهامن مد المقصور وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن لان الحركة عمل والسكون راحة . و من كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم أحمد فى الجملة وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له وقد تومىء الى الشيء فتستغني عن التفسير بالايماء كما قالوا لحة دالة . كتب عمرو بن مسعدة الى ضمرة الحروري كتابا فنظر فيه جعفر بن يحيي فوقع فى ظهره اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز مقصرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا . وبعث الى مروان بن محمد : قائد من قواده بغلام اسود فامر عبد الحميد الكاتب أن يكتب اليه يلحاه ويعنفه فكتب وأكثر فاستثقل ذلك مروان وأخذ الكتاب فوقع فى أسفله اما انك لو علمت عددا اقل من واحد ولونا شرا من أسود لبعثت به . وتكلم ربيعة الرأى : فاكثر وأعجبه اكثاره فالتفت الى اعرابى الى جنبه . فقال له ماتعدون البلاغة عندكم يااعرابي قال له حذف الكلام وايجاز الصواب . قال فما تعدون العي قال ما كنت فيه منذ اليوم فكانما القمه حجرا . أول من وضع الكتابة : أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلثمائة سنة كتبه فى الطين ثم طبخه . فلما كان ما أصاب الارض من الغرق وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به فكان اسمعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب . وروي عن أبى ذر : عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم : وعن ابن عباس : ان أول من وضع الكتابة العربية اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأول من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه . وعن عمرو بن شبة : باسانيده ان أول من وضع الخط العربى أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من الجبلة الآخرة وكانوا نزولا مع عدنان بن أددوهم من طسم وجديس . وحكى : انهم وضعوا الكتب على أسمائهم . فلما وجدوا حروفا فى الالفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق فى حروف الجمل . وعنه : ان أول من وضع الخط نصر وبصر وانيا ودومة بنو اسمعيل بن ابراهيم ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذار . وحكوا أيضا . ان ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر



(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم)

١٣

فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

﴿ وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب ﴾

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه . قد مضى قولنا فى الخطب وفضائلها . وذكر طوالها وقصارها ، ومقامات أهلها ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب وفضل الايجاز اذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأرفعه قدرا ، وأعظمه من القلوب موقعا ، وأقله على اللسان عملا ، مادل بعضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقل حروفه وتكثر معانيه ، ومنه قولهم رب اشارة ابلغ من لفظ ، أليس ان الاشارة تبين مالا يبينه الكلام ، وتبلغ مايقصر عنه اللسان ، ولكنها اذا قامت مقام اللفظ وسدت مسد الكلام ، كانت أبلغ لخفة مؤنتها وقلة عملها . قال ابرويز . لكتابه اجمع الكثير مما تريد من اللفظ فى القليل مما تقول ، يحضه على الايجاز وينهاه عن الاكثار فى كتبه ألا تراهم كيف طعنوا على الاسهاب والاكثار حتى كان بعض الصحابة يقول أعوذ بالله من الاسهاب قيل له وما الاسهاب قال المسهب الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقر و يشول به شولان الروق . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أبغضكم الى الثرثارون المتشدقون » يريد أهل الاكثار والتقعير فى الكلام ولم أجد أحدا من السلف يذم الايجاز ويقدح فيه ولا يعيبه ويطعن عليه وتحب العرب التخفيف والحذف وتهرب من التثقيل والتطويل كان قصر

الممدود أحب اليها من مد المقصور و تسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن لان الحركة عمل والسكون راحة . و من كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم أحمد فى الجملة وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له وقد تومىء الى الشيء فتستغني عن التفسير بالايماء كما قالوا لمحة دالة . كتب عمرو بن مسعدة الى ضمرة الحروري كتابا فنظر فيه جعفر بن يحيي فوقع فى ظهره اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز مقصرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا . وبعث الى مروان بن محمد : قائد من قواده بغلام اسود فامر عبد الحميد الكاتب أن يكتب اليه يلحاه ويعنفه فكتب وأكثر فاستثقل ذلك مروان وأخذ الكتاب فوقع فى أسفله اما انك لو علمت عددا اقل من واحد ولونا شرا من أسود لبعثت به . وتكلم ربيعة الرأى : فاكثر وأعجبه اكثاره فالتفت الى اعرابى الى جنبه . فقال له ماتعدون البلاغة عندكم يا اعرابي قال له حذف الكلام وايجاز الصواب . قال فما تعدون العي قال ما كنت فيه منذ اليوم فكانما القمه حجرا . أول من وضع الكتابة : أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلثمائة سنة كتبه فى الطين ثم طبخه . فلما كان ما أصاب الارض من الغرق وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به فكان اسمعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب . وروي عن أبى ذر : عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم : وعن ابن عباس : ان أول من وضع الكتابة العربية اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأول من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه . وعن عمرو بن شبة : باسانيده ان أول من وضع الخط العربى أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من الجبلة الآخرة وكانوا نزولا مع عدنان بن أددوهم من طسم وجديس . وحكى : انهم وضعوا الكتب على أسمائهم . فلما وجدوا حروفا فى الالفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق فى حروف الجمل . وعنه : ان أول من وضع الخط نصر وبصر وانيا ودومة بنو اسمعيل بن ابراهيم ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذار . وحكوا أيضا . ان ثلاث نفر من طيء اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر

انسانا وهم على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله وعثمان وأبان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة بن عتبة ويزيد بن أبي سفيان وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمى وابو سلمة بن عبد الاشهل وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح وحويطب بن عبد العزى وابو سفيان بن حرب ومعاوية ولده وجهيم بن الصلت ابن مخرمة ﴿ استفتاح الكتب ﴾ ابراهيم بن محمد الشيباني قال لم تزل الكتب تستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت بسورة بنى اسرائيل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت بسورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الى اصحابه وأمراء جنوده من محمد رسول الله الى فلان . وكذلك كانوا يكتبون اليه يبدؤن بانفسهم . فمن كتب اليه وبدأ بنفسه ابو بكر والعلاء بن الحضرمى وغيرهما . وكذلك كتب الصحابة والتابعين . ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك فعظم الكتاب وامر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضا فجرت به سنة الوليد الى يومنا هذا الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل فانهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم رجع الامر الى رأى الوليد والقوم عليه الى اليوم ﴿ ختم الكتاب وعنوانه ﴾ وأما ختم الكتاب وعنوانه فان الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المتلمس . فلما قرأها ختمت وعنونت وكان يؤتي بالكتاب فيقال من عني به فسمي عنوانا :

وقال حسان بن ثابت فى قتل عثمان :

ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها * جعلتها للذي أحببت عنوانا

وقال أهل التفسير فى قوله تعالى «انى القى الى كتاب كريم» أى مختوم اذ كانت كرامة الكتاب ختمه ﴿ تاريخ الكتاب ﴾ لا بد من تاريخ الكتاب لانه لا يدل على تحقيق الاخبار وقرب عهد الكتاب وبعده الا بالتاريخ . فاذا أردت ان تؤرخ كتابك فانظر الى مامضى من الشهر ومابقي منه فان كان ما بقى أكثر من نصف الشهر كتبت لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا وان

كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت بقيت وقد قال بعض الكتاب لا تكتب اذا أرخت الا بما مضي من الشهر لانه معروف وما بقي منه مجهول لانك لا تدري أيتم الشهر أم لا ولا تجعل سحاءة كتابك غليظة الا في كتب العهود والسجلات التي يحتاج الى بقاء خواتيمها وطوابعها فان عبد الله بن طاهر كتب اليه بعض عماله على العراق كتابا وجعل سحاءته غليظة فامر باشخاص الكاتب اليه . فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر ان كانت معك فاس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع الى عملك وان عدت الى مثلها عدنا الى اشخاصك لقطعها ولا تعظم الطينة جدا وطن كتبك بعد كتبك عناوينها فان ذلك من أدب الكاتب فان طبعت قبل العنوان فادب مستحيل ﴿ تفسير الامي ﴾ فاما الامي فجازه على ثلاثة وجوه قولهم أمي منسوب الى امة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال رجل أمي اذا كان من أم القري قال الله تعالى « لتنذر أم القري ومن حولها » وأما قوله تعالى « النبي الامي » فانما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب والامية في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة لانها أدل على صدق ماجاء به انه من عند الله لا من عنده وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده . قال المامون : لابي العلاء المنقري بلغني انك امي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن في كلامك . فقال يا أمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه . واما الامية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا ينشد الشعر . فقال له المامون سالتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً وهو الجهل اما علمت ياجاهل ان ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفي امثالك نقيصة ﴿ شرف الكتاب وفضلهم ﴾ فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم « علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » وقوله تعالى « كراما كاتبين » وقوله تعالى « بايدى سفرة كرام بررة » وللكتاب احكام بينة كاحكام القضاة يعرفون بها وينسبون اليها ويتقلدون التدبير وسياسة الملك دون غيرهم وباهلها يقام أود الدين وأمور العالمين . فمن اهل هذه الصناعة على بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحى . ثم افضت اليه الخلافة بعد الكتابة . وعثمان ابن عفان كانا يكتبان الوحى فان غابا كتب ابي بن كعب وزيد بن ثابت فان لم يشهد واحد منهما كتب غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه . وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس . وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية اذا لم يحضرا . وكان زيد بن أرقم بن عبد يغوث والعلاء

ابن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الانصار بين الرجال والنساء . وكان ربما كتب عبدالله بن الارقم الى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز وكان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي . وقيل : انه تعلم بالفارسية من رسول كسرى وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام وروى : عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقام لحاجة فقال لي ضع القلم على أذنك فانه اذكر للممل وأقضى للحاجة وكان معيقيب بن ابي فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حنظلة بن الربيع بن المربع بن صيفي ابن أخي اكثم بن صيفي الاسدي خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا غاب عن عمله فغلب عليه أسلم وكان يضع عنده خاتمه . فقال له الزمني واذكرني بكل شيء أذ فيه وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام الا أذكره فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء . ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة . فقال لحنظلة الحق خالدا وقل له لا تقتلن ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها فقالت فيه امرأة وحكى انه من قول الجن وهذا محال

يا عجب الدهر لمحبوبة * تبكي على ذي شيبة شاحب
ان تسألني اليوم ماشفني * أخبرك قيلا ليس بالكاذب
ان سواد الرأس أودى به * وجدي على حنظلة الكاتب

ولما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعدا الى العراق وكتب اليه ان يسبع القبائل أسباعا وجعل على كل سبع رجلا ففعل سعد ذلك وجعل السبع الثالث تميما وأسدا وغطفان وهوازن وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سير الى يزدجرد يدعوه الى الاسلام وكان الحصين بن زهير من بني عبد مناة شهد بيعة الرضوان ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سهل بن عمرو . وقال لا يكتب الا رجل منا فكتب علي بن ابي طالب . وروى عنه عليه السلام انه قال لما جاء سهل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قريشا كان عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب له . ثم ارتد ولحق بالمشركين وقال ان محمدا يكتب بما شئت فسمع ذلك رجل من الانصار فحلف بالله ان أمكنه الله منه ليضربنه ضربا بالسيف . فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان وكان بينهما رضاع

فقال يارسول الله هذا عبدالله قد أقبل تائبا فاعرض عنه والانصاري مطيف به ومعه سيفه فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه . وقال للانصاري لقد تلومنك ان توفى بنذرك فقال هلا أومضت الي فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لي ان أومض . أيام أبي بكر رضي الله عنه : كان يكتب لابي بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت . وروي أن عبدالله بن الارقم كتب له وحنظلة بن الربيع ولما تقلد الخلافة دعا بزيد بن ثابت . وقال له أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت تكتب الوحى فتتبع القرآن فاجمعه . وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمن للقوافى بعد حسان وابنه * ومن للمثانى بعد زيد بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت وعبد الله بن أرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة . وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك فلم يزل عليه الى ان ولى عبيدالله بن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسي . أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه : كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم . وكان عبدالملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة . وأبو جبيرة على ديوان الكوفة . وعبد الله بن الارقم على بيت المال . وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني همدان من قيس بن غيلان يكتب له أيضا وكان يكتب له أهيب مولاه وحمران مولاه . أيام على بن أبي طالب كرم الله وجهه : كان يكتب له سعد بن عمران الهمداني ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن جعفر يكتب له وروى أن عبدالله بن حسن كتب له وكان عبدالله بن أبي رافع يكتب له وسماك بن حرب . وكان يكتب لمعاوية بن ابي سفيان سعيد بن أنس الغساني . وكاتب يزيد بن معاوية سرحون بن منصور . وكاتب مروان بن الحكم حميد بن عبد الرحمن بن عوف . وكاتب عبدالملك بن مروان سالم مولاه . ثم كتب له عبد الحميد بن يحيي وهو عبد الحميد الاكبر . وكاتب الوليد بن عبد الملك جناح مولاه . وكاتب سليمان بن عبدالملك عبدالحميد الاصغر . وكاتب عمر بن عبد العزيز الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم . وكتب له رجاء بن حيوة وخص به واسمعيل بن أبي حكم مولى الزبير وسليمان بن سعد الحسني على ديوان الخراج وكان عمر يكتب كثيرا بيده . وكاتب يزيد بن عبدالملك عبدالحميد أيضا . ثم لم يزل كاتبا لبني أمية الى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية وكان عبدالحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر . ثم جاءت

الدولة العباسية : فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر أبا أيوب المرزباني الاهوازى . وكاتب محمد المهدى بن المنصور معاوية بن عبيد الله ثم يعقوب بن داود . وكاتب موسى الهادى محمد بن المهدى ابراهيم بن ذكوان الحراني . وكاتب هرون الرشيد بن محمد المهدى يحيي بن خالد البرمكى ثم الفضل بن الربيع ثم ابراهيم بن صبيح وكاتب محمد بن زبيدة الامين الفضل بن الربيع . وكاتب عبد الله المأمون بن هرون الرشيد الفضل بن سهل ثم الحسن بن سهل ثم عمرو بن مسعدة ثم أحمد بن يوسف . وكاتب أبي اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد وهو المعروف بابن ماردة الفضل بن مروان ومحمد بن عبد الملك الزيات . وكاتب الواثق هرون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضا . وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم ابراهيم بن العباس بن صول مولى لبني العباس . وكاتب المنتصر محمد ويكنى أبا جعفر بن المتوكل احمد بن الخصيب ثم كتب المستعين احمد بن محمد المعتصم فظهر من عجزه وعيه ما أسخطه عليه ثم جعل وزارته الى اوتامش وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ثم سخط عليهما فقتلهما . واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني . فلما استقام الامر رد وزارته الى احمد بن اسرائيل . وكاتب المهدى محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجانى ثم استوزر بعده ابا أيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل عبيد الله بن يحيي بن خاقان . فلما توفى استوزر بعده الحسن بن مخلد وكان سبب موته انه صدمه غلام له فى الميدان يقال له رشيق فحمل الى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتضد احمد بن طلحة والموفق بن جعفر المتوكل عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمكتفى بالله أبي محمد على بن المعتضد بالله القاسم بن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله على بن محمد بن الفرات ثم محمد بن عبيد الله بن يحيي بن خاقان ثم على بن عيسي بن حامد بن العباس ثم محمد بن على بن مقلة الذى يوصف خطه بالجودة ثم سليمان بن الحسين بن مخلد ثم عبد الله بن احمد الكلوذانى ثم الحسين ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ولقب بعميد الدولة . وكان يكتب على كتبه من عميد الدوله أبي علي بن ولى الدولة وذكر لقبه على الدنانير والدراهم ثم الفضل بن جعفر ابن محمد بن الفرات وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبى منصور محمد بن المعتضد محمد بن على بن مقلة ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني . وتقلد الوزارة للراضى بالله

أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر محمد بن علي بن مقلة ثم عبد الرحمن بن عيسى أخو الوزير علي بن عيسى بن محمد بن القاسم الكرخي ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد . وتقلد الوزارة للمتقي بالله ابراهيم بن جعفر بن المقتدر كاتبه أحمد بن محمد بن الافطس ثم أبو اسحق القراريطي ثم محمد بن علي بن مقلة . وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المكتفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ثم محمد بن علي السامري المكنى أبا الفرج ثم ولي للمطيع بالله الفضل بن المقتدر فوزر له الحسن ابن هرون

١ - أسماء من كتب لغير الخليفة — كان المغيرة بن شعبة كاتبا لابي موسى الاشعري . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود . وكان قاضيا بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري مع نبله وفقهه وورعه وزهده كاتبا للربيع بن زياد الحارثي بخراسان ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فقبل له من وليت القضاء بالبصره فقال وليت سيد التابعين الحسن بن ابي الحسن البصري وكان محمد ابن سيرين مع علمه وورعه كاتبا لانس بن مالك بفارس . وكان زياد بن أبيه مع رأيه ودهائه وما كان من معاوية في ادعائه يكتب للمغيرة بن شعبة ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ثم لعبد الله بن عباس ثم لابي موسى الاشعري فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع اليه حسابه ، فامر له عمر بالف درهم لما رأى منه من الذكاء وقال له لا ترجع لابي موسى . فقال يا أمير المؤمنين أعن خيانة صرفتني أم عن تقصير قال لا عن واحد منهما ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على الرعية * ثم ولي بعد الكتابة العراق . وكان عامر الشعبي مع فقهه وعلمه ونبله كاتبا لعبد الله بن مطيع ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم بعده . وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحرث وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمرو بن عثمان ثم قتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها وكان زيد بن عبيد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتبا على ديوان المدينة من يزيد بن معاوية . وكان بعده حميد ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري

٢ — اشرف كتاب النبي صلى الله عليه وسلم — كتب له عشرة كتاب . على ابن أبي طالب . وعمر بن الخطاب : وعثمان بن عفان . وخالد بن سعيد بن العاصى . وأبان بن سعيد بن العاصى . وأبو سعيد بن العاصى . وعمرو بن العاصي . وشرحبيل ابن حسنة وزيد بن ثابت . والعلاء بن الحضرمى : ومعاوية بن أبي سفيان . فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام . وكان عثمان بن عفان كاتبا لابي بكر ثم صار خليفة . وكان مروان بن الحكم كاتبا لعثمان بن عفان ثم صار خليفة . وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتبا على ديوان المدينة ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان المغيرة بن شعبة كاتبا لابى موسى الاشعري . وكان الحسن بن أبي الحسن البصرى كاتبا للربيع بن زياد الحارثى بخراسان . وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبدالله بن عتبة بن مسعود وكان فاضلا . وكان زياد كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم لابي موسى الاشعري ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ثم لعبدالله بن عباس . وكان عامر الشعبي كاتبا لعبدالله بن مطيع وهو والى الكوفة لعبدالله بن الزبير وكان محمد بن سيرين كاتبا لانس بن مالك بفارس وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبدالملك على ديوان الخاتم . وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتب نافع بن الحرث الخزاعى وهو عامل أبى بكر وعمر على مكة . وكان عبدالله بن أوس الغسانى سيد أهل الشام كاتب معاوية . وكان سعيد بن غزوان الهمدانى سيد همدان كاتب على بن أبي طالب . ثم ولى بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن خلف الخزاعى أخو طلحة الطلحات كاتبا على ديوان البصرة لعمر وعثمان وقتل يوم الجمل مع عائشة . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك . وكان يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية . وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا ﴾ سرجون ابن منصور الرومى كاتب لمعاوية . ويزيد ابنه ومروان بن الحكم . وعبدالملك ابن مروان الى ان أمره عبدالملك بامر فتوانى فيه . ورأى منه عبدالملك بعض التفريط فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل ان سرجون يدل علينا بصناعته وأظن أنه رأى ضرورتنا اليه فى حسابه فما عندك فيه حيلة . فقال بلي لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية . قال افعل قال انظرنى أعانى ذلك . قال لك نظرة ماشئت فحول

الديوان فولاه عبدالملك جميع ذلك . وحسان النبطي كاتب الحجاج وسالم مولى هشام بن عبدالملك . وعبدالحميد الاكبر وعبد الصمد وجبلة بن عبدالرحمن . وقحذم جد الوليد بن هشام القحذمي وهو الذى قلب الدراوين من الفارسية الى العربية . ومنهم الفراء كاتب خالد ابن عبدالله القسرى ، ومنهم الربيع والفضل بن الربيع ويعقوب بن داود ويحيي بن خالد وجعفر بن يحيي وأبو عبدالله بن المقفع والفضل بن سهل والحسن بن سهل وجعفر بن الاشعث وأحمد بن يوسف وأبو عبدالسلام الجند نيسابورى وأبو جعفر محمد بن عبدالملك الزيات والحسن بن وهب وابراهيم بن العباس الصولى ونجاح بن سلمة وأحمد بن محمد المدبر فهؤلاء نبلوا بالكتابة واستحقوا اسمها ﴿ من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها ﴾ صالح بن شيرزاد وجعفر بن سابور كاتب الافشين والفضل بن مروان وداود بن الجراح وأبو صالح عبدالله بن محمد بن يزداد وأحمد بن الخصيب فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتابة وما دنوها

وقال بعض الشعراء فى صالح بن شيرزاد :

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوي آل حرب فى زياد

فدع عنك الكتابة لست منها * ولو غرقت ثوبك فى المداد

ومنهم أبو أيوب ابن أخت أبي الوزير وهو القائل يرثى أم سليمان بن وهب الكاتب :

لام سليمان علينا مصيبة * مفلقلة مثل الحسام البواتر

وكنت سراج البيت يا أم سالم * فاضحي سراج البيت وسط المقابر

فقال سليمان بن وهب ما نزل باحد من خلق الله ما نزل بي ماتت أمي فرثيت بمثل هذا الشعر ونقل اسمى من سليمان الى سالم

٣ — صفة الكتاب — قال ابراهيم صفة الكاتب اعتدال القامة بن محمد الشيباني من وصغر الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وحسن الاشارة ، وملاحة الزى ، حتى قال بعض المهالبة لولده تزيوا بزى الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة . وقال ابراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آلة الكتابة أن يكون الكاتب نقى الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلو الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقر التركيب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض اللحية متفاوت الاجزاء ،

طويل اللحية ، عظيم الهامة ، فانهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة . وأنشد سعيد بن حميد فى ابراهيم بن العباس :

رأيت هازم الكتاب خفت * ولهزمتاك شانهما الفدامه
وكتاب الملوك لهم بيان * كمثل الدر قد رصفوا نظامه
وأنت اذا نطقت كان عيرا * يلوك بما يفوه به لجامه

وقال آخر: عليك بكاتب لبق رشيق * زكى فى شمائله حذاره
تناجيه بطرفك من بعيد * فيفهم رجع لحظك بالاشارة

و نظر أحمد بن خصيب الى رجل من الكتاب قدم المنظر مضطرب الخلق طويل العثنون . فقال لان يكون هذا فنطاس مركب أشبه من أن يكون كاتبا . فاذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال و انتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والاديب النحرير ، وان قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعدت به أداة من هذه الادوات ، فهو منقوص الجمال ، منكسف الحس منحوس النصيب ﴿ ماينبغى للكاتب أن ياخذ به نفسه ﴾ قال ابراهيم الشيباني أول ذلك حسن الخط الذى هو لسان اليد وبهجة الضمير وسفير العقول ووحي الفكرة وسلاح المعرفة وأنس الاخوان عندالفرقة ومجاذ بتهم على بعد المسافة و مستودع السر وديوان الامور و لست أجد لحسن الخط حدا أقف عليه أكثر من قول على النصرانى فى الكاتب فانى سألته واستوصفته الخط ، فقال أعلمك الخط فى كلمة واحدة فقلت له تفضل بذلك . فقال لا تكتب حرفا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف وتجعل فى نفسك انك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه الى ما بعده واياك والنقط والشكل فى كتابك الا أن تمر بالحرف المعضل الذى تعلم ان المكتوب اليه يعجز عن استخراجه فانى سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول لان يشكل الحرف على القاريء أحب الى من أن يعاب الكتاب بالشكل . وكان المأمون يقول اياكم والشونيز فى كتبكم يعنى النقط والاعجام ومن ذلك أن يصلح الكاتب آلته التي لا بد منها وأداته التي لا تتم صناعته الا بها مثل دواته فلينعم ربها اصلاحها وليتخير من انابيت القصب أقله عقدا وأكثره لحما وأصلبه قشرا وأعدله استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا لتكون عونا له على بري أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصبة . واعلم أن محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس قال العتابى : سألنى الاصمعى في دار الرشيد أى الانابيب للكتابة أصلح وعليها اصبر فقلت له

ما نشف بالهجير ماؤه وستره عن تلويحه غشاؤه من الشيزية القشور الدرية الظهور القصبية الكسور . قال فاى نوع من البرى أصوب وأكتب فقلت البرية المستوية القطة التى عن يمين سنها برية يامن معها المجة عند المدة والمطة للهواء فى شقها فتيق وللريح فى حرفها حريق والمداد فى خرطومها دقيق . قال العتابي : فبقي الاصمعى باهتا الى ضاحكا لا يحير مسالة ولا جوابا ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تاخير أول كتابه وتقديم آخره . وأفضل الكتب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته كما أن افضل الابيات ما دل أول البيت على قافيته فلا تطيلن صدر كتابك اطالة تخرجه عن حده ولا تقصر به دون حده فانهم قد كرهوا في الجملة ان تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك . وقيل للشعبي : أى شىء تعرف به عقل الرجل قال اذا كتب فاجاد . وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة تجزأت فى أبدان متفرقة . فاما الكاتب المستحق اسم الكتابة والبليغ المحكوم له بالبلاغة من اذا حاول صيغة كتاب سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب . بلغني أن صديقا لكلثوم العتابى اتاه يوما فقال له اصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم . فقال له صاحبه ما أرى بلاغتك الاشاردة عنك . فقال له العتابى انى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فاحببت أن أترك كل معني حتى يرجع الى موضعه ثم اجتني لك احسنها . قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخي ذبيان وهو يملى على كاتب له فاعجل الكاتب وداركه فى الاملاء عليه فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد املائه فقال له اكتب ياحمار . فقال له الكاتب أصلح الله الامير انه لما هطلت شآبيب بيت الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم كل القلم عن ادارك ماوجب عليه تقييده فكان حضور جواب الكاتب ابلغ من بلاغة يزيد . وقال له يوما وقد نط حرفا فى غير موضعه ماهذا قال طغيان فى القلم . فان كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ومن رسائل المتاخرين ما يرجع اليه ومن نوادر الكلام ما تستعين به ومن الاشعار والاخبار والسير والاسماء ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك وانظر فى كتب المقامات والخطب ومحاوبة العرب في حروبهم ومعانى العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب والوثائق والسور وكتب السجلات والامانات لتكون ماهرا تنتزع آي القرآن فى مواضعها واختلاف الامثال فى

أماكنها وقرض الشعر الجيد وعلم العروض فان تضمين المثل السائر والبيت الغابر البارع مما يزين كتابك مالم تخاطب خليفة أوملكا جليل القدر فان اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء عيب الا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصائغ له فان ذلك يزيد فى أبهته

٤ — خبر حائك الكلام — أبو جعفر البغدادى قال : حدثنا عثمان ابن سعيد . قال لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة قال لعمرو بن مسعدة مازلت تسالنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا ياكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك . فقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين . فقلت اخرج اليه يا أمير المؤمنين . فقال احلف لى انك لاتقيم ببغداد الايوما واحدا فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد فامرت ففرش لى زلالى بالطبرى وحشي بالثلج وطرح عليه الكر ثم خرجت . فلما صرت بين دير هرقل ودير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع . فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدي هذا شحاذ فان قعد معك آذاك فلم ألتفت الى قوله وأمرت الغلمان فادخلوه فقعد فى كوثل الزورق . فلما حضر وقت الغداء عزمت أن ادعوه الى طعامي فدعوته فجعل ياكل أكل جائع بنهامة الا أنه نظيف الاكل . فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص ان يقوم فيغسل يده فى ناحية . فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت ياهذا ماصناعتك . قال حائك الكلام فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى . فقال لى جعلت فداك قد سالتنى عن صناعتي فاخبرتك فما صناعتك أنت . قال فقلت فى نفسى هذه أعظم من الاولى وكرهت أن أذكر له الوزارة . فقلت اقتصر له على الكتابة . فقلت كاتب قال جعلت فداك الكتاب على خمسة أصناف . فكاتب رسائل يحتاج الى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهانى والتعازى والترغيب والترهيب والمقصور والممدود وجملا من العربية . وكاتب خراج يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والاشول والدسوق والتقسيط والحساب . وكاتب جند يحتاج أن يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس وكاتب قاض يحتاج أن يكون عالما بالشروط والاحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث . وكاتب شرطة يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديات فايهم أنت أعزك الله . قال قلت كاتب رسائل . قال فاخبرنى اذا كان لك صديق

تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فزوجت أمه فكيف تكتب له أتهنيه أم تعزيه . قلت والله ما أقف على ما تقول قال فلست بكاتب رسائل فايهم أنت . قلت كاتب خراج . قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثت عمالك فيه فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت ان تنظر فى أمورهم و تنصفهم اذا كنت تحب العدل والسير وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لا حدهم قراح قائل فثيا كيف كنت تمسحه . قال كنت أضرب العطوف فى العمود وانظركم مقدار ذلك . قال اذا تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدة . قال اذا تظلم السلطان قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب خراج فايهم أنت قلت كاتب جند . قال فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تكتب حليتهما . قال كنت اكتب احمد الاعلم وأحمد الاعلم قال كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا الف درهم فيقبض هذا على دعوة هذا . فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى . قال فلست بكاتب جند فايهم انت قلت كاتب قاض . فقال فما تقول أصلحك الله فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وكان للزوجة بنت وللسرية ابن . فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعافيه . فقالت هذه هذا ابنى . وقالت هذه هذا ابني كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى . قلت والله است ادرى . قال فلست بكاتب قاض فايهم أنت . قلت كاتب شرطة . قال فما تقول أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مامومة . قلت ما أعلم . ثم قلت أصلحك الله فسر لى ما ذكرت . قال أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه . أما بعد فان أحكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام . وأما القراح فتضرب واحدا فى مساحة العطوف فمن ثم بابه . واما أحمد واحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا أحمد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى احمد الاشرم . وأما المرأتان فيوزن ابن هذه و ابن هذه فايهما كان أخف فهى صاحبة البنت . وأما الشجة فان فى الموضحة خمسا من الابل وفى المامومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد صاحب المامومة ثمانية وعشرين وثلثا . قلت اصلحك الله فما نزع بك الى هنا . قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية . فخرجت اليه فالفيته معزولا فقطع بى فانا خارج اضطرب فى المعاش . قلت ألست ذكرت انك حائك . قال أنا أحوك

الكلام و لست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام فطرحت عليه شيئا من ثيابي . فلما صرت الى الاهواز كلمت الرجحي فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي . فلما صرت الى أمير المؤمنين قال ما كان من خبرك فى طريقك فاخبرته خبري حتى حدثته حديث الرجل . فقال لى هذا لا يستغنى عنه فلاى شىء يصلح . قلت هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال فولاه أمير المؤمنين البناء والمرمة فكنت والله ألقاه فى الموكب النبيل فينحط عن دابته فاحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك أفدتها ﴿ فضائل الكتابة ﴾ قال ابو عثمان الجاحظ ما رأيت قوما انفذ طريقة فى الادب من هؤلاء الكتاب فانهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا . وقال بعض المهالبة لبنيه تزيوا بزى الكتاب فانهم جمعوا أدب الملوك وتواضع السوقة . وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فامر بحبسهم فرفعوا اليه رقعة ليس فيها الا هذا البيت :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم . وقال المؤيد كتاب الملوك عيونهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة وهي صناعة جليلة تحتاج الى آلات كثيرة و قال سهل بن هرون اول زينة الدنيا التى اليها تناهى الفضل وعندها تقف الرغبة

٥ — ما يجوز فى الكتابة وما لا يجوز فيها — قال ابراهيم بن محمد الشيباني اذ احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والادباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم فخاطب كلا على قدر ابهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه واجعل طبقات الكلام على ثمان اقسام منها الطبقات العلية اربع والطبقات الاخر وهى دونها اربع لكل طبقة منها درجة ولكل قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ ان يقصر باهلها عنها ويقلب معناها الى غيرها . فالحد الاول الطبقات العليا وغايتها القصوى الخلافة التى أجل الله قدرها واعلى شانها عن مساواتها باحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير . والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم والسنتهم ويرتقون الفتوق بآرائهم . والطبقة الثالثة امرأ ثغورهم وقواد جنودهم فانه يجب مخاطبة كل احد منهم على قدره وموضعه وحظه وغنائه وجزائه واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم وجلائل أعمالهم . والرابعة القضاة فانهم وان كان لهم

تواضع العلماء وحلية الفضلاء فعمهم ابهة السلطنة وهيبة الامراء : وأما الطبقات الاربع الاخر فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب اليهم وافضالهم تفضيلهم فيها والثانية وزراؤهم وكتابهم واتباعهم الذين تقرع أبوابهم وبعناياتهم تستباح أموالهم والثالثة هم العلماء يجب توقيرهم فى الكتب بشرف العلم وعلو درجة اهله . والطبقة الرابعة لاهل القدر والجلالة والحلاوة والطلاوة والظرف والادب فانهم يضطرونك بحدة أذهانهم وشدة تمييزهم وانتقادهم وادبهم وتصفحهم الى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم واستغنينا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار باستغنائهم بمهاناتهم من هذه الآلات واشتغالهم بمهاناتهم عن هذه الادوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها فى مراسلتك اياهم فى كتبك فتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه فانك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم ويجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه وتنظم جوهر كلامك في غير مسلكه فلا تعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا لائقا بمن كاتبته وملبسا بمن راسلته فان إلباسك المعني وان صح وصرف لفظا متخلفا على قدر المكتوب اليه لم تجر به عاداتهم تهجين للمعنى واخلال بقدره وظلم بحق المكتوب اليه ونقص مايجب له كما ان فى اتباع تعارفهم وما انتشرت به عاداتهم وجرت به سنتهم قطعا لعذرهم وخروجا من حقوقهم وبلوغا الى غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم . فمن الالفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والامراء على اتفاق المعانى مثل أبقاك الله طويلا وعمرك مليا وان كنا نعلم انه لا فرق بين قولهم أطال الله بقاك وبين قولهم أبقاك الله طويلا . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا وأنبه قدرا فى المخاطبة كما انهم جعلوا أكرمك الله وأبقاك أحسن منزلا فى كتب الفضلاء والادباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداءه من الخير كما يحتمل أن يكون فداءه من الشر ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص ارم فداك أبي وأمى لكرهنا أن يكتب بها أحد الى ان كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراهم فى مخاطبة الشريف والوضيع والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كل من حل سر من رأى من النا ٭ س ومن قد يداخل الاملاكا
لو رأى الكلب مائلا بطريق ٭ قال للكلب ياجعلت فداكا

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل أبقاك الله وامتع بك الا فى الابن والخادم المنقطع اليك واما فى كتب الاخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات .

أحلت عما عهدت من أدبك * أم نلت ملكا فتهت فى كتبك
أم قد ترى ان فى ملاطفة الاخوان نقصا عليك فى أدبك
أكان حقا كتاب ذى مقة * يكون فى صدره وأمتع بك
أتعبت كفيك فى مكاتبتى * حسبك مما لقيت فى تعبك

الكتب اليه محمد بن عبد الملك الزيات

كيف اخون الاخاء يا أملى * وكل شىء أنال من سببك
أنكرت شيا فلست فاعله * ولن تراه يخط فى كتبك
ان يك جهل أتاك من قبلى * فعد بفضل على من حسبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ينبغى للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الاحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام فى قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مزق الحديث يقول مالا يفعل

وهذا معني صحيح فى المدح ولكنهم أجلوا قدر الملوك أن يمدحوا بما تمدح به العوام لان صدق الحديث وانجاز الوعد وان كان من المدح فهو واجب على العامة والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة انما يحسن مدحهم بالنوافل لان المادح لو قال لبعض الملوك انك لا تزنى بحليلة جارك وانك لا تخون ما استودعت وانك لتصدق فى وعدك وتفى بعهدك فكانه قد أثني بما يجب ولو قصد بثنائه الى مقصده كان أشبه فى الملوك ونحن نعلم ان كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيا فهو أمير المؤمنين غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة الا فى الخلفاء خاصة . ونحن نعلم ان الكيس هو العقل ولكن لو وصفت رجلا فقلت انه لعاقل كنت مدحته عند الناس وان قلت انه لكيس كنت قد قصرت به عن وصفه وصغرت من قدره الا عند أهل العلم باللغة لان العامة لا تلتفت الى معني الكلمة ولكن الى ماجرت به العادة من استعمالها فى الظاهر اذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة

مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصغر السن . وقد روينا عن علي كرم الله وجهه انه تسمي بالكيس حين بني سجن الكوفة فقال في ذلك :

أما تراني كيسا مكيسا * بنيت بعد نافع مخيسا * حصنا حصينا وأميرا كيسا

وقال الشاعر ما يصنع الاحمق المرزوق بالكيس

وكذلك تعلم ان الصلاة رحمة غير أنهم كرهوا الصلاة الا على الانبياء كذلك روينا عن ابن عباس وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يلبي ويقول في تلبيته لبيك ياذا المعارج . فقال نحن نعلم أنه ذو المعارج ولكن ليس هكذا كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كنا نقول لبيك اللهم لبيك . وكان ابراهيم المزني يقول في بعض ما خاطب به داود بن خلف الاصبهاني فان قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله فنقض ذلك عليه داود . وقال فيما رد عليه نحمد الله على أن نخرج امرأ مسلما من الاسلام وهذا موضع استرجاع وللحمد مكان يليق به وانما يقال في المصيبة « انا لله وانا اليه راجعون » فامتثل هذه المذاهب واجر على هذه القوام وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وخواتمها وضع كل معني في موضع يليق به وتخير لكل لفظة معني يشاكلها وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوي بمثل نسال الله دفع المحذور وصرف المكروه واشباه هذا وفي موضع ذكر المصيبة انا لله وانا اليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا . فان هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدها ويحتفظ بها فان الكاتب انما يصير كاتبا بان يضع كل معنى في موضعه فيعلق كل لفظة على طبقها من المعني . واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آى القرآن من الاقتصار والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لان الله جل ثناؤه خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيه ومراده والرسائل انما يخاطب بها أقوام دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب . وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك والمعني الملتبس فانه ان ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى « واسال القرية التى كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها » وكقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » احتاج الكاتب أن يبين معناه بل مكركم بالليل والنهار ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الاشعار الموزونة لان الشاعر مضطر والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي . فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الاسماء وحذف ما لا يحذف منها واغتفر فيه سوء النظم وأجازوا فيه التقديم والتاخير والاضمار في موضع الاظهار . وذلك كله غير منساغ

فى الرسائل ولا جائز فى البلاغات . ثم ما فى الشعر من الحذف قول الشاعر :

قواطنا مكة من ورق الحمي * يعني الحمام

وقول الآخر : صفر الوشاحين صموت الخاخل * يريد الخلخال

وكقول الآخر : دار اسلمي اذه من هوا كا * يريد اذهي

وكقول الحطيئة : فيها الرماح وفيها كل سابغة * جدلاء مسرودة من صنع سلام

يريد سليمان

وقول الآخر : من نسج داود أبي سلام * والشيخ عثمان أبى عفان

أراد عثمان بن عفان

وكما قال الآخر : وسائلة بثعلبة بن سير * وقد علقت بثعلبة العلوق

وأراد ثعلبة بن سيار

وقال الآخر : ولست بآتيه ولا أستطيعه * ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

أراد ولكن وكذلك لا ينبغي فى الرسائل أن يصغر الاسم فى موضع التعظيم وان كان ذلك جائزا مثل قولهم دويهية تصغير داهية وجذيل تصغير جذل وعذيق تصغير عذق . وقال الشاعر وهو لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك . وقال سرحة أبو عبيدة ومما لا يجوز فى الرسائل وكرهوه فى الكلام أيضا مثل قولهم كلمت اياك وأعنى اياك وهو جائز فى الشعر . وقال الشاعر :

وأحسن وأجمل في أسيرك انه * ضعيف ولم يأسر كاياك آسر

وقال الراجز : اياك حتى بلغت اياك فتخير من الالفاظ أرجحها لفظا وأجزلها وأشرفها جوهرا وأكرمها حسبا واليقها فى مكانها وأشكلها فى موضعها فان حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت فانه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام اذا كتبت أنا فاعل أحسن من أن تكتب أنا أفعل وموضع آخر يكون فيه استفعلت أحلى من فعلت فادر الكلام على أماكنه وقلبه على جميع وجوهه . فاى لفظة رأيتها فى المكان الذى ندبتها اليه فانزعها الى المكان الذى أوردتها عليه وأوقعها فيه ولا تجعل اللفظة

قلقة فى موضعها نافرة عن مكانها فانك متى فعلت هجنت الموضع الذى حاولت تحسينه وأفسدت المكان الذى أردت اصلاحه فان وضع الالفاظ فى غير اماكنها وقصدك بها الى غير مصابها انما هو كترقيع الثوب الذى لم تشابه رقاعه ولم تتقارب اجزاؤه وخرج من حد الجدة وتغير حسنه كما قال الشاعر :

ان الجديد اذا ما زيد فى خلق * يبين للناس ان الثوب مرقوع

كذلك كلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل وأرجى فى الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه لاسيما ان كان المعنى البديع مترجما بلفظ مونق شريف ومعايرا بكلام عذب لم يسمه التكليف بميسمه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه . وكتب عيسى بن لهيعة الى أخيه أبى الحسن وصدر كلامه وجاوز المقدار فى التنطع فوقع فى أسفل كتابه انى يكون بليغا من اسمه كان عيا وثلاث الحرف منه اذا كتب شيا . قال وبلغنى ان بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة فخرج عنه ومر بباب الطاق فاذا بطير يدعى السفانين فاشتراه وبعث به اليه وكتب كتابا يتنطع فى بلاغته وذكر انه يقال له شفانين ارجوان يكون شفاء من أنين فوقع فى أسفل الكتاب والله لو عطست ضبا ما كنت عندنا الا نبطيا فاقصر عن بعضك وسهل كلامك قوله لو عطست ضبا يريد ان الضباب من طعام الاعراب وفى بلدهم يقال لو عطست فنثرت ضبا من عطاسك لم تلحق بالاعراب ولم تكن الا نبطيا وقد جاء فى بعض الحديث ان القط من نثرة عطسة الاسد وان الفار من نثرة عطسة الخنزير . فقال هذا لو أن الضب من نثرتك لم تكن الا نبطيا . وفى هذا المعنى قال مخلد الموصلى يهجو حبيبا .

أنت عندى عربى * ليس فى ذاك كلام
شعر ساقيك وفخذيك خزامى وثمام
وقذى عينيك صمغ * ونواصيك شعام
وضلوع الصدر من * شلوك نبع وبشام
لو تحركت كذا الانجفلت منك نعام
وظباء راتعات * ويرابيع عظام
وحمام يتغنى * حبذا ذاك الحمام
انا ماذنبى لان كذ * بنى فيك الانام
وقفا يحلف ما ان * عرفت فيك الكرام
ثم قالوا هاشمى * من بنى الانباط حام
كذبوا ما أنت الا * عربى والسلام

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر . واذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقا وتضاؤل

المعني الحسن تحت المعنى القبيح كتضاؤل الحسناء فى الاطمار الرثة وانما يدل على المعني أربعة أصناف لفظ واشارة وعقد وخط . وقد ذكر له ارسطاطاليس صنفا خامسا فى كتاب المنطق وهو الذى يسمي النصبة والنصبة الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف الاربعة وهى الناطقة بغير لفظ ومشيرة اليك بغير يد . وذلك ظاهر في خلق السموات والارض وكل صامت وناطق وجميع هـذه الاصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعانى وسافرة عن وجـوهها وأوضح هـذه الدلائل وأفصح هذه الاصناف صـنفان هما القـلم واللسان وكلاهما للقلب ترجمـان فاما اللسان فهو الآلة التى يخرج الانسان بهـا عن حد الاستبهـام الى حد الانسانيـة بالـكلام ولذلك قال صاحب المنطق حد الانسان الحي الناطق . وقال هشام بن عبدالملك : ان الله رفع درجة اللسان فانطقه بين الجوارح . وقال عـلى بن عبيدة : انمـا يبين عن الانسان اللسان وعن المودة العينان . وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . وقالوا : المرء باصغريه قلبه ولسانه . وقال الشاعر :

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان ترها راقتك يوما فربمـا * أمر مذاق العود والعود أخضر

وللخط صورة معروفة وحلية موصوفة وفضيلة بارعة ليست هذه الاوصاف الالانه يقوم مقامها فى الايضاح عند المشهد و يفضلها عند المغيب لان الكتب تقرأ فى الاماكن المتباينة والبلدان المتفرقة وتدرس في كل عصر وزمان وبكل لسان واللسان وان كان زلقا فصيحا لا يعدو سامعه ولا يجاوزه الى غيره

٦ — البلاغـة — قال سهل بن هرون سياسة البلاغة أشـد من البلاغة . وقيل لجعفر بن خالد ما البلاغة قال التقرب من المعـني البعيد والدلالة بالقليل عـلى الكثير . وقيـل لابن المقفع ما البـلاغة قال قلة الحصر والجراءة عـلى البشر . قيل لفلـان العى قال الاطراق من غـير فـكرة والتنحنح من غير عـلة . وقيل لآخـر ما البلاغة قال تطويل القصير وتقصير الطويل . وقيـل لاعرابى ما البلاغة فقال حذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لارسطاطاليس ما البلاغة فقال حسن الاستعارة . وقيل لجالينوس ما البلاغة فقال إيضاح المعضل وفك المشكل . وقيل للخليل بن أحمد ما البلاغة فقال ما قرب طرفاه وبعد منتهاه وقيل لخالد بن صفوان ما البلاغة قال اصابة المعني والقصد للحجة . وقيل لاخر ما البلاغة قال تصوير الحق في صورة الباطل وتصوير الباطل

فى صورة الحق . وقيل لابراهيم الامام ما البلاغة فقال الجزالة والاصابة ﴿ تضمين الاسرار فى الكتب ﴾ واما تضمين الاسرار فى الكتب لا يقرؤها غير المكتوب اليه ففيه أدب يجب معرفته وقد تعلقت العامة بكتاب المعمي . الاصبهاني وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وضع لى منه أشياء جليلة من تبديل الحروف . وذلك ممكن لكل انسان غير ان اللطيف من ذلك أن تاخذ لبنا حليبا فتكتب به فى القرطاس فيذر المكتوب له عليه رمادا سخنا من رماد القراطيس فيظهر ما كتبت به ان شاء الله وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض . فاذا وصل الى المكتوب اليه أمر عليه شيئا من غبار الزاج وان أحببت أن لا يقرأ الكتاب بالنهار ويقرأه بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة ﴿ قولهم فى الاقلام ﴾ قالوا القلم أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب على لغات مختلفة من معان معقولة بحروف معلولة متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكر ونتاجها التدبير تخرس منفردات وتنطق مزدوجات بلا أصوات مسموعة ولا ألسن محدودة ولا حركات ظاهرة خلا قلم حرف باريه قطته ليتعلق المداد به وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه اليه وشق رأسه ليحتبس المداد عليه فهنالك استمد القلم بشقه ونثر فى القرطاس بخطه حروفا أحكمها التفكر وأولى الاسماع بها الكلام الذى سداه العقل والحمه اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الاسنان ولفظته الشفاه ووعته الاسماع عن انحاء شتى من صفات واسماء . وقال الشاعر : وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأسمر طاوى الكشح أخرس ناطق * له ذملان فى بطون المهارق
اذا استعجلته الكف أمطر وبله * بلا صوت ارعاد ولا ضوء بارق
اذا ما حدا غر القوافى رأيتها * مجللة تمضي أمام السوابق
كان عليه من دجى الليل حلة * اذا ما استهلت مزنه بالصواعق
كأن اللآلى والزبرجد نطقه * ونوم الخزامى فى عيون الحدائق

وقال العلوى فى صفة القلم :

وعريان من خلعة مكتس * يميس من الوشى فى يلمق
يحدر من رأسه ريقه * يسيل على ذروة المفرق
فكم من أسير له مطلق * وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلاد * وينهى ويامر بالمشرق
قليل كثير ضروب الخطوط * وأخرس مستمع المنطق

يسير بركب تلال عجال * اذا ماحد الفكر فى مهرق

وقال آخر فى القلم :

لك القلم المطيعك غير انا * وجدنا وسمه غير المطاع

له ذوقان من أري هني * ومن شرى وبي ذي امتناع

احد اللفظ ينطق عن سواه * فيسمع وهو ليس بذي استماع

اذا استسقي بلاغتك استهلت * عليه سماء فكرك باندفاع

وقال : وبيت بعلياء الفلاة بنيته * باسمر مشقوق الخياشيم يرعف

كان عليه مابساجلد حية * مقيم فما يمضى ولا يتخلف

جايل شؤن الخطب ما كان راكبا * يسير وان أرجلته فضعف

وقال حبيب بن أوس وهو من أحسن ما قيل فيه :

لك القلم الاعلى الذي بسنانه * يصاب من الامر الكلي والمفاصل

لعاب الافاعي القاتلات لعابه * وارى الجنى اشتارته أيدعواسل

له ريقة طل ولكن وقعها * بآثاره فى الشرق والغرب وابل

فصيح اذا استنطقته وهو راكب * وأعجم ان خاطبته وهو راجل

اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت * عليه شعاب الفكر وهي حوافل

أطاعته أطراف القنا وتقوضت * لنجواه تقويض الخيام الجحافل

اذا استغزر الذهن الجلى وأقبلت * أعاليه فى القرطاس وهي أسافل

وقد رفدته الخنصران وسددت * ثلاث نواحيه الثلاث الانامل

رأيت جليلا شانه وهو مرهف * ضنا وسمينا خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمي . فقال لابن الزيات ما خطبة القلم التي ابتنيتها وردت عليك لشاعر مجدود . وأنشد البحتري لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

واذا تالق فى العيون كلامه الـمجدود خلت لسانه من عضبه

واذا دجت أقلامه ثم انتحت * برقت مصابيح الدجى فى كتبه

باللفظ يقرب فهمه عن بعده * منا ويبعد نيله فى قربه

حكم فسائحها خلال بنانه * متدفق وقليبها فى قلبه

وكانها والسمع معقود بهـا * شخص الحبيب بدا لعين محبه

وأنشد احمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب و يصف القلم :

قـلم الكتابة في يمينـك آمن * مما يعود عليـه فيما يكتب
قـلم به ظفر العـدو مقـلم * وهو الامان لما يخاف و يرهب
يبدي السرائر وهو عنها محجب * ولسان حجته بصمت يعرب

ومن قولنا في القلم :

بكفه ساحر البيـان اذا * أداره في صحيفـة سحرا
ينطـق في عجمـة بلفظتـه * يصم عنه ويسمع البصرا
نوادر تقرع القـلوب بهـا * ان تستبنها وجدتها صورا
نظـام در الكلام ضمنـه * سلكا لخط الكتاب مستطرا
اذا امتطى الخنصران اذكرمن * سحبان فيما أطال واختصرا
يخاطب الغائب البعيد بما * يخاطب الشاهد الذي حضرا
يرى المقـادير تستدق له * وتنفذ الحادثات ما أمرا
شخت ضئيـل لفعله خطر * أعظم به في ملمة خطرا
تبج فـكاه ريقة صغرت * وخطبها في القلوب قد كبرا
بواقع النفس منه ما حذرت * وربما جنبت به الحذرا
مهفهف تزدهي به صحف * كأنمـا جليت به دررا
كأنها ترفـع العيون بهـا * خلال روض مكلل زهرا
ان قربت فرطت طوابعها * مافض طين لهـا ولا كسرا
يكاد عنوانهـا لروعتـه * ينبيك عن سرها الذي استترا

ومن أحسن ما شبهت به الاقلام وشبه بها قول ذي الرمة :

كأن أنوف الطير في عرصاتها * خراطيم أقلام تخط وتعجم

ومثله قول عدي بن الرقاع :

يخرجن من فرجات النقع دامية * كأن آذانها أطراف أقلام

ومن قولنا في ولد البقرة :

تزجى أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

ومنه قول المامون :

كانما قابل القرطاس اذ مشقت * منها ثلاثه أقلام على قلم

ومنه قولنا فيه :

اذا أدارت بنانه قلما * لم تدر للشبه أيها القلم

ومن قولنا فى الاقلام :

ومعشر تنطق أقلامهم * بحكمة تلقنها الاعين

تلفظها فى الصك أقلامهم * كانما أقلامهن ألسن

ومن قولنا فى الاقلام :

يا كاتبا نقشت أنامل كفه * سحر البيان بلا لسان ينطق

الاصقيل ابن ملموم القوى * حدت لها زمه وشق المفرق

فاذا تكلم رغبة أو رهبة * فى مغرب اصغى اليه المشرق

يدلى بريقة اربه أو شربه * يبكى ويضحك من سداه المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة يسكت واقفا وينطق سا كتا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء . وقال سليمان بن وهب : وزير المهدى كل قلم تطيل جلفته فان الخط يخرج به أوقص . وكتب جعفر بن يحيى : الى محمد بن الليث يستوصفه الخط فكتب اليه أما بعد فليكن قلمك بحريا لا متينا ولا رقيقا ما بين الرقة والغلظ ضيق النقب فابره بريا مستويا كمنقار الحمامة اعطف بطنه ورقق شفتيه وليكن مدادك فارسيا خفيفا اذا وزنته فانقعه ليلة ثم صفه فى الدواة وليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسج تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين الى آخره فليست تستقيم السطور الا فيما كان كذلك وليكن أكثر تمطيطك فى طرف القرطاس الذى فى يسارك وأقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ولا تترك الاخرى بغير مط فانك اذا قارنت القليل كان قبيحا واذا جمعت الكثير كان سمجا ثم ابتدىء الالف برأس القلم كله واخططه بعرضه واختمه باسفله

واكتب الياء والتاء والسين والشين والمطة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ورأس كل مرسل برأس القلم واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والمطة السفلي من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم والمط نصف الخط ولا يقوي عليه الا العاقل ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا الا بالنظر الى اليد في استعمالها الحركة والسلام . وقال ابن طاهر : لكاتبه ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف . وقال ابراهيم بن جبلة : مر بي عبد الحميد وأنا أخط خطا رديئا فقال لي أتحب أن يجود خطك قلت بلى . قال أطل جلفة القلم وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها ففعلت فجاد خطي . وقال العتابي ببكاء القلم تبتسم الكتب . وقال بعض الحكماء أمر الدين والدنيا تحت شيئين السيف والقلم . وقال حبيب الطائي :

لولا مناشدة القربي لغادركم ❊ حصائد المرهفين السيف والقلم

وقال ارسطاطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم . وقال أبو حيمكة : كنت أكتب المصاحف فمر بي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال أجلل قلمك فقصمت من قلمي قصمة فقال هكذا نوره كما نوره الله . وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقا وقال أجود الخط أبينه وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم باسبال ذوائبها . وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة لها معان جليلة ور بما ضاق عن العيون وقد ملأ أحظار الفنون . وذكر علي بن عبيد القلم فقال أصم يسمع النجوي أعيي من باقل وأبلغ من سحبان وائل يجهل الشاهد ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخوان ألسنا ناطقة وأعينا لاحظة ور بما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغواني في خدودهن باحسن من عبرات الاقلام في خدود الكتب . وقال العتابي : الاقلام مطايا الفطن وتخاير غلامان في بعض الدواوين فقاما الى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما . فكره أن يفضل أحدهما على الآخر . فقال لاحدهما اما خطك أنت فوشي محوك . وقال للآخر وأما خطك أنت فذهب مسبوك تكافيتما في غاية وتوافيتما في نهاية . وقال آخر : دخلت الديوان فنظرت الى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقيان وعليه مكتوب :

وابابي وابابي * من كفه تكتب بي

وقال أبو هفان يصف القلم :

واذا أمر على المهارق كفه * بانامل يحملن شختا مرهفا
ومقصرا ومطولا ومقطما * وموصلا ومشتتا ومؤلفا
كالحية الرقشاء الا أنه * يستنزل الاروى اليه تلطفا
يهفو به قلم يمج لعابه * فيعود سيفا صارما ومثقفا

وقال آخر في وصف الدواة :

ومسودة الارجاء قد خضت حالها * ورويت من قعرها غير منبط
خميص الحشا يروي على كل مشرب * أمينا على سر الامين المسلط

وقال بعض الكتاب :

وما روض الربيع وقد زهاه * ندى الاسحار يأرج بالغداة
بأضوع أو بأسطع من نسيم * تؤديه الافاوه من دواة

وقال آخر في وصف محبرة :

ولجة بحر راجم العبا * ب بادوأمواجه تزخر
اذا غاص فيه أخو غوصة * سريع السباحة ما يفتر
فانفس بذلك من غائص * بديع الكلام له جوهر
وأكرم ببحر له لجة * جواهرها حكم تنثر

وقال ثمامة بن اشرس ما أثرته الاقلام لم تطمع في دراسته الايام . ونظر المأمون الى جارية من جواريه تخط خطا حسنا فقال فيها :

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت * وفي أصبعيها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات المنى وهو أعجف

وقال بعض الكتاب :

اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع * كمثل اللآلي نظمها ونثيرها

وقال بشر بن المعتمر : القلب معدن والحلم جوهر واللسان مستنبط والقلم صانع والخط صنعة

وقال سهل بن هرون : القلم لسان الضمير اذا رعف أغلق أسراره وأبان آثاره . وقالوا : حسن الخط يناضل عن صاحبه ويوضح الحجة ويمكن له درك البغية . وقال آخر : الخط الردي زمانة الاديب . وقال الحسن بن وهب . يحتاج الكاتب الى خلال منها جودة بري القلم واطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التانى لامطاء الانامل وارسال المدة بقدر اتساع الحروف والتحرز عند فراغها من الكسوف وترك الشكل على الخط والاعجام على التصحيف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع . وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب ان يؤخذ قلمه فى أحسن أجزائه وأبعد مايتمكن المداد فيه ويعطيه من القرطاس حقه . وقال عبد الله بن عباس : كل كتاب غير مختوم فهو أغلف . وفى تفسير قول الله تعالى « انى القى الى كتاب كريم » قال مختوم . ورفع الى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها اعجامها فقال ما أحسن ماكتبت الا انك أكثرت شونيزها . وقال ابو عبيد الله : لا يقال كأس الا اذا كان فيه شراب والا فهي زجاجة ولا مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ولا قلم الا اذا بري والا فهى قصبة . وقال آخر : جلوس الادباء عند الوراقين وجلوس المخمنين عند النخاسين وجلوس الطفيليين عند الطباخين . وكتب على بن الازهر : الى صديق له يسأله أقلاما يبعث بها اليه أما بعد فانا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الاسم ولزمت لزوم الوسم فحلت محل الانساب وجرت مجري الالقاب وجدنا الاقلام الصخرية أسرع فى الكواغد وأمر فى الجلود كما ان البحرية منها أسلس فى القراطيس وأسرع فى المعاطف وأشد لتصريف الخط فيها . ونحن فى بلد قليل القصب رديئه . وقد أحببت ان تتقدم فى اختيار أقلام صخرية وتتانق فى انتقائها قبلك وتطلبها فى مظانها ومنابتها من شطوط الانهار وأرجاء الكروم وان تتيمم فى اختيارك منها السديد المحض الصلبة المعض النقية الخدود القليلة الشحوم المكتنزة اللحوم الضيقة الاجواف الرزينة المحمل . فانها ابقى فى الكتابة وأبعد من الحفاء وان تقصد بانتقائك الرقاق القضبات المتقومات المتون الملس المعاقد الصافية القشور الطويلة الانابيب البعيدة مابين الكعوب الكريمة الجواهر المعتدلة القوام المستحكمة يبسا وهى قائمة على أصولها لم تعجل عن ابان ينعها ولم تؤخر الى الاوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء وعفن الانداء فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رفيقا ثم عبات منها حزما فيما يصونها من الاوعية ووجهتها مع من يؤدى الامانة في حراستها وحفظها وايصالها وكتبت معه رقعة بعددها وأصنافها بغير تاخير ولا توان ان شاء الله تعالى

﴿ قولهم فى الحبر ﴾ قال بعض الكتاب عطروا دفاتر آدابكم بجيد الحبر فان الادب غوان والحبر غوال . ونظر جعفر بن محمد الي فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له :

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

وأتى وكيع بن الجراح رجل يمت اليه بحرمة . فقال له وما حرمتك قال له كنت تكتب من محبرتي عند الاعمش فوثب وكيع ودخل منزله ثم أخرج له نفقة دنانير وقال له اعذرنى فما أملك غيرها ﴿ وفى الاقلام ﴾ أهدي بن الحروري الى رجل من اخوانه من الكتاب أقلاما وكتب اليه انه لما كانت الكتابة أبقاك الله أعظم الامور وقوام الخلافة وعمود المملكة خصصتك من آلتها بما يخف محمله وتثقل قيمته ويعظم نفعه ويجل خطره وهي أقلام من القصب النابت فى الصخر الذى نشف فى حر الهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه فهى كاللآلىء المكنونة فى الصدف والانوار المحجوبة فى السدف تبرية القشور درية الظهور فضية الكسور قد كستها الطبيعة جواهر كالوشى المحبر وفريد الديباج المنير ﴿ قولهم فى المصحف ﴾

نعم الانيس اذا خلوت كتاب * تلهو به ان ملك الاحباب
لا مفشيا سرا اذا استودعته * وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر :

ولكل صاحب لذة نزه * أبدا ونزهة عالم كتبه

وقال حبيب :

مداد مثل خافية الغراب * وقرطاس كرقراق السراب
وألفاظ كالفاظ المثانى * وخط مثل وشم يد الكعاب
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا * اليك لكنت سطرا فى الكتاب

وقال فى صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب :

لقد جلا كتابك كل بث * جوى وأصاب شاكلة الرمى
فضضت ختامه فتبلجت لى * غرائبه عن الخبر الجلى
وكان أغض فى عينى وأندي * على كبدى من الزهر الجنى
وأحسن موقعا عندى ومني * من البشرى أتت بعد النعى
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وكائن فيه من معنى خطير * وكائن فيه من لفظ بهي
فياثلج الفؤاد وكان رضفا * وياشبعي برونقه وريي
فكم كشفت عن بر جليل * به وأتيت من رأى سني
كتبت له بلا لفظ كريه * على أذنى ولا خط قمى
رسالة من تمتع منذ حين * ومتعنا من الادب الرضى
لئن غربتها فى أرض بكر * لقد زفت الى قلب وفى
وان يك من هداياك الصفايا * فرب هدية لك كالهدى

وقال ابن أبي طاهر فى ابن ثوابة :

فى كل يوم صدور الكتب صادرة * من رأيه و ندى كفيه عن مثل
من خط أقلامه خط القضاء على ا * أعداء والموت بين البيض والاسل
لعابها طل فى الصدر يعقبه * ور بما كان فيه النفع للعلل
كان أسطارها فى بطن مهرقها * نور يضاحك دمع الواكف الخضل

وقال البحترى فى محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت فى الكتابة حتى * عطل الناس فن عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ماشـ * ـك امرؤ أنه نظام فريد
و بديع كانه الزهر الضا * حك فى رونق الربيع الجديد
ما اغتدت منه فى بطون القراطيـ * ـس وما حملت ظهور البريد
حجج تخرس الالد بالفا * ظ فرادى كالجوهر المعدود
حزن مستعمل الكلام اختيارا * و تجنبن ظلمة التعقيد
كالعذارى غدون فى حلل صفـ * ـر اذا رحن فى الخطوب السود

وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية :

مارقعة جاءتك مثنية * كانها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة * عن جهة الهزل الى الجد
ياكاتبا اسلمني عتبه * اليك حسبي منك ماعندي

وقال محمد بن ابراهيم بن محمد الشيباني رفع أبان بن عبد الحميد اللاحقي الى الفضل بن يحيي بن خالد رقعة بأبيات له يصف فيها قامته وكثافة لحيته وحلاوة شمائله وبراعة أدبه وبلاغة قلمه فقال :

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو ارباح
كاتب حاسب أديب لبيب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الريـ * ـشة لما تكون تحت الجناح
لي في النحو فطنة ونفاذ * أنا فيه قلادة لوشاح
لو رمى بي الامير أصلحه الله رماحا صدمت حد الرماح
ثم أروى عن ابن سيرين في الفقـ * ـه بقول منور الافصاح
لست بالضخم في روائي ولا الفد * م ولا بالمجد الدحداح
لحية كثة وانف طويل * وانقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح
كم وكم قد خبأت عندي حديثا * هو عند الامير كالتفاح
أيمن الناس طائرا يوم صيد * في غدو اوبكرة أو رواح
اعلم الناس بالجوارح والصيـ * ـد وبالخرد الحسان الملاح
كل هذا جمعت والحمد لله * على أنني ظريف المزاح
لست بالناسك المشمر ثوبيـ * ـه ولا الفاتك الخليع الوقاح
لو دعاني الامير عاين مني * شمهريا كالجلجل الصياح

قال فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية فرمي به اليه . وقال له أجب فاجاب بما في عرضه واحسن فامر له بالف الف درهم وكنا نراه أول داخل وآخر خارج وكان اذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال :

أنا أولى بقلة الحظ مني * للمسمي بالجلجل الصياح
قبلوا منه حين عز لديهم * اخرس القول غير ذي افصاح
ثم بالريش شبه النقش في الخفـ * ـة أما يكون تحت الجناح
فاذا الشم من شماريخ رضوي * خفة عنده سوى المصباح
لم يكن فيك غير شيئين مما * قلت في نعت خلقك الدحداح

لحية جعدة وانف طويل * وسوي ذاك ذاهب في الرياح
فيك ما يحمل الملوك على السخـــف ويزري بالماجد الجحجاح
بارد الطرف مظلم الكذب تيا * ه معيد الحديث سمج المزاح

قال فبعث اليه ابان بان لا تذيعها وخذ الالف ألف درهم فبعث اليه أبو نواس لو أعطيتني مائة ألف ألف درهم لم أجد بدا من اذاعتها . فيقال ان الفضل بن يحيي لما سمع شعر أبي نواس قال لا حاجة لي في ابان لقد رمي بخمس في بيت لا يقبل على واحدة منهن الاجاهل فقيل له كذب عليه . فقال قد قيل ذاك فاقصاه وانما أغرى ابا نواس بهذا الكاتب أبان بن عبد الحميد اللاحقي ان الفضل بن يحيي أعطاه مالا يفرقه في الشعراء ويعطي كل واحد على قدره فبعث الى أبي نواس بدرهم زائف ناقص . وقال اني أعطيت كل شاعر على مقدار شعره وكان هذا أوفر نصيبك عندي فهجاه لذلك ﴿ توقيعات الخلفاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾ كتب اليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه فوقع في أسفل كتابه ابن ما يكنك من الهواجر وأذي المطر . ووقع الي عمرو بن العاصي كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك ﴿ عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾ وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجء أعناقهم فان عصوك فقل اني برىء مما تعملون . ووقع في قصة رجل شكا عيلة عليه قد أمرنا لك بما يقيمك وليس في مال الله فضل للمسرف ﴿ على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾ وقع الى طلحة بن عبيد الله في بيته يؤتى الحكم . ووقع في كتاب جاءه من الحسن بن على رضي الله عنه رأى الشيخ خير من جلد الغلام . ووقع في كتاب سلمان الفارسي وساله كيف يحاسب الناس يوم القيامة يحاسبون كما يرزقون : ووقع في كتاب الحصين بن المنذر اليه يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة بقية السيف أنمى عددا . وفي كتاب جاءه من الاشتر النخعي فيه بعض ما يكره من لك باخيك كله : وفي كتاب صعصعة ابن صوحان يساله في شيء قيمة كل امريء ما يحسن ﴿ معاوية بن أبي سفيان ﴾ كتب اليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه فوقع في أسفل كتابه بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الاسلام فانت تراه . وفي كتاب عبد الله بن عامر يساله أن يقطع مالا بالطائف عش رحبا ترى عجبا . وفي كتاب زياد : يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته ان أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد وذلك حلف لا يحله سوء رأيك . وكتب اليه ربيعة بن عسل اليربوعي يساله ان يعينه في بناء

داره بالبصرة باثنى عشر الف جذع ادارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ﴿ يزيد بن معاوية ﴾
وقع فى كتاب عبدالله بن جعفر اليه يستمنحه من خاصته احكم لهم بآمالهم الى منتهى آجالهم
فحكم بتسعمائة الف فاجازها . وكتب اليه مسلم بن عقبة المرى بالذي صنع أهل الحرة فوقع
فى أسفل كتابه فلا تاس على القوم الفاسقين . وفى كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان
وقد استبطاه فى الخراج قليل العتاب يحكم مرائر الاسباب وكثيره يقطع أواخي
الانساب . ووقع الى عبدالرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان القرابة واشجة
والافعال متباينة فخذ لرحمك من فعالك والى عبدالله بن زياد أنت أحد أعضاء
ابن عمك فاحرص ان تكون كلها ﴿ عبدالملك بن مروان ﴾ وقع فى كتاب أتاه من
الحجاج جنبني دماء بني عبدالمطلب فليس فيها شفاء من الطلب . وكتب اليه الحجاج
يخبره بسوء طاعة أهل العراق ومايقاسي منهم ويستاذنه فى قتل اشرافهم فوقع
له ان من يمن السائس ان يتالف به المختلفون ومن شؤمه ان يختلف به المؤتلفون وفى كتاب
الحجاج يخبره بقوة ابن الاشعث بضعفك قوى وبخوفك خلع . ووقع فى كتاب
ابن الاشعث :

فمابال من أسعى لاجبر عظمه * حفاظا وينوي من سفاهته كسرى

ووقع فى كتاب

كيف يرجون سقاطى بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبدالملك كتب اليه الحجاج لما بلغه انه خرق فيما خلف له عبدالملك ينكر
ذلك عليه يعرفه انه غير صواب فوقع فى كتابه لاجمعن المال جمع من يعيش أبدا
ولافرقنه تفريق من يموت غدا . ووقع الى عمر بن عبدالعزيز قد رأب الله بك الداء
وأوذم بك السقاء ﴿ سليمان بن عبد الملك ﴾ كتب قتيبة بن مسلم الى سليمان
يتهدده بالخلع فوقع فى كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * ابشر بطول سلامة يامربع

ووقع فى كتابه أيضا العاقبة للمتقين والى قتيبة أيضا جواب وعيده وان تصبروا وتتقوا
لايضركم كيدهم شيا . عمر بن عبدالعزيز . كتب بعض العمال اليه يستاذنه فى مرمة مدينته
فوقع أسفل كتابه ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم . والى بعض عماله فى مثل ذلك حصنها
ونفسك بتقوى الله والى رجل ولاه الصدقات وكان ذميما فعدل وأحسن ولا أقول للذين

تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا . وكتب اليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها فوقع له أرض لهم ما ترضي لنفسك وخذ بجرائمهم بعد ذلك . والى عدي بن ارطاة فى أمر عاتبه عليه ان آخر آية أنزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله . والى عامله على الكوفة وكتب اليه انه فعل فى أمر كما فعل عمر بن الخطاب أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . والى الوليد بن عبد الملك وعمر عامله على المدينة فوقع فى كتابه الله أعلم انك أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة فوقع فى كتابه لا تطلب طاعة من مخذل عليا وكان اماما مرضيا . والى عامله بالمدينة وساله أن يعطيه موضعا يبنيه فوقع كن ن الموت على حذر . وفى قصة متظلم العدل امامك . وفي رقعة محبوس تب تطلق . وفى رقعة رجل قتل كتاب الله بيني و بينك . وفى رقعة متنصح لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك . وفى رقعة رجل شكا أهل بيته أنهما فى الحق سيان . وفي رقعة امرأة حبس زوجها الحق حبسه . وفى رقعة رجل تظلم من ابنه . ان لم أنصفك منه فانا ظلمتك . يزيد بن عبد الملك . وقع الى صاحب خراسان لا تترك حسن رأى فانما نفسده عثرة . والى صاحب المدينة : عثرت فاستقل . وفى قصة متظلم « سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » . وفى قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صفحت عنه واستوصلتني . هشام بن عبد الملك : فى قصة متظلم : أتاك الغوث ان كنت صادقا وحل بك النكال ان كنت كاذبا فتقدم أو تاخر . وفى قصة قوم شكوا أميرهم ان صح ما ادعيتم عليه عزلناه وعاقبناه . والى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : احذر ليالى البيات . والى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب ابناء الانصار احفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبهم له . ووقع فى رقعة محبوس لزمه الحد نزل بحدك الكتاب . ووقع فى قصة رجل شكا اليه الحاجة وكثرة العيال وذكر ان له حرمة لعيالك فى بيت مال المسلمين سهم ولك بحرمتك منا مثلاه . والى عامله على العراق فى أمر الخوارج : ضع سيفك فى كلاب النار وتقرب الى الله بقتل الكفار . والى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم : لنقوضنكم فاني خصم دونكم . وفى كتاب عامله يخبره فيه بقلة الامطار فى بلده : مرهم بالاستغفار . والى سهل بن سيار : خف الله وامامك فانه ياخذك عند أول ذلة . يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . وقع الى مروان أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت . والى صاحب خراسان في المسودة : نجم أمر أنت عنه نائم وما أراك منه أومنى بسالم : مروان بن

محمد كتب الى نصر بن سيار فى أمر أبي مسلم: نجوم الظاهر تدل على ضعف الباطن والله المستعان ووقع الى ابن هبيرة أمير خراسان: الامر مضطرب وأنت نائم وأنا ساهر . والى الحويرة ابن سهل حين وجهه الى قحطبة كن من بيات المارقة على حذر . ووقع حين أتاه عز وقحطبة وانهزام ابن هبيرة: هذا والله الادبار والا فمن رأى ميتا اهزم حيا . وفى جواب : أبيات نصر بن سيار اذ كتب اليه :

أرى خلل الرماد وميض جمر * و يوشك أن يكون له ضرام

الحاضر يرى مالا يرى الغائب فاحسم الثؤلول. فكتب نصر الثؤلول قد اشتدت أعضاؤه وعظمت نكايته فوقع اليه يداك أوكتا وفوك نفخ

٧ — توقيعات بني العباس — السفاح . كتب اليه جماعة من اهل الانبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت فى البناء الذى أمر به ولم يعطوا أثمانها فوقع هذا بناء أسس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم اليهم . ووقع فى كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : ان حلمك أفسد علمك وتراخيك أثر فى طاعتك فخذلي منك ولك من نفسك : ووقع اليه فى ابن هبيرة بعد أن راجعه فى غير مرة. لست منك ولست مني ان لم تقتله . وجاءه كتاب من أبي مسلم يستاذنه فى الحج وفى زيارته فوقع اليه لا أحول بينك و بين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته واذ نك لك . ووقع فى كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم: من صبر فى الشدة شورك في النعمة ثم أمر بارزاقهم . والى عامل تظلم منه وما كنت متخذ المضلين عضدا . وفى قوم شكوا احراق ضياعهم فى ناحية الكوفة وقيل بعدا للقوم الظالمين . أبو جعفر وقع فى كتابه الى عبد الله بن على عمه: لا تجعل للايام فىّ وفيك نصيبا من حوادثها . ووقع اليه أيضا ادفع بالتي هي أحسن السيئة الى قوله وما يلقاها الاذو حظ عظيم فاجعل الحظ لك دوني يكن لك كله . ووقع الى عبد الحميد صاحب خراسان: شكوت فاشكيناك وعتبت فاعتبناك ثم خرجت عن العامة فتاهب لفراق السلامة . والى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونوا يؤمر عليكم . والى قوم تظلموا من عاملهم لا ينال عهدى الظالمين . وفى قصة رجل شكا عيلة : سل الله من رزقه . وفى قصة رجل ساله أن يبني بقريه مسجدا فان مصلاه على بعد: ذلك أعظم لثوابك ، وفى قصة رجل قطعت عنه أرزاقه : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية وفى قصة رجل شكا الدين : ان كان دينك فى مرضاة الله قضاه . والى صرورة ساله ان يحج : ولله

على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا : والى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد . والى عامله على حمص وجاءه منه كتاب فيه خطا : استبدل بكاتبك ولا استبدل بك . والى صاحب ارمينية : ان لى فى قفاك عينا وبين عينيك عينا ولهما أربع آذان . والى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله . وفى كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فاخذوا أرزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ولو وفيت لم ينتهبوا . المهدى : وقع فى قصة متظلمين شكوا بعض عماله لو كان عيسى عاملكم قدناه الى الحق كما يقاد الجمل المخشوش يريد عيسى ولده . ووقع الى صاحب ارمينية وكتب اليه يشكو سوء طاعة رعاياه : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والى صاحب خراسان في أمر جاءه أنا ساهر وأنت نائم ، وفى قصة قوم أصابهم قحط يقدر لهم قوت سنة القحط والسنة التي تليها . والى شاعر أظنه مروان بن ابى حفصة : أسرفت فى مديحك فقصرنا فى حبائك . وفى قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دينك وتقر به عينك . وفى قصة رجل شكا الحاجة : أتاك الغوث . والى رجل من بطانته استوصل ليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك . وفى قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا اشخاصه الى بابه : قد أنصف القارة من راماها . وفى قصة رجل حبس فى دم : ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب . والى صاحب خراسان وكتب اليه يخبره بغلاء الاسعار خذهم بالعدل فى المكيال والميزان . والى يوسف الرومى حين ظفر بخراسان : لك اماني ومؤكد ايماني . موسى الهادي : كتب الى الحسن بن قحطبة فى أمر راجعه فيه : قد أنكرناك منذ لزمت أباحنيفة كفاناه الله . والى صاحب افريقية فى أمر فرط منه يا ابن اللخناء أنى تمرس . هرون الرشيد : وقع الى صاحب خراسان : داو جرحك لا يتسع . والى عامل على مصر : احذر أن تخرب خزانتى وخزانة أخى يوسف فياتيك منه مالا قبل لك به ومن الله أكثر منه . ووقع فى قصة البرامكة انبتته الطاعة وحصدته المعصية : والى عامله على فارس كن مني على مثل ليلة البيات . والى عامل خراسان ان الملوك يؤثر منها الحظ . والى خزيمة بن حازم اذ كتب اليه انه وضع السيف حين دخل أرض ارمينية لا أم لك تقتل بالذنب من لا ذنب له . وفى قصة محبوس من لجأ الى الله نجا وفى قصة متظلم لا يجاوز بك العدل ولا يقصر بك دون الانصاف . والى صاحب السند اذ ظهرت المعصية كل من دعا الى الجاهلية تعجل الى المنية . والى عامله على خراسان كل من رفع

رأسه فازله عن بدنه . وفى رقعة متظلم من عامله على الاهواز وكان بالظلم عارفا قدولیناك موضعه فتنكب سيرته . وفى كتاب بكار الزبيرى اليه يخبره بسر من أسرار الطالبين جزى الله الفضل خير الجزاء فى اختياره اياك وقد أتاك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك . والى محفوظ صاحب خراج مصر يامحفوظ اجعل فرح مصر فرحا واحدا وأنت أنت . والى صاحب المدينة ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن فانهم قد أطالوا ليلى بالسهاد ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد . ووقع الى السندي بن شاهد خف الله وامامك فهما نجاتك . والى سليمان بن ابى جعفر فى كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحييت لشيخ ولده المنصور ان يهرب عن ولده كنده وطيء نهلا قابلتهم بوجهك وأبديت لهم صفحتك وبذلت لهم منحتك وكنت كمروان ابن عمك اذ خرج مصلتا سيفه متمثلا بيت الجحاف بن حكيم :

متقلدين صفائحا هندية * يتركن من ضربوا كمن لم يولد

فجالد به حتي قتل اما بدعة يا ماخلة أشد هراشا وأخشن مراسا ولولا ان يقال لقلت رحمه الله أم تندبه وابانصه . وكتب متملك الروم الى هرون الرشيد انى متوجه نحوك بكل صليب فى مملكتي وكل بطل فى جندى فوقع فى كتابه سيعلم الكافر لمن عقبى الدار . وكتب اليه يحيي بن خالد من الحبس حين أحس بالموت قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت بالاثر والله الحكم العدل وستقدم فتعلم فوقع فيه الرشيد الحكم الذي رضيته في الآخرة لك هو أعدي الخصم عليك وهو من لا يرد حكمه ولا يصرف قضاؤه : المأمون : وقع الى ابن هشام فى أمر تظلم فيه : من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فأى الرجلين أنت . والى هشام لأدنيك ولك بيابي خصم . والى الرستمى فى قصة من نظلم منه ليس من المروأة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاو وجارك طاو . وفى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة ياعمرو عمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها . وفى قصة متظلم من أبي عباد يا ثابت لبس بين الحق والباطل قرابة وفى قصة متظلم من أبي عيسى أخيه فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى قصة متظلم من حميد الطوسى يا أبا غانم لا تغتر بموضعك من امامك فانك وأخس عبيده فى الحق سيان . والى طاهر صاحب خراسان أحمد أبا الطيب اذا أجلك خليفة محل نفسه من نفسه فمالك موضع تسمو اليه نيسك الا وأنت فوقه وعنده . وفى كتاب بشر بن داود هذا أمان

عاقدت الله فى مناجاتى اياه . وفى كتاب ابراهيم بن جعفر في فدك حين أمره بردها قد أرضيت خليفة الله فى فدك كما أرضي الله خليفته فيها . وفى قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسى قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك فاما ظلمك للرعية فانا لا نحتمله . ووقع الى بعض عماله طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها . وكتب اليه ابراهيم بن المهدى فى كلام له ان غفرت فبفضلك وان أخذت فبحقك فوقع فى كتابه القدرة تذهب الحفيظة والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله . ووقع فى رقعة مولى طلب كسوة لو أردت الكسوة للزمت الخدمة ولكنك آثرت الرقاد فخطك الرؤيا . ووقع فى يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الاموال يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته . ولثمامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه . ولابى محمد اليزيدى يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره . وللمعلى بخمسمائة ألف لصحيح سنه . ولاسحق بن ابراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته . وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه . ولاحمد بن أبي خالد بالف ألف لمخالفة شهوته . ولابراهيم بن بوبه كذلك لسرعة دمعته وللمريسى بثلثمائة ألف لاسباغ وضوئه ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه

٨ — توقيعات الامراء والكبراء — زياد وقع الى بعض عماله قد كنت على الذعار وأخالك ذاعرا . وكتبت اليه عائشة فى وصاة برجل فوقع فى كتابها هو بين أبويه والى صاحب خراسان فى أمر خالفه فيه استر بعض دينك ببعض والاذهب كله . والى عامله بالكوفة امط الحدود عن ذوي المروآت . وفى قصة متظلم أنا معك . وفي قصة قوم رفعوا على عامل من أماله الباطل قومه الحق . وفى قصة مستمنح لك المواساة . والى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة النساء تحاربهم دونك . وفى قصة سارق القطع جزاؤك . وفى قصة امرأة حبس زوجها حكمه الى الله . وفى قصة قوم نقبوا انقب ظهورهم . وفى قصة نباش يدفن حيا في قبره . وفى قصة متظلم الحق يسعك . وفى قصة متنصح مهلا فقد أبلغت اسماعى . وفى قصة متظلم كفيت . وفى قصة رجل شكا اليه عقوق ابنه ربما كان عقوق الولد من سوء تاديب الوالد . وفى قصة رجل شكا الحاجة لك فى مال الله نصيب أنت آخذه . وفى قصة رجل جارح الجروح قصاص . وفي قصة محبوس التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وفى قصة قوم شكوا غرق ضياعهم لا نعرض فيما تفرد الله به . وفى قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم

لا حكم فيما استأثر الله به . الحجاج بن يوسف : وقع فى كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد وذهاب الغلال وما حل بالناس من القحط اذا أزف خراجك فانظر لرعيتك في مصالحها فبيت المال أشد اطلاعا لذلك من الارملة واليتيم وذى العيلة . وفى كتاب قتيبة اليه انه على عبور النهر ومحاربة الترك لاتخاطر بالمسلمين حتى تعرف موضع قدمك ومرمى سهامك وفى كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم ماظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه . وفى قصة محبوس ذكروا انه تاب ماعلى المحسنين من سبيل . والى قتيبة خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن فانه أمنع من حصونك . وفى كتابه الى بعض عماله اياك والملاهي حتى تستنظف خراجك . وفى كتاب الى ابن أخيه ماركب يهودى قبلك منبرا . وفى كتابه الى يزيد بن أبى مسلم أنت أبو عبيدة هذا القرن . أبو مسلم : وقع فى كتاب سليمان بن كثير الخزاعى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . والى أبي العباس فى يزيد بن عمر بن هبيرة قل طريق سهل تلقى فيه الحجارة الاعاد وعرا والله لايصلح طريق فيه ابن هبيرة أبدا . والى ابن قحطبة لاتنس نصيبك من الدنيا . واليه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . واليه لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . والى محمد بن صول وكتب اليه بسلامة أطرافه وأما بنعمة ربك فحدث . وكتب اليه قحطبة الى بعض قواده خرج الى عسكر ابن ضبارة راغبا فوقع فى كتابه : ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية . والى عامله ببلخ لا تؤخر عمل يوم لغد والى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم . جعفر بن يحيي : وقع فى قصة محبوس لكل أجل كتاب . وفي مثله العدل أوقعه والتوبة تطلقه . وفى قصة متنصح بعض الصدق قبيح . وفى رجل شكا بعض عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت . وفى قصة رجل شكا بعض خدمه خذ باذنه ورأسه فهو مالك . والى عامل فارس فى رجل كتب اليه بالوصاة كن له كأبيه ولو كان مكانك . والى عامل مصر فى رجل من بطانته يوصيه انه رغب الى شعبك فارغب فى اصطناعه . وفى قصة متظلم من بعض عماله أنى ظلمتك دونه . وفى قصة محبوس الجناية حبسته والتوبة تطلقه . والى قوم عين الخليفة تكلؤكم ونظره يعمكم . وفى رقعة صرورة استأذنه فى الحج من سافر الى الله نجح . وفى قصة رجل شكا عزبة الصوم لك وجاء . وفى رقعة رجل سال ولاية لا أولى بعض الظالمين بعضا . وفى قصة رجل سال أن يقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه

غيبة يوسف صلى الله عليه وسلم كانت أطول . وفى قصة رجل تظلم من عماله أنا المثله حتى ينصفك . وفى قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته يرحل عنكم . وفى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دع الضرع يدر لغيرك كما درلك . والى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتاب غمه وأكربه كثرة ملاحاة الدمار بما أراقت الدماء . والى منصور ابن زياد في أمر عاتبه فيه لم نزرعك لتحصدك . والى بعض عماله اجعل وسيلتك الينا ما يزيدك عندنا . والى بعض ندمائه لا تبعد من ضمك . ووقع الى متنصل من ذنب حكم الفلتات خلاف حكم الاصرار . الفضل بن سهل : كتب الى أخيه الحسن أحمد الله يا أخي فما بيت خليفة الله الاعلى ذكرك والى طاهر تخير ما اصطنعت . واليه لشر ما سموت . والى هرثمة وأشار عليه برأي لا تحل ما عقدت . وفى قصة متظلم كفى بالله للمظلوم ناصرا . وفى قصة نقب بيت المال يدرأ عنه الحد ان كان له فيه سهم . ووقع الى حاجبه تمهل وتسهل . والى صاحب الشرطة ترفق توفق : والى رجل شكا غلبة الدين قد أمرنا لك بثلاثين ألفا وسنشفعها بمثلها ليرغب المتنصحون . وفى قصة متظلم طب نفسا فان الله مع المظلوم : والى رجل شكا اليه الدين الدين سوء يهيض الاعناق وقد أمرنا بقضائه : وفى قصة قوم قطعوا الطريق انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية . وفى امرىء قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه كتاب الله أحق ان يتبع . وفي قصة رجل شهد عليه انه شتم أبا بكر وعمر يضرب دون الحد ويشهر ضربه . الحسن بن سهل ذو الرياستين . وقع فى قصة متظلم ينظر فيما رفع فان الحق متبع والانصاف السليم دواء السقيم . وفى قصة قوم تظلموا من واليهم الحق اولى بنا والعدل بغيتنا وان صح ما أدعيتم عليه صرفناه وعاقبناه . وفي قصة امرأة حبس زوجها الحق يحبسه والانصاف يطلقه . وفى رقعة رائد . أمرنا لك بشيء هو دون قدرك فى الاستحقاق وفوق الكفاية مع الاقتصاد . وكتب اليه رجل من الشعراء يقول له :

رأيت فى النوم انى راكب فرسا * ولى وصيف وفى كفى دنانير
فقال قوم لهم فهم ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير
رؤياك فسر غدا عند الامير تجد * فى الحلم دراوفى النوم التباشير

فوقع فى أسفل كتابه أضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وأحق له ما التمسه .

ودخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فانشده :

أغفيت عند الصبح نوم مسهد * في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت انك رعتني بوليدة * رعبوبة حسن على قيامها
وببدرة حملت الى وبغلة * دهماء مشرقة يصل لجامها
فدعوت ربي ان يثيبك جنة * عوضا يصيبك درها وسلامها
بيت المنابر يا ابن مروان الندي * أضحت وأنت خطيبها وامامها

فقال له أشر في كل شيء أصبت الا البغلة فاني لا أملك الاشهباء فقال له امراتي طالق ان كنت رأيتها الا الاشهباء الا اني غلطت . طاهر بن الحسين : وقع في كتاب رجل تظلم من اصحاب نصر ابن شبيب طلبت الحق في دار الباطل . وفي قصة رجل طلب قبالة بعض أعماله القبالة مفتاح الفساد ولو كانت صلاحا ما كنت لها موضعا . والى السدى بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه عش مالم أرك . والى خزيمة بن حازم الاعمال بخواتيمها والصنيعة باستدامتها والى الغاية ماجري الجواد فحمد السابق وذم الساقط . والى العباس بن موسى الهادى واستبطاه في خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجات من بات نائما * ولكن أخوها من يبيت على وجل

وفي رقعة متنصح سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . وفي قصة محبوس يطلق ويعتق وفي رقعة مستوصل يقام أوده . وكتب ابوجعفر الى عمرو بن عبيد أبا عثمان أعني باصحابك فانهم أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له فوقع في كتابه ارفع علم الحق يتبعك أهله

٩ ـ توقيعات العجم ـ وقع ازدشير في أزمة عمت المملكة من العدل ان لا يفرح الملك ورعيته محزونون ثم أمر ففرق في الكور جميع مافي بيوت الاموال . ورفع رجل الى كسري بن قباذ رقعة يخبره فيها ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم منهم فلان وفلان فوقع في أسفل كتابه انما أملك ظاهر الاجسام لا النيات واحكم بالعدل لا بالهوي وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر . ووقع كسرى في رقعة مدح طوبي للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعى اذا كان للاجابة أهلا . وكتب اليه متنصح ان قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة فعابوه وثلموه فوقع لئن كانوا نطقوا بالسنة شتي لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجرحك أرغب ولسانك اكذب ورفع اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ماأنصفكم من الى الشكية أحوجكم ثم فرق بينهم ماوسعهم واغناهم . ووقع أنو شروان الى صاحب خراجه مااستغزر الخراج بمثل

العدل ولا استمتزر بمثل الجور . ووقع فى قصة رجل تظلم منه لا ينبغي للملك الظالم ومن عنده يلتمس العدل ولا يبخل ومن عنده يتوقع الجود ثم أمر باحضار الرجل وقعد معه بين يدى الموبذ ووقع فى قصة محبوس من ركب مانهى عنه حبل ما بينه وبين مايشتهي . ودفع اليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله وسوء حاله فعرف كذبه فوقع ان الله خفف ظهرك فثقلته وأحسن اليك فكفرته فتب الى الله يتب عليك . ووقع فى قصة رجل سعى اليه بباطل باللسان احفظ رأسك . ووقع فى قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله لا تصلح العامة الا ببعض الحيف على الخاصة فان كنت صادقا أبحتك جميع ما يملكه فلم يتظلم بعدها احد من قرابته

١٠ — فصول فى المودة — كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرانى الى محمد بن سهل أعزك الله ان كل مجازاة قاصرة عن حق السابق الى افتتاح الود وقد علمت انى استقبلتك من الاقبال عليك بمالم تستدعه واعتمدتك من الرغبة فيك بمالم تتوله . وفصل لابي على البصير : قد أكد الله بيننا المودة ما نامن الدهر على حل عقده ونقض مزاره وما يستوى منه ثقتنا بانفسنا لك ولا نفسنا بما عندك . وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ويوجب الانس والثقة وبسط اللسان بالاستزادة وانامت اليك بالحرمة المتقدمة والاسباب المؤكدة حتى تحل صاحبها محل خاصة الاهل والقرابة . وفصل لابراهيم ابن العباس : المودة تجمعنا محبتها والصناعة تؤلفنا أسبابها وما بين ذلك من تراخ فى لقاء أو تخلف فى مكاتبة موضوع بيننا يوجب العذر فيه . وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صب اليك سامى الطرف نحوك وذكرك ملصق بلسانى واسمك حلو على لهواتي وشخصك ماثل بين عينى وأنت أقرب الناس من قلبي وآخذهم بمجامع هواى . وفصل له : لنحن احق بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة الا انك أحق بالفضل الذى سبقت اليه . وفصل لسعيد بن حميد : اني أهديت مودتى رغبة اليك ورضيت بالقبول منك مثوبة نصرت بقبولها قاضيا الحق ومالكا الرق وصرت بالتسرع الى الهدية والتخير للمثوبة مرتهن اللسان بالرضا واليدين بالوفا . وفصل له : اني صادقت منك جوهر نفسى فانا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام لان النفس يقود بعضها بعضا . وقال أبو العتاهية :

وللقلب على القلب ✻ دليل حين يلقاه
وللناس من الناس ✻ مقاييس وأشباه

وفصل له : لساني ترطب بذكرك وقلبي معمور بمحبتك حضرت أو غبت سرت أو أقمت كقول معقل أخي ابي دلف .

لعمرى لئن قرت بقربك أعين * لقد سخنت بالبين منك عيون
فسر أو فقف وقف عليك مودتي * مكانك من قلبي عليك مصون

وفصل لابراهيم بن المهدى : كتابي اليك كتاب مخبر وسائل فاما الاخبار فمن تصرف الخطوب على ما يوجب العذر عند صديقي العزيز علي في ابطائي بالتعهد له وأما السؤال فمن امساك هذا الاخ الودود المودود وعن مثل ذلك فان البذل كاشف ما سلف مصلح لما استانف ﴿فصول في الزيارة﴾ كتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق له نحن في مادبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسنا قد باتت السماء تعلها فهي مشرقة بمائها حالية بنوارها فرأيك فينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض . فكتب اليه : هذه صفة لو كانت في أقاصي الاطراف لوجب انتجاعها وحث المطي في ابتغائها فكيف في موضع أنت تسكنه وتجمع الى انيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وأنا الجواب . وفصل : كتب اسحق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف في المصير اليه وعند احمد بن يوسف ابراهيم بن المهدى فكتب عندى من أنا عنده وحجتنا اليك اعلامنا اياك . وفصل انه من ظما شوقه من رؤيتك استوجب الري من زيارتك ثم كتب تحت هذا :

سر الينا تفديك نفسي من السو * ء فقد طال عهدنا بالتلاقى
واجعلن ذاك ان رأيت جوابي * فلقد خفت سطوة الاشتياق

وفصل : الى الله اشكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك وأقول كما قال بعض المحدثين :

غضارة دنيا اظلم العيش بعدها * وعند غروب الشمس يعرف فقدها

وفصل : الشوق اليك والى عهد أيامنا التي حسنت كانها أعياد وقصرت كانها ساعات يفوت الصفاء ومما يجدده ويكثر دواعيه تصاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر الى الغرة المباركة التي لا وحشة معها ولا انس بعدها . وفصل مثلنا أعزك الله في قرب تجاورنا وبعد تزاورنا ما قيل في أهل القبور :

هم جيرة الاحياء أما مزارهم * فدان واما الملتقى فبعيد

وكل علة معك محتملة وكل جفوة مغفورة للشغف بك والثقة بحسن نيتك وسناخذ بقول أبي قيس بن الاسلت :

ويكرمنها جاراتها فيزرنها * وتغفل عن اتيانهن فتعذر

وفصل : كتب حكيم الى حكيم يا أخي ان أيام العمر اقل من أن تحتمل الهجر والسلام . كتب أحمد بن يوسف لا تجوز قطيعة لانها لا تخلو من أحد وجهين اما ضعف في نفس الاختيار واما ملل وكلاهما حجة فيه . وفصل طال العهد بالاجتماع حتي كدنا نتناكر عند الالتقاء وقد جعلك الله للسرور نظاما وللانس تماما وجعل المشاهدة موحشة اذا خلت منك . وكتب الحسن ابن وهب : الى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب العذر في تراخي اللقاء * ماتوالى من هذه الانواء
فسلام الاله اهديه مني * كل يوم لسيد الوزراء
لست ادري ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقني عن سماء
غير اني ادعو على تلك بالثكل وادعو لهذه بالبقاء

وقال آخر :

أزور محمدا فاذا التقينا * تكلمت الضمائر فى الصدور
فارجع لم ألمه ولم يلمني * وقد رضي الضمير عن الضمير

فصل في وصاة . كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق فى أبي الشيص كتابي اليك خططته بيميني وفرغت له ذهني فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني أتراني أقبل العذر فيها واقصر فى الشكر عليها وابن أبي الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ماعدانا الى غيرنا فاكتف بهذا منا . وفصل : كتابي اليك كتاب معنى بمن كتب له واثق بمن كتب اليه ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله . وفصل : كتب العتابى فكاد ان يخل بالمعني من شدة الاختصار فكتب : حامل كتابي اليك أنا فكن له أنا والسلام . وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغني باصطناعك اياه عن تحريكي اياك في امره فان الصنيعة حرمة للمصنوع اليه ووسيلة الى مصطنعه فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من أهلها ووصل بك أسبابها : وفصل له : موصل كتابي اليك أنا فكن له أنا وتامله بعين مشاهدتي وخاتي فلسانه اشكر ما آتيت اليه وأذم ماقصرت فيه : فصول في عتاب : كتب أحمد بن يوسف لولا حسن الظن بك أعزك الله لكان

فى اغضائك عنى ما يقبضني عن الطلبة اليك ولكن امسك برمق من الرجاء علمي برأيك فى رعاية الحق و بسط يدك الى الذي لو قبضتها عنه لم يكن له الا كرمك مذكرا وسوددك شافعا . فصل : ما أبعد البرء من مريض داؤه فى دوائه وعلته فى حميته أنا منك كالغاص بالماء لامساغ . وكما قال الشاعر :

كنت من كربتى أفر اليهم * وهم كربتي فاين الفرار

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين عتبي تكون منك أو عتبي تغنى عنك . فصل : أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا نرضى الا بالكل لنا منك . فصل : أنا أبقى على ودك من عارض يغيره أو كتاب يقدح فيه وآمل عائدا من حسن رأيك يغني عن اقتضائك . فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل لو أن كل من نازع الى الصرم قلدناه عنان الهجر لكنا أولى بالذنب منه ولكن نرد عليك من نفسك ونأخذ لها منك . فصل لعبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ذي الجناحين : . أما بعد فقد عاقني الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة وأعقبته جفاء من غير ذنب فاطمعني أولك فى أخائك وآيسني آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك فقمنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف . فصل : اذا جعلت الظن شاهدا تعدل شهادته بعد ان جعلته حكما يحيف فى حكومته . فاين الموئل من جورك ولست أسلك طريقا من العتب عليك الاشدة ما انطوى عليه من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الا اليك ولا استعانة الا بك وما أحق من جعلك على أمر عونا أن تكون له الى النجاح سببا . وقال الشاعر :

عجبت لقلبك كيف انقلب * ومن طول ودك انى ذهب
وأعجب من ذا وذا انني * أراك بعين الرضا والغضب

وفصل : ان مسئلتى اليك حوائجي مع عتبك على من اللؤم وان امساكي عنها فى حال ضرورة اليها مع علمي بكرمك في السخط والرضا لعجز غير انى اعلم ان قرب الوسائل في طلب رضاك مساءلتك ما سنح من الحاجة اذ كنت لا تجعل عتبك سببا لمنع معروفك . وفصل لو كانت الشكوك تختلجني فى صحة مودتك وكريم إخائك ودوام عهدك لطال عتبي عليك فى تواتر كتبي واحتباس جواباتها عني ولكن الثقة بما تقدم عندى تعذرك وتحسن ما يقبحه جفاؤك والله يديم نعمته لك ولنا بك . وفصل لابن المدبر وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل والتقريع

اللطف فلولا ماغلب على من السرور بسلامتك لتقطعت غما بعتابك الذى لطف حتي كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله فلا أعدمني الله رضاك مجازيا به على مااستحقه عتبك فانت ظالم فيه وعتابك ولى المخرج منه . وقال أبو الدرداء أعتاب الاخ خير من فقده . وقال الشاعر :

اذا ذهب العتاب فليس ود ❊ ويبقي الود مابقي العتاب

وقال آخر في غير هذا المعني :

اذا كنت تغضب من غير ذنب ❊ وتعتب فى كل يوم عليا
طلبت رضاك فان عزنى ❊ عددتك ميتا وان كنت حيا
ولا تعجبن بما فى يديك ❊ فاكثر منه الذى في يديا

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب فليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك . وفصل : قد حميت جانب الامل فيك وقطعت أسباب الرجاء منك وقد اسلمني اليأس منك الى العزاء عنك فان ترغب من الآن فصفح لا تثريب معه وان تماديت فهجر لا وصل بعده ﴿ فصل فى التنصل ﴾ كتب ابن مكرم لاق عظيم أملى فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنبا مخطئا ولا متعمدا ولعل فلتة لم الق لها بالا فاوطيء لها اعتذارا وان تكن فبغية حاسد زخرفها على لسان واش نبذها اليك في بعض غراتك أصابته منى مقتلا وشفت منك غليلا . وفصل : ليس بزيلني عن حسن الظن بك فعل حملك الاعداء عليه ولا يقطعني عن رجائك عتب حدث على منك بل أرجو ان يتقاضى كرمك انجاز وعدك اذ كان أبلغ الشفعاء اليك وأوجب الوسائل لديك . وفصل أنت أعزك الله أعلم بالعفو والعقوبة من ان تجازيني بالسوء على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان بل جناه على لسان واش فاما قولك انك لا تسهل سبيل العذر فانت أعلم بالكرم وأرعي لحقوقه وأقعد باشرف وأحفظ لذماماته من ان ترديد مؤملك صفرا من عفوك اذا التمسه ومن عذرك اذا جعل فضلك شافعا فيه وذريعة له . وفصل لابراهيم بن العباس : الكريم أوسع ماتكون مغفرته اذا ضاقت بالمذنب معذرته . وفصل : ياأخى اشكو الى الله واليك تعامل الايام على وسوء شر الدهر عندي وانى معلق فى حبائل من لا يعرف موضعي ولا يحلو عنده موقعى اطلب منه الخلاص فيزيدنى كلفا وأرتجى منه الحق فيزداد به ضنا فالثواء ثواء مقيم والنية نية ظاعن وبزمام الرأى مرتحل ماالذهب الى ناحية من

الحيلة الا وجدت من دونها مانعا من العوائق واحمل الذنب على الدهر فارجع الى الله بالشكر وأساله جميل العقبي وحسن الصبر

١١ — فصول في حسن التواصل — المفضل ان يخص لفضله من شاء ولله الحمد ثم له فيما أعطى ولا حجة عليه فيما منع كن كيف شئت فاني واجد أمري خالصة سر برتي أرى ببقائك بقاء سروري و بدوام النعمة عندك دوامها عندى . وفصل : قد أغني الله بكرمك عن الذريعة اليك والاستعانة عليك لان حسن الظن بالله فيك وتأويل نجح الرغبة دون الشفعاء عندك . وفصل : قد أفردتك برجائى بعد الله وتعجلت راحة الناس ممن يجود بالوعد و يضن بالانجاز والحسدان يفضل و يزهد فى أن يفضل و يعيب الكذب ولا يصدق وفصل : ضمنى أكرمك الله من نفسك حيث وضعت نفسى من رجائك أصاب الله بمعروفك مواضعه، و بسط بكل خير يدك . وفصل : لا أزال أبقاك الله أسال الكتاب اليك مرة أتوقف توقف المخفف عنك من المؤنة ومرة اكتب كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقيل لا أعدمنا الله دوام عزك ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا أخلانا من الصنع لله فانا لا نعرف الا نعمتك ولا نجد للحياة طعما الا فى ظلك ولئن كانت الرغبة الى بشر من الناس خساسة وذلا لقد جعل الله الرغبة اليك كرامة وعزا لانك لا تعرف حرا قعد به دهره الا سبقت مسئلته بالعطية وصنت وجهه عن الطلب والذلة . وفصل : لى عليك حق التاميل والشكر بما ابتدأت من المعروف ولك على حق الاصطناع والفضل والتنويه بالاسم والزيادة فى القدر وليس بمغنى علمك زيادة حقك على ما أبلغه من شكرك من مساءلتك المزيد اذ كنت قد انتهيت الى ما بلغه المجهود وخرجت من منزلة الاضاعة والتقصير واذ كنت تسمح بالحق عليك و تطيب نفسا عن حقك على ما أبلغه من شكرك وشكر اليسير ولا تكلف أحد اشكرك على الكثير . فصل لك أصلحك الله عندى اياد تشفع لى الى محبتك ومعروف يوجب عليك الود والاتمام . فصل : انا أسال الله ان ينجزلى مالم تزل الفراسة تعدنيه فيك . فصل : قد أجل الله قدرك عن الاعتذار وأغنانى فى القول وأوجب عليك ان تقنع بما فعلت وترضى بما أنعمت وصلت أوقطعت

١٢ — فصول الشكر — كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتابا عن المعتصم الى عبد الله بن طاهر الخراسانى وكان فى فصل منه لولم يكن من فضل الشكر الا انك لا تراه الا بين

نعمة مقصورة عليك أو زيادة منتظرة له ثم قال لمحمد بن ابراهيم بن زياد كيف ترى قال كانهما قرطان بينهما وجه حسن . وفصل للحسن بن وهب : من شكرك على درجة رفعته اليها أو ثروة أقدرته اياها فان شكرى لك على مهجة أحييتها وحشاشة أبقيتها ورمق أمسكت به وقمت بين التلف وبينه فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره وانت من وراء كل غاية رددت كيد العدو وأرغمت انف الحسود فنحن نلجا اليه منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف بشكر الشاكر وأين يبلغ جهد المجتهد . وقال ابراهيم بن المهدى يشكر المامون :

رددت مالى ولم تمنن علىّ به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمي
فابن منك وقد جللتني نعما * هي الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به * والمال حتى اسل النعل من قدمى
ماكان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لولم تعرها كنت لم تلم
البر بي منك وطى العذر عندك لى * فيما أتيت فلم تعتب ولم تلم
وقام علمك بى يحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

فصول فى البلاغة : كتب الحسن بن وهب الى ابراهيم بن العباس وصل كتابك فما رأيت كتابا اسهل فنونا ولا املس متونا ولا أكثر عيونا ولا أحسن مقاطع ومطالع منه انجزت فيه عدة الرأى و بشرى الفراسة وعاد الظن يقينا والامل مبلوغا والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . فصل : الكلام كثيرة فنونه قليلة عيونه فمنه مايفكه الاسماع و يؤنس القلوب ومنه مايحمل الآذان ثقلا ويملأ الاذهان وحشا . فصول من المدح : وكتب ابن مكرم الى أحمد بن المدبر ان جميع اكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل فاذا انتهوا اليك اقروا لك ويتنافسون المنازل فاذا بلغوك وقفوا دونك فزادك الله وزادنا بك وفيك وجعلنا ممن يقبله رأيك و يقدمه اختيارك ويقع من الامور بموقع بموافقتك ويجري فيها على سبيل طاعتك . وفصل له : ان من النعمة على المثني عليك أن لايخاف الافراط ولايامن التقصير ويامن ان تلحقه نقيصة الكذب ولا ينتهى به المدح الى غاية الاوجد فضلك تجاوزها ومن سعادة جدك ان الداعى لايقدم كثرة المتابعين له والمؤمنين معه . وفصل : ان مما يطمعنى فى بقاء النعمة عندك

ويزيدني بصيرة فى العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبتها بما فيك من أسبابها ومن شان الاجناس ان تتالف وشان الاشكال ان تتقاوم وكل شيء يتقلقل الى معدنه ويحن الى عنصره فاذا صادف منبته ونزل فى مغرسه ضرب بعرقه وسبق بفرعه وتمكن تمكن الاقامة وتفتك تفتك الطبيعة. وفصل: انى فيما أتعاطي من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر والقمر الباهر الذى لا يخفى على كل ناظر وأيقنت اني حيث انتهي بي القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك. وفصل لمحمد بن الجهم: انك لزمت من الوفاء طريقة محمودة وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها فتنافس الاخوان فيك يبتدرون ودك ويتمسكون بحبلك فمن أثبت الله له عندك ودا فقد وضع حلته موضع حرزها. وفصل لابن مكرم: السيف العتيق اذا أصابه الصدأ استغنى بالقليل من الجلاء حتى تعود جدته ويظهر فرنده للين طبيعته وكرم جوهره ولم أصف نفسى لك عجبا بك بل شكرا. وفصل له: زاد معروفك عندي عظما انه عندك مستور حقير وعند الناس مشهور كبير. أخذه الشاعر فقال:

زاد معروفك عندى عظما * أنه عندك مستور حقير

تتناساه كان لم تاته * وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعتابي: أنت أيها الامير وارث سلفك وبقية أعلام أهل بيتك المسدود بهم ثلمهم المجدد به قديم شرفهم والمحيا به أيام سعيهم وانه لم يخمل من كنت وارثه ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ولا انمحت اعلام من خلفته في رتبته ﴿ فصول فى الذم ﴾ كتب أحمد بن يوسف أما بعد فانى لا أعرف للمعرف طريقا أوعر من طريقه اليك فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك مهجور وانما غايتك فى المعرف ان تحقره وفى وليه ان تكفره. وكتب أبو العتاهية الى الفضل بن معن بن زائدة: أما بعد فانى توسلت اليك فى طلب انائلك باسباب الامل وذرائع الحمد فرارا من الفقر ورجاء للغني وازددت بهما بعدا مما فيه تقربت وقربا مما فيه تبعدت وقد قسمت اللائمة بيني وبينك لانى أخطات فى سؤالك وأخطات فى منعي أمرت باليأس من أهل البخل فسالتهم ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعتهم وفى ذلك أقول:

فررت من الفقر الذي هو مدركى * الى بخل محظور النوال منوع

فاعقبنى الحرمان غب مطامعي * كذلك من يلقاه غير قنوع

وغير بديع منع ذي البخل ماله * كما بذل أهل الفضل غير بديع

اذا أنت كشفت الرجال وجدتهم * لاعراضهم من حافظ ومذيع

وفصل لابراهيم بن المهدي : أما بعد فانك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك مايضرك فكنت فيما كان منك ومنا كما قال زهير بن أبي سلمي :

وذي خطل في القول يحسب أنه * مصيب فما يلمم به فهو قائله

عبات له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

فصل : ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصغار تميل معهما وتصرف في آثارها وقد كنت أحل مودتك بالمحل النفيس وأنزلها بالمنزل الرفيع حتي رأيت ذلتك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك أقوي أسباب عذرى فى قطيعتك عند من يتصفح أمرى وامرك بعين عدل لاتميل الى هوى ولا ترى القبيح حسنا . فصل للعتابي : تالله ماافقتك من سكرتك وترقبنا انتباهك من رقدتك وصبرنا على تجرع الغيظ فيك حتي بان لنا الياس من خيرك وكشف لنا الصبر عن وجه الغلط فيك فما أنا قد عرفتك حق معرفتك فى تعديك لطورك واطراحك حق من غلط فى اختيارك ﴿ فصل فى الادب ﴾ كتب سعيد حميدان من امارات الحزم صحة الرأى فى الرجل بترك التماس مالا سبيل اليه اذا كان ذلك داعية لغنى لاعزة له وشفاء لادرك فيه وقد سمحت فى أمر تخبرك أوائله عن أواخره وينبيك بدؤه عن عواقبه ولو كان هذا الخبر الصادق مستمع حازم ورأيت رائد الهوى ممامال بك الى هذا الامر ميلا اياس من رغب فيك ودل عدوك على معايبك وكشف له عن مقاتلك ولولا علمى بان غلط الناصح يؤدي الى نفع فى اعتقاد صواب الرأى لكان غير هذا القول أولى بك والله يوفقك لما يحب ويوفق لك ماتحب . وفصل : انت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق عزمك فقدم على نفسك من قدمك على نفسه . وفصل . من أخطا فى ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين كان أحرى ان يخطيء فى امر دينه وفيما يؤخذ بالعقل . وفصل : قد حسدك من لاينام دون الشقاء وطلبك من لاينام دون الظفر فاشدد حيازيمك وكن على حذر . وفصل : قد آن ان تدع ماتسمع بما تعلم ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه . وفصل . لست بحال يرضى بها حر ولا يقيم عليها كريم وليس برضي لك بهذا الامن لاينبغى لك ان ترضى به . وفصل : أنت طالب مقيم وانا دافع مغرم فان كنت شاكرا فيما مضى فاعذر فيما بقي . وفصل للعتابى : أما

بعد فان قريبك من قرب منك خيره وابن عمك من عمك نفعه وعشيرك من أحسن عشرتك وأهدى الناس الى مودتك من اهدى بره اليك . فصول الى عليل : ايست حالى اكرمك الله فى الاغمام بعلتك حال المشارك فيها بان ينالني نصيب منها وأسلم من اكثرها بل اجتمع على منها انى مخصوص بها دونك مؤلم منها بما يؤلمك فان عليل مصروف العناية الى عليل كاني سليم فانا أسال الله الذى جعل عافيتي في عافيتك ان يخصني بما فيك فانها شاملة لى ولك . وفصل : ان الذى يعلم حاجتي الى بقائك قادر على المدافعة عن حوبائك فلو قلت ان الحق قد سقط عنى في عيادتك لانى عليل بعلتك لقام بذلك شاهد عدل في ضميرك واثر باد فى حال لغيبتك واصدق الخبر ماحققه الاثر وافضل القول ما كان عليه دليل من العقل . وفصل : لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصا عن خبرك يحب ان تتقسم جوارحه وصبك وان زاد فى ألمها ألمك وان تتصل به احوالك فى السراء والضراء ولما بلغتنى افاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب الا بخبر السلامة ان شاء الله . ولأحمد بن يوسف : قد اذهب الله وصب العلة ونصبها ووفرط أجرها وثوابها وجعل فيهما من ارغام العدو بعقباها اضعاف ما كان عنده من السرور بفتح أولاها . فصول الى خليفة وامير : منها كتب الحجاج ابن يوسف الى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين ان كل من عنت به فكرتك فما هو الا سعيد يؤثر أو شقى يوتر . كتب الحسن بن سهل : يصف عقل المامون وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة موفيا بما أخذ الله عليه مطلعا بما حمله منه مؤديا الى الله حقه مقرا له بنعمته شاكرا لآلائه لا يأمر الا عدلا ولا ينطق الا فصلا عيا لدينه وامانته كافا ليده ولسانه . وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان حق الاولياء على السلطان تنفيذ أمورهم وتقويم أودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء فى احسانهم ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم . وفصل له : ان من أعظم الحق حق الدين وأوجب الحرمة حرمة المسلمين فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ان يراعى له حسب مارعاه الله ويحفظ له حسب ماحفظ الله على يديه . وفصل له : ان الله أوجب لخلفائه علي عباده حق الطاعة والنصيحة ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة واحياء السنن الصالحة فاذا أدى كل الى كل حقه كان ذلك سببا لتمام المعونة واتصال الزيادة واتساق الكلمة ودوام الالفة . وفصل : ليس من نعمة يجددها الله لامير المؤمنين فى نفسه خاصة الا

اتصلت برعيته عامة وشملت المسلمين كافة وعظم بلاء الله عندهم فيها و وجب عليهم شكره عليها لان الله جعل بنعمته تمام نعمتهم بتدبيره وذبه عن دينه حفظ حريمهم و بحياطته حقن دمائهم وأمن سبيلهم فاطال الله بقاء أمير المؤمنين منطوي القلب على مناصحته مؤيدا بالنصر معززا بالتمكين موصول البقاء بالنعيم المقيم . فصل : الحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين معقود النيـة بطاعته منطوي القلب على مناصحته مستحوذ السيف على عدوه ثم وهب له الظفر ودوخ له البلاد وشرد به العدو وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا و برا و بحرا . وفصل : أفعال الامير عندنا معسولة كالامانى متصلة كالايام ونحن نواتر الشكر لكريم فعـله ونواصل الدعاء له مواصلة بره انه الناهض بكلنا والحامل لاعبائنا والقائم بما ناب من حقوقنا . وفصل : أما بعـد فقد انتهى الى أمير المؤمنين كذا فانكره ولا يخلو من احدي منزلتين ليس فى واحدة منهما عذر يوجب حجة ولا يزيل لائمة اما تقصير فى عملك دعاك للاخلال بالحزم والتفريط فى الواجب واما مظاهرة لاهل الفساد ومداهنة لاهل الريب وأية هاتين كانت منك محلة النكر بك وموجبة العقوبة عليـك لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الاناة والنظرة والاخذ بالحجة والتقدم فى الاعذار والانذار على حسب ما أقلت من عظيم العثرة مايجب اجتهادك فى تلافى التقصير والاضاعة والسلام . وكتب طاهر بن الحسين : حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدى . أما بعد فانه عزيز على ان أكتب الى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الامرة وسلامها غير أنه بلغني عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكس المخلوع فان كان كما بلغني فقليل ما كتبت به كثير لك وان يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله و بركاته وقد كتبت فى أسفل كتابى أبياتا فتدبرها :

ركوبك الهول ما لم تلق فرصته * جهل رمى بك بالاقحام تغرير
أهون بدنيا يصيب المخطؤن بها * حظ المصيبين والمغرور مغرور
فازرع صوابا وخذ بالحزم حيطته * فلن يذم لاهـل الحزم تدبير
فان ظفرت مصيبا أو هلـكت به * فانت عند ذوى الالباب معذور
وان ظفرت على جهل ففزت به * قالوا جهـول أعانتـه المقادير

فصـل للحسن بن وهب : أما بعد فالحمد لله متمم النعم برحمته الهادى الى شكره بفضله وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى جمع له من الفضائل ما فرقه فى الرسل قبله وجعل

ترائه راجعا الى من خصه بخلافته وسلم تسليما ﴿ فصول لعمرو بن بحر الجاحظ فى الادب ﴾ : منها فصول فى عتاب . أما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة و التفضل على ذوى الاحسان نافلة : أما بعد فلها السكوت على لسانك ان كانت العافية من شانك . أما بعد فلا تزهد فيما رغب اليك فتكون لحظك معاندا وللنعمة جاحدا . أما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبايهما ظفرت كانت فى حزبه . أما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار . أما بعد فان القلوب أوعية والعقول معادن فما فى الوعاء ينفد اذلم يمده المعدن . أما بعد فكفى بالتجارب تاديبا و بتقلب الايام عظة وباخلاق من عاشرت معرفة و بذكرك الموت زاجرا . أما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب أهون من اطفائه بالشتم والقدع . أما بعد فان أهل النظر فى العواقب أولو الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرىء الا استغرقت الدنيا همته ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الايام مطايا عمله والآخرة مقيل مرتحله . أما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد فى الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للمقادير . أما بعد فانه ليس كل من علم أمسك وقد يستجهل الحليم حين يستحق الهجران . أما بعد فان أحببت ان تتملك المقة فى قلوب اخوانك فاستقل كثير ما توليهم . أما بعد فان أنظر الناس فى العاقبة من لطف حين كف حرب عدوه بالصفح والتجاوز واستل حقده بالرفق والتحبب . وكتب الى أبى حاتم السجستاني : و بلغه عنه أنه نال منه . أما بعد فلو كففت عنا من غربك لكنا أملا لذلك منك والسلام فلم يعد أبو حاتم الى ذكره بقبيح . وله فصول فى وصاة : اما بعد فان أحق من أسعفته فى حاجته واجبته الى طلبته من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء . أما بعد فما أقبح الاحدوثة من مستمنح حرمته وطالب حاجة رددته ومثابر حجبته ومنبسط اليك قبضته ومقبل اليك بعنانه لويت عنه فتثبت فى ذلك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم . أما بعد فان فلانا أسبابه متصلة بنا يلزمنا ذمامه و بلوغ موافقته من أياديك عندنا وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته فاولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأة لحقه علينا . اما بعد فقد أتانا كتابك فى فلان وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته ورعاية حقه ونحن من المعتبة بامره على ما كان فى حرمته و يؤدي شكره . وله فصول فى استنجاز وعد . أما بعد فقد رسفنا فى قيود مواعيدك وطال مقامنا فى سجون مطلك فاطلقنا أبقاك الله من ضيقها وشديد غمها بنعم منك مثمرة أو مريحة . أما بعد فان شجر مواعيدك قد أورقت فليكن

ثمرها سالما من جوائح المطل . أما بعد فان سحاب وعدك قد برقت فليكن وبلها سالما من صواعق المطل والاعتلال . وله فصول فى الاعتذار : أما بعد فنعم البديل من الزلة الاعتذار وبئس العوض من التوبة الاصرار . اما بعد فان أحق ما عطفت عليه بحلمك من لم يتشفع اليك بغيرك . أما بعد فانه لا عوض بن اخائك ولا خلف من حسن رأيك وقد انتقمت مني فى زلتي بجفائك فاطلق أسير تشوقى الى لقائك . أما بعد فاني بمعرفتي ببلوغ حلمك وغاية عفوك ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك . اما بعد فان من جحد احسانك بسوء مقالته فيك مكذب نفسه بما يبدو للناس منه . اما بعد فقد مسني من الالمام بشفه غير مواصلتك مع حبسك الاعتذار من هفوتك ولكن ذنبك نغتفره مودتك فامنن علينا بصلتك تكن بدلا من مساءتك وعوضا من هفوتك . اما بعد فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهنات الاخوان . امابعد فان أولى الناس عندى بالصفح من أسلمه الى ملكك النماس رضاك من غير مقدرة منك عليه . امابعد فان كنت ذممتني على الاساءة فلم رضيت لنفسك المكافاة . وله فصول فى التعازى : أما بعد فان الماضي قبلك الباقي لك والباقي بعدك المأجور فيك وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب : أما بعد فان فى الله العزاء من كل هالك والخلف من كل مصاب وانه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه عن الدنيا حسرة . أما بعد فان الصبر يعقبه الاجر والجزع يعقبه الهلع فتمسك بحظك من الصبر تنل به الذى تطلب وتدرك به الذي تامل . أما بعد فقد كفى بكتاب الله واعظا ولذوى الالباب زاجرا فعليك بالتلاوة تنج مما أوعد الله أهل المعصية . صدور الى خليفة وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلده وأيده وأصلح به وعلى يديه اكرم الله امير المؤمنين بالظفر وأيده بالنصر فى دوام نعمته وحاط الرعية بطول مدته . صدور الى ولى عهد : متع الله أمير المؤمنين بطول مدة الامير واجرى على يديه فعل الجميل وآنس بولايته المؤمنين مد الله للامير النعمة واسعد بطول عمره الامة وجعله غياثا ورحمة أكمل الله له الكرامة وحاطه بالنعمة والسلامة ومتع به الخاصة والعامة متع الله بسلامتك أهل الحرمة وجمع لك شمل الامة واستعملك بالرأفة والرحمة . صدور الى ولى شرطة : انصف الله بك المظلوم واغاث بك الملهوف وأيدك بالتثبت ووفقك للصواب ارشدك الله بالتوفيق وانطقك بالصواب وجعلك عصمة للدين وحصنا للمسلمين اعانك الله على ماقلدك وحفظ لك مااستعملك بما يرضي من فعلك سددك الله وأرشدك وأدام لك فضل ماعودك زادك الله شرفا فى المنزلة

وقدرا فى قلوب الامة وزلفة عند الخليفة نصر الله بعدلك المظلوم وكشف لك كربة الملهوف واعانك على اداء الحقوق . صدور الى قاض : الهمك الله الحجة وأيدك بالتثبت ورد بك الحقوق ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم والتثبت فى الحكم الهمك الله الحكمة وفصل الخطاب وجعلك اماما لذوى الالباب زين الله بفضلك الزمان وأنطق بشكرك اللسان وبسط يدك فى اصطناع المعروف وأدام الله لك الافضال وحقق فيك الآمال . صدور الى عالم : جعل الله لك العلم نورا فى الطاعة وسببا الى النجاة وزلفة عند الله نفع الله بعلمك المستفيدين وقضى بك حوائج المتحرمين واوضح بك سنن الدين وشرائع المسلمين أدام الله لك التطول باسعاف الراغب وأنجح بك حاجة الطالب وأمنك مكروه العواقب . صدور الى اخوان : متع الله أبصارنا برؤيتك وقلوبنا بدوام ألفتك ولا أخلانا من جميل عشرتك ووهب لك من كريم نفسك بحسب ماتنطوي عليه مودتك وأبهج الله اخوانك بقربك وجمع الفتهم بالانس بك وصرف الله عن الفتنا عواقب القدر واعاذ صفوا خائنا من الكدر وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشكر من الله علينا بطول مدتك وآنس أيامنا بمواصلتك وهنانا النعمة بسلامتك قرب الله منا ما كنا نامل منك وجمع شمل السرور بك نزه الله بقربك القلوب وبرؤيتك الابصار وبحديثك الاسماع اقبل الله بك على أودائك ولا ابتلاهم بطول جفائك ازال الله حرصنا من فتورك عنا ورغبتنا عنك من تقصيرك فى أمورنا حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقده ورد الينا ما كنا نألفه ونعهده رحم الله فاقة الحنين اليك ومابي من تباريح الحزن عليك وجعل حرمتنا منك الشفيع لديك يسر الله لنا من صفحك مايسع تقصيرنا ومن حلمك مايرد سخطك عنا زين الله الفتنا بمعاودة صلتك واجتماعنا بزيارتك أعاد الله علينا من اخائك وجميل رأيك مايكون معهودا منك بالوفاء لك . صدور فى عتاب : أنصف الله شوقنا اليك من جفائك لنا وأخذ لبرنا بك من تقصيرك عنا . وكتب معاوية : الى عمرو ابن العاصى وبلغه عنه أمر : وفقك الله لرشدك بلغني كلامك فاذا أوله بطر وآخره خور ومن أبطره الغني أذله الفقر وهما ضدان يخادعان للمرء عن عقله وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء والسلام . فاجابه : طاولتك النعم وطاولت بك علوا نصافك يؤمن سطوة جورك ذكرت اني نطقت بما تكرهه وأنا مخدوع وقد علت انى ملت الي محبتك ولم أخدع ومثلته شكر مسعى معتذر وعفا زلة معترف اه الكتاب

١٤

فن من كتاب المسجدة الثانية

﴿ في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى قولنا في التوقيعات والفصول والصدور والكتابة وهذا كتاب ألفناه في أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وأسماء كتابهم وحجابهم

١ — أخبار الخلفاء — نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم روي أبو الحسن على ابن محمد بن عبد الله بن أبي يوسف عن أشياخه * هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان : وأمه آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب

﴿ مولد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ قالوا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول . وقال بعضهم لليلتين خلتا منه . وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين يوما فهذا جمع ما اختلفوا فى مولده وأوحي الله اليه وهو ابن أربعين عاما واقام بمكة عشرا او بالمدينة عشرا . وقال ابن عباس : أقام بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشرا والمجمع عليه انه اقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا . هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول . مات يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول اليوم والشهر الذى هاجر فيه صلى الله عليه وسلم وجعلنا ممن يرد حوضه وينال مرافقته فى أعلى عليين من درجات الفردوس واسأل الله الذى جعلنا من أمته ولم نره أن يتوفانا على ملته ولا يحرمنا رؤيته فى الدنيا والآخرة ﴿ صفة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ ربيعة بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشربا بحمرة ضخم الرأس أزج الحاجبين عظيم العينين أدعج أهدب شثن الكفين والقدمين اذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صبب ويمشي في صعد كأنما يتقلع من صخر اذا

التفت التفت جميعا ليس بالجعد القطط ولا السبط ذا وفرة الى شحمة أذنيه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتطامن عرفه اطيب من المسك الاذفر لم تلد النساء قبله ولا بعده مثله بين كتفيه خاتم النبوة كبيض الحمامة لا يضحك الا تبسما في عنفقته شعرات بيض لا تكاد تبين . وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيب الذى كان برسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة وقيل له يارسول الله عجل عليك الشيب قال شيبتني هود وأخواتها ﴿ هيئة النبي وقعدته صلى الله عليه وسلم ﴾ كان صلى الله عليه وسلم يأكل على الارض ويجلس على الارض ويمشي في الاسواق ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويقعد القرفصاء ويتوسد يده ويلعق أصابعه ويقضى من نفسه ولا يأكل متكئا ولم يرقط ضاحكا ملء فيه وكان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت الى ذراع لاجبت ولواهدى الى كراع لقبلت ﴿ شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد البشر ولا فخر وأنا أفصح العرب وانا أول من يقرع باب الجنة وانا أول من ينشق عنه التراب دعاني ابراهيم وبشر بي عيسى ورأت أمي حين وضعتني نورا أضاء لها ما بين المشرق والمغرب . وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق الخلق فجعلني فى خير خلقه وجعلهم افراقا فجعلني فى خيرهم فرقة وجعلهم قبائل فجعلني فى خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني فى خير بيت فانا خيركم بيتا وخيركم نسبا . وقال صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الفواطم والعواتك من سليم واسترضعت فى بنى سعد بن بكر . وقال : نزل القرآن بأعرب اللغات فلكل العرب فيه لغة ولبني سعد بن بكر سبع لغات وبنو سعد بن بكر بن هوازن افصح العرب فهم من الاعجاز وهى قبائل من مضر متفرقة . وكان ظئر النبي صلى الله عليه وسلم التي أرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب من بني ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن . واخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث . وجذامة بنت الحرث وهى التى أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فى أسرى حنين فبسط لها رداءه ووهب لها أسرى قومها . والعواتك من سليم ثلاث عاتكة بنت هلال ولدت هاشما وعبد شمس ونوفلا وعاتكة بنت الاوقص بن هلال ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة وعاتكة بنت فالج . وقال على للاشعث اذ خطب اليه : أغرك ابن أبي قحافة اذ زوجك أم فروة وانها لم تكن من الفواطم من قريش ولا العواتك من سليم ﴿ أبو النبى صلى الله عليه وسلم ﴾ عبد الله بن عبد المطلب ولم يكن له ولد غيره صلى الله عليه وسلم . وتوفى وهو فى بطن أمه فلما ولد كفله جده عبد المطلب الى أن توفى فكفله عمه أبو طالب . وكان أخا عبد الله لامه

وأبيه فمن ذلك كان أشفق أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وأولادهم به . وأما أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته فان عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصلبه عشرة من الذكور وستة من الاناث وأسماء بنيه عبد الله والد النبي عليه الصلاة والصلام . والزبير . وابو طالب واسمه عبد مناف . والعباس . وضرار . وحمزة . والمقوم . وأبولهب واسمه عبد العزى . والحرث والغيداق واسمه حجل . ويقال نوفل * وأسماء بناته عمات النبي صلى الله عليه وسلم عاتكة . والبيضاء وهي أم حكيم . وبرة . وأميمة . وأروي . وصفية . ولد النبي صلى الله عليه وسلم : ولده من خديجة القاسم والطيب وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وولده من مارية القبطية ابراهيم فجميع ولده من خديجة غير ابراهيم . وأزواجه صلى الله عليه وسلم : أولهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ولم يتزوج عليها حتى ماتت ثم تزوج سودة بنت زمعة . وكانت تحت السكران بن عمرو وهو من مهاجرة الحبشة فمات ولم يعقب فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعده ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر بكرا ولم يتزوج بكرا غيرها وهى ابنة ست وابتني عليها ابنة تسع وتوفى عنها وهى ابنة ثمان عشرة سنة وعاشت بعده الى أيام معاوية . وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين . ودفنت ليلا بالبقيع . واوصت الى عبد الله بن الزبير : وتزوج حفصة ابنة عمر بن الخطاب : وكانت تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله الى كسرى ولا عقب له . ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بنى عامر بن صعصعة . وكانت تحت عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب أول شهيد كان ببدر : ثم تزوج زينب بنت جحش الاسدية وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم . وهي أول من مات من أزواجه فى خلافة عمر . ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة ابنة أبي سفيان وهى أخت معاوية وكانت تحت عبيد الله بن جحش الاسدي فتنصر ومات بارض الحبشة . وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومى وكانت تحت أبى سلمة فتوفى عنها وله منها أولاد وبقيت الى سنة تسع وخمسين : وتزوج ميمونة بنت الحرث من بنى عامر بن صعصعة وكانت تحت أبى سبرة بن ابى رهم العامرى . وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية وكانت تحت رجل من يهود خيبر يقال له كنانة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه وسبى أهله . وتزوج جويرية بنت الحرث وكانت من سبي بنى المصطلق . وتزوج خولة بنت حكيم وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . وتزوج امرأة يقال لها عمرة فطلقها ولم يبن بها وذلك ان اباها قال له وأزيدك انها لم

تمرض قط فقال ما لهذه عند الله من خير فطلقها . وتزوج امرأة يقال لها أميمة بنت النعمان فطلقها قبل ان يطاها وخطب امرأة من بني مرة بن عوف فردها أبوها وقال ان بها برصا . فلما رجع اليها وجدها برصاء ﴿ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخدامه ﴾ كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت . ومعاوية بن أبى سفيان . وحنظلة بن ربيعة الاسدى . وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ارتد ولحق بمكة مشركا . وحاجبه أبو انيسة مولاه وخادمه أنس بن مالك الانصارى ويكنى أباحمزة . وخازنه على خاتمه معيقب بن أبي فاطمة . ومؤذناه بلال . وابن أم مكتوم . وحراسه سعد بن زيد الانصاري . والزبير بن العوام . وسعد بن ابي وقاص وخاتمه فضة وفصه حبشى مكتوب عليه محمد رسول الله فى ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر الله سطر . وفى حديث أنس بن مالك : خادم النبي صلى الله عليه وسلم وبه تختم أبو بكر وعمر وتختم به عثمان ستة أشهر ثم سقط منه فى بئر ذى اروان فطلب فلم يوجد ﴿ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وسنه ﴾ توفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وحفر له تحت فراشه فى بيت عائشة : وصلى عليه المسلمون جميعا بلا امام الرجال ثم النساء ثم الصبيان . ودفن ليلة الاربعاء فى جوف الليل . ودخل القبر على والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه . ويقال اسامة بن زيد وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله . وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . واختلف فى سنه فقال عبد الله بن عباس وعائشة وجرير بن عبد الله ومعاوية توفى وهو ابن ستين سنة . وقال عروة بن الزبير وقتادة ثنتين وستين سنة

٢ — نسب أبي بكر الصديق وصفته رضي الله عنه — هو عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأمه أم الخير ابنة صخر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وكاتبه عثمان بن عفان . وحاجبه رشيد مولاه . وقيل كتب له زيد بن ثابت أيضا وعلى أمره كله . وعلى القضاء عمر بن الخطاب . وعلى بيت المال ابو عبيدة بن الجراح ثم وجهه الى الشام . ومؤذنه سعد القرظ مولى عمار بن ياسر قيل لعائشة صفى لنا أباك قالت كان أبيض نحيف الجسم خفيف العارضين أحني لا يستمسك ازاره معروق الوجه غائر العينين ناتىء الجبهة عارى الاشاجع أقرع وكان عمر بن الخطاب أصلع وكان ابو بكر يخضب بالحناء والكتم . وقال أبو جعفر الانصارى رأيت ابا بكر كان لحيته ورأسه جمرى الغضى . وقال أنس بن مالك قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وليس فيه

أصحابه أشمط غير أبي بكر نغلفها بالحناء والكتم . وتوفى مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال . وكان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله ﴿خلافة أبي بكر رضى الله عنه﴾ شعبة عن سعد بن ابراهيم عن عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت يارسول الله ان أبا بكر اذا قام فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء فامر عمر فليصل بالناس قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت عائشة فقلت لحفصة قولى له ان أبا بكر اذا قام فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء فامر عمر ففعلت حفصة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس . أبو جعدة : عن الزبير قال قالت حفصة يارسول الله انك مرضت فقدمت ابا بكر قال لست الذي قدمته و لكن الله قدمه . أبو سلمة : عن اسماعيل بن مسلم عن أنس قال صلى أبو بكر بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم مريض ستة أيام . النضر بن اسحق : عن الحسن قال قيل لعلى علام بايعت أبا بكر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت فجأة كان يأتيه بلال فى كل يوم فى مرضه يؤذنه بالصلاة فيامر أبا بكر فيصلي بالناس و قد تركني وهو يرى مكانى فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى المسلمون لدنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم فبايعوه وبايعته . ومن حديث الشعبي : قال أول من قدم مكة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر عبد ربه بن قيس بن السائب المخزومي . فقال له أبو قحافة من ولى الامر بعده قال أبو بكر ابنك قال فرضى بذلك بنو عبد مناف قال نعم قال لامانع لما أعطي الله ولا معطى لما منع الله . جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان غائب في مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما انصرف لقى رجلا فى بعض طريقه مقبلا من المدينة فقال له مات محمد قال نعم . قال فمن قام مقامه قال أبو بكر قال ابو سفيان فما فعل المستضعفان على والعباس . قال جالسين قال اما والله لئن بقيت لهما لارفعن من اعقابهما ثم قال انى أرى غيرة لا يطفئها الا الدم . فلما قدم المدينة جعل يطوف فى ازقتها و يقول

بنى هاشم لاتطمع الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة او عدى
فما الامر الا فيكم واليكم * وليس لها الا أبو حسن على

فقال عمر لابى بكر ان هذا قد قدم وهو فاعل شرا . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفه على

الاسلام فدع له مابيده من الصدقة ففعل فرضي أبو سفيان وبايعه

٣ — سقيفة بن ساعدة — أحمد بن الحرث عن أبي الحسن عن أبي معشر عن المقبري ان المهاجرين بينما هم فى حجرة رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد قبضه الله اليه اذ جاء معن بن عدى وعويم بن ساعدة . فقالا لابي بكر باب فتنة ان يغلقه الله بك هذا سعد بن عبادة والانصار يريدون ان يبايعوه فمضي أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى جاؤا سقيفة بني ساعدة وسعد على طنفسة متكئا على وسادة وبه الحمي . فقال له أبو بكر ماذا ترى أبا ثابت قال أنا رجل منكم فقال حباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فان عمل المهاجري فى الانصارى شيا رد عليه وان عمل الانصارى فى المهاجرى شيا رد عليه وان لم تفعلوا فانا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب لنعيدنها جذعة . قال عمر فاردت ان أتكلم وكنت زورت كلاما في نفسي . فقال أبو بكر على رسلك يا عمر فما ترك كلمة كنت زورتها في نفسي الا تكلم بها . وقال نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأكرمهم احسابا واوسطهم دارا واحسنهم وجوها وأمسهم برسول الله صلى الله عليه وسلم رحما وأنتم اخواننا فى الاسلام وشركاؤنا فى الدين نصرتم وواسيتم فجزاكم الله خيرا فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين مافضلهم الله به . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب وابا عبيدة بن الجراح . فقال عمر يكون هذا وأنت حى ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك الذى أقامك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ضرب على يده فبايعه وبايعه الناس وازدحموا على أبي بكر . فقالت الانصار قتلتم سعدا . فقال عمر اقتلوه قتله الله فانه صاحب فتنه فبايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعلى التكبير فى المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على ماهذا قال العباس ماروىء مثل هذا قط ماقلت لك . ومن حديث النعمان بن بشير الانصارى : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم الناس من يقوم بالامر بعده . فقال قوم أبو بكر وقال قوم ابي بن كعب قال النعمان بن بشير فاتيت أبيا فقلت يا أبى ان الناس قد ذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف أبا بكر واياك فانطلق حتي تنظر فى هذا الامر . فقال ان عندي فى هذا الامر من رسول الله صلي الله عليه وسلم شيا ما أنا بذاكره حتى يقبضه الله اليه . ثم انطلق وخرجت معه حتى دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصبح

وهو يحسو حسواً فى قصعة مشعوبة . فلما فرغ أقبل على أبي فقال هذا اما قلت لك قال
فاوص بنا فخرج يخط برجليه حتى صار على المنبر . ثم قال يامعشر المهاجرين انكم اصبحتم
تزيدون وأصبحت الانصار كما هى لاتزيد ألا وان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى
يكونوا كالملح فى الطعام فمن ولى من أمرهم شيا فليقبل من محسنهم ويعف عن مسيئهم ثم دخل
فلما توفى قيل لى هاتيك الانصار مع سعد بن عبادة يقولون نحن أولى بالامر والمهاجرون
يقولون لنا الامر دونكم فاتيت أبيا فقرعت بابه فخرج الى ملتحفا . فقلت ألا أراك قاعداً
ببيتك مغلقا عليك بابك وهؤلاء قومك فى بني ساعدة ينازعون المهاجرين فاخرج الى قومك
فخرج . فقال انكم والله ما أنتم من هذا الامر فى شىء وانه لهم دونكم يليها من المهاجرين
رجلان ثم يقتل الثالث وينزع الامر فيكون ههنا وأشار الى الشام وان هذا الكلام لمبلول
بريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغلق بابه ودخل . ومن حديث حذيفة . قال
كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين
من بعدي وأشار الى ابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه
﴿ الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر ﴾ على والعباس والزبير وسعد بن عبادة فاما على والعباس
والزبير فقعدوا فى بيت فاطمة حتى بعث اليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت
فاطمة . وقال له ان أبوا فقاتلهم فاقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة
. فقالت يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا قال نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الامة فخرج
على حتى دخل على أبي بكر فبايعه . فقال له أبو بكر أ كرهت امارتى فقال لا ولكنني
آليت أن لا أرتدى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظ القرآن فعليه
حبست نفسى . ومن حديث الزهري : عن عروة عن عائشة قالت لم يبايع على أبا بكر
حتى ماتت فاطمة وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم فارسل على الى أبى بكر
فاتاه فى منزله فبايعه . وقال والله ما نفسنا عليك ما ساق الله اليك من فضل وخير ولكنا
كنا نري ان لنا فى هذا الامر شيا فاستبديت به دوننا وما ننكر فضلك . وأما سعد بن عبادة
فانه رحل الى الشام . أبو محمد : عن الكلبي قال بعث عمر رجلا الى الشام فقال ادعه الى
البيعة واحمل له بكل ما قدرت عليه فان أبى فاستعن الله عليه . فقدم الرجل الشام فلقيه
بحوران فى حائط فدعاه الى البيعة فقال لا أبايع قرشيا أبدا قال فانى أقاتلك قال وان
قاتلتنى قال أفخارج أنت مما دخلت فيه الامة قال اما من البيعة فانا خارج فرماه بسهم
فقتله . ميمون بن مهران : عن أبيه قال رمى سعد بن عبادة فى حمام بالشام فقتل

- سعيد بن أبي عروة : عن ابن سيرين قال رمى سعد بن عبادة بسهم فوجد دفينا في جسده فمات فبكته الجن فقالت :

نحن قتلنا سيد الخز * رج سعد بن عباده
رميناه بسهم * فلم يخط فؤاده

﴿فضائل أبي بكر رضي الله عنه﴾ محمد بن المنكدر قال نازع عمر أبا بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركوني وصاحبي ان الله بعثني بالهدى ودين الحق الى الناس كافة فقالوا جميعا كذبت وقال أبو بكر صدقت وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجليسه في الغار وأول من صلى معه وآمن به واتبعه . وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يريد بلالا وكان بلال عبدا لامية بن خلف فاشتراه أبو بكر وأعتقه وكان من مولدي مكة أبوه رباح وأمه حمامة وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم من أول من قام معك في هذا الامر قال حر وعبد يريد بالحر أبا بكر وبالعبد بلالا وقال بعضهم علي وخباب - أبو الحسن المدايني قال : دخل هرون الرشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الى مالك بن أنس فقيه المدينة فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة . قال يا مالك صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا . فقال مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره فقال شفيتني يا مالك . أبو سلمة : عن الشعبي أن عليا سئل عن أبي بكر وعمر فقال على الخبير سقطت . كانا والله امامين صالحين مصلحين خرجا من الدنيا خميصين . وقال علي بن أبي طالب : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثني أبو بكر وثلث عمر ثم خبطتنا فتنة عمياء كما شاء الله . وقالت عائشة : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بابي لهدها أشرأب النفاق وارتدت العرب فوالله ما طاروا في نقطة الا طار أبي لحظها وعنائها في الاسلام . عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة أنه بلغها ان أناسا يتناولون من أبيها فارسلت اليهم . فلما حضروا قالت ان أبي والله لا تعطوه الى الابد طود منيف وظل ممدود ونجح اذ كذبتم وسبق اذ ونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامر فتي قريش ناشئا وكهفها كهلا يفك عانيها ويريش مملقها ويرأب شعثها فما برحت شكيمته في ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجدا يحيي فيه ما أمات المبطلون . وكان وقيذ الجوانح غزير الدمعة شجي النشيج وتصففت اليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزئون به والله

يستهزىء بهم و يمدهم فى طغيانهم يعمهون وأكثرت ذلك رجالات قريش فما فلوا له صفاة ولا قصموا اقناة حتى ضرب الحق بجرانه وأتى بركه ورست أوتاده . فلما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله وأجلب بخيله ورجله . فقام الصديق حاسرا مشمرا فرد الاسلام على عربه واقام أود ثقافه فانذعر النفاق بوطئه وانتاش الناس بعدله حتى أزاح الحق على أهله وحقن الدماء فى أهبها . ثم أتته منيته فسد ثلمته نظيره فى المرحمة وشقيقه في المعدلة ذلك ابن الخطاب لله در أم حفلت له ودرت عليه ففتح الفتوح وشرد الشرك وبعج الارض فقاءت أكلها ولفظت جناها ترأمه ويأباها وتريده ويصرف عنها . ثم تركها كما صحبها فارونى ماذا ترون وأي يومى ابى تنقمون أبوم اقامته اذعدل فيكم أم يوم طلعته اذ نظر لكم أقول هـذا واستغفر الله لى ولكم ﴿ وفاة أبي بكر الصـديق رضي الله عنـه ﴾ الليث بن سعـد عن الزهرى قال أهـدي لابى بكر طعام وعنده الحرث ابن كلـدة فاكلا منـه : فقال الحرث أكلنا سم سنـة واني واياك لميتـان عند رأس الحول فماتا جميعا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وانما سمتـه يهـود كما سمت النبي صلى الله عليـه وسلم بخيبر فى ذراع الشاة . فلمـا حضرت النبي صلى الله عليه وسـلم الوفاة قال مازالت أكلة خيـبر تعـاودني حتى قطعت أبهـرى . وهذا مثـل ماقال الله تعـالى « ثم لقطعنـا منه الوتين » والابهـر والوتين عرقان فى الصلب اذا انقطـع أحـدهما مات صاحبـه . الزهرى : عن عـروة عن عائشة قالت اغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة وكان يامر عمر يصلي بالناس وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وغسلته امرأته أسماء بنت عميس وصلى عليه عمر بن الخطاب بين القبر و المنبر و كبر أربعا . الزهري : عن سعيد بن المسيب قال لمـا توفى أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح فبلغ ذلك عمر فنهاهن فابين . فقال لهشام بن الوليد اخرج الى بنت أبي قحافة فخرجت اليه أم فروة فعلاها بالدرة ضربا فتفرق النوائح وقالت عائشة وأبوها يغمض رضي الله عنه :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ❊ ربيع اليتامى عصمة للارامـل

قالت عائشة فنظر الي وقال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أغمي عليه فقالت :

لعمرك مايغـني الـثراء عن الفتي ❊ اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر الى كالغضبان وقال قولى « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » ثم قال

انظروا املائي خلق فاغسلوهما كفنوني فيهما فان الحي أحوج الى الجديد من الميت . عروة ابن الزبير والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما توفى حفرله وجعل رأسه بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر عند حقوى أبي بكر وبقي في البيت موضع قبر . فلما حضرت الوفاة الحسن بن على أوصى بان يدفن مع جده في ذلك الموضع فلما أراد بنو هاشم ان يحفروا له منعهم مروان وهو والى المدينة في أيام معاوية . فقال أبو هريرة علام تمنعه ان يدفن مع جده فاشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة قال له مروان لقد ضيع الله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذلم يروه غيرك قال أنا والله لقد قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من احب ومن ابغض ومن نفى ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه قال وسطح قبر أبي بكر كما سطح قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورش بالماء . هشام بن عروة عن أبيه : ان أبا بكر صلي عليه ليلا ودفن ليلا. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم وعاش أبو قحافة بعد أبي بكر أشهرا وأياما ووهب نصيبه في ميراثه لولد أبي بكر : وكان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر الله . ولما قبض أبو بكر سجي بثوب فارتجت المدينة من البكاء ودهش القوم كيوم قبض فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم . وجاء على بن أبى طالب باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم اسلاما وأصدقهم ايمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غني واحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم على الاسلام وأحماهم عن أهله وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به يريد محمدا ويريدك كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين ناكبا لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في دينك متواضعا في نفسك عظيما عند الله جليلا في الارض كبيرا عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوى فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضعيف حتي تاخذ الحق من القوي وتاخذه للضعيف فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك . القاسم بن محمد : عن عائشة أم المؤمنين انها دخلت على أبيها في مرضه الذى توفى فيه فقالت ياأبت اعهد الى خاصتك وانفذ رأيك في عامتك وانقل من دار جهازك الى دار مقامك انك محضور ومتصل بي لوعتك وأرى

تخاذل أطرافك وانقذاع لونك فالى الله تعزيتي عليك ولديه ثواب حزني عليك ارقو فلا أرقي وأشكو فلا أشكى . قال فرفع رأسه وقال يا أمه هذا يوم يخلى لى عن غطائى وأشاهد جزائي ان فرحا فدائم وان ترحا فمقيم انى أطعت أمانة هؤلاء القوم حين كان النكوص اضاعة والخذل تفريطا فشهيدى الله ما كان يقيلني اياه فتعلقت بصحفتهم وتعللت بدرة لقحتهم فقمت صلاتي معهم لا مختالا أشرا ولا مكاثرا بطرا لم أعد سد الجوعة وورى العورة وقرابة القوة من طوى عفص تهفو منه الاحشاء وتجف له الامعاء فاضطررت الى ذلك اضطرار المريض الى المعيف الآجن فاذا أنا مت فردى اليهم صحفتهم وعبدهم ولقحتهم ورحاهم ودثارة مافوقي اتقيت بها البرد ووثارة ماتحتى اتقيت بها أذى الارض كان حشوها قطع السعف . قال ودخل عليه عمر فقال يا خليفة رسول الله لقد كلفت القوم بعدك تعبا ووليتهم نصبا فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك

٤ — استخلاف أبى بكر لعمر — عبد الله بن محمد التيمي عن محمد بن عبد العزيز أن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الانصار ليقرأه على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا هذا عهد أبي بكر فان تقروا به نقرؤه وان تنكروه نرجعه فقال بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد أبي بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب انى أمرت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل واتقى فذاك ظنى به ورجائي فيه وان بدل وغير فالخير اردت ولا يعلم الغيب الا الله . قال أبو صالح : أخبرنا محمد بن وضاح قال حدثني محمد بن زمج بن مهاجر التجيبي قال حدثنى الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنه دخل على أبي بكر رضى الله عنه فى مرضه الذى توفي فيه فاصابه مفيقا . فقال أصبحت بحمد الله بارئا قال أبو بكر أبرأه الله . قال نعم قال أما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى اني وليت أمركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم من ذلك انفه يريد أن يكون له الامر ورأيتم الدنيا مقبلة . ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف الازدى كما يألم أحدكم الاضطجاع على شوك السعدان والله لان يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من ان يخوض فى غمرة الدنيا ألا وانكم أول ضال بالناس غدا فتصدوهم عن الطريق يمينا وشمالا يا هادى

الطريق انما هو الفجر أو البحر قال فقلت له خفض عليك يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك انما الناس فى أمرك بين رجلين اما رجل رأى ما رأيت فهو معك وإما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب ولا نعلمك أردت الا الخير ولم تزل صالحا مصلحا مع انك لا تاسي على شيء من الدنيا . فقال أجل انى لا آسي على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن ووددت أني تركتهن وثلاث تركتهن وددت انى فعلتهن وثلاث وددت أنى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن . فاما الثلاث التى فعلتهن ووددت اني تركتهن فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وان كانوا اغلقوه على الحرب ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمى وانى قتلته شديخا أوخليته نجيحا ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قدمت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أحدهما أميرا وكنت له وزيرا يعنى بالرجلين عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح . وأما الثلاث التى تركتهن ووددت انى فعلتهن فوددت انى يوم أتيت بالاشعث بن قيس اسيرا ضربت عنقه فانه يخيل الى انه لا يرى شرا الا أعان عليه ووددت أني يوم سيرت خالد بن الوليد الى اهل الردة اقمت بذي القصة فان ظفر المسلمون ظفروا وان انهزموا كنت بصدد لقاء او مدد ووددت انى وجهت خالد بن الوليد الى الشام ووجهت عمر بن الخطاب الى العراق فاكون قد بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله . وأما الثلاث التى وددت انى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فانى وددت اني سالته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه احد واني سالته هل للانصار فى هذا الامر نصيب فلا يظلموا نصيبهم منه ووددت انى سالته عن بنت الاخ والعمة فان فى نفسى منهما شيا

٥ — نسب عمر بن الخطاب وصفته — أبو الحسن على بن محمد قال هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك . وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهاشم هو ذو الرمحين . قال ابو الحسن . كان عمر رجلا آدم مشربا بحمرة طويلا اصلع له حفافان حسن الخدين والانف والعينين غليظ القدمين والكفين مجدول اللحم حسن الخلق ضخم الكراديس اعسر ايسر اذا مشى كانه راكب . ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وطعن لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من التاريخ

فعاش ثلاثة أيام و يقال سبعة أيام . معدان بن أبي حفصة قال : قتل عمر يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة فى رواية الشعبي ولها مات أبو بكر ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم . فضائل عمر بن الخطاب : أبو الاشهب عن الحسن قال عاتب عيينة عثمان فقال له كان عمر خير النا منك اعطانا فاغنانا وأخشانا فاتقانا . وقيل لعثمان مالك لا تكون مثل عمر قال لا استطيع ان أكون مثل لقمان الحكيم . القاسم بن عمر قال كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة . وقيل ان عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة فزوجوها المغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا زوجتم عمر فانه خير قريش أولها آخرها الا ما جعل الله لرسوله . الحسن بن دينار : عن الحسن قال ما فضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اطولهم صلاة وأكثرهم صياما ولكنه كان أزهدهم فى الدنيا وأشدهم فى أمر الله . وتظلم رجل من بعض عمال عمر وادعى أنه ضربه وتعدى عليه فقال اللهم انى لا أحل لهم أشعارهم ولا أبشارهم كل من ظلمه أميره فلا أمير عليه دوني ثم اقاده منه . عوانة عن الشعبي قال كان عمر يطوف فى الاسواق و يقرأ القرآن و يقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم . وقال المغيرة بن شعبة : وذكر عمر فقال كان والله له فضل يمنعه ان يخدع وعقل يمنعه ان ينخدع فقال عمر است بخب ولا الخب يخدعني . عكرمة عن ابن عباس : قال بينما أنا أمشي مع عمر بن الخطاب فى خلافته وهو عامد لحاجة له وفى يده الدرة فانا أمشى خلفه وهو يحدث نفسه ويضرب وحشي قدميه بدرته اذا التفت الى . فقال يا ابن عباس أتدرى ما حملنى على مقالتى التي قلت يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا . قال الذى حملنى على ذلك أنى كنت أقرأ هذه الآية « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » فوالله انى كنت لاظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد علينا بآخر أعمالنا فهو الذي دعاني الى ما قلت . ابن دأب قال : قال ابن عباس خرجت أريد عمر فى خلافته فالفيته راكبا على حمار قد أرسنه بحبل أسود وفى رجليه نعلان مخصوفتان وعليه ازار قصير وقميص قصير قد انكشفت منه ساقاه فمشيت الى جنبه وجعلت اجبذ الازار عليه فجعل يضحك ويقول انه لا يطيعك حتى أتى العالية فصنع له قوم طعاما من خبز ولحم فدعوه اليه وكان عمر صائما فجعل ينبذ الى الطعام ويقول كل لى ولك . ومن حديث ابن وهب : عن الليث ان أبا بكر لم يكن ياخذ من بيت المال شيا ولا يجرى عليه من الفىء درهما الا أنه

استلف منه مالا . فلما حضرته الوفاة أمر عائشة برده . وأما عمر بن الخطاب فكان يجري على نفسه درهمين كل يوم فلما ولى عمر بن عبد العزيز قيل له لو أخذت ما كان ياخذ عمر بن الخطاب . قال كان عمر لا مال له وأنا مالي يغنيني فلم ياخذ منه شيا : أبو حاتم : عن الاصمعى قال قال عمر وقام على الردم أين حقك يا أباسفيان مما هنا . قال ماتحت قدميك الى قال طالما كنت قديم الظلم ليس لاحد فيما وراء قدمى حق انما هى منازل الحاج : قال الاصمعى وكان رجل من قريش قد تقدم صدر من داره عن قدمى عمر فهدمه واراد ان يغور البئر فقيل له فى البئر للناس منفعة فتركها . قال الاصمعى اذا ودع الحاج ثم بات خلف قدمى عمر لم ار عليه ان يرجع يقول قد خرج من مكة ﴿ مقتل عمر ﴾ أبو الحسن كان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني يقال له فيروز ابو لؤلؤة وكان نجار الطيفا وكان خراجه ثقيلا فشكا الى عمر ثقل الخراج وساله أن يكلم مولاه ان يخفف عنه من خراجه . فقال له وكم خراجك قال ثلاثة دراهم فى كل شهر . قال وما صناعتك قال نجار . قال ما ارى هذا ثقيلا فى مثل صناعتك فخرج مغضبا فاستعمل خنجرا محدود الطرفين وكان عمر قد رأى فى المنام ديكا احمر ينقره ثلاث نقرات فتاوله رجلا من العجم يطعنه ثلاث طعنات فطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ذلك فى صلاة الصبح ثلاث طعنات احداها بين سرته وعانته فخرقت الصفاق وهي التى قتلته وطعن فى المسجد معه ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة . فاقبل رجل من بنى تميم يقال له حطان فالقى كساء عليه ثم احتضنه . فلما علم العلج أنه ماخوذ طعن نفسه وقدم عمر صهيبا يصلى بالناس فقرأ بهم فى صلاة الصبح . قل هو الله أحد فى الركعة الاولى وقل يا أيها الكافرون فى الركعة الثانية واحتمل عمر الى بيته . فعاش ثلاثة أيام ثم مات وقد كان استاذن عائشة ان يدفن فى بيتها مع صاحبيه فاجابته وقالت والله لقد كنت اردت ذلك المضطجع لنفسي ولاوثرنه اليوم على نفسي . فكانت ولاية عمر عشر سنين صلى عليه صهيب بين القبر والمنبر ودفن عند غروب الشمس . كاتبه زيد بن ثابت وكتب له معيقيب أيضا . وحاجبه يرفا مولاه وخازنه يسار وعلى بيت ماله عبدالله بن ارقم . وقال الليث بن سعد كان عمر أول من جند الاجناد ودون الدواوين وجعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين وهم على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ليختاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين واوصي ان يحضر عبدالله بن عمر معهم وليس له من امر الشوري شيء

٦ — امر الشورى فى خلافة عثمان بن عفان — صالح بن كيسان قال قال ابن عباس دخلت على عمر فى أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من ادم وعنده جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له رجل ليس عليك باس قال لئن لم يكن علي اليوم ليكونن بعد اليوم وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة وقد كنت أحب ان أنجى نفسى وأنجو منكم وما كنت من امركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشي ان يموت دونها فهو يركض بيديه ورجليه واشد من الغريق الذى يري الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هي ما لبستها فاخلقتها وثمرتكم يانعة فى أكمامها ما أكلتها وما جنيت ماجنيت الا لكم وما تركت وراثي درهما ماعدا ثلاثين أو اربعين درهما ثم بكى وبكى الناس معه . فقلت يا أمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين راضون عنك قال المغرور والله من غررتموه اما والله لوان لى ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع . داود بن أبى هند : عن قتادة قال لما ثقل عمر قال لولده عبد الله ضع خدى على الارض فكره ان يفعل ذلك فوضع عمر خده على الارض وقال ويل لعمر ولام عمر ان لم يعف الله عنه . أبو أمية بن يعلى عن نافع قال قيل لعبد الله ابن عمر تغسل الشهداء قال كان عمر افضل الشهداء فغسل وكفن وصلى عليه يونس بن الحسن : وهشام بن عروة عن أبيه قال : لما طعن عمر بن الخطاب قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت . قال ان تركتكم فقد تركم من هو خير مني وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سالني ربي قلت سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته فان سالني ربى قلت سمعت نبيك يقول ان سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه قيل له فلوانك عهدت الى عبد الله فانه له أهل فى دينه وفضله وقديم اسلامه قال بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولوددت أنى نجوت من هذا الامر كفافا لالى ولا علي ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين لو عهدت فقال قد كنت اجمعت بعد مقالتي لكم أن اولى رجلا امركم ارجو أن يحملكم على الحق وأشار الى على . ثم رأيت أن لا أتحملها حيا ولا ميتا فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم انهم من اهل الجنة منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

ولست مدخله فيهم ولكن الستة على وعثمان ابنا عبد مناف وسعد وعبد الرحمن بن عوف خال رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير حوارى رسول الله صلي الله عليه وسلم وابن عمته وطلحة الخير فليختاروا منهم رجلا فاذا ولو كم واليا فاحسنوا موازرته . فقال العباس لعلى لاتدخل معهم قال اكره الخلاف قال اذاتري ماتكره فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا والزبير وعبد الرحمن ثم قال انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وانى لاأخاف الناس عليكم ولكني أخافكم علي الناس وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض فاجتمعوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا واختاروا منكم رجلا وليصل بالناس صهيب ثلاثة أيام ولاياتي اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ويحضركم عبدالله مشيرا ولاشىء له من الامر وطلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الثلاثة أيام فاحضروه أمركم وان مضت الثلاثة أيام قبل قدومه فامضوا أمركم ومن لى بطلحة فقال سعد انالك به ان شاء الله ثم قال لابي طلحة الانصارى ياأبا طلحة ان الله قد أعزبكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود الكندى اذا وضعتموني فى حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن وطلحة ان حضر وأحضر عبد الله بن عمر وليس له فى الامر شيء وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة على رأى واحد وأبي واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع أربعة فرضوا وأبى الاثنان فاضرب رأسيهما فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا فقال على لقوم معه من بنى هاشم ان اطيع فيكم قومكم فلن يؤمروكم أبدا وتلقاه العباس . فقال له عدلت عنا قال له وما أعلمك قال قرن بي عثمان . ثم قال ان رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فلو كان الآخران معي ما نفعاني فقال العباس لم أدفعك فى شيء الا رجعت الى متاخرا بما اكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر فابيت وأشرت عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعاجل الامر فابيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لاتدخل معهم فابيت فاحفظ عني واحدة كلما عرض عليك القوم فامسك الى ان يولوك واحذر هذا الرهط فانهم لا يبرحون

يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم لنا فيه غيرنا . فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى على وعثمان أيهما يصلي عليه . فقال عبد الرحمن كلا كما يحب الامر لستما من هذا في شيء هذا صهيب استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على امام فصلى عليه صهيب . فلما دفن عمر جمع المقداد بن الاسود أهل الشوري في بيت عائشة باذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا فروة فحجبهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما . وقال تريدان تقولا حضرنا وكنا في الشورى فتنافس القوم في الامر وكثر بينهم الكلام كل يرى انه أحق بالامر . فقال أبو طلحة لا تتدافعوا فاني أخاف ان تتناقصوها لا والذى ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمر بها عمر أو أجلس في بيتي . فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد . قال فانا أنخلع منها قال عثمان أنا أول من رضى فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عبد الرحمن أمين في السماء أمين في الارض فقال القوم رضينا وعلى ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال ان أعطيتني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوي ولا تخص ذا رحم ولا تألوا لامة نصحا . قال اعطوني مواثيقكم على ان تكونوا معى على من نكل وان ترضوا بما أخذت لكم فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها الى عبد الرحمن فخلا بعلى فقال انك أحق بالامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك ولم تبعد فمن أحق بها بعدك من هؤلاء . قال عثمان ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال على ثم خلا بسعد فقال على ثم خلا بالزبير فقال عثمان فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن ان أردت أن لا يختلف عليك اثنان فول عليا . وقال ابن ابى سرح ان أردت ان لا يختلف عليك قرشى فول عثمان . وقال عبد الرحمن والله ما خلعت نفسى وأنا أرى فيه خيرا لانى علمت أنه لا يلى بعد أبي بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره . فلما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الاحداث من أهل بيته وتقديم قرابته قيل لعبد الرحمن هذا كله فعلك قال لم أظن هذا به ولكن لله على ان لا أكلمه أبدا فمات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ودخل عليه عثمان عائدا فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ذكروا ان زيادا أوفد ابن حصين على معاوية فاقام عنده ما أقام ثم ان معاوية بعث اليه ليلا فخلا به . فقال له يا ابن حصين قد بلغني أن عندك ذهنا وعقلا فاخبرني عن شيء أسالك عنه . قال سلني عما بدالك قال اخبرني ما الذى شتت أمر المسلمين وملأهم وخالف بينهم قال نعم قتل الناس عثمان قال ما صنعت شيأ قال فمسير على اليك وقتاله اياك . قال ما صنعت شيا قال فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال

على اياهم قال ماصنعت شيئا قال ماعندى غير هذا يا أمير المؤمنين . قال فانا أخبرك انه لم يشذت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم الا الشوري التي جعلها عمر الى ستة نفر وذلك ان الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فعمل بما أمره الله به ثم قبضه الله اليه وقدم أبا بكر للصلاة فرضوه لامر دنياهم اذ رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر دينهم فعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيره حتى قبضه الله واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ثم جعلها شوري بين ستة نفر فلم يكن رجل منهم الا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت الى ذلك نفسه ولو ان عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان فى ذلك اختلاف . وقال المغيرة بن شعبة : اني لعند عمر بن الخطاب ليس عنده أحد غيرى اذ أتاه آت فقال هل لك يا أمير المؤمنين فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون ان الذي فعل أبو بكر فى نفسه وفيك لم يكن له وانه كان بغير مشورة ولا مؤامرة . وقالوا تعالوا نتعاهد ان لا نعود الى مثلها قال عمر واين هم قال فى دار طلحة فخرج نحوهم وخرجت معه وما أعلمه يبصرنى من شدة الغضب . فلما رأوه كرهوه وظنوا الذي جاء له فوقف عليهم . وقال أنتم القائلون ماقلتم والله لا تتحابوا حتى يتحاب الاربعة الانسان والشيطان يغويه وهو يلعنه والنار والماء يطفئها وهي تحرقه ولم يأن لكم بعد وقد آن ميعادكم ميعاد المسيح متى هو خارج قال فتفرقوا فسلك كل واحد منهم طريقا قال المغيرة قال لى أدرك ابن أبى طالب فاحبسه علي . فقلت لا يفعل أمير المؤمنين فوالله ماغدوت أبغضهم فقال ادركه والا قلت لك يا ابن الدباغة قال فادركته فقلت له قف مكانك لامامك واحلم فانه سلطان وسيندم وتندم . قال فاقبل عمر فقال والله ماخرج هذا الامر الامن تحت يدك . قال على اتق أن لا نكون الذى نطيعك فنفتنك . قال وتحب ان تكون هو قال لا ولكننا نذكرك الذى نسيت فالتفت الى عمر فقال انصرف فقد سمعت منا عند الغضب ما كفاك فتنحيت قريبا وما وقفت الا خشية أن يكون بينهما شيء فاكون قريبا فتكلما كلاما غير غضبانين ولا راضيين . ثم رأيتهما يضحكان وتفرقا وجاءنى عمر فمشيت معه وقلت يغفر الله لك أغضبت قال فاشار الى على وقال أما والله لولا دعابة فيه ماشككت فى ولايته وان نزلت على رغم أنف قريش . العتبي عن أبيه : ان عتبة بن أبي سفيان قال كنت مع معاوية فى دار كندة اذ أقبل الحسن والحسين ومحمد بنو على بن ابي طالب . فقلت يا أمير المؤمنين ان لهؤلاء القوم اشعارا وابشارا وليس مثلهم كذب وهم يزعمون ان أباهم كان يعلم فقال اليك من صوتك فقد قرب القوم فاذا قاموا

تذكرني بالحديث . فلما قاموا قلت يا أمير المؤمنين ما سألتك عنه من الحديث قال كل القوم
كان يعلم وكان أبوهم من أعلمهم ثم قال قدمت على عمر بن الخطاب فاني عنده اذجاءه على وعثمان
وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاستأذنوا فاذن لهم فدخلوا وهم يتدافعون
ويضحكون فلما رآهم عمر نكس فعلموا انه على حاجة فقاموا كما دخلوا فلما قاموا أتبعهم
بصره فقال فتية اعوذ بالله من شرهم وقد كفاني الله شرهم قال ولم يكن عمر بالرجل يسال عما
لا يفسر . فلما خرجت جعلت طريقي على عثمان فحدثته الحديث وسألته الستر . قال
نعم على شريطة قلت هي لك قال تسمع ما أخبرك به وتسكت اذا أسكت قال نعم قال ستة
يقدح بينهم زناد الفتنة يجرى الدم منهم على أربعة قال ثم سكت وخرجت الى الشام
. فلما قدمت على عمر فحدث من امره ما حدث فلما مضت الشوري ذكرت الحديث
فاتيت بيت عثمان وهو جالس وبيده قضيب فقلت يا أبا عبد الله تذكر الحديث الذي
حدثتني قال فازم على القضيب عضا ثم أقلع عنه وقد أثر فيه فقال ويحك معاوية أى شيء
ذكرتني لولا ان يقول الناس خاف ان يؤخذ عليه لخرجت الى الناس منها قال فابي قضاء
الله الامارى . أبو الحسن قال : لما خاف على بن أبي طالب عبد الرحمن بن عوف
والزبير وسعدا ان يكونوا مع عثمان لقى سعدا ومعه الحسن والحسين . فقال له «واتقوا الله
الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» أسالك برحم ابنى هذين من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمى حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا على
لعثمان فاني أدلى بما لا يدلى به عثمان ثم دار عبد الرحمن لياليه تلك على مشايخ قريش يشاورهم
فكلهم يشير بعثمان حتى اذا كان في الليلة التي استكمل في صبيحتها الاجل أتى منزل المسور بن
مخرمة بعد هجعة من الليل فايقظه . فقال ألا أراك نائما ولم أذق في هذه الليالي نوما فانطلق
فادع لى الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد . فقال خل بني عبد مناف
لهذا الامر فقال نصيبي لعلى . فقال لسعد أنا وانت كلالة فاجعل نصيبك لى فاختار
قال اما ان اخترت نفسك فنعم واما ان اخترت عثمان فعلى أحب الى منه . قال يا أبا
اسحق انى قد خلعت نفسى منها على ان اختار ولو لم أفعل وجعل الى الخيار ما أردتها اني
رأيت كاني فى روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل لم أر مثله فحلا اكرم
منه فمر كانه سهم لا يلتفت الى شيء مما في الروضة حتى قطعها ودخل بعير تلاوة فاتبع اثره
حتى خرج اليه من الروضة . ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه يلتفت
يمينا وشمالا ويمضى قصد الاولين ثم خرج من الروضة . ثم دخل بعير رابع فرتع

فى الروضة ولا والله لا كون البعير الرابع ولا يقوم بعد أبي بكر و عمر احد فيرضى الناس عنه . ثم ارسل المسور الى على فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم أرسل المسور الى عثمان فناجاه طويلا حتي فرق بينهما أذان الصبح . فلما صلوا الصبح جمع اليه الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين والانصار والى أمراء الاجناد حتى ارتج المسجد باهله . فقال ايها الناس ان الناس قد أحبوا أن تلحق اهل الامصار بامصارهم وقد علموا من اميرهم . فقال عمار بن ياسر ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا . قال ابن ابي سرح ان أردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان ان بايعت عثمان سمعنا وأطعنا فشتم عمار ابن ابي سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم و بنو امية . فقال عمار ايها الناس ان الله أكرمنا بنبينا وأعزنا بدينه فاني تصرفون هذا الامر عن بيت نبيكم فقال له رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتامير قريش لانفسها . فقال سعد بن أبي وقاص افزع قبل ان يفتتن الناس فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ودعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . قال اعمل بمبلغ علمي وطاقتي ثم دعا عثمان . فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفتين من بعده . فقال نعم فبايعه فقال على حبوته محاباة ليس ذا باول يوم تظاهرتم فيه علينا أما والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو فى شان فقال عبد الرحمن يا على لا تجعل على نفسك سبيلا فاني قد نظرت وشاورت الناس فاذاهم لا يعدلون بعثمان أحدا فخرج على وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله . قال المقداد اما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون . فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال لئن كنت أردت بذلك الله فاثابك الله ثواب المحسنين . ثم قال المقداد ما رأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيهم ولا أقضى منهم بالعدل ولا أعرف بالحق أما والله لو أجد أعوانا . قال له عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني أخشي عليك الفتنة . قال وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه عثمان فقيل له ان الناس قد بايعوا عثمان فقال أكل قريش رضوابه قالوا نعم واتي عثمان فقال له عثمان أنت علي رأس أمرك . قال طلحة فان أبيت أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما اجتمعت الناس عليه وبايعه . وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا أبا محمد قد أصبت

اذ بايعت عثمان ولو بايعت غيره مارضيناه قال كذبت يا أعور لو بايعت غيره لبايعته وقلت هذه المقالة . وقال عبدالله بن عباس : ماشيت عمر بن الخطاب يوما فقال لى يا ابن عباس ما يمنع قومكم منكم وأنتم أهل البيت خاصة قلت لا أدرى . قال لكننى أدرى انكم فضلتموهم بالنبوة فقالوا ان فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيا وان أفضل النصيبين بايديكم بل ما إخالها الا مجتمعة لكم وان نزلت على رغم أنف قريش . فلما أحدث عثمان ما احدث من تامير الاحداث من أهل بيته على الجلة من أصحاب محمد قيل لعبد الرحمن هذا عملك قال ماظننت هذا ثم مضى ودخل عليه وعاتبه وقال انما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر فخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال ان عمر كان يقطع قرابته فى الله وأنا أصل قرابتي فى الله . قال عبد الرحمن لله على ان لا اكلمك أبدا فلم يكلمه أبدا حتى مات ودخل له عثمان عائدا له فى مرضه فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه . ومما نقم الناس على عثمان انه آوي طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبى العاص ولم يؤوه أبو بكر ولا عمر وأعطاه مائة ألف وسير أبا ذر الى الربذة وسير عامر بن عبد قيس من البصرة الى الشام وطلب منه عبيدالله بن خالد بن أسيد صلة فاعطاه أربعمائة ألف وتصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بمهزون موضع سوق المدينة على المسلمين فاقطعها الحرث بن الحكم أخا مروان واقطع فدك مروان وهى صدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافتتح افريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان . فقال عبد الرحمن بن جعل الجمحي :

فاحلف بالله رب الانا * م ماترك الله شيا سدى
ولكن خلقت لنا فتنة * لكى نبتلي بك أو تبتلي
فان الامينين قد بينا * منار الحق عليه الهدى
فما أخذا درهما غيلة * وماتركا درهما فى هوي
وأعطيت مروان خمس العبا * دهيهات ثناؤك ممن تشا

٧ — نسب عثمان وصفته — هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها البيضاء ابنة عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكان عثمان أبيض مشربا بصفرة كانها فضة وذهب حسن القامة حسن الساعدين سبط الشعر أصلع الرأس أجمل الناس اذا اعتم

مشرف الانف عظيم الارنبة كثير شعر الساقين والذراعين ضخم الكراديس بعيد مابين المنكبين . ولما أسن شد اسنانه بالذهب وسلس بوله فكان يتوضا لكل صلاة ولي الخلافة منسلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقتل يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحى سنة خمس وثلاثين . وفي ذلك يقول حسان :

ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

لتسمعن وشيكا فى ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمانا

فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وستة عشر يوما وهو ابن أربع وثمانين سنة . وكان على شرطته وهو أول من اتخذ صاحب شرطة عبد الله بن قنفذ وعلى بيت المال عبيد الله بن ارقم ثم استعفاه وكاتبه مروان وحاجبه حمران مولاه ﴿ فضائل عثمان ﴾ سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر قال أصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك فاشترى عثمان طعاما على مايصلح العسكر وجهز به عيرا فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى سواد مقبل فقال هذا جمل اشقر قد جاءكم بعيرة فانيخت الركائب فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم انى قد رضيت عن عثمان فارض عنه وكان عثمان حليما سخيا محببا الى قريش حتى كان يقال أحبك والرحمن حب قريش لعثمان وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم رقية ابنته فماتت عنده فزوجه أم كلثوم ابنته أيضا . الزهري . عن سعيد بن المسيب قال لما ماتت رقية جزع عثمان عليها وقال يارسول الله انقطع صهرى منك قال ان صهرك مني لاينقطع وقد أمرني جبريل ان أزوجك أختها بامر الله . عبد الله بن عباس قال : سمعت عثمان بن عفان يقول دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت فرآنى ضجاعا لام كلثوم فاستعبر فقلت والذي بعثك بالحق ما أضجعت على أنثي بعدها . فقال ليس لهذا استعفرت فان الثياب للحى وللميت الحجر ولو كن ياعثمان عشر الزوجتكهن واحدة بعد واحدة وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فابي منها فشكاه عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال سيزوج الله ابنتك خيرا من عثمان ويزوج عثمان خيرا من ابنتك فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وزوج ابنته من عثمان بن عفان . ودخل عليه عثمان فسوى ثوبه عليه وقال كيف لا أستحى ممن تستحى منه الملائكة ﴿ مقتل عثمان بن عفان ﴾ الرياشي

عن الاصمعي قال : كان القواد الذين ساروا الى المدينة في أمر عثمان أربعة عبد الرحمن بن عديس التنوخي وحكيم بن جبلة العبدي والاشتر النخعي وعبد الله بن فديك الخزاعي . فقدموا المدينة فحصروه وحاصره معهم قوم من المهاجرين والانصار حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف بين يديه . ثم تقدم وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر وأرادوا أن يقطعوا رأسه ويذهبوا به فرمت نفسها عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة وابنة شيبة بن علية فتركوه وخرجوا فلما كان ليلة السبت انتدب لدفنه رجال منهم جبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن الزبير فوضعوه على باب صغير وخرجوا به الى البقيع ومعهم نائلة بنت الفرافصة بيدها السراج فلما بلغوا به البقيع منعهم من دفنه فيه رجال من بني ساعدة فردوه الى حش كوكب فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم ويقال حكيم بن حزام ودخلت القبر نائلة بنت الفرافصة وام البنين بنت عتبة زوجتاه وهما دلتاه في القبر والحش البستان . وكان حش كوكب اشتراه عثمان فجعله أولاده مقبرة للمسلمين . يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عيسي الدمشقي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن شهاب الزهري قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف قتل عثمان ما كان شان الناس وشانه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا . قلت وكيف ذاك قال ان عثمان لما ولى كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عثمان كان يحب قومه فولي الناس اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا مايولى بني أمية ممن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة وكان يجيء من امرائه مايكره أصحاب محمد فكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم . فلما كان في الحجج الآخرة استاثر بني عمه فخرجوا فولاهم وأمرهم بتقوى الله وولى عبد الله بن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ومن قبل ذلك كانت من عثمان هناة الى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود . وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لابي ذر في قلوبهم مافيها . وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان بحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فابى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه وضرب رجلا ممن أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل الى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ماصنع ابن أبي سرح . فقام طلحة بن عبيد الله

فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت اليه عائشة قد تقدمت اليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوك عزل هذا الرجل فابيت أن تعزله فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه على وكان متكلم القوم . فقال انما سالوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم وان وجب عليه حق فانصفهم منه . فقال لهم اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فاشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر . فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وأخرج معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه . فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذا هم بغلام اسود على بعير يخبط الارض خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد ما قصتك وما شانك كأنك هارب او طالب . فقال أنا غلام أمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقالوا هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا اريد واخبر بامره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه فاتى به . فقال له غلام من أنت قال فاقبل مرة يقول غلام أمير المؤمنين ومرة غلام مروان حتى عرفه رجل منهم انه لعثمان . فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يوجد معه شيء الا اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم . ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا جاء محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وابطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحتبس من جاء يتظلم منك ليأتيك في ذلك رأيي ان شاء الله . فلما قرؤا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ودفعوا الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرأهم الكتاب فلم يبق أحد في المدينة الا حنق على عثمان وازداد من كان منهم غاضبا لابن مسعود وابي ذر وعمار بن ياسر غضبا وحنقا وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد الا وهو مغتم بما قرؤا في الكتاب وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن ابي بكر بني تيم وغيرهم وأعانه طلحة بن عبيد الله على ذلك . وكانت عائشة تقرصه كثيرا . فلما رأى ذلك علي بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير . وقال له على هذا الغلام غلامك قال نعم والبعير بعيرك قال نعم والخاتم خاتمك قال نعم . قال فانت كتبت الكتاب . قال لا وحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام الى مصر قط . وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا فى أمر عثمان وسالوه ان يدفع اليهم مروان فابى . وكان مروان عنده فى الدار فخرج أصحاب محمد من عنده غضابا وشكوا فى أمر عثمان وعلموا انه لا يحلف باطلا الا ان قوما قالوا لا نبرئ عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب، وكيف يامر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق فان يك عثمان كتبه عزلناه وان يك مروان كتبه على لسانه نظرنا فى أمره . ولزموا بيوتهم وأبى عثمان ان يخرج اليهم مروان وخشى عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه بالماء فاشرف عليهم . فقال أفيكم على قالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت . ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا فبعث اليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح من سببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية حتى وصل اليه الماء فبلغ عليا ان عثمان يراد قتله . فقال انما أردنا منه مروان . فاما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل اليه بمكروه . وبعث الزبير ولده وبعث طلحة ولده على كره منه . وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ليمنعوا الناس أن يدخلوا على عثمان وسالوه اخراج مروان ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على وخشى محمد بن أبى بكر ان تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فاخذ بيدى رجلين فقال لهما اذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير ان يعلم أحد . فتسور محمد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الانصار ويقال من دار محمد بن حزم الانصارى ومما يدل على ذلك قول الاحوص :

لا ترثين لحزمي ظفرت به ❊ طرا ولو طرح الحزمى فى النار
الناخسين لمروان بذى خشب ❊ والمداخلين على عثمان فى الدار

فدخلوا عليه وليس معه الا امرأته نائلة بنت الفرافصة والمصحف فى حجره ولا يعلم أحد ممن كان معه لانهم كانوا على البيوت فتقدم اليه محمد وأخذ بلحيته . فقال له عثمان ارسل لحيتى يا ابن

أخي فلو رآك أبوك لساءه مكانك فتراخت يده من لحيته وغمز الرجلين فوجآه بمشاقص معهما حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته . فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا فاكبوا عليه يبكون و بلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا . وقال على لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وانتما على الباب ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن وشتم محمد بن طلحة ولعن عبدالله ابن الزبير ثم خرج على وهو غضبان يرى ان طلحة أعان عليه . فلقيه طلحة فقال مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال عليك وعليهما لعنة الله يقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدرى ولم تقم بينة ولا حجة . فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال لو دفع مروان قتل قبل ان تثبت عليه حجة وخرج على فاتى منزله وجاءه القوم كلهم يهرعون اليه أصحاب محمد وغيرهم يقولون امير المؤمنين على بن أبى طالب . فقال ليس ذلك الا لاهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفه فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا . فقالوا ما نرى أحدا أولى بها منك فمد يدك نبايعك . فقال أين طلحة والزبير فكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده . فلما رأى ذلك على خرج الى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده وكانت أصبعه شلاء فتطير منها على وقال ما أخلقه ان ينكث . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعا . ثم نزل ودعا الناس وطلب مروان فهرب منه وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان مظلوما . فقال لها عمار انت بالامس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه وجاء على الى امرأة عثمان . فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخل رجلان لا أعرفهما الا ان أرى وجوههما وكان معهما محمد بن أبي بكر وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر فدعا على بمحمد فساله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد لم تكذب وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لى أبي فقمت وأنا تائب والله ما قتلته ولا امسكته . فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه ادخلهما . المعتمر عن أبيه : عن الحسن ان محمد بن أبى بكر أخذ بلحية عثمان . فقال له يا ابن أخى لقد قعدت مني مقعدا ما كان أبوك ليقعده . وفى حديث آخر انه قال يا ابن أخى لو رآك أبوك لساءه مكانك فاسترخت يده . وخرج محمد فدخل عليه رجل والمصحف فى حجره . فقال له بيني وبينك كتاب الله فخرج وتركه ثم دخل عليه آخر . فقال بيني وبينك كتاب الله فاهوى اليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول يد خطت المفصل

﴿القواد الذين أقبلوا الى عثمان﴾ الاصمعى عن أبي عوانة قال : كان القواد الذين أقبلوا الي عثمان علقمة بن عثمان وكنانة بن بشر وحكيم بن جبلة والاشتر النخعى وعبد الله بن بديل . وقال أبو الحسن : لما قدم القواد قالوا لعلي قم معنا الى هذا الرجل قال لا والله لا أقوم معكم . قالوا فلم كتبت الينا قال والله ما كتبت اليكم كتابا قط . قال فنظر القوم بعضهم الى بعض وخرج على من المدينة . الاعمش : عن عبيدة عن مسروق قال قالت عائشة مصتموه موص الاناء حتي تركتموه كالثوب الرحض نقيا من الدنس ثم عدوتم فقتلتموه . فقال مروان فقلت لها هذا عملك كتبت الى الناس تامرينهم بالخروج عليه . فقالت والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم بسواد فى بياض حتى جلست فى مجلسي هذا فكانوا يرون أنه كتب على لسان على وعلى لسانها كما كتب أيضا على لسان عثمان مع الاسود الى عامل مصر فكان اختلاق هذه الكتب كلها سببا للفتنة . وقال أبو الحسن : أقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدى وأهل الكوفة عليهم الاشتر واسمه مالك بن الحرث النخعى فى أمر عثمان حتى قدموا المدينة . قال أبو الحسن لما قدم وفد أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا كتبت فينا كذا وكذا . قال انما هما اثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمينى بالله الذي لا اله الا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا قد أحل الله دمك وحصروه فى الدار فارسل عثمان الى الاشتر . فقال ما يريد الناس مني قال واحدة من ثلاث ليس عنها بد . قال ماهى قال يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فقلدوه من شئتم واما أن تقتص من نفسك فان أبيت فالقوم قاتلوك . قال اما أن أخلع لهم أمرهم ما كنت لاخلع سربالا سر بلنيه الله فتكون سنة من بعدى كلما كره القوم امامهم خلعوه واما ان اقتص من نفسي فوالله لقد علمت ان صاحبي بين يدى قد كانا يعاقبان وما يقوى بدنى على القصاص واما ان تقتلونى فلئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون بعدي جميعا أبدا . قال أبو الحسن : فوالله لن يزالوا على النواء جميعا وان قلوبهم مختلفة وقال ابو الحسن : اشرف عليهم عثمان وقال انه لا يحل سفك دم امريء مسلم الا فى احدي ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس فهل انا فى واحدة منهن فما وجد القوم له جوابا . ثم قال أنشدتكم الله هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من اصحابه انا احدهم فتزلزل الجبل حتى همت حجاره ان تتساقط فقال اسكن حراء فما عليك الا

نبي او صديق اوشهيد قالوا اللهم نعم قال شهدوا لى ورب الكعبة . قال ابو الحسن : اشرف عليهم عثمان فقال السلام عليكم فما رد احد عليه السلام . فقال ايها الناس ان وجدتم فى الحق ان تضعوا رجلى في القبر فضعوها فما وجد القوم له جوابا . ثم قال استغفر الله ان كنت ظلمت وقد غفرت ان كنت ظلمت . يحيى بن سعيد : عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان فى الدار فقال اعزم على كل من رأى ان لى عليه سمعا وطاعة ان يكف يده و يلقى سلاحه فالقى القوم اسلحتهم . ابن ابى عروبة . عن قتادة أن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار فقال ان هذه الانصار بالباب وتقول ان شئت كنا انصار الله مرتين قال لا حاجة لى في ذلك كفوا . ابن ابى عروة : عن يعلى بن حكيم عن نافع ان عبد الله بن عمر لبس درعه وتقلد سيفه يوم الدار فعزم عليه عثمان ان يخرج و يضع سلاحه و يكف يده ففعل . محمد بن سيرين . قال : قال سليط نهانا عثمان عنهم ولو اذن لنا عثمان فيهم لضربناهم حتى نخرجهم من اقطارها ﴿ ما قالوا فى قتلة عثمان ﴾ العتبي قال : رجل من بنى ليث لقيت الزبير قادما فقلت ابا عبد الله ما بالك قال مطلوب مغلوب يغلبنى ابني و يطلبنى ذنبي قال فقدمت المدينة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت ابا اسحق من قتل عثمان قال قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة وسمه على . قلت فما حال الزبير قال اشار بيده وصمت بلسانه . وقالت عائشة : قتل الله مذمما بسعيه على عثمان تريد محمدا اخاها واهرق دم ابن بديل على ضلالته . وساق الى اعين بن تميم هوانا فى بيته ورمي الاشتر بسهم من سهامه لا يشوى ، قال فما منهم احد الا ادركته دعوة عائشة . سفيان الثورى قال : لقى الاشتر مسروقا فقال له ابا عائشة مالى اراك غضبان على ربك من يوم قتل عثمان بن عفان لو رأيتنا يوم الدار ونحن كاصحاب عجل بني اسرائيل . وقال سعد بن ابي وقاص لعمار بن ياسر لقد كنت عندنا من افاضل اصحاب محمد حتي لم يبق من عمرك الا ظمء الحمار فعلت وفعلت يعرض له بقتل عثمان قال عمار اى شيء احب اليك مودة على دخل او هجر جميل قال هجر جميل قال فلله علي ان لا اكلمك ابدا . دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت يا أبا عبد الله لو رأيتني يوم الجمل . قد انفذت النصل هودجي حتي وصل بعضها الى جلدى قال لها المغيرة وددت والله ان بعضها كان قتلك . قالت يرحمك الله ولم تقول هذا . قال لعلها تكون كفارة فى سعيك على عثمان . قالت اما والله لئن قلت ذلك لما علم الله اني اردت قتله ولكن علم الله اني اردت ان يقاتل فقوتلت وأردت ان يرمى فرميت واردت أن يعصى فعصيت ولو علم منى

أنى اردت قتله لقتلت . وقال حسان بن ثابت لعلى انك تقول ماقتلت عثمان ولكن خذلته ولم آمر به ولكن لم انه عنه فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك القائل : أخذ هذا المعنى كعب بن جعل الثعلبي وكان مع معاوية يوم صفين . فقال في على بن أبي طالب

وما فى على لمستحدث * مقال سوي عصمة المحدثينا
وايثاره لاهالى الذنوب * ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه زوى وجهه * وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط * ولا فى النهاة ولا الآمرينا
ولا هـوناه ولا شرة * ولا آمن بعض ذا ان يكونا

وقال رجل من أهل الشام فى قتلة عثمان رضي الله تعالى عنه :

خذلته الانصار اذ حضر المو * ت وكانت ثقاته الانصار
ضربوا بالبلاء فيه مع النا * س وفى ذاك للبرية عار
حرمة بالبلاء من حرمة الله * ووال من الولاة وجار
أين أهل الحياء اذ منع الما * ء فدته الاسماع والابصار
من عذيرى من الزبير ومن طل * حة هاجا أمرا له اعصار
تركوا الناس دونهم عبرة العج * ل فشبت وسط المدينة نار
هكذا زاغت اليهود عن الـ * حق حين زخرفت لها الاحبار
ثم وافي محمد بن أبي بكـ * ـر جهارا وخلفه عمار
وعلي فى بيته يسال النا * س ابتداء وعنده الاخبار
باسطا للتي يريد يديه * وعليه سكينة ووقار
يرقب الامر أن يزف اليه * بالذى سببت له الاقدار
قد أري كثرة الكلام قبيحا * كل قول يشينه اكثار

وقال حسان يرثى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه :

من سره الموت صرفا لامزاج له * فليأت ماسدة فى دار عثمانا
صبرا فدا لكم أمى وماولدت * قد ينفع الصبر فى المكروه احيانا
لعلكم ان تروا يوما بمغيظة * خليفة الله فيكم كالذى كانا

اني لمنهم وان غابوا وان شهدوا * مادمت حيا وما سميت حسانا
ياليت شعري وليت الطير تخبرني * ماكان شان على وابن عفانا
لتسمعن وشيجا فى ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمانا
ضحوا باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

﴿ فى مقتل عثمان بن عفان ﴾ أبو الحسن عن مسلمة عن ابن عوف قال كان ممن نصر عثمان سبعمائة فيهم الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ولو تركهم عثمان لضربوهم حتي يخرجوهم من أقطارها . أبو الحسن : عن جبير بن سيرين قال دخل ابن بديل على عثمان وبيده سيف وكانت بينهما شحناء فضربه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما انها أول كف خطت المفصل . أبو الحسن قال : يوم قتل عثمان يقال له يوم الدار وأغلق على ثلاث من القتلى غلام اسود كان لعثمان وكنانة بن بشر وعثمان . ابو الحسن قال : قال سلامة بن روح الخزاعي لعمرو بن العاصي كان بينكم وبين الفتنة باب فكسرتموه فما حملكم على ذلك . قال أردنا ان نخرج الحق من حفيرة الباطل وان يكون الناس فى الحق سواء . مجالد عن الشعبي قال : كتب عثمان الى معاوية ان امددني فامده باربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز العجلى . فتلقاه الناس بقتل عثمان فانصرف . فقال لو دخلت المدينة وعثمان حى ماتركت بها محتلفا الا قتلته لان الخاذل والقاتل سواء . قيس بن رافع قال . قال زيد بن ثابت رأيت عليا مضطجعا فى المسجد . فقلت أبا الحسن ان الناس يرون انك لو شئت رددت الناس عن عثمان فجلس . ثم قال والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلت فى شيء من شانهم قال فاتيت عثمان فاخبرته فقال :

وحرق قيس على البلا * دحتى اذا اضطرمت أحجما

الفضل عن كثير : عن سعيد المقبرى قال لما حصروا عثمان ومنعوه الماء قال الزبير « وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل » ومن حديث الزهرى قال : لما قتل مسلم بن عقبة أهل المدينة يوم الحرة قال عبد الله بن عمر بفعلهم في عثمان ورب الكعبة . ابن سيرين : عن ابن عباس قال لو أمطرت السماء دما لقتل عثمان لكان قليلا له . ابو سعيد : مولى أبي حذيفة قال بعث عثمان الى أهل الكوفة من كان يطالبني بدينار او درهم أو لطمة فليات ياخذ حقه أو يتصدق فان الله يجزي المتصدقين . قال فبكى بعض القوم وقالوا تصدقنا . ابن عوف : عن ابن سيرين قال لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشد على عثمان من طلحة . أبو الحسن قال : كان

عبد الله بن عباس يقول ليغلبن معاوية وأصحابه لان الله تعالى يقول « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » أبو الحسن قال : كان ثمامة الانصاري عاملا لعثمان فلما أتاه قتله بكى وقال اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف فمن غلب على شيء أكله . أبو الحسن : عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي ان نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان كتبت الى معاوية كتابا مع النعمان بن بشير وبعثت اليه بقميص عثمان مخضوبا بالدماء . وكان في كتابها من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد : فاني أدعوكم الى الله الذي أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وانقذكم من الكفر ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأنشدكم الله واذكركم حقه وحق خليفته ان تنصروه بعزم الله عليكم فانه قال « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » فان امير المؤمنين بغي عليه ولو لم يكن لعثمان عليكم الاحق الولاية لحق على كل مسلم يرجو امامته ان ينصره فكيف وقد علمتم قدمه في الاسلام وحسن بلائه وأنه أجاب الله وصدق كتابه واتبع رسوله والله اعلم به اذا انتخبه فاعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة واني أقص عليكم خبره اني شاهدة أمره كله ان أهل المدينة حصروه في داره وحرسوه ليلهم ونهارهم قياما على أبوابه بالسلاح يمنعونه من كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء فمكث هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى علي ومحمد ابن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير فامروهم بقتله . وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهينة ومزينة وانباط يثرب . فهؤلاء كانوا أشد الناس عليه ثم انه حصر فرشق بالنبل والحجارة فجرح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه فاتاه الناس يصرخون اليه ليأذن لهم في القتال فنهاهم وأمرهم ان يردوا اليهم نبلهم فردوها عليهم فمازادهم ذلك في القتل الاجرأة وفي الامر الا اعراقا فحرقوا باب الدار . ثم جاء نفر من اصحابه فقالوا ان ناسا يريدون ان ياخذوا من الناس بالعدل فاخرج الى المسجد ياتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية فقال ما أري اليوم أحدا يعدل فدخل الدار وكان معهم نفر ليس على عامتهم سلاح فلبس درعه وقال لاصحابه لولا أنتم ما لبست اليوم درعي فوثب عليه القوم . فكلمهم ابن الزبير واخذ عليهم ميثاقا في صحيفة بعث بها الى عثمان عليكم عهد الله وميثاقه ان لا تقربوه بسوء حتى

تكلموه وتخرجوا فوضع السلاح فلم يكن الا وضعه ودخل عليه القوم يقدمهم محمد بن أبي بكر فاخذ بلحيته ودعوه باللقب . فقال انا عبد الله وخليفته عثمان فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم العين فوق الانف ضربة أسرعت في العظم فسقطت عليه وقد اثخنوه وبه حياة وهم يريدون ان يقطعوا راسه فيذهبوا به فاتتني ابنة شيبة بن ربيعة فالقت بنفسها معي فوطئنا وطا شديداً وعرينا من حلينا وحرمة امير المؤمنين اعظم فقتلوا امير المؤمنين في بيته مقهورا على فراشه وقد ارسلت اليكم بثوبه عليه دمه فانه والله ان كان اثم من قتله فما سلم من خذله فانظروا اين انتم من الله وانا اشتكي كل ما مسنا الى الله عز وجل واستصرخ بصالحي عباده فرحم الله عثمان ولعن قتلته وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفى منهم الصدور فحلف رجال من اهل الشام ان لا يمسوا غسلا حتى يقتلوا عليا أو تفني أرواحهم . وقال الفرزدق في قتل عثمان :

ان الخلافة لما اظعنت ظعنت * عن اهل يثرب اذ غير الهدي سلكوا
صارت الى اهلها منهم ووارثها * لما راى الله في عثمان ما انتهكوا
السافكي دمه ظلما ومعصية * اى دم لاهدوا من غيهم سفكوا

وقال حسان :

ان تمس دار بني عثمان خاوية * باب صريع وبيت محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته * فيها ويأوي اليها المجد والحسب
يامعشر الناس ابدوا ذات انفسكم * لا يستوى الحق عند الله والكذب

﴿تبرؤ علي من دم عثمان﴾ قال علي بن ابي طالب على المنبر والله لئن لم يدخل الجنة الا من قتل عثمان لا دخلتها ابدا ولئن لم يدخل النار الا من قتل عثمان لا دخلتها ابدا . واشرف على من قصر له بالكوفة فنظر الى سفينة في دجلة فقال والذي ارسلها في بحره مسخرة بامره مابدأت في امر عثمان بشيء ولئن شاءت بنو امية لاباهلنهم عند الكعبة خمسين يوما مابدات في حق عثمان بشيء فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال اني لا احسبه صادقا . وقال معبد الخزاعي : لقيت عليا بعد الجمل فقلت له اني سائلك عن مسئلة كانت منك ومن عثمان فان نجوت اليوم نجوت غدا ان شاء الله قال سل عما بدالك . قلت اخبرني اي منزلة وسعتك اذ قتل عثمان ولم تنصره . قال ان عثمان كان اماما وانه نهى عن القتال . وقال من سل سيفه فليس مني فلو قاتلنا دونه عصينا . قال فاى منزلة وسعت عثمان اذ استسلم حتي قتل . قال المنزلة التي وسعت ابن آدم اذ قال لاخيه لئن

بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين . قلت فهلا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل قال انا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا . قال الله « ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور » فقاتلنا نحن من ظلمنا وصبر عثمان وذلك من عزم الامور . ومن حديث بكر بن حماد : ان عبد الله بن الكواء سأل علي بن أبي طالب يوم صفين . فقال له اخبرني عن مخرجك هذا تضرب الناس بعضهم ببعض أعهد اليك عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى أرتايته . قال علي اللهم انى كنت أول من آمن به فلا أكون أول من كذب عليه لم يكن عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تركت أخا تيم وعدي على منابرها . ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبي رحمة مرض أياما وليالى فقدم أبا بكر على الصلاة وهو يرانى ويرى مكانى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيناه لامر دنيانا اذ رضيه رسول الله لامر ديننا فسلمت عليه وبايعت وسمعت وأطعت فكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأى ان عمر أطوق لهذا الامر من غيره ووالله ماأراد به المحاباة ولو أراده لجعلها في احد ولديه فسلمت له و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته منيته فرأي انه من استخلف رجلا فعمل بغير طاعة الله عذبه الله به فى قبره فجعلها شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أحدهم فاخذ عبد الرحمن مواثيقنا وعهودنا علي ان يخلع نفسه و ينظر لعامة المسلمين . فبسط يده الى عثمان فبايعه اللهم ان قلت انى لم أجد فى نفسى فقد كذبت ولكنني نظرت فى أمرى فوجدت طاعتي قد تقدمت معصيتى ووجدت الامر الذي كان بيدى قد صار بيد غيرى فسلمت و بايعت وأطعت وسمعت فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزانى وأقيم الحدود بين يديه ثم نقم الناس عليه أمورا فقتلوه . ثم بقيت اليوم أنا ومعاوية فارى نفسى أحق بها من معاوية لانى مهاجرى وهو اعرابى وانا ابن عم رسول الله وصهره وهو طليق ابن طليق . قال له عبد الله بن الكواء صدقت ولكن طلحة والزبير أما كان لهما فى هذا الامر مثل الذى لك قال ان طلحة والزبير بايعانى فى المدينة ونكثا بيعتي بالعراق فقاتلتهما على نكثهما ولو نكثا بيعة أبي بكر وعمر لقاتلاهما على نكثهما كما قاتلتهما قال صدقت ورجع اليه

واستعمل عبد الملك بن مروان : نافع بن علقمة بن صفوان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان قاعد عند أصل المنبر فنال من طلحة والزبير . فلما نزل قال لابان أرضيتك من المدهنين في أمير المؤمنين قال لا ولكنك سؤتني حسبي أن يكونا بريئين من أمره وعلى هذا المعنى . قال اسحق بن عيسى أعيذ عليا بالله أن يكون قتل عثمان وأعيذ عثمان أن يكون قتله علي وهذا الكلام على مذهب قول النبي صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبي . سعيد بن جبير : عن أبي الصهباء ان رجلا ذكروا عثمان فقال رجل من القوم اني أعرف لكم رأى علي فيه فدخل الرجل على علي فنال من عثمان فقال علي دع عنك عثمان فوالله ما كان باشرنا ولكنه ولي فاستأثر فخدعنا فاساء نا الخدع . وقال عثمان بن حبيب : اني شهدت مشهدا اجتمع فيه علي وعمار ومالك والاشتر وصعصعة فذكروا عثمان فوقع فيه عمار . ثم أخذ مالك فحذا حذوه ووجه علي يتمعر ثم تكلم صعصعة . فقال ما على رجل يقول كان والله أول من ولي فاستأثر وأول من تفرقت عنه هذه الامة فقال علي الى أبا اليقظان لقد سبقت لعثمان سوابق لا يعذبه الله بها أبدا . محمد بن حاطب : قال قال لي علي يوم الجمل انطلق الى قومك فابلغهم كتبي وقولي فقلت ان قومي اذا أتيتهم يقولون ماقول صاحبك في عثمان . فقال أخبرهم ان قولي في عثمان أحسن القول ان عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين . جرير بن حازم : عن محمد بن سيرين قال ماعلمت ان عليا اتهم في دم عثمان حتى بويع فلما بويع اتهمه الناس . محمد بن الحنفية : اني عن يمين علي يوم الجمل وابن عباس عن يساره اذ سمع صوتا فقال ماهذا قالوا عائشة تلعن قتلة عثمان فقال علي لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبحر والبر ﴿ مانقم الناس على عثمان ﴾ ابن داب قال : لما انكر الناس على عثمان ما انكروا من تأمير الاحداث من أهل بيته على الجلة الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لعبد الرحمن بن عوف هذا عملك واختيارك لامة محمد . قال لم أظن هذا به ودخل على عثمان فقال له اني انما قدمتك على ان تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر وقد خالفتهما فقال عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . فقال له لله علي ان لا أكلمك أبدا فمات عبد الرحمن وهو لا يكلم عثمان . ولما رد عثمان الحكم بن أبي العاصي طريد النبي صلى الله عليه وسلم وطريد أبي بكر وعمر الى المدينة تكلم الناس في ذلك فقال عثمان ما ينقم الناس مني اني وصلت رحما وقربت عينا . حصين بن زيد بن وهب قال : مررنا بابي ذر بالربذة فسألناه عن منزله

فقال كنت بالشام فقرأت هذه الآية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » فقال معاوية انما هي فى أهل الكتاب فقلت انها لفينا وفيهم نكتب الى عثمان اقبل . فلما قدمت ركبني الناس كانهم لم يروني قط فشكوت ذلك الى عثمان . فقال لو اعتزلت فكنت قريبا فنزلت هذا المنزل فلا أدع قولى ولو أمروا على عبدا حبشيا لاطعت الحسن بن ابى الحسن : عن الزبير بن العوام فى هذه الآية « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » قال لقد نزلت وما ندرى من يختلف لها . فقال بعضهم يا أبا عبد الله فلم جئت الى البصرة قال ويحك انا ننظر ولا نبصر . ابو نضرة : عن أبي سعيد الخدرى قال ان أناسا كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمر بنا عثمان فما بقي أحد من القوم الا لعنه غيرى فكان فيهم رجل من اهل الكوفة فكان عثمان على الكوفى اجرأ منه على غيره . فقال يا كوفى أتشتمنى فلما قدم المدينة كان يتهدده . قال فقيل له عليك بطلحة . قال فانطلق معه حتى دخل على عثمان فقال عثمان والله لاجلدنه مائة سوط . قال طلحة والله لا تجلده مائة الا ان يكون زانيا قال والله لاحرمنه عطاءه قال الله يرزقه . ومن حديث ابن أبي قتيبة عن الاعمش عن عبدالله بن سنان قال خرج علينا ابن مسعود ونحن فى المسجد وكان على بيت مال الكوفة والكوفة الوليد بن عقبة بن ابي معيط . فقال يا أهل الكوفة فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لى بها براءة . قال فكتب الوليد بن عقبة الى عثمان فى ذلك فنزعه عن بيت المال . ومن حديث الاعمش يرويه أبو بكر بن أبي شيبة قال : كتب اصحاب عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه فى صحيفة فقالوا من يذهب بها اليه . قال عمار أنا فذهب بها اليه فلما قرأها قال أرغم الله انفك . قال وبانف ابي بكر وعمر قال فقام اليه فوطئه حتى غشى عليه ثم ندم عثمان وبعث اليه طلحة والزبير يقولان له اختر احدي ثلاث اما ان تعفو واما ان تاخذ الارش واما ان تقتص . فقال والله لا قبلت واحدة منها حتى القى الله قال أبو بكر فذكرت هذا الحديث لحسن بن صالح . فقال ما كان على عثمان اكثر مما صنع . ومن حديث الليث بن سعد قال : مر عبدالله بن عمر بحذيفة فقال لقد اختلف الناس بعد نبيهم فما منهم أحد الا أعطى من دينه ماعدا هذا الرجل . وسئل سعد بن أبي وقاص : عن عثمان فقال أما والله لقد كان أحسننا وضوءا وأطولنا صلاة واتلانا لكتاب الله واعظمنا نفقة فى سبيل الله . ثم ولى فانكروا عليه شيا فاتوا اليه اعظم مما انكروا . وكتب عثمان : الى اهل الكوفة حين ولاهم سعيد بن العاص اما بعد

فاني كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاما حين ذهب شرهه وثاب حلمه وأوصيته بكم ولم أوصكم به فلما اعيتكم علانيته طعنتم فى سريرته قد وليتكم سعيد بن العاص وهو خير عشيرته وأوصيكم به خيرا فاستوصوا به خيرا . وكان الوليد بن عقبة : أخا عثمان لامه وكان عامله على الكوفة فصلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت اليهم . فقال وان شئتم زدتكم فقامت عليه البينة بذلك عند عثمان . فقال لطلحة قم فاجلده قال لم أكن من الجالدين فقام اليه علي فجلده وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر
ليزيدهم خيرا ولو قبلوا * لجمعت بين الشفع والوتر
مسكوا عنانك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجرى

ابن داب قال : لما انكر الناس علي عثمان ما انكروا واجتمعوا الى علي وسالوه ان يلقى لهم عثمان فاقبل حتى دخل عليه . فقال ان الناس ورائى قد كلموني ان اكلمك والله ما أدرى ما أقول لك ما أعرف شيا تنكره ولا أعلمك شيا تجهله وما ابن الخطاب أولى بشيء من الخير منك وما نبصرك من عمى وما نعلمك من جهل وان الطريق لبين واضح تعلم يا عثمان ان أفضل الناس عند الله امام عدل هدي وهدى فاحيا سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان شر الناس عند الله امام ضلالة ضل واضل فاحيا بدعة مجهولة وامات سنة معلومة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالامام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا له عاذر فيلقى فى جهنم فيدور دور الرحى يرتطم بجمرة النار الى آخر الابد » وأنا أحذرك أن تكون امام هذه الامة المقتول يفتح به باب القتل والقتال الى يوم القيامة يمرج بهم أمرهم ويمرجون فخرج عثمان . ثم خطب خطبته التي أظهر فيها التوبة . وكان علي كلما اشتكى الناس اليه أمر عثمان ارسل ابنه الحسن اليه . فلما اكثر عليه قال له ان أباك يرى ان أحدا لا يعلم ما يعلم ونحن أعلم بما نفعل فكف عنا فلم يبعث علي ابنه فى شيء بعد ذلك . وذكروا أن عثمان صلى العصر ثم خرج الى علي يعوده فى مرضه ومروان معه فرآه ثقيلا . فقال اما والله لولا ما أري منك ما كنت اتكلم بما اريد ان اتكلم به والله ما أدرى أى يوميك أحب الى أو أبغض أيوم حياتك أو يوم موتك أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتا بعدك كفا ويتخذك عضدا ولئن مت لافجعن بك فحظى منك حظ الوالد المشفق من الولد العاق ان عاش عقه وان مات فجعه فليتك جعلت لنا من أمرك علما نقف عليه ونعرفه اما صديق مسالم واما عدو

معانى ولم تجعلني كالمختنق بين السماء والارض لا يرقي بيده ولا يهبط برجل اما والله لئن قتلتك لااصيب منك خلفا وائن قتلتني لا تصيب مني خلفا وما أحب أن أبقى بعدك . قال مروان أى والله وأخرى انه لا ينال ماوراء ظهورنا حتى تكسر رماحنا وتقطع سيوفنا فما خير العيش بعد هذا . فضرب عثمان فى صدره وقال ما يدخلك فى كلامنا فقال على انى والله في شغل عن جوابكما ولكني أقول كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . وقال عبد الله بن عباس : أرسل الىّ عثمان فقال لى اكفني ابن عمك فقلت ان ابن عمي ليس بالرجل يرى له ولكنه يرى لنفسه فارسلني اليه بما أحببت قال قل له فليخرج الى ماله بالينبع فلا أغتم به ولا يغتم بي فاتيت عليا فاخبرته . فقال ما اتخذني عثمان الا ناضحا أنشد يقول :

فكيف به انى أداوى جراحه * فيدوي فلا مل الدواء ولا الداء

أما والله انه ليختبر القوم فاتيت عثمان فحدثته الحديث كله الا البيت الذى أنشده وقوله انه ليختبر القوم . فانشد عثمان

فكيف به اني أداوى جراحه * فيدوى فلا مل الدواء ولا الداء

وجعل يقول يارحيم انصرني يارحيم انصرني يارحيم انصرني . قال فخرج على الى ينبع . فكتب اليه عثمان حين اشتد الامر . أما بعد فقد بلغ السيل الزبا وجاوز الحزام الطبيين وطمع في من كان يضعف عن نفسه :

وانك لم يعجز عليك كعاجز * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

فاقبل الى على أي أمريك احببت وكن لى أم على صديقا كنت أم عدو :

فان كنت ما كولا فكن خير آكل * والا فادركني ولما أمزق

٨ — خلافة على بن أبي طالب رضي الله عنه — قال لما قتل عثمان بن عفان أقبل الناس يهرعون الى على بن أبي طالب فتراكمت عليه الجماعة فى البيعة . فقال ليس ذلك الحكم انما ذلك لاهل بدر ليبايعوا . فقال أين طلحة والزبير وسعد فاقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والانصار . ثم بايعه الناس وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين وكان أول من بايعه طلحة فكانت اصبعه شلاء فتطير منها على وقال ما أخلقه ان ينكث فكان كما قال على رضي الله عنه

﴿ نسب على بن أبي طالب وصفته ﴾ هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن

هاشم بن عبدمناف : وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته كان أصلح بطينا خمش الساقين . صاحب شرطته معقل بن قيس الرياحي . ومالك بن حبيب اليربوعي وكاتبه سعد بن مهران وحاجبه قنبر مولاه . وقتل يوم الجمعة بالكوفة وهو خارج الى المسجد لصلاة الصبح لسبع بقين من شهر رمضان فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر صلى عليه ولده الحسن . ودفن برحبة الكوفة ويقال فى لحف الحيرة وغير قبره واختلف فى سنه . فقال الشعبي قتل على رحمه الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة وولد على بمكة فى شعب بني هاشم ﴿ فضائل على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾ أبو الحسن قال أسلم على وهو ابن خمس عشرة سنة وهو أول من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وقال النبي عليه الصلاة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدى . وبهذا الحديث سمت الشيعة على بن أبي طالب الوصي وتاولوا فيه أنه استخلفه على أمته اذ جعله منه بمنزلة هرون من موسى لان هرون كان خليفة موسى على قومه اذا غاب عنهم . وقال السيد الحميرى رحمه الله تعالى :

اني أدين بما دان الوصى به * وشاركت كفه كفي بصفينا

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فالقى عليهم كساءه وضمهم الى نفسه ثم تلا هذه الآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فتاولت الشيعة الرجس ههنا بالخوض في عشرة الدنيا وكدورتها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يمسي حتى يفتح الله له . فدعا عليا وكان أرمد فتفل فى عينيه . وقال اللهم قه داء الحر والبرد فكان يلبس كسوة الصيف فى الشتاء وكسوة الشتاء فى الصيف ولا يضره . ابو الحسن قال : ذكر علي عند عائشة فقالت ما رأيت رجلا أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ولا رأيت امرأة كانت احب اليه من امرأته . وقال على بن أبي طالب : أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه لا يقولها بعدى الا كذاب . الشعبي قال : كان على بن أبي طالب فى هذه الامة مثل المسيح ابن مريم فى بنى اسرائيل احبه قوم فكفروا فى حبه وابغضه قوم فكفروا في بغضه وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما

أبو الحسن قال . كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيئاً ثم يرش له ويقيل فيه . و يتمثل بهذا البيت :

هـذا جناي وخياره فيـه ❊ اذ كل جان يده الى فيـه

كان علي بن أبي طالب اذا دخل بيت المال و نظر الى ما فيه من الذهب والفضة قال :

ابيضي واصفري وغري غيري ❊ اني من الله بكل خـير

ودخل رجـل عـلى الحسن بن أبي الحسن البصري فقال : يا أبا سعيد انهم يزعمون انك تبغض علياً قال فبكى الحسن حتى اخضلت لحيته . ثم قال كان عـلي بن أبي طالب سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ورباني هذه الامة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابة قريبة من رسول الله صـلى الله عليـه وسلم لم يكن بالنومة عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم ولا الملومة في ذات الله ولا المسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة بينة ذلك علي بن أبي طالب يالكع

٩ — يوم الجمل — أبو اليقظان قال قدم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البصرة . فتلقاهـم النـاس بأعلى المربد حتى لو رموا بحجر ما وقع الا على رأس انسان فتكلم طلحة وتكلمت عائشة وكثر اللغط فجعل طلحة يقول أيها النـاس انصتوا وجعلوا يركبون ولا ينصتون فقال اف اف فراش نار وذباب طمع . وكان عثمان ابن حنيف الانصارى عامل على بن أبي طالب على البصرة . فخرج اليهـم في رجاله ومن معه فتواقفوا حتى زالت الشمس ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً ان يكفوا عن القتال حتى يقدم على بن أبي طالب . بن لعثمان وحنيف دار الامارة والمسجد الجامع وبيت المـال فكفوا . ووجه على بن أبي طالب الحسن ابنـه وعمـار بن ياسر الى أهل الكوفة يستنفرانهم فنفر معهما سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال عمار أما والله انى لا علم انها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبعوها . وخرج على في أربعة آلاف من أهل المدينة فيهم ثمـانمائة من الانصار . وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم . وراية على مع ابنه محمد بن الحنفية . وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين . وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر وعلى المقدمة عبد الله بن عباس وأبو طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام وعلى الخيل طلحة بن عبيد الله . وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير فالتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من

جمادى الآخرة يوم الخميس وكانت الوقعة يوم الجمعة . وقالوا : لما قدم على بن أبي طالب البصرة قال لابن عباس ائت الزبير ولا تات طلحة فان الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور عاقصا بقرنه يركب الصعوبة ويقول هي أسهل فاقرئه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا . قال ابن عباس : فاتيته فابلغته فقال قل له بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف تحل ما أحلت وتحرم ما حرمت . وقال على ابن أبي طالب : مازال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفته عنا . وقال طلحة : لاهل البصرة وسالوه عن بيعة على فقال ادخلوني في حش ثم ضعوا اللج على قفي فقالوا بايع والا قتلناك * قوله اللج يريد السيف وقوله قفي لغة طي وكانت أمه طائية . وخطبت عائشة : أهل البصرة يوم الجمل فقالت أيها الناس صه صه كانما قطعت الالسن فى الافواه . ثم قالت ان لى عليكم حق الامومة وحرمة الموعظة لا يتهمني الا من عصي ربه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وانا احدى نسائه فى الجنة ادخرني ربي وسلمني من كل بضاعة وبي ميز بين منافقكم ومؤمنكم وبى أرخص لكم فى صعيد الابواء . ثم أبى ثالث ثلاثة من المؤمنين وثاني اثنين في الغار وأول من سمي صديقا مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا عنه وطوقه طوق الامامة . ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبي بطرفيه وزين له افياءه فوقم النفاق وغاض نبع الردة وأطفا ماحش يهود وأنتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة فرأب الثاى وأوذم العطلة وانتاش من الهوات واجتحى دفين الداء حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل فقبضه الله واطئا على هامات النفاق مذكيا نار الحرب للمشركين وانتظمت بضاعتكم بحبله . ثم ولى امركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه بعيد ما بين اللابتين عروكة للاذن بجنسه يقظان الليل فى نصرة الاسلام فسلك مسلك السابقة ففرق شمل الفتنة وجمع اعضادها جمع القران وانا نصب المسئلة عن مسيري هذا لم التمس اثما ولم أدلس فتنة اوطئكموها أقول قولى هذا صدقا وعدلا واعذارا وتعذيرا واسال الله ان يصلى على محمد وان يخلفه فيكم بافضل خلافة المرسلين . وكتبت أم سلمة : زوج النبي صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين اذ عزمت على الخروج الى الجمل من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الى عائشة أم المؤمنين فاني أحمد

الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فقد هتكت سدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته حجاب مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيولك فلا تسحبيها وسكر خفارتك فلا تبتذليها فالله من وراء هذه الامة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النساء يحتملن الجهاد عهد اليك أما علمت انه قد نهاك عن الفراطة فى الدين فان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع جهاد النساء غض الاطراف وضم الذيول وقصر الموادة ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا من منهل الى منهل وغدا تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقسم لو قيل لى يا أم سلمة ادخلى الجنة لاستحييت ان القى رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه على فاجعليه سترك وقاعة البيت حصنك فانك انصح ما تكونين لهذه الامة ما قعدت عن نصرتهم ولو انى حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام . فاجابتها عائشة : من عائشة أم المؤمنين الى أم سلمة سلام عليك فانى احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فما اقبلنى لوعظك واعرفنى لحق نصيحتك وما أنا بمعتمرة بعد تعريج ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متشاجرتين من المسلمين فان اقعد فعن غير حرج وان امض فالي ما لا غنى بي عن الازدياد منه والسلام . وكتبت عائشة : الى زيد ابن صوحان اذ قدمت البصرة من عائشة أم المؤمنين الى ابنها الخالص زيد بن صوحان سلام عليك . اما بعد فان أباك كان رأسا فى الجاهلية وسيدا فى الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد او لحق وقد بلغك الذى كان فى الاسلام من مصاب عثمان بن عفان ونحن قادمون عليك والعيان اشفى لك من الخبر فاذا أتاك كتابى هذا فثبط الناس عن على بن أبي طالب وكن مكانك حتى يأتيك أمرى والسلام فكتب اليها : من زيد بن صوحان الى عائشة أم المؤمنين سلام عليك اما بعد فانك أمرت بامر وامرنا بغيره أمرت ان تقري فى بيتك وامرنا ان نقاتل النـاس حتى لا تكون فتنة فتركت ما أمـرت به وكتبت تنهينا عما أمرنا به والسلام . وخطب على رضى الله عنـه : باهل الكوفة يوم الجمل اذا قبلوا اليه مع الحسن بن على فقام فيهم خطيبا . فقال الحمـد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، اما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين . كافة ، والناس فى اختلاف ، والعرب بشر المنـازل ، مستضعفون لما بهم فرأب الله به الثأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به

السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة للصدور ، ثم قبضه الله تعالى مشكوراسعيه ، مرضيا عمله ، مغفوراذنبه ، كريما عند الله نزله فيالها من مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الاقربين ، وولي أبو بكرفسار فينا بسيرة رضا رضي بها المسلمون ثم ولي عمر فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما . ثم ولي عثمان فنال منكم ونلتم منه . ثم كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ثم أتيتموني فقلتم لو بايعتنا . فقلت لا افعل وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم كفي فجذبتموها وقلتم لا نرضى الا بك ولا نجتمع الا عليك وتراكمتم على تراكم الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت انكم قاتلي وان بعضكم قاتل بعضا فبايعتموني وبايعني طلحة والزبير : ثم ما لبثا ان استاذناني الى العمرة فسارا الى البصرة فقاتلا بها المسلمين وفعلا بها الافاعيل وهما يعلمان والله اني لست بدون من مضى ولو شاء الله ان أقول لقلت اللهم انهما قطعا قرابتي ونكثا بيعتي وألبا على عدوي . اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما وارهما المساءة فيما عملا . وأملى علي بن محمد عن سلمة بن محارب عن داود بن أبي هند عن ابي حرب عن ابي الاسود عن أبيه قال خرجت مع عمران بن حصين وعثمان بن حنيف الى عائشة فقلنا يا أم المؤمنين اخبرينا عن مسيرك هذا اعهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأي رأيتيه . قالت بل رأي رأيته حين قتل عثمان بن عفان أنا نقمنا عليه ضربه بالسوط وموقع المسحاة المحماة وامرة سعيد والوليد فعدوتم عليه فاستحللتم منه الثلاث حرم حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام بعد ان مصتموه كما يماص الاناء فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم قلنا ما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ان تقري في بيتك فجئت تضربين الناس بعضهم ببعض . قالت وهل أحد يقاتلني أو يقول غير هذا قلنا نعم . قالت ومن يفعل ذلك هل أنت مبلغ عني ياعمران قال لست مبلغا عنك حرفا واحدا قلت لكنني مبلغ عنك فهات ماشئت . قالت اللهم اقتل مذمما قصاصا بعثمان وارم الاشتر بسهم من سهامك لا يشوى وادرك عمارا بخفرته على عثمان . أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا عبد الله بن ادريس عن حصين عن الاحنف ابن قيس قال قدمنا المدينة ونحن نريد الحج فانطلقت فاتيت طلحة والزبير فقلت اني لا أرى هذا الا مقتولا فمن تامراني به كما ترضيانه لي قالا نامرك بعلي قلت فتامراني به وترضيانه لي قالا نعم . قال ثم انطلقت حتى أتيت مكة فبينما نحن بها اذ أتانا قتل عثمان وبها عائشة أم المؤمنين فانطلقت اليها فقلت من تامريني ان أبايع قالت علي بن أبي طالب . قلت أتامريني به وترضيه لي قالت نعم قال فمررت على علي بالمدينة فبايعته ثم رجعت الى البصرة وأنا أرى ان الامر

قد استقام فما راعنا الا قدوم عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة . قال فقلت ما جاء بهم قد أرسلوا اليك يستنصرونك على دم عثمان انه قتل مظلوما قال فاتاني افظع أمر لم ياتنى قط قلت ان خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أمرونى ببيعته لشديد . قال فلما أتيتهم قالوا جئناك نستصرخك على دم عثمان قتل مظلوما . قال فقلت يا أم المؤمنين أنشدك الله اقلت لك من تامرينى به وترضيه لى فقلت على قالت بلى ولكنه بدل قلت يا زبير يا حوارى رسول الله ويا طلحة نشدتكما بالله أقلت لكما من تامرانى به وترضيانه لى فقلتما على قالا بلى ولكنه بدل قال والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ولا أقاتل عليا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اختاروا منى احدى ثلاث خصال . اما ان تفتحوا لى باب الجسر فالحق بارض الاعاجم حتى يقضى الله من أمره ماقضى واما ان ألحق بمكة فاكون بها أو أتحول فاكون قريبا . قالوا انا نأتمر ثم نرسل اليك . قال فائتمروا وقالوا نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والخاذل أو يلحق بمكة فيفحشكم فى قريش ويخبرهم باخباركم اجعلوه ههنا قريبا حيث تنظرون اليه فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين واعتزل معه زهاء ستة آلاف من بنى تميم ﴿ مقتل طلحة ﴾ أبو الحسن قال كانت وقعة الجمل يوم الجمعة فى النصف من جمادى الآخرة التقوا فكان أول مصروع فيها طلحة ابن عبيد الله أتاه سهم غرب فاصاب ركبته فكان اذا أمسكوه فتر الدم واذا تركوه انفجر فقال لهم اتركوه فانما هو سهم أرسله الله . حماد بن زيد : عن يحيى بن سعيد قال قال طلحة يوم الجمل

ندمت ندامة الكسعى لما ＊ شربت رضا بنى حزم برغم

اللهم خذ منى لعثمان حتى يرضى . ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة قال . لما رأى مروان ابن الحكم يوم الجمل طلحة بن عبيد الله قال لا أنتظر بعد اليوم بثارى فى عثمان فانتزعه بسهم فقتله . ومن حديث سفيان الثورى قال : لما انقضى يوم الجمل خرج علىّ بن أبى طالب فى ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى حتى وقف على طلحة بن عبيد الله فى بطن واد متعفرا فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول أعزز على يا أبا محمد ان أراك متعفرا تحت نجوم السماء وبطون الاودية انا لله وانا اليه راجعون شفيت نفسى وقتلت معشرى الى الله أشكو عجرى وبجرى ثم قال والله انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما فى صدورهم

من غل اخوانا على سرر متقابلين واذا لم نكن نحن فمن هم . أبو ادريس : عن ليث بن طلحة عن مطرف ان على بن أبي طالب اجلس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه. ومن حديث سفيان : أن عائشة ابنة طلحة كانت ترى فى نومها طلحة وذلك بعد موته بعشرين سنة فكان يقول لها يا بنية اخرجيني من هذا الماء الذى يؤذيني فلما انتبهت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشته فوجدته صحيحا كما دفن لم تنحسر له شعرة وقد اخضر جنبه كالسلق من الماء الذى كان يسيل عليه فلفته فى الملاحف واشترت له عرصة بالبصرة فدفنته فيها وبنت حوله مسجدا . قال فلقد رأيت المرأة من أهل البصرة تقبل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى تفرغها فلم يزلن يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكا أذفر . ومن حديث الخشني قال : لما قتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل وجدوا فى تركته ثلثمائة بهار من ذهب وفضة والبهار مزود من جلد عجل . وقع قوم فى طلحة عند على بن أبي طالب فقال أما والله لئن قلتم فيه انه لكما قال الشاعر :

فتي كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ما هو استغني ويبعده الفقر
كأن الثريا علقت فى يمينه * وفى خده الشعري وفى الآخر البدر

١٠ — مقتل الزبير بن العوام — شريك عن الاسود بن قيس . قال حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصا فنوه به على أبا عبد الله أتذكر يوما أتانا النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال أتناجيه والله ليقاتلنك وهو ظالم لك قال فصرف الزبير وجه دابته وانصرف . قال ابو الحسين : لما انحاز الزبير يوم الجمل مر بماء لبنى تميم . فقيل للاحنف بن قيس هذا الزبير قد أقبل قال وما أصنع به ان جمع بين هذين الفاذين وترك الناس وأقبل يريد بالفاذين المعسكرين وفى مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعى فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبعه حتى وجده بوادى السباع نائما فقتله وأقبل برأسه الى علىّ بن أبي طالب . فقال على أبشر بالنار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشروا قاتل الزبير بالنار فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول :

أتيت علياً برأس الزبير * وقد كنت احسبها زلفه
فبشر بالنار قبل العيان * فبئس بشارة ذي التحفه

ومن حديث ابن ابى شيبة قال : اقبل رجل بسيف الزبير الى الحسن بن على فقال لا حاجة لى به ادخله الى امير المؤمنين فدخل به الى على فناوله اياه وقال هذا سيف الزبير فاخذه على . فنظر

اليه مليا ثم قال رحم الله الزبير لطالما فرج الله به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت امرأة الزبير ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم الهياج وكان غير معدد
ياعمرو ولو نبهته لوجدته * لاطائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

وقال جرير ينعى على بن مجاشع قتل الزبير رضى الله تعالى عنه :

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو ببطن الواديين هديلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا * جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
لوكنت حرا يا ابن قيس مجاشع * شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا
أفبعد قتلكم خليل محمد * ترجو العيون مع الرسول سبيلا

هشام بن عروة عن ابيه : عن عبد الله بن الزبير قال دعانى أبى يوم الجمل فقمت عن يمينه فقال انه لا يقتل اليوم الا ظالم أو مظلوم وما أرانى الا سأقتل مظلوما وان أكبر همي دينى . فبع مالى ثم اقض دينى فان فضل شيء فثلثه لولدك وان عجزت عن شيء يابنى فاستعن مولاى . قلت ومن مولاك يا أبت قال الله قال عبد الله بن الزبير فوالله مابقيت بعد ذلك فى كربة من دينه أو عسرة الا قلت يامولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه قال فقتل الزبير ونظرت فى دينه فاذا هو ألف ألف ومائة ألف قال فبعت ضيعة له بالغابة بألف ألف وستمائة ألف ثم ناديت من كان له قبل الزبير شيء فليأتنا نقضه فلما قضيت دينه اتانى اخوتى فقالوا اقسم بيننا ميراثنا قلت والله لا أقسم حتى انادى أربع سنين بالموسم من كان له على الزبير شيء فليأتنا نقضه قال فلما مضت الاربع سنين اخذت الثلث لولدي ثم قسمت الباقى فصار الكل امرأة من نسائه وكان له أربع نسوة فى ربع الثمن الف الف ومائة الف فجميع ماترك مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف . ومن حديث ابن أبى شيبة قال : كان على يخرج مناديه يوم الجمل يقول لا يسلبن قتيل ولا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح قال وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف فى عنقه فجعل ينشره بين الصفين ويناشد الناس فى دمائهم اذ أتاه سهم فقتله وهو فى تلك الحال لا يدرى من قتله . وقال على ابن أبى طالب : يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحرث وكان على الميمنة احمل فحمل فكشف

من بازائه وقال لهاشم بن عقبة أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فكشف من بازائه فقال على لاصحابه كيف رأيتم ميسرتى وميمنتى . ومن حديث الجميلى الخشني : عن أبى حاتم السجستاني قال انشدني الاصمعي عن رجل شهد الجمل يقول :

شهدت الحروب وشيبننى * فلم ترعينى كيوم الجمل
اشد على مؤمن فتنة * وأفتك منه لخرق بطل
فليت الظعينة فى بيتها * وليتك عسكر لم ترتحل

ابن منبه وهبه لعائشة وجعل له هودجا من حديد وجهز من ماله خمسمائة فارس باسلحتهم وازودتهم وكان أكثر أهل البصرة مالا وكان على بن أبي طالب يقول بليت باقضى الناس وانطق الناس وأطوع الناس فى الناس بريد باقضي الناس بعلي بن منبه وكان أكثر الناس ناضا ويريد بانطق الناس طلحة بن عبيدالله وأطوع الناس فى الناس عائشة ام المؤمنين . أبو بكر بن ابي شيبة : عن مخلد بن عبيد عن التميمي قال كانت على راية يوم الجمل سوداء وراية اهل البصرة كالجمل الاعمش : عن رجل سماه قال كنت ارى عليا يوم الجمل يحمل فيضرب بسيفه حتي ينثني ثم يرجع فيقول لاتلوموني ولوموا هذا ثم يعود ويقومه . ومن حديث أبى بكر بن ابي شيبة قال : قال عبدالله بن الزبير التقيت مع الاشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسة اوستة ثم جر برجلي فالقانى فى الخندق وقال والله لولا قربك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مااجتمع فيك عضو الى آخر . ابو بكر بن ابى شيبة قال : اعطت عائشة الذى بشرها بحياة ابن الزبير اذا التقي مع الاشتر يوم الجمل اربعة آلاف . سعيد عن قتادة قال : قتل يوم الجمل مع عائشة عشرون الفا منهم ثمانمائة من بني ضبة . وقالت عائشة ما انكر راس جمل حتى فقدت اصوات بنى عدي وقتل من اصحاب على خمسمائة رجل لم يعرف منهم الاعمار بن الحرث السدوسى وهند الجملى قتلهما ابن اليثربي وانشا يقول :

انى لمن يجهلنى ابن اليثربى * قتلت عمارا وهند الجملى

عبد الله بن عون عن ابى رجاء قال : لقد رايت الجمل حينئذ وهو كظهر القنفذ من النبل ورجل من بنى ضبة آخذ بخطامه وهو يقول :

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل * الموت عندنا احلى من العسل * ننعي ابن عفان باطراف الاسل

غندر قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبدالله بن سلمة وكان مع على بن أبى طالب يوم الجمل والحرث بن سويد كان مع طلحة والزبير وتذاكرا وقعة الجمل . فقال الحرث بن سويد والله ما رأيت مثل يوم الجمل لقد أشرعوا رماحهم فى صدورنا وأشرعنا رماحنا فى صدورهم ولو شاءت الرجال أن تمشى عليها لمشت يقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر ويقول هؤلاء لا اله الا الله والله أكبر فوالله لوددت أني لم أشهد ذلك اليوم واني أعمى مقطوع اليدين والرجلين . قال عبدالله بن سلمة والله ما يسرنى أنى غبت عن ذلك اليوم ولا عن مشهد شهده على بن أبي طالب بحمر النعم . على بن عاصم : عن حصين قال حدثني أبو جميلة البكاء قال اني لفى الصف مع على بن أبي طالب اذا عقر بام المؤمنين جملها فرأيت محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر يشتدان بين الصفين أيهما يسبق اليها فقطعا عارضة الرحل واحتملاها في هودجها : ومن حديث الشعبي قال . من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر الا أربعة فكذبه كان على وعمار فى ناحية وطلحة والزبير في ناحية . أبو بكر بن أبى شيبة قال : حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن ابزى قال انتهى عبدالله بن بديل الى عائشة وهى فى الهودج فقال يا أم المؤمنين أنشدك بالله أتعلمين أنى أتيتك يوم قتل عثمان . فقلت لك ان عثمان قد قتل فما تامرينني فقلت لى لزم عليا فوالله ماغير ولا بدل فسكتت ثم أعاد عليها فسكتت ثلاث مرات . فقال اعقروا الجمل فعقروه فنزلت أنا وأخوها محمد بن ابي بكر فاحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدى على فسر به فادخل فى منزل عبدالله بن بديل . وقالوا : لما كان يوم الجمل ما كان وظفر على بن أبى طالب حتى دنا من هودج عائشة فكلمها بكلام فاجابته ملكت فاسجح فجهزها على باحسن الجهاز و بعث معها أربعين امرأة وقال بعضهم سبعين امرأة حتى قدمت المدينة . عكرمة عن ابن عباس قال لما انقضى أمر الجمل دعا على بن أبى طالب بآجرتين فعلاهما فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : ياأنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة رغا فجئتم ، وعقر فهزمتم ، نزلتم شر بلاد ، أبعدها من السماء ، بها مغيض كل ماء ، ولها شر سماء هى البصرة والبصيرة والمؤتفكة وتدمر ، اين ابن عباس قال فدعيت له من كل ناحية ، فاقبلت اليه فقال ائت هذه المرأة فلترجع الى بيتها التي امرها الله ان تقر فيه . قال فجئت فاستاذنت عليها فلم تاذن لى فدخلت بلا اذن ومددت يدى الى وسادة فى البيت فجلست عليها . فقالت تالله يا ابن عباس ما رأيت مثلك تدخل بيتنا بلا اذننا وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا . فقلت والله ماهو بيتك ولا بيتك الا الذى امرك

الله ان تقري فيه فلم تفعلي ان امير المؤمنين يامرك ان ترجعي الى بلدك الذى خرجت منه . قالت رحم الله امير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب قلت نعم وهذا امير المؤمنين على بن ابي طالب . قالت أبيت أبيت قلت ما كان أباؤك الا فواق ناقة بكية ثم صرت ما تحلين ولا تمرين ولا تامرين ولا تنهين . قال فبكت حتي علا نشيجها ثم قالت نعم ارجع فانا ابغض البلدان الى بلد أنتم فيه . قلت أما والله ما كان ذلك جزاءنا منك اذ جعلناك للمؤمنين اما وجعلنا اباك لهم صديقا قالت أتمن على برسول الله يا ابن عباس . قلت . نعم نمن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا لمننت به علينا . قال ابن عباس فاتيت عليا فاخبرته فقبل بين عيني وقال بابي ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . ومن حديث ابن ابي شيبة عن ابن فضيل عن عطاء بن السائب ان قاضيا من قضاة اهل الشام اتي عمر بن الخطاب . فقال يا امير المؤمنين رأيت رؤيا افظعتني . قال وما رايت قال رايت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين . قال فمع ايهما كنت قال مع القمر على الشمس قال عمر بن الخطاب وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فانطلق فوالله لا تعمل لى عملا ابدا . قال فبلغني انه قتل مع معاوية بصفين . ابو بكر ابن ابي شيبة قال . اقبل سليمان بن صرد وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم الى على بن ابي طالب بعد وقعة الجمل فقال له تنأنأت وتزحزحت وتربصت فكيف رايت الله صنع قال يا امير المؤمنين ان الشوط بطين وقد بقي من الامور ما تعرف به عدوك من صديقك . وكتب علي بن ابي طالب . الى الاشعث بن قيس بعد الجمل وكان واليا لعثمان على اذربيجان سلام عليك اما بعد فلولا هنات كن منك لكنت انت المقدم في هذا الامر قبل الناس ولعل امرك يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياى ما قد بلغك وقد كان طلحة والزبير اول من بايعني ثم نكثا بيعتي من غير حدث ولا سبب واخرجا ام المؤمنين فساروا الى البصرة وسرت اليهم فيمن بايعني من المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا فابلغت في الدعاء واحسنت في البقيا وامرت ان لا يذفف على جريح ولا يتبع منهزم ولا يسلب قتيل ومن القي سلاحه واغلق بابه فهو آمن واعلم ان عملك ليس لك بطعمة انما هو امانة في عنقك وهو مال من مال الله وانت من خزاني عليه حتى تؤديه الى ان شاء الله ولا قوة الا بالله فلما بلغ الاشعث كتاب على قام فقال ايها الناس ان عثمان بن عفان ولاني اذربيجان فهلك

وقد بقيت في يدي وقد بايع الناس عليا وطاعته الواجبة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما كان وهو المأمون على من غاب من ذلك المجلس ثم جلس ﴿قولهم فى أصحاب الجمل﴾ ابو بكر بن أبي شيبة قال سئل علي عن أصحاب الجمل امشركون هم قال من الشرك فروا قال فمنافقون هم قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قال فما هم قال اخواننا بغوا علينا . ومر علي بقتلى الجمل فقال اللهم اغفر لنا ولهم ومعه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر فقال احدهما لصاحبه أما تسمع مايقول قال اسكت لا يزيدك . وكيع : عن مسعدة بن عبد الله بن رباح عن عمار قال : لا تقولوا كفر أهل الشام ولكن قولوا فسقوا وظلموا . وسئل عمار بن ياسر : عن عائشة يوم الجمل . فقال اما والله انا لنعلم انها زوجته فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم اتتبعونها وقال علي بن أبي طالب : يوم الجمل ان قومنا زعموا ان البغي كان منا عليهم وزعمنا انه منهم علينا وانما قتلناهم على البغي ولم نقتل على التكفير . ابو بكر بن ابي شيبة قال : أول ما تكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا ما أحل لنا دماءهم وحرم علينا اموالهم فقال علي هي السنة فى أهل القبلة قالوا ما ندرى ما هذا قال فهذه عائشة رأس القوم اتتساهمون عليها قالوا سبحان الله آمنا قال فهي حرام قالوا نعم قال فانه يحرم من ابنائها مايحرم منها . قال : ودخلت أم أوفي العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها ياأم المؤمنين ماتقولين فى امرأة قتلت ابنا لها صغيرا قالت وجبت لها النار قالت فماتقولين فى امرأة قتلت من اولادها الاكابر عشرين الفا فى صعيد واحد قالت خذوا بيد عدوة الله . وماتت عائشة فى أيام معاوية وقد قاربت السبعين وقيل لها تدفنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت لا انى أحدثت بعده حدثا فادفنوني مع اخوتي بالبقيع وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ياحميراء كأني بك ينبحك كلاب الحوأب تقاتلين عليا وانت له ظالمة والحوأب قرية فى طريق المدينة الى البصرة وبعض الناس يسمونها الحوب بضم الحاء وتثقيل الواو وقد زعموا ان الحوأب ماء فى طريق البصرة . قال في ذلك بعض الشيعة :

أني أدين بحب آل محمد * وبني الوصي شهودهم والغيب
وانا البرى من الزبير وطلحة * ومن التي نبحت كلاب الحوأب

وكان وجهه الى معاوية في اخذ بيعته فاقام عنده ثلاثة أشهر يماطله بالبيعة . فكتب اليه علي : سلام عليك فاذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل وخيره بين حرب معضلة أو سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين وان اختار السلم فخذ بيعته واقبل الي . وكتب علي الى معاوية : بعد وقعة الجمل سلام عليك أما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما كان ذلك لله رضا وان خرج عن امرهم خارج ردوه الى ما خرج عنه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتهما وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي قبولك العافية وقد اكثرت في قتلة عثمان فان انت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم الى حملتك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون في الشوري وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة فبايعه ولا قوة الا بالله . فكتب اليه معاوية : سلام عليك اما بعد فلعمري لو بايعك الذين ذكرت وانت بريء من دم عثمان لكنت كابي بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بدم عثمان وخذلت الانصار فاطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبي أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شوري بين المسلمين وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ولعمري ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير كانا بايعاك فلم أبايعك أنا فاما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلست ارفعه . فكتب اليه علي : أما بعد فقد اتانا كتابك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه وقاده فاتبعه زعمت انك انما أفسد عليك بيعتي خفري لعثمان ولعمري ما كنت الا رجلا

من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ولا ليضربهم بالعمي وما أمرت فلزمتني خطيئة الامر ولا قتلت فاخاف على نفسي قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم حكام أهل الحجاز فهات رجلا من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار ونحن نأتيك به من قريش الحجاز . وأما قولك ادفع الى قتلة عثمان فما أنت وذاك وههنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك فان زعمت انك أقوي على طلب دم عثمان منهم فارجع الى البيعة التي لزمتك وحاكم القوم الى وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمرى فما الامر هناك الا واحد لانها بيعة عامة لا يتاني فيها النظر ولا يستانف فيها الخيار وأما قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمي فى الاسلام فلو استطعت دفعه لدفعته . وكتب معاوية . الى على أما بعد فانك قتلت ناصرك واستنصرت واترك فايم الله لارمينك بشهاب تزكيه الريح ولا يطفئه الماء فاذا وقع وقب واذا مس ثقب فلا تحسبني كسحيم أو عبد القيس أو حلوان الكاهن . فاجابه على : أما بعد فوالله ما قتل ابن عمك غيرك واني أرجو أن الحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته وان السيف الذي ضربت به أباك وأهلك لمعي دائم والله ما استحدثت دينا ولا استبدلت نبيا واني على المنهاج الذي تركتموه طائعين وأدخلتم فيه كارهين . وكتب معاوية الى على بن أبي طالب : أما بعد فان الله اصطفى محمدا وجعله الامين على وحيه والرسول الى خلقه واختار له من المسلمين أعوانا أيده بهم وكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الاسلام فكان أفضلهم فى الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة والخليفة الثالث فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك فى نظرك الشزر وتنفسك الصعداء وابطائك على الخلفاء وأنت فى كل ذلك تقاد كما يقاد البعير المخشوش حتى تبايع وأنت كاره ولم تكن لاحد منهم أشد حسدا منك لابن عمك عثمان وكان أحقهم ان لا تفعل ذلك به فى قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت عليه الناس حتى ضربت اليه آباط الابل وشهر عليه السلاح فى حرم الرسول فقتل معك في المحلة أنت تسمع فى داره الهائعة لا تؤدى عن نفسك فى أمره بقول ولا فعل براقسم قسما صادقا لو قمت فى أمره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ماعدل بك من قبلنا من الناس أحد ولمحا ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به فى المجانبة لعثمان والبغي عليه وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ضنين ايواءك قتلة عثمان فهم بطانتك وعضدك وانصارك فقد بلغنى انك تنتفى من دمه فان

كنت صادقا فادفع الينا قتلته نقتلهم به ثم نحن أسرع الناس اليك والا فليس لك ولا لاصحابك عندنا الا السيف والذى نفس معاوية بيده لاطلبن قتلة عثمان فى الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو نلحق أرواحنا بالله . فاجابه علي : أما بعد فان أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحى فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمم له النصر ومكنه في البلاد وأظهره على الاعادى من قومه الذين أظهروا له التكذيب ونابذوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه واخراج أصحابه وألبوا عليه العرب وحزبوا الاحزاب حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون وذكرت ان الله اختار من المسلمين أعوانا أيده بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الاسلام فكان أفضلهم ابن عمك فى الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده ولعمرى ان كان مكانهم فى الاسلام لعظيما وان كان المصاب بهم لجرح فى الاسلام شديد فرحمهما الله وغفر لهما وذكرت ان عثمان كان فى الفضل ثالثا فان كان محسنا فسيلقى ربا شكورا يضاعف له الحسنات ويجزيه الثواب العظيم وان يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا ولا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمرى انى لارجو اذا الله أعطي الاسلام ان يكون سهمنا أهل البيت أوفر نصيب وايم الله ما رأيت ولا سمعت باحد كان أنصح لله فى طاعة الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله في طاعة الله ولا أصبر علي البلاء والاذى فى مواطن الخوف من هؤلاء النفر من أهل بيته الذين قتلوا فى طاعة الله عبيدة بن الحرث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد وجعفر وزيد يوم مؤتة وفى المهاجرين خير كثير جزاهم الله باحسن أعمالهم وذكرت ابطائي عن الخلفاء وحسدي اياهم والبغى عليهم فاما البغى فمعاذ الله أن يكون وأما الكراهة لهم فوالله ما اعتذر للناس من ذلك وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه فقد عمل عثمان بما قد علمت وعمل به الناس ما قد بلغك فقد علمت أني كنت من أمره فى عزلة الا أن تجنى فتجن ماشئت وأما ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم اليك فان نظرت فى هذا الامر وضربت أنفه وعينه فلم يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك وان لم تنزع عن غيك لنعرفنك عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم فى سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر وقد كان أبوك ابو سفيان أتانى حين قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ابسط يدك أبايعك فأنت أحق الناس بهذا الامر فكنت أنا الذى أبيت عليه مخافة الفرقة بين المسلمين لقرب عهد الناس بالكفر فابوك كان أعلم بحقي منك وان تعرف من حقي ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك والا فنستعين الله عليك . وكتب عبد

الرحمن بن الحكم الى معاوية :

ألا بلغ معاوية بن حرب * كتابا من أخى ثقة يلوم

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

١٢ — يوم صفين — أبو بكر بن ابى شيبة قال خرج على بن ابى طالب من الكوفة الى معاوية فى خمسة وتسعين ألفا وخرج معاوية من الشام فى بضع وثمانين ألفا فالتقوا بصفين وكان عسكر على يسمي الزحزحة لشدة حركته وعسكر معاوية يسمي الخضرية لاسوداده بالسلاح والدروع . أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة بين الفريقين الاعلى حامية ثم يكرون . أبو الحسن قال : كان منادى على يخرج كل يوم وينادى أيها الناس لا تجهزن على جريح ولا تتبعن موليا ولا تسلبن قتيلا ومن ألقى سلاحه فهو آمن . أبو الحسن قال : خرج معاوية الى على يوم صفين ولم يبايعه أهل الشام بالخلافة وانما بايعوه على نصرة عثمان والطلب بدمه فلما كان من أمر الحكمين ما كان بايعوه بالخلافة فكتب معاوية الى سعد بن أبي وقاص يدعوه الى القيام معه فى دم عثمان . سلام عليك أما بعد فان احق الناس بنصرة عثمان أهل الشورى من قريش الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره ونصرة طلحة والزبير وهما شريكاك فى الامر ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكره مارضوا ولا ترد ماقبلوا وانما نريد ان نردها شورى بين المسلمين والسلام . فاجابه سعد : أما بعد فان عمر رضي الله عنه لم يدخل في الشورى الامن تحل له الخلافة فلم يكن أحد أولى بها من صاحبه الا باجتماعنا عليه غير ان عليا كان فيه مافينا ولم يكن فينا مافيه ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو باقصى اليمن وهذا الامر قد كرهنا أوله وكرهنا آخره وأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما والله يغفر لام المؤمنين ماأتت . وكتب معاوية : الى قيس بن سعد بن عبادة . أما بعد فانما أنت يهودى ابن يهودي ان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغض الفريقين اليك قتلك ونكل بك وقد كان أبوك أوتر قوسه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطا المفصل نخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريدا بحوران . فاجابه قيس : أما بعد فانت وثنى ابن وثني دخلت فى الاسلام كرها وخرجت منه طوعا لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه واعداء الدين الذي دخلت فيه والسلام

وخطب على بن ابى طالب اصحابه يوم صفين فقال أيها الناس ان الموت طالب لا يعجزه هارب ولا يفوته مقيم اقدموا ولا تنكلوا فليس عن الموت محيص والذى نفس ابن أبى طالب بيده ان ضربة سيف أهون من موت الفراش أيها الناس اتقوا السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم وموعدي واياكم الراية الحمراء. فقال رجل من أهل العراق : مارأيت كاليوم خطيبا يخطبنا يأمرنا ان نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بصدورنا ويعدنا راية بيننا و بينها مائة ألف سيف . قال أبو عبيدة فى التاج جمع علي بن ابى طالب رياسة بكر كلها يوم صفين لحصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وجعل الويتها تحت لوائه وكانت له راية سوداء يخفق ظلها اذا أقبل فلم يغن أحد فى صفين غناءه . فقال فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه :

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
يقدمها فى الصف حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزي الله عني والجزاء بكفه * ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

وكان من همدان فى صفين حسن فقال فيهم على بن أبي طالب رضى الله عنه

لهمدان أخلاق ودين يزينهم * وبأس اذا لاقوا وحسن كلام
فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

أبو الحسن قال : كان على بن ابى طالب يخرج كل غداة لصفين فى سرعان الخيل فيقف بين الصفين ثم ينادى يامعاوية علام يقتتل الناس ابرز الى وأبرز اليك فيكون الامر لمن غلب . فقال له عمرو بن العاص أنصفك الرجل فقال له معاوية أردتها ياعمرو والله لا رضيته عنك حتى تبارز عليا فبرز اليه متنكرا فلما غشيه على بالسيف رمي بنفسه الى الارض وأبدي له سوأته فضرب علي وجه فرسه وانصرف عنه فجلس معه معاوية يوما فنظر اليه فضحك فقال عمر وأضحك الله سنك ما الذي أضحكك قال من حضور ذهنك يوم بارزت عليا اذ اتقيته بعورتك أما والله لقد صادفت منانا كريما ولولا ذلك لخرم رفغيك بالرمح قال عمرو بن العاصى أما والله انى عن يمينك اذ دعاك الى البراز فاحولت عيناك وربا سحرك و بدا منك ما أكره ذكره لك . وذكر عمرو بن العاصى : عند على بن أبى طالب فقال فيه علي عجبا لابن الباغية يزعم اني بلقائه أعافس وامارس انى وشر القول أكذبه انه يسأل فيلحف ويسئل فيبخل فاذا احمر البأس وحمى الوطيس وأخذت

السيوف ماخـذها من هام الرجال لم يكن له هم الا غرقة ثيابه و يمنح الناس استه فضحه الله وترحه : مقتل عمار بن ياسر. العتبي قال لما التقى الناس بصفين نظر معاوية الى هشام بن عتبة الذي يقال له المرقال اقول النبي صلى الله عليه وسلم ارقل ليمون وكان أعور والراية بيده وهو يقول :

أعور يبغي نفسه محلا * قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد ان يفل او يفلا

فقـال معاوية لعمرو بن العاصي يا عمرو هذا المرقال والله لئن زحف بالراية زحفا انه ليوم أهـل الشام الاطول ولكني ارى ابن السوداء الى جنبـه يعني عمارا وفيه عجلة فى الحرب وأرجو ان تقدمه الى الهلكة وجعـل عمار يقول اباعتبة تقـدم فيقول يا أبا اليقظان انا أعـلم بالحرب منك دعنى ازحف بالراية زحفا فلمـا اضجره وتقدم ارسل معاوية خيلا فاختطفوا عمارا فكان يسمى أهـل الشام قتـل عمار فتح الفتوح. ابو بكر بن أبي شيبة : عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن أسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد قال اني لجالس عنـد معاوية اذ اتاه رجلان يختصمان فى رأس عمار كل واحد منهما يقول انا قتلته فقال لهما عبد الله بن عمر و بن العاص ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تقتلك الفئة الباغية . أبو بكر بن أبي شيبة : عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمار الفئة الباغية . ابو بكر قال حدثنا علي بن حفص عن أبي معشر عن محمد بن عبادة قال مازال جدى خزيمة بن ثابت كافا سلاحه يوم صفين حتى قتل عمار فلما قتل سل سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمار الفئة الباغية فما زال يقاتل حتي قتل . أبو بكر عن غندر عن عمرو بن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال رأيت عمارا يوم صفين شيخا آدم طوالا أخذ الحربة بيده و يده ترعد وهو يقول والذي نفسى بيده لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة والذى نفسى بيده لو ضربونا حتي يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت انا على حق وانهم على باطل ثم جعل يقول صبرا عباد الله الجنة تحت ظلال السيوف . أبو بكر بن ابي شيبة : عن وكيع عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري قال لما كان يوم صفين واشتدت الحرب دعا عمار بشربة لبن وشربها وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ان آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن . أبو ذر عن محمد بن يحي عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه عن جدته أم

سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما بني رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يضرب وما يحتاج اليه ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه فلما رأى ذلك المهاجرون والانصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعمل ※ ذاك اذا العمل مضلل

قالت وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متنظفا فكان يحمل اللبنة ويجافى بها عن ثوبه فاذا وضعه نفض كفيه ونظر الى ثوبه فاذا أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي رضي الله عنه فانشده :

لا يستوي من يعمر المساجدا ※ يدأب فيها راكعا وساجدا
وقائما طورا وطورا قاعدا ※ ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعني فسمعه عثمان . فقال يا ابن سمية ما أعرفني بمن تعرض ومعه جريدة . فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل حائط . فقال عمار جلدة ما بين عيني وأنفي فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني وأشار بيده فوضعها بين عينيه فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف ان ينزل فينا قرآن . فقال أنا أرضيه كما غضب فاقبل عليه فقال يا رسول الله ما لي ولاصحابك قال ومالك ولهم . قال يريدون قتلي يحملون لبنة ويحملون على لبنتين فاخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول يا ابن سمية لا يقتلك أصحابي ولكن تقتلك الفئة الباغية . فقتل بصفين وروي هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال معاوية هم قتلوه لانهم أخرجوه الى القتل فلما بلغ ذلك عليا قال ونحن قتلنا أيضا حمزة لانا أخرجناه ﴿ من حرب صفين ﴾ أبو الحسن قال كانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين الا على حامية ثم يكرون . ابو بكر بن أبي شيبة قال : انقضت وقعة صفين عن سبعين ألف قتيل خمسين ألفا من أهل الشام وعشرين ألفا من أهل العراق ولما انصرف الناس من صفين قال عمرو بن العاص :

شبت الحرب فاعددت لها ※ مشرف الحارك محبوك الثبج
يصل الشر بشر فاذا ※ وثب الخيل من الشر معج
جرشع اعظمه حفزية ※ فاذا ابتل من الماء حرج

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فان شهدت جمل مقامي ومشهدي * بصفين يوماشاب منها الذوائب
عشية جا أهل العراق كأنهم * سحاب ربيع رفعته الجنائب
وجئناهم تترى كان صفوفنا * من البحر مد موجه متراكب
اذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم * سراة النهار ماتولى المناكب
وقالوا لنا انا نرى ان تبايعوا * عليا فقلنا بل نرى ان نضارب

وقال السيد الحميرى وهو رأس الشيعة وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقي له وسادا بمسجد الكوفة :

انى ادين بما دان الوصى به * وشاركت كفه كفى بصفينا
فى سفك ماسفكت منها اذا احتضروا * وأبرز الله للقسط الموازينا
تلك الدماء معا يارب فى عنق * ثم اسقنى مثلها آمين آمينا
آمين من مثلهم فى مثل حالهم * فى فتية هاجروا فى الله شارينا
ليسوا يريدون غير الله ربهم * نعم المراد توخاه المريدونا

وقال النجاشي يوم صفين وكتب بها الى معاوية :

ياأيها الملك المبدى عدواته * أنظر لنفسك أي الأمر تأتمر
فان نفست على الاقوام مجدهم * فابسط يديك فان الخير مبتدر
واعلم بان علىّ الخير من نفر * شم العرانين لايعلوهم بشر
نعم الفتى هو الا ان بينكما * كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
وما اخالك الا لست منتهيا * حتى ينالك من أظفاره ظفر

١٣ - خبر عمرو بن العاص مع معاوية - سفيان بن عيينة. قال أخبرنى أبو موسى الاشعرى قال أخبرنى الحسن قال : علم معاوية والله انه لم يبايعه عمرو لم يتم له أمر . فقال له ياعمرو اتبعني قال لماذا للآخرة فوالله مامعك آخرة أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها قال فانت شريكى فيها قال فاكتب لى مصر وكورها فكتب له مصر وكورها وكتب فى آخر الكتاب وعلى عمرو السمع والطاعة قال عمرو واكتب ان السمع والطاعة لاينقصان من شرطه شيئا . قال معاوية لاينظر الناس الى هذا قال عمرو حتى تكتب قال فكتب والله مايجد بدا من كتابتها . ودخل عتبة

ابن أبي سفيان على معاوية وهو يكلم عمرا في مصر وعمرو يقول له انما أبايعك بها دبني فقال عتبة ائتمن الرجل بدينه فانه صاحب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وكتب عمرو الى معاوية :

معاوى لا أعطيك دبني ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
وما الدين والدنيا سواء وانني * لآخذ ماتعطى ورأسى مقنع
فان تعطني مصرا فاربح صفقة * أخذت بها شيخا يضر وينفع

وقالوا : لما قدم عمرو بن العاص على معاوية وقام معه فى شان على بعد ان جعل له مصر طعمة قال له ان بارضك رجلا له شرف واسم والله ان قام معك استهويت به قلوب الرجال وهو عبادة بن الصامت فارسل اليه معاوية فلما أتاه وسع له بينه و بين عمرو بن العاص فجلس بينهما فحمد الله معاوية وأثنى عليه وذكر فضل عبادة وسابقته وذكر فضل عثمان وما ناله وحضه على القيام معه فقال عبادة قد سمعت ماقلت أتدريان لم جلست بينكما فى مكانكما قالا نعم لفضلك وسابقتك وشرفك قال لا والله ماجلست بينكما لذلك وما كنت لاجلس بينكما فى مكانكما ولكن بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة تبوك اذ نظر اليكما تسيران وأنتما تتحدثان فالتفت الينا فقال اذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما فانهما لا يجتمعان على خير أبدا وأنا أنهاكما عن اجتماعكما فاما ما دعوتماني اليه من القيام معكما فان لكما عدوا هو أغلظ اعدائكما عليكما وأنا كامن من ورائكم فى ذلك العدو وان اجتمعتم على شيء دخلت فيه

١٤ — امر الحكمين — أبو الحسن قال : لما كان يوم الهدير وهو أعظم يوم بصفين زحف أهل العراق على أهل الشام فازالوهم عن مراكزهم حتي انتهوا الى سرادق معاوية فدعا بالفرس وهم بالهزيمة ثم التفت الى عمرو بن العاص وقال له ماعندك قال تامر بالمصاحف فترفع فى اطراف الرماح ويقال هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم فلما نظر أهل العراق الى المصاحف ارتدعوا واختلفوا وقال بعضهم نحاكمهم الى كتاب الله وقال بعضهم لانحاكمهم لانا على يقين من أمرنا ولسنا على شك ثم اجمع رأيهم على التحكيم فهم على ان يقدم أبا الاسود الدؤلى فابى الناس عليه فقال له ابن عباس اجعلني أحد الحكمين فوالله لافتلن لك حبلا لا ينقطع وسطه ولا ينشر طرفاه فقال له على لست من كيدك ولا من كيد معاوية فى شيء لا أعطيه الا السيف حتى يغلبه الحق قال وهو والله لا يعطيك الا السيف حتي يغلبك الباطل قال وكيف

ذلك قال لانك تطاع اليوم وتعصى غدا وانه يطاع ولا يعصى . فلما انتشر عن على أصحابه قال لله بلاد ابن عباس انه لينظر الى الغيب بستر رقيق . قال ثم اجتمع اصحاب البرانس وهم وجوه أصحاب علىّ على ان يقدموا أباموسى الاشعرى وكان مبرنسا وقالوا لا نرضى بغيره فقدمه على وقدم معاوية عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو انك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأى فلا ترمه بعقلك كله فاخلي لهما مكان يجتمعان فيه فامهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام ثم اقبل اليه بانواع من الطعام يشهيه بها حتي اذا استبطن أبو موسي ناجاه عمرو . فقال له يا أباموسى انك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها وقد ترى ماوقعت فيه هذه الامة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها فهل لك ان تكون ميمون هذه الامة فيحقن الله بك دماءها فانه يقول فى نفس واحدة ومن أحياها فكانما أحيي الناس جميعا فكيف بمن احيا انفس هذا الخلق كله . قال له وكيف ذلك قال تخلع انت على بن أبي طالب واخلع انا معاوية ابن أبي سفيان ونختار لهذه الامة رجلا لم يحضر فى شيء من الفتنة ولم يغمس يده فيها قال له ومن يكون ذلك وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبى موسى فى عبد الله بن عمر فقال له عبد الله بن عمر . فقال انه لكما ذكرت ولكن كيف لى بالوثيقة منك فقال له يا أباموسي الا بذكر الله تطمئن القلوب خذ من العهود والمواثيق حتي ترضي ثم لم يبق عمرو بن العاص عهدا ولا موثقا ولا يمينا مؤكدة حتى حلف بها حتى بقي الشيخ مبهوتا وقال له قد أجبت فنودى فى الناس بالاجتماع اليهما فاجتمعوا فقال له عمرو قم فاخطب الناس يا أبا موسي فقال قم أنت اخطبهم فقال سبحان الله انا اتقدمك وانت شيخ أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والله لا فعلت ابدا قال اوعسى فى نفسك أمر فزاده ايمانا وتوكيدا حتي قام الشيخ فخطب الناس فحمد الله وأثني عليه ثم قال أيها الناس انى قد اجتمعت أنا وصاحبي علي ان اخلع أنا على بن أبي طالب ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان ونجعل هذا الامر لعبد الله بن عمر فانه لم يحضر فى فتنة ولم يغمس يده فى دم امرىء مسلم ألا واني قد خلعت على بن ابي طالب كما اختلع سيفى هذا ثم خلع سيفه من عاتقه وجلس وقال لعمرو قم فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثني عليه وقال ايها الناس انه قد كان من رأى صاحبي ما قد سمعتم وانه قد أشهدكم أنه خلع على بن أبى طالب كما يخلع سيفه وأنا أشهدكم أنى قد اثبت معاوية ابن أبى سفيان كما اثبت سيفى هذا وكان قد خلع سيفه قبل ان يقوم الى الخطبة فاعاده

على نفسه فاضطرب الناس وخرجت الخوارج . وقال ابو موسى لعمرو لعنك الله فان مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث . قال عمرو لعنك الله فان مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا وخرج ابو موسى من فوره اذلك لى مكة مستعيذا بها من على وحلف ان لا يكلمه أبدا . فاقام بمكة حينا حتي كتب اليه معاوية سلام عليك أما بعد فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا المجتهد واعذر الطالب والحق لمن نصب له فاصابه وليس لمن عرض له فاخطأ . وقد كان الحكمان اذا حكما على على لم يكن له الخيار عليهما وقد اختاره القوم عليك فاكره منهم ما كرهوا منك وأقبل الى الشام فاني خير لك من على ولا قوة الا بالله . فكتب اليه أبو موسى سلام عليك أما بعد فانى لم يكن مني فى على الا ما كان من عمر وفيك غير أني أردت بما صنعت ما عند الله وأراد به عمرو ما عندك وقد كان بيني وبينه شروط وشوري عن تراض فلما رجع عمر ورجعت أما قولك ان الحكمين اذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما فانما ذلك فى الشاة والبعير والدينار والدرهم فاما أمر هذه الامة فليس لاحد فيما يكره حكم ولن يذهب الحق عجز عاجز ولا خدعة فاجر واما دعاؤك اياي الى الشام فليس لى رغبة عن حرم ابراهيم فبلغ عليا كتاب معاوية الى ابي موسى الاشعرى فكتب اليه سلام عليك أما بعد فانك امرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغرور حتى حقق بك حسن الظن لزومك بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فاستقل الله يقلك فان الله يغفر ولا يغفل وأحب عباده اليه التوابون وكتبه سماك بن حرب فكتب اليه أبو موسى سلام عليك فانه والله لولا أني خشيت ان يرفعك مني منع الجواب الى اعظم مما فى نفسك لم اجبك لانه ليس لى عندك عذر ينفعني ولا قوة تمنعني وأما قولك ولزومى بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن فانى اسلمت أهل الشام وانقطعت عن أهل العراق وأصبت أقواما صغروا من ذنبي ما عظمتم وعظموا من حقى ماصغرتم اذلم يكن لى منكم ولىّ ولا نصير .

وكان علي بن أبي طالب : اذ وجه الحكمين قال لهما انما حكمنا كما بكتاب الله فتحييا ما أحيا القرآن وتميتا ما أمات فلما كاد عمرو بن العاص على أبي موسى اضطرب الناس على علي واختلفوا وخرجت الخوارج وقالوا لا حكم الا لله فجعل علي يتمثل بهذه الابيات :

لى زلة اليكم فاعتذر * سوف أكيس بعدها وانشمر * واجمع الامر الشتيت المنتشر

ابو الحسن قال : لما قدم أبو الاسود الدؤلى على معاوية عام الجماعة قال له معاوية بلغني يا أبا

الاسودان على بن أبي طالب اراد ان يجعلك أحد الحكمين فما كنت تحكم به قال لو جعلني أحدهما لجمعت الفا من المهاجرين وابناء المهاجرين والفا من الانصار وأبناء الانصار ثم ناشدتهم الله المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الامر أم الطلقاء قال له معاوية لله أبوك أى حكم كنت تكون لو حكمت

١٥ — احتجاج على وأهل بيته فى الحكمين — ابو الحسن قال : لما انقضى امر الحكمين واختلف اصحاب على قال بعض الناس مامنع امير المؤمنين ان يامر بعض أهل بيته فيتكلم فانه لم يبق أحد من رؤساء العرب الا وقد تكلم . قال فبينا على يوما على المنبر اذ التفت الى الحسن ابنه فقال قم ياحسن فقل في هذين الرجلين عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فقام الحسن . فقال أيها الناس انكم قد أكثرتم فى هذين الرجلين وانما بعثا ليحكما بالكتاب على الهوى فحكما بالهوى على الكتاب ومن كان هكذا لم يسم حكما ولكنه محكوم عليه وقد أخطأ عبد الله بن قيس اذ جعلها لعبد الله بن عمر فاخطأ فى ثلاث خصال واحدة انه خالف اباه اذ لم يرضه لها ولا جعله من أهل الشورى واخرى انه لم يستامره فى نفسه وثالثة انه لم يجتمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامارة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة فقد حكم النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ فى بني قريظة فحكم بما يرضي الله به ولا شك ولو خالف لم يرضه رسول الله صلي الله عليه وسلم جلس . فقال لعبد الله بن عباس : قم فقال عبد الله بن عباس بعد ان حمد الله واثني عليه أيها الناس ان للحق اهلا أصابوه بالتوفيق فالناس بين راض به وراغب عنه فانه بعث عبد الله بن قيس بهدى الى ضلالة وبعث عمرو بضلالة الى الهدي فلما التقيا رجع عبد الله بن قيس عن هداه وثبت عمرو على ضلاله وايم الله لئن كانا حكما بما سارا به لقد سار عبد الله وعلى امامه وسار عمرو ومعاوية امامه فما بعد هذا من غيب ينتظر . فقال على لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : قم فقام فحمد الله واثني عليه . وقال : ايها الناس ان هذا الامر كان النظر فيه الى على والرضا الى غيره فجئتم الى عبد الله بن قيس مبرنسا فقلتم لا نرضى الا به وايم الله ما استفدنا به علما ولا انتظرنا منه غائبا وما نعرفه صاحبا وما افسدا بما فعلا اهل العراق وما اصلحا اهل الشام ولا وضعا حق على ولا وضعا باطل معاوية ولا يذهب الحق رقية راق ولا نفحة شيطان ونحن اليوم على ما كنا عليه امس

١٦ — احتجاج علي على أهل النهروان — قالوا : ان عليا لما اختلف عليه اهل النهروان والقرى واصحاب البرانس و نزلوا قرية يقال لها حروراء وذلك بعد وقعة الجمل فرجع اليهم علي بن أبي طالب فقال لهم : ياهؤلاء من زعيمكم قالوا ابن الكواء قال فليبرز الى فخرج اليه ابن الكواء فقال له علي يا ابن الكواء ما اخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ومقامكم بالكوفة قال قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده فزعمت ان قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار فبينما نحن كذلك اذ ارسلت منافقا وحكمت كافرا وكان من شكك في أمر الله ان قلت للقوم حين دعوتهم كتاب الله بيني و بينكم فان قضى علي بايعتكم وان قضى عليكم بايعتموني فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك فقال علي يا ابن الكواء انما الجواب بعد الفراغ افرغت فاجيبك . قال نعم : قال علي اما قتالك معي عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ولو شككت فيهم لم اقاتلهم واما قتلانا وقتلاهم فقد قال الله في ذلك ما يستغني به عن قولي وأما ارسالي المنافق وتحكيمي الكافر فانت أرسلت ابا موسى مبرنسا ومعاوية حكم عمرا أتيت بابي موسى مبرنسا فقلت لا نرضى الا أباموسى فهلا قام الى رجل منكم . فقال يا علي لا تعطي هذه الدنية فانها ضلالة . وأما قولي لمعاوية ان جرني اليك كتاب الله تبعتك وان جرك الى تبعتني زعمت اني لم أعط ذلك الا من شك فقد علمت ان أوثق ما في يديك هذا الامر . فحدثني ويحك عن اليهودى والنصرانى ومشركى العرب أهم اقرب الى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام . قال بل معاوية واهل الشام اقرب قال علي افر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو انا قال بل رسول الله قال افرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه أن كنتم صادقين » اما كان رسول الله يعلم انه لا يؤتي بكتاب هو اهدي مما في يديه قال بلي . قال فلم أعطى رسول الله القوم ما اعطاهم قال انصافا وحجة . قال فاني اعطيت القوم ما اعطاهم رسول الله . قال ابن الكواء فاني اخطأت هذه واحدة زدني . قال علي فما اعظم ما نقمتم علي . قال تحكيم الحكمين نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيرا . قال علي فمتى سمي أبوموسى حكما حين ارسل أو حين حكم . قال حين أرسل قال اليس قد سار وهو مسلم وانت ترجو ان يحكم بما انزل الله قال نعم . قال علي فلا ارى الضلال في ارساله فقال ابن الكواء سمي حكما حين حكم . قال نعم اذا فارساله كان عدلا ارأيت يا ابن الكواء لو ان رسول الله بعث مؤمنا الى قوم مشركين يدعوهم الى كتاب الله فارتد على عقبه كافرا أكان يضر نبي الله شيئا قال لا

قال على فما كان ذنبي ان كان أبو موسى ضل هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله اذ قال . قال ابن الكواء لا ولكنك جعلت مسلما وكافرا يحكمان فى كتاب الله . قال على ويلك يا ابن الكواء هل بعث عمرا غيره معاوية وكيف احكمه وحكمه على ضرب عنق انما رضي به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك . وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان فى أمر الله أرأيت لو ان رجلا مؤمنا تزوج يهودية أو نصرانية فخافا شقاق بينهما ففزع الناس الى كتاب الله وفى كتابه « فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى ورجل من المسلمين الذين يجوز لهما ان يحكما فى كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء وهذه أيضا أمهلنا حتى ننظر فانصرف عنهم على . فقال له صعصعة ابن صوحان يا أمير المؤمنين ائذن لي فى كلام القوم . قال نعم مالم تبسط يدا . قال فنادى صعصعة ابن الكواء فخرج اليه فقال أنشدكم بالله يا معشر الخارجين ان لا تكونوا عارا على من يغزو لغيره وان لا تخرجوا بارض تسموا بها بعد اليوم ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل . فقال له ابن الكواء ان صاحبك لقينا بامر قولك فيه صغير فامسك . قالوا ان عليا خرج بعد ذلك اليهم فخرج اليه ابن الكواء . فقال له على يا ابن الكواء انه من أذنب فى هذا الدين ذنبا يكون فى الاسلام حدثا استتبناه من ذلك الذنب بعينه وان توبتك ان تعرف هدى ما خرجت منه وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء اننا لا ننكر انا قد فتنا . فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز ادركنا والله هذه الآية « الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وكان عبد الله من قراء أهل حروراء فرجعوا فصلوا خلف على الظهر وانصرفوا معه الى الكوفة ثم اختلفوا بعد ذلك فى رجعتهم ولام بعضهم بعضا . فقال زيد بن عبد الله الراسي وكان من أهل حروراء يشككهم :

شككتم ومن أرسى ثبيرا مكانه * ولو لم تشكوا ما انثنيتم عن الحرب
وتحكيمكم عمرا على غير توبة * وكان لعبد الله خطب من الخطب
فانكصه للعقب لما خلا به * فاصبح يهوي من ذرى حالق صعب

وقال الرياحي :

ألم تر ان الله أنزل حكمه * وعمرو وعبد الله مختلفان

وقال مسلم بن يزيد الثقفى وكان من عباد حروراء :

وان كان ما عبناه عيبا فحسبنا * خطايا باخذ النصح من غير ناصح

وان كان عيبا فاعظم بتركنا * عليا على أمر من الحق واضح
ونحسن اناس بين بين وعلنا * سررنا بامر غبه غير صالح

ثم خرجوا على علي فقتلهم بالنهروان

١٧ — خروج عبد الله بن عباس على علي — قال أبو بكر بن ابي شيبة : كان عبد الله بن عباس من أحب الناس الى عمر بن الخطاب . وكان يقدمه على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستعمله قط . فقال له يوما كدت أستعملك ولكن أخشى ان تستحل الفيء على التأويل . فلما صار الامر الى علي استعمله على البصرة فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربي » واستحله من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد قال مر ابن عباس على أبي الاسود الدؤلي . فقال له لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا ما بلغت المرعى له فكتب أبو الاسود الى علي . أما بعد فان الله جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مسؤلا . وقد بلوناك رحمك الله فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للامة توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دنياهم فلا تأكل أموالهم ولا ترتشي بشيء في أحكامهم . وابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك فانظر رحمك الله فيما هنالك . واكتب الى برأيك فيما أحببت أتبعه ان شاء الله والسلام . فكتب اليه علي : أما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وفارق الجور . وقد كتبت لصاحبك بما كتبت الي فيه ولم أعلمه بكتابك الي فلا تدع اعلامي مايكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح فانك بذلك جدير وهو حق واجب لله عليك والسلام . وكتب علي الى ابن عباس : أما بعد فانه قد بلغني عنك أمر ان كنت فعلته . فقد أسخطت الله وأخربت أمانتك وعصيت امامك وخنت المسلمين بلغني أنك خربت الارض وأكلت ما تحت يدك . فارفع الى حسابك واعلم ان حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام . وكتب اليه ابن عباس : أما بعد فان كل الذي بلغك باطل وأنا لما تحت يدى ضابط وعليه حافظ فلا تصدق على الضنين والسلام . فكتب اليه علي : أما بعد فانه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية من أين أخذته وما وضعت منها أين وضعته فاتق الله فيما ائتمنتك عليه واسترعيتك اياه فان المتاع بما أنت رازمه قليل وتباعته

وبيلة لا تبيد والسلام . فلما رأى ان عليا غير مقلع عنه كتب اليه . أما بعد : فانه بلغني تعظيمك على مرزأة مال بلغك انى رزأته أهل هذه البلاد وايم الله لان الق الله بما في بطن هذه الارض من عقيانها ومخبئها وبما على ظهرها من طلاعها ذهبا أحب الى من أن الق الله وقد سفكت دماء هذه الامة لانال بذلك الملك والامرة ابعث الى عمالك من أحببت فانه ظاعن والسلام . فلما أراد عبد الله المسير من البصرة دعا اخواله بني هلال بن عامر بن صعصعة ليمنعوه فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالى فاجاره ومعه رجل منهم يقال له رزين بن عبد الله بن رزين وكان شجاعا بئيسا . فقالت بنو هلال لا غنى بنا عن هوازن . فقالت هوازن لا غني بنا عن بني سليم . ثم اتتهم قيس . فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان في بيت مال البصرة وكان فيما زعموا ستة آلاف الف فجعله في الغرائر قال فحدثني الازرق اليشكري . قال سمعت أشياخنا من أهل البصرة قالوا لما وضع المال في الغرائر . ثم مضي به تبعته الاخماس كلها بالطف على أربع فراسخ من البصرة فوافقوه فقالت لهم قيس والله لا تصلوا اليه ومنا عين تطرف . فقال ضمرة وكان رأس الازد والله ان قيسا لاخوتنا في الاسلام وجيراننا في الدار وأعواننا على العدو وان الذى تذهبون به من المال لورد عليكم لكان نصيبكم منه الاقل وهم خير لكم من المال . قالوا فما ترى قال انصرفوا عنهم . فقال بكر بن وائل وعبد القيس نعم الرأى رأى ضمرة واعتزلوهم . فقالت بنو تميم والله لا نفارقهم حتي نقاتلهم عليه . فقال الاحنف بن قيس أنتم والله أحق أن لا تقاتلوهم عليه وقد ترك قتالهم من هو أبعد منكم رحما . قالوا والله لنقاتلنهم فقال والله لا نشايعكم على قتالهم وانصرف عنهم فقدم عليهم ابن مجدبة فقاتلهم فحمل عليه الضحاك بن عبد الله فطعنه في كتفه فصرعه فسقط الى الارض بغير قتل . وحمل سلمة بن ذؤيب السعدى على الضحاك فصرعه أيضا وكثرت بينهم الجراح من غير قتل . فقال الاخماس الذين اعتزلوا والله ما صنعتم شيا اعتزلتم قتالهم وتركتموهم يتشاجرون فجاؤا حتي صرفوا وجوه بعضهم عن بعض وقالوا لبنى تميم والله ان هذا اللؤم قبيح لنحن اسخى أنفسا منكم حين تركنا أموالنا لبني عمكم وأنتم تقاتلونهم عليها خلوا عنهم وأرواحهم فان القوم فدحوا . فانصرفوا عنهم ومضي معه ناس من قيس فيهم الضحاك بن عبد الله وعبد الله بن رزين حتى قدموا الحجاز فنزل مكة . فجعل راجز لعبد الله بن عباس يسوق له في الطريق ويقول :

صبحت من كاظمة القصر الخرب ۞ مع ابن عباس بن عبد المطلب

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول :

آوى الى أهلك يارباب * آوى فقد حان لك الاياب

وجعل أيضا يرتجز ويقول :

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

فقال له ياأبا العباس أمثلك يرفث فى هذا الموضع . قال انما الرفث مايقال عند النساء قال أبو محمد فلما نزل مكة اشترى من عطاء بن جبير مولى بنى كعب من جواريه ثلاث مولدات حجازيات يقال لهن شادن وحوراء وفنون بثلاثة آلاف دينار . وقال سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن عبيد عن أبي الكنود قال كنت من أعوان عبد الله بالبصرة . فلما كان من أمره ما كان أتيت عليا فأخبرته فقال « واتل عليه نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين » ثم كتب معه اليه : أما بعد فاني كنت أشركتك فى أمانتى ولم يكن من أهل بيتى رجل أوثق عندي منك بمواساتي وموازرتي باداء الامانة . فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك والعدو قد حرد وأمانة الناس قد خربت وهذه الامة قد فتنت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع القوم المفارقين وخذلته أسوأ خذلان وخنته مع من خان فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اليه أديت كانك لم تكن على بينة من ربك وانما كدت أمة محمد عن دنياهم وغدرتهم عن فيئهم . فلما امكنتك الفرصة فى خيانة الامة اسرعت الغدرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ماقدرت عليه من أموالهم وانقلبت بها الى الحجاز كانك انما حزت على أهلك ميراثك من أبيك وأمك سبحان الله أما تؤمن بالمعاد أما تخاف الحساب أما تعلم أنك تاكل حراما وتشرب حراما وتشترى الاماء وتنكحهم بأموال اليتامى والارامل والمجاهدين فى سبيل الله التي أفاء الله عليهم فاتق الله واد الى القوم اموالهم فانك والله لئن لم تفعل وأمكننى الله منك لاعذرن الى الله فيك فوالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذى فعلت ما كانت لهما عندى هوادة ولما تركتهما حتي آخذ الحق منهما والسلام . فكتب اليه ابن عباس : أما بعد فقد بلغني كتابك تعظم على أمانة المال الذي أصبت من بيت مال البصرة ولعمري ان حقي فى بيت مال الله أكثر من الذى أخذت والسلام . فكتب اليه على : اما بعد فان العجب كل العجب منك اذ ترى لنفسك فى بيت مال الله أكثر مما لرجل من المسلمين قد أفلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاءك مالا يكون ينجيك من الاثم ويحل لك ما حرم الله عليك عمرك الله انك لانت البعيد البعيد قد بلغني أنك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشترى المولدات من المدينة والطائف وتختارهن على عينك وتعطي بهامال غيرك . واني

أقسم بالله ربي وربك رب العزة ما أحب ان ما أخذت من أموالهم لي حلالا ادعه ميراثا لعقبي فما بال اغتباطك به تأكله حراما صح رويدا فكأنك قد بلغت المدي وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادى فيه المغتر بالحسرة و يتمني المضيع التوبة والظالم الرجعة . فكتب اليه : ابن عباس والله لئن لم تدعني من أساطيرك لاحملنه الى معاوية يقاتلك به فكف عنه علي

١٨ — مقتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه — سفيان بن عيينة قال : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج بالليل الى المسجد . فقال أناس من أصحابه نخشى ان يصيبه بعض عدوّه ولكن تعالوا نحرسه فخرج ذات ليلة فاذا هو بنا . فقال ما شأنكم فكتمناه فعزم علينا فاخبرناه . فقال تحرسوني من أهل السماء أو من أهل الارض قلنا من أهل الارض . قال انه ليس يقضى في الارض حتى يقضى في السماء . التميمي باسناد له قال : لما تواعد ابن ملجم وصاحباه بقتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص دخل ابن الملجم المسجد في فروغ الفجر الاول فدخل في الصلاة تطوعا ثم افتتح في القراءة وجعل يكرر هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله فاقبل ابن أبي طالب بيده مخفقة وهو يوقظ الناس للصلاة و يقول ايها الناس الصلاة الصلاة . فمر بابن ملجم وهو يردد هذه الآية فظن عليّ انه ينسى فيها ففتح عليه . فقال والله رؤف بالعباد . ثم انصرف عليّ وهو يريد ان يدخل الدار فاتبعه فضربه على قرنه ووقع السيف في الجدار فاطار فدرة من آخره فابتدره الناس فاخذوه ووقع السيف منه فجعل يقول أيها الناس احذروا السيف فانه مسموم . قال فاتي به عليّ فقال احبسوه ثلاثا واطعموه واسقوه فان أعش أرى فيه رأيي . وان أمت فاقتلوه ولا تمثلوا به فمات من تلك الضربة فاخذه عبد الله بن جعفر فقطع يديه ورجليه فلم يفزع ثم أراد قطع لسانه ففزع . فقيل له لم لم تفزع لقطع يديك ورجليك وفزعت لقطع لسانك . قال اني أكره ان تمر بي ساعة لا أذكر الله فيها . ثم قطعوا لسانه وضربوا عنقه . وتوجه الخارجي الآخر الى معاوية فلم يجد اليه سبيلا . ووجه الثالث الى عمرو فوجده قد أغفل تلك الليلة فلم يخرج الى الصلاة وقدم مكانه رجلا يقال له خارجة فضربه الخارجي بالسيف وهو يظنه عمرو بن العاص فقتله . فاخذه الناس فقالوا قتلت خارجة قال أوليس عمرا قالوا لا قال أردت عمرا وأراد الله خارجة . وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي ألا أخبرك باشدّ الناس عذابا يوم القيامة . قال أخبرني يارسول الله قال فان أشد الناس عذابا يوم القيامة عاقر ناقة ثمود وخاضب لحيتك بدم رأسك . وقال كثير عزة :

ألا أن الائمة من قريش ✻ ولاة العهد أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه ✻ هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر ✻ وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتي ✻ يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا ✻ برضوى عنده عسل وماء

قال الحسن بن عليّ : صبيحة الليلة التي قتل فيها عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه حدثني أبي البارحة فى هذا المسجد . فقال يابني اني صليت البارحة مارزق الله . ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال لى ادع الله ان يريحك منهم فدعوت الله . وقال الحسن : صبيحة تلك الليلة أيها الناس انه قتل فيكم الليلة رجل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا ينثني حتى يفتح الله له ماترك الا ثلثمائة درهم

١٩ — خلافة الحسن بن عليّ — ثم بويع للحسن بن عليّ وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ . فكتب اليه ابن عباس ان الناس قد ولوك أمرهم بعد عليّ فاشدد عن يمينك وجاهد عدوك واستر من الضنين ذنبه بما لا يثلم دينك واستعمل اهل البيوتات تستصلح بهم عشائرهم . ثم اجتمع الحسن ابن عليّ ومعاوية بمسكن من أرض السواد من ناحية الانبار . واصطلحا وسلم الحسن الامر الى معاوية وذلك فى شهر جمادي الاولى سنة احدى وأربعين ويسمي عام الجماعة فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام ومات الحسن فى المدينة سنة تسع وأربعين وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلّى عليه سعيد بن العاص وهو والى المدينة وأوصى ان يدفن مع جده فى بيت عائشة فمنعه مروان بن الحكم فردوه الى البقيع . وقال ابو هريرة : لمروان علام تمنع ان يدفن مع جده فلقد أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة . فقال له مروان لقد ضيع حديث نبيه اذ لم يروه غيرك قال اما انك اذ قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من أحب ومن ابغض ومن نفى ومن أقر ومن دعا له ومن دعا عليه . ولما بلغ معاوية موت الحسن بن عليّ خرّ ساجداً لله . ثم أرسل الى ابن عباس وكان معه فى الشام فعزاه وهو مستبشر وقال له ابن كم سنة

مات ابو محمد . فقال له سنه كان يسمع في قريش فالعجب من ان يجهل مثلك . قال بلغني انه ترك أطفالا لاصغارا . قال : كل ما كان صغيرا يكبر وان طفلنا لكهل وان صغيرنا لكبير . ثم قال مالى أراك يامعاوية مستبشرا بموت الحسن بن على . فو الله لا يدنسا فى أجلك ولا يسد حفرتك وما أقل بقاءك وبقاءنا بعده . ثم خرج ابن عباس فبعث اليه معاوية ابنه يزيد فقعد بين يديه فعزاه واستعبر لموت الحسن . فلما ذهب اتبعه ابن عباس بصره . وقال اذا ذهب آل حرب ذهب الحلم من الناس

٢٠ — خلافة معاوية — ثم اجتمع الناس على معاوية سنة أحدى وأربعين وهو عام الجماعة . فبايعه أهل الامصار كلها وكتب بينه وبين الحسن كتابا وشروطا ووصله باربعين ألفا وفى رواية أبى بكر بن أبى شيبة انه قال له والله لاجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك ولا أجيزبها أحدا بعدك فامر له باربعمائة الف . هو معاوية ابن أبى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكنيته أبو عبد الرحمن . وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين . وصلى عليه الضحاك بن قيس وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . ويقال ابن ثمانين سنة كانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوما . صاحب شرطته يزيد بن الحرث العبسى وعلى حرسه وهو أول من اتخذ حرسا رجل من الموالى يقال له المختار . وحاجبه سعد مولاه وعلى القضاء أبو ادريس الخولاني . وولده عبد الرحمن وعبد الله من فاختة ابنة قرطة . أما عبد الرحمن فمات صغيرا . وأما عبد الله فمات كبيرا وكان ضعيفا ولا عقب له من الذكور . وكان له بنت يقال لها عاتكة تزوجها يزيد بن عبد الملك وفيها يقول الشاعر :

يا بيت عاتكة التي اتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

ويزيد بن معاوية وامه ابنة بجدل كلبية

٢١ — فضائل معاوية — ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال: احذروا آدم قريش وابن كريمها من يضحك عند الغضب ولا ينام الا على الرضا ويتناول مافوقه من تحته . سئل عبد الله بن عباس : عن معاوية فقال سما بشيء أسره واستظهر عليه بشيء أعلنه فحاول ما أسر بما أعلن فناله وكان حلمه قاهر الغضبه وجوده غالبا على منعه يصل ولا يقطع

ويجمع ولا يفرق فاستقام له أمره وجرى الى أمده . قيل : فاخبرنا عن ابنه . قال كان فى خير سبيله وكان ابوه قد أحكمه وأمره ونهاه فتعلق بذلك وسلك طريقا مذللا له . وقال معاوية : لم يكن فى الشباب شيء الا كان منى فيه مستمتع غير اني لم أكن صرعة ولا نكحة ولا سبا . قال الاصمعى : السب كثير السباب . ميمون بن مهران قال . كان أول من جالس بين الخطبتين معاوية . واول من وضع شرف العطاء الفين معاوية . وقال معاوية : لازلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فاحسن . العتبي عن أبيه قال : قال معاوية لقريش ألا أخبركم عني وعنكم قالوا بلى قال فانا أطير اذا وقعتم واقع اذا طرتم ولو وافق طيراني طيرانكم سقطنا جميعا . وقال معاوية : لوان بيني وبين الناس شعرة ماانقطعت أبدا قيل له : وكيف ذلك . قال : كنت اذا مدوها أرخيتها واذا ارخوها مددتها . وقال زياد . ماغلبنى أمير المؤمنين معاوية قط الا فى أمر واحد طلبت رجلا من عمالى كسر على الخراج فلجا اليه فكتبت اليه ان هـذا فساد عملى وعملك . فكتب الى انه لاينبغي لنا ان نسوس الناس سياسة واحدة لانلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك : ولكن تكون انت للشدة والفظاظة والغلظة واكون أنا للرأفة والرحمة

٢٢ — أخبار معاوية — قدم معاوية المدينة بعد عام الجماعة : فدخل دار عثمان ابن عفان فصاحت عائشة ابنة عثمان وبكت ونادت أباها : فقال معاوية ياابنة أخي ان الناس اعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا ذلا تحته حقد ومع كل انسان سيفه ويري موضع أصحابه فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى اعلينا تكون أم لنا ولان تكونى ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكوني امرأة من عرض الناس . القحذمي قال : لما قدم معاوية المدينة قال أيها الناس ان ابابكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده . وأما عمر فارادته الدنيا ولم يردها . وأما عثمان فنال منها ونالت منه . واما انا فمالت بي وملت بها . وأنا ابنها فهى أمي فان لم تجدونى خيركم فانا خير لكم . ثم نزل . قال جويرية بن أسماء : نال بشر بن ارطاة من علي بن أبي طالب عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس فعلا بشرا ضربا حتي شجه فقال معاوية : يازيد عمدت الى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته وأقبل على بشر . وقال تشتم عليا وهو جده وأبوه الفاروق على رؤس الناس أفكنت تراه يصبر على

شتم علي . وكانت أم زيد ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب . ولما قدم معاوية مكة ؛ وكان عمر قد استعمله عليها دخل علي أمه هند . فقالت له يا بني انه قلما ولدت حرة مثلك . وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه احببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه ابي سفيان فقال له يا بني ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتاخرنا فرفعهم سبقهم وقصر بنا تاخيرنا فصرنا اتباعا وصاروا قادة . وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن رأيهم فانك تجرى الى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه . قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما في المعني على اختلافهما في اللفظ . العتبي : عن ابيه ان عمر بن الخطاب : قدم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار . فتلقاهما معاوية في موكب نبيل فجاوز عمر حتي اخبر فرجع اليه . فلما قرب منه نزل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل . فاقبل عليه عمر فقال يامعاوية أنت صاحب الموكب آنفا مع مابلغني من وقوف ذوى الحاجات ببابك . قال نعم ياأمير المؤمنين . قال ولم ذلك قال لانا في بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو فلا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك قمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت . قال لئن كان الذى قلت حقا فانه رأى أريب ولئن كان باطلا فانها خدعة اديب ولا آمرك به ولا انهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ماصدر من هذا الفتى عما أوردته فيه . قال لحسن مصادره وموارده جشمناه ماجشمناه . وقال معاوية لابن الكواء : يا ابن الكواء انشدك الله ماعلمك فى قال انشدتنى الله ماأعلمك الا واسع الدنيا ضيق الآخرة . ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة وأراد ان يلعن عليا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث اليه وخذ رأيه فارسل اليه وذكر له ذلك . فقال ان فعلت لاخرجن من المسجد . ثم لا أعود اليه فامسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد . فلما مات لعنه علي المنبر وكتب الى عماله ان يلعنوه على المنابر ففعلوا . فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الى معاوية انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انكم تلعنون على بن أبي طالب ومن أحبه وأنا اشهد أن الله احبه ورسوله فلم يلتفت الى كلامها وقال بعض العلماء لولده : يابني ان الدنيا لم تبن شيأ الا هدمه الدين وان الدين لم يبن شيأ فهدمته الدنيا الا ترى ان قوما لعنوا عليا ليخفضوا منه فكأنما أخذوا بناصيته جرا الى السماء . ودخل صعصعة بن صوحان

على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره . فقال وسع له على ترابية فيه ؟ فقال صعصعة اني والله لترابي منه خلقت واليه أعود ومنه أبعث وانك مارج من مارج من نار . العتبي عن أبيه قال : قال معاوية يوما لعمرو بن العاص ما أعجب الاشياء قال غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه قال معاوية أعجب من ذلك ان يعطي من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة . وقال معاوية : أعنت على علي بأربعة كنت أكتم سرى وكان رجلا لا يظهره وكنت في أصلح جند وأطوعه وكان في أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون على منه وان ظفر بهم اغتربها في دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الي ومفرق عنه . العتبي قال : أراد معاوية أن يقدم ابنه يزيد على الصائفة فكره ذلك يزيد فأبى معاوية الا أن يفعل . فكتب اليه يزيد يقول :

تجنى لا يزال يعد ذنبا * لتقطع وصل حبلك من حبالى
فيوشك أن يريحك من اذائي * نزولى فى المهالك وارتحالى

وتجهز للخروج فلم يتخلف عنه احد حتي كان فيمن خرج أبو أيوب الانصارى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . قال العتبي : وحدثني أبو ابراهيم قال أرسل معاوية الى ابن عباس قال يا أبا العباس ان أحببت أن تخرج مع ابن أخيك فيانس بك ويقربك وتشير عليه برأيك ولا يدخل الناس بينك وبينه فيشغلوا كل واحد منكما عن صاحبه . وأقل من ذكر حقك فانه ان كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منا حبا وان لم يكن لك فلا حاجة بك الى ذكره مع انه صائر اليك وكل آت قريب . ولتجدنا اذا كان ذلك خيرا لكم منا . فقال ابن عباس والله لئن عظمت عليك النعمة فى نفسك لقد عظمت عليك في يزيد . وأما ما سألتني عن الكف عن ذكر حقي فاني لم أغمد سيفي وأنا أريد أن انتصر بلساني ولئن صار هذا الامر اليناثم وليكم من قومي مثلى كما ولينا من قومك مثلك لا يرى أهلك الا ما يحبون . قال فخرج يزيد . فلما صار علي الخليج ثقل أبو أيوب الانصارى فاتاه يزيد عائدا . فقال ما حاجتك أبا أيوب . فقال أما دنيا كم فلا حاجة لى فيها ولكن قدمني ما استطعت فى بلاد العدو فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدفن عند سور القسطنطينية رجل صالح أرجو أن اكون هو . فلما مات أمر يزيد بتكفينه وحمل على سريره . ثم اخرج الكتائب فجعل قيصر يرى سريرا يحمل والناس يقتتلون فارسل الى يزيد ما هذا الذى أرى . قال صاحب نبينا وقد سألنا أن نقدمه فى بلادك ونحن منفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله . فارسل اليه

العجب كل العجب كيف بدهي الناس أباك وهو يرسلك فتعمد الى صاحب نبيك فتدفنه فى بلادنا فاذا وليت أخرجناه الى الكلاب . فقال يزيد : اني والله ماأردت ان أودعه بلادكم حتى أودع كلامي آذانكم فاني كافر بالذى اكرهت هذا لئن بلغني انه نبش من قبره أومثل به لاتركت بارض العرب نصرانيا الاقتلته ولا كنيسة الاهدمتها . فبعث اليه قيصر أبوك كان أعلم بك فوحق المسيح لاحفظنه بيدي سنة : فلقد بلغنى انه بني على قبره قبة يسرج فيها الى اليوم

٢٣ — طلب معاوية البيعة ليزيد — أبو الحسن المدائني : قال لما مات زياد وذلك سنة ثلاث وخمسين اظهر معاوية عهدا مفتعلا . فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده وانما أراد أن يسهل بذلك بيعة يزيد . فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويعطي الاقارب ويدانى الاباعد حتى استوثق له من أكثر الناس . فقال لعبد الله بن الزبير : ماترى فى بيعة يزيد . قال ياأمير المؤمنين اني أناديك ولا أناجيك ان أخاك من صدقك . فانظر قبل أن تتقدم وتفكر قبل أن تندم . فان النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم . فضحك معاوية وقال ثعلب رواع تعلمت الشجاعة عند الكبر فى دون ماتشجعت به على ابن أخيك مايكفيك . ثم التفت الى الاحنف فقال . ماترى فى بيعة يزيد . قال نخافكم ان صدقناكم ونخاف الله ان كذبنا . فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية الى سائر الامصار أن يفدوا عليه فوفد عليه من كل مصر قوم وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم فخلا به معاوية وقال له ماترى فى بيعة يزيد . فقال ياأمير المؤمنين ماأصبح اليوم على الارض أحد هو أحب الى رشدا من نفسك سوى نفسي وان يزيد أصبح غنيا فى المال واسطا في الحسب وان الله سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر من تولى أمر أمة محمد . فاخذ معاوية بهر حتي تنفس الصعداء وذلك فى يوم شات . ثم قال يامحمد انك امرؤ ناصح قلت برأيك ولم يكن عليك الاذاك . قال معاوية : انه لم يبق الا ابني وأبناؤهم فابني أحب الى من أبنائهم أخرج عنى . ثم جلس معاوية فى أصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه وقد تقدم الى أصحابه أن يقولوا فى يزيد : فكان أول من تكلم الضحاك بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين انه لابد للناس من وال بعدك والانفس يغدى عليها ويراح وان الله قال . « كل يوم هو فى شان » ولاندري مايختلف به العصران . ويزيد ابن أمير المؤمنين فى حسن معدنه وقصد سيرته من أفضلنا حلما وأحكمنا علما فوله عهدك واجعله لنا علما بعدك فانا قد بلونا الجماعة والالفة . فوجدناه احقن

للدماء وآمن للسبل وخير أي العاقبة والآجلة . ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال : أيها الناس ان يزيد أمل تاملونه وأجل تامنونه طويل الباع رحب الذراع اذا صرتم الى عدله وسعكم وان طلبتم رفده أغناكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فجد وقورع فقرع خلفامن أمير المؤمنين ولاخلف منه فقال : اجلس أبا أمية فلقد أوسعت واحسنت . ثم قام يزيد بن المقفع فقال : أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية فان هلك فهذا . وأشار الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه . فقال معاوية اجلس فانك سيد الخطباء ثم تكلم الاحنف بن قيس . فقال يا أمير المؤمنين انت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه . فان كنت تعلمه لله رضا ولهذه الامة فلا تشاور الناس فيه . وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب الى الآخرة . قال فتفرق الناس ولم يذكروا الا كلام الاحنف . قال ثم بايع الناس ليزيد بن معاوية . فقال رجل وقد دعي الى البيعة اللهم اني أعوذ بك من شر معاوية فقال له معاوية تعوذ من شر نفسك فانه أشد عليك وبايع . قال اني أبايع وانا كاره للبيعة . فقال له معاوية بايع أيها الرجل فان الله يقول « فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ثم كتب الى مروان بن الحكم عامله على المدينة ان ادع أهل المدينة الى بيعة يزيد . فان أهل الشام والعراق قد بايعوا . فخطبهم مروان فحضهم على الطاعة وحذرهم الفتنة ودعاهم الى بيعة يزيد . وقال سنة أبي بكر الهادية المهدية . فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر كذبت ان أبا بكر ترك الاهل والعشيرة وبايع لرجل من بني عدي رضى دينه وامانته واختاره لامة محمد صلى الله عليه وسلم . فقال مروان : أيها الناس ان هذا المتكلم هو الذي انزل الله فيه « والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني ان أخرج وقد خلت القرون من قبلى » فقال له عبد الرحمن : يا ابن الزرقاء أفينا تتاول القرآن . وتكلم الحسين بن على وعبد الله بن الزبير . وعبد الله بن عمر وانكروا بيعة يزيد وتفرق الناس فكتب مروان الى معاوية بذلك . فخرج معاوية الى المدينة فى الف . فلما قرب منها تلقاه الناس . فلما نظر الى الحسين قال مرحبا بسيد شباب المسلمين قربوا دابة لابي عبد الله . وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر مرحبا بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق . وقال لابن عمر مرحبا بصاحب رسول الله وابن الفاروق . وقال لابن الزبير مرحبا بابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته . ودعالهم بدواب فحملهم عليها وخرج حتى أتى مكة فقضى حجه . ولما أراد الشخوص امر باثقاله فقدمت وامر بالمنبر فقرب من الكعبة وأرسل الى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمرو بن الزبير فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير اكفنا كلامه فقال

على أن لا تخالفوني . قالوا لك ذلك ثم أتوا معاوية فرحب بهم وقال لهم قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم وصلتي أرحامكم . ويزيد أخوكم وابن عمكم . وانما أردت ان أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تامرون وتنهون فسكتوا وتكلم ابن الزبير . فقال : نخيرك بعد احدي ثلاث أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار ان شئت فاصنع فينا ماصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله ولم يستخلف فدع هذا الامر حتى يختار الناس لانفسهم . وان شئت فما صنع أبو بكر عهد الى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الادنين من كان لها أهلا . وان شئت فما صنع عمر صيرها الى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا . قال معاوية : هل غير هذا قال لا . ثم قال للآخرين ما عندكم : قالوا نحن على ما قال ابن الزبير . فقال معاوية اني أتقدم اليكم وقد أعذر من أنذرني قائل مقالة فاقسم بالله لئن رد على رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمته حتي يضرب رأسه فلا ينظر امرؤ منكم الا الى نفسه ولا يبقي الا عليها . وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما فان تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه . وخرج وأخرجهم معه حتي رقي المنبر وحف به أهل الشام . واجتمع الناس . فقال : بعد حمد الله والثناء عليه انا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار . قالوا ان حسينا وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد . وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا نبرم أمرا دونهم . ولا نقضي امرا الا عن مشورتهم . واني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين فبايعوا وسلموا وأطاعوا . فقال : أهل الشام وما يعظم من أمر هؤلاء ائذن لنا فنضرب أعناقهم لا نرضى حتى يبايعوا علانية . فقال: معاوية سبحان الله ما أسرع الناس الى قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ودعا الناس الى البيعة فبايعوا . ثم قربت رواحله فركب ومضى . فقال الناس للحسين وأصحابه قلتم لا نبايع فلما دعيتم وأرضيتم بايعتم قالوا لم نفعل قالوا : بلى قد فعلتم وبايعتم . أفلا أنكرتم . قالوا : خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم

٢٤ — وفاة معاوية — عن الهيثم بن عدي قال : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المرى فقال أبلغا عنى يزيد وقولا له انظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فاكرمه ومن قعد عنك فتعاهده . وانظر أهل العراق فان سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله فان عزل

عامل واحد أهون من سل مائة ألف سيف لا تدرى على من تكون الدائرة . ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمه بهم . ثم اردد أهل الشام الى بلدهم ولا يقيموا فى غيره فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك الا ثلاثة الحسين ابن على وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر. فاما الحسين بن على فارجو أن يكفيكه الله فانه قتل أباه وخذل أخاه . وأما ابن الزبير فانه خب ضب فان ظفرت به فقطعه إربا إربا . وأما ابن عمر فانه رجل قد قرقره الورع فخل بينه و بين آخرته يخل بينك و بين دنياك . ثم أخرج الى يزيد بريدا بكتاب يستقدمه ويستحثه فخرج مسرعا فتلقاه يزيد فاخبره بموت معاوية . فقال يزيد :

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم * قالوا الخليفة أمسى مثبتا وجعا
فمادت الارض أو كادت تميد بنا * كأن أغبر من أركانها انقلعا
ثم انبعثنا الى خوص مذممة * نرمى العجاج بها ما نأتلى سرعا
فما نبالى اذا بلغن أرحلنا * ما مات منهن بالموماة أوظلعا
أودي ابن هند وأودى المجد يتبعه * كذاك كنا جميعا قاطنين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن أخلاقهم قرعا
لا يرقع الناس ما أوهي ولو جهدوا * ان يرقعوه ولا يوهون ما رقعا

قال محمد بن عبدالحكم : قال الشافعى سرق هذين البيتين من الاعشى . ابن داب قال : لما هلك معاوية خرج الضحاك بن قيس الفهرى وعلى عاتقه ثياب حتى وقف الى جانب المنبر . ثم قال : أيها الناس ان معاوية كان إلف العرب وملكها اطفا الله به الفتنة وأحيا به السنة وهذه اكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه و بين ربه . فمن أراد حضوره صلاة الظهر فليحضره وصلي عليه الضحاك بن قيس الفهرى . ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم احد على تعزيته حتى دخل عليه عبدالله بن هلال السلولى فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة * واشكر حباء الذي بالملك حاباكا
لارزء اعظم فى الاقوام قد علموا * مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعى اهل الارض كلهم * فانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام. ثم دخل يزيد فاقام ثلاثة أيام لا يخرج للناس. ثم خرج وعليه أثر الحزن فصعد المنبر واقبل الضحاك فجلس الى جانب المنبر وخاف عليه الحصر. فقال له يزيد : ياضحاك

اجئت تعلم بنى عبد شمس الكلام . ثم قام خطيبا فقال . الحمد لله الذي ماشاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع ومن شاء خفض ومن شاء رفع ان معاوية بن أبي سفيان كان حبلا من حبال الله مده ماشاء ان يمده ثم قطعه حين شاء أن يقطعه فكان دون من قبله وخيرا ممن ياتى بعده ولا أزكيه وقد صار الى ربه فان يعف عنه فبرحمته وان يعذبه فبذنبه وقد وليت بعده الامر ولست اعتذر من جهل ولا أنى عن طلب وعلي رسلكم اذا كره الله شيئا غيّره واذا أراد شيئاً يسره

٢٥ — خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته — هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه ميسون ابنة بجدل بن قياسة احد بني حارثة بن خباب . وكنيته أبو خالد . وكان آدم جعدا مهضوما أحور العين بوجهه آثار جدرى حسن اللحية خفيفها . ولى الخلافة فى رجب سنة ستين ومات فى النصف من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ودفن بحوارين خارجا من المدينة وكانت ولايته أربع سنين وأياما وكان على شرطته حميد بن حريث بن بجدل . وكاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور . وعلى القضاء أبو ادريس الخولانى . وعلى الخراج مسلمة بن حديدة الازدي . أولاد يزيد : معاوية وخالد وأبو سفيان أمهم فاختة بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة . وعبد الله وعمرو وأمهما أم كلثوم ابنة عبد الله ابن عباس . وكان عبد الله ولده ناسكا وولده خالد عالما لم يكن فى بنى أمية ازهد من هذا ولا أعلم من هذا . الاصمعى عن أبى عمرو قال : اعرق الناس فى الخلافة عاتكة ابنة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان أبوها خليفة وجدها معاوية خليفة واخوها معاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة واربأوها الوليد وسليمان وهشام خلفاء

٢٦ — مقتل الحسين بن على — على بن عبد العزيز قال : قرأ على أبو القاسم عبد الله بن سلام وأنا أسمع فسألته نروى عنك كما قرىء عليك قال نعم . قال أبو عبيد : لما مات معاوية بن سفيان وجاءت وفاته الى المدينة وعليها يومئذ الوليد بن عتبة فارسل الى الحسين بن على وعبد الله بن الزبير فدعاهما الى البيعة ليزيد . فقالا بالغداة ان شاء الله على رؤس الناس وخرجا من عنده فدعا الحسين برواحله فركبها وتوجه نحو مكة على المنهج الاكبر . وركب ابن الزبير برذونا له وأخذ طريق العرج حتى قدم مكة . ومر حسين حتى أتى على عبد الله بن مطيع وهو على بئر له فنزل عليه . فقال للحسين يا أبا عبد الله لاسقانا الله بعدك ماء طيبا أين تريد . قال العراق قال

سبحان الله لم . قال : مات معاوية وجاءني أكثر من حمل صحف . قال لا تفعل أبا عبد الله فوالله ما حفظوا أباك وكان خيراً منك فكيف يحفظونك . ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك الا استحلت . فخرج حسين حتى قدم مكة فاقام بها هو وابن الزبير . قال فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم وعزل الوليد بن عتبة . فلما استوى على المنبر رعف . فقال اعرابي مه جاءنا والله بالدم . قال : فتلقاه رجل بعمامته فقال مه عم الناس والله . ثم قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان . فقال تشعب الناس والله . ثم خرج الى مكة فقدمها قبل التروية بيوم ووفدت الناس للحسين يقولون يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانزلتهم بدارك اذ جاء المؤذن فاقام الصلاة فتقدم عمرو بن سعيد فكبر . فقيل للحسين اخرج أبا عبد الله اذ أبيت أن تتقدم . فقال الصلاة في الجماعة افضل . قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عمرو بن سعيد بلغه ان حسيناً قد خرج . فقال اطلبوه اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فعجب الناس من قوله هذا فطلبوه فلم يدركوه وأرسل عبد الله بن جعفر ابنيه عوناً ومحمداً ليردا حسيناً فابى حسين ان يرجع . وخرج ابنى عبد الله بن جعفر معه ورجع عمرو بن سعيد الى المدينة وأرسل الى ابن الزبير ليأتيه فابى ان يأتيه وامتنع ابن الزبير برجال من قريش وغيرهم من أهل مكة . قال : فارسل عمرو بن سعيد لهم جيشاً من المدينة وأمر عليهم عمرو بن الزبير اخا عبد الله بن الزبير وضرب على أهل الديوان البعث الى أهل مكة وهم كارهون للخروج . فقال اما ان تأتوني بدلاء واما ان تخرجوا . قال فبعثهم الى مكة فقاتلوا ابن الزبير فانهزم عمرو بن الزبير وأسره أخوه عبد الله فحبسه في السجن . وقد كان بعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي طالب الى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم . وكان على الكوفة حين مات معاوية فقال يا أهل الكوفة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بنت بحدل . قال فبلغ ذلك يزيد فقال يا أهل الشام أشيروا على من استعمل على الكوفة . فقالوا : ترضى من رضي به معاوية قال نعم قيل له فان الصك بامارة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتب في الديوان فاستعمله على الكوفة فقدمها قبل ان يقدم حسين . وبايع مسلم بن عقيل اكثر من ثلاثين الفاً من أهل الكوفة وخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد فجعلوا كلما انتهوا الى زقاق انسل منهم ناس حتى بقي في شرذمة قليلة . قال فجعل الناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت . فلما رأى ذلك دخل دار هانىء بن عروة المرادي وكان له شرف ورأي فقال له هاني ان لي من ابن زياد مكاناً واني سوف

أتمارض . فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه . قال فبلغ ابن زياد ان هانيء بن عروة مريض يقيء الدم وكان شرب المغرة فجعل يقيؤها فجاء ابن زياد يعوده وقال هانيء اذا قلت لكم اسقوني فاخرج اليه فاضرب عنقه يقولها لمسلم بن عقيل . فلما دخل ابن زياد وجلس . قال هانيء اسقوني فتثبطوا عليه . فقال ويحكم اسقوني ولو كان فيه نفسي . قال فخرج ابن زياد ولم يصنع الآخر شيئا قال وكان أشجع الناس ولكن أخذ بقلبه . وقيل لابن زياد ما أراده ابن هانيء فارسل اليه فقال اني شاك لا أستطيع . فقال ائتوني به وان كان شاكيا فاسرجت له دابة فركب ومعه عصا وكان أعرج فجعل يسير قليلا قليلا . ثم يقف ويقول ما أذهب الى ابن زياد حتى دخل على ابن زياد . فقال له ياهانيء اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلي قال ويدي قال بلى . فقال له هانيء قد كانت لك عندي ولابيك وقد أمنتك في نفسك ومالك . قال اخرج فخرج فتناول العصا من يده وضرب بها وجهه حتي كسر هامة قدمه فضرب عنقه . وارسل الى مسلم بن عقيل فخرج اليهم بسيفه . فمازال يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح فاسروه وأتى به ابن زياد فقدمه ليضرب عنقه . فقال له دعني حتى أوصي . فقال أوص فنظر في وجوه الناس . فقال لعمرو بن سعيد ما أرى قرشيا هنا غيرك فادن مني حتي أكلمك فدنا منه . فقال له هل لك أن تكون سيد قريش ما كانت قريش ان حسينا ومن معه وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب لهم ما أصابني . ثم ضرب عنقه فقال عمرو لابن زياد أتدري ماقال لي قال اكتم على ابن عمك . قال هو اعظم من ذلك قال وما هو قال قال لي ان حسينا اقبل وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامرأة فارددهم واكتب اليه بما أصابني . فقال له ابن زياد أما والله اذ دللت عليه لايقاتله أحد غيرك . قال فبعث معه جيشا وقد جاء حسينا الخبر وهم بشراف فهم بان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل . فقالوا ترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به . فقال الحسين لبعض أصحابه والله مالي على هؤلاء من صبر قال فلقيه الجيش على خيولهم وقد نزلوا بكربلاء . فقال حسين أي أرض هذه قالوا كربلاء . قال أرض كرب وبلاء واحاطت بهم الخيل . فقال الحسين لعمرو بن سعيد : ياعمرو اختر مني احدى ثلاث خصال اما أن تتركني أرجع كما جئت . واما أن تسيرني الى يزيد فاضع يدي في يده . واما ان تسيرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت . فارسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد . فقال له شمر بن ذي الجوشن امكنك الله من عدوك فتسيره

لا الا ان ينزل فى حكمك فارسل اليه بذلك فقال الحسين أنا نازل على حكم ابن مرجانة والله لا افعل ذلك أبدا . قال وأبطأ عمرو عن قتاله فارسل ابن زياد الى شمر بن ذى الجوشن . وقال له ان تقدم عمرو وقاتل والا فاتركه وكن مكانه . قال وكان مع عمرو بن سعيد ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئا فتحولوا مع الحسين فقاتلوا ورأى رجل من أهل الشام عبدالله بن حسن بن على وكان من أجمل الناس فقال لاقتلن هذا الفتى . فقال له رجل ويحك ماتصنع به دعه فابي وحمل عليه فضربه بالسيف فقتله فلما أصابته الضربة . قال يا عماه قال : لبيك صوتا قل ناصره وكثر واتره وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا . على بن عبد العزيز : قال حدثني الزبير قال حدثني محمد بن الحسين . قال لما نزل عمرو بن سعيد بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثني عليه . ثم قال : قد نزل بي ماترون من الامر وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واشمازت فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء الاخنس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لاينهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله فاني لاأرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الاذلا وندما . وقتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة احدى وستين بالطف من شاطىء الفرات بموضع يدعى كربلاء . وولد لخمس ليال من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقتل وهو ابن ست وخمسين سنة وهو صابغ بالسواد قتله سنان بن أبي أنس . وأجهز عليه خولة بن يزيد الاصبحى من حمير . وحز رأسه وأتي به عبيدالله بن زياد وهو يقول

أوقر ركابى فضة وذهبا ※ أنا قتلت الملك المحجبا ※ خير عباد الله أما وأبا

فقال له عبيدالله بن زياد اذا كان خير الناس أما وأبا وخير عباد الله فلم قتلته قدموه فاضربوا عنقه فضربت عنقه . روح بن زنباع عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الحرشي : قال انى لعند يزيد بن معاوية اذ اقبل زحر بن قيس الجعفى حتى وقف بين يدى يزيد . فقال : ماوراءك يازحر فقال ابشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره قدم علينا الحسين فى سبعة عشر رجلا من أهل بيته وستين رجل من شيعته فبرزنا اليهم وسألناهم أن يستسلموا او ينزلوا على حكم الامير أو القتال فابوا الا القتال . فغدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف ماخذها من هام الرجال . فجعلوا يلوذون منا بالآكام والحفر كما يلوذ الحمام من الصقر

فلم يكن الا نحر جزور او نوم نائم حتى أتينا على آخرهم . فهاتيك أجسامهم مجزرة وهامهم مزملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح بقاع سبسب زوارهم العقبان والرخم . قال فدمعت عينا يزيد . وقال : لقد كنت أقنع من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو كنت صاحبه لتركته رحم الله أبا عبد الله وغفر له . على ابن عبد العزيز عن محمد بن الضحاك بن عثمان الخزاعى عن أبيه . قال : خرج الحسين الى الكوفة ساخطا لولاية يزيد بن معاوية فكتب يزيد الى عبيد الله بن زياد وهو واليه بالعراق انه قد بلغني ان حسينا سار الى الكوفة وقد ابتلى به زمانك بين الازمان وبلدك بين البلدان . وابتليت به من بين العمال وعنده تعتق أو تعود عبدا فقتله عبيد الله وبعث برأسه وثقله الى يزيد . فلما وضع الرأس بين يديه تمثل بقول حصين بن الحمام المزني :

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له على بن الحسين . وكان فى السبي كتاب الله اولى بك من الشعر يقول الله : «ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور» فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته . ثم قال غير هذا من كتاب الله أولى بك وبابيك . قال الله : «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» ماترون ياأهل الشام فى هؤلاء . فقال له رجل منهم لا تتخذ من كلب سوء جروا . قال النعمان بن بشير الانصارى : انظر ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم لو رآهم فى هذه الحالة فاصنعه بهم . قال : صدقت خلوا عنهم واضربوا عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج اليهم جوائز كثيرة . وقال لو كان بين ابن مرجانة وبينهم نسب ماقتلهم ثم ردهم الى المدينة . الرياشى قال أخبرني محمد بن أبي رجاء قال أخبرنى أبو معشر عن يزيد بن زياد عن محمد بن الحسين ابن على بن أبي طالب . قال : أتى بنا يزيد بن معاوية بعد ماقتل الحسين ونحن اثنا عشر غلاما . وكان اكبرنا يومئذ على بن الحسين فادخلنا عليه . وكان كل واحد منا مغلولة يده الى عنقه . فقال لنا أحرزت أنفسكم عبيد أهل العراق وما علمت بخروج أبي عبد الله ولا بقتله . أبو الحسن المدائنى عن اسحق عن اسمعيل عن سفيان عن أبي موسى عن الحسن البصرى . قال : قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته والله ما كان على الارض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم . وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله

عليه وسلم سبايا على أحقاب الابل . فلما أدخلن على يزيد قالت فاطمة ابنة الحسين يا يزيد أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا . قال بل حرائر كرام ادخلي على بنات عمك تجدين قد فعلن ما فعلت : قالت فاطمة : فدخلت اليهن فما وجدت فيهن سفيانية الا متلدمة تبكي . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه :

عيني ابكي بعبرة وعويل * واندبي ان ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علي * قد أصيبوا وخمسة لعقيل

ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت : كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعي الحسين فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم فاخذته فبكى فتركته فدنا منه . فاخذته فبكى فتركته فقال له جبريل أتحبه يا محمد . قال نعم قال : اما ان أمتك ستقتله وان شئت أريتك من تربة الارض التي يقتل بها فبسط جناحه فاراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وسلم . محمد بن خالد قال قال ابراهيم النخعي : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن لهيعة عن أبي الاسود قال : لقيت رأس الجالوت فقال ان بيني وبين داود سبعين أباوان اليهود اذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي وانه ليس بينكم وبين نبيكم الا أب واحد وقتلتم ابنه . ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : انتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة الا برصت . جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قط صغير الا هم . علي بن عبد العزيز عن الزبير عن مصعب بن عبد الله قال : حج الحسين خمسة وعشرين حجة ملبيا ماشيا . وقيل لعلي ابن الحسين : ما كان أقل ولد ابيك قال : العجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء . يحيى بن اسمعيل عن سالم ان الشعبي . قال : قيل لابن عمر ان الحسين توجه الى العراق فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة وكان غائبا عند خروجه . فقال أين تريد فقال اريد العراق واخرج اليه كتب القوم . ثم قال هذه بيعتهم وكتبهم فناشده الله ان يرجع فابى . فقال أحدثك بحديث ما حدثت به أحدا قبلك ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانكم بضعة منه . فوالله لا يليها أحد من اهل بيته أبدا وما صرفها عنكم الا لما هو خير لكم فارجع فانت تعرف غدر اهل العراق وما كان يلقي ابوك منهم فابى فاعتنقه . وقال

نستودعتك الله من قتيل . وقال الفرزدق : خرجت أريد مكة فاذا بقباب مضروبة وفساطيط فقلت لمن هذه قالوا للحسين . فعدلت اليه فسلمت عليه . فقال من أين أقبلت قلت من العراق قال كيف تركت الناس قلت القلوب معك والسيوف عليك والنصر من السماء .

٢٧ — تسمية من قتل مع الحسين بن على رضى الله عنهما — من أهل بيته

ومن أسر منهم : قال أبو عبيد حدثنا حجاج عن أبي معشر قال : قتل الحسين ابن علي وقتل معه عثمان بن على . وأبو بكر بن على . وجعفر بن علىّ . وعلى والعباس وكانت أمهم أم البنين بنت حرام الكلابية . وابراهيم بن على لام ولده . وعبد الله بن حسن . وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب . وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وثلاثة من بني هاشم فجميعهم سبعة عشر رجلا . وأسرا اثنا عشر غلاما من بني هاشم فيهم محمد بن الحسين . وعلى بن الحسين . وفاطمة بنت الحسين فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلبهم الله ملكهم . وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف : جنبني دماء أهل هذا البيت فاني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين

٢٨ — حديث الزهرى فى قتل الحسين رضى الله عنه — حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال حدثنا محمد بن موسي الحرشى قال حدثنا حماد بن عيسى الجهني عن عمر بن قيس . قال : سمعت ابن شهاب الزهري يحدث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم . قال حماد بن عيسى وحدثني به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وقالا : قال الزهرى خرجت مع قتيبة أريد المصيصة فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان واذا هو قاعد فى ايوان له واذا سماطان من الناس على باب الايوان . فاذا أراد حاجة قالها للذى يليه حتي تبلغ المسئلة باب الايوان ولا يمشي أحد بين السماطين . قال الزهرى فجئنا فقمنا على باب الايوان . فقال عبد الملك للذى عن يمينه هل بلغكم أى شيء اصبح فى بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن على . قال فسال كل واحد منهما صاحبه حتي بلغت المسئلة الباب فلم يرد أحد فيها شيا . قال الزهرى فقلت : عندي فى هذا علم

قال فرجعت المسئلة رجلا عن رجل حتى انتهت الى عبد الملك . قال فدعيت فمشيته بين المساطين . فلما انتهيت الى عبد الملك سلمت عليه فقال لى : من انت قلت انا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري . قال فعرفني بالنسب وكان عبد الملك طلابة للحديث . فقال ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي بن أبي طالب . وفي رواية على بن عبد العزيز عن ابراهيم بن عبد الله عن أبي معشر عن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن العاص عن الزهرى . انه قال : الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين ابن على . قال الزهري نعم فقلت حدثني فلان لم يسمه لنا انه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل على بن أبي طالب والحسين بن على حجر في بيت المقدس الا وجد تحته دم عبيط . قال عبد الملك صدقت حدثني الذى حدثك وإنى وإياك في هذا الحديث لغريبان . ثم قال لى ماجاءبك قلت مرابطا . قال الزم الباب فقمت عنده فاعطاني مالا كثيرا قال فاستاذنته في الخروج الى المدينة فاذن لى ومعي غلام لى ومعي مال كثير في عيبة . ففقدت العيبة فاتهمت الغلام فوعدته وتواعدته فلم يقر لى بشيء . قال فصرعته وقعدت علي صدره ووضعت مرفقي على صدره وغمزته غمزة وأنا لا أريد قتله . فمات تحتي وسقط في يدي وقدمت المدينة فسالت سعيد بن المسيب وابا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله . فكلهم قال . لا نعلم لك توبة فبلغ ذلك على بن الحسين . فقال علي به فاتيته فقصصت عليه القصة . فقال ان لذنبك توبة صم شهرين متتابعين واعتق رقبة مؤمنة واطعم ستين مسكينا ففعلت ثم خرجت أريد عبد الملك وقد بلغه أني أتلفت المال . فقمت ببابه أياما لا يؤذن لى بالدخول فجلست الى معلم لولده . وقد حذق ابن لعبد الملك عنده وهو يعلمه ما يتكلم به بين يدى أمير المؤمنين اذا دخل عليه . فقلت لمؤدبه . كم تامل من أمير المؤمنين ان يصلك به ذلك عندى ذلك على ان تكلم الصبى اذا دخل على أمير المؤمنين . فقال له سل حاجتك يقول له حاجتي ان ترضى عن الزهرى . ففعل فضحك عبد الملك وقال أين هو قال بالباب . فاذن لى فدخلت حتي اذا صرت بين يديه . قلت يا أمير المؤمنين حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

٢٩ — وقعة الحرة — أبو اليقظان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد . فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فاذا فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفنا نصيحته

فلما كان سنة ثلاث وستين قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة عاملا عليها ليزيد ابن معاوية . وأوفد على يزيد وفدا من رجال المدينة فيهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة معه ثمانية بنين له فاعطاه مائة الف . وأعطى بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم فلما قدم عبدالله بن حنظلة المدينة أتاه الناس . فقالوا : ماوراءك قال اتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد الا بني هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا فانه قد بلغنا انه أكرمك وأجازك وأعطاك قال قد فعل وماقبلت ذلك منه الا ان اتقوى به عليه أي على قتال يزيد . وحض الناس على يزيد فاجابوه . فكتب عثمان بن محمد الى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف فكتب اليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد « فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال » واني قد لبستكم فاخلقتكم ورفعتكم على رأسي ثم على عيني . ثم على فمي . ثم على بطني . والله لئن وضعتكم تحت قدمي لاطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأتركم بها أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود . فلما أتاهم كتابه حمي القوم فقدمت الانصار عبدالله بن حنظلة على انفسهم وقدمت قريش عبدالله بن مطيع ثم أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة . ومروان بن الحكم وكل من كان بها من بني أمية . وكان عبد الله بن عباس بالطائف فسال عنهم فقيل له استعملوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة على الانصار . فقال أميران هلك القوم . ولما بلغ يزيد مافعلوا أمر بقبة فضربت له خارجا عن قصره وقطع البعوث على اهل الشام فلم تمض ثالثة حتى توافت الحشود فقدم عليهم مسلم بن عقبة المرى فتوجه اليهم وقد عمد أهل المدينة فاخرجوا الى كل ماء لهم بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقا من قطران وغوروه . فارسل الله عليهم المطر فلم يستقوا شيئاً حتى وردوا المدينة قال أبو اليقظان وغيره : ان يزيد بن معاوية ولى مسلم ابن عقبة وهو قد اشتكى . فقال له ان حدث بك حدث فاستعمل حصين بن نمير فخرج حتى قدم المدينة فخرج اليه أهلها في عدة وهيئة وجموع كثيرة لم يرمثلها . فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم . فامر مسلم بن عقبة بسريره فوضع بين الصفين وهو عليه مريض وأمر مناديا ينادى قاتلوا عن أميركم أو دعوه . فجد الناس في القتال فسمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة فاذا قد اقتحم عليهم بنو حارثة أهل الشام وهم الجدر . فانهزم الناس وعبدالله بن حنظلة متساند الى بعض بنيه يغط نوما . فلما

فتح عينيه فرأى ماصنعوا امرأ كبر بنيه فتقدم حتى قتل . فلم يزل يقدم واحدا واحدا حتى أتي على آخرهم . ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل : ودخل مسلم بن عقبة المدينة : وتغلب على أهلها ثم دعاهم الى البيعة على انهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم واهليهم فبايعوا حتى أتي بعبد الله بن زمعة . فقال له بايع على انك خول لامير المؤمنين يحكم في مالك ودمك واهلك قال : لا أبايع الا على اني ابن عم امير المؤمنين يحكم في دمي ومالي واهلي : فقال مسلم بن عقبة اضربوا عنقه . فوثب مروان بن الحكم فضمه اليه . وقال نبايعك على ما أحببت فقال لا والله لا أقبلها اياه ابدا ان تنحي والا فاقتلوها جميعا . فتركه مروان وضرب عنقه وهرب عبد الله بن مطيع حتى لحق بمكة . فكان بها حتي قتل مع عبد الله بن الزبير في ايام عبد الملك بن مروان وجعل يقاتل اهل الشام وهو يقول :

انا الذى فررت يوم الحره * والشيخ لا يفر الامره
فاليوم اجزي كرة بفره * لاباس بالكرة بعد الفره

ا وعقيل الزرقي قال : سمعت أبا نضرة يحدث . قال دخل ابو سعيد الخدرى يوم الحرة في غار فدخل عليه رجل من أهل الشام وفى عنق أبي سعيد السيف . فوضع أبو سعيد السيف وقال بؤ باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فقال ابو سعيد الخدرى انت قال نعم قال فاستغفرلى . قال غفر الله لك . وأمر مسلم بن عقبة بقتل معقل بن سنان الاشجعي صبرا . ومحمد بن أبي حذيفة صبرا . ومحمد بن الجهم صبرا . وكان جميع من قتل يوم الحرة من قريش والانصار ثلثمائة رجل وستة رجال . ومن الموالى وغيرهم أضعاف هؤلاء . وبعث مسلم بن عقبة برؤس اهل المدينة الى يزيد . فلما ألقيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم احد :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل
لاهلوا واستهلوا فرحا * ولقالوا ليزيد لا فشل

فقال له رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتددت عن الاسلام يا أمير المؤمنين قال بلى نستغفر الله قال والله لا ساكنتك أرضا أبدا وخرج عنه . ولما انقضى أمر الحرة توجه مسلم بن عقبة بمن معه من اهل الشام الى مكة يريد ابن الزبير وهو ثقيل . فلما كان بالابواء حضره أجله فدعا حصين بن نمير فقال له اني أرسلت اليك فلا أدرى اقدمك على هذا الجيش أم اقدمك فاضرب عنقك . قال اصلحك الله انا سهمك فارم بي حيث شئت . قال انك اعرابي جلف جاف

وان هذا الحي من قريش لم يمكنهم أحد قط من اذنه الا غلبوه على رأيه . فسر بهذا الجيش فاذا لقيت القوم فاياك أن تمكنهم اذنك . لا يكن الا على الوقاف . ثم الثقاف ثم الانصراف . ومات مسلم بن عقبة لا رحمه الله ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك فلم يزل محاصرا لاهل مكة حتى مات يزيد لا رحمه الله . وذلك خمسون يوما ونصب المجانيق على الكعبة وحرقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . وفيها مات يزيد بن معاوية بحوارين

٣٠ — وفاة يزيد بن معاوية — مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص . وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الاول . وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبي . ومات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما

٣١ — خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية — واستخلف معاوية بن يزيد بن معاوية في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين وهو ابن احدى وعشرين سنة . ومات بعد أبيه باربعين يوما ولم يزل مريضا طول ولايته لا يخرج من بيته . فلما حضرته الوفاة قيل له لو عهدت الى رجل من أهل بيتك واستخلفت خليفة . قال لم أنتفع بها حيا فلا أقلدها ميتا لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرع مرارتها . ولكن اذا مت فليصل علي الوليد بن عقبة وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختار الناس لانفسهم . فلما مات صلى عليه الوليد بن عقبة وصلى بالناس الضحاك بن قيس بدمشق حتى قامت دولة بني مروان

٣٢ — فتنة ابن الزبير — قال علي بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر . قال : لما مات مسلم بن عقبة سار حصين بن نمير حتى أتى مكة وابن الزبير بها فدعاهم الى الطاعة فلم يجيبوه فقاتلهم وقاتله ابن الزبير فقتل المنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من اخوته . ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف . والمسور بن مخرمة . وكان حصين بن نمير قد نصب المجانيق على أبي قبيس وعلى قعيقعان . فلم يكن احد يقدران يطوف بالبيت فاسند ابن الزبير ألواحا من ساج على البيت وألقى عليها الفرش والقطايف فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطايف كبروا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية فكلما جرح رجل من أصحابه ادخله ذلك الفسطاط . فجاء رجل من أهل الشام بنار في طرفه

حنانه فاشعلها في الفسطاط وكان يوما شديد الحر فتمزق الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض . قال ثم اقتتلوا مع أهل الشام أياما بعد حريق الكعبة . قال أبو عبيد : احترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الاول سنة أربع وستين . فجلس أهل مكة في جانب الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل والحجارة فوقعت نبلة بين يدى ابن الزبير . فقال في هذه خبر فاخذها فوجد فيها مكتوبا مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لاربع عشرة خلت من ربيع الاول . فلما قرأ ذلك قال يا أهل الشام يا أعداء الله ومحرقي بيت الله علام تقاتلون وقد مات طاغيتكم . فقال حصين بن نمير موعدك البطحاء الليلة أبا بكر . فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج حصين باصحابه الى البطحاء ثم ترك كل واحد منهما أصحابه وانفردا فنزلا . فقال حصين يا أبا بكر أنا سيد أهل الشام لا أدافع وأرى أهل الحجاز قد رضوا بك فتعال أبايعك الساعة ويهدر كل شيء أصبناه يوم الحرة وتخرج معي الى الشام فاني لا أحب ان يكون الملك بالحجاز . فقال لا والله لا أفعل ولا آمن من أخاف الناس وأحرق بيت الله وانتهك حرمته . قال بلى فافعل على ان لا يختلف عليك اثنان فابى ابن الزبير . فقال له حصين لعنك الله ولعن من زعم أنك سيد والله لا تفلح أبدا اركبوا يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا . أبو عبيد عن الحجاج عن أبي معشر . قال : حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير . قال غلب حصين بن نمير على مكة كلها الا الحجر . قال فوالله اني لجالس عنده ومعه نفر من القرشيين عبدالله بن مطيع والمختار بن أبي عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير أذهبت رويحة . فقال المختار والله اني لارى في هذه الرويحة النصر فاحملوا عليهم . فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مكة . وقتل المختار رجلا . وقتل ابن مطيع رجلا . ثم جاءنا علي آثر ذلك موت يزيد بعد حريق الكعبة باحدي عشرة ليلة . وانصرف حصين بن نمير واصحابه الى الشام . فوجدوا معاوية بن يزيد قد مات ولم يستخلف . وقال لا أتحملها حيا وميتا فلما مات معاوية ابن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن . وبايع أهل مصر ايضا ابن الزبير واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهرى على اهل الشام . فلما رأي ذلك رجال بني أمية وناس من أشراف اهل الشام ووجوههم . منهم روح بن زنباع وغيره قال بعضهم لبعض ان الملك كان فينا اهل الشام فانتقل عنا الى الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تاخذوا رجلا منا فينظر في هذا الامر . فقال استخيروا الله قال فرأي القوم انه غلام حدث السن

فخرجوا من عنده وقالوا هذا حدث فاتوا عمرو بن سعيد بن العاص . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حديثا . فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاوية . فقالوا له ارفع رأسك لهذا الامر فرأوه حريصا على هذا الامر . فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديث . فاتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذاهم يسمعون صوته بالقرآن فاستاذنوا ودخلوا عليه . فقالوا : ياأباعبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر . فقال استخيروا والله واسالوه أن يختار لامة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها . فقال له روح بن زنباع : ان معى أربعمائة من جذام فانا آمرهم ان يتقدموا فى المسجد غدا ومر ابنك عبد العزيز ان يخطب الناس ويدعوهم اليه . فاذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد صدقت صدقت . فيظن الناس ان أمرهم واحد . فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال ما احد أولى بهذا الامر من مروان كبير قريش وسيدها والذى نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر . فقال الجذاميون . صدقت صدقت . فقال خالد بن يزيد أمر دبر بليل فبايعوا مروان بن الحكم ثم كان من أمره مع الضحاك بن قيس بمرج راهط ماسياتى ذكره بعد هذا فى دولة بني مروان

٣٣ — دولة بني مروان ووقعة مرج راهط — أبو الحسن قال لما مات معاوية ابن يزيد اختلف الناس بالشام . فكان أول من خالف من امراء الاجناد النعمان بن بشير الانصارى . وكان على حمص فدعا لابن الزبير فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابي وهو بقنسرين فدعا الى ابن الزبير أيضا بدمشق سرا ولم يظهر ذلك لمن بها من بنى أمية وكلب وبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وهو بفلسطين . فقال لروح بن زنباع : انى أري امراء الاجناد يبايعون لابن الزبير . وابناء قيس بالاردن كثير وهم قومي فانا خارج اليها وأقم أنت بفلسطين فان جل اهلها قومك من لخم وجذام . فان خالفك احد فقاتله بهم فقام روح بفلسطين وخرج حسان الى الاردن . فقام نائل بن قيس الجذامى . فدعا الى ابن الزبير واخرج روح بن زنباع من فلسطين ولحق بحسان بالاردن فقال حسان : ياأهل الاردن قد علمتم ان ابن الزبير فى شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين فانظروا رجلا من بني حرب فبايعوه . فقالوا : اختر لنا من شئت من بني حرب وجنبنا هذين الرجلين الغلامين عبد الله وخالد ابنى يزيد بن معاوية فانا نكره ان يدعو الناس الى شيخ . ونحن ندعو الى صبي . وكان هوى حسان فى خالد بن يزيد

وكان ابن أخته فلمـارموه بهذا الكلام أمسك . وكتب الى الضحاك بن قيس كتابا يعظم فيه بني أمية وبلاءهم عنده ويذم ابن الزبير ويذكر خلافه للجماعة . وقال لرسوله اقرأ الكتاب على الضحاك بمحضر بني أمية وجماعة الناس . فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس فصاروا فرقتين . فصارت اليمانية مع بنى أمية والقيسية زبيرية . ثم اجتلدوا بالنعال ومشي بعضهم الى بعض بالسيوف حتي حجز بينهم خالد بن يزيد . ودخل الضحاك دار الامارة فلم يخرج ثلاثة أيام وقدم عبيد الله بن زياد فكان مع بني أمية بدمشق فخرج الضحاك بن قيس الى المرج مرج راهط فعسكر فيه وأرسل الى أمراء الاجناد فاتوه الا ما كان من كلب . ودعا مروان الى نفسه فبايعته بنو أمية وكلب وغسان والسكاسك وطى . فعسكر فى خمسة آلاف . وأقبل عباد بن يزيد من حوران في الفين من مواليه وغيرهم من بنى كلب . فلحق بمروان وغلب يزيد بن ابى أنيس على دمشق فاخرج منها عامل الضحاك وأمد مروان برجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك الى أمراء الاجناد فقدم عليه زفر بن الحرث من قنسرين وأمده النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذى الكلاع في أهل حمص . فتوافوا عند الضحاك بمرج راهط . فكان الضحاك فى ستين الفا ومروان فى ثلاثة عشر الفا أكثرهم رجالة . وأكثر أصحاب الضحاك ركبان فاقتتلوا بالمرج عشرين يوما وصبر الفريقان : وكان على ميمنة الضحاك زياد بن الضحاك العقيلى وعلى ميسرته بكر بن أبي بشير الهلالى . فقال عبيد الله بن زياد لمروان : انك على حق وابن الزبير ومن دعا اليه على الباطل وهم أكثر منا عدداً وعدداً ومع الضحاك فرسان قيس . واعلم انك لا تنال منهم ما تريد الا بمكيدة . وانما الحرب خدعة فادعهم الى الموادعة فاذا أمنوا وكفوا عن القتال فكر عليهم . فارسل مروان بشيراً الى الضحاك يدعوه الى الموادعة ووضع الحرب حتي تنظر فاصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن القتال وهم يطمعون ان يبايع مروان لابن الزبير . وقد أعد مروان أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه الا والخيل قد شدت عليهم ففزع الناس الى راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيل . فنادي الناس أبا أنيس ، أعجز بعد كيس . وكنية الضحاك — ابو انيس — فاقتتل الناس ولزم الناس راياتهم فترجل مروان . وقال قبح الله من ولاهم اليوم ظهره حتى يكون الامر لاحدي الطائفتين . فقتل الضحاك بن قيس وصبرت قيس عند راياتها يقاتلون فنظر رجل من بنى عقيل الى ما تاتي قيس عند راياتها من القتل . فقال اللهم العنها من رايات واعترضها بسيفه . فجعل يقطعها فاذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزم الناس

فنادى منادى مروان لا تتبعوا من ولا كم اليوم ظهره فزعموا أن رجالا من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا جزعا على من أصيب من فرسان قيس يومئذ . فقتل من قيس يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء ثمانون رجلا وقتل من بني سليم ستمائة : وقتل لمروان ابن يقال له عبد العزيز وشهد مع الضحاك يوم مرج راهط عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان . فلما انهزم الناس قال له عبيد الله بن زياد : ارتدف خلفي فارتدف فاراد عمرو بن سعيد ان يقتله . فقال له عبيد الله بن زياد ألا تكف يا لطيم الشيطان . وقال زفر بن الحرث وقد قتل ابناه يوم المرج :

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط * لمروان صدعا بيننا متباينا
فلم يرمني زلة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
أيذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
أنترك كلبا لم تنلها رماحنا * وتذهب قتلى راهط وهي ماهيا
وقد تنبت الخضرة في دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
فلا صلح حتى تدعس الخيل بالقنا * وتثأر من أبناء كلب نسائيا

فلما قتل الضحاك وانهزم الناس . نادى مروان أن لا يتبع أحد . ثم أقبل الى دمشق قد خلها ونزل دار معاوية بن أبي سفيان دار الامارة . ثم جاءته بيعة الاجناد فقال له اصحابه : انا لا نتخوف عليك الا خالد بن يزيد فتزوج امه فانك تكسره بذلك . وأمه ابنة هاشم ابن عتبة بن ربيعة فتزوجها مروان . فلما أراد الخروج الى مصر قال لخالد أعرني سلاحا ان كان عندك فاعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل أهلها وسبى بها ناسا كثيرا فافتدوا منه . ثم قدم الشام فقال له خالد بن يزيد ردد على سلاحي فابى عليه فالح عليه خالد . فقال له مروان وكان فحاشا : يا ابن رطبة الاست . قال فدخل الى أمه فبكى عندها وشكا اليها ما قاله مروان على رؤس أهل الشام . فقالت له : لا عليك فانه لا يعود اليك بمثلها . فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياما ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها فامرت جوار يها فطرحن عليه الشواذك . ثم غطته حتى قتلته . ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن يا أمير المؤمنين . يا أمير المؤمنين . ثم قام عبد الملك بالامر بعده . فقال لفاختة أم خالد والله لولا أن يقول الناس اني قتلت بابي امرأة لقتلتك بامير المؤمنين . وولد مروان ابن الحكم بن العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . ومات بالشام لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك

ابن مروان . وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوما . وكان على شرطته يحي بن قيس الشيباني . وكاتبه سرحون بن منصور الرومى . وحاجبه أبو سهل الاسود مولاه

٣٤ — ولاية عبد الملك بن مروان — هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ويكنى أبا الوليد . و يقال له أبو الاملاك وذلك انه ولى الخلافة أربع من ولده الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكان تدمى لثته فيقع عليها الذباب . فكان يلقب أبا الذباب . أمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العاص بن أمية . وله يقول أبو قيس الرقيات :

أنت ابن عائشة التى * فضلت أروم نسائها
لم تلتفت للداتها * ومشت على غلوائها
ولدت أغر مباركا * كالشمس وسط سمائها

و بويع عبد الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين . ومات بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين سنة . فصلى عليه الوليد ابن عبد الملك وولد عبد الملك بالمدينة سنة ثلاث وعشرين . و يقال سنة ست وعشرين و يقال ولد لسبعة أشهر . وكان على شرطته ابن أبي كبشة السكسكى ثم أبو نائل بن رباح ابن عبيدة الغساني . ثم عبد الله بن يزيد الحكمى . وعلى حرسه الريان . وكاتبه على الخراج والجند سرحون بن منصور الرومي . وكاتبه على الرسائل ابو زرعة مولاه . وعلى الخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى بيوت الاموال والخزائن رجاء بن حيوة . وحاجبه ابو يوسف مولاه . وكانت ولايته منذ اجتمع عليه ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر . ودفن خارج باب المدينة . وفي ايام عبد الملك حولت الدواوين الى العربية عن الرومية والفارسية حولها من الرومية سليمان بن سعيد مولى حسين . وحولها عن الفارسية صالح ابن عبد الرحمن مولى عتبة امرأة من بنى مرة . و يقال حولت في زمن الوليد ابن وهب عن ابن لهيعة قال : كان معاوية فرض للموالى خمسة عشر فبلغهم عبد الملك عشرين . ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين . ثم قام هشام فاتم للابناء منهم ثلاثين . وكتب عبد الله بن عمر الى عبد الملك ابن مروان ببيعته لما قتل ابن الزبير . وكان كتابه اليه يقول : لعبد الملك بن مروان من عبد الله ابن عمر . سلام عليك فانى أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبيعة نافع مولاى على مثل ما بايعتك عليه . وكتب محمد بن الحنفية ببيعته لما قتل ابن

الزبير وكان في كتابه : انى اعتزلت الامة عند اختلافها فقعدت فى البلد الحرام الذى من دخله كان آمنا لاحرز ديني وأمنع دمى وتركت الناس « قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » . وقد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن عصابة من امتنا لا نفارق الجماعة . وقد بعثت اليك منا رسولا ليأخذ لنا منك ميثاقا . ونحن أحق بذلك منك فان أبيت فارض الله واسعة والعاقبة للمتقين . فكتب اليه عبد الملك : قد بلغني كتابك بما سألته من الميثاق لك وللعصابة التى معك فلك عهد الله وميثاقه ان لا تهاج في سلطاننا غائبا ولا شاهدا ولا أحد من أصحابك ما وفوا ببيعتهم . فان أحببت المقام بالحجاز فاقم فلن ندع صلتك وبرك وان أحببت المقام عندنا فاشخص الينا فلن ندع مواساتك . ولعمرى لئن ألجاتك الى الذهاب فى الارض خائفا لقد ظلمناك وقطعنا رحمك فاخرج الى الحجاج فبايع فانك أنت المحمود عندنا دينا ورأيا وخير من ابن الزبير وأرضى واتقى . وكتب الى الحجاج بن يوسف : لا تعرض لمحمد ولا لاحد من أصحابه . وكان فى كتابه جنبني دماء بني عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب . وانى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على . فلم يتعرض الحجاج لاحد من الطالبيين فى أيامه أبو الحسن المدايني قال : كان يقال معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم . وخطب الناس عبد الملك فقال : أيها الناس انى والله ما أنا بالخليفة المستضعف — يريد عثمان بن عفان — ولا بالخليفة المداهن — يريد معاوية بن أبى سفيان — ولا بالخليفة المأفون — يريد يزيد بن معاوية — فمن قال برأسه كذا قلنا بسيفنا كذا ثم نزل : وخطب عبد الملك على المنبر فقال : ايها الناس ان الله حد حدودا وفرض فروضا فما زلتم تزدادون فى الذنب نزداد فى العقوبة حتى اجتمعنا نحن وانتم عند السيف . ابو الحسن المدايني قال : قدم عمر بن على ابن أبى طالب على عبد الملك . فسأله ان يصير اليه صدقة على فقال عبد الملك متمثلا بابيات ابن أبى الحقيق :

انى اذا مالت دواعي الهوي * وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بآرائهم * نقضى بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقا ولا * نرضي بدون الحق للباطل

لا . لعمرى لا نخرجها من ولد الحسين اليك . وأمر له بصلة فخرج وهو يقول :

فلست بقاتل رجلا يصلى * على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى اثمى * معاذ الله عن سفه وطيش

وقال أيمن بن خريم أيضا :

ان للفتنــة هيطا بينــا ❊ فرويد الميل منها يعتدل

فاذا كان عطاء فانتهز ❊ واذا كان قتالا فاعتزل

انمــا يو قــدها فرساننا ❊ حطب النار فدعها تشتعل

وقال زفر بن الحرث لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذى نصرك على كره من المؤمنـين . فقال أبو زعزعة : ما كره ذلك الا كافر . فقال زفر : كذبت قال الله لنبيه : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون » : وبعث عبد الملك بن مروان الى المدينة حبيش بن دلجة القيسي في سبعة آلاف فدخل المدينة وجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بخبز ولحم فاكل . ثم دعا بماء فتوضا على المنبر . ثم دعا جابر بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال تبايع لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بعهد الله عليك وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه في الوفاء فان خنتنا فهراق الله دمك على ضلالة . قال انت أطوق لذلك مني . ولكن أبايعه على ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة . ثم خرج ابن دلجة من يومه ذلك الى الربذة . وقدم على أثره من الشام رجلان مع كل واحد منهما جيش . ثم اجتمعوا جميعا في الربذة وذلك في رمضان سنة خمس وستين وأميرهم ابن دلجة . وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدى بالمدينة ان يسير الى حبيش بن دلجة فسار حتي لقيه بالربذه . وبعث الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وهو عامل ابن الزبير على البصرة مددا الى عباس بن سهل بن حنيف بن السجف في تسعمائة من أهل البصرة . فساروا حتى انتهوا الى الربذة . فبات أهل البصرة وأهل المدينة يقرؤن القرآن ويصلون وبات اهل الشام في المعازف والخمور . فلما أصبحوا غدوا على القتال فقتل حبيش بن دلجة ومن معه فتحصن منهم خمسمائة رجل من اهل الشام على عمود الربذة وهو الجبل الذى عليها . وفيهم يوسف أبو الحجاج فاحاط بهم عباس بن سهل فطلبوا الامان . فقال انزلوا على حكمي فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم أجمعين . ثم رجع عباس بن سهل الى المدينة . وبعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عاملا على البصرة فاستضعفه القوم . فبعث أخاه مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال : يا أهل البصرة بلغني انه لا يقدم عليكم امير الا لقبتموه واني القب لكم نفسى انا القصاب

٣٥ — خبر المختار بن أبي عبيد — ثم أرسل عبد الله بن الزبير ابراهيم ابن محمد بن طلحة أميرا علي الكوفة . ثم عزله وأرسل المختار بن أبى عبيد وأرسل عبد الملك عبيد الله بن زياد الى الكوفة فبلغ المختار اقبال عبيد الله بن زياد فوجه اليهم ابراهيم بن الاشتر فى جيش فالتقوا بالجازر . وقتل عبيد الله بن زياد وحصين بن نمير وذو الكلاع وعامة من كان معهم . وبعث برؤسهم الى عبد الله بن الزبير . أبو بكر بن ابى شيبة قال حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي الجويرية الحرمى . قال : كنت فيمن سار الى أهل الشام يوم الجازر مع ابراهيم بن الاشتر فلقيناهم بالزاب . فهبت الريح لنا عليهم فادبروا فقتلناهم عشيتنا وليلتنا حتي أصبحوا . فقال ابراهيم : انى قتلت البارحة رجلا فوجدت عليه ريح طيب فالتمسوه فما أراه الا ابن مرجانة فانطلقنا فاذا هو والله معكوس فى بطن الوادي . ولما التقى عبيد الله بن زياد وابراهيم بن الاشتر بالزاب . قال : من هذا الذى يقاتلني . قيل له ابراهيم بن الاشتر . قال لقد تركته أمس صبيا يلعب بالحمام . قال ولما قتل ابن زياد بعث المختار برأسه الى على بن الحسين بالمدينة . قال الرسول فقدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى . قال فلما رآه قال سبحان الله ما اغتر بالدنيا الا من ليس لله فى عنقه نعمة لقد أدخل رأس أبى عبد الله على ابن زياد وهو يتغدي . وقال يزيد بن معن :

ان الذي عاش ختّارا بذمته * ومات عبدا قتيل الله بالزاب

ثم ان المختار كتب كتابا الى ابن الزبير . وقال لرسوله اذا جئت مكة فدفعت كتابي الى ابن الزبير فائت المهدى يعنى محمد بن الحنفية فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك أبو اسحق اني أحبك وأحب أهل بيتك قال فاتاه . فقال له ذلك فقال : كذبت وكذب أبو اسحق وكيف يحبني ويحب أهل بيتى وهو يجلس عمرو بن سعيد على وسائده وقد قتل الحسين . فلما قدم عليه رسوله وأخبره . قال المختار لابي عمرو صاحب حرسه استاجر لى نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعيد ففعل . فلما بكين قال عمرو لابنه حفص : يابني ائت الامير فقل له ما بال النوائح يبكين الحسين على بابى . فاتاه فقال له ذلك . فقال : انه أهل ان يبكى عليه . فقال أصلحك الله انههن عن ذلك قال نعم . ثم دعا أبا عمرو صاحب حرسه فقال له اذهب الى عمرو بن سعيد فائتني برأسه فاتاه . فقال له قم الى أبا حفص فقام اليه وهو ملتحف بملحفة فجلله بالسيف فقتله وجاء برأسه الى المختار . ثم قال ائتونى با بن مرجانة . فلما حضره قال أتعرف هذا قال نعم رحمه الله . قال : أتحب ان

نلحقك به . قال : لا خير في العيش بعده . فامر به فضرب عنقه : ثم ان المختار لما قتل ابن مرجانة . وعمرو بن سعيد جعل يتتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم اجمعين . وامر الحسينية وهم الشيعة أن يطوفوا في ازقة المدينة بالليل ويقولوا يا ثارات الحسين . فلما أفناهم ودانت له العراق ولم يكن صادق النية ولا صحيح المذهب وانما أراد ان يستاصل الناس . فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته فادعى ان جبريل ينزل عليه ويانيه بالوحي من الله . وكتب الى أهل البصرة بلغني انكم تكذبوني وتكذبون رسلي : وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم . فلما انتشر ذلك عنه كتب أهل الكوفة الى ابن الزبير وهو بالبصرة فخرج اليه وبرز اليه المختار فاسلمه ابراهيم بن الاشتر ووجوه اهل الكوفة . فقتله مصعب وقتل اصحابه . ابوبكر بن ابي شيبة قال : قيل لعبدالله بن عمر ان المختار لزعم انه يوحى اليه قال صدق الشياطين يوحون الى أوليائهم . وقتل مصعب من اصحاب المختار ثلاثة آلاف : ثم حج في سنة احدى وسبعين فقدم على اخيه عبدالله بن الزبير ومعه وجوه اهل العراق . فقال : ياامير المؤمنين قد جئتك بوجوه اهل العراق . ولم ادع لهم نظيرا فاعطهم من المال . قال جئتني بعبيد اهل العراق لاعطيهم من مال الله . وددت ان لي بكل عشرة لي منهم رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . فلما انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق . وقد حرمهم عبدالله بن الزبير ماعنده فسدت قلوبهم فراسلوا عبدالملك بن مروان حتى خرج الى مصعب فقتله . على بن عبد العزيز عن حجاج عن أبي معشر . قال : لما بعث مصعب برأس المختار الى عبدالله بن الزبير فوضع بين يديه . قال مامن شيء حدثنيه كعب الاحبار الاقد رأيته غير هذا فانه قال لي يقتلك شاب من ثقيف فاراني قد قتلته . وقال محمد بن سيرين : لما بلغه هذا الحديث لم يعلم ابن الزبير ان أبا محمد قد خبىء له . ولما قتل مصعب المختار بن ابي عبيد ودانت له العراق كلها الكوفة والبصرة . قال فيه عبدالله بن قيس الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما * تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن حزام العقيلة العذراء
انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وتزوج مصعب لما ملك العراق عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ولم يكن لهما نظير في

زمانهما . وقتل مصعب امرأة المختار وهي ابنة النعمان بن بشير الانصاري . فقال فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

ان من أعظم المصائب عندي * قتل حوراء غادة عيطبول
قتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

٣٦ — مقتل عمرو بن سعيد الاشدق — أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر قال قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يعطهم شيا أبغضوا ابن الزبير . وكاتبوا عبد الملك بن مروان فخرج يريد مصعب بن الزبير . فلما أخذ في جهازه وأراد الخروج أقبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية في جواريها وقد تزينت بالحلي . فقالت يا أمير المؤمنين لو قعدت في ظلال ملكك ووجهت اليه كلبا من كلابك لكفاك أمره . فقال هيهات أما سمعت قول الاول :

قوم اذا ما غزوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فلما أبي عليها وعزم بكت وبكى معها جواريها . فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي ربيعة كانه ينظر الينا حيث يقول :

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه * بكت فبكى مما دهاها قطينها

ثم خرج يريد مصعب . فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو ابن سعيد دمشق وخالف عليه . قيل له : ماتصنع أتريد العراق وتدع دمشق أهل الشام أشد عليك من أهل العراق . فرجع مكانه فحاصر أهل دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده وان له مع كل عامل عاملا ففتح له دمشق وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد . فارسل اليه عبد الملك ان أخرج للحرس أرزاقهم . فقال اذا كان لك حرس فان لنا حرسا أيضا . فقال عبد الملك ، اخرج لحرسك أيضا أرزاقهم . فلما كان يوم من الايام أرسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف النهار ان ائتني أبا أمية حتي أدبر معك أمورا . فقالت له امرأته : يا أبا أمية لا تذهب اليه فانني أتخوف عليك منه . فقال أبو الذباب والله لو كنت نائما ما أيقظني . قالت والله ما آمنه عليك واني لا جد ريح دم مسفوح . فمازالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فخرج وخرج معه أربعة

آلاف من أبطال أهل الشام الذين لايقدر على مثلهم مسلحين فاحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك . فقالوا : يا أبا أمية ان رابك ريب فاسمعنا صوتك . قال فدخل فجعلوا يصيحون أبا أمية أسمعنا صوتك . وكان معه غلام أسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه باس . فقال له عبد الملك : أمكرا عند الموت أبا أمية خذوه فاخذوه . فقال له عبد الملك اني أقسمت ان أمكنني منك يد أن اجعل في عنقك جامعة وهذه جامعة من فضة أريد أن أبر بها قسمى . قال فطرح فى رقبته الجامعة ثم نتره الى الارض بيده فانكسرت ثنيته فجعل عبد الملك ينظر اليه . فقال عمرو : لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر . قال وجاء المؤذنون فقالوا الصلاة يا أمير المؤمنين لصلاة الظهر . فقال لعبد العزيز بن مروان اقتله حتي أرجع اليك من الصلاة فلما أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه . قال له عمرو نشدتك بالرحم يا عبد العزيز أن لا تقتلني من بينهم فجاء عبد الملك فرآه جالسا : فقال مالك لم تقتله لعنك الله ولعن أما ولدتك . ثم قال قدموه الى فاخذ الحربة بيده . فقال فعلتها يا ابن الزرقاء . فقال له عبد الملك : انى لو علمت انك تبقى ويصلح لى ملكي لفديتك بدم الناظر . ولكن قلما اجتمع فحلان فى ذود الاعدا أحدهما على الآخر . ثم رفع اليه الحربة فقتله وقعد عبد الملك يرعد ثم أمر به فادرج فى بساط وأدخل تحت السرير . وأرسل الى قبيصة بن ذؤيب الخزاعي فدخل عليه . فقال كيف رأيك فى عمرو بن سعيد الاشدق . قال وأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير . فقال اضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جزاك الله خيرا ما علمت انك لموفق . قال قبيصة اطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها ففعل وافترق الناس . وهرب يحيي بن سعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزبير بمكة فكان معه . وأرسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد الى رجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه اذا ضاق عليه الامر . فقال له : ماترى ما كان من فعلى بعمرو بن سعيد . قال أمر قد فات دركه قال لتقولن قال حزم لو قتلته وحييت أنت . قال أولست بحى قال : هيهات ليس بحى من أوقف نفسه موقفا لا يوثق منه بعهد ولا عقد . قال : كلام لو تقدم سماعه فعلى لامسكت . ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان عبد الملك بن مروان قتل لطيم الشيطان « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »

٣٧ — مقتل مصعب بن الزبير — فلما استقرت البيعة لعبد الملك بن مروان أراد الخروج الى مصعب بن الزبير فجعل يستنفر أهل الشام فيبطؤن عليه . فقال له الحجاج بن يوسف سلطني عليهم فوالله لاخرجنهم معك . قال له . قد سلطتك عليهم . فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج الا احرق عليه داره . فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا وسار عبد الملك حتى دنا من العراق . وخرج مصعب باهل البصرة والكوفة فالتقوا بين الشام والعراق . وقد كان عبد الملك كتب كتبا الى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها الى نفسه ويجعل لهم الاموال . وكتب الى ابراهيم بن الاشتر بمثل ذلك على ان يخذلوا مصعبا اذا التقوا . فقال ابراهيم ابن الاشتر لمصعب : ان عبد الملك قد كتب الي هذا الكتاب . وقد كتب الى أصحابي بمثل ذلك فادعهم الساعة فاضرب اعناقهم . قال . ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي أمرهم . قال فاخرى . قال ماهي قال : احبسهم حتى يستبين لك ذلك . قال ما كنت لافعل قال فعليك السلام والله لا تراني بعد في مجلسك هذا أبدا . وقد كان قال له دعني ادعو أهل الكوفة بما شرطه الله فقال لا والله قاتلتهم أمس واستنصر بهم اليوم قال فما هو الا ان التقوا فحولوا وجوههم وصاروا الى عبد الملك و بقي مصعب في شرذمة قليلة . فجاءه عبيد الله بن ظبيان وكان مع مصعب . فقال أين الناس أيها الامير . فقال قد غدرتم يا أهل العراق . فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعبا فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة فنشب السيف في البيضة . فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعبا بالسيف فقتله . ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك بن مروان وهو يقول :

نطيع ملوك الارض ما اقسطوا لنا ☼ وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فلما نظر عبد الملك الى رأس مصعب خر ساجدا . فقال عبيد الله بن ظبيان وكان من فتاك العرب . ماندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك بن مروان اذ اتيته برأس مصعب فخر ساجدا ان لا أكون ضربت عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد . وقال في ذلك عبيد الله بن ظبيان :

هممت ولم افعل وكدت وليتني ☼ فعلت فادمنت البكا لاقاربه

فاوردتها في النار بكر بن وائل ☼ والحقت من قد خر شكرا بصاحبه

الرياشي عن الاصمعي قال : لما أتي عبد الملك برأس مصعب بن الزبير نظر اليه مليا . ثم قال متى تلد قريش مثلك . وقال هـذا سيد شباب قريش . وقيل لعبد الملك : وكان مصعب يشرب الطلاء . فقال : لو علم مصعب ان الماء يفسد مروأته لما شربه . ولما قتل مصعب دخل الناس على عبد الملك يهنؤنه ودخل معهم شاعر فانشـده :

الله اعطاك التى لافوقها * وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويابى الله الاسوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فامر له بعشرة آلاف درهم . وقالوا : كان مصعب . أجـل الناس ، واسخي الناس ، واشجع الناس ، وكان تحته عقيلتا قريش عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . ولما قتل مصعب خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينة فاطاف بهـا أهل العراق . وقالوا أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله . فقالت : لاجزاكم الله عني خيرا ولا اخلف عليكم بخير من أهل بلد قتلتم أبي وجدى وعمى وزوجى أيتمتمونى صغيرة وارملتمونى كبيرة . ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل مصعب صعد المنبر فجلس عليه . ثم سكت فجعل لونه يحمر مرة ويصفر مرة . فقال رجل من قريش لرجل الى جنبه ماله لا يتكلم فوالله انه للخطيب اللبيب . فقال له الرجل لعله يريد ان يذكر مقتل سيد العرب فيشتد ذلك عليه وغير ملوم . ثم تكلم فقال : الحمد لله الذي له الخلق والامر ، والدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء . اما بعد فانه لم يعز من كان الباطل معه ولو كان معه الانام طرا . ولم يذل من كان الحق معه ولو كان فردا . الا وان خبرا من العراق أتانا فاحزننا وافرحنا فاما الذى احزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ثم يرعوى ذووا الالباب الى الصبر وكريم الاجر . وأما الذى افرحنا فان قتل مصعب له شهادة ولنا ذخيرة اسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق وباعوه باقل من الثمن الذى كانوا ياخذون منه فان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين . أما والله لا نموت جيفة كما يموت بنو مروان ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف . فان تقبل الدنيا على لم آخذها ماخذ الاشر البطر . وان تدبر عني لم ابك عليها بكاء الحزن الزائل العقل . ولما توطد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والعراقين اظهر بعض بني هاشم الطعن عليه . وذلك بعد موت الحسن والحسين . فدعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم الى بيعته . فابوا عليه فجعل يشتمهم ويتناولهم على المنبر واسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من

خطبته فعوتب في ذلك . فقال والله ما يمنعني من ذكره علانية اني لاذكره سرا وأصلي عليه ولكن رأيت هذا الحي من بني هاشم اذا سمعوا ذكره اشرأبت قلوبهم وأبغض الاشياء الى ما يسرهم . ثم قال لتبايعن أولا حرقنكم بالنار فابوا عليه فحبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم في السجن وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم . فقال في ذلك كثير عزة وكان ابن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت :

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم
سمي النبي المصطفى وابن عمه * وفكاك اغلال وقاضي مغارم

وكان أيضا يدعى المحل لاحلاله القتال في الحرم . وفي ذلك يقول رجل من الشعراء في رملة ابنة الزبير

الا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

ثم ان المختار بن أبي عبيد وجه رجالا يثق بهم من الشيعة يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم . ثم ساروا بهم الى مامنهم . وخطب عبد الله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين . فقال أيها الناس ان فيكم رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأفتى بتزويج المتعة وعبد الله بن عباس في المسجد . فقام وقال لعكرمة أقم وجهي نحوه يا عكرمة ثم قال هذا البيت :

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي فؤادي وعقلي منهما نور

وأما قولك يا ابن الزبير قاني قاتلت أم المؤمنين فانت أخرجتها وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين فكنا لها خير بنين . فتجاوز الله عنها وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان علي مؤمنا فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين وان كان كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة فاني سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فافتيت بها ثم سمعته ينهى عنها فنهيت . وأول مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزبير

٣٨ - مقتل عبد الله بن الزبير - أبو عبيدة عن حجاج عن أبي معشر قال : لما بايع الناس عبد الملك بن مروان بعد قتل مصعب بن الزبير ودخل الكوفة . قال له الحجاج اني رأيت في المنام كاني أسلخ الزبير من رأسه الى قدميه . فقال له عبد الملك : أنت له فاخرج اليه

: فخرج اليه الحجاج فى الف وخمسمائة حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا بعد رسل حتى توافى اليه الناس قدر ما يظن انه يقوي على قتال ابن الزبير . وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل مني . فحج بالناس وابن الزبير محصور . ثم نصب الحجاج المجانيق على أبى قبيس وعلى قعيقعان ونواحى مكة كلها يرى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي قتل فى صبيحتها ابن الزبير جمع ابن الزبير من كان معه من القرشيين . فقال : ما ترون فقال رجل من بني مخزوم من آل بنى ربيعة والله لقد قاتلنا معك حتي لا نجد مقيلا ولئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت وانما هى احدى خصلتين أما ان تاذن لنا فناخذ الامان لانفسنا وأما ان تاذن لنا فنخرج : فقال ابن الزبير لقد كنت عاهدت الله ان لا يبايعني أحد فاقيله بيعته الا ابن صفوان . فقال له ابن صفوان أما أنا فانى أقاتل معك حتى أموت بموتك وانها لتاخذنى الحفيظة ان أسلمك فى مثل هذه الحالة . وقال له رجل آخر : اكتب الى عبد الملك بن مروان فقال له : كيف أكتب من عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الملك بن مروان فوالله لا يقبل هذا أبدا . أم أكتب لعبد الملك ابن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب الى من ذلك : فقال عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير : ياامير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة : قال من هو قال حسن بن على خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير . وقال : ياعروة قلبي اذا مثل قلبك والله لو قبلت ما يقولون ما عشت الا قليلا وقد أخذت الدنية وان ضربة بسيف فى عز خير من لطمة فى ذل فلما أصبح دخل عليه بعض نسائه وهى أم هاشم بنت منصور بن زياد الفزارية . فقال لها اصنعي لنا طعاما فصنعت له كبدا وسناما فاخذ منهما لقمة فلاكها ثم لفظها ثم قال اسقوني لبنا فاتي بلبن فشرب منه ثم قال هيؤا لى غسلا فاغتسل ثم تحنط وتطيب . ثم نام نومة وخرج ودخل على أمه اسماء ابنة أبى بكر ذات النطاقين وهي عمياء وقد بلغت مائة سنة . فقال ياأماه ما ترين قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي . فقالت لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج فاسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتلهم ويهزمهم وهو يقول ويله ياله فتحا لو كان له رجال . فناداه الحجاج قد كان لك رجال فضيعتهم . وجعل ينظر الى أبواب المسجد والناس يهجمون عليه فيقول من هؤلاء فيقال له أهل مصر . قال قتلة عثمان فحمل عليهم وكان فيهم

رجل من أهل الشام يقال له خلبوب . فقال لاهل الشام أما تستطيعون اذا ولا كم ابن الزبير أن تأخذوه بايديكم . قالوا ويمكنك أنت ان تأخذه بيدك قال نعم قالوا فشأنك فاقبل وهو يريد أن يحتضنه وابن الزبير يرتجز ويقول * لو كان قرني واحدا كفيته * فضربه ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلبوب حس . قال ابن الزبير اصبر خلبوب . قال وجاءه حجر من حجارة المنجنيق فأصاب قفاه فسقط فاقتحم أهل الشام عليه فما فهموا قتله حتى سمعوا جارية تبكي وتقول وا أمير المؤمنيناه فحزوا رأسه وذهبوا به الى الحجاج . وقتل معه عبدالله بن صفوان وعمارة بن حزم وعبد الله بن مطيع . قال أبو معشر وبعث الحجاج برؤسهم الى المدينة فنصبوها للناس فجعلوا يقربون رأس ابن صفوان الى رأس ابن الزبير كأنه يساره ويلعبون بذلك . ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك بن مروان فخرجت أسماء الى الحجاج . فقالت له أتأذن لي ان أدفنه فقد قضيت أربك منه . قال لا ثم قال لها ماظنك برجل قتل عبد الله بن الزبير . قالت : حسيبه الله . فلما منعها ان تدفنه . قالت : أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف رجلان الكذاب والمبير فأما الكذاب فالمختار وأما المبير فانت . فقال الحجاج : اللهم مبير لا كذاب . ومن غير رواية أبي عبيد قال لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير أظلتهم سحابة فأرعدت وابرقت وأرسلت الصواعق ففزع الناس وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاج فقال : أيها الناس لا يهولنكم هذا فانى أنا الحجاج بن يوسف . وقد أصحرت لربي فلو ركبنا عظيما لحال بيننا وبينه . ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكرسي فطرح له . ثم قال يا أهل الشام قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين فكان أهل الشام اذا رموا الكعبة يرتجزون ويقولون هذا :

خطارة مثل الفنيق المزبد * يرمى بها عواذ أهل المسجد

ويقولون أيضا درى عقاب بلبن واشخاب . فلما رأي ذلك الزبير خرج اليهم بسيفه فقاتلهم حينا فناداه الحجاج ويلك يا ابن ذات النطاقين اقبل الامان وادخل فى طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء . فقال لها سمعت رحمك الله مايقول القوم ومايدعونني اليه من الامان . قالت سمعتهم لعنهم الله فما أجهلهم وأعجب منهم اذ يعيرونك بذات النطاقين . ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم فخرك عندهم . قال : وماذاك ياأماه قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره مع أبي بكر . فهيأت

لهما سفرة فطلبا شيا ير بطانها بها فما وجداه فقطعت من مئزرى لذلك ما احتاجا اليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما ان لك به نطاقين فى الجنة . فقال عبد الله : الحمد لله حمدا كثيراً فما تأمريني به فانهم قد أعطوني الامان . قالت أرى أن تموت كريما ولا تتبع فاسقا لئيما وأن يكون آخر نهارك أكرم من أوله . فقبل رأسها وودعها وضمته الي نفسها ثم خرج من عندها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ان الموت قد تغشاكم سحابه ، وأحدق بكم ربابه ، واجتمع بعد تفرق ، وأرجحن بعد تمشق ، ورجس نحوكم رعده ، وهو مفرغ عليكم ودقه ، وقاد اليكم البلايا تتبعها المنايا . فاجعلوا السيوف لها غرضا واستعينوا عليها بالصبر وتمثل بابيات ثم اقتحم يقاتل وهو يقول :

قد جد أصحابك ضرب الاعناق * وقامت الحرب لها على ساق

ثم جعل يقاتل وحده ولا يهده شيء كلما اجتمع عليه القوم فرقهم وذادهم حتى أثخن بالجراحات ولم يستطع النهوض . فدخل عليه الحجاج فدعا بالنطع فحز رأسه هو بنفسه فى داخل مسجد الكعبة لا رحم الله الحجاج . ثم بعث برأسه الى عبد الملك بن مروان . وقتل من أصحابه من ظفر به ثم أقبل فاستأذن على أمه أسماء بنت أبي بكر ليعزيها فاذنت له . فقالت له يا حجاج قتلت عبد الله . قال يا ابنة أبي بكر انى قاتل الملحدين قالت بل أنت قاتل المؤمنين الموحدين . قال لها كيف رأيت ماصنعت بابنك . قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ولا ضيران أكرمه الله على يديك فقد أهدى رأس يحيي بن زكريا الى بغى من بغايا بنى اسرائيل . هشام بن عروة عن أبيه قال : كان عثمان استخلف عبد الله بن الزبير على الدار يوم الدار فبذلك ادعى ابن الزبير الخلافة . محمد بن سعيد قال : لما نصب الحجاج راية الامام وتصرم الناس عن ابن الزبير . قال لعبد الله ابن صفوان قد أقلتك بيعتى وجعلتك فى سعة تتخذ لنفسك أمانا . فقال مه والله ما اعطيتك اياها حتى رأيتك اهلا لها وما رأيت احدا أولى بهامنك فلا تضرب هذه الصلعة فتيان بنى أمية ابدا وأشار الى رأسه . فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثه . فقال انى كنت لاراه أعرج جبانا . فلما كانت الليلة التى قتل في صباحها ابن الزبير أقبل عبد الله بن صفوان وقد دنا أهل الشام من المسجد فاستاذن . فقالت الجارية هو نائم فقال أو ليلة نوم هذه أيقظيه فلم تفعل فاقام ثم استاذن . فقالت هو نائم فانصرف ثم رجع آخر الليل وقد هجم القوم على المسجد . فخرج اليه

فقال والله ما نمت منذ عقلت الصلاة نومى هذه الليلة وليلة الجمل . ثم دعا بالسواك فاستاك متمكنا ثم توضأ متمكنا ولبس ثيابه . ثم قال : انظرني حتى أودع أم عبد الله فلم يبق شيء وكان يكره أن يأتيها فتعزم عليه أن يأخذ الامان . فدخل عليها وقد كف بصرها فسلم . فقالت من هذا فقال عبد الله فتشممته . ثم قالت : يا بني مت كريما فقال لها ان هذا قد أمنني يعني الحجاج . قالت يا بنى لا ترض الدنية فان الموت لا بد منه قال أني أخاف أن يمثل بي قالت ان الكبش اذا ذبح لم يأمن السلخ . قال فخرج فقاتل قتالا شديدا فجعل يهزمهم . ثم يرجع ويقول يا له فتحا لو كان لك رجال أو كان المصعب أخي حيا فلما حضرت الصلاة صلى صلاته ثم قال أين باب أهل مصر حنقا لعثمان . فقاتل حتى قتل وقتل معه عبد الله بن صفوان وأتى برأسه الحجاج وهو فاتح عينيه وفاه . فقال : هذا رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير اليه فلذلك فتح عينيه وفاه . هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن الزبير كان أول مولود ولد في الاسلام فلما ولد كبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولما قتل كبر الحجاج بن يوسف وأهل الشام معه . فقال ابن عمر ما هذا . قالوا كبر أهل الشام لقتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كبروا لمولده خير من الذين كبروا لقتله . أيوب عن أبي قلابة قال : شهدت ابنة أبي بكر غسلت ابنها ابن الزبير بعد شهر وقد تقطعت أوصاله وذهب برأسه وكفنته وصلت عليه . هشام بن عروة قال قال عبد الله بن عباس : للجائزة جنبي خشبة ابن الزبير . فلم يشعر ليلة حتى عثر فيها فقال ما هذا فقال خشبة ابن الزبير . فوقف ودعا له وقال لئن علتك رجلاك لطالما وقفت عليهما في صلاتك . ثم قال لاصحابه أما والله ما عرفته الا صواما قواما ولكنني ما زلت أخاف عليه منذ رأيته تعجبه بغلات معاوية الشهب . قال وكان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الارجوان فيها الجوارى عليهن الجلابيب والمعصفرات ففتن الناس

٣٩ — أولاد عبد الملك بن مروان — الوليد وسليمان بن العبسية ويزيد وهشام وأبو بكر ومسلمة وسعد الخير وعبد الله وعنبسة والحجاج والمنذر ومروان الاكبر ومروان الاصغر . ولم يعقب مروان الاكبر ويزيد ومعاوية وداود

٤٠ — وفاة عبد الملك بن مروان — توفى عبد الملك بن مروان بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين . وهو ابن ثلاث وستين . وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . وولد

عبدالملك فى المدينة فى دار مروان سنة ثلاث وعشرين . وكتب عبد الملك الى هشام ابن اسمعيل المخزومى . وكان عامله على المدينة : أن يدعو الناس الى البيعة لابنيه الوليد وسليمان . فبايع الناس غير سعيد بن المسيب فانه أبي : وقال لا أبايع وعبد الملك حى . فضربه هشام ضربا مبرحا وألبسه المسوح وأرسله الى ثنية بالمدينة يقتلونه عندها ويصلبونه . فلما انتهوا به الى الموضع ردوه . فقال سعيد : لو علمت انهم لا يصلبوننى ما لبست لهم الثياب . وبلغ عبد الملك خبره فقال : قبح الله هشاما مثل سعيد بن المسيب يضرب بالسياط انما كان ينبغى له أن يدعوه الى البيعة فان أبى يضرب عنقه . وقال للوليد : اذا أنا مت فضعنى في قبرى ولا تعصر علىّ عينيك عصر الامة ولكن شمر وائتزر والبس للناس جلد النمر فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا

٤١ — ولاية الوليد بن عبدالملك — ثم بويع للوليد بن عبدالملك فى النصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم الوليد ولادة بنت العباس بن حرب بن الحرث ابن خزيمة العبسي . وكان على شرطته كعب بن حماد ثم عزله . وولى أبا نائل بن رباح بن عبدة الغسانى . ومات الوليد يوم السبت فى النصف من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وهو ابن أربع وأربعين وصلى عليه سليمان . وكانت ولايته عشر سنين غير شهور . ولد الوليد . عبد العزيز ومحمد وعنبسة ولم يعقبوا وأمهم أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان . والعباس وبه كان يكني . ويقال انه كان أكبرهم وعمرو وبشر وروح وتمام ومبشر وحزم وخالد ويزيد ويحيي وابراهيم وأبو عبيدة ومسرور ومحمد وصدقة لامهات أولاد . وأم أبى عبيدة فزارية . وكان أبو عبيدة ضعيفا وولى الخلافة من ولد الوليد ابراهيم شهرين . ثم خلع وولى يزيد الكامل شهرا ثم مات وكان تمام ضعيفا هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرام فى ارومتهم * نالوا المكارم طراغير تمام

ومسرور بن الوليد كان ناسكا كانت عنده بنت الحجاج . وكان بشر من فتيانهم . وروح من غلمانهم والعباس من فرسانهم . وفيه يقول الفرزدق :

ان أبا الحارث العباس نائله * مثل السماك الذى لا يخلف المطرا

وكان تحته بنت قطرى بن الفجاءة سباها وتزوجها وله منها المؤمل والحرث . وكان عمرو من رجالهم كان له تسعون ولدا ستون منهم كانوا يركبون معه اذا ركب . وقال رجل من أهل الشام

ليس من ولد الوليد أحد الا ومن رآه يحسب انه من أفضل اهل بيته ولو وزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيه يقول جرير :

وبنو الوليد من الوليد بمنزل * كالبدر حف بواضحات الانجم

وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه ان يبايع له بعد سليمان فأبى عليه سليمان . وحدث الهيثم بن عدى عن سليمان عن ابن عباس قال : لما أراد الوليد ان يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبي ذلك سليمان وشنع عليه . وقال للوليد : لو أمرت الشعراء ان يقولوا في ذلك لعله كان يسكت فيشهد عليه بذلك فدعا الاقيبل العتبي . فقال له ارتجز بذلك وهو يسمع فدعا سليمان فسايره والاقيبل خلفه فرفع صوته وقال :

ان ولى العهد لابن أمه * ثم ابنه ولى عهد عمه * قد رضى الناس فسمه

فهو يضم الملك في مضمه * ياليتها قد خرجت من فمه

فالتفت اليه سليمان . وقال يا ابن الخبيثة من رضى بهذا

٤٢ — أخبار الوليد — أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسن ولد عبد الملك وكان يحبه فتراخى في تأديبه لشدة حبه اياه فكان لحانا . وقال عبد الملك : أضر نا في الوليد حبنا له فلم يوجهه الى البادية . وقال الوليد يوما وعنده عمر بن عبد العزيز : ياغلام ادع لى صالح . فقال الغلام ياصالحا . فقال له الوليد انقص الفا : فقال له عمر بن عبد العزيز وأنت ياأمير المؤمنين فزد ألفا . وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم واكثرهم فتوحا وأعظمهم نفقة في سبيل الله بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر وأعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح . ومر الوليد بمعلم كتاب فوجد عنده صبية : فقال ما تصنع هذه عندك فقال أعلمها الكتابة والقرآن . قال فاجعل الذى يعلمها أصغر منها سنا . وشكا رجل من بنى مخزوم دينا لزمه . فقال نقضه عنك ان كنت لذلك مستحقا فقال : ياأمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقا في منزلتي وقرابتي قال قرأت القرآن . قال لا قال : ادن منى فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده ثم قرعه به قرعة . وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن فقام اليه آخر : فقال : ياأمير المؤمنين اقض ديني فقال له أتقرأ

القرآن . قال نعم فاستقرأه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرأ فقال نعم نقضي دينك وأنت أهل لذلك . وركب الوليد بعيرا وحاد يحدو بين يديه والوليد يقول :

يا أيها البكر الذي أراكا * ويحك تعلم الذى علاكا

خليفة الله الذى امتطاكا * لم يحب بكر مثل ما حباكا

٤٣ — ولاية سليمان بن عبدالملك — أبو الحسن المدائني : ثم بويع سليمان ابن عبدالملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر وهو ابن ثلاث وأربعين وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز . وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفا . وولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة فى بني جديلة ومات بدابق من ارض قنسرين وكان سليمان فصيحا جميلا وسيما نشا بالبادية عند اخواله بني عبس . وكانت ولايته يمنا وبركة افتتحها بخير وختمها بخير فاما افتتاحه فيها بخير فرد المظالم واخرج المسجونين وبغزاة مسلمة بن عبدالملك الصائفة حتي بلغ القسطنطينية . واما ختمها بخير فاستخلافه عمر بن عبد العزيز * ولبس يوما واعتم بعمامة وكانت عنده جارية حجازية . فقال لها كيف ترين الهيئة ، فقالت انت اجمل العرب لولا . قال : على ذلك لتقولين قالت ،

انت نعم المتاع لو كنت تبقي * غير ان لا بقاء للانسان

انت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير انك فان

قال فتنغص عليه ما كان فيه فما لبث بعدها الا أياما حتي توفى رحمه الله . وتفاخر ولد لعمر بن عبدالعزيز وولد لسليمان بن عبد الملك فذكر ولد عمر فضل ابيه وخاله : فقال له ولد سليمان ان شئت اقل وان شئت اكثر فما كان ابوك الا حسنة من حسنات ابي . محمد بن سليمان ، قال فعل سليمان فى يوم واحد مالم يفعله عمر بن عبد العزيز فى طول عمره اعتق سبعين الفا ما بين مملوك ومملوكة وبغتهم اي كساهم — والبغت — الكسوة . وولد لسليمان ايوب : وامه ام ابان بنت الحكم بن العاص وهو أكبر ولد سليمان وولى عهده فمات فى حياة سليمان . وله يقول جرير :

ان الامام الذي ترجي فواضله * بعد الامام ولى العهد ايوب

وعبدالواحد وعبد العزيز أمهما ام عامر بنت عبد الله بن خالد بن عبد الاسد . وفى عبد الواحد يقول القطامي :

أهل المدينة لا يحزنك حالهم * اذا تخطا عبد الواحد الاجل
قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولما مات أيوب ولى عهد سليمان بن عبد الملك . قال عبد الاعلى يرثيه وكان من خواصه :

ولقد أقول لذى الشماتة اذ رأي * جزعي ومن يذق الحوادث يجزع
أبشر فقد قرع الحوادث مروتي * وافرح بمروتك التي لم تقرع
ان عشت تفجع بالاحبة كلهم * أو يفجعوا بك ان بهم لم تفجع
أيوب من يشمت بموتك لم يطق * عن نفسه دفعا وهل من مدفع

٤٤ — أخبار سليمان بن عبد الملك — أبو الحسن المدائني . قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم ان سليمان بن عبد الملك عزله عن خراسان واستعمل يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحف . وقال للرسول : ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد . فادفع اليه هذه . فان شتمني فادفع هذه فلما سار الرسول اليه دفع الكتاب اليه وفيه : ياأمير المؤمنين ان من بلائى فى طاعة أبيك وأخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد . فاعطاه الرسول الكتاب الثاني وفيه : ياأمير المؤمنين . كيف تامن ابن رحمة على أسرارك وأبوه لم يامنه على أمهات اولاده . فلما قرأ الكتاب شتمه وناوله ليزيد . فاعطاه الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فوالله لاوثقن له أخبية لا ينزعها المهر الأرن مؤاخاة . فلما قرأها قال سليمان : عجلنا على قتيبة ياغلام جدد له عهدا على خراسان . ودخل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج على سليمان . فقال له سليمان : أترى الحجاج استقر فى قعر جهنم ، أم هو يهوي فيها . فقال : ياأمير المؤمنين ان الحجاج ياتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك فضعه من النار حيث شئت . قال فامر به الى الحبس فكان فيه طول ولايته . قال محمد بن يزيد الانصارى : فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعثني فاخرجت من السجن من حبس سليمان ما خلا يزيد بن أبي مسلم فقدرد . فلما مات عمر بن عبد العزيز ولاه يزيد ابن عبد الملك افريقية وأنا فيها . فاخذت فاتي بى اليه فى شهر رمضان عند الليل . فقال : محمد بن يزيد قلت نعم . قال الحمد لله الذي مكنني منك بلا عهد ولا عقد ، فطالما سالت الله أن يمكنني منك . قلت : وأنا والله طالما استعذت بالله منك . قال فوالله

ما أعاذك الله مني ولولا ان ملك الموت سابقني اليك لسبقته . قال فاقيمت صلاة المغرب فصلى ركعة فثارت عليه الجند فقتلوه وقالوا الى خذ الى الطريق أي طريق شئت . وأراد سليمان بن عبد الملك ان يحجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنه تزوج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فاصدقها عشرين ألف دينار . واشترى جارية باربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممت ان أضرب على يد هذا السفيه ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين . يا بني عاتكة يزيد ومروان . وحبس سليمان بن الملك موسى بن نصير وأوحي اليه اغرم ديتك خمسين مرة . فقال موسى : ما عندي ما أغرمه . فقال : والله لتغرمنها مائة مرة فحملها عنه يزيد بن المهلب وشكر ما كان من موسى الى أبيه المهلب أيام بشر بن مروان وذلك ان بشرا اتهم بالمهلب . فكتب اليه موسى يحذره فتمارض المهلب ولم يأته حين أرسل اليه . وكان خالد بن عبد الله القسري واليا على المدينة للوليد ثم أقره سليمان وكان قاضي مكة طلحة بن هرم فاختصم اليه رجل من بني شيبة الذين اليهم مفتاح الكعبة يقال له الاعجم مع ابن أخ له في ارض لهما فقضى للشيخ على ابن أخيه . وكان متصلا بخالد بن عبد الله . فاقبل الى خالد فاخبره . فحال خالد بين الشيخ وبين ماقضى له القاضي . فكتب القاضي كتابا الى سليمان يشكو له خالدا ووجه الكتاب اليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان الى خالد : لا سبيل لك على الاعجم ولا ولده فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على خالد وقال لا سبيل لك علينا هذا كتاب أمير المؤمنين . فامر به خالد فضرب مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان . فبعث القاضي ابنه المضروب الى سليمان وبعث ثيابه التي ضرب فيها بدمائها . فامر سليمان بقطع يد خالد فكلمه يزيد بن المهلب : وقال ان كان ضربه يا أمير المؤمنين بعد ماقرأ الكتاب تقطع يده ، وان كان ضربه قبل ذلك فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان الى داود بن طلحة بن هرم : ان كان خالد ضرب الشيخ بعد ماقرأ الكتاب الذي أرسلته اقطع يده . وان كان ضربه قبل ان يقرأ كتابي فاضربه مائة سوط . فاخذ داود بن طلحة لما قرأ الكتاب خالدا فضربه مائة سوط فجزع خالد من الضرب فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضم اليك يديك يا ابن النصرانية . فقال خالد : ليهنا الفرزدق وضممت يدي وقال الفرزدق :

لعمري لقد صبت على متن خالد * شآبيب لم يصببن من صيب القطر
فلولا يزيد بن المهلب حلقت * بكفك فتخاء الجناح الى الوكر

فردت أم خالد عليه تقول :

لعمري لقد باع الفرزدق عرضه * بخسف وصلى وجهه حمي الجمر
فكيف يساوى خالدا أو يشينه * خميص من التقوى بطين من الخمر

وقال الفرزدق أيضا فى خالد القسري :

سلوا خالدا لا قدس الله خالدا * متى ملكت قسر قريشا تدينها
أقبل رسول الله أم بعد عهده * فتلك قريش قد أغث سمينها
رجونا هداه لا هدى الله قلبه * وما أمه بالام يهدي جنينها

فلم يزل خالد محبوسا بمكة حتى حج سليمان وكلمه فيه الفضل بن المهلب . فقال سليمان : لاطت بك الرحم أبا عثمان ان خالدا جرعني غيظا . قال : يا أمير المؤمنين هبني ما كان من ذنبه . قال قد فعلت ولا بد أن يمشي الى الشام راجلا فمشى خالد الى الشام راجلا .

وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك :

سليمان غيث الممحلين ومن به * عن البائس المسكين حلت سلاسله
وما قام من بعد النبي محمد * وعثمان فوق الارض راع يماثله
جملت بكان الجور فى الارض مثله * من العدل اذ صارت اليك محامله
وقد علموا ان لن يميل بك الهوى * وما قلت من شيء فانك فاعله

زياد عن مالك . ان سليمان بن عبد الملك قال يوما لعمر بن عبد العزيز كذبت . قال : والله ما كذبت منذ شددت علي ازارى . وان فى غير هذا المجلس لسعة وقام مغضبا . فتجهز يريد مصر فارسل اليه سليمان فدخل عليه . فقال له : يا ابن عمي ان المعاتبة تشق علي ولكن والله ما أهمني أمر قط من ديني ودنياي الا كنت أول من أذكره لك :

٤٥ — وفاة سليمان بن عبد الملك — قال رجاء بن حيوة قال لي سليمان : الى من ترى ان أعهد . فقلت : الى عمر بن عبد العزيز . قال كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة من كان منهما حيا . قلت : تجعل الامر بعده ليزيد . قال صدقت قال : فكتب عهده لعمر ثم ليزيد بعده ولما ثقل سليمان قال ائتوني بقميص بني أنظر اليها فاتى بها فنشرها فرآها قصارا فقال

ان بني صبية صغار * أفلح من كان له كبار

فقال له عمر . « أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » . وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك ان نصرانيا أتاه وهو بدابق بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا . قال : قشروا فقشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقصعة مملوءة مخا بسكر فأكله فاتخم فمرض فمات . ولما حج سليمان تأذى بحر مكة . فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أتيت الطائف فأتاها فلما كان بسحق لقيه ابن أبي الزهير . فقال : يا أمير المؤمنين اجعل منزلك علي . قال كل منزلي فرمى بنفسه على الرمل فقيل له . يساق اليك الوطاء فقال : الرمل أحب الي وأعجبه برده فألزق بالرمل بطنه قال : فأتي اليه بخمس رمانات فأكلها . فقال : أعندكم غير هذه . فجعلوا يأتونه بخمس بعد خمس حتى أكل سبعين رمانة . ثم أتوه بجدي وست دجاجات فأكلهن . وأتوه بزبيب من زبيب الطائف فنثر بين يديه فأكل عامته . ونعس فلما انتبه أتوه بالغداء فأكل كما أكل الناس فقام يومه ومن غد قال لعمر : أرانا قد أضررنا بالقوم . وقال لابن أبي الزهير : اتبعني الى مكة فلم يفعل . فقالوا له : لو أتيته فقال أقول ماذا ، أعطني ثمن قرى الذي قريتكم . العتبي عن أبيه عن الشمردل وكيل عمرو بن العاص قال : لما قدم سليمان بن عبد الملك الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستانا لعمرو . وقال فجال في البستان ساعة ثم قال ناهيك بما لكم هذا مالا . ثم ألقى صدره على غصن وقال : ويلك يا شمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله عندي جدي كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى . قال : عجل به ويحك فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله وما دعا عمر ولا ابنه حتى اذا بقي الفخذ قال : هلم أبا حفص . قال : أنا صائم . فأتى عليه ثم قال : ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى والله دجاجتان هنديتان كأنهما رألا النعام . فأتيته بهما فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقي عظامها نقية حتى أتى عليهما ثم رفع رأسه فقال . ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني . قلت : بلى عندي حريرة كأنها قراضة ذهب . قال : عجل بها ويلك فأتيته بعس يغيب فيه الرأس فجعل يقلعها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح في جب . ثم قال : يا غلام أفرغت من غدائي . قال نعم قال : وما هو قال ثمانون قدرا . قال ائتني بها قدرا قدرا قال فأكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه ثم أذن للناس ووضعت الخوانات وقعد . وأذن للناس فما أنكرت شيئا من أكله

٤٦ — خلافة عمر بن عبد العزيز — المدائني قال : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وكنيته أبو حفص . وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب وولي الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين . ومات يوم الجمعة لست بقين من رجب بدير سمعان من أرض حمص سنة أحدى ومائة وصلى عليه يزيد بن عبد الملك . علي بن زيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : تمت حجة الله على ابن الاربعين . ومات لها وكان على شرطته يزيد بن بشير الكناني . وعلى حرسه عمرو بن المهاجر . ويقال أبو العباس الهلالي . وكان كاتبه على الرسائل ابن أبي رقية وكاتبه أيضا اسمعيل بن أبي حكيم . وعلى خاتم الخلافة نعيم بن أبي سلامة وعلى الخراج والجند صالح بن ابي جبير . وعلى اذنه أبو عبيدة الاسود مولاه يعقوب . ابن داود الثقفي عن أشياخ من ثقيف قال : قرىء عهد عمر بالخلافة وعمر في ناحية فقام رجل من ثقيف يقال له سالم من أخوال عمر فأخذ بضبعيه فأقامه . فقال عمر . أما والله ما الله أردت بهذا ولن تصيب بها مني دنيا . أبو بشر الخراساني قال : خطب عمر بن عبد العزيز الناس حين استخلف فقال : أيها الناس والله ما سألت الله هذا الامر قط في سر ولا علانية . فمن كان كارها لشيء مما وليته فلآن . فقال سعيد بن عبد الملك : ذلك أسرع فيما نكره أن يدان تختلف ويضرب بعضنا بعضا . قال رجل : سبحان الله وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يقولوا هذا ويقوله عمر

٤٧ — أخبار عمر بن عبد العزيز — بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويبكي فنسمع نحيبه بالبكاء . وهو يقول : أبعد الثلاثة الذين بوأتهم بيدي عبد الملك والوليد وسليمان . وقدم رجل من خراسان على عمر بن عبد العزيز حين استخلف فقال : يا أمير المؤمنين اني رأيت في منامي قائلا يقول اذا ولي الاشج من بني أمية يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً . فولي الوليد فسألت عنه فقيل لي ليس باشج . ثم ولي سليمان فسألت عنه فقيل ليس باشج ووليت أنت فكنت الاشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله قال نعم قال فبالذي أنعم به عليك أحق ما أخبرتني قال نعم فأمره ان يقيم في دار الضيافة فمكث نحوا من شهرين ثم أرسل اليه عمر فقال هل تدري لم احتبسناك . قال لا : قال أرسلت الى بلدك لنسأل عنك فاذا ثناء صديقك وعدوك عليك سواء فانصرف راشدا . وكان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيأ ولا يجري

على نفسه من الفيء درهما . وكان عمر بن الخطاب يجرى على نفسه من ذلك درهمين فى كل يوم فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب فقال ان عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يغنيني . ولما ولى عمر بن عبد العزيز قام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أعدنى على هذا وأشار الى رجل . قال نعم : قال أخذ مالى وضرب ظهرى . فدعا به عمر فقال ما يقول هذا . قال صدق انه كتب الى الوليد بن عبد الملك وطاعتكم فريضة . قال كذبت لا طاعة لنا عليكم الا فى طاعة الله وأمر بالارض فردت الى صاحبها . عبد الله بن المبارك عن رجل أخبره قال : كنت مع خالد بن يزيد ابن معاوية فى صحن بيت المقدس فلقينا عمر بن عبد العزيز ولا أعرفه فأخذ بيد خالد . وقال : يا خالد أعلينا عين . فقلت عليكما : من الله عين بصيرة وأذن سميعة . قال فاستل يده من يد خالد وأرعد ودمعت عيناه ومضى : فقلت لخالد من هذا قال هذا عمر بن عبد العزيز وان عاش فيوشك ان يكون اماما عدلا . وقال رباح بن عبيدة اشتريت لعمر قبل الخلافة مطرفا بخمسمائة فاستخشنه وقال : لقد اشتريته خشنا جدا واشتريت له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم فاستلانه وقال لقد اشتريته لينا جدا . ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر وعليه ريطة من رياط مصر : فقال : بكم أخذت هذا يا أبا سعيد قال بكذا وكذا قال فلو نقصت من ثمنها ما كان ناقصا من شرفك . قال مسلمة : ان أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة ، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة ، وأفضل اليد ما كان بعد الولاية . وكان لعمر غلام يقال له درهم يحتطب له . فقال له يوما : ما يقول الناس يا درهم . قال وما يقولون الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر . قال : وكيف ذلك قال انى عهدتك قبل الخلافة عطرا لباسا فاره المركب ، طيب الطعام ، فلما وليت رجوت ان أستريح وأتخلص . فزاد عملى شدة وصرت أنت فى بلاء . قال فأنت حر فاذهب عنى ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا . ميمون بن مهران . قال : كنت عند عمر فكثر بكاؤه ومسألته ربه الموت . فقلت لم تسال الموت وقد صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحيا بك سننا وأمات بك بدعا . قال : أفلا أكون مثل العبد الصالح حين أقر الله عينه وجمع له أمره قال : «رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » . ولما ولى عمر بن عبد العزيز قال : ان فدك كانت مما أفاء الله على رسوله فسألتها فاطمة رسول الله

فقال لها مالك ان تسأليني ولا لى أن أعطيك . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله . ثم أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يضعونها المواضع التى وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ولى معاوية فاقطعها مروان ووهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز فقسمناها بيننا أثلاثا انا والوليد وسليمان فلما ولى الوليد سألته نصيبه فوهبه لى وما كان لى مال أحب الى منها وانا أشهدكم : انى قد رددتها الى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر : الامور ثلاثة . أمر استبان رشده فاتبعه ، وأمر استبان ضره فاجتنبه ، وأمر اشكل أمره عليك فرده الى الله . وكتب عمر الى بعض عماله : الموالى ثلاثة . مولى رحم ، ومولى عتاقة ، ومولى عقد . فمولى الرحم : يرث ويورث ، ومولى العتاقة يورث ولا يرث ، ومولى العقد لا يرث ولا يورث وميراثه لعصبته . وكتب عمر الى عماله : مروا من كان على غير الاسلام ان يضعوا العمائم ، ويلبسوا الاكسية ، ولا يتشبهوا بشيء من الاسلام . ولا تتركوا أحدا من الكفار يستخدم أحدا من المسلمين . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة عامله على العراق : اذا امكنتك القدرة على المخلوق ، فاذكر قدرة الخالق القادر عليك . واعلم ان مالك عند الله ، أكثر مما لك عند الناس . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله : مروا من كان قبلكم ولا يبقى أحد من احرارهم ولا مما ليكهم صغيرا ولا كبيرا ذكرا ولا أنثى الا أخرج عنه صدقة فطر رمضان . مدين من قمح او صاعا من تمر أو قيمة ذلك نصف درهم . فأما أهل العطاء فيؤخذ ذلك من أعطياتهم عن أنفسهم وعيالاتهم . واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الامانة يقبضان ما اجتمع من ذلك ثم يقسمانه فى مسكنة أهل الحاضرة . ولا يقسم على أهل البادية . وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن الى عمر : ان رجلا شتمك فاردت ان اقتله . فكتب اليه : لو قتلته لا قدتك به فانه لا يقتل أحد بشتم أحد الا رجل شتم نبيا . وكتب رجل من عمال عمر الى عمر : انا أتينا بساحرة فالقيناها فى الماء فطفت على الماء . فما ترى فيها فكتب اليه : لسنا من الماء فى شيء ان قامت عليها بينة والا خل سبيلها . وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة فى المظالم فيراده فيها فكتب اليه : انه يخيل لى انى لو كتبت لك ان تعطي رجلا شاة لكتبت الى اذكر أم أنثى . ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى أصغيرة أم كبيرة ولو كتبت باحدهما لكتبت ضائنة أم معزا . فاذا كتبت اليك فنفذ ولا ترد علي والسلام . وخطب عمر فقال : أيها الناس لا تستصغروا

الذنوب ، والتمسوا تمحيص ماسلف منها بالتوبة منها . ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين . وقال عزوجل : « والذين اذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » . وقال عمر لبني مروان : ادوّا مافي أيديكم من حقوق الناس ولا تلجؤني الى ما اكره فاحملكم على ماتكرهون . فلم يجبه أحد منهم . فقال . أجيبوني فقال رجل منهم : والله لانخرج من أموالنا التي صارت الينا من آبائنا فنفقرا بناءنا ونكفر آباءنا حتى تزايل رؤسنا . فقال عمر : اما والله لولا ان تستعينوا على بمن طلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم عاجلا ولكنني أخاف الفتنة ولئن أبقاني الله لاردن الى كل ذي حق حقه ان شاء الله . وكان عمر : اذا نظر الى بعض موالى بني أمية قال انى ارى رقابا سترد الى اربابها . ولما مات عمر بن عبد العزيز . قعد سلمة على قبره فقال : اما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر . العتبي قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك تبعه الامويون . فلما دخل الى منزله قال له الحاجب : الامويون بالباب . قال : ومايريدون قال ماعودتهم الخلفاء قبلك قال ابنه عبد الملك وهو اذذاك ابن أربع عشرة سنة : ائذن لى فى ابلاغهم عنك . قال . وماتبلغهم قال: أقول أبي يقرئكم السلام ويقول لكم : « اني اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » . زياد عن مالك قال قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه : يا أبت مالك لا تنفذ الامور فوالله ما أبالي لو ان القدور غلت بى وبك فى الحق . قال له عمر : لا تعجل يابني فان الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة . وأنا أخاف ان أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذلك فتنة . ولما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموت . قال له عمر : كيف تجدك يابني . قال : أجدنى فى الموت فاحتسبنى فثواب الله خير لك مني . فقال : يابني والله لان تكون فى ميزانى أحب الى من ان اكون فى ميزانك . قال اما والله لان يكون ماتحب أحب الى من ان يكون ما احب . ثم مات فلما فرغ من دفنه وقف على قبره . وقال . يرحمك الله يابنى فلقد كنت سارا مولودا ، وبارا ناشئا ، وما أحب اني دعوتك فاجبتني . فرحم الله كل عبد من حرا وعبد ذكرا وأنثى دعا لك برحمة . فكان الناس يترحمون على عبد الملك ليدخلوا فى دعوة عمر . ثم انصرف فدخل الناس يعزونه . فقال : ان الذى نزل بعبد الملك امر لم نزل نعرفه فلما وقع لم ننكره . وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز . فلما فرغ من دفنها دنا اليه رجل فعزاه . فلم يرد عليه ثم

آخرا فلم يرد عليه . فلما رأى الناس ذلك أمسكوا ومشوا معه : فلما دخل على الباب أقبل على الناس بوجهه فقال : أدركت الناس وهم لا يعزون في المرأة الا أن تكون اما :

٤٨ — وفاة عمر بن عبد العزيز — مرض عمر بن عبد العزيز بارض

حمص . ومات بدير سمعان . فيرى الناس ان يزيد بن عبد الملك سمه . دس الي خادم كان يخدمه فوضع السم على ظفر ابهامه فلما استسقي عمر غمس ابهامه في الماء ثم سقاه فمرض مرضه الذى مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيرا فلقد عطفت علينا قلوبا كانت عنا نافرة ، وجعلت لنا في الصالحين ذكرا . زياد عن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المرضة التي مات فيها فقال له : يا أمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ولا بد لهم من شيء يصلحهم . فلو أوصيت بهم اليّ أو الى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤنتهم ان شاء الله . فقال عمر : أجلسوني فاجلسوه . فقال : الحمد لله أبا لله تخوفني يا مسلمة اما ماذكرت اني فطمت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة فاني لم أمنعهم حقا هو لهم . ولم أعطهم حقا هو لغيرهم . واما ما سألت من الوصاة اليك أو الى نظرائك من أهل بيتي فان وصيتي بهم الى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وانما بنو عمر أحد رجلين: رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ورزقه من حيث لا يحتسب . ورجل غير وفجر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه : ادعوا الى بنيّ فدعوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى أغرورقت عيناه بالدمع . ثم قال : بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم يا بني اني قد تركتكم من الله بخير انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله . يا بني مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار : فكان أن تفتقروا الى آخرا لابد خيرا من دخول أبيكم يوما واحد في النار : قوموا يا بني عصمكم الله ورزقكم . قال فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا أفتقر . واشترى عمر بن عبد العزيز من صاحب دير سمعان موضع قبره بأربعين درهما . ومرض تسعة أيام ومات رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدي ومائة . وصلى عليه يزيد بن عبد الملك وقال جرير بن الخطفى يرثى عمر بن عبد العزيز

ينعي النعاة أمير المؤمنين لنا * ياخير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمرا عظيما فاصطبرت له * وسرت فينا بحكم الله ياعمرا
فالشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وأنشد أبو عبيدة الاعرابي في عمر بن عبد العزيز :

مقابل الاعراق في الطيب الطاب * بين أبي العاص وآل الخطاب

قال أبو عبيدة يقال : طيب وطاب كما يقال أديم ودام

٤٩ — خلافة يزيد بن عبد الملك — ثم ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدي ومائة . ومات ببلاد البلقاء يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة . وهو ابن أربع وثلاثين سنة . صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك . وكانت ولايته أربع سنين وشهرا وفيه يقول جرير :

سربلت سربال ملك غير مغتصب * قبل الثلاثين ان الملك مؤتشب

وكان على شرطته كعب بن مالك العبسي . وعلى الحرس غيلان ابو سعيد مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطر مولاه — وكان فاسقا — وعلى الخاتم الصغير بكير أبو الحجاج . وعلي الرسائل والجند والخراج صالح بن جبير الهمداني ثم عزله واستعمل اسامة بن زيد مولى كلب . وعلى الخزائن وبيوت الاموال هشام بن مصاد . وحاجبه خالد مولاه : وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهو ولذات وهو صاحب حبابة وسلامة وفي ولايته خرج يزيد بن المهلب . اسماء ولد يزيد : الوليد ويحيي وعبد الله والفهر وعبد الجبار وسليمان وأبو سفيان وهاشم وداود ولا عقب له . والعوام ولا عقب له . وكتب يزيد بن عبد الملك الى عمال عمر بن عبد العزيز اما بعد فان عمر كان مغرورا . غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه في انكسار الخراج والضريبة . فاذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده واعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى أخصبوا ام أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا والسلام . أبو الحسن المدائني قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك . وجه الجيوش الى يزيد بن المهلب فعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وللعباس ابن الوليد على أهل دمشق خاصة . فقال له العباس : يا أمير المؤمنين ان أهل العراق ارجاف وقد خرجنا اليهم محاربين والاحداث تحدث فلو عهدت الى عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك . قال : غدا ان شاء الله وبلغ مسلمة الخبر فاتاه فقال له : يا أمير المؤمنين

أولاد عبدالملك أحب اليك أم أولاد الوليد . قال : ولد عبدالملك . قال : فاخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك . قال : بل أخي اذ كان ولدي أحق بها من ابن أخي . قال : يا أمير المؤمنين فان ابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبدالملك ولابنك الوليد من بعده . قال : غدا ان شاء الله فلما كان من الغد بايع لهشام ولابنه الوليد من بعده والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة . فلما انقضى أمر يزيد بن المهلب وأدرك الوليد ندم على استخلاف هشام . فكان اذا نظر الى ابنه الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك . قال ولما قتل يزيد بن المهلب جمع يزيد بن عبدالملك العراق لاخيه مسلمة بن عبدالملك فبعث هلال بن أحوز المازني الى قندابيل في طلب آل المهلب فالتقوا فقتل المفضل بن المهلب وانهزم الناس وقتل هلال بن أحوز خمسة من ولد المهلب ولم يفتش على النساء ولم يعرض لهن . وبعث العيال والاسرى الى يزيد بن عبدالملك قال حدثني جابر بن مسلم قال لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جماد الذي يقال له كثير عزة فقال :

حليم اذا ما نال عاقب مجملا * أشد عقاب أو عفا لم يثرب
فعفوا أمير المؤمنين وحسبة * فما تكتسب من صالح لك يكتب
أساؤا فان تغفر فانك قادر * وأعظم حلم حسبة حلم مغضب
نفتهم قريش عن أباطح مكة * وذو يمن بالمشرق المشطب

فقال يزيد لاطت بك الرحم . لاسبيل الى ذلك من كان له قبل آل المهلب دم فليقم فدفعهم اليهم حتى قتل نحو ثمانين . قال : وبلغ يزيد بن عبدالملك ان هشاما ينتقصه فكتب اليه : أن مثلي ومثلك كما قال الاول

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها باوحد
لعل الذي يبغى رداى ويرتجى * به قبل موتي أن يكون هو الردى

فكتب اليه هشام : ان مثلي ومثلك كما قال الاول

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

فكتب اليه يزيد : نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا عنك ، مع حفظ وصية أبينا عبدالملك . وما حض عليه من صلاح ذات البين . واني لاعلم انك كما قال معن بن أوس :

لعمرك ماأدرى واني لاوجل * على أينا تعدو المنية أول
واني على أشياء منك تريبني * قديما ولاصلح على ذاك بجمل
ستقطع فى الدنيا اذا ماقطعتني * يمينك فانظر أى كف تبدل
اذا سؤتني يوما رجعت الى غد * ليعقب يوما منك آخر مقبل
اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن نضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلا متحول

فلما جاءه الكتاب رحل هشام اليه فلم يزل فى جواره الى أن مات يزيد وهو معه فى عسكره مخافة أهل البغي . محمد المغازي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال حدثني الزبير بن بكار قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفا بحبابة كلفا شديدا . فلما توفيت أكب عليها يتشممها أياما حتى أنتنت فاخذها في جهازها وخرج بين يدى نعشها حتي اذا بلغ القبر نزل فيه فلما فرغ من دفنها الصق اليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤسيه فقال : قاتل الله ابن أبي جمعة كانه كان يرى مانحن فيه حيث يقول :

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارنى فهو قائل * من أجلك هذا ميت اليوم أوغد

قال وطعن فى جنازتها فدفناه الى سبعة عشرا يوما

٥٠ — خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان — ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان . يكني أبا الوليد : وأمه أم هشام بنت اسمعيل بن هشام المخزومى يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرصافة يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الاول سنة خمس وعشرين ومائة . وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وصلى عليه الوليد بن يزيد وكانت خلافته عشرين سنة . أسماء ولد هشام بن عبد الملك : معاوية وخلف ومسلمة ومحمد وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد — وهو الأبكم — ومروان وابراهيم ومحمد ومنذر وعبد الملك والوليد وقريش وعبد الرحمن . وكان على شرطته كعب بن عامر العبسي . وعلى الرسائل سالم مولاه وعلى خاتم الخلافة الربيع مولى لبنى الحريش وهو الربيع بن سابور . وعلي الخاتم الصغير أبو

الزبير مولاه . وعلى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد ثم عزله وولى الحشحاث . وعلى اذنه غالب بن مسعود مولاه

٥١ — أخبار هشام بن عبد الملك — أبو الحسن المدائني . قال . كان عبد الملك بن مروان رأى فى منامه ان عائشة ابنة اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى فلقت رأسه فقطعته عشرين قطعة . فغمه ذلك فارسل الى سعيد بن المسيب فقصها عليه . فقال سعيد تلد غلاما يملك عشرين سنة وكانت عائشة أم هشام حمقاء فطلقها عبد الملك لحمقها وولدت هشاما وهي طالق ولم يكن فى ولد عبد الملك أكمل من هشام . قال خالد ابن صفوان : دخلت على هشام بن عبد الملك بعد ان سخط على خالد بن عبد الله القسرى وسلط عليه يوسف بن عمر عامله على العراق . فلما دخلت عليه استدناني حتى كنت أقرب الناس اليه فتنفس الصعداء . ثم قال ياخالد رب خالد قعد مقعدك هذا أشهي الى حديثا منك . فعلمت انه يريد خالد بن عبد الله القسرى . قلت : ياأمير المؤمنين أفلا تعيده . قال هيهات ان خالدا دل فامل ، وارجف فاعجف ، ولم يدع لمرجع مرجعا ، على أنه ماسالني حاجة قط . فقلت : ياأمير المؤمنين فلو أدنيته فتفضلت عليه . قال هيهات وأنشد :

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكن * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

قال اصبغ بن الفرج لم يكن في بني مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام : خرج حاجا فحمل ثياب ظهره على ستمائة جمل . ودخل المدينة فقال لرجل انظر من فى المسجد فقال رجل طويل آدم أدهم قال هذا سالم بن عبد الله ادعه فاتاه . فقال أجب أمير المؤمنين وان شئت أرسل فتؤتى بثيابك فقال : ويحك أتيت الله زائرا فى رداء وقميص ولا أدخل بهما على هشام . فدخل عليه فوصله بعشرة آلاف ثم قدم مكة فقضى حجه . فلما رجع الى المدينة قيل له : ان سالما شديد الوجع فدخل عليه وساله عن حاله ومات سالم فصلى عليه هشام . وقال ماأدرى باي الامرين أنا أسر بحجتى أم بصلاتى على سالم . قال : ووقف هشام يوما قريبا من حائط فيه زيتون له فسمع نفض الزيتون . فقال لرجل . انطلق اليهم فقل لهم التقطوه ولا تنفضوه . فتفقؤا عيونه ، وتكسروا اغصونه . وخرج هشام هاربا من الطاعون فانتهي الى دير فيه راهب فادخله

الراهب بستانه فجعل ينتقي له أطايب الفاكهة والبالغ منها فقال هشام يا راهب هبني بستانك هذا فلم يجبه . فقال : مالك لا تتكلم فقال وددت ان الناس كلهم ماتوا غيرك . قال : ولم قال لعلك أن تشبع . فالتفت هشام الى الابرش . فقال أتسمع ما يقول قال الابرش بلي والله ان لقيك حر غيره العتبي قال : انى لقاعد عند قاضى هشام بن عبد الملك اذ أقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه . فقال الحرسى : ان أمير المؤمنين جرأني فى خصومة بينه وبين ابراهيم . قال القاضى شاهديك على الجراءة فقال : أتراني قلت على أمير المؤمنين مالم يقل وليس بيني وبينه الا هذه الستره . قال : لا ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة قال فقام فلم يلبث حتى قعقعت الابواب وخرج الحرسى . فقال : هذا أمير المؤمنين قال فقام القاضى فاشار اليه فقعد وبسط له مصلى فقعد عليه هو وابراهيم وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعض . قال فتكلما وأحضرت البينة فقضى القاضى على هشام فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق . فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هممت ان أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك . قال : أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق . قال : له استرها على يا ابراهيم . قال لا ستر الله على ذنبي اذا يوم القيامة . قال اني معطيك عليها مائة الف . قال ابراهيم فسترتها عليه طول حياته ثمنا لما أخذت منه وأذعتها عنه بعد موته تزيينا له . وذكروا عن الهيثم بن عدى قال : كان سعيد ابن هشام بن عبد الملك عاملا لابيه على حمص . وكان يرمى بالنساء والشراب فقدم حمصي لهشام فلقيه أبو جعد الطائي في طريق فقال له هل تري ان أعطيك هذه الفرس فانى لا أعلم بمكان مثلها على ان تبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ليس فيه حاجة بمسئلة دينار ولا درهم فاخذها واخذ الكتاب . فلما قدم على هشام ساله ماقصة هذا الفرس فاخبره فقال : هات الكتاب فاذا فيه :

ابلغ اليك أمير المؤمنين فقد * أمددتنا بامير ليس عنينا
طورا يخالف عمرا فى حليلته * وعند ساحته يسقى الطلادينا

فلما قرأ الكتاب بعث الى سعيد فاشخصه . فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة . وقال : يا ابن الخبيثة تزني وأنت ابن أمير المؤمنين . ويلك أعجزت ان تفجر فجور قريش . أوتدري ما فجور قريش لا أم لك قتل هذا . واخذ مال هذا . والله لا تلى لى عملا حتى تموت قال فما ولى له عملا حتى مات . احمد بن عبيد قال : أخبرنى هشام الكلبي عن أبي محمد بن سفيان القرشى عن أبيه قال

كنا عند هشام بن عبد الملك وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا الاستماع بلاغة خطبائهم . فحضرت كلامهم حتى محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوى وكان أعظم القوم قدرا وأكبرهم سنا . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ان خطباء قريش قد قالت فيك ماقالت وأكثرت وأطنبت والله مابلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وان أذنت فى القول قلت . قال : قل وأوجز قال تولاك الله ياأمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة والاولى . ان لى حوائج . فاذكرها قال هاتها . قال كبرسنى ، ونال الدهر مني ، فان رأى امير المؤمنين ان يجبر كسرى ، وينفى فقرى ، فعل . قال قال : وما الذي ينفى فقرك ، ويجبر كسرى قال ألف دينار وألف دينار وألف دينار . قال فاطرق هشام طويلا ثم قال ياابن أبي الجهم بيت المال لا يحتمل ماذكرت . ثم قال له : هيه قال : ماهيه اما والله ان الامر لواحد ولكن الله آثرك لمجلسك فان تعطنا فحقنا اديت ، وان تمنعنا نسأل الله الذى بيده ماحويت . ياأمير المؤمنين ان الله جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة . والله لان أحبك احب الى من ان أبغضك . قال فالف دينار لماذا قال اقضى بها دينا فدحان قضاؤه ، وقد عنانى حمله ، واضربي اهله . قال فلا باس تنفس كربة ، وتؤدي امانة وألف دينار لماذا . قال ازوج بها من بلغ من ولدى . قال نعم المسلك سلكت اغضضت بصرا واعففت ذكرا ورفعت نسلا . وألف دينار لماذا . قال اشتري بها أرضا يعيش بها ولدى ! واستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخرا لمن بقى . قال فاناقد أمرنا لك بما سالت قال فالمحمود الله على ذلك . خرج فاتبعه هشام بصره وقال اذا كان القرشى فليكن مثل هذا . مارأيت رجلا أوجز فى مقال ولا أبلغ فى بيان منه . ثم قال : أما والله انا لنعرف الحق اذا نزل ، ونكره الاسراف والبخل ، وما نعطي تبذيرا ، ولا نمنع تقتيرا ، ومانحن الاخزان الله فى بلاده ، وأمناؤه على عباده ، فاذا أذن أعطينا واذا منع ابينا . ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ماجبهنا قائلا ؟ ولا رددنا سائلا ، ونسأل الذي بيده مااستحفظنا ان يجريه على أيدينا فانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بعباده خبير بصير فقالوا ياأمير المؤمنين لقد تكلمت فابلغت وما بلغ فى كلامه ماقصصت . قال : انه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى . وذكروا : ان العباس والوليد وجماعة من بنى مروان اجتمعوا عند هشام . فذكروا أمورا من يزيد وعابوه وذموه . وكان هشام ينقصه ودخل الوليد فقال له العباس ياوليد . كيف حبك للروميات فان أباك كان مشغوفا بهن قال

كيف لا يكون وهن بلدن مثلك : قال الا تسكت يا ابن البظراء قال حسبك أيها المفتخر علينا بختان أمه وقال له هشام ماشرابك يا وليد : قال بشرابك يا أمير المؤمنين . وقام يخرج فقال له هشام هذا الذي زعمتموه احمق وقرب الوليد بن يزيد فرسه فجمع جراميزه ووثب على سرجه . ثم التفت الى ولد هشام . وقال له هل يقدر أبوك ان يصنع مثل هذا . قال لابي مائة عبد يصنعون مثل هذا . فقال الناس لم ينصفه في الجواب . العتبي عن أبيه قال سمعت معاوية بن عمر بن عتبة يحدث قال اني لقاعد بباب هشام بن عبد الملك وكان الناس يتقربون اليه بعيب الوليد بن يزيد قال فسمعت قوما يعيبونه فقلت دعونا من عيب من يلزمنا مدحه وضع من يجب علينا رفعه . وكانت للوليد بن يزيد عيون لا يبرحون بباب هشام فنقلوا اليه كلامي وكلام القوم فلم ألبث الا يسيرا حتى راح الى مولى للوليد قد التحف على ألف دينار . فقال لي يقول لك مولاي انفق هذه في يومك وغدا أمامك قال فملئت رعبا من هشام وخشيت سطوته ورماه الله بالعلة فدفناه ثمانية عشر يوما بعد ذلك اليوم فلما قام الوليد بعده دخلت عليه : فقال لي يا ابن عتبة أتراني ناسيا قعودك بباب الاحول يهدمني ويبنيني ويضعني وترفعني فقلت يا أمير المؤمنين شاركت قومك في احسانك اليهم . وتفردت دونهم باحسانك الي فلست أحمل لك نفسي في اجتهاد ولا أعذرها في تقصير ونشهد بذلك ألسنة الجائزين بنا ويصدق قولهم في الفعال بنا قال كذلك انتم لنا آل أبي سفيان وقد اقطعتك مالي بالبثنية وما أعلم لقرشي مثله * وقال عبد الله ابن الحكم فقيه مصر : سمعت الاشياخ يقولون سنة خمس وعشرين ومائة أديل من الشرف وذهبت المروءة وذلك عند موت هشام بن عبد الملك . قال أبو الحسن المدائني : مات هشام بن عبد الملك بالذبحة يوم الاربعاء بالرصافة في ربيع الآخر لست خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وصلى عليه مسلمة بن هشام أو بعض ولده واشترى له كفن من السوق

٥٢ — خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك — بويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وامه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف وقتل بالهجرا من تدمر على ثلاثة أميال يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين أو ست وثلاثين . قال حاتم بن مسلم ابن خمس وأربعين وأشهر . وكانت ولايته سنة وشهرين واثنين

وعشرين يوما فاول شيء نظر فيه الوليدان كتب الى العباس بن الوليد بن عبد الملك أن ياتى الرصافة يحصى مافيهامن أموال هشام وولده وياخذ عماله وحشمه الا مسلمة بن هشام . فانه كتب اليه أن لايعرض له ولا يدخل منزله وكان مسلمة كثيرا مايكلم أباه فى الرفق بالوليد ففعل العباس ماأمره به . وكتب الوليد بن يزيد الى يوسف بن عمر فقدم عليه من العراق فدفع اليه خالد بن عبد الله القسرى ومحمد أوابراهيم ابني هشام بن اسمعيل المخزومى وأمره بقتلهم . فحدث أبو بشر بن السرى قال رأيتهم حين قدم بهم يوسف بن عمر الحيرة وخالد فى عباءة فى شق محمل فعذبهم حتي قتلهم ثم عكف الوليد على البطالة وحب القيان . والملاهي والشراب ومعاشقة النساء فتعاشق سعدى ابنة سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فتزوجها . ثم تعاشق اختها سلمى فطلق أختها سعدى وتزوج سلمي فرجعت سعدى الى المدينة فتزوجت بشر بن الوليد بن عبد الملك ثم ندم الوليد على فراقها وكلف بحبها فدخل عليه اشعب المضحك فقال له الوليد هل لك على ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرون الف درهم قال : هاتها فدفعها اليه فقبضها وقال مارسالتك قال اذا قدمت المدينة فاستاذن عليها وقل لها يقول لك الوليد

أسعدى ما اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق
بلي ولعل دهرا ان يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

فاتاها أشعب فاستأذن عليها وكان نساء المدينة لا يحتجبن عنه . فقالت له : مابدالك فى زيارتنا يا أشعب . قال ياسيدتى أرسلني اليك الوليد برسالة قالت هاتها فانشدها البيتين . فقالت لجواريها خذن هذا الخبيث . وقالت ماجرأك على مثل هذه الرسالة . قال انها بعشرين ألفا معجلة مقبوضة قالت والله لا جلدنك أو لتبلغنه كما أبلغتنى عنه . قال فاجعلى لى جعلا قالت بساطى هذا . قال فقومي عنه . فقامت عنه وطوى البساط وضمه . ثم قال هاتى رسالتك فقالت له قل له :

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب . وقال اختر احدى ثلاث خصال ولا بدلك من احداها امان أقتلك . واما ان أطرحك للسباع فتاكلك . واما ان ألقيك من هذا القصر . فقال أشعب : ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فضحك وخلى سبيله .

وأقامت عنده سلمى حتى قتل عنها وهو القائل فى سلمى :

شاع شعرى في سليمي وظهر * ورواه كل بدو وحضر
وتهادته الغواني بينها * وتغنين به حتى انتشر
لو رأينا من سليمي أثراً * لسجدنا ألف ألف للاثر
واتخذناها اماما مرتضى * ولكانت حجنا والمعتمر
انما بنت سعيد قمر * هل حرجنا ان سجدنا للقمر

وفيها يقول قبل تزوجه لها :

حدثوا ان سليمي * خرجت يوم المصلى
فاذا طير مليح * فوق غصن يتفلى
قلت ياطير ادن مني * فدنا ثم تدلى
قلت هل تعرف سلمي * قال لا ثم تولى
فتظامي القلب كلا * باطنا ثم تجلي

وقال فى سامي قبل تزويجه لها :

لعل الله يجمعني بسلمي * أليس الله يفعل مايشاء
وياتي بي و يطرحني عليها * فيوقظني وقد قضى القضاء
ويرسل ديمة من بعد هذا * فتغسلنا وليس بنا عناء

وقال فيها بعد تزويجه لها :

أنا في يمني يديها * وهي في يسرى يديه
ان هذا لقضاء * غير عدل ياأخيه
ليت من لام محبا * فى الهوى لاقي منيه
فاستراح الناس منه * ميتة غير سويه

قال : ولهج الوليد بالنساء والشراب والصيد . فارسل الى المدينة فحملوا له المغنين فلماقربوا اليه أمران يدخلوا العسكر ليلا وكره أن يراهم الناس فاقاموا حتى أمسوا غير محمد بن أبي عائشة فانه دخل نهارا . فامر الوليد بحبسه فلم يزل محبوسا حتي شرب الوليد يوما فطرب فكلمه معبد فامر

الوليد باخراجه ودعاه فغناه فقال :

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * يطرق عليك النجى والولج

فرضى عنه . وكان سعيد الاحوص ومعبد . قدما على الوليد ونزلا فى الطريق على غدير وجارية تستسقى فزاغت فانكسرت الجرة فجلست تغني :

يابيت عاتكة التى أتغزل * حذر العداو به الفؤاد موكل

فقال : ياجارية لمن أنت . فقالت كنت لآل الوليد بالمدينة . فاشترانى مولاى وهو من بني عامر بن صعصعة أحد بنى الوحيد من بنى كلاب وعنده بنت عم له فوهبني لها فامرتنى ان أستقى لها . فقال لها : لمن الشعر . قالت : سمعت بالمدينة ان الشعر للاحوص والغناء لمعبد فقال معبد للاحوص : قل شيا أغني عليه . فقال :

ان زين الغدير من كسر الجر وغني غناء فحل مجيد
قلت من أنت ياماليحة قالت * كنت فيما مضى لآل الوليد
ثم قد صرت بعد عز قريش * فى بني عامر لآل الوحيد
وغنائي لمعبد ونشيدى * لفتى الناس الاحوص الصنديد
فتضاحكت ثم قلت أنا الاحـ * ـوص والشيخ معبد قاعيدى
فاعادت وأحسنت ثم ولت * تتهادى فقلت أم سعيد
بقصر المال عن شراك ولكن * أنت فى ذمة الامام الوليد

وأم سعيد كانت للاحوص بالمدينة : فغني معبد على الشعر . فقال . ماهذا فاخبراه فاشتراها الوليد قال أبو الحسن وقال ابن أبي الزناد : اني كنت عند هشام وعنده الزهرى فذكر الوليد فتقصاه وعاباه عيبا شديدا . ولم أعرض لشئ مما كانا فيه فاستاذن فاذن له فدخل وأنا أعرف الغضب فى وجهه . فجلس قليلا ثم قام . فلما مات هشام : كتب بي فحملت اليه فرحب بى . وقال : كيف حالك ياابن ذكوان والطف المسئلة . ثم قال أتذكره شاما الاحول . وعنده الفاسق الزهرى وهما يعيباني . فقلت : اذكر ذلك ولم أعرض لشيء مما كانا فيه . قال صدقت أرأيت الغلام الذى كان على رأس هشام قائما : قلت نعم . قال : فانه نم الىّ بماقالاه وأيم الله لو بقي الفاسق الزهرى لقتلته . قلت قد عرفت الغضب فى وجهك حين دخلت . قال : ياابن ذكوان

ذهب الاحول قلت يطيل الله عمرك ، ويمتع الامة ببقائك ؟ ودعا بالعشاء فتعشينا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وجلس : فقال : اسقني فجاؤا باناء مغطى وجيء بثلاث جواز فصففن بيني وبينه حتى شرب ودهش فتحدثنا واستسقى فصنعوا مثل ذلك فما زال كذلك يستسقي ويتحدث ويصنعون مثل ذلك حتى طلع الفجر . فاحصيت له سبعين قدحا . على بن عياش قال : اتي عند الوليد بن يزيد فى خلافته اذ أتى بابن شراعة من الكوفة فوالله ماساله عن نفسه ولا عن مسيره حتى قال له : ياابن شراعة أنا والله ماأبعث اليك لأسالك عن كتاب الله وسنة رسوله . قال والله لو سالتني عنهما لوجدتني فيهما حمارا . قال انما أرسلت اليك لاسالك عن القهوة . قال دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم ، وطبيبها العليم . قال فاخبرنى عن الشراب . قال : يسال أمير المؤمنين عما بداله قال ماتقول فى الماء . قال لابدلى منه والحمار شريكى فيه . قال ماتقول فى اللبن . قال مارأيته قط إلا استحييت من أمي لطول ماارضعتني به . قال : ماتقول فى السويق قال شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال فنبيذ التمر . قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش . قال فنبيذ الزبيب . قال حاموا به على الشراب . قال : ماتقولون فى الخمر . قال : أواه تلك صديقة روحى . قال : وأنت والله صديق روحى قال فاي المجالس أحب قال ماشرب الكاس قط على وجه أحسن من السماء قال أبو الحسن كان أبو كامل مضحكا غزلا مغنيا فغني الوليد يوما فطرب فاعطاه قلنسوة برود كانت عليه فكان أبو كامل لايلبسها الا فى عيد ويقول كسانيها أمير المؤمنين فانا اصونها وقد أمرت أهلى اذا مت ان توضع فى اكفاني وله يقول الوليد

من مبلغ عني أبا كامل * انى اذا ماغاب كالهابل
وزادنى شوقا الى قربه * ماقدمضى من دهرنا الحائل
انى اذا عاطيته مرة * ظلت بيوم الفرح الجازل

قال وجلس الوليد يوما وجارية تغنيه فانشدت الوليد * قينة في يمينها ابريق * فاستنشدها حماد الراوية فقال :

ثم نادى الا أصبحوني فقامت * قينة فى يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافه الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق

وكتب له الوليد الى المدينة فحمل اليه اشعب فالبسه سراويل جلد قرد له ذنب وقال له ارقص

وغن صوتا يعجبني فان فعلت أعطيتك الف درهم فرقص وغني فعجبه فاعطاه الف درهم وأنشد الوليد هذا :

علـلاني واسـقياني * من شراب اصفهاني
من شراب الشيخ كسري * أو شراب الهرمزان
ان بالكاس لمسـكا * أو بكفي من سقاني
انمـا الكاس ربيع * يتعاطي بالبنان

وقال أيضا :

وصفراء في الكاس كالزعفران * سباها الدهاقين من عسقلان
لهـا قاد رمح اذا صـفقت * تراها كلمعة برق يماني

وقال أيضا :

ليت حظي اليـوم من * كل معاش لي وزاد
قهـوة أبذل فيهـا * طار في بعد تلادي
فيـزال القلب منها * هائمـا في كل وادي
ان في ذاك فلاحي * وصلاحي ورشادي

اوقال امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انمـا الكاس ربيع باكر * فاذا مالم نذقها لم نعش

وبلغ الوليد ان الناس يعيبونه وينتقصونه بالشراب وطلب اللذات . فقال في ذلك :

ولقد قضيت ولم يجلل لمتي * شيب على رغم العدا اللذات
من كاعبات كالدمى ومناصف * ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تابي الشموس وجوههم * شم لا نوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتراتهم يعطونها * أو يطلبوا لا يدركوا بترات

وقال معاوية بن عمرو بن عتبة ، للوليد بن يزيد حين تغير له الناس وطعنوا عليه : ياأمير المؤمنين انه ينطقني الامن بك ، وتسبقني اليك الهيبة لك وأراك تامن أشياء أخافها عليك . أفاسكت مطيعا أم أقول مشفقا قال كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فقتل بعد ذلك بايام وقال اذ كثر القول فيه :

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم * ثباتا لا يساوي ماحييت عقالا
دعوا لي سليمى مع طلاء وقينة * وكاس الا حسبي بذلك مالا

أبالملك أرجو أن أخلد فيكم * ألا رب ملك قد أزيل فزالا
ألا رب دار قد تحمل أهلها * فأضحت قفارا والديار خلالا

قال اسحق بن محمد الازرق دخلت على منصور بن جهور الازدى بعد قتل الوليد بن يزيد وعنده جاريتان من جوارى الوليد . فقال لى : اسمع من هاتين الجاريتين ما يقولان قالتا قد حدثناك قال بل حدثاه كما حدثتماني . قالت : احداهما كنا أعز جواريه عنده فنكح هذه وجاء المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فاخرجها وهى سكرى جنبة متلثمة فصلت بالناس

٥٤ — مقتل الوليد بن يزيد — اسمعيل بن ابراهيم قال حدثني عبدالله بن واقد الجرمي وكان شهد قتل الوليد . قال لما اجمعوا على قتله قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك فخرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك فاتى أخاه العباس ليلا فشاوره في قتل الوليد فنهاه عن ذلك فأقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشق فى أربعين رجلاً فكسروا باب المقصورة ودخلوا على واليها فاوثقوه وحمل يزيد الاموال على العجل الى باب المضمار وعقد لعبدالعزيز بن الحجاج ونادى مناديه من انتدب الى الوليد فله ألفان فانتدب معه الفا رجل وضم مع عبد العزيز ابن الحجاج يعقوب بن عبدالرحمن ومنصور بن جهور وبلغ الوليد بن يزيد ذلك فتوجه من البلقاء الى حمص . وكتب الى العباس بن الوليد أن يأتيه فى جند من أهل حمص وهو منها قريب . وخرج الوليد حتى انتهى الى قصر فى برية ورمل من تدمر على أميال وصبحت الخيل الوليد بالصحراء وقدم العباس بن الوليد بغير خيل فحبسه عبدالعزيز بن الحجاج خلفه . ونادى منادي عبدالعزيز من أتى العباس بن الوليد فهو آمن وهو بيننا وبينكم وظن الناس ان العباس مع عبد العزيز فتفرقوا عن الوليد وهجم عليه الناس فكان أول من هجم عليه السرى بن زياد بن أبي كبشة السكسكى وعبدالسلام اللخمي فاهوى اليه السري بالسيف وضربه عبدالسلام على قرنه فقتل . قال اسمعيل وحدثني عبد الله بن واقد قال حدثني يزيد بن أبى فروة مولى بنى أمية قال لما أتى يزيد برأس الوليد بن يزيد قال لى انصبه للناس قلت لا أفعل انما ينصب رأس الخارج فحلف لينصبن ولا ينصبه غيرى فوضع على رمح ونصب على درج مسجد دمشق . ثم قال : اذهب فطف به فى مدينة دمشق : وخليفة ابن خياط قال حدثني الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا بالوليد أخذ المصحف قال اقتل كما قتل ابن عمي عثمان . أبو الحسن المدائنى قال : كان الوليد صاحب لهو وصيد وشراب ولذات فلما ولى الامر جعل يكره المواضع التي يراه الناس فيها . فلم يدخل

مدينة من مدائن الشام حتى قتل ولم يزل يتنقل و يتصيد حتى ثقل على الناس وعلى جنده
واشتد على بني هاشم واضر بهم وضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته
وغرّ به الى عمان فلم يزل محبوسا حتى قتل الوليد . وحبس يزيد بن هشام وهو الافقم فرماه
بنو هاشم و بنو الوليد وكان أشدهم قولا فيه يزيد بن الوليد . وكان الناس الى قوله أميل
لانه كان يظهر النسك ولما دفع الوليد خالد بن عبد الله القسري الى يوسف بن عمر فقتله غضب
له اليمانية وغيرهم فاتت يزيد بن الوليد بن عبد الملك فارادوه على البيعة وخلع الوليد فامتنع عليهم
وخاف أن لا تبايعه الناس ثم لم يزل الناس به حتى بايعوه سرا . ولما قتل الوليد بن يزيد قام
يزيد بن الوليد خطيبا فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس اني والله ما خرجت
أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة فى الملك ومابي اطراء نفسى ولا تزكية عملى
واني لظلوم لنفسى ان لم يرحمني ربي ولكنني خرجت غضبا لله ودينه . وداعيا الى كتاب الله
وسنة نبيه حين درست معالم الهدى ، وطفىء نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد
المستحل للحرمة ، والراكب للبدعة والمغير للسنة ، فلما رأيت ذلك أشفقت أن غشيتكم
ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من قلوبكم ، وأشفقت ان يدعو كثيرا
من الناس الى ماهو عليه فيجيبه من اجابه منكم فاستخرت الله فى أمرى وسألته أن لا يكلني الى
نفسى ودعوت الى ذلك من اجابني من أهلي وأهل ولايتى وهو ابن عمى فى نسبي وكفئي فى
حسبي فاراح الله منه العباد وطهر منه البلاد ولاية من الله وعونا بلا حول ولا قوة ولكن بحول
الله وقوته وولايته وعونه ، أيها الناس : ان لكم على ان وليت أموركم ان لا أضع لبنة على
لبنة ولا حجرا على حجر ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتي أسد ثغره وأقسم بين أهله ما تقوون
به فان فضل رددته الى اهل البلد الذي يليه ومن هو أحوج اليه حتي تستقيم المعيشة بين المسلمين
وتكونوا فيه سواء ولا أحد يعوزكم فتفتنوا فتنة أهاليكم فان اردتم بيعتي على الذى بذلت لكم
فانا لكم به وان ملت فلا بيعة لى عليكم وان رأيتم أحدا هو أقوى عليها مني فاردتم بيعته فانا أول
من بايع ودخل فى طاعته أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . وقال خلف بن خليفة فى
قتل الوليد بن يزيد يقول فى قتل خالد بن عبد الله :

لقد سكنت كلب واسياف مذحج * صدى كان يزقو ليله غير راقد
تركنا أمير المؤمنين بخيلة * مكبا على خيشومه غير ساجد
فان تقطعوا منا مناط قلادة * قطعنا بها منكم مناط قلائد

وان تشغلونا عن أذان فاننا * شغلنا الوليد عن غناء الولائد

٥٥ — ولاية يزيد الناقص — ثم بويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ست وعشرين ومائة . وأمه ابنة يزدجرد بن كسرى سباها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها الى الحجاج بن يوسف فبعث بها الحجاج الى الوليد بن عبد الملك فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ولم تلد غيره . ومات يزيد بن الوليد بدمشق لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وثلاثين سنة وصلى عليه أخوه ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك . قال عبد العزيز : بويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة ومات ولم يبلغ الاربعين . وعلى شرطته بكير بن عثمان الحسنى وكاتب الرسائل ابن أبي سليمان بن سعد . وعلى الخراج والجند والخاتم الصغير والحرس النضر بن عمرو من أهل اليمن وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد الكلبي . ويقال قطن مولاه وكتب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد بالجزيرة وبلغه عنه تلكؤ فى بيعته . أما بعد : فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخري فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . ثم قطع اليه البعوث وأمرهم بالعطاء فلم ينقص عطاؤه حتي مات يزيد . ولما بلغ مروان ان يزيد قطع البعوث اليه كتب ببيعته وبعث وفدا عليهم سليمان بن علاثة العقيلى فخرج فلما قطعوا الفرات لقيهم بريد بموت يزيد فانصرفوا الى مروان والله أعلم

٥٦ — ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع — العلاء بن يزيد بن سنان قال حدثني أبي قال . حضرت الوليد بن يزيد حين حضرته الوفاة فاتاه قطن . فقال أنا رسول من وراء بابك يسالونك بحق الله لو وليت أمرهم أخاك ابراهيم بن الوليد فغضب وضرب بيده على جبهته وقال : أنا أولى ابراهيم . ثم قال لى يا أبا العلاء الى من تري ان أعهد قلت أمر نهيتك عن الدخول فى اوله فلا أشير عليك فى الدخول فى آخره . قال فاصابته إغماءة حتي ظننت انه قد مات ففعل ذلك غير مرة ثم خرجت من عنده فقعد قطن وافتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لابراهيم بن الوليد ودعا ناسا فاشهدهم عليه . قال والله ماعهد اليه يزيد ولا الى احد من الناس وقال يزيد فى مرضه لو كان سعيد بن عبد الملك قريبا مني لرأيت فيه رأيي . وفى رواية ابى الحسن المدائني . قال لما مرض يزيد قيل له لو بايعت لاخيك ابراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعدك فقال له قيس بن هانىء العبسي

اتق الله يا أمير المؤمنين وانظر لنفسك وارض الله فى عباده ، فاجعل ولى عهدك عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . فقال الوليد لا يسالني الله عن ذلك ولو كان سعيد ابن عبد الملك مني قريبا لرأيت فيه رأبي . وكان يزيد يرى رأى القدرية ويقول بقول غيلان فالحت القدرية عليه وقالوا : لا يحل لك اهمال أمر الامة فبايع لاخيك ابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده فلم يزالوا به حتى بايع لابراهيم بن الوليد ولعبد العزيز من بعده ومات يزيد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة وكانت ولايته خمسة أشهر واثني عشر يوما فلما قدم مروان نبش يزيد من قبره وصلبه وكان يقرأ في الكتب القديمة . يا مبذر الكنوز يا سجاد في الاسحار كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة نبشوك فصلبوك وبويع ابراهيم ابن الوليد وأمه بربرية فلم يتم له الامر وكان يدخل عليه قوم فيسلمون بالخلافة وقوم يسلمون بالامرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بامرة . وجماعة تبايع وجماعة يابون أن يبايعوا فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلع ابراهيم وقتل عبد العزيز ن الحجاج وولى الامر بنفسه . وفى رواية خليفة بن خياط قال : لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن الوليد دعا قيساً وربيعة ففرض لستة وعشرين ألفا من قيس وسبعة آلاف من ربيعة وأعطاهم عطياتهم وولى على قيس اسحق بن مسلم العقيلى وعلى ربيعة المساور بن عقبة . ثم خرج يريد الشام واستخلف على الجزيرة أخاه عبد العزيز بن محمد بن مروان فتلقاه وجوه قريش الوثيق بن زفر ويزيد بن عمرو بن هبيرة الفزارى وأبو الورد بن الهذيل بن زفر وعاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى فى خمسة آلاف من قيس فساروا معه حتى قدم حلب وبها بشر ومسرور ابنا الوليد بن عبد الملك أرسلهما ابراهيم ابن الوليد حين بلغه مسير مروان بن محمد فالتقوا فانهزم بشر ومسرور من ابن محمد من غير قتال فاخذهما مروان فحبسهما عنده . ثم سار مروان حتى أتى حمص فدعاهم للمسير معه والبيعة وولى العهد الحكم وعثمان ابنى الوليد بن يزيد وهما محبوسان عند ابراهيم بن الوليد بدمشق فبايعوه وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد وبلغ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ما لقي سليمان وهو معسكر فى ناحية الري . فاقبل الى دمشق وخرج ابراهيم بن الوليد من دمشق ونزل بباب الجابية وتهيا للقتال ومعه الاموال على العجل ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز ابن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلا مدينة دمشق يريدان قتل الحكم وعثمان ابني الوليد وهما

في السجن . وجاء يزيد بن خالد بن عبدالله القسرى قد دخل السجن فقتل يوسف بن عمر والحكم وعثمان بني الوليد بن يزيد وهما الحملان وأتاهم رسول ابراهيم فتوجه عبد العزيز بن الحجاج الى داره ليخرج عياله . فثار به أهل دمشق فقتلوه واحتزوا رأسه فاتوا به أبا محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية . وكان محبوسا مع يوسف بن عمر وأصحابه فاخرجوه فوضعوه على المنبر في قيوده ورأس عبد العزيز بين يديه وحلوا قيوده وهو على المنبر فخطبهم وبايع لمروان وشتم يزيد وابراهيم ابني الوليد وأمر بجثة عبد العزيز فصلبت على باب الجابية منكوسا وبعث برأسه الى مروان بن محمد واستامن أبو محمد لاهل دمشق فامنهم مروان ورضى عنهم . وبلغ ابراهيم فخرج هاربا حتى اتى مروان فبايعه وخلع نفسه فقبل منه وأمنه فسار ابراهيم فنزل الرقة على شاطىء الفرات ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستامنه فامنه فاتاه فبايعه واستقامت لمروان بن محمد وكانت ولاية ابراهيم بن الوليد المخلوع أشهرا . قال أبو الحسن شهرين ونصفا

٥٧ — ولاية مروان بن محمد بن مروان — ثم بويع مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم أمه بنت ابراهيم بن الاشتر قال بعضهم بل كانت أمه لخباز لمصعب بن الزبير أولابن الاشتر واسم الخباز زربا . وقال بعضهم كان زربا عبد المسلم بن عمرو الباهلى . وقال ابو العباس الهلالى حين دخل على ابي العباس السفاح الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن امة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزم بنى مروان وأنجدهم وأبلغهم ولكنه ولى الخلافة والامر مدبر عنهم ودفع الى مروان أبياتا قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس وهي :

الا فتيان من مضر فيحموا * أسارى في الحديد مكبلينا
أتذهب عامر بدمي وملكي * فلا غثا أصبت ولا سمينا
فان أهلك انا وولى عهدي * فمروان امير المؤمنينا
فادب لا عدمتك حرب قيس * فتخرج منهم الداء الدفينا
الا من مبلغ مروان عني * وعمى الغمر طال بذا حنينا
فاني قد ظلمت وطال حبسي * لخضرى الداء في لخف مهينا

وقتل مروان بابى صير من ارض مصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة الوليد بن هشام عن ابيه وعبدالله بن المغيرة عن ابيه وابو اليقظان قالوا ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وقتل

بقرية من قرى مصر يقال لها بوصير يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكانت ولايته خمس سنين وستة اشهر وعشرة أيام . وأم مروان أمة لمصعب بن الزبير وقتل وهو ابن خمسين سنة ولد لمروان عبدالملك ومحمد وعبد العزيز وعبيد الله وعبدالله وأبان ويزيد ومحمدا الاصغر وأبا عثمان وكاتبه عبد الحميد بن يحيي بن سعيد مولى بنى عامر بن لؤى وكان معلما وكان على القضاء سليمان بن عبدالله بن علاثة وعلى شرطته الكوثر بن عتبة وأبو الاسود الغنوى وكان للحرس نوبة فى كل ثلاثة أيام نوبة يلي ذلك صاحب النوبة وعلى حجابته صقلاو مقلاص وعلى الخاتم الصغير عبدالاعلي بن ميمون بن مهران وعلى ديوان الجند عمران بن صالح مولى بنى هذيل :

٥٨ — مقتل مروان بن محمد بن مروان — قال والتقى مروان وعامر بن اسمعيل ببوصير من أرض مصر فقاتلوهم ليلا وعبدالله وعبيدالله ابنا مروان واقفان ناحية فى جمع من أهل الشام فحمل عليهم أهل خراسان فأزالوهم عن مراكزهم ثم كروا عليهم فهزموهم حتي ردوهم الى عسكرهم ورجعوا الى موقفهم . ثم ان أهل الشام بدؤهم فحملوا على أهل خراسان فكشفوا كشفا قبيحا ثم رجعوا الى أماكنهم وقد مضي عبيدالله وعبد الله فلم يروا أحدا من أصحابهم فمضوا على وجوههم وذلك فى السحر وقتل مروان وانهزم الناس وأخذوا عسكر مروان وما كان فيه وأصبحوا فاتبعوا الفل وتفرق الناس فجعلوا يقتلون من قدروا عليه ورجع أهل خراسان عنهم فلما كان الغد لحق الناس بعبدالله وعبيدالله ابني مروان وجعلوا ياتونهما متقطعين العشرة والعشرين وأكثر وأقل و يقولان كيف أمير المؤمنين فيقول بعضهم تركناه يقاتلهم ويقول بعضهم انحاز وثاب اليه قوم ولا يتبعونه حتي أتوا الحرون . فقال كنت معه أنا ومولى له فصرع فجررت برجله فقال أوجعتني فقاتلت أنا ومولاه عليه وعلموا انه مروان فألحوا عليه فتركته ولحقت بكم فبكى عبد الله فقال له أخوه عبيدالله يا ألأم الناس فررت عنه وتبكى عليه ومضوا فقال بعضهم كانوا أربعة آلاف وقال بعضهم كانوا ألفين فأتوا بلاد النوبة فأجرى عليهم ملك النوبة ما يصلحهم ومعهم أم خالد بنت يزيد وأم الحكم بنت عبيد الله صبية جاء بها رجل من عسكر مروان حين انهزموا فدفعها الى أبيها ثم أجمع ابنا مروان على ان ياتيا اليمن وقالا نأتيها قبل ان يأتيها السودان فلنتحصن فى حصونها وندعو الناس . فقال لهم صاحب النوبة لاتفعلوا انكم فى بلاد السودان وهم فى عدد كثير ولا من

عليكم فاقيموا فابوا . قال : فاكتبوا الى كتابا فكتبوا له انا قدمنا بلادك فاحسنت مثوانا وأشرت علينا ان لا نخرج من بلادك فابينا وخرجنا من عندك وافرين راضين شاكرين لك بطيب أنفسنا وخرجوا فاخذوا فى بلاد العدو فكانوا ربما عرضوا لهم ولا يأخذون منهم الا السلاح وأكثر ذلك لا يعرضون لهم حتى أتوا بعض بلادهم فتلقاهم عظيمهم فاحتبسهم فطلبوا الماء فمنعهم ولم يقاتلهم ولم يخلهم وعطشهم وكان يبيعهم القربة بخمسين درهما حتى اخذ منهم مالا عظيما ثم خرجوا فساروا حتى عرض لهم جبل عظيم بين طريقين فسلك عبدالله أحدهما فى طائفة وسلك عبيد الله الاخرى فى طائفة وظنوا ان للجبل غاية يقطعونها ثم يجتمعون بهم عند آخرها فلم يلتقوا وعرض قوم من العدو لعبيدالله وأصحابه فقاتلوهم فقتل عبيد الله وأخذت أم الحكم بنته وهى صبية . وقتل رجل من أصحابه وكفوا عن الباقين وأخذوا سلاحهم . وتقطع الجيش فجعلوا يتنكبون العمران فيأتون الماء فيقيمون عليه الايام فتمضى طائفة وتقيم الاخرى حتى بلغ العطش منهم . فكانوا ينحرون الدابة فيقطعون اكراشها فيشربونه حتى وصلوا الى البحر بحيال علائقة المندب . ووافاهم عبدالله وعليه مقرمة قد جاء بها فكانوا جميعا خمسين أو أربعين رجلا فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون . وعفان مولى بنى هاشم . فعبروا اليهم البحر فى السفن فمشوا الى المندب فأقاموا بها شهرا فلم تحملهم . فخرجوا الى مكة . وقال بعضهم اعلم بهم العامل فخرجوا مع الحجاج عليهم ثياب غلاظ وثياب الاكرياء حتى وافوا جدة وقد تقطعت أرجلهم من المشي فمروا بقوم فرقوا لهم فحملوهم . وفارق عبد الله الحجاج بجدة ثم حجوا وخرجوا من مكة الى قتاله . وكان على عبدالله فص أحمر كان قد غيبه حين عبر الى المندب . فلما أمن استخرجه وكانت قيمته ألف دينار وكان يقول : وهو يمشي ليت به دابة . حتى صار فى مرقعة تكون عليه بالنهار فيلبسها بالليل . فقالوا : ما رأينا مثل عبدالله قاتل فكان اشد الناس ومشوا فكان اقواهم ، وجاعوا فكان اصبرهم ، وعروا فكان أحسنهم عريا . وبعث وهو بالمندب الى العدو الذين أخذوا أم الحكم بنت أخيه عبيدالله ففداها وردها اليه . فكانت معه ثم أخذ عبيدالله فقدم به على المهدى . فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم فكلمت العباس بن يعقوب كاتب عيسى بن على واعطته لؤلؤا ليكلم فيه عيسى فكلمه واعلمه بما اعطته فلم يكلم فيه عيسى ابن على المهدي . واراد المهدى ان يخليه فقال له عيسى : ان له فى أعناقنا بيعة وقد أعطى كاتبي قيمة ثلاثين الف درهم فحبسه المهدي . وكان عبد الله بن مروان

تزوج أم يزيد ابنة يزيد بن محمد بن مروان وكانت فى الحبس . فلما اخرجهم العباس خرجت الى مكة فاقامت بها وقدم عبدالله بن مروان سرا فتزوجها . وقال مولى مروان : كنت مع مروان وهو هارب . فقال لى يوما : أين عزبت عنا حلومنا فى نسائنا الا زوجناهن من اكفائهن من قريش فكفينا مؤنتهن اليوم . وقال بعض آل مروان : ما كان شيء انفع لنا فى هربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذى يساوى خمسة دنانير فما دون كان يخرجه الصبي والخادم فيبيعه وكنا لا نستطيع ان نظهر الجوهر الثمين الذى له قيمة كثيرة . وقال مصعب بن الربيع الخثعمي كاتب مروان بن محمد لما انهزم مروان وظهر عبد الله ابن على على أهل الشام : طلبت الاذن فانا عنده جالس وهو متكيء اذ ذكر مروان وانهزامه . فقال : شهدت القتال : قلت . نعم اصلح الله الامير وقال لى مروان احذر القوم . فقلت انما أنا صاحب قلم . ولست بصاحب حرب . فاخذ يمنة ويسرة فقال لى : هم اثنا عشر ألف رجل . وقال مصعب قيل لمروان : قد انتهب بيت المال الصغير فانصرف يريد بيت المال . فقيل له انتهب بيت المال الا كبر انتهبه أهل الشام . وقال أبو الجارود السلمي : حدثنى رجل من أهل خراسان قال لقينا مروان على الزاب فحمل علينا أهل الشام كانهم جبال حديد . فجثونا على الركب واشرعنا الرماح فزالوا عنا كانهم سحابة ومنحنا الله اكتافهم وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا فبقي عليه رجل من أهل الشام فخرج اليه رجل منا فقتله الشامى . ثم خرج اليه آخر فقتله حتي والى بين ثلاثة . فقال رجل منا اطلبوا لى سيفا قاطعا وترسا صلبا فاعطيناه ومشى اليه فضربه الشامى فاتقاه بالترس وضرب رجله فقطعها وقتله ورجع فحملناه وكبرنا فاذا هو عبيد الله الكابلى . سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم . وانهم لم يزالوا على استقامة حتى افضي أمرهم الى أبنائهم المترفين . وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات ، وايثار اللذات ، والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا باستدراج الله ، وأمنا لمكره ، فسلبهم الله العز ، ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن مروان لما دخل النوبة هاربا فيمن تبعه . سال ملك النوبة عنهم فاخبر فركب الى عبدالله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين ان يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة ويساله عن ذلك . فامر المنصور باحضاره وساله عن القصة . فقال : يا أمير المؤمنين قدمنا أرض النوبة وقد خبر الملك بامرنا

فدخل على رجل أقنى الانف طوال حسن الوجه فقعد على الارض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك ان تقعد على ثيابنا . قال . لاني ملك ويحق على الملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لاي شيء تشربون الخمر وهي محرمة عليكم قلت اجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا واتباعنا لان الملك قد زال عنا . قال فلم تطؤن الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم قلت : يفعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم . قلت : ذهب الملك عنا وقل انصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال . فاطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت الارض ويقول عبيدنا واتباعنا وقوم دخلوا في ديننا وزال الملك عنا يردده مرارا . ثم قال ليس ذلك كذلك بل أنتم قوم قد استحللتم ما حرم الله ، وركبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من ملكتم فسلبكم الله العز ، وألبسكم الذل بذنوبكم ولله فيكم نقمة لن تبلغ غايتها واخاف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم وارتحلوا عن بلدي

٥٩ — أخبار الدولة العباسية — الهيثم بن عدى قال: حدثني عياش قال حدثني بكير أبو هاشم مولي مسلمة قال : لم يزل لبني هاشم بيعة سر ودعوة باطنة منذ قتل الحسين بن على ابن أبي طالب ولم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال ملك بني أمية حتى صار ذلك وقيل لبعض بني أمية ما كان سبب زوال ملككم قال اختلاف فيما بيننا واجتماع المختلفين علينا . الهيثم بن عدي قال : حدثني غير واحد ممن أدركت من المشايخ ان على بن أبي طالب اصار الامر الى الحسن فاصاره الحسن الى معاوية وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية . فلما قتل الحسين بن على صار أمر الشيعة الي محمد بن الحنفية . وقال بعضهم الى على بن الحسين . ثم الى محمد بن على . ثم الى جعفر بن محمد والذى عليه الاكثران محمد بن الحنفية أوصي الى أبي هاشم ابنه عبد الله بن محمد بن الحنفية . ولم يزل قائما بامر الشيعة ياتونه ويقوم بامرهم ويؤدون اليه الخراج حتي استخلف سليمان بن عبد الملك فاتاه وافدا ومعه عدة من الشيعة فلما كلمه سليمان . قال ما كلمت قط قرشيا يشبه هذا ومانظن الذي كنا نحدث عنه الاحقا فاجازه وقضى حوائجه وحوائج من معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين فلما كان ببلاد لخم وجذام ضربوا له أبنية في الطريق ومعهم اللبن المسموم . فكلما مر بقوم قالوا اهل لكم في الشراب . قالوا جزيتم خيرا ثم بآخرين فعرضوا عليه . فقال : هاتوا فلما شرب واستقر

بجوفه . قال لاصحابه اني ميت فانظروا من القوم فنظروا فاذاهم قد قوضوا أبنيتهم وذهبوا فقال ميلوا بي الى ابن عمي وما أحسبني أدركه فاسرعوا حتي أتوا الحميمتين أرض الشراة وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . فنزل بها : فقال يا ابن عمي اني ميت وقد صرت اليك وأنت صاحب هذا الامر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده والله ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان . ثم ليغلبن ما بين حضرموت وأقصى أفريقية وما بين غانة وأقصى فرغانة فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيرا فهم دعاتك وأنصارك ولتكن دعوتك خراسان لا تعدوها لاسيما مرو واستبطن هذا الحي من اليمن فان كل ملك لا يقوم به فمصيره الى انتقاض وانظر هذا الحي من ربيعة فالحقهم بهم فانهم معهم في كل أمر . وانظر هذا الحي من قيس وتميم فاقصهم الا من عصم الله منهم . وذلك قليل ثم مرهم أن يرجعوا فليجعلوا اثني عشر نقيبا . وبعدهم سبعين نقيبا . فان الله لم يصلح أمر بني اسرائيل الا بهم . وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك في خراسان منهم من يقتل ومنهم من ينجو حتي يظهر الله دعوتكم . قال محمد بن علي يا أبا هاشم وما سنة الحمار . قال : انه لم تمض مائة سنة من نبوة قط الا انتقض أمرها لقول الله عزوجل « أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس » واعلم أن صاحب هذا الامر من ولدك عبد الله بن الحارثية . ثم عبد الله أخوه ولم يكن لمحمد بن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبد الله فولد له من الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله وكني الاكبر أبا العباس . والاصغر أبا جعفر فوليا جميعا الخلافة . ثم مات أبو هاشم وقام محمد بن علي بالامر بعده . واختلفت الشيعة اليهم . فلما ولد أبو العباس أخرجه اليهم في خرقة قال لهم : هذا صاحبكم فجعلوا يلحسون أطرافه : وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبد العزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن علي فاخبروه انهم حبسوا بخراسان في السجن وكان يخدمهم فيه غلام من السراجين ما رأوا قط مثل عقله وظرفه ومحبته في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو مسلم . وقال أحر أم عبد . قال أما عيسى فيزعم أنه عبد . وأما هو فيزعم أنه حر . قال فاشتروه وأعتقوه واجعلوه بينكم اذ رضيتموه واعطوا محمد بن علي مائتي الف كانت معهم . فلما انقضت المائة سنة بعث محمد بن علي رسله الى خراسان فغرسوا بها غرسا . وأبو مسلم المقدم عليهم وثارت الفتنة في خراسان بين المضرية واليمانية فتمكن أبو مسلم وفرق رسله في كور خراسان يدعوا الناس الى آل الرسول

فاجابوه . ونصر بن سيار عامل خراسان لهشام بن عبد الملك . فكان يكتب لهشام بخبرهم وتمضى كتبه الى ابن هبيرة صاحب العراق لينفذها الى أمير المؤمنين فكان يحبسها ولا ينفذها لئلا يقوم لنصر بن سيار قائمة عند الخليفة . وكان فى ابن هبيرة حسد شديد . فلما طال بنصر بن سيار ذلك ولم يأته جواب من عند هشام كتب كتابا وأمضاه الى هشام على غير طريق ابن هبيرة وفى جوف الكتاب هذه الابيات مدرجة يقول فيها :

أرى خلل الرماد وميض جمر * فيوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكو * وان الحرب أوله الكلام
فان لم تطفؤها تجن حربا * مشمرة يشيب لها الغلام
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
تعرى عن رحالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه هشام ان احسم ذلك الثؤلون الذى نجم عندكم . قال نصر وكيف لنا بحسمه . وقال نصر بن سيار يخاطب المضرية واليمانية ويحذرهم هذا العدو الداخل عليهم بقوله :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم * فليغضبوا قبل ان لا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا * حربا يحرق فى حافاتها الحطب
مابالكم تلقحون الحرب بينكم * كأن أهل الحجا عن رأيكم غرب
وتتركون عدوا قد أظلكم * مما تأشب لا دين ولا حسب
قدما يدينون دينا ما سمعت به * عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم * فان دينهم ان تقتل العرب

ومات محمد بن على فى ايام الوليد بن يزيد واوصى الى ولده ابراهيم بن محمد. فقام بامر الشيعة وقدم عليهم أبو مسلم السراج وسليمان بن كثير . وقال لابي مسلم ان استطعت ان لا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ومن شككت فى امره فاقتله . فلما استعلى امر ابى مسلم بخراسان واجابته الكور كلها كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد يخبر ابى مسلم وكثرة من تبعه وانه قد خاف ان يستولى على خراسان وان يدعو الى ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فاتي الكتاب مروان وقد

أتاه رسول ابى مسلم بجواب ابراهيم الى أبي مسلم فكتب مروان الى الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وهو عامله على دمشق انا كتب الى عاملك بالبلقاء ليسير الى الحسينية فيأخذ ابراهيم بن محمد فيشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجهه الى فحمل الى مروان وتبعه من أهله عبدالله بن على وعيسى بن موسي فادخل على مروان فامر به الى الحبس . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال : كنت آتيه في السجن ومعه فيه سعيد بن عبد الملك وعبد الله بن عمر ابن عبد العزيز فوالله انى ذات ليلة فى سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا بمولى لمروان قد استفتح الباب ومعه عشرون رجلا من موالى مروان الاعاجم ومعهم صاحب السجن فاصبحنا وسعيد وعبد الله وابراهيم قد ماتوا . قال الهيثم حدثني أبو عبيدة قال حدثني وصيف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذى كان يخدمه فى الحبس : انه غم عبد الله ومولاه برفقه وابراهيم بن محمد بجراب نورة وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن . فلقيه بعض حرس مروان فى ظلمة الليل فوطئته الخيل وهم لا يعرفون من هو فمات . ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها فارسل الى نصر بن سيار فهرب هو وولده وكاتبه داود حتى انتهوا الى الري . فمات نصر بن سيار بفسطاط وتفرق أصحابه ولحق داود بالكوفة وولده جميعا . واستعمل ابو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمر قندوا حوازها . ثم اخرج الرايات السود وقطع البعوث وجهز الخيل والرجال عليهم قحطبة بن شبيب وعامر بن اسمعيل ومحرز ابن ابراهيم فى عدة من القواد فلقوا من بطوس فانهزموا ومن مات فى الزحام أكثر ممن قتل . فبلغ القتلى بضعة عشر الفا . ثم مضى قحطبة الى العراق فبدأ بجرجان وعليها نباتة بن حنظلة الكلابى . وكان قحطبة يقول لاصحابه : والله ليقتلن عامر بن منارة وينهزمن ابن هبيرة ولكني أخاف أن أموت قبل ان ابلغ ثاري . وأخاف أن أكون الذى يغرق فى الفرات فان الامام محمد بن على قال لى ذلك . قال الهيثم : فقدم قحطبة جرجان فقتل ابن نباتة ودخل جرجان فانتهبها وقسم ما أصاب بين أصحابه . ثم سار الى عامر بن ضبارة باصبهان فلقيه فقتل ابن ضبارة وقتل أصحابه ولم ينج منهم الا الشريد ولحق فلهم بابن هبيرة . وقال قحطبة لما قتل ابن ضبارة : ما شيء رأيته ولا عدو قتلته الا وقد حدثني به الامام صلوات الله عليه الا انه حدثني انى لا أعبر الفرات . وسار قحطبة حتى نزل بحلوان ووجه أبا عون فى نحو من ثلاثين الفا الى مروان بن محمد . فاخذ على شهر زور حتى أتى الزاب وذلك برأى أبي مسلم . حدثني أبو عون عبد الملك بن يزيد قال لى أبو هاشم بكير بن ماهان : انت والله الذي تسير الى مروان ولتبعثن اليه غلاما من

مذحج يقال له عامر فليقتلنه . فامضيت والله عامر بن اسمعيل على مقدمتي فالقى مروان فقتله . ثم صار قحطبة من حلوان الى ابن هبيرة بالعراق فالتقوا بالفرات فاقتتلوا . حتى اختلط الظلام وقتل قحطبة في المعركة وهو لا يعرف . فقال بعضهم : غرق في الفرات . ثم انهزم ابن هبيرة حتى لحق بواسط . وأصبح المسودة وقد فقدوا أميرهم فقدموا الحسن بن قحطبة . ولما بلغ مروان قتل قحطبة وهزيمة ابن هبيرة قال : هذا والله الادبار والا فمتى رأيتم ميتا هزم حيا . واقام ابن هبيرة بواسط وغلبت المسودة على العراق وبايعوا لابي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ووجه عمه عبيدالله بن علي لقتال مروان وأهل الشام وقدمه على أبي عون وأصحابه . ووجه أخاه أبا جعفر الى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام ابو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزاب . وامضي عبد الله بن علي اباعون في طلبه وأقام على دمشق ومدائن الشام ياخذ بيعتها لابي العباس . وكان أبو مسلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان يدعى وزير آل محمد . وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . فقتل أبو العباس أبا مسلمة الخلال واتهمه بحب بني فاطمة وانه كان يخطب حبالهم فقتل ابو جعفر أبا مسلم وكان أبو مسلم يقول لقواده : اذا اخرجتم لا تكلموا الناس الا رمزا ولا تلحظوهم الا شزرا لتمتلىء صدورهم من هيبتكم

٦٠ — مقتل زيد بن على ايام هشام بن عبد الملك — كتب يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك : ان خالد بن عبدالله أودع زيد بن حسين بن على بن أبي طالب مالا كثيرا . فبعث هشام الى زيد فقدم عليه يساله عن ذلك فانكر . فاستحلفه فحلف فخلي سبيله واقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه في بعض الايام فقال له هشام : بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال أما قولك اني احدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله . وأما قولك : انى ابن أمة فهذا اسمعيل صلى الله عليه وسلم ابن امة اخرج الله من صلبه خير البشر محمد صلي الله عليه وسلم . واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . وخرج زيد مغضبا . فقال هشام ما أحب أحد الحياة الا ذل قال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد وخرج زيد حتى قدم الكوفة . فقال .

سوده الخوف وأزري به ※ كذاك من يكره حر الجلاد

محتفي الرجلين يشكو الوجا ※ تنكبه اطراف مرو حداد

قد كان فى الموت له راحـة * والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فوجه يوسف بن عمر اليه الخيل . وخرج فى أثرهم حتي التقوا فقاتله فرمى زيد فى آخر النهار بنشابة فى نحره فمات فدفنه أصحابه فى حماة كانت قريبة منهم وتتبع أصحاب زيد فانهزم من انهزم وقتل من قتل . ثم أتي يوسف فقيل له ان زيدا دفن فى حماة فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام . ثم صلبه فى سوق الكناسة فقال فى ذلك أعور كاب وكان مع يوسف فى جيش أهل الشام :

نصبنا لكم زيدا على جذع نخلة * وما كان هذا على الجذع ينصب

الشـيباني قال : لما نزل عبـد الله بن على نهـر أبي قطرس . حضر الناس بابه للاذن وحضر اثنان وثمـانون رجلا من بني أمية فخرج الآذن . فقال : يا أهـل خراسان قوموا فقاموا اسماطين فى مجلسه . ثم اذن لبنى أمية فاخذت سيوفهم ودخلوا عليه . وقال أبو محمد العبدى الشاعر وخرج الحاجب فادخلنى فسلمت عليه فرد على السلام : ثم قال انشدنى قولك .

* وقف المتيم فى رسوم ديار * فانشدته حتي انتهيت الى قولى :

امـا الدعاة الى الجنان فهاشم * وبنـو أميـة من دعاة النار

من كان يفخر بالمكارم والعلا * فلها يـتم المجـد غـير فخـار

والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه علي المصلى . وبنو أميـة علي الكراسى فأتى الى صرة حرير خضراء فيها خمسمائة دينار . فقال : لك عندنا عشرة آلاف درهـم وجارية وبرذون وغلام وتخت ثياب . قال : فوفى والله بذلك كله ثم انشأ عبد الله ابن على يقول :

حسبت أمية أن سيرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمـد والهـه * حـتي يفادوا زيدها وحسينها

ثم أخذ قلنسوته من رأسـه فضرب بها الارض . فأقبل أولئك الجند على بني أمية فخبطوهم بالسيوف والعمد . وقال الكلبي الذي كان بينهم وكان من أتباعهم أيها الامير انى والله ما أنا منهم فقال عبد الله بن على :

ومدخل رأسـه لم يدعه أحد * بين الفريقين حتى بزه القرن

اضربوا عنقه . ثم أقبل على الغمر فقال : ما أحسب لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرا . فقال : أجل قال يا غلام اضرب عنقه فاقيم من المصلى فضرب عنقه . ثم أمر ببساط فطرح عليهم

ودعا بالطعام فجعل يا كل وأنين بعضهم تحت البساط . وفي رواية أخري قال لما قدم الغمر بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السفاح في ثمانين رجلا من بني أمية فوضعت لهم الكراسي ووضعت لهم نمارق وأجلسوا عليها وأجلس الغمر مع نفسه في المصلى . ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون وكان متوشحا . سيفا متنكبا قوسا وكان طويلا آدم فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيزعم الضلال بما حبطت أعمالهم ان غير آل محمد أولى بالخلافة فلم وبم . أيها الناس لكم الفضل بالصحابة دون حق ذوى القرابة الشركاء في النسب ، الاكفاء في الحسب ، الخاصة في الحياة ، الوفاة عند الوفاة مع ضربهم على الامير جاهلكم واطعامهم في الاولى جائعكم ، فكم قصم الله بهم من جبار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يسمع بمثل العباس لم تخضع له أمة بواجب حق أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجلدة ما بين عينيه ، أمينه ليلة العقبة ، ورسوله الى أهل مكة وحاميه يوم حنين ، لا يرد له رأيا ، ولا يخالف له قسما ، انكم والله معاشر قريش ما اخترتم لانفسكم من حيث ما اختاره الله لكم . تيمي مرة وعدوى مرة وكنتم بين ظهراني قوم قد آثروا العاجل على الآجل ، والفاني على الباقي ، وجعلوا الصدقات في الشهوات ، والفيء في اللذات ، والغناء والمغانم في المحارم ، اذا ذكروا بالله لم يذكروا ، واذا قدموا بالحق أدبروا . فذلك زمانهم ، وبذلك كان يعمل شيطانهم . فلما كان الغد أذن لهم فدخلوا ودخل فيهم شبل . فلما جلسوا قام شبل فاستأذن في الانشاد فاذن له . فانشد :

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فلقوها * بعد ميل من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * اقطعوا كل نخلة وغراس
ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من منابر وكراسي
واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس
وقتيلا بجوف حران أضحي * تحجل الطير حوله في الكناس
نعم شبل الهراس مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

ثم قام وقاموا . ثم أذن لهم بعد فدخلوا ودخل الشيعة فلما جلسوا قام سديف بن ميمون . فانشد :

قد أتتك الوفود من عبد شمس * مستعدين يوجعون المطيا
عفوة أيها الخليفة لا عن * طاعة بل تخوفوا المشرفيا

لايغرنك ماترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

ثم قام خلف بن خليفة الاقطع فانشد .

ان تجاوز فقد قدرت عليهم * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
أو تعاتبهم على رقة الدين فقد كان دينهم سامريا

فالتفت أبو العباس الى الغمر . فقال : كيف ترى هذا الشعر قال والله ان هذا لشاعر ولقد قال شاعرنا ماهو أقعد قال وما قال فانشده :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

فشرق وجه أبي العباس بالدم . وقال : كذبت يا ابن اللخناء اني لارى الخيلاء في رأسك بعد . ثم قاموا وأمر بهم فدفعوا الى الشيعة فاقتسموهم فضربوا أعناقهم . ثم جروا بارجلهم حتى ألقوهم في الصحراء بالانبار وعليهم سراويلات الوشي فوقف عليهم سديف مع الشيعة وقال .

طمعت أمية ان سيرضي هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد واله * حتي يبيد كفورها وخؤنها

وكان أشد الناس على بني أمية عبدالله بن علي وأحنهم عليهم سليمان بن علي وهو الذي كان يسميه أبو مسلم كنف الامان . وكان يجير كل من استجار به . وكتب الى أبي العباس يا أمير المؤمنين انا لم نحارب بني أمية على أرحامهم وانما حاربناهم على عقوقهم . وقد دافت الى منهم دافة لم يشهروا سلاحا ولم يكثروا جمعا فاحب ان تكتب لهم منشور أمان فكتب لهم منشور أمان وأنفذه اليهم فمات سليمان بن علي : وعنده بضع وثمانون حرمة لبني أمية :

٦١ — خلفاء بني أمية بالاندلس — عبدالرحمن بن معاوية بن هشام أول خلفاء الاندلس من بني أمية . عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك وتوفي في عشرة من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ومائة . فكان ملكه اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر . ولي الملك يوم الجمعة لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة . وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكان يقال له صقر قريش . وذلك ان أبا جعفر المنصور قال لاصحابه اخبروني عن صقر قريش من هو قالوا أمير المؤمنين الذي راض الملك . وسكن الزلازل وحسم الادواء وأباد الاعداء . قال

ما صنعتم شيا . قالوا : فمعاوية قال ولا هذا . قالوا . فعبد الملك بن مروان قال : ولا هذا قالوا فمن يا أمير المؤمنين : قال : عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الامصار وجند الاجناد ودون الدواوين . وأقام ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره . وشد شكيمته ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللاله صعبه . وعبد الملك ببيعه تقدم له عقدها وأمير المؤمنين يطلب غيره واجتماع شيعته . وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لعزمه . وقالوا لما توطد ملك عبد الرحمن بن معاوية عمل هذه الابيات وأخرجها الى وزرائه فاستغربت من قوله اذ صدقها فعله . وهي :

ما حق من قام ذا امتعاض * منتضي الشفرتين نصلا
فجاب قفرا وشق بحرا * مساميا لجة ومحلا
فبز ملكا وساد علما * ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى * ومصر المصر حين أجلي
ثم دعا أهله جميعا * حيث انتأى ان هلم أهلا
فجاء هذا طريد جوع * شريد سيف أباد قتلا
فحل أمنا ونال شبعا * وحاز مالا ونال أهلا
ألم يكن حق ذا على ذا * أوجب من منعم ومولى

وكتب أمية بن يزيد عنه كتابا الى بعض عماله يستقصره فيما فرط فيه من عمله فاكثر وأطال الكتاب . فلما لحظه عبد الرحمن أمر بقطعه . وكتب : أما بعد فان يكن التقصير لك مقدما ، يعد الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا . وقد علمت بما تقدمت ، فاعتمد على أيهما أحببت . وكان ثار عليه ثائر يغز ولده . فغزاه فظفر به وأسره . فبينما هو منصرف وقد حمل الثائر على بغل مكبولا : نظر اليه عبد الرحمن بن معاوية . وتحته فرس له فقنع رأسه بالعباءة وقال : يابغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق . قال الثائر : يافرس ماذا تحمل من العفو والرحمة فقال له عبد الرحمن : والله لاتذوق موتا على يدي أبدا ﴿ هشام بن عبد الرحمن ﴾ ثم ولي هشام ابن عبد الرحمن لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين ومائة ومات في صفر سنة ثمانين ومائة . وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر . ومات وهو ابن احدى وثلاثين سنة . وهو أحسن الناس وجها وأشرفهم نفسا : الكامل

المروءة الحاكم بالكتاب والسنة . الذى أخذ الزكاة على حلها . ووضعها فى حقها . لم يعرف منه هفوة فى حداثته . ولا زلة فى أيام صباه . ورآه يوما أبوه وهو مقبل متلى شبابا فاعجبه . فقال : ياليت نساء بني هاشم أبصرنه حتي يعدن فوارك . وكان هشام يصر الصرر بالاموال فى ليالى المطر والظلمه ، ويبعث بها الى المساجد فيعطي من وجد فيها يريد بذلك عمارة المساجد . واوصى رجل فى زمن هشام بمال فى فك سبية من أرض العدو . فطلبت فلم توجد احتراساً منه للثغر واستنقاذا لاهل السبي (الحكم بن هشام) ثم ولى الخلافة الحكم بن هشام فى صفر سنة ثمانين ومائة وكانت ولايته سبعا وعشرين سنة . ومات يوم الخميس لثلاث بقين من ذى الحجة سنة تسعين ومائة . وهو ابن خمسين سنة . وكانت فيه بطالة الا انه كان شجاع النفس ، باسط الكف ، عظيم العفو ، متخير الاهل عمله ، ولاحكام رعيته أورع من يقدر عليه وأفضلهم فيبسطهم على نفسه فضلا عن ولده وسائر خاصته . وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته بفضله وعدله وورعه وزهده . فمرض مرضاً شديداً واغتم له الحكم غما شديدا . فذكر يزيد فتاه انه أرق يوما وليلة وبعد عنه نومه وجعل يتململ على فراشه . فقلت أصلح الله الامير انى أراك متململا وقد زال النوم عنك فلم أدر ما عرض لك . قال : ويحك اني سمعت نائحة هذه الليلة وقاضينا مريض فما أراه الا وقد قضى نحبه وأين لنا بمثله ، ومن يقوم للرعية مقامه . ثم ان القاضى مات . واستقضي الحكم بعده سعيد بن بشير . فكان أقصد الناس الى حق . وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى ، وانفذهم لحكم ، رفع اليه رجل من اهل كورة جيان ان عاملا للحكم اغتصبه جارية وعمل فى تصييرها الى الحكم . فوقعت من قلبه كل موقع وان الرجل أثبت أمره عند القاضي وأتاه ببينة يشهدون على معرفة ما تظلم منه وعلى عين الجارية ومعرفتهم بها . وأوجب البينة أن تحضر الجارية واستأذن القاضى على الحكم فاذن له فلما دخل عليه . قال : انه لا يتم عدل فى العامة ، دون افاضته فى الخاصة . وحكى له أمر الجارية وخيره فى ابرازها اليه ، أو عزله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك الى خير من ذلك . تباع الجارية من صاحبها بعين ثمنها وأبلغ ما يساله فيها . فقال : ان الشهود قد شخصوا من كورة جيان يطلبون الحق فى مظانه . فلما صاروا ببابك تصرفهم دون انفاذ الحق لاهله . ولعل قائلا أن يقول : باع من لا يملك بيع متيسر على نفسه فلما رأى عزمه أمر باخراج الجارية من قصره وشهد الشهود على عينها . وقضي بها لصاحبها .

وكان سعيد بن بشير القاضي اذا خرج الى المسجد . أو جلس في مجلس الحكم . جلس في رداء معصفر وشعره مفرق الى شحمة أذنيه . فاذا طلب ماعنده وجد أورع الناس ، وافضلهم وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر عليها عشرة عرفاء تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح فاذا بلغه عن ثائر في طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره فلا يشعر حتى يحاط به . وأتاه الخبر : ان جابر بن لبيد يحاصر جيان وهو يلعب بالصولجان في الجسر . فدعا بعريف من أولئك العرفاء فاشار اليه ان يخرج من تحت يده الى جابر بن لبيد . ثم فعل مثل ذلك باصحابه من العرفاء . فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين فلما رأى ذلك عدوه سقط في أيديهم وظنوا ان الدنيا قد حشرت لديهم فولوا مدبرين . وقال الحكم يوم الهيجاء بعد وقعة الربض :

رأيت صدوع الارض بالسيف راقعا ＊ وقد ما رأيت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة ＊ أبادرها منتضي السيف دارعا
وشافه على ارض الفضاء جماجما ＊ كأجفان شريان الجبير لوامعا
ولما تساقينا سجال حروبنا ＊ سقيتهم سما من الموت ناقعا
وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم ＊ فوافوا منايا قدرت ومصارعا

قال عثمان بن المثنى المؤدب قدم علينا عباس بن ناصح من الجزيرة أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم فاستنشدني شعر الحكم فانشدته فلما انتهيت الى قوله

＊ وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم ＊ قال لو جوثي الحكم في حكومة لاهل الربض لقام بعذره هذا البيت ﴿ عبد الرحمن بن الحكم ﴾ ثم ولي بعده عبد الرحمن ابن الحكم . أندى الناس كفا ، وأكرمهم عطفا ، وأوسعهم فضلا ، في ذي الحجة سنة ست ومائتين فملك احدى وثلاثين سنة وخمسة أشهر . ومات ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة . وكتب اليه بعض عماله : يساله عملا رفيعا لم يكن من شا كلته فوقع في أسفل كتابه : من لم يصب وجه مطلبه ، كان الحرمان أولى به ﴿ محمد بن عبد الرحمن ﴾ ثم ولى الملك محمد بن عبد الرحمن . يوم الخميس لثلاث من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين . فملك أربعا وثلاثين سنة . وتوفي يوم الجمعة مستهل ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . وهو ابن سبع وستين سنة . وكتب عبد الرحمن بن

الشمر : الى الامير محمد بن عبد الرحمن فى حياة أبيه عبد الرحمن . وكان يتجنب الوقوف ببابه مخافة نصر الفتي . فلما مات نصر كتب ابن الشمر هذه الابيات الى محمد يقول فيها :

لئن غاب وجهي عنك ان مودتي * لشاهدة فى كل يوم تسلم
وما عاقني الا عدو مساط * يذل ويقصي من يشاء ويرغم
ولم يستطل الا بكم وبعزكم * ولا ينبغي ان ينجح العز مجرم
فمكنتموه فاستطال عليكم * وكادت بنا نيرانه تتضرم
كذلك كلب السوء ان يشبع الذرا * واشبعه مستشليا يترمرم
فجمع خوانا لصوصا أراذلا * ومناهم أن يقتلونا ويغنموا
رأى بامين الله سقما بعده * ولم يك يدرى انه يتقدم
* فنحمد ربا سرنا بهلاكه * فمازال بالاحسان والطول ينعم
أراد بكيد الله نصرا فكاده * ولله كيد يغلب الكيد مبرم
بكى الكفر والشيطان نصرا فاعولا * كما ضحكت شوقا اليه جهنم
وكانت له فى كل شهر جباية * جباية آلاف تعد وتختم
فهل حائط الاسلام يوما يسوؤهم * بما اجترموا يوما عليه وأقدموا
وينهبنا أموالهم وهو فاعل * فانى أري الدنيا له تتبسم
ألا أيها الناس اسمعوا اقول ناصح * حريص عليكم مشفق وتفهموا
محمد نور يستضاء بوجهه * وسيف بكف الله ماض مصمم
فكونوا له مثل البنين يكن لكم * أباجد فى الرحم بل هو أرحم
فيا ابن أمين الله لازلت سالما * معافى فانا ما سلمت سنسلم
ألست المرجى من أمية والذى * له المجد منها الاتلد المتقدم
وأنت لاهل الخير روح ورحمة * نعم ولاهل الشر صاب وعلقم

وحدث بقى بن محمد الفقيه قال : ما كلمت أحدا من الملوك أكمل عقلا ، ولا أبلغ لفظا . من الامير محمد دخلت عليه يوما فى مجلس خلافته فافتتح الكلام : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة . فحكى كل واحد منهم بحليته ونعته ، ووصفه وذكر مآثره ومناقبه . بافصح لسان ، وابين بيان ، حتي انتهى الى نفسه فسكت

. وخرج الامير محمد يوما متنزها الى الرصافة ومعه هاشم بن عبد العزيز فكان بها صدر نهاره على لذته فلما أمسى واختلط الظلام رجع منصرفا الى القصر وبه اختلاط فاخبرني من سمعه وهاشم يقول : له ياسيدي يا ابن الخلائف . ما أطيب الدنيا لولا . قال له : لولا ماذا . قال لولا الموت . قال له : يا ابن اللخناء لحنت في كلامك وهل ملكنا هذا الملك الذى نحن فيه الا بالموت ولولا الموت ماملكناه أبدا . وكان الامير محمد : غراء لاهل الشرك والخلاف وربما أوغل في بلاد العدو الستة أشهر أو أكثر يحرق وينسف وله في العدو وقيعة وادى سليط . وهى من أمهات الوقائع . لم يعرف مثلها في الاندلس قبلها . وفيها يقول عباس بن فرناس وشعره يكفينا من صفتها :

ومختلف الاصوات مؤتلف الزحف * لهوم الفلا عبل القبائل ملتف
اذا أومضت فيه الصوارم خلتها * بروقا تراءي في الجهام وتستخفي
كأن ذري الاعلام في سيلانه * قرا قدم قد عجزن عن القذف
وان طحنت اركانه كان قطبها * حجي ملك نجد شمائله عف
سمي ختام الانبياء محمد * اذا وصف الاملاك جل عن الوصف
فمن أجله يوم الثلاثاء غزوة * وقد نقض الاصباح حل عرى السجف
بكي جبلا وادي سليط فاعولا * على النفر العيدان والعصبة الغلف
دعاهم صريخ العير فاجتمعوا له * كما اجتمع الجعلان للبعر فى قف
فما كان الا أن رماهم ببعضها * فولوا على اعقاب مهزولة كشف
كأن مساعير الموالى عليهم * شواهين جادت للغرانيق بالسيف
بنفسى تنانير الوغا حين صممت * الى الجبل المشحون صفا على صف
يقول ابن بليوس لموسي وقد ولى * أري الموت قدامي وتحتي ومن خلفي
قتلناهم ألفا وألفا ومثلها * وألفا وألفا بعد ألف الى ألف
سوى من طواه النهر فى مستلجه * فاغرق فيه أوتردى من الجرف

﴿ المنذر بن محمد ﴾ ثم ولي المنذر بن محمد . يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . ومات يوم السبت في غزاة له على بشتر لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . وهو ابن ست وأربعين سنة . وكان أشد الناس شكيمة ، وأمضاهم

عزيمة . ولما ولى الملك بعث اليه أهل طليطلة بجبايتهم كاملة فردها عليهم . وقال : استعينوا بها فى حربكم فانا سائر اليكم ان شاء الله . ثم غزا الى المارق الموتر عمرو بن حفصون وهو بحصن فامره فاحدق به بخيله ورجله . فلم يجد الفاسق منفذا ولا متنفسا . فاعمل الحيلة وغاص بالمكر والخديعة واظهر الانابة والاجابة وان يكون من مستوطني قرطبة باهله وولده . وسال الحاق أولاده فى الموالى فاجابه الامير الى كل ماسال وكتب لهم الامانات . وقطعت لاولاده الثياب وخرزت له الخفاف ثم سال مائة بغل يحمل عليها ماله ومتاعه الى قرطبة فامر الامير بها وطلبت البغال ومضت الى بشتر وعليها عشرة من العرفاء وانحل العسكر عن الحصن بعض الانحلال وقفل القاضى وجماعة من الفقهاء على تمام الصلح فيما حسبوا . فلما رأى الفاسق الفرصة انتهزها ففتق ليلا وخرج فلقي العرفاء بالبغال فقتلهم . وأخذ البغال وعاد الى سيرته الاولى فعقد المنذر على نفسه عقدا ان لا اعطاه صلحا ولا عهدا الا ان يلقي بيده وينزل على عهده وحكمه ثم غزاه الغزاة التي توفى فيها فامر بالبنيان والسكنى عليه وان يرد سوق قرطبة عليه فعاجله أجله عن ذلك ﴿ عبد الله بن محمد ﴾ ثم تولى عبد الله بن محمد التقى النقى العابد الزاهد التالى لكتاب الله ، والقائم بحدود الله يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . فبنى الساباط وخرج الى الجامع والتزم الصلاة الى جانب المنبر حتى أتاه أجله رحمه الله يوم الثلاثاء لليلة بقيت من صفر سنة ثلثمائة وكانت له غزوات منها غزاة بلي التى أنست كل غزاة تقدمتها . وذلك ان المرتد بن حفصون ألب عليه كور الاندلس فنزل حصن بلى وخرج اليه الامير عبد الله ابن محمد فى اربعة عشر الفا من أهل قرطبة خاصة وأربعة آلاف من حشمه ومواليه فبرز اليه الفاسق وقد كردس كراديسه فى سفح الجبل وناهضه الامير عبد الله بجمهور عسكره فلم يكن لهم فيه الا صدمة صادقة ازالوهم بها عن عسكرهم . فلم يقدروا ان يتراجعوا اليه . ونظر الفاسق الى معسكر عبد الله الامير . فاذا بعدد مقبل مثل الليل ، فى انحدار السيل لا ينقطع ، فجشمت نفسه وعطف الى الحصن يظهر اخراج من بقى فيه . فتسلم ثلمة وخرج منها فى خمسة معه وقد طار بهم جناح الفرار فلما انتهى ذلك الى اهل عسكره ولوا مدبرين لا يلوي أحد على أحد . فعملت الرماح على أكتافهم ، والسيوف في طلا أعناقهم ، حتي أفنوهم اوكادوا . وكان منهم جماعة قد افترقوا فى عسكر الامير عبد الله فقعد الامير فى المظلة . وأمر باتقاطهم وأن لا يمر أحد على أحد منهم الا قتله فقتل منهم الف رجل صبرا بين يدي الامير

﴿ عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ﴾ ثم ولى الملك القمر الازهر ، الاسد الغضنفر ، الميمون النقيبة ، المحمود الضريبة ، سيد الخلفاء ، وأنجب النجباء ، عبد الرحمن محمد أمير المؤمنين صبيحة هلال ربيع الاول سنة ثلمائة . فقلت فيه :

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدى * ما كان فيه مزيد

وهي عدة أبيات فتولى الملك . وهي جمرة تحتدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق . فاخمد نيرانها ، وسكن زلازلها ، وفتحها عوداً ، كما افتتحها بدأ سميه عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله . وقد قلت وقيل فى أشعار غزواته كلها أشعار فدجالت فى الامصار ، وشردت فى البلدان ، حتى اتهمت وأنجدت وأعرقت . ولولا أن الناس مكتفون بما فى أيديهم منها لاعدنا ذكرها أو ذكر بعضها . ولكنا سنذكر ماسبق الينا من مناقبه التي لم يتقدمه اليها متقدم ولا أخت لها ولا نظير : فمن ذلك أول غزاة غزاها وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتلون افتتح بها سبعين حصنا كل حصن منها قد نكبت عنه الطوائف واعيا على الخلائف وفيها أقول :

قد أوضح الله للاسلام منهاجا * والناس قد دخلوا فى الدين أفواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها * كأنما البست وشيا وديباجا
يا ابن الخلائف ان المزن لو علمت * نداك ما كان منها الماء ثجاجا
والحرب لو علمت باسا تصول به * ما هيجت من جبال الدين أهياجا
مات النفاق وأعطى الكفر ذمته * وذلت الخيل الجاما واسراجا
وأصبح النصر معقودا بالوية * تطوي المراحل تهجيرا وادلاجا
أدخلت فى قبة الاسلام مارقة * أخرجتها من ديار الشرك اخراجا
بجحفل تشرق الارض الفضاء به * كالبحر يقذف بالامواج أمواجا
يقوده البدر يسرى في كواكبه * عرمرما كسواد الليل رجراجا
تروق فيه بروق الموت لامعة * ويسمعون به للرعد اهزاجا
غادرت فى عفرتى جيان ملحمة * أبكيت منها بارض الشرك أعلاجا
فى نصف شهر تركت الارض ساكنة * من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا
وجدت فى الخبر المأثور منصلتا * من الخلائف خراجا وولاجا

تملا بك الارض عدلا مثل ماملئت * جورا وتوضح للمعروف منهاجا
يا بـدر ظلمتها ياشمس صبحتها * ياليث حومتهـا ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى وان رضيت * حتي عقدت لهـا في رأسك التاجا

ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والاسلام . وله غزاة مارتش التي كانت أخت بدرو حنين وقد ذكرناها على وجهها في الارجوزة التي ضمنتها مغازيه كلها من سنة احدي وثلثمائة الى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة واوقفناها . ومن مناقبه : ان الملوك لم تزل تبني على اقدارها ، ويقضى عليها بآثارها . وانه بني في المـدة القليلة مالم تبن الخلفاء في المدة الطويلة نعم لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ومعالم أوليته بنية الاوله فيهـا أثر محدث اما تزييد أو تجديد ومن مناقبه : انه أول من سمي أمير المؤمنين من خلفاء بني أميـة بالاندلس . ومن مناقبه : التي لا أخت لها ولا نظير : ما أعجز فيه من بعده . وفات فيه من قبله . من الجود الذي لم يعرف لاحد من أجواد الجاهلية والاسلام الاله . وقد ذكرت ذلك في شعري الذي أقول فيه :

يا ابن الخلائف والعـلى للمعتلى * والجود يعرف فضله المفضـل
نوهت بالخلفاء بل أخملتهـم * حتي كان نبيلهم لم ينبـل
أذكرت بل أنسيت ماذكر الالى * مـن فعلهـم فكانه لم يفـعل
وأتيت آخرهم وشاوك فائت * للآخرين ومـدرك للاول
الآن سميت الخـلافة باسمها * كالبدر يقرن بالسماك الاعزل
تابي فعـالك ان تقر لآخر * منهم وجودك أن يكون لاول

﴿وهذه الارجوزة التي ذكرت جميع مغازيه وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة وهي﴾

سبحان من لم تحوه أقطار * ولم تكن تدركه الابصار * ومن عنت لوجهه الوجوه
فـماله ند ولا شبيه * سبحانه من خالق قدير * وعالم بخلقـه بصير
وأول ليس له ابتداء * وآخر ليس له انتهاء * أوسعنا احسانه وفضله
وعز ان يكون شيء مثله * وجل ان تدركه العيون * أو يحوياه الوهم والظنون
لكنه يدرك بالقريحه * والعقل والابنية الصحيحه * وهذه من أثبت المعارف

فى الاوجه الغامضه اللطائف * معرفة العقل من الانسان * أثبت من معرفة العيان
فالحمد لله على نعمائه * حمدا جزيلا وعلى آلائه * وبعد حمد الله والتمجيد
وبعد شكر المبدئ المعيد * أقول فى أيام خير الناس * ومن تحلى بالندى والباس
ومن أباد الكفر والنفاقا * وشرد الفتنة والشقاقا * ونحن فى حنادس كالليل
وفتنة مثل زهاء السيل * حتى تولى عابد الرحمن * ذاك الاعز من بنى مروان

مؤيد حكم فى عدانه * سيفا يسيل الموت من ظباته
وصبح الملك مع الهلال * فاصبحا بدرين فى الجمال
واحتمل التقوى على جبينه * والدين والدنيا على يمينه
قد أشرقت بنوره البلاد * وانقطع التشغيب والفساد
هذا على حين طغى النفاق * واستفحل النكاب والمراق
وضاقت الارض على سكانها * وأذكت الحرب لظى نيرانها
ونحن فى عشواء مدلهمه * وظلمة ما مثلها من ظلمه
تأخذنا الصيحة كل يوم * فما تلذ مقلة بنوم
وقد نصلى العيد بالنواظر * مخافة من العد والثائر
حتى أتانا الغوث من ضياء * طبق بين الارض والسماء
خليفة الله الذى اصطفاه * على جميع الخلق واجتباه
من معدن الوحى وبيت الحكمه * وخير منسوب الى أميه
تكل عن معروفه الجنائب * وتستحى من جوده السحائب
في وجهه من نوره برهان * وكفه لعقله قربان
أحيا الذى مات من المكارم * من عهد كعب وزمان حاتم
مكارم يقصر عنها الوصف * وغرة يحسر عنها الطرف
وشيمة كالصاب أو كالماء * وهمة ترقى الى السماء
وانظر الى البديع من بيانه * يريك بدعا من عظيم شانه
لو كابل البحر ندى يديه * اذا لجت عفاته اليه
لغاض او لكاد ان يغيضا * ولا ستحي من بعد ان يفيضا
من أسبغ النعما وكانت محقا * ورتق الدنيا وكانت فتقا

هو الذي جمع شمل الامه * وجاب عنها دامسات الظلمه
وجدد الملك الذى قد أخلقا * حتي رست أوتاده واستوثقا
وجمع العدة والعديدا * وكنف الاجناد والحشودا

﴿ أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ﴾

ثم انتحي جيان فى غزاته * بعسكر يسعد من هماته
فاستنزل الوحش من الهضاب * كانما حطت من السحاب
فاذعنت مراقها سراعا * وأقبلت حصونها تداعى
لما رماها بسيوف العزم * مشحوذة على دروع الحزم
كادت لها أنفسهم تجود * وكادت الارض بهم تميد
لولا الاله زلزلت زلزالها * وأخرجت من رهبة أثقالها
فانزل الناس الى البسيط * وقطع البين من الخليط
وافتتح الحصون حصنا حصنا * وأوسع الناس جميعا أمنا
ولم يزل حتى انتحي جيانا * فلم يدع بارضها شيطانا
فاصبح الناس جميعا أمه * قد عقد الال لهم والذمة
ثم انتهى من فوره للبيره * وهى بكل آفة مشهوره
فداسها بخيله ورجله * حتى توطا خدها بنعله
ولم يدع من جنها مريدا * بها ولا من انسها عنيدا
الا كساه الذل والصغارا * وعمه وأهله دمارا
فما رأيت مثل ذاك العام * ومثل صنع الله للاسلام
فانصرف الامير من غزاته * وقد شفاه الله من عداته
وقبلها ما خضعت وأذعنت * استجة وطالما قد صنعت
وبعدها مدينة الصنجيل * ما أذعنت للصارم الصقيل
لما غزاها قائد الامير * باليمن فى لوائه المنصور
فاسلمت ولم تكن بالمسلمه * وزال عنها أحمد بن مسلمه
وبعدها فى آخر الشهور * من ذلك العام الذكى النور

أرجفت القلاع والحصون * كأنما ساورها المنون
وأقبلت رجالها وفودا * تبغي مدى أيامها السعودا
وليس من ذى عزة وشده * الا توافوا عند باب السده
قلوبهم باخعة بالطاعه * قد أجمعوا الدخول فى الجماعه

﴿ سنة احدى وثلثمائة ﴾

ثم غزا فى عقب عام قابل * فجال فى سدونة والساحل
ولم يدع مرية والجزيره * حتى كوى أكلبها الهريره
حتى أناخ بذرى قرمونه * بكلكل كدرة الطاحونه
على الذي خالف فيها وانتزى * يعزي الى سوادة اذا اعتزى
فسأل أن يمهله شهورا * ثم يكون عبده المأمورا
فاسعف الامير منه ما سال * وعاد بالفضل عليه وقفل

﴿ سنة اثنتين وثلثمائة ﴾

كان بها القفول عند الجيئه * من غز واحدى وثلثمائه
فلم يكن يدرك فى باقيها * غزو ولا بعث يكون فيها

﴿ سنة ثلاث وثلثمائة ﴾

ثمت أغزي فى الثلاث عمه * وقد كساه عزمه وحزمه
فسار فى جيش شديد الباس * وقائد الجيش أبو العباس
حتى ترقى بذرى فى بشتر * وجال فى ساحتها بالعسكر
فلم يدع زرعا ولا ثمارا * لهم ولا علفا ولا عقارا
وقطع الكروم منها والشجر * ولم يصافف علجها ولا ظهر
ثم انثني من بعد ذاك قافلا * وقد أباد الزرع والمأكلا
فايقن الخنزير عند ذاكا * ان لا بقاء يرتجى هناكا
فكاتب الامام بالاجابه * والسمع والطاعة والانابه
فاخمد الله شهاب الفتنه * وأصبح الناس معا فى هدنه
وارتعت الشاة معا والذيب * اذا وضعت أوزارها الحروب

﴿ سنة أربع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة أربع * فاي صنع ربنا لم يصنع
فيها ببسط الملك الاواه * كلتا يديه فى سبيل الله
وذاك أن يقود قائدين * بالنصر والتاييد ظاهرين
هذا الى الثغر وما يليه * على عدو الشرك أوذويه
وذا الى شم الربا من مرسيه * وما مضي جرى الى بلنسيه
فكان من وجهه للساحل * القرشى القائد القنابل
وابن أبى عبدة نحو الشرك * فى خير ماتعبية وشاكى
فاقبلا بكل فتح شامل * وكل ثكل للعدو ثاكل
وبعد هذى الغزوة الغراء * كان افتتاح ليلة الحمراء
أغزي بجند نحوها مولاه * فى عقب هذا العام لا سواه
بدرا فضم جانبيها ضمه * وعمها حتى أجابت عنوه
وأسلمت صاحبها مقهورا * حتى أتى بدر به ماسورا

﴿ سنة خمس وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة خمس * الى السوادى عقيد النحس
لما طغى وجاوز الحدودا * ونقض الميثاق والعهودا
ونابذ السلطان من شقائه * ومن تعديه وسوء رايه
أغزى اليه القرشي القائدا * اذ صار عن قصد السبيل حائدا
* ثمت شد أزره ببدر * فكان كالشفع بها والوتر
أحدقها بالخيل والرجال * مشمرا وجد فى القتال
فنازل الحصن العظيم الشان * بالرجل والرماة والفرسان
فلم يزل بدر بها محاصرا * كذا على قتاله مثابرا
والكلب في تيهوره قد انغمس * وضيق الحلق عليه والنفس
فافترق الاصحاب عن لوائه * وفتحوا الابواب دون رايه
واقتحم العسكر فى المدينه * وهو بها كهيئة الظعينه

مستسلما للذل والصغـار * وملقيا بديه للاسار *
فنزع الحاجب تاج ملكه * وقاده مكتفا لهلكه
وكان فى آخر هـذا العام * نكب أبي العباس بالاسلام
غزا فكان أنجـد الانجـاد * وقائدا من أفحل القواد
فسار فى غير رجال الحرب * الضاربين عند وقت الضرب
محـاربا فى غير ما محارب * والحشم الجمهور عند الحاجب
واجتمعت اليه أخلاط الكور * وغاب ذو التحصيل عنه والنظر
حتي اذا أوغل فى العـدو * فكان بين البعـد والدنو
أسلمه أهل القلوب القاسية * وأفردوه للكلاب العاويه
فاستشهد القائد فى أبرار * قد وهبوا نفوسهم للباري
فى غير تاخـير ولا فرار * الا شديد الضرب للكفار

﴿ سنة ست وثلثمائة ﴾

ثم أقاد الله من أعـدائه * وأحكم النصر لاوليائه
فى مبدإ العام الذى من قابل * أزهق فيه الحق نفس الباطل
فكان من رأي الامام الماجد * وخير مولود وخير والد
أن احتمي بالواحد القهار * وفاض من غيظ على الكفار
فجمع الاجنـاد والحشودا * ونفر السيـد والمسودا
وحشر الاطراف والثغورا * ورفض اللذة والحبورا
حتى اذاما وافت الجنود * واجتمع الحشاد والحشود
قود بدرا أمر تلك الطائفه * وكانت النفس عليه خائفه
فسار فى كتائب كالسيل * وعسكر مثل سواد الليل
حتي اذا حل على مظنيه * وكان فيها أخبث البريه
ناصبهم حربا لهـا شرار * كانمـا أضرم فيها النار
وجد من بينهم القتال * وأحدقت حولهم الرجال
فحاربوا يومهم وباتوا * وقد نفت نومهم الرماة

فهم طوال الليل كالطلائح * جراحهم تصل فى الجوارح
ثم مضوا فى حربهم أياما * حتى تري الموت لهم زؤاما
لما رأوا سحائب المنيه * تمطرهم صواعق البليه
تغلغل العجم بأرض العجم * وانحشروا من تحت كل نجم
فاقبل العلج لهم مغيثا * يوم الخميس مسرعا حثيثا
بين يديه الرجل والفوارس * وحوله الصلبان والنواقس
وكان برجوان يزيل العسكرا * عن جانب الحصن الذي قد دمرا
فاعتاقه بدر بمن لديه * مستبصرا فى زحفه اليه
حتي التقت ميمنة بميسره * واعتلت الارواح عند الحنجرة
ففاز حزب الله بالعلجان * وانهزمت بطانة الشيطان
فقتلوا قتلا ذريعا فاشيا * وأدبر العلج ذميما خاسيا
فانصرف الناس الى مظنه * فصبحوا بالرهن يوم الجمعه
ثم التقي العلجان فى الطريق * البنبلونى مع الخليق
فاعقدوا على انتهاب العسكر * وان يموتا قبل ذاك المحضر
وأقسما بالجبت والطاغوت * لا يهزما دون لقاء الموت
فاقبلوا باعظم الطغيان * قد جللوا الجبال بالفرسان
حتى تداعى الناس يوم السبت * فكان وقتا ياله من وقت
فأشرعت بينهم الرماح * وقد علا التكبير والصياح
وفارقت أغمادها السيوف * وفغرت أفواهها الحتوف
والتقت الرجال بالرجال * وانغمسوا فى غمرة القتال
في موقف زاغت به الابصار * وقصرت فى طوله الاعمار
وهب أهل الصبر والبصائر * فازحفوا على العدو الكافر
حتي بدت هزيمة البشكس * كأنه مختضب بالورس
فانفضت العقبان والسلالقه * رهقا على مقدم الجلالقه
عقبان موت تخطف الارواحا * وتشبع السيوف والرماحا

فانهزم الخنزير عند ذاكا * وانكشفت عورته هناكا
فقتلوا فى بطن كل وادى * وجاءت الرؤس فى الاعواد
وقدم القائد ألف راس * من الجثاليق ذوى التماس
فتم صنع الله للاسلام * وعمنا سرور ذاك العام
وخير ما فيه من السرور * موت ابن حفصون به الخنزير
فاتصل الفتح بفتح ثان * والنصر بالنصر من الرحمن
وهذه الغزاة تدعى القاضيه * وقد أتتهم بعد ذاك الداهيه

﴿ سنة سبع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة بلده * وهى التي أودت باهل الرده
وبدؤها ان الامام المصطفى * أصدق أهل الارض عدلا ووفا
لما أتتــه ميتة الخنزير * وانه صار الى السعير
كاتبه أولاده بالطاعه * وبالدخول مدخل الجماعه
وان يقرهم على الولايه * على ورود الخرج والجبايه
فاختار ذلك الامام المفضل * ولم يزل من رأيه التفضل
ثم لوي الشيطان رأس جعفر * وصار منه نافخا فى المنخر
فنقض العهود والميثاقا * واستعمل التشغيب والنفاقا
وضم أهل النكث والخلاف * من غير ما كاف ولا موافى
واعتاقه الخليفة المؤيد * وهو الذي يشقى به ويسعد
ومن عليه من عيون الله * حوافظ من كل أمر داه
فجند الجنود والكتائبا * وقود القواد والمقانبا
ثم غزا فى أكثر العديد * مستصحبا بالنصر والتاييد
حتى اذا مر بحصن بلده * خلد فيها قائدا فى عده
يمنعهم من انتشار خيلهم * وحرسهم فى يومهم وليلهم
ثم مضى يستنزل الحصونا * ويبعث الطلاع والعيونا
حتي أتاه باشر من بلده * يعدو برأس رأسها فى صعده

فقدم الخيل اليها مسرعا * واحتلها من يومه تسرعا
فحفها بالخيل والرماة * وجملة الحماة والكماة
فاطلع الرجل على أنقابها * واقتحم الجند على أبوابها
فاذعنت ولم تكن بمذعنه * واستسلمت كافرة لمؤمنه
فقدمت كفارها للسيف * وقتلوا بالحق لا بالحيف
وذاك من بن الامام المرتضى * وخير من تقى وخير من مضى
ثم انتحي من فوره ببشترا * فلم يدع بها قضيبا أخضرا
وحطم النبات والزروعا * وهتك الرباع والربوعا
فاذارأى الكلب الذى رآه * من عزمه فى قطعه مثواه
القى اليه باليدين ضارعا * وسال الا بقاله موادعا
وأن يكون عاملا فى طاعته * على ورود الخرج من جبايته
فوثق الامام من رهانه * كيلا يكون فى عنا من شانه
فقبل الامام ذاك منه * فضلا واحسانا وسار عنه

﴿ سنة ثمان وثلثمائة ﴾

ثم غزا الامام دار الحرب * فكان خطبا ياله من خطب
تحاشدت اليه أعلام الكور * ومن له في النار ذكر وخطر
الى ذوى الديوان والرايات * وكل منسوب الى الشامات
وكل من أخلص للرحمن * بطاعة فى السر والاعلان
وكل من طاوع بالجهد * اوضمه تعدية الحشاد
فكان حشدا لم يكن بالحشد * فى كل حر عندنا وعبد
فتحسب الناس جرادا منتشر * كما يقول ربنا فيمن حشر
ثم مضى المظفر المنصور * على جبينه الهدى والنور
أمامه جند من الملائكه * آخذة لربها وتاركه
حتى اذا فوز فى العدو * جنبه الرحمن كل سو
وانزل الجزية والدواهي * على الذين أشركوا بالله

فزلزلت أقدامهم بالرعب * واستنفروا من حر نار الحرب
واقتحموا الشعاب والمكامنا * وأسلموا الحصون والمدائنا
فما تبقى من جناب دور * من بيعة لراهب أو دير
الا وقد صيرها هباء * كالنار اذ وافقت الاباء
وزعزعت كتائب السلطان * بكل مافيها من البنيان
فكان من أول حصن زعزعوا * ومن به من العدو أوقعوا
مدينة معروفة بوخشمه * فغادروها فحمة مسخمه
ثم ارتقوا منها الى حواظر * فغادروها مثل أمس الدابر
ثم مضوا والعلج يحتذيهم * بجيشه يخشى و يقتفيهم
حتى انتهوا منه لوادى دى * ففيه عقبى الرشد سبل الغى
لما التقوا بجمع الجوزين * واجتمعت كتائب العلجين
من أهل اليون و يذبلونه * وأهل يربط و برشلونه
تضافر الكفر مع الالحاد * واجتمعوا من سائر البلاد
فاضطر بوافى سنح طودعال * وصففوا تعبية القتال
فبادرت اليهم المقدمه * سامية فى خيلها المسومه
وردها منصل برد * يمده بحر عظيم المد
فانهزم العلجان فى علاج * ولبسوا ثوبا من الدجاج
كلاهما ينظر حينا خلفه * فهو يري فى كل وجه حتفه
والبيض فى اثرهم والسمر * والقتل ماض فيهم والاسر
فلم يكن للناس من براح * وجاءت الرؤس فى الرماح
فامر الامير بالتفويض * وأسرع العسكر فى النهوض
فصادفوا الجمهور لما هزموا * وعاينوا قوادهم تخرموا
فدخلوا حديقة للموت * اذطمعوا في حصنها بالفوت
فيالها حديقة و يالها * وافت بها نفوسهم آجالها
تحصنوا اذعاينوا الاهوالا * بمعقل كان لهم عقالا
وصخرة كانت عليهم صيلما * وانقلبوا منها الى جهنما

تساقطوا يستطعمون الماء * فاخرجت أرواحهم ظماء
فكم لسيف الله من جزور * فى مادب الغربان والنسور
وكم به قتلى من القوامس * يندب بالصلبان والنواقس
ثم ثنى عنانه الامير * وحوله التهليل والتكبير
مصمما بريح دار الحرب * قدامه كتائب من عرب
فداسها وسامها بالخسف * والهتك والسفك لها والنسف
خرقوا ومزقوا الحصونا * وأسخنوا من أهلها العيونا
فانظر عن اليمين واليسار * فما ترى الا لهيب النار
وأصبحت ديارهم بلاقعا * فما ترى الادخانا ساطعا
ونصر الامام فيها المصطفى * وقد شفى من العدو واشتفى

﴿ غزوة سنة تسع وثلثمائة ﴾

وبعدها كانت غزاة طوس * سمت اليها حية لم تمس
وأحدقت بحصنها الافاعى * وكل صل اسود شجاع
ثم بني حصنا عليها راتبا * يعتور القواد فيه دائبا
حتي أنابت عنوة جنانها * وغاب عن يافوخها شيطانها
* فاذعنت لسيد السادات * وأكرم الاحياء والاموات
خليفة الله على عباده * وخير من يحكم فى بلاده
وكان موت بدر بن احمد * بعد قفول الملك المؤيد
واستحجب الامام خير حاجب * وخير مصحوب وخير صاحب
موسى الاغر من بني جرير * عقيل كل رأفة وخير

﴿ غزوة سنة عشر وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة عشر غزوه * بها افتتاح منة وعنوه
غزا الامام في ذوى السلطان * يؤم أهل النكث والطغيان
فاحتل حصن ثوريه قاطعا * أسباب من أصبح فيها خالعا
سار اليه وبنى عليه * حتى أتاه ملقيا يديه
ثم انثنى عنه الى سدونه * فعاضها سهلا من الحزونه
وساقها بالاهل والولدان * الى لزوم قبة الايمان

ولم يدع صعبا ولا منيعا * الا وقد أذلهم جميعا
ثم انثني باطيب القفول * كما مضى باحسن الفصول

﴿ غزوة سنة احدى عشرة وثلثمائة ﴾

و بعدها غزاة احدى عشره * كم نبهت من نائم فى سكره
غزا الامام ينتحي ببسترا * فى عسكر أعظم بذاك عسكرا
فاحتل من ببستر ذراها * وجال فى شاط ومستواها
فخرب العمران من ببستر * وأذعنت شاط لرب العسكر
فادخل العدة والعديدا * فيها ولم يترك بها عنيدا
ثم انتحى بعد حصون العجم * فداسها بالقضم بعد القضم
ما كان فى سواحل البحور * منها وفى الغابات والوعور
وأدخل الطاعة فى مكان * لم يدر قط طاعة السلطان
ثم رمى الثغر بخير قائد * وذادهم منها بخير ذائد
به قضى الله ذوى الاشراك * وأنقذ الثغر من الهلاك
وانتاش من مهواته تطيله * وقد ثوت دماؤها مطلوله
وسهل الثغر وما يليه * من شيعة الكفر ومن ذويه
ثم انثني بالفتح والنجاح * قد غير الفساد بالصلاح

﴿ غزوة سنة اثنى عشرة وثلثمائة ﴾

وبعدها غزاة ثنتى عشره * وكم بها من خبرة وعبرة
غزا الامام حوله كتائب * كالبدر محفوفا به الكواكب
غزا وسيف النصر فى يمينه * وطالع السعد على جبينه
وصاحب العسكر والتدبير * موسى الاغر صاحب الامير
فدمر الحصون من تدمير * واستنزل الوحش من الصخور
فاجتمعت عليه كل الامه * وبايعته أمراء الفتنه
حتى اذا أوعب من حصونها * وحمل الحق على متونها
مضى وطار فى ظلال العسكر * تحت لواء الاسد الغضنفر
رجال تدمير ومن يليهم * من كل صنف يعتزى اليهم

حتى اذا حل على تطيله * نكب عن دمائها المطلوله
وعظم ما لاقت من العدو * والحرب فى الرواح والغدو
فهم أن يزجى دار الحرب * وأن يكون ردأة فى الدرب
ثم استشار ذا النهى والحجر * من صحبه ومن رجال الثغر
فكلهم أشار أن لا يدربا * ولا يجوز الجبل الموشبا
لانه فى عسكر قد انخرم * بندب كل العرفاء والحشم
وشنعوا ان وراء الفج * خمسين ألفا من رجال العلج
فقال لا بد من الدخول * ومالى حاشاه من سبيل
وأن أزعج أرض ينبلونه * وساحة المدينة الملعونه
وكان رأيا لم يكن من صاحب * ساعده عليه خير حاجب
واستنصر الله وعبى ودخل * فكان فتحا لم يكن له مثل
لما مضى وجاوز الدروبا * وادرع الهيجاء والحروبا
عبى له علج من الاعلاج * كتائبا غطت على الفجاج
فاستنصر الامام رب الناس * ثم استعان بالندى والباس
وعاد بالرغبة والدعاء * واستنزل النصر من السماء
فقدم القواد بالحشود * واتبع المدود بالمدود
فانهزم العلج وكانت ملحمه * جاوز فيها الساقة المقدمه
فقتلوا مقتلة الفناء * فارتوت البيض من الدماء
ثم أمال نحو ينبلونه * واقتحم العسكر فى المدينه
حتى اذا جاسوا خلال دورها * وأسرع الخراب فى معمورها
بكت على ما فاتها النواظر * اذ جعلت مدقة الحوافر
لفقد من قتل من رجالها * وذل من أيتم من أطفالها
فكم بها وحولها من أغلف * يهمي عليه دمع عين الاسقف
وكم بها معزاه من كنائس * بدلت الاذان بالنواقس
يبكى لها الناقوس والصليب * كلاهما فرض له النحيب
وانصرف الامام بالنجاح * والنصر والتاييد والفلاح

ثم ثني الرايات فى طريقه * الى بني ذى نون من توفيقه
فاصبحوا من بسطهم فى قبض * قد الصقت خدودهم بالارض
حتي بدوا اليه بالرهان * من أكثر الاماء والولدان
فالحمد لله على تاييده * حمدا كثيرا وعلى تسديده

﴿ غزوة سنة ثلاث عشرة وثمانية ﴾

ثم غزا بقية استينا * وقد أشادوا حولها حصونا
وخصها بالخيل والرجال * وقاتلوهم أبلغ القتال
حتى اذا ماعاينوا الهلاكا * تبادروا بالطوع عند ذاكا
وأسلموا حصنهم المنيعا * وسمحوا بخرجهم خضوعا
وقبلهم فى هذه الغزاة * ماهدمت معاقد الاساة
وأحكم الامام فى تدبيره * على بني هائل فى مسيره
ومن سواهم من ذوى العشيره * وامراء الفتنة المغيره
اذ حسبوا امرتبا عليهم * حتى أتوا بكل مالديهم
من البنين والعيال والحشم * وكل من لاذبهم من الخدم
فهبطوا من أجمع البلدان * وأسكنوا مدينة السلطان
فكان فى آخر هذا العام * بعد خضوع الكفر للاسلام
مشاهد من أعظم المشاهد * على يدى عبد الحميد القائد
لما غزا الى بني ذى النون * فكان فتحا لم يكن بالدون
اذ جاوزوا فى الظلم والطغيان * بقتلهم لعامل السلطان
وحاولوا الدخول فى الاذيه * حتي غزاهم أنجد البريه
فعاقهم عن كل مارجوه * بنقضه على الذى بنوه
وضبطه الحصن العظيم الشان * سرية بالرجل والفرسان
ثم مضى الليث اليهم زحفا * يختطف الارواح منهم خطفا
فانهزموا هزيمة لن ترفدا * وأسلموا صنوهمو محمدا
وغيرهم من أوجه الفرسان * مسربلا فى مأتم الغربان
مقطع الاوصال بالسنابك * من بعد ما فرق بالنيازك

ثم لجـوا الى طلاب الامن * وبذلهم ودائعا من رهن
فقبضت رهانهم وأمنـوا * وأنغضوا ارؤسهم وأذعنوا
ثم مضى القائد بالتاييـد * والنصر من ذى العرش والتسديد
حتى أتى حصن بنى عماره * بالحرب والتدمير والاغاره
فافتتح الحصن وخلى صاحبه * وأمن الناس جميعا جانبه

﴿ غزوة سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

لم يغز فيها وغزت قواده * واعتورت بشتر أجناده
فكلهم أبلى وأغني واكتفى * وكلهم شفى الصدور واشتفى
ثم تلاهم بعـد ليث الغيل * عبد الحميد من بنى بشيل
هو الذى قام مقام الضيغم * وجال فى غزاته بالصيلم
برأس جالوت النفاق والحسد * من جمع الخنزير فيه والاسد
فهـا كه من صحبة فى عـده * مصلبين عندنا بالشده
قـد امتطي مطية لاتبرح * صائمة قائمـة لا ترمـح
مطية ان يعرها انكسار * يطبها النجار لا البيطار
كأنه من فوقهـا السـوار * عيناه فى كلتيهما مسمار
مباشرا للشمس والرياح * علي جواد غير ذى جماح
يقول للخـاطر بالطريق * قول محب ناصح شفيق
هـذا مقام خادم الشيطان * ومن عصى خليفة الرحمن
فـارأيـنا واعظا لاينطق * أصدق منه فى الذى لا يصدق
فقل لمن غزا بسوء رايه * يمت اذا شاء بمثـل دائه
كم مارق مضي وكم منافق * قدارتقى فى مثل ذا الحالق
وعاد وهو فى العصي مصلب * ورأسه فى جذعه مركب
فكيف لا يعتبر المخالف * لحال من تطلبه الخلائف
أما رآه من هـو ان برفع * معتبرا لمن يرى ويسـمع

﴿ غزوة سنة خمس عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غزا معتز ما بتسـترا * فجال فى ساحتها ودمرا
ثم بني طلحـيرة عليهـا * وهى الشجي من بين آخدعيها

وامتدها بابن السليم راتبا * مشمرا عن ساقه محاربا
حتي رأي حفص سبيل رشده * بعد بلوغ غاية من جهده
فدان للامام قصدا خاشعا * وأسلم الحصن اليه طائعا

﴿ غزوة سنة ست عشرة وثلثمائة ﴾

لم يغز فيها وانتحى بتسترا * فزمها بما رأى ودبرا
واحتلها بالعز والتمكين * ومحو آثار بني حفصون
وعاضها الصلاح من فسادهم * وطهر القبور من أجسادهم
حتى خلا ملحود كل قبر * من كل مرتد عظيم الكفر
عصابة من شيعة الشيطان * عدوة لله والسلطان
فخرمت أجسادها تخرما * وأصليت أرواحهم جهنما
ووجه الامام فى ذا العام * عبد الحميد الضيغم الضرغام
الى ابن داود الذى تقلعا * وفى جبلى شزنة تمنعا
فحطه منها الى البسيط * كطائر آذن بالسقوط
ثم أتى به الى الامام * الى وفى العهد والذمام

﴿ غزوة سنة سبع عشرة وثلثمائة ﴾

وبعد سبع عشرة وفيها * غزا بطليوس وما يليها
فلم يزل يسومها بالخسف * و ينتحيها بسيوف الحتف
حتى اذا ماضم جانبيها * محاصرا ثم بني عليها
خلى ابن اسحق عليها راتبا * مثابرا فى حربه مواظبا
ومر يستقصى حصون الغرب * و يبتليها بوبيل الحرب
حتى قضي منهن كل حاجه * وافتتحت أشكوبة وباجه
و بعد فتح الغرب راستقصائه * وحسمه الادواء من أعدائه
لجت بطليوس على نفاقها * وغرها اللجاج من مراقها
حتي اذا شافهت الحتوفا * وشامت الرماح والسيوفا
دعا ابن مروان الى السلطان * وجاءه بالعهد والامان
فصار في توسعة الامام * وساكنا فى قبة الاسلام

﴿ غزوة سنة ثمان عشرة وثلثمائة ﴾

فيها غزا بعزمه طليطله * وامتنعوا بمعقل لا مثل له
حتي بنى جلنكشه بجنبها * حصنا منيعا كافلا بحربها
وشدها بابن سليم قائدا * مجالدا لاهلها مجاهدا
فجاسها فى طول ذاك العام * بالخسف والنسف وضرب الهام

﴿ غزوة سنة تسع عشرة وثلثمائة ﴾

ثم أتى ردفا له درى * فى عسكر قضاؤه مقضى
فحاصروها عام تسع عشره * بكل محبوك القوى ذى امره
ثم أتاهم بعد بالرجال * فقاتلوها أبلغ القتال

﴿ غزوة سنة عشرين وثلثمائة ﴾

حتي اذا ما سلفت شهور * من عام عشرين لها ثبور
ألقت يديها للامام طائعه * واستسلمت قسرا اليه باخعه
فاذعنت وقبلها لم تذعن * ولم تقد من نفسها وتمكن
ولم تدن لربها بدين * سبعا وسبعين من السنين
ومبتدا عشرين مات الحاجب * موسى الذى كان الشهاب الثاقب
وبرز الامام بالتأييد * فى عدة منه وفى عديد
صبرا الى المدينة اللعينه * أتعسها الرحمن من مدينه
مدينة الشقاق والنفاق * ومربد الفساق والمراق
حتي اذا ما كان منها بالامم * وقد ذكا حر الهجير واحتدم
أتاه واليها باشياخ البلد * مستسلمين للامام المعتمد
فوافقوا الرحب من الامام * وأنزلوا فى البر والاكرام
ووجه الامام فى الظهيره * خيلا لكيما يدخل الجزيره
فوافقوا قائدها درى * يلمع فى متونها الدرى
فاقتحموا فى وعرها وسهلها * وذاك حين غفلة من أهلها
ولم يكن للقوم من دفاع * بخيل درى ولا امتناع
وفوض الامام عند ذلكا * وقام صنديدا بما هنالكا

حتى اذا ماحل فى المدينه * وأهلهـا ذليـلة مهينـه
أقمهـا بالخيل و الرجال * من غير ماحرب ولا قتال
وكان من أول شيء نظرا * فيـه وما روى ودبرا
تهـدم لبـابها والسـور * وكان ذاك أحسن التدبير
حتى اذا صيرها براحا * وعاينوا حـريمها مباحا
أمر بالتشييـد والتاسيس * فى الجبل النامى الى عمروس
حتى استـوى فيها بناء محكم * فحـله عامـله والحشم
فعند ذاك أسلمت واستسلمت * مدينة الدماء بعد ماعتت

غزوة سنة احدى وعشرين وثلثمائة

فيها مضى عبد الحميد مستلم * فى أهبة وعدة من الحشم
حتى أتى الحصن الذى تقلعا * يحيى بن ذي النون به وامتنعا
فحطه من هضبات ولب * من غير تعنيت وغير حرب
الا بترغيب له فى الطاعه * وفى الدخول مدخل الجماعه
حتى أتى به الامام راغبا * فى الصفح عن ذنوبه وتائبا
فصفح الامام عن جنـايته * وقبل المبذول من انابتـه
ورده الى الحصـون ثانيا * مسجلا له عليهـا واليا

غزوة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

ثم غزا الامام ذو الجدين * في مبتـدا عشرين واثنتين
فى فيلق مجهر لهـام * مدكدك الرؤس والآكام
جاب الربا لزحفه يجيش * تجيش فى حفاته الجيوش
كانهم جن على سعال * وكلهم أمضى من الريبال
فاقتحموا ملوندة وروطه * ومن حواليها حصون حيمه
حتي أتاه المارق التجيبي * مستجديا كالتائب المنيب
فخصه الامام بالترحيب * والصفح والغفران للذنوب
ثم حباه وكساه ووصل * بشاحج وصاهل لم يمتثل
كلاهما من مركب الخلائف * فى حليه يعجز وصف الواصف

فقال كن منا وأوطن قرطبه * نرقيك فيها فى أجل مرتبه
تكن وزيراً أعظم الناس خطر * وقائداً تحمي لنا هذا الثغر
فقال اني ناقه من علتي * وقد ترى تغيري وصفرتي
فان رأيت سيدي إمهالى * حتى أرمّ من صلاح حالى
ثم أوافيك على استعجال * بالاهل والاولاد والعيال
وأوثق الامام بالعهود * وجعل الله من الشهود *
فقبل الامام من أيمانه * ورده عفوا الى مكانه *
ثم انتهت ربة الشافص * تدلى اليه بالوداد الخالص
وانها مرسلة من عنده * وجدها متصل بجده
واكتفلت بكل ينبلوني * واطلقت اسرى بني ذي النون
فأوعد الامام في تأمينها * ونكب العسكر من حصونها
ثم مضى بالعز والتمكين * وناصرا لاهل هذا الدين
فى جملة الرايات والعساكر * وفى رجال الصبر والبصائر
الى عدو الله من الجلالق * وعابد المخلوق دون الخالق
فدمروا السهول والقلاعا * وهتكوا الزروع والرباعا
وخربوا الحصون والمدائنا * وأفقدوا من أهلها المساكنا
فليس في الديار من ديار * ولا بها من نافخ للنار
فغادروا عمرانها خرابا * وبدلوا ربوعها يبابا *
وبالقلاع أحرقوا الحصونا * وأسخنوا من أهلها العيونا
ثم ثني الامام عن عنانه * وقد شفى الشجى من أشجانه
وأمن القفار من انجاسها * وطهر البلاد من أرجاسها
﴿انتهت﴾ الارجوزة وكمل كتاب العسجدة الثانية من أخبار الخلفاء

١٥

كتاب اليتيمة الثانية فى اخبار زياد

﴿ والحجاج والطالبيين والبرامكة ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضى الله تعالى عنه : قد مضى قولنا فى أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وما تصرفت به دولتهم . ونحن قائلون بعون الله فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . وما سيجوز على شىء من أخبار الدولة اذ كان هؤلاء الذين جردنا لهم كتابنا هذا قطب الملك الذى عليه مدار السياسة ، ومعادن التدبير ، وينابيع البلاغة ، وجوامع البيان ، هم راضوا الصعاب حتى لانت مقاودها ، وخزموا الانوف حتى سكنت شواردها ، ومارسوا الامور ، وجربوا الدهور ، فاحتملوا أعباءها ، واستفتحوا مغالقها ، حتى استقرت قواعد الملك ، وانتظمت قلائد الحكم ، ونفذت عزائم السلطان

١ — أخبار زياد — كانت سمية أم زياد قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندى للحرث بن كلدة وكان طبيبا يعالجه . فولدت له على فراشه نافعا . ثم ولدت أبا بكرة فانكر لونه وقيل له ان جاريتك بغى فانتفى من أبي بكرة ومن نافع وزوجها عبيدا عبداً لابنته . فولدت على فراشه زيادا . فلما كان يوم الطائف نادى منادى رسول الله صلي الله عليه وسلم أيما عبد نزل فهو حر وولاؤه لله ورسوله . فنزل أبو بكرة وأسلم ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم . فقال الحرث بن كلدة لنافع أنت ابني فلا تفعل كما فعل هذا يريد أبا بكرة . فلحق به فهو ينتسب الى الحرث بن كلدة . وكانت البغايا فى الجاهلية لهن رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان وكان أكثر الناس يكرهون إماءهم على البغاء والخروج الى تلك الرايات يبتغون بذلك عرض الحياة الدنيا فنهى الله تعالى فى كتابه عن ذلك بقوله جل وعز « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن — يريد فى الجاهلية — فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » يريد فى الاسلام . فيقال ان ابا سفيان خرج يوما وهو ثمل الى تلك الرايات

فقال لصاحبة الراية هل عندك من بغى . فقالت ماعندى الا سمية . قال هاتها على نتن ابطيها فوقع بها فولدت له زيادا على فراش عبيد . ووجه عامل من عمال عمر بن الخطاب زيادا بفتح فتحه الله على المسلمين به . فامره عمر ان يخطب الناس به على المنبر فاحسن فى خطبته وجود وعند أصل المنبر أبو سفيان بن حرب وعلى بن أبي طالب . فقال أبو سفيان لعلى أيعجبك ماسمعت من هذا الفتي . قال نعم : قال أما أنه ابن عمك . قال وكيف ذلك قال أنا قذفته فى رحم أمه سمية . قال فما يمنعك أن تدعيه قال أخشى هذا القاعد على المنبر يعني عمر بن الخطاب أن يفسد على اهابي . فبهذا الخبر استلحق معاوية زيادا وشهد له الشهود بذلك . وهذا خلاف حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر . العتبي عن أبيه قال : لما شهد الشهود لزياد فقام فى أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : هذا امر لم أشهد أوله ولا علم لى بآخره . وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم وشهد الشهود ماسمعتم فالحمد لله الذي رفع منا ماوضع الناس وحفظ منا ماضيعوا . وأما عبيد فانما هو والد مبرور وربيب مشكور ثم جلس . وقال زياد : ماهجيت ببيت قط أشد على من قول الشاعر :

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتأمير
عاشت سمية ماعاشت وما علمت * أن ابنها من قريش فى الجماهير
سبحان من ملك عبادا بقدرته * لا يدفع الناس أسباب المقادير

وكان زياد عاملا لعلى بن أبى طالب على فارس . فلما مات على رضى الله عنه وبايع الحسن معاوية عام الجماعة بقي زياد بفارس وقد ملكها وضبط قلاعها فاغتم به معاوية . فارسل الى المغيرة بن شعبة . فلما دخل عليه قال لكل نبا مستقر ولكل سر مستودع وأنت موضع سرى وغاية ثقتي . فقال المغيرة يا أمير المؤمنين ان تستودعني سرك تستودعه ناصحا شفيقا وورعا رفيقا فما ذاك يا أمير المؤمنين . قال ذكرت زيادا واعتصامه بارض فارس ومقامه بها وهو داهية العرب ومعه الاموال وقد تحصن بارض فارس وقلاعها يدبر الامور . فما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت فاذا هو قد أعادها جذعة . قال له المغيرة أتاذن لى يا أمير المؤمنين فى اتيانه . قال نعم فخرج اليه . فلما دخل عليه وجده وهو قاعد فى بيت له مستقبل الشمس . فقام اليه زياد ورحب به وسر بقدومه وكان له صديقا . وذلك ان زيادا كان أحد الشهود الاربعة الذين

شهدوا على المغيرة وهو الذي تلجلج في شهادته عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنجا المغيرة وجلد الثلاثة من الشهود . وفيهم أبو بكرة أخو زياد فحلف ان لا يكلم زيادا أبدا . فلما تفاوضا في الحديث قال له المغيرة أعلمت ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثني اليك ولا نعلم احدا يمد يده الى هذا الامر غير الحسن . وقد بايع معاوية فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغني عنك معاوية . قال اشر على وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن . قال أرى ان تصل حبلك بحبله وتسير اليه وتعير الناس أذنا صماء وعينا عمياء قال يا ابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه في غير منبته لا أصل له يغذيه ولا ماء يسقيه كما قال زهير :

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

ثم قال أرى ويقضي الله . وذكر عمر بن عبد العزيز زياداً فقال سعى لاهل العراق سعي الام البرة وجمع لهم جمع الذرة . وقال غيره تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس وقالوا : الدهاة أربعة معاوية للروية وعمرو بن العاص للبديهة والمغيرة للمعضلات وزياد لكل صغيرة وكبيرة . ولما قدم زياد العراق قال من على حرسكم قالوا بلخ قال انما يحترس من مثل بلخ فكيف يكون حرسا أخذه الشاعر فقال :

* وحارس من مثله يحترس * . العتبي قال : كان في مجلس زياد مكتوب الشدة في غير عنف ، واللين في غير ضعف ، المحسن يجازي باحسانه والمسيء يعاقب باساءته ، الاعطيات في أبانها لا احتجاب عن طارق ليل ولا صاحب ثغر وبعث زياد : الى رجال من بني تميم ورجال من بني بكر وقال دلوني على صلحاء كل ناحية ومن يطاع فيها فدلوه فضمنهم الطريق وحد لكل رجل منهم حدا فكان يقول لو ضاع حبل بيني وبين خراسان عرفت من آخذ به . وكان زياد يقول من سقي صبيا خمرا حددناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا . وكان يقول اثنان لا تقاتلوا فيهما العدو الشتاء وبطون الاودية . وأول من جمعت له العراق زياد . ثم ابنه عبيد الله بن زياد لم تجتمع لقرشي قط غيرهما وعبيد بن زياد اول من جمع له العراق وسجستان وخراسان والبحران وعمان وانما كان البحران وعمان الى عمال أهل الحجاز . وهو أول من عرف العرفاء ودعا الفقراء ونكب المناكب وحصل الدواوين ومشى بين يديه بالعمد ووضع الكراسي وعمل المقصورة ولبس الزيادي وربع الارباع بالكوفة وخمس الاخماس بالبصرة . وأعطى في يوم واحد للمقاتلة

والذرية من أهل البصرة والكوفة . وبلغ بالمقاتلة من أهل الكوفة ستين ألفا ومقاتلة البصرة ثمانين ألفا والذرية مائة ألف وعشرين ألفا وضبط زياد وابنه عبيد الله العراق باهل العراق . قال عبد الملك بن مروان : لعباد بن زياد أين كانت سيرة زياد من سيرة الحجاج . قال يا أمير المؤمنين ان زيادا قدم العراق وهي جمرة تشتعل فسل أحقادهم وداوى أدواءهم وضبط أهل العراق باهل العراق وقدمها الحجاج فكسر الخراج وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم باهل الشام فضلا عن أهل العراق ولو رام منهم ما رامه زياد لم يفجاك الا على قعود يوجف به . وقال نافع : لزياد استعملت أولاد أبي بكرة وتركت أولادي . قال إني رأيت أولادك كراما قصارا و رأيت أولاد أبي بكرة نجباء طوالا . ودخل عبد الله بن عامر على معاوية فقال له حتى متى تذهب بخراج العراق . فقال يا أمير المؤمنين ما تقول هذا لمن هو أبعد مني رحما ثم خرج فدخل على يزيد فاخبره وشكا اليه . فقال له لعلك أغضبت زيادا قال قد فعلت . قال فانه لا يرضى حتى ترضي زيادا عنك فانطلق ابن عامر فاستاذن على زياد فاذن له وألطفه . فقال له ابن عامر ان شئت فصلح بعتاب وان شئت فصلح بغير عتاب فانه اسلم للصدر . ثم راح زياد الى معاوية فاخبره وأصبح ابن عامر غاديا الى معاوية . فلما دخل عليه قال مرحبا بابي عبد الرحمن ههنا وأجلسه الى جانبه فقال له يا أبا عبد الرحمن لنا سياق ولكم سياق وقد علمت ذلك الرفاق . الحسن بن أبي الحسن قال : ثقل أبو بكرة فارسل زياد اليه أنس بن مالك ليصالحه ويطلقه فانطلقت معه فاذا هو مول وجهه الى الجدار . فلما قعد قال له كيف تجدك أبا بكرة . فقال صالح كيف أنت أبا حمزة . فقال له أنس اتق الله أبا بكرة في زياد أخيك فان الحياة يكون فيها ما يكون فاما عند فراق الدنيا فليستغفر الله أحدكما لصاحبه فوالله ما علمت أنه لوصول للرحم هذا عبد الرحمن ابنك على الابلة وهذا داود على الري وهذا عبد الله على فارس كلها والله ما أعلمه الا مجتهدا قال اقعدوني فاقعدوه فقال أخبرني ما قلت في آخر كلامك فاعاد عليه القول . فقال يا أنس وأهل حروراء قد اجتهدوا فاصابوا أم أخطؤا والله لا أكلمه أبدا ولا يصلي علي . فلما رجع أنس الى زياد أخبره بما قال وقال له انه قبيح أن يموت مثل أبي بكرة بالبصرة فلا تصلي عليه ولا تقوم على قبره فاركب دوابك والحق بالكوفة قال ففعل ومات أبو بكرة بالغد عند صلاة الظهر فصلى عليه أنس بن مالك . وقدم شريح مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة . فكان زياد يجلسه الى جنبه

ويقول له ان حكمت بشيء ترى غيره أقرب الى الحق منه فاعلمنيه . فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه فيقول زياد اشريح ما ترى في هذا الحكم حتى أتاه رجل من الانصار . فقال اني قدمت البصرة والخطط موجودة فاردت أن أختط لى فقال لى بنو عمي وقد اختطوا ونزلوا أين تخرج عنا أقم معنا واختط عندنا فوسعوا لى فاتخذت فيهم دارا وتزوجت . ثم نزغ الشيطان بيننا فقالوا لى اخرج عنا . فقال زياد ليس ذلك لكم منعتموه أن يختط والخطط موجودة وفى أيديكم فضل فاعطيتموه حتى اذا ضاقت الخطط أخرجتموه وأردتم الاضرار به لا يخرج من منزله . فقال شريح يامستعير القدر ارددها . فقال زياد يامستعير القدر احبسها ولا تردها . فقال محمد بن سيرين القضاء بما قال شريح وقول زياد حسن . وقال زياد : ماغلبني أمير المؤمنين معاوية الافى واحدة طلبت رجلا فلجأ اليه وتحرم به . فكتبت اليه ان هذا فساد لعملى اذا طلبت أحدا لجأ اليك فتحرم بك فكتب الى انه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة فيكون مقامنا مقام رجل واحد ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون انا للرأفة والرحمة فيستريح الناس فيما بيننا . ولما عزل عمر بن الخطاب رضى الله عنه زيادا عن كتابة أبي موسى قال له أعن عجز أم عن خيانة . قال لا عن واحدة منهما ولكني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك . وكتب الحسن بن على رضى الله عنه : الى زياد فى رجل من أهل شيعته فعرض له زياد وحال بينه وبين ما يملكه وكان عنوان كتابه من الحسن بن على الى زياد . فغضب زياد اذ قدم نفسه عليه ولم ينسبه الى أبى سفيان . وكتب اليه من زياد بن أبى سفيان الى حسن أما بعد فانك كتبت الى فى فاسق لا يأويه الا الفساق وايم الله لاطلبنه ولو بين جلدك ولحمك فانى أحب أن آكل لحما أنت منه . فكتب الحسن الى معاوية يشتكى زيادا وأدرج كتاب زياد فى داخل كتابه . فلما قرأه معاوية أكثر التعجب من زياد وكتب اليه أما بعد فان لك رأيين أحدهما من أبى سفيان والآخر من سمية . فاما الذي من أبى سفيان فحزم وعزم . وأما الذي من سمية فكما يكون رأى مثلها وان الحسن بن على كتب الى يذكر أنك عرضت لرجل من أصحابه . وقد حجزناه عنك ونظراءه فليس لك على واحد منهم سبيل ولا عليه حكم وعجبت منك حين كتبت الى الحسن لا تنسبه الى أبيه أفالى أمه وكلته لا أم لك فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن حين اخترت له . وكتب زياد الى معاوية : ان عبد الله بن عباس يفسد الناس على فان أذنت لى ان أتوعده فعلت . فكتب اليه ان أبا الفضل وأبا سفيان كانا فى الجاهلية في مسلاخ واحد

وذلك حاف لايحله سوء رأيك . واستاذن زيادمعاوية في الحج فاذن له وبلغ ذلك أبا بكرة فاقبل حتى دخل على زيادوقد أجلس له بنيه فسلم عليهم ولم يسلم على زياد . ثم قال يابني أخي ان أباكم ركب أمرا عظيما في الاسلام بادعائه الى أبي سفيان فوالله ماعلمت سمية بغت قط وقد استاذن أمير المؤمنين في الحج وهو مار بالمدينة لامحالة وبها أم حبيبة ابنة أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد له من الاستئذان عليها فان اذنت له فقعد منها مقعد الاخ من أخته فقد انتهك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة وان لم تاذن له فهو عار الابد . ثم خرج فقال له زياد جزاك الله خيرا من أخ فما تدع النصيحة على حال . وكتب الى معاوية يستقيله فاقاله وكتب زياد الى معاوية : اني قد أخذت العراق بيميني وبقيت شمالى فارغة وهو يعرض له بالحجاز . فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . فقال اللهم اكفنا شماله فعرضت له قرحة فى شماله فقتلته . ولما بلغ عبد الله بن عمر موت زياد قال اذهب اليك ابن سمية لا يد ارفعت عن حرام ولا دنيا تمايت . قال زياد : لعجلان حاجبه كيف تاذن للناس قال على البيوتات . ثم على الانساب . ثم على الآداب . قال فمن تؤخر قال من لا يعبا الله بهم قال ومن هم قال الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء . وقال زياد لحاجبه : وليتك حجابى وعزلتك عن أربع هذا المنادى الى الله فى الصلاح والفلاح لا توقفه عني ولا سلطان لك عليه . وطارق الليل لاتحجبه فشر ماجاء به ولو كان خيرا ماجاء فى تلك الساعة . ورسول صاحب الثغر فانه ان أبطا ساعة أفسد عمل سنة . وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد . وقال عجلان حاجب زياد : صار لى فى يوم واحد مائة ألف دينار وألف سيف قيل له وكيف ذلك . قال : أعطى زياد ألف رجل مائتى ألف دينار وسيفا سيفا فاعطانى كل رجل منهم نصف عطائه وسيفه

٢ أخبار الحجاج — دخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الغداة . فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة فانك قذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت . قالت والله مافرحنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا وما هو بشيء مما ظننت ولكني استكت فاردت أن أتخلل بسواك . فندم المغيرة على ما بدر منه فخرج أسفا فلقى يوسف بن أبي عقيل . فقال له هل لك الى شيء ادعوك اليه . قال وماذاك قال أنى نزلت

الساعة عن سيدة نساء ثقيف فتزوجها فانها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج . ومما رواه عبدالله بن مسلم بن قتيبة قال ان الحجاج بن يوسف كان يعلم الناس بالطائف واسمه كليب وأبوه يوسف معلم أيضا . وفي ذلك قال الشاعر :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده * اذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد اياد
زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادى

ثم لحق الحجاج بن يوسف روح بن زنباع وزير عبدالملك بن مروان . فكان في عديد شرطته الى ان شكا عبد الملك بن مروان ما رأى من انحلال العسكر وان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله . فقال روح بن زنباع يا أمير المؤمنين ان في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لارحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف . قال فانا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد يتخلف عن الرحيل والنزول الا أعوان روح ابن زنباع . فوقف عليهم يوما وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون . فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين . فقالوا له انزل يا ابن اللخناء فكل معنا فقال هيهات ذهب ما هنالك ثم امر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وامر بفساطيط روح بن زنباع فاحرقت بالنار . فدخل روح بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكيا . فقال له مالك . فقال يا أمير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي وأحرق فساطيطي . قال عليّ به فلما دخل عليه قال ما حملك على ما فعلت . قال ما أنا فعلته يا أمير المؤمنين . قال ومن فعله . قال أنت والله فعلت انما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له فاخلف لروح بن زنباع ما ذهب له . وتقدم الحجاج في منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفاءته . قال أبو الحسن المدايني : كانت امرأة الحجاج الفارعة ابنة هبار . فقال كان الحجاج بن يوسف يضع في كل يوم ألف خوان في رمضان وفي سائر الايام خمسمائة خوان على كل خوان عشرة أنفس وعشرة ألوان وسمكة مشوية طرية وارزة بسكر . وكان يحمل في محفة ويدار به على موائده يتفقدها فاذا رأي ارزة ليس عليها سكر وسعى الخباز ليجيء بسكرها فابطأ حتى أكلت الارزة بلا سكر امر به فضرب

حائق سوط . فكانوا بعد ذلك لا يمشون الا متابطي خرائط السكر . قال : وكان يوسف بن عمر والى العراق في أيام هشام بن عبد الملك يضع خمسمائة خوان . فكان طعام الحجاج لاهل الشام خاصة وطعام يوسف بن عمر لمن حضره فكان عند الناس احمد . العتبي قال : دخل على الحجاج سليك بن سلكة . فقال أصلح الله الامير أعرني سمعك واغضض عني بصرك واكفف عني حزبك فان سمعت خطا اوزللا فدونك والعقوبة . فقال قل فقال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمي وهدمت داري وحرمت عطائي . قال هيهات اما سمعت قول الشاعر :

حانيك من يجني عليك وقد * تعدي الصحاح مبارك الجرب
ولرب ماخوذ بذنب عشيرة * ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الامير قال سمعت الله قال غير هذا قال وماذاك قال قال « يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون » فقال الحجاج على بيزيد بن أبي مسلم فاتي به فمثل بين يديه . فقال افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله . وأمر مناديا ينادي في الناس صدق الله وكذب الشاعر . اتى الحجاج : بامرأة عبد الرحمن بن الاشعث بعد دير الجماجم . فقال لحرسي قل لها ياعدوة الله اين مال الله الذي جعلتيه تحت ذيلك . فقال ياعدوة الله اين مال الله الذى جعلتيه تحت استك فقال له كذبت ماهكذا قلت استك وخل عنها . الاصمعى قال : ماتت رفقة بالسجا والسجا ربوة من الارض في بطن فلج فسجى به الوادي فسمي سجا فقال الحجاج انى اراهم قد تضرعوا اذا نزل بهم الموت فاحفروا فى مكانهم فحفروا . فامر الحجاج رجلا يقال له عضيدة يحفر البئر . فلما أنبطها حمل منها قربتين الى الحجاج بواسط . فلما قدم بهما عليه قال ياعضيدة لقد تجاوزت مياها عذابا احتفت أم أوشلت . قال لا واحد منهما ولكن نبطا بين المنافق . قال وكيف يكون قدره قال مرت بنا رفيقة فيها خمسة وعشرون جملا فرويت الابل واهلها . قال أو للابل حفرتها ان الابل ضمر خشف ماجشمت جشمت . بعث عبد الملك بن مروان : الحجاج بن يوسف واليا على العراق وأمره ان يحشر الناس الى المهلب فى حرب الازارقة . فلما أتي الكوفة صعد المنبر متلثما متنكبا قوسه فجلس واضعا ابهامه على فيه . فنظر محمد بن عمير بن عطارد

التميمى . فقال لعن الله هذا ولعن من أرسله الينا أرسل غلاما لا يستطيع أن ينطق عيا وأخذ حصاة بيده ليحصبه بها . فقال له جليسه لا تعجل حتى ننظر ما يصنع . فقام الحجاج فكشف لثامه عن وجهه فقال:

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

صليب العود من سلفى نزار * كنصل السيف وضاح الجبين

أخو خمسين مجتمع اشدي * ونجدنى مداورة الشؤن

أما والله لأحمل الشر بثقله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله أما والله اني لارى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وكاني أرى الدماء بين العمائم واللحى :

هذا أوان الشر فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

الا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كب كنانته فعجم عيدانها فوجدني أصلبها عودا فوجهني اليكم فانكم طالما سعيتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى أما والله لالحونكم لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولا قرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما أحلق الا فريت ولا أعد الا وفيت ولا أغمز تغماز التنين ولا يقعقع لى بالشنان اياى وهذه الزرافات والجماعات . وقيل وقال وما يقول وفيم أنتم ونحو هذا من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب ضربت عنقه . ثم قال يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين . فقرأ عليهم بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئا . فقال الحجاج أسكت يا غلام هذا أدب ابن نهية والله لاؤدبنهم غير هذا الادب أو ليستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق احد فى المسجد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام . ثم نزل فاتاه عمير ابن هانىء فقال ايها الامير اني شيخ كبير عليل وهذا ابنى أقوي على الغزو مني . قال أجزوا ابنه عنه فان الحدث أحب الينا من الشيخ . فلما ولى الرجل قال له عنبسة بن سعيد أيها الامير هذا الذى ركض عثمان برجله وهو مقتول . فقال ردوا الشيخ فردوه فقال اضربوا عنقه . فقال فيه الشاعر :

تجهز فاما ان تزور ابن هانىء * عميرا واما ان تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من البلج أشهبا

ثم قال دلوني على رجل أوليه الشرطة . فقيل له أى الرجال تريد قال أريده دائم العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الامانة ، أعجف الخيانة ، لا يحنق فى الحق على حرة ، يهون عليه سؤال الاشراف فى الشفاعة . فقيل عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمى فارسل اليه فاستعمله . فقال له لست أقبلها الا ان تكفيني عمالك وولدك وحاشيتك . فقال الحجاج ياغلام ناد من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت الذمة منه . قال الشعبي : فوالله مارأيت قط صاحب شرطة مثله كان لا يحبس الا فى دين . وكان اذا أتى برجل نقب على قوم وضع منقبته فى بطنه حتى تخرج من ظهره . وكان اذا أتى برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا واذا أتي برجل قاتل بحديدة أو أظهر سلاحا قطع يده فربما أقام أربعين يوما لا يؤتى اليه بأحد . فضم الحجاج اليه شرطة البصرة مع شرطة الكوفة . ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان . فمر الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالس فى المسجد وعلى الحجاج سيف محلى وهو يخطر متبخترا فى المسجد فقال رجل من قريش لخالد ماهذه التخطارة . فقال بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعه الحجاج فمال اليه . فقال قلت هذا عمرو بن العاص والله ماسرني ان العاص ولدني ولا ولدته ولكن ان شئت اخبرتك من أنا انا ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش والذى ضرب مائة بسيفه هذا كلهم يشهدون على ابيك بالكفر وشرب الخمر حتى اقروا انه ولى وهو يقول هذا عمرو بن العاص . الاصمعي قال : بعث الحجاج الى يحيي بن يعمر . فقال له أنت الذى تقول ان الحسن بن على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتيني بالمخرج أو لاضربن عنقك . فقال له فان أتيت بالمخرج فانا آمن قال له نعم . قال له اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى فمن أقرب عيسي الى ابراهيم . وانما هو ابن ابنته أو الحسن الي محمد . قال الحجاج فوالله لكأنى ماقرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات . قال أبو عثمان : عمرو بن بحر الجاحظ كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها رأيا وحزما وعابدها قبل ان يستخلف ورعا وزهدا . فجلس يوما فى خاصته فقبض على لحيته فشمها مليا . ثم اجتر نفسه وتفخ نفخة أطالها . ثم نظر فى وجوه القوم فقال ما أقول يوم ذي المسئلة عن أمر الحجاج وأدحض المحتج على العليم بما طونه الحجب أمان تمليكى له قرن في لوعة يحثها التذكار كيف وقد علمت فتعاميت وسمعت فتصاممت وحمله الكرام الكاتبون . والله

لكانى آلف ذا الطعن على نفسى بعد ان نعت الايام بتصرفها أنفسا حق لها الوعيد بتصرم الزوال وما ابقت الشبهة للباقى متعلقا وماهو الا الغل الكامن والغش المندمل من ذى النفس بحوبائها اللهم أنت لى أوسع غير منتصر ولا معتذر يا كاتب هات الدواة والقرطاس .

فقعد كاتبه بين يديه واملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد : فقد أصبحت بأمرك برما يقعد فى الاشفاق ويقيمنى الرجاء عجزت في دار السعة وتوسط الملك وحين المهل واجتماع الفكر التمس العذر فى أمرك فأنا لعمر الله فى دار الجزاء وعدم السلطان واشتغال النفس والركون الى الذلة من نفسى والتوقع لما طويت عليه الصحف أعجز . وقد كنت أشركتك فيما طوقنى الله حمله وألاث بحقوي من أمانة الله فى هذا الخلق المرعى فدللت منه على الحزم والجد فى امانة بدعة وانعاش سنة فقعدت عن تلك ونهضت بما عاندها حتى صرت حجة الغائب وعذر اللاعن والشاهد القائم . فلعن الله أبا عقيل وما نجل فالام والدو أخبث نسل فلعمرى ماظلمكم الزمان ولا قعدت بكم المراتب لقد ألبستكم ملبسكم وأقعدتكم على روابي خططكم واحلتكم أعلى منعتكم فمن حافر وناقل وماتح للفلوات القفرة المتفيهقة ماتقدم فيكم الاسلام ولقد تأخرتم وماالطائف منا ببعيد يجهل أهله . ثم قمت بنفسك وطمحت بهمتك وسرك انتضاء سيفك فاستخرجك أمير المؤمنين من أعوان روح بن زنباع وشرطته وأنت على معاونته يومئذ محسود فهفا أمير المؤمنين والله يصلح بالتوبة والغفران زلته وكانى بك وكان مالو لم يكن لكان خيرا مما كان كل ذلك من تجاسرك وتحاملك على المخالفة لرأى أمير المؤمنين فصدعت صفاتنا وهتكت حجبنا وبسطت يديك تحفن بهما من كرائم ذوى الحقوق اللازمة والارحام الواشجة فى أوعية ثقيف فاستغفر الله لذنب ماله عذر . فلئن استقال أمير المؤمنين فيك الرأى فلقد جالت البصيرة فى ثقيف بصالح النبى صلى الله عليه وسلم اذ ائتمنه على الصدقات وكان عبده فهرب بها عنه وماهو الا الاختيار للثقة والمطلب لمواضع الكفاية فقعد فيه الرجاء كما قعد بامير المؤمنين فيما نصبك له فكأن هذا ألبس أمير المؤمنين ثوب العزاء ونهض بعذره الى استنشاق نسيم الروح فاعتزل عمل أمير المؤمنين واظعن عنه باللعنة اللازمة والعقوبة الناهكة ان شاء الله اذا استحكم لامير المؤمنين ما يحاول من رأيه والسلام . ودعا عبد الملك مولى له يقال له نباتة له لسان وفضل رأي فناوله الكتاب .

ثم قال له يا نباتة العجل ثم العجل حتى تأتي العراق فضع هذا الكتاب في يد الحجاج وترقب ما يكون منه فاذا جبن عند قراءته واستيعاب ما فيه فاقلعه عن عمله وانقلع معه حتى تأتى به

وهدى الناس حتى ياتيهم أمري بما تصفني به فى حين انقلاعك من حي لهم والسلامة وان هش للجواب ولم تكشفه أرنبة الحيرة فخذ منه ما يجيب به وأقرره على عمله . ثم عجل على بجوابه قال نباتة فخرجت قاصدا الى العراق فضمتني الصحارى والفيافى واحتوانى القر وأخذ مني السفر حتى وصلت . فلما وردته أدخلت عليه فى يوم ما يخطر فيه الخلق وعلى شحوب مضني وقد توسط خدمه من نواحيه وتدثر بمطرف خز أدكن ولاث به الناس من بين قائم وقاعد . فلما نظر الى وكان لى عارفا قعد . ثم تبسم تبسم الوجل . ثم قال أهلا بك يا نباتة أهلا بمولى أمير المؤمنين لقد أثر فيك سفرك واعرف أمير المؤمنين بك ضنينا فليت شعرى ما دهمك أو دهمني عنده . قال فسلمت وقعدت فسال ما حال أمير المؤمنين وخوله . فلما هدأ أخرجت له الكتاب فناولته اياه فاخذه مني مسرعا و يده ترعد . ثم نظر فى وجوه الناس فما شعرت الا وأنا معه ليس معنا ثالث وصار كل من يطيف به من خدمه يلقاه خاليا لا يسمعون منا الا الصوت ففك الكتاب فقرأه وجعل يتثاءب و يردد تثاؤبه و يسيل العرق على جبينه وصدغيه على شدة البرد من تحت قلنسوته من شدة العرق وعلى رأسه عمامة خز خضراء وجعل يشخص الى ببصره ساعة كالمتوهم . ثم يعود الى قراءة الكتاب و يلاحظني النظر كالمتفهم الا أنه واجم . ثم يعاود الكتاب وانى لاقول ما أراه يثبت حروفه من شدة اضطراب يده حتى استقصى قراءته . ثم مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش ورجع اليه ذهنه فمسح العرق عن جبينه . ثم قال متمثلا :

واذا المنية أنشبت أظفارها ❊ ألفيت كل تميمة لا تنفع

قبح والله منا الحسن يا نباتة وتوا كلتنا عند أمير المؤمنين الالسن وما هذا الا سانح فكرة نمقها مرصد بكلاب بقصتنا مع حسن رأي أمير المؤمنين فينا يا غلام فتبادر الغلمان الصيحة فملء علينا منهم المجلس حتى دفأتنى منهم الانفاس . فقال الدواة والقرطاس فاتي بدواة وقرطاس : فكتب بيده وما رفع القلم الا مستمدا حتى سطر مثل خد الفرس . فلما فرغ قال لى يا نباتة هل علمت ما جئت به فنسمعك ما كتبنا قلت لا قال اذا حسبك منا مثله . ثم ناولنى الجواب وأمر لى بجائزة فاجزل وجرد لى كساء ودعالى بطعام فاكلت . ثم قال نكلك الى ما أمرت به من عجلة أوتوان وانى لاحب مقارنتك والانس برؤيتك . فقلت كان معى قفل مفتاحه عندك ومفتاح قفلك عندى فاجدت لك الوافية بالامرين فاقفلت المكروه وفتحت العافية وما ساءنى ذلك وما أحب

أن أزيدك بيانا وحسبك من استعجال القيام . ثم نهضت وقام مودعا لى فالزمني . وقال يابى أنت وأمى رب لفظة مسموعة ومحتقر نافع فكن كما أظن فخرجت مستقبلا وجهي حتى وردت أمير المؤمنين فوجدته منصرفا من صلاة العصر . فلما رآنى قال ما احتواك المضجع يا نابانة فقلت من خاف من وجه الصباح أدلج . فسلمت وانتبذت عنه فتركني حتى سكن جاشى ثم قال مهيم فدفعت اليه الكتاب فقرأه متبسما . فلما مضى فيه ضحك حتى بدت له سن سوداء ثم استقصاه فانصرف الى فقال كيف رأيت اشفاقه . قال فقصصت عليه ما رأيت منه فقال صلوات الله على الصادق الامين ان من البيان لسحرا . ثم قذف الكتاب الى . فقال اقرأ فقرأته فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين والمؤيد بالولاية المعصوم من خطل القول وزلل الفعل بكفالة الله الواجبة لذوي أمره من عبد اكتنفته الذلة ومد به الصغار الى وخيم المرتع ووبيل المكرع من جائل قادح ومعتز فادح والسلام عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت وكان بها التقوى الى أهلها قائدا فانى أحمد الله اليك راجيا لعطفك بعطفه الذي لا اله الا هو أما بعد كان الله لك بالدعة في دار الزوال والامن في دار الزلزال فانه من عنت به فكرتك يا أمير المؤمنين مخصوصا فما هو الا سعيد يؤثر أو شقي يوتر وقد حجبنى عن نواظر السعد لسان مرصد ونافس حقد انتهز به الشيطان حين الفكرة فافتتح به أبواب الوسواس بما تحتويه الصدور فواغوثاه باستعاذة أمير المؤمنين من رجيم انما سلطانه على الذين يتولونه واعتصاما بالتوكل على من خصه بما أجزل له من قسم الايمان وصادق السنة فقد أراد اللعين أن يفتق لاوليائه فتقا نبا عنه كيده وكثر عليه تحسره بلية قرع بها فكر أمير المؤمنين مبلسا وكادحا ومورشا ليفل من غربه الذى نصبني ويصيب ثارا لم يزل به موترا واذكره قديما حامت به الاوائل حتى لحقت بمثله منهم وممن كنت أبلوه من خسة اقدار ومزاولة أعمال الى ان وصلت ذلك بالتشرط لروح بن زنباع وقد علم أمير المؤمنين بفضل ما اختار الله تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضى بان الذى عير به القوم مصانعهم من أشدما كان يزاوله أهل القدمة الذين اجتبى الله منهم وقد اعتصموا وامتعضوا من ذكر ما كان وارتفعوا بما يكون وماجهل أمير المؤمنين وللبيان موقعة غير محتج ولا متعدد ان متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن أراد من فوقه وان روحا لم يلبسني العزم الذي به رفعني أمير المؤمنين عن خوله وقد ألصقتني بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمي بي البعيد وتطالع الاعلام وقد أخذت من أمير المؤمنين نصيبا اقتسمه الاشفاق

من سخطه والمواظبة على موافقته فما بقي لنا بعد الاصابة وارث به نجول النفس وتطرف النواظر ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير متثبت موجف ولا متثاقل مجحف ففت الطالب ولحقت الهارب حتى ثارت السنة وبادت البدعة وخسىء الشيطان وحملت الاديان الى الجادة العظمى والطريقة المثلى فها أنا ذا يا أمير المؤمنين نصب المسئلة لمن رامني وقد عقدت الحبوة وقرنت الوظيفين لقائل محتج أولائم ملتج وأمير المؤمنين ولي المظلوم ومعقل الخائف وستظهر له المحنة نبأ أمري ولكل نبأ مستقر وما حفنت يا أمير المؤمنين في أوعية ثقيف حتى روى الظمآن وبطن الغرثان وغصت الاوعية وأنقدت الاوكية في آل مروان فاخذت ثقيف فضلا صار لها ولولاهم القطته السائلة ولقد كان مما أنكره أمير المؤمنين من تحاملي وكان مما لو لم يكن لعظم الخطب فوق ما كان وان أمير المؤمنين لرابع أربعة أحدهم ابنة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم اذ رمت بالظن غرض اليقين تفرسا في النجي المصطفى بالرسالة فحقق لها فيه الرجاء وزالت شبهة الشك بالاختيار وقبلها العزيز في يوسف ثم الصديق في الفاروق رحمة الله عليهما وأمير المؤمنين في الحجاج وما حسد الشيطان يا أمير المؤمنين خاملا ولا شرف بغير سجاف كم غبطة يا أمير المؤمنين الرجيم أدبر منها وله غواة ومرساة وقد قلت حيلته ووهن كيده يوم كيت وكيت ولا أظن أذكر لها من أمير المؤمنين ولقد سمعت لامير المؤمنين في صالح صلوات الله عليه في ثقيف مقالا هجم بي الرجاء لعدله عليه بالحجة في وده بمحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . فقد أخبر عن الله عز وجل وحكاية غرالا من قريش عند الاختيار والافتخار . وقد نفخ الشيطان في مناخرهم فلم يدعوا خلف ما قصدوا اليه موسى قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . فوقع اختيارهم عند المباهاة بنفخة الكبر وكبر الجاهلية على الوليد بن المغيرة المخزومي وأبي مسعود الثقفي فصارا في الافتخار بهما صنوين ما أنكر اجتماعهما من الامة منكر في مدصوت القرآن ومبلغ الوحي وان كان ليقال للوليد في الامة يومئذ ريحانة قريش وما رد ذلك العزيز تعالى الا بالرحمة الشاملة الى القسم السابق . فقال عز وجل « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » وما قدمتني يا أمير المؤمنين ثقيف في الاحتجاج لها وان لها مقالا رحبا ومعاندة قديمة الا ان هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب . والامر الى أمير المؤمنين عزل أم أقر وكلاهما عدل متبع وصواب معتدل والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة

الله . قال نباتة فاتيت على الكتاب بمحضر أمير المؤمنين عبد الملك . فلما استوعبته سارقته النظر عن الهيبة منه فصادف لحظي لحظه . فقال اقطعه ولا تعلمن بما كان أحدا . فلما مات عبد الملك فشاعني الخبر بعدموته . محمد بن المنتشر بن الاجدع الهمدانى قال : دفع الى الحجاج رجلا ذميا وامرنى بالتشديد عليه والاستخراج منه . فلما انطلقت به قال لى يا محمد ان لك لشرفا ودينا انى لا أعطى على القسر شيا . فاذن لى وارفق بى ففعلت فادى الىّ فى أسبوع خمسمائة الف . فبلغ ذلك الحجاج فاغضبه فانتزعه من يدى ودفعه الى الذى كان يتولى لهم العذاب فدق يديه ورجليه ولم يعطه شيا . قال محمد بن المنتشر فاني لسائر يوما في السوق اذ صائح اني يا محمد فالتفت فاذا أنا به معترضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته فتذممته . فملت اليه فقال لى انك وليت مني ما ولى هؤلاء فرفقت بى وأحسنت الى وانهم صنعوا بى ما تري . ولى خمسمائة الف عند فلان فخذها مكافاة لما أحسنت الى فقلت ما كنت لآخذ منك على معروفى أجرا ولا لارزأك على هذه الحالة شيا . قال فاما اذ أبيت فاسمع مني حديثا أحدثك به حدثنيه بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله عن قوم أنزل عليهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر في غير وقته وجعل المال فى بخلائهم واستعمل عليهم شرارهم . فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتاني رسول الحجاج فسرت اليه فالقيته جالسا على فرشه والسيف مصلت بيده . فقال لى ادن فدنوت شيا ثم قال لى ادن فدنوت شيئا ثم قال لى الثالثة ادن لا أبالك . فقلت مابي الى الدنو من حاجة وفى يد الامير ما أرى فضحك وغمد سيفه . وقال اجلس ما كان من حديث الخبيث . فقلت له أيها الامير والله ماغششتك منذ استصحبتنى ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ثم حدثته فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه وأوماً الى بيده وقال لا تسمه . ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الاحاديث . ويقال ان الحجاج كان اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه . ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع حتى يتزايد فى الكلام فيخرج يده من مطرفه . ثم يزجر الزجرة فيقرع بها أقصى من فى المسجد . صعد خالد بن عبد الله القسري . المنبر فى يوم جمعة وهو اذ ذاك على مكة فذكر الحجاج فحمد طاعته وأثنى عليه خيرا . فلما كان فى الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يامره فيه بشتم

الحجاج رنشرعيو به واظهار البراءة منه . فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال ان ابليس كان ملكا من الملائكة وكان يظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلا . وكان الله قد علم من غشه وخبثه ما خفي على ملائكته . فلما أراد الله فضيحته أمره بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ماخفى عنا فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فلعنه فالعنوه لعنه الله ثم نزل . ولما أتي الحجاج بامرأة ابن الاشعث قال لحرسي قل لها يا عدوة الله أين مال الله الذي جعلته تحت ذيلك فقال لها الحرسي يا عدوة الله أين مال الله الذي جعلته تحت استك قال الحجاج كذبت ما هكذا قلت ارسلها فخلى سبيلها . أبو عوانة عن عاصم عن أبي وائل قال : أرسل الحجاج الى فقال لى ما اسمك قلت ما أرسل الامير الى حتي عرف اسمي . قال لى متى هبطت هذه الارض قلت حين ساكنت أهلها . قال كم تقرأ من القرآن قلت أقرأ منه ما ان اتبعته كفاني . قال انى أريد ان أستعين بك على بعض عملى . قلت ان تستعن بي تستعن بكبير اخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعني فهو أحب الى وان تقحمني أتقحم . قال ان لم أجد غيرك أقحمتك وان وجدت غيرك لم أقحمك . قلت وأخرى أكرم الله الامير اني ما علمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك والله انى لاتعار من الليل فاذكرك فما يأتيني النوم حتى أصبح هذا ولست لك على عمل فاعجبه ذلك . وقال هيه كيف قلت فأعدت عليه الحديث . فقال انى والله ما أعلم اليوم رجلا على وجه الارض هو أجرأ على ربه مني . قال فقمت فعدلت عن الطريق كأني لا أبصر . فقال أهدوا الشيخ أرشدوا الشيخ . أبو بكر بن أبي شيبة قال : دخل عبد الرحمن بن أبي ليلى على الحجاج . فقال لجلسائه اذا أردتم ان تنظروا الى رجل يسب أمير المؤمنين عثمان فانظروا الى هذا . فقال عبد الرحمن معاذ الله أيها الامير ان أكون أسب عثمان انه ليحجزني عن ذلك آيات في كتاب الله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » فكان عثمان منهم . ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فكان أبي منهم ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » فكنت أنا منهم قال صدقت . أبو بكر بن أبي شيبة

عن أبي معاوية عن الاعمش قال رأيت عبد الرحمن بن ابي ليلى ضربه الحجاج وأوقفه على باب المسجد فجعلوا يقولون له العن الكاذبين على بن ابي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد . فقال لعن الله الكاذبين . ثم قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد بالرفع فعرفت حين سكت . ثم ابتدأ فرفع انه ليس يريدهم . قال الشعبي : أتي بي الحجاج موثقا فلما جئت باب القصر لقيني يزيد بن أبي مسلم كاتبه . فقال انا لله ياشعبي لما بين دفتيك من العلم وليس اليوم بيوم شفاعة قلت له فما المخرج . قال بؤ للامير بالشرك والنفاق على نفسك وبالحرى ان تنجو . ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال لى مثل مقالة يزيد . فلما دخلت على الحجاج قال لى وأنت ياشعبي فيمن خرج علينا وكثر قلت أصلح الله الامير انبأ بنا المنزل ، وأجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر وضاق المسلك ، وخبطتنا فتنة لم تكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال صدق والله مابروا بخروجهم علينا ولا قووا اطلقوا عنه فاحتاج الى فى فريضة بعد ذلك فارسل الى فقال ماتقول فى أم وأخت وجد . فقلت اختلف فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وعلى وعثمان وزيد وابن عباس . اقال فما قال فيها ابن عباس ان كان لمتقيا قلت جعل الجد أبا ولم يعط الاخت شيا وأعطى الام الثلث . قال فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ستة فاعطي الجد ثلاثة وأعطى الام اثنين وأعطي الاخت سهما . قال فما قال زيد قلت جعلها من تسعة فاعطى الام ثلاثة وأعطي الجد اربعة وأعطي الاخت اثنين فجعل الجد معها أخا . قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان قلت جعلها ثلاثا . قال فما قال فيها أبو تراب قلت جعلها من ستة فاعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام اثنين وأعطى الجد سهما قال مر القاضى فليمضها على ما أمضاها أمير المؤمنين فبينما انا عنده اذجاءه الحاجب . فقال له ان بالباب رسلا . فقال ائذن لهم : قال فدخلوا عمائمهم على أوساطهم وسيوفهم على عواتقهم وكتبهم بايمانهم اذجاء رجل من بنى سليم يقال له شبابة بن عاصم . فقال له من أين قال من الشام قال كيف تركت أمير المؤمنين وكيف تركت حشمه فاخبره قال هل وراءك من غيث قال نعم . قال فهل بيني وبين الامير من سحاب قال نعم . قال فانعت لى كيف وقع المطر وتباشيره قال أصابتني سحابة بحوارين فوقع قطر صغار وقطر كبار . فكانت الصغار تجمد الكبار ووقع بسيطا ومتداركا وهو الثلج الذى سمعت به فواد سائل وواد نازح وأرض مقبلة وأرض مدبرة .

وأصابتني سحابة بسرافا بدت الدماث وأسالت العرار وأدحضت التلاع وصدعت عن الكماة أماكنها . واصابتني سحابة بالقريتين نقات الارض بعد الري وامتلأت الاجاديد وانعمت الاودية وجئتك في مثل وجار الضبع . قال ائذن لى فدخل رجل من بني أسد . فقال هل وراءك من غيث . قال لا كثر الله الاعصار واغبرت البلاد وأيقنا انه عام سنة . قال بئس المخبر أنت . قال أخبرتك الذى كان . قال ائذن فدخل رجل من أهل اليمامة . قال هل وراءك من غيث . قال نعم سمعت الرواد يدعون الى الماء وسمعت قائلا يقول: هلم ظعنكم الى محلة تطفأ فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعزي . قال الشعبي فلم يدر الحجاج ما قال . فقال له تبا لك انما تحدث اهل الشام فافهمهم قال نعم أصلح الله الامير اخصب الناس فكثر التمر والسمن والزبد واللبن فلا توقد نار يختبز بها . وأما تشكى النساء فان المرأة تظل تربق بهمها وتمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضدها : وأما تنافس المعزى فانها ترى من أنواع التمر وأنواع الشجر ونور النبات ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت اكراشها ولها من الكظة جرة فتبقى الجرة حتى تستنزل الدرة . قال ائذن فدخل رجل من الموالى كان من أشد الناس في ذلك الزمان : فقال له هل وراءك من غيث . قال نعم ولكني لا أحسن ان أقول ما يقول هؤلاء قال فما تحسن . قال أصابتني سحابة بحلوان فلم أزل أطأ في آثارها حتي دخلت عليك . فقال ائن كنت اقصرهم في المطر خطبة انك لاطولهم بالسيف حظوة . ابراهيم بن مرزوق : عن سعيد بن جويرية قال لما كان عام الجماعة كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انظر ابن عمر فاقتد به وخذ عنه يعني في المناسك . قال فلما كان عشية عرفة سار الحجاج بين يدى عبد الله بن عمر وسالم ابنه . فقال له سالم ان اردت ان تصب السنة اليوم فاوجز الخطبة وعجل الصلاة . قال فخطب ونظر الى عبد الله بن عمر . فقال صدقت فلما كان عند الزوال مر عبد الله بن عمر بسرادقه . وقال الرواح فما لبث ان خرج ورأسه يقطر كانه قد اغتسل . فلما أفاض الناس رأيت العرق يتحدر من النجيبة التى عليها ابن عمر . فقلت أبا عبد الله عقرت النجيبة قال أنا عقرت ليس النجيبة وكان أصابه زج رمح بين أصبعين من قدمه . فلما صرنا بمكة دخل عليه الحجاج عائدا . فقال يا أبا عبد الرحمن لو علمت من أصابك لفعلت وفعلت : قال له أنت أصبتني : قال غفر الله لك لم تقول هذا قال حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح وفي بلد لا يحمل فيه السلاح . أبو الحسن المدائني قال : أخبرني من دخل المسجد والحجاج على المنبر وقد ملأ صوته المسجد بابيات

سويد بن ابي كاهل اليشكري حيث يقول :

رب من انضجت غيظا صدره * قد تمنى لي موتا لم يطع
ساء ماظنوا وقد ابليتهم * عند غايات المدا كيف اقع
كيف يرجون سقوطي بعدما * شمل الرأس مشيب وصلع

كتب الوليد الى الحجاج ان صف لي سيرتك . فكتب اليه ان أيقظت رأيي ، وأنمت هواي ، فادنيت السيد المطاع في قومه ، ووليت الحرب الحازم في أمره ، وقلدت الخراج الموفر لامانته وصرفت السيف الى النطق المسيء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب . قرأ الحجاج : في سورة هود « قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » فلم يدر كيف يقرأ اعمل بالضم والتنوين او اعمل بالفتح فبعث حرسيا . فقال ائتني بقاريء فاتي به وقد ارتفع الحجاج عن مجلسه فحبسه حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر . فلما انتهى اليه . قال له فيم حبست قال في ابن نوح أصلح الله الامير وأمر باطلاقه . ابراهيم بن مرزوق قال : حدثني سعيد بن جويرية قال خرجت خارجة على الحجاج بن يوسف فارسل الى انس بن مالك ان يخرج معه فابي . فكتب اليه يشتمه فكتب انس بن مالك الى عبد الملك بن مروان يشكوه وأدرج كتاب الحجاج في جوف كتابه قال اسمعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر بعث الى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعث الي في مثلها فدخلت عليه وهو أشد ما كان حنقا وغيظا . فقال يا أسمعيل ما أشد على ان تقول الرعية ضعف أمير المؤمنين وضاق ذرعه في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة فقلت وماذاك يا أمير المؤمنين . قال انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي يذكر ان الحجاج قد أضر به وأساء جواره . وقد كتبت في ذلك كتابين كتابا الى انس بن مالك والآخر الى الحجاج فاقبضهما . ثم اخرج على البريد فاذا وردت العراق فابدأ بانس بن مالك فادفع له كتابي وقل له اشتد علي امير المؤمنين ما كان من الحجاج اليك ولن ياتي اليك أمر تكرهه ان شاء الله . ثم ائت الحجاج فادفع اليه كتابه وقل له قد اغتررت بامير المؤمنين غرة لا أظنه يخطئك شرها ثم افهم مايتكلم به ومايكون منه حتى تفهمني اياه اذا قدمت على ان شاء الله . قال اسمعيل فقبضت الكتابين وخرجت على البريد حتي قدمت العراق . فبدأت بانس بن مالك في منزله فدفعت اليه كتاب أمير المؤمنين وأبلغته رسالته فدعا له وجزاه خيرا . فلما فرغ من قراءة

الكتاب قلت له أباحمزة ان الحجاج عامل ولو وضع لك في جامعة لقدران يضرك و ينفعك فأنا أريد ان تصالحه . قال ذلك اليك لا أخرج عن رأيك : ثم أتيت الحجاج فلما رآني رحب وقال والله لقد كنت أحب أن أراك فى بلدى هذا . قلت وأنا والله قد كنت أحب أن أراك وأقدم عليك بغير الذى أرسلت به اليك . قال وماذاك . قلت فارقت الخليفة وهو أغضب الناس عليك . قال ولم . قال فدفعت اليه الكتاب فجعل يقرؤه وجبينه يعرق فمسحه بيمينه . ثم قال اركب بنا الى أنس بن مالك قلت له لا تفعل فاني ساتلطف به حتى يكون هو الذى يأتيك وذلك للذى أشرت عليه من مصالحته . قال فاتى كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف . اما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت وعلوت فيها حتي جزت قدرك وعدوت طورك وأيم الله ياابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لاغمزنك كبعض غمزة الليوث للثعالب ولاركضنك ركضة تدخل منها فى وجارك اذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم و يحفرون الآبار فى المناهل بايديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة . وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة منك على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد على غير محبته ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن ترزأه بها لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان بغضتها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين وأيم الله لو أن أمير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرما وانتهكت له عرضا عليك فيما كتب به الى أمير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهر البطن حتى ينتهى بك الى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ولم يخف على أمير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . قال اسمعيل : فانطلقت الى أنس فلم أزل به حتي انطلق معى الى الحجاج فلما دخلنا عليه قال يغفر الله لك أبا حمزة عجلت باللائمة واغضبت علينا اميرالمؤمنين . ثم أخذ بيده فاجلسه معه علي السرير . فقال أنس انك كنت تزعم انا الاشرار والله سمانا الانصار . وقلت انا من أبخل الناس والله يقول فينا « و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وزعمت انا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » فكان

المخرج والمشتكى فى ذلك الى الله والى أمير المؤمنين . فتولى من ذلك ماولاه الله وعرف من حقنا ماجهلت وحفظ منا ماضيعت وسيحكم فى ذلك رب هو أرضى للمرضى وأسخط للمسخط وأقدر على الغير فى يوم لا يشوب الحق عنده الباطل ولا النور الظلمة ولا الهدى الضلالة . والله لولا أن اليهود أو النصاري رأت من خدم موسى بن عمران أو عيسى ابن مريم يوما واحدا الرأت له مالم تروا الى فى خدمة رسول الله صلي الله عليه وسلم عشر سنين . قال فاعتذر اليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره وترضى عنه . وكتب برضاه وقبوله عذره ولم يزل الحجاج له معظما هائبا له حتى هلك رضى الله عنه . وكتب الحجاج : الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه وسهل حظه وأحاطه ولا اعدمناه فان اسمعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين أعزالله نصره قدم على بكتاب أمير المؤمنين اطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداءه يذكر شتيمتي وتوبيخى بآبائي وتعييرى بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه واحسانه اليه ويذكرنى أمير المؤمنين جعلنى الله فداه استطالة منى على أنس بن مالك خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم جراءة على امير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله عمدو الى غير محبته و نزل عند سخطته وامير المؤمنين اصلحه الله فى قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الهدى وخاتم الانبياء احق من أقال عثرتى وعفا عن ذنبى فامهلنى ولم يعجلنى عند هفوتى للذي جبل عليه من كريم طبائعه وماقلده الله من امور عباده فرأي امير المؤمنين اصلحه الله فى تسكين روعتي وافراج كربتي فقد ملئت رعبا وفرقا من سطوته وفجاءة نقمته وامير المؤمنين اقاله الله العثرات وتجاوز له السيآت وضاعف له الحسنات واعلى له الدرجات احق من صفح وعفا وتعمل وابقى ولم يشمت فى عدوا مكبا ولا حسودا مصبا ولم يجرعنى غصصا والذى وصف امير المؤمنين من صنيعته الى وتنويهه لى بما اسند الى من عمله واوطانى من رقاب رعيته فصادق فيه مجزى بالشكر عليه والتوسل منى اليه بالولاية والتقرب له بالكفاية وقد عاين اسمعيل بن ابى المهاجر رسول امير المؤمنين وحامل كتابه نزولى عند مسرة انس بن مالك وخضوعى عند كتاب امير المؤمنين واقلاقه اياى ودخوله بالمصيبة على ماسيعلمه امير المؤمنين ويشهد اليه فان راى امير المؤمنين طوقنى الله بشكره وأعاننى على تادية حقه وبلغني الى مافيه موافقة مرضاته ومدّ لى فى اجله ان يامرلى بكتاب من رضاه وسلامة صدره مايؤمننى به من سفك دمي ويرد ما شرد من نومى

ويطمئن به قلبي فقد ورد على أمر جليل خطبه عظيم أمره شديد على كربه أسأل الله أن لا يسخط أمير المؤمنين وان يثبته فى حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنائعه ما يحمد به حسن رأيه وبعد همته انه ولى أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له فى أمره والسلام . فحدث اسمعيل انه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قال يا كاتب افرخ روع أبي محمد . فكتب اليه بالرضا عنه . كان سليمان بن عبد الملك : يكتب الى الحجاج فى أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتبا فلا ينظر له فيها . فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل الطاعة من عباد الله . أما بعد فانك امرؤ مهتوك عنه حجاب الحق مولع بما عليك لا لك منصرف عن منافعك تارك لحظك مستخف بحق الله وحق أوليائه لا ما سلف اليك من خير يعطفك ولا ما عليك لا لك تصرفه فى مهمة من أمرك معموه معصوص عن الحق اعصيصار الا تسكت عن قبيح ولا ترعوى عن اساءة ولا ترجو لله وقارا حتى دعيت فاحشا سبابا فقس شبرك بفترك واخرز زمام نعل بحذو مثله قائم وايم الله لئن أمكنني الله منك لادوسنك دوسة تلين منها فرائصك ولاجعلنك شريدا فى الجبال تلوذ باطراف الشمال ولاعلقن الرومية الحمراء بثدييها علم الله ذلك مني وقضى لى به على فقد ماغرتك العافية وانتحيت أعراض الرجال فانك قدرت فبذخت وظفرت فتعديت فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك ان كانت بي وبك مدة تعلق بها وان تكن الاخرى فارجو ان تؤل الى مذلة ذليلة وخزية طويلة ويجعل مصيرك فى الآخرة شر مصير والسلام . فكتب اليه الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى سليمان بن عبد الملك سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانك كتبت الى تذكر انى امرؤ مهتوك عنى حجاب الحق مولع بما على لا لى منصرف عن منافعي تارك لحظي مستخف بحق الله وحق ولى الحق وتذكر انك ذو مصاولة ولعمرى انك لصبي حديث السن تعذر بقلة عقلك وحداثة سنك ويرقب فيك غيرك فاما كتابك الى فلعمري لقد ضعف فيه عقلك واستخف به حلمك فلله أبوك أفلا انتصرت بقضاء الله دون قضائك ورجاء الله دون رجائك وأمت غيظك وأمنت عدوك وسترت عنه تدبيرك ولم تنبهه فيلتمس من مكايدتك ما تلتمس من مكايدته ولكنك لم تشف بالامور علما ولم ترزق من أمرك حزما جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان على أسوأ أمرك فكان الجفاء من خليقتك والحمق من طبيعتك

واقبل الشيطان بك وأدبر وحدثك انك لن تكون كاملا حتى تتعاطي ما يعيبك فتحذلقت حنجرتك لقوله واتسع جوانبها لكذبه . وأما قولك لوملكك الله لعلقت زينب ابنة يوسف بثديها فارجو أن يكرمها الله بهوانك وان لا يوفق ذلك لك ان كان ذلك من رأيك مع أني أعرف انك كتبت الى والشيطان بين كتفيك فشر محمل عليك على شر كانب راض بالخسف فاحرى بالحمق ان لا يدلك على هدي ولا يردك الا الى ردي وتحلب فوك للخلافة فانت شامخ البصر طامح النظر تظن أنك حين تملكها لا تنقطع عنك مدتها انها لقطة الله أسال الله ان يلهمك فيها الشكر مع أني أرجوان ترغب فيما رغب فيه أبوك وأخوك فاكون لك مثلي لهما وان نفخ الشيطان فى منخريك فهو أمر أراد الله نزعه عنك واخراجه الى من هو أكمل به منك ولعمرى انها النصيحة فان تقبلها فمثلها قبل وان تردها على اقتطعتها دونك وأنا الحجاج . قدم الحجاج : على الوليد بن عبد الملك فدخل عليه وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت اليه أم البنين بنت عبد الملك بن مروان من هذا الاعرابى المستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غلالة . فبعث اليها هذا الحجاج بن يوسف فاعادت الرسول اليه تقول والله لان يخلو بك ملك الموت أحب الى ان يخلو بك الحجاج فاخبره الوليد بذلك وهو يمازحه . فقال ياأمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك . فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج . فقالت يا أمير المؤمنين حاجتي أن تامره غدا يأتيني مسلما ففعل ذلك فاتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما . ثم قالت له ايه ياحجاج انت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا ان الله علم انك من شرار خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد فى الاسلام . واما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ اوطاره منهن فان كن ينفرجن عن مثلك فما احقه بالاخذ عنك وان كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك اما والله لقد نفض نساء أمير المؤمنين الطيب عن غدائرهن بعثك فى اعطية اهل الشام حتى كنت فى اضيق من القرق قد اظلتك رماحهم واثخنتك كفاحهم وحتى كان امير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم . فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين الا بحبهم اياه ولله در القائل اذ نظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك :

أسد علي وفي الحروب نعامة * ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة جمعه بعساكر * تركت كتائبه كأمس الدابر

ثم قالت : اخرج فخرج مذموما مدحورا . كان عروة بن الزبير عاملا على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصل به الحجاج مجمع على مطالبته بالاموال التي بيده وعزله عن عمله . ففر الى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج واستدفاعا لضرره وشره . فلما بلغ ذلك الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان : أما بعد فان لوذان المعترضين بك ، وحلول الجانحين الى المكث بساحتك واستلانتهم دمث أخلاقك ، وسعة عفوك . كالعارض المبرق لاعدائه ، لا يعدم له شائما رجاء استمالة عفوك واذا لاذ أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على اضاعة الحقوق ، مع كل ضال . والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد استباقا منهم على اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين ان رأى ذلك والسلام : فلما قرأ الكتاب . بعث الى عروة ثم قال له ان كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبي الا اشخاصك اليه . ثم قال لرسول الحجاج شأنك به . فالتفت اليه عروة مقبلا عليه وقال . أما والله ماذل وخزي من مات ، ولكن ذل وخزي من ملكتموه والله لئن كان الملك بجواز الامر ، ونفاذ النهي ان الحجاج لسلطان عليك ينفذ أموره دون أمورك انك لتريد الامر يزينك عاجله ، ويبقى لك أكرومة آجله ، فيجذبك عنه ، ويلقاه دونك . ليتولى من ذلك الحكم فيه فيحظى بشرف عفو ان كان أو بجرم عقوبة ان كانت وما حاربك من حاربك الا على أمر هذا بعضه . قال فنظر في كتاب الحجاج مرة ورفع بصره الى عروة تارة : ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب اليه . أما بعد فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا في السياسة خبط عشواء الليل . فان رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا هو الذي أخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك ، واذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان أوشك وثوبا عليك عند الفرصة . ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعي ، ولا هداه . اذا رجوا بذلك ادراك الثار منك . وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ أحمي أنوفا ، وأقرب من عمياء الجاهلية . وكانوا عليهم أصلح منهم عليك . وللشدة واللين أهلون والافراط في العفو أفضل من الافراط في العقوبة والسلام . زكريا بن عيسى عن ابن شهاب . قال : خرجنا مع الحجاج حجاجا . فلما انتهينا الى البيداء وافينا ليلة

الهلال هلال ذى الحجة . فقال لنا الحجاج : تبصرون الهلال فاما أنا ففى بصرى غبرة . فقال له نوفل بن مساحق : أوتدري لم ذلك اصلح الله الامير . قال : لا أدرى . قال لكثرة نظرك فى الدفاتر . الاصمعي قال : عرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب . ووجد فيهم اعرابي أخذ يبول فى أصل مدينة واسط فكان فيمن اطلق فانشأ الاعرابى يقول :

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وبلنا لانخاف عقابا

أبو داود المصحفى عن النضر بن شميل قال : سمعت هشاما يقول : احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة ألف وعشرين ألفا : وخطب الحجاج أهل العراق فقال : يا أهل العراق بلغني أنكم تروون عن نبيكم انه قال : من ملك على عشرة رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يدا الى عنقه ، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور . وأيم الله إنى لاحب الى ان احشر مع أبى بكر وعمر مغلولا من ان أحشر معكم مطلقا . ومرض الحجاج ففرح أهل العراق . وقالوا : مات الحجاج مات الحجاج . فلما أفاق صعد المنبر وخطب الناس . فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، مرضت فقلتم مات الحجاج . أما والله لاحب الى أن أموت من أن لا أموت وهل أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رأيت الله رضى بالخلود فى الدنيا لاحد من خلقه الا لابغض خلقه اليه وأهو نهم عليه ابليس . ولقد رأيت العبد الصالح يسأل ربه . فقال : « رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى » . ففعل ثم اضمحل ذلك فكأنه لم يكن . وأراد الحجاج أن يحج فاستخلف محمدا ولده على أهل العراق . ثم خطب فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق إنى أردت الحج وقد استخلفت عليكم محمدا ولدي . وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فانه أوصى فيهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم . وأنى أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ، وان لا يتجاوز عن مسيئكم . الا وانكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من اظهارها الا الخوف . لا أحسن الله له الصحابة ، وأنا أعجل لكم الجواب : فلا احسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج ، فلما كان بالعشي أتاه بريد من اليمن بوفاة محمد أخيه ففرح أهل العراق . وقالوا : انقطع ظهر الحجاج وهيض جناحه . فخرج فصعد المنبر ثم خطب الناس فقال : أيها الناس محمدان فى يوم واحد أما والله ما كنت أحب أنهما معى فى الحياة الدنيا لما أرجو من ثواب الله لهما فى الآخرة . وأيم الله ليوشكن الباقي

مني ومنكم أن يفني ، والجديدان يبلى ، والحى مني ومنكم ان يموت ، وان تدال الارض منا كما أدلنا منها فتأكل من لحومنا و تشرب من دمائنا . كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها . ثم نكون كما قال الله تعالى : « ونفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون » ثم تمثل بهذين البيتين :

عزائي نبي الله من كل ميت * وحسبي ثواب الله من كل هالك
اذا ما لقيت الله عني راضيا * فان سرور النفس فيما هنالك

ثم نزل واذن للناس فدخلوا عليه يعزونه . ودخل فيهم الفرزدق . فلما نظر اليه قال يافرزدق أما رثيت محمدا ومحمدا . قال : نعم أيها الامير وأنشد :

لئن جزع الحجاج مامن مصيبة * تكون لمحزون امض وأوجعا
من المصطفى والمنتقى من نقاية * جناحاه لما فارقاه وودعا
جناحا عتيق فارقاه كلاهما * ولو نزعا من غيره لتضعضعا
ولو ان يومى جمعتيه تتابعا * على شامخ صعب الذرى لتصدعا
سميا رسول الله سماها به * اذا لم يكن عند الحوادث اخضعا

قال أحسنت و أمر له بصلة . فخرج وهو يقول : لوكلفني الحجاج بيتا سادسا لضرب عنقي قبل أن آتيه به وذلك انه دخل ولم يهيئ شيا .

٣ — قولهم فى الحجاج — الرياشي عن العتبي عن ابيه . قال : مارأيت مثل الحجاج كان زيه زي شاطر ، وكلامه كلام خارجي ، وصولته صولة جبار . فسألته عن زيه قال : كان يرجل شعره ويخضب اطرافه . كثير بن هشام عن جعفر ابن برقان : قال سالت ميمون بن مهران فقلت كيف ترى فى الصلاة خلف رجل يذكر انه خارجي فقال انك لاتصلي له انما تصلي لله . قدكنا نصلي خلف الحجاج وهو حروري ازرقي . قال فنظرت اليه فقال : أتدرى ما الحروري الازرقي هو الذي ان خالفت رأيه سماك كافرا واستحل دمك وكان الحجاج كذلك . أبو أمية عن أبي مسهر قال . حدثنا هشام بن يحيي عن أبيه قال حدثنا عمر بن عبدالعزيز لوجاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم . وحلف رجل بطلاق امرأته : ان الحجاج في النار فاتى امرأته فمنعته نفسها . فسأل الحسن بن ابى الحسن

البصري . فقال : لا عليك يا ابن أخي فانه ان لم يكن الحجاج في النار ، فما يضرك ان تكون مع امرأتك على زنا . أبو أمية عن اسحق بن هشام عن عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن علي بن زيد . قال : لما مات الحجاج أتيت الحسن فاخبرته فخر ساجدا . علي بن عبد العزيز عن اسحق عن جرير بن منصور . قال : قلت لابراهيم ما ترى في لعن الحجاج . قال : ألم تسمع لقول الله تعالى « ألا لعنة الله على الظالمين » فاشهد ان الحجاج كان منهم . وكيع عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله . قال : دخلت على الحجاج فما سلمت عليه . وكيع عن سفيان قال قال يزيد الرقاشي عن الحسن : اني لارجو للحجاج : قال الحسن : اني لارجو ان يخالف الله رجاءك . ميمون بن مهران قال : كان أنس وابن سيرين لا يبيعان ولا يشتريان بهذه الدراهم الحجاجية : قال عبد الملك بن مروان للحجاج : ليس من احد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لي عيوبك . قال : اعفني يا أمير المؤمنين . قال لابد ان تقول . قال : انا لجوج حسود حقود . قال : ما في ابليس شر من هذا . أبو بكر بن أبي شيبة قال قيل لعبد الله بن عمر : هذا الحجاج قد ولي الحرمين . قال ان كان خيرا شكرنا ، وان كان شرا صبرنا . ابن أبي شيبة قال : قيل للحسن . ما تقول في قتال الحجاج . قال : ان الحجاج عقوبة من الله فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف . ابن أبي فضيل قال . حدثنا أبو نعيم قال أمر الحجاج بماهان ان يصلب على بابه فرأيته حين رفعت خشبته يسبح ويهلل ويكبر ويعقد بيده حتى بلغ تسعة وتسعين وطعنه رجل على تلك الحال فلقد رأيتها بعد شهر في يده . قال : وكنا نرى عند خشبته بالليل شبيها بالسراج . أبو داود المصحفي عن النضر بن شميل . قال سمعت هشاما يقول احصوا من قتل الحجاج صبرا فوجدوهم مائة وعشرين ألفا

٤ — من زعم ان الحجاج كان كافرا — ميمون بن مهران عن الاجلح . قال قلت للشعبي : يزعم الناس ان الحجاج مؤمن قال مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله . علي بن عبد العزيز عن اسحق بن يحيي عن الاعمش . قال . اختلفوا في الحجاج فقالوا بمن ترضون . قالوا بمجاهد فاتوه فقالوا انا قد اختلفنا في الحجاج فقال اجئتم تسالوني عن الشيخ الكافر . محمد بن كثير عن الاوزاعي . قال سمعت القاسم بن محمد يقول . كان الحجاج بن يوسف ينقض عرى الاسلام عروة عروة . عطاء بن السائب . قال : كنت جالسا مع أبي البختري والحجاج يخطب : فقال في خطبته . « ان مثل عثمان عند الله كمثل عيسي ابن مريم قال الله فيه

انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » . فقال أبو البختري : كفر ورب الكعبة . ومما كفرت به العلماء الحجاج . قوله : ورأى الناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره انما يطوفون باعواد ورمة . الشيباني عن الهيثم عن ابن عباس . قال كنا عند عبد الملك بن مروان : اذ اتاه كتاب الحجاج يعظم فيه أمر الخلافة و يزعم أن ما قامت السموات والارض الا بها وان الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين . وذلك ان الله خلق آدم بيده واسجد له الملائكة واسكنه جنته ثم اهبطه الي الارض وجعله خليفته وجعل الملائكة رسلا اليه . فاعجب عبد الملك بذلك . وقال : لوددت ان عندى بعض الخوارج فاخاصمه بهذا الكتاب . فانصرف عبد الله بن يزيد الى منزله . فجلس مع ضيفانه وحدثهم الحديث . فقال له حوار ابن زيد الضبي وكان هاربا من الحجاج توثق لى منه . ثم اعلمني به فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان . فقال : هو آمن على كل ما يخاف فانصرف عبد الله الى حوار فاخبره بذلك . فقال بالغداة ان شاء الله . فلما أصبح اغتسل ولبس ثوبين ثم تحنط وحضر باب عبد الملك . فقال هذا الرجل بالباب فقال ادخله ياغلام فدخل رجل عليه ثياب بيض يوجد عليه ريح الحنوط . ثم قال : السلام عليكم ثم جلس فقال عبد الملك ائت بكتاب أبى محمد ياغلام فاتاه به فقال . اقرأ فقرأ حتى أتى على آخره . فقال حوار أراه قد جعلك فى موضع ملكا وفى موضع نبيا وفى موضع خليفة . فان كنت ملكا فمن أنزلك . وان كنت نبيا فمن أرسلك . وان كنت خليفة فمن استخلفك عن مشورة من المسلمين أم ابتززت الناس امورهم بالسيف . فقال عبد الملك قد أمناك ولا سبيل اليك والله لا تجاورنى فى بلد أبدا فارحل حيث شئت . قال فانى قد اخترت مصر فلم يزل بها حتي مات عبد الملك . على بن عبد العزيز عن اسحق بن اسمعيل الطائي . قال حدثنا جرير عن مغيرة عن الربيع قال . قال الحجاج فى كلام له : ويحكم اخليفة أحدكم فى أهله أكرم عليه أم رسوله اليهم . قال ففهمت ما أراد . فقلت : لله على ان لا أصلى خلفك صلاة أبدا وائن وجدت قوما يقاتلونك لقاتلتك معهم فقاتل فى الجماجم حتي قتل . قيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق . قال : خير منزل لو أدركت بها أربعا لتقربت الى الله بدمائهم . قيل : ومن هم . قال مقاتل بن مسلم ولى سجستان فاتاه الناس فاعطاهم الاموال . فلما قدم البصرة بسط الناس له أرديتهم فقال « لمثل هذا فليعمل العاملون » . وعبيد الله

بن ظبيان قام فخطب خطبة أوجز فيها فنادى الناس من أعراض المسجد : أكثر الله فينا أمثالك قال : لقد سألتم الله شططا . وسعيد بن زرارة كان ذات يوم جالسا على الطريق فمرت به امرأة فقالت ياعبد الله أين الطريق الى مكان كذا فغضب وقال المثلي يقال له ياعبد الله . وأبو سماك الحنفي اضل ناقته . فقال لئن لم يردها على لاصليت أبدا . فلما وجدها قال علم ان يميني كانت برة . قال ناقل الحديث : ونسي الحجاج نفسه وهو خامس الاربعة بل هو أفسقهم وأطغاهم وأعظمهم الحادا وأكفرهم فى كتابه الى عبد الملك بن مروان ان خليفة الله فى أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم . وكتابه اليه وبلغه انه عطس يوما فحمد الله وشمته أصحابه فرد عليهم ودعا لهم . فكتب اليه : بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين ومن تشميت أصحابه له ورده عليهم فياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما . وكان عبد الملك كتب الى الحجاج فى اسرى الجماجم : ان يعرضهم علي السيف . فمن أقر منهم بالكفر بخروجه علينا فخل سبيله ، ومن زعم انه مؤمن فاضرب عنقه ففعل . فلما عرضهم أتي بشيخ وشاب فقال للشاب أمؤمن أنت أم كافر قال بل كافر فقال الحجاج لكن الشيخ لا يرضي بالكفر فقال له الشيخ أعن نفسي تخادعني ياحجاج والله لو كان شيء أعظم من الكفر لرضيت به . فضحك الحجاج وخلي سبيلهما . ثم قدم اليه رجل فقال له على دين من أنت قال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . فقال اضربوا عنقه . ثم قدم آخر فقال له على دين من أنت قال على دين ابيك الشيخ يوسف . فقال : أما والله لقد كان صوما قواما خل عنه ياغلام . فلما خلى عنه انصرف اليه . فقال له ياحجاج سالت صاحبي على دين من أنت فقال على دين ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فامرت به فقتل وسالتني على دين من أنت فقلت على دين ابيك الشيخ يوسف فقلت أما والله لقد كان صواما قواما فامرت بتخلية سبيلى . والله لو لم يكن لابيك من السيآت الا أنه ولد مثلك لكفاه فامر به فقتل . ثم أتي بعمران بن عصام الغنوى . فقال : عمران قال نعم . قال ألم أوفدك على أمير المؤمنين ولا يوفد مثلك قال بلى . قال ألم أزوجك مارية بنت مسمع سيدة قومها ولم تكن لها أهلا قال بلى . قال فما حملك على الخروج علينا قال اخرجني باذان . قال فاين كنت من حجة أهلك قال اخرجني باذان . فامر رجلا فكشف العمامة عن رأسه فاذا هو محلوق قال ومحلوق أيضا الا قالني الله ان لم أقتلك فامر به فضرب عنقه . فسال عبد الملك بعد ذلك عن عمران بن عصام فقيل له قتله الحجاج فقال ولم قال بخروجه مع ابن الاشعث . قال ما كان ينبغي له أن يقتله بعد قوله :

وبعثت من ولد الأبر معتب * صقرا يلوذ حمامه بالعوسج

فإذا طبخت بناره أنضجتها * وإذا طبخت بغيرها لم تنضج

وهو الهزبر إذا أراد فريسة * لم ينجها منه صريخ الهجهج

ثم أتي بعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشخير وسعيد بن جبير . وكان الشعبي ومطرف يريان التورية . وكان سعيد بن جبير لا يرى ذلك . فلما قدم له الشعبي قال أكافر أنت أم مؤمن . قال : أصلح الله الامير نبا بنا المنزل ، واجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال الحجاج : صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ، ولا قووا خلوا عنه . ثم قدم اليه مطرف بن عبد الله فقال له أكافر أنت أم مؤمن . قال : أصلح الله الامير ان من شق العصا ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين . لجدير بالكفر . فقال صدق خلوا عنه . ثم أتي بسعيد بن جبير . فقال له أنت سعيد بن جبير . قال : نعم قال لا بل شقي ابن كسير قال امي اعلم باسمي منك . قال : شقيت وشقيت أمك . قال الشقاء لاهل النار . قال أكافر أنت أم مؤمن . قال ما كفرت بالله منذ آمنت به . قال اضربوا عنقه

٥ — موت الحجاج — مات الحجاج في آخر أيام الوليد بن عبد الملك . فتفجع عليه وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فاكتفى وجاوز . فقال الوليد : مات الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبي مسلم فكنت كمن سقط منه درهم وأصاب ديناراً . وكان الوليد بن عبد الملك يقول ان عبد الملك كان يقول الحجاج جلدة ما بين عيني . وأنفي وأنا أقول : انه جلدة وجهي كله . لما بلغ عمر بن عبد العزيز موت الحجاج خر ساجداً . وكان يدعو الله ان يكون موته على فراشه ليكون أشد لعذابه في الآخرة . أبو بكر ابن عياش قال : سمع صياح الحجاج في قبره فاتوا الى يزيد بن أبي مسلم فاخبروه . فركب في اهل الشام فوقف على قبره فسمع فقال يرحمك الله يا أبا محمد فما تدع القراءة حتى ميتا . الرياشي عن الاصمعي . قال : اقبل رجل الى يزيد بن أبي مسلم . فقال له : اني كنت أرى الحجاج في المنام فكنت أقول له ما فعل الله بك . قال قتلني بكل قتيل قتلته قتلة وأنا منتظر ما ينتظره الموحدون . ثم قال رأيته بعد الحول فقلت ما صنع الله بك . فقال : يا عاض بظر امه أما سألتني عن هذا عام أول فاخبرتك . فقال يزيد

ابن أبي مسلم اشهدانك رأيت أبا محمد حقا . وقال الفرزدق يرثى الحجاج ليرضي بذلك الوليد ابن عبدالملك :

ليبك على الاسلام من كان باكيا * على الدين من متوحش الليل خائف
وأرملة لما أتاها نعيه * فجادت له بالواكفات الذوارف
وقالت لعبديها انيخا فعجلا * فقد مات راعي ذودنا بالتنائف
فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن أو يجتثن فوق السقائف
فما ذرفت عيناى بعد محمد * على مثله الا نفوس الخلائف

قال ابن عباس فلقيت الفرزدق في الكوفة . فقلت له أخبرني عن قولك * فليت الاكف الدافنات ابن يوسف * يقطعن ما معناك في ذلك . قال وددت والله ان أرجلهم تقطع مع أيديهم . قال ابن عباس فلما هلك الوليد واستخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وأمره بقتل آل ابي عقيل فقتلهم . فانشا الفرزدق يقول :

لئن نفر الحجاج آل معتب * لقوا دولة كان العدو يريلها
لقد أصبح الاحياء منهم أذلة * وموتاهم في النار كلحا سبالها
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم * فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكنا اذا قلنا اتق الله شمرت * به عزة لا يستطاع جدالها
الكني الى من كان بالصين اذرمت * بالهند ألواحا عليها جلالها
هلم الى الاسلام والعدل عندنا * فقد مات من أرض العراق جبالها
ألا تشكرون الله اذفك عنكم * اذاهم بالمهدي صما قفالها
وشيمت به عنكم سيوف عليكم * صباح مساء بالعذاب استلالها
واذأ نتم من لم يقل هو كافر * تردى نهارا عثرة لا يقالها

قال ابن عباس . فقلت للفرزدق : ما أدرى باى قوليك ناخذ ، ابمدحك في الحجاج حياته ، أم هجوك له بعد موته . قال : انما نكون مع أحدهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه تخلينا عنه . ولما مات الحجاج دخل الناس على الوليد يعزونه ويثنون على الحجاج خيرا وعنده عمر بن عبد العزيز : فالتفت اليه ليقول فيه ما يقول الناس . فقال يا أمير المؤمنين فهل كان الحجاج الا رجلا منا فرضيهامنه:

٦ — أخبار البرامكة — قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ حدثني سهل بن هرون قال : والله ان كانوا سجعوا الخطب ، وهزجوا القريض لعيال على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى . ولو كان كلام يتصور درا ، أو يحيله المنطق السرى جواهرا ، لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد وبديهته وتوقيعاته فى كتبه فدمين عيين ، وجاهلين أميين . ولقد عمرت معهم وأدركت طبقة المتكلمين فى أيامهم وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم ، وانهم محض الايام ، ولباب الكرام ، وملح الانام ، عتق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق : وسهولة لفظ ، ونزاهة أنفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم ، والمأثور من خصالهم ، كثير أيام سواهم من لدن آدم أبيهم الى النفخ فى الصور ، وانبعاث اهل القبور ، حاشى أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم ، ولا عولت الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم اعراقهم : وسعة آفاقهم ، ورونق سياقهم ، ومعسول مذاقهم : وبهاء اشرافهم ، ونقاوة أعراضهم ، وتهذيب أغراضهم ، واكتمال الخير فيهم ، فى جنب محاسن المأمون كالنقطة فى البحر ، والخردلة فى المهمه القفر . قال سهل بن هرون : انى لاحصل أرزاق العامة بين يدى يحيى بن خالد فى بناء خلا به داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقدها جملا بكفه اذ غشيته سآمة فاخذته سنة فغلبته عيناه . فقال : ويحك ياسهل طرق النوم شفرى وأكلت السنة خواطرى . فماذلك قلت ضيف كريم ، ان قريته روحك ، وان منعته عنتك ، وان طردته طلبك ، وان أقصيته أدركك وان غالبته غلبك . قال : فنام أقل من فواق بكية أو نزع ركية . ثم انتبه مذعورا . فقال ياسهل لامر ما كان والله لقد ذهب ملكنا وولى عزنا وانقضت أيام دولتنا . قلت وماذاك أصلح الله الوزير قال كأن منشدا أنشدنى :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاجبته من غير روية ولا اجالة فكرة :

بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

قال فوالله مازلت أعرفها منه وأراها ظاهرة فيه الى الثالث من يومه ذلك فانى لفى مقعدى بين يديه أكتب توقيعات فى أسافل كتبه لطلاب الحاجات اليه . قد كلفنى اكمال معانيها

باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا سعى اليه حتى ارتمى مكبا عليه . فرفع رأسه . فقال مهلا ويحك ما أكتنم خيرو لا استترشر . قال قتل أمير المؤمنين جعفرا الساعة قال أو قد فعل . قال نعم قال فما زاد على ان رمي القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل بن هرون : فلوانكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم وضم يحي بن خالدو بقية ولده الفضل ومحمد وخالد بنيه . وعبد الملك . و يحي وخالدا ابني جعفر ابن يحي . والعاصي ومزيدا وخالدا ومعمرا بني الفضل بن يحي . و يحي وجعفرا وزيدا بني محمد بن يحي . وابراهيم ومالكا وجعفرا وعمرو ومعمرا بني خالد بن يحيى . ومن لف لفهم أوهكس بصدره أمل فيهم . و بعث الى الرشيد فوالله لقد أعجلت عن النظر فلبست ثياب أحزاني وأعظم رغبتي الى الله الا راحة بالسيف والا نعيت في نعي جعفر . فلما دخلت عليه عرف الذعر في تحريض ربقي وشخوصي الى السيف المشهور ببصري . فقال: ايها ياسهل من غمط نعمتي واعتدى وصيتي وجانب موافقتي أعجلته عقوبتي . قال : فوالله ما وجدت جوابها حتي قال يفرخ روعك و يسكن جاشك وتطيب نفسك وتطمئن حواسك فان الحاجة اليك قربت منك وأبقت عليك بما يبسط منقبضك و يطلق معقولك فاقتصر على الاشارة دون اللسان فانه الحاكم الفاضل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر . فقال :

من لم يؤدبه الجميل   *   ل ففي عقوبته صلاحه

قال سهل والله ما علم أني عييت بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت في الشكر الاعلى تقبيل باطن رجليه . ثم قال اذهب فقد احتللتك محل يحيى ووهبتك ما ضمنته ابنيته وما حواه سرادقه فاقبض الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله . قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن وأخرج من حبس وأحصيت جباءهما فوجدته عشرين ألف ألف دينار . ثم قفلت راجعا الى بغداد وفرق البرد الى الامصار بقبض أموالهم وغلاتهم وأمر بجيفة جعفر وجثته ففصلت على ثلاثة جذوع رأسه في جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط و بعض جسده على جذع بالجزيرة وسائره في جذع على آخر الجسر الثاني مما يلي باب بغداد فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر واستقبلنا وجهه واستقبلناه الشمس فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه فانا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل الحاجب عن يساره . فلما نظر اليه

الرشيد وكانما قني شعره وطلى بنور بشره اربد وجهه واغضي بصره . فقال عبد الملك ابن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو أمير المؤمنين . وقال الرشيد من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ومن أرادفهم ذنبه يوشك أن يقوم على مثل راحلته على بالضاحات فنضح عليها حتي احترقت عن آخرها وهو يقول لئن ذهب أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل بن هرون : وأمر بضم أموالهم فوجد من العشرين ألف ألف التي كانت مبلغ جبايتهم اثني عشر ألف ألف مكتوب على بدرها صكوك مختومة تفسيرها رقما حبوا بها . فما كان منها حباء على غريبة أو استطراف ملحة تصدق به يحيي وأثبت ذلك في ديوانها على تواريخ أيامها . فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر أموالهم ثلاثين ألف ألف وستمائة ألف وستة وسبعين ألفا الى سائر ضياعهم وغلانهم ودورهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يوصف أقله ولا يعرف أيسره الا من أحصى الاعمال وعرف منتهي الآجال وابرزت حرمه الى دار الباقونة ابنة المهدى . فوالله ما علمته عاش ولا عيش الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لا يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت أم جعفر بن يحيي وهي فاطمة ابنة محمد بن الحسين بن قحطبة رضعت الرشيد مع جعفر لانه كان ربي في حجرها وغذى برسلها لان أمه ماتت عن مهده . فكان الرشيد يشاورها مظهر الاكرامها والتبرك برأيها وكان آلى وهو في كفالتها ان لا يحجبها ولا استشفعته لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر ان لا دخلت عليه الا مأذونا لها ولا شفعت لاحد لغرض دنيا . قال سهل فكم أسير فكت ومبهم عنده فتحت ومستغلق منه فرجت . واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار الباقونة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها . فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية في مشيها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال ظئر أمير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شماتة الحاسد الى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد ويحك يا عبد الملك أو ساعية . قال نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال ادخلها يا عبد الملك فرب كبد غذتها وكربة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فما شككت يومئذ في النجاة بطلابها واسعافها بحاجتها فدخلت فلما نظر الرشيد اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس واكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها . ثم اجلسها معه . فقالت يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفا لك الاعوان ويحردك بنا البهتان وقد ربيتك في حجرى وأخذت برضاعك

الامان من عـدوي ودهري . فقال لهـا وماذلك ياأم الرشيـد قال سهـل فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخراما كان اطمعني من بره بها أولا قالت ظنك بي وابوك بعدابيك ولاأصفه باكثر مماعرفه به أمير المؤمنين من نصيحته واشفاقه عليه وتعرضه للحتف فى شان موسى أخيه . قال لها ياأم الرشيد أمر سبق وقضاء حم وغضب من الله نفذ . قالت ياأمير المؤمنين يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . قال صدقت فهذا مالم يمحه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك ياأمير المؤمنين . قال سهل بن هرون فاطرق الرشيد مليا ثم قال :

واذا المنية أنشبت اظفـارها ❊ الفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ماأنا ليحيي بتميمة ياأمير المؤمنين . وقد قال الاول :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ❊ ذخرا يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاطرق هرون مليا . ثم قال ياأم الرشيد اقول :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ❊ اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت ياأمير المؤمنين وأقول :

ستقطـع في الدنيـا اذا ماقطعتني ❊ يمينـك فانظر أي كف تبدل

قال هرون رضيت قالت فهبه لى ياأمير المؤمنين . فقد قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيالله لم يوجده الله فقده فاكب هرون مليا . ثم رفع رأسه يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت ياأمير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . واذكر ياأمير المؤمنين اليتك مااستشفعت الاشفعتني . قال واذكرى ياأم الرشيد اليتك أن لاشفعت لمقترف ذنبا . قال سهل بن هرون . فلما رأته صرح بمنعها ولاذ عن مطلبها أخرجت حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه . فقال الرشيد ماهـذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فاخرجت منه خفضه وذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك فى المسك . فقالت ياأمير المؤمنين أستشفع اليك وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك فاخذ هرون ذلك فلثمه . ثم استعبر وبكي بكاء شديدا وبكى أهل المجلس ومر البشير الى يحيي وهو لايظن الاان البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق رمى جميع ذلك فى الحق وقال لها لحسن ما حفظت الوديعة . قالت وأهل للمكافاة أنت ياأمير المؤمنين فسكت وقفل الحق ودفعه اليها . وقال ان الله

يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها . قالت والله يقول واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ويقول وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم . ثم قال وماذلك يا أم الرشيد قالت وما أقسمت لى به ان لا تحجبنى ولا تمهننى . قال أحب يا أم الرشيد ان تشتريه محكمة فيه . قالت انصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال بكم قالت برضاك عمن لم يسخطك . قال يا أم الرشيد امالى عليك من الحق مثل الذى لهم . قالت بلي يا أمير المؤمنين أنت أعز على وهم احب الى قال فتحكمي فى تمنية بغيرهم . قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه وبقى مبهوتا ما يحير لفظة . قال سهل وخرجت فلم تعد ولا والله ما رأيت لها عبرة ولا سمعت لها انة . قال سهل وكان الامين محمد بن زبيدة رضيع يحيي بن جعفر فمت اليه يحيي بن خالد بذلك . فوعده استيهاب أمه اياه وتكلمها فيهم . ثم شغله اللهو عنهم فكتب اليه يحيي ويقال انها اسامان الاعمي أخي مسلم بن الوليد . وكان منقطعا الى البرامكة يقول :

يا ملاذي وعصمتي وعمادى * ومجيرى من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء في كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد
انما أنت نعمة اعقبتها * نعم نفعها لكل العباد
وعدمولاك اتمنه فابهي الدار * مازين حسنه بالعقاد
ما أظلت سحائب الياس الا * كان في كشفها عليك اعتمادي
ان تراخت يداك عنى فراقا * اكلتني الايام اكل الجراد

وبعث بها الى الامين محمد . فبعث بها الامين الى امه زبيدة فاعطتها هرون وهو فى موضع لذته وعند اقبال أريحيته وتهيات للاستشفاع لهم وهيات جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام معها اذا قامت . فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم تنقض حبوته حتى وقع فى أسفلها عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك ورمى بها الى زبيدة . فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه . وقال بعض الهاشميين : اخبرني اسحق بن على بن عبد الله بن العباس . قال كنت أساير الرشيد يوما والامين عن يمينه والمامون عن شماله فاستدناني وقدمهما امامه فسايرته فجعل يحدثني . ثم بدأ يشاورنى فى أمر البرامكة واخبرنى بما أضمر عليه لهم فانهم استوحشوه من انفسهم وانى عنده بالموضع الذي لا يكتمني شيا من أمرهم . فقلت يا أمير المؤمنين لا تنقلنى من السعة الى الضيق . فقال الرشيد الاان تقول فانى لا أتهمك فى نصيحة ولا أخافك على رأي ولا مشورة . فقلت يا أمير المؤمنين

اني أرى نفاستك عليهم بما صاروا اليـه من النعمة والسعة ولك ان تأمر وتنهى وهم عبيدك بانباتك اياهم . فهل يصنعون ذلك كله الا بك قال وكنت احطب في حبال البرامكة . فقال لي فضياعهم ليس لولدي مثلها وتطيب نفسي بذلك لهم . فقلت يا أمير المؤمنين ان الملك لا يحسد ولا يحقد ولا ينعم نعمة ثم يفسد نعمته . قال فرايته قد كره قولي وزوى وجهه عني . قال اسحق فعلمت انه سيوقع بهم . ثم انصرفت فكتمت الخبر فلم يسمع به أحد وتجنبت لقاء البرامكة خوفا ان يظن أني أفضي اليهم سره حتى قتلهم . وكان اشد ما كان اكرامالهم وكان قتلهم بعد ست سنين من تاريخ ذلك اليوم . وكان يحيي بن خالد بن برمك قد اعتل قبل النازلة التي نزلت بهم فبعث الى منكة الهندي . فقال ماذا ترى في هذه العلة . فقال منكة داء كبير دواؤه يسير والشكر أيسر وكان متفننا . فقال له يحيي ربما ثقل على السمع خطرة الحق به واذا كان ذلك كان الهجر له الزم من المفاوضة . قال منكة لكنني أري في الطالع أثرا والامر فيه قريب وانت قسيم في المعرفة وربما كانت صورة النجم عقيمة الانتاج لها ولكن الاخذ بالحزم أوفى حظ الطالبين . قال يحيي الامور منصرفة الى العواقب وما حتم فلا بد ان يقع والمنعة بمسالمة الايام نهزة فاقصد ما دعوتك له من هذا الامر الموجود بالمزاج . قال منكة هي الصفراء مازجتها مائية من البلغم فحدث لذلك ما يحدث من اللهب عند ممارسة رطوبة المادة من الاشتعال فخذ ماء الرمان فدق فيه هليلجة سوداء تنهضك مجلسا أو مجلسين ويسكن ذلك التوقد ان شاء الله . فلما كان من أمرهم ما كان تلطف منكة حتي دخل الحبس فوجد يحيى قاعدا على لبد والفضل بين يديه يخدم فاستعبر منكة باكيا . وقال كنت ناديت لو أسرعت الاجابة . قال له يحيى أتراك كنت علمت من ذلك شيا جهلته كلا ولكن كان الرجاء للسلامة بالبراءة من الذنب أغلب من الشفقة . وكان مزايلة القدر الخطير عنا أقل ما تنهض به الهمة . فقد كانت نعم أرجو ان يكون اولها شكرا ، وآخرها أجرا ، فما تقول في هذا الداء . قال منكة ما أري له دواء أنفع من الصبر ولو كان يفدى بملك أو بمفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك . قال يحيي قد شكرت ما ذكرت فان أمكنك تعاهدنا فافعل . قال منكة لو أمكنني تخليف الروح عندك ما بخلت به فانما كانت الايام تحسن بسلامتك . وكتب يحيي بن خالد : في الحبس الى هرون الرشيد لامير المؤمنين ، وخليفة المهديين ، وامام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، من عبد أسلمته ذنوبه ، وأوبقته عيوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه

صديقه ، ومال به الزمان ، ونزل به الحدثان ، فعالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهاد بعد الهجود ، ساعته شهر ، وليلته دهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعا لموجدتك ياأمير المؤمنين وأسفا على مافات من قربك لا على شيء من المواهب لان الاهل والمال انما كانا لك وبك وكانا في يدي عارية والعارية مردودة . وأما ماأصبت به من ولدي فبذنبه ولا أخشى عليك الخطا في أمره ولا أن تكون تجاوزت به فوق حده تفكر في أمري جعلني الله فداك وليمل هواك بالعفو عن ذنب ان كان فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وانما اعتذر اليك باقرار مايجب به الاقرار حتى ترضى فاذا رضيت رجوت ان شاء الله ان يتبين لك من أمري وبراءة ساحتي مالا يتعاظمك بعده ذنب ان تغفره مد الله لي في عمرك وجعل يومي قبل يومك وكتب اليه بهذه الابيات :

قل للخليفة ذي الصنيعـة والعطايا الفاشية * وابن الخلائف من قريـ
ش والملوك العاليه * ان البرامـكة الذين رموا لديك بداهيه
صفر الوجوه عليهم * خلع المذلة باديه * فكانهم مما بهم
أعجاز نخل خاويه * عمتهم لك سخطة * لم تبق منهم باقيه
بعد الامارة والوزا * رة والامور الساميه * ومنازل كانت لهم
فوق المنازل عاليه * أضحوا وجل مناهم * منك الرضا والعافية
يامن يود لي الردي * يكفيك مني ما بيه * يكفيك ماأبصرت من
ذلي وذل مكانيه * وبكاء فاطمة الكئيبة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع * ياسوأتي وشقائيه * من لي وقد غضب الزما
ن على جميع رجاليه * يالهف نفسي لهفها * ما للزمان وماليه
ياعطفة الملك الرضا * عودي علينا ثانيه

فلم يكن له جواب من الرشيد واعتل يحيي في الحبس . فلما أشفي دعا برقعة فكتب في عنوانها ينفذ أمير المؤمنين عهد مولاه يحيي بن خالد وفيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وأنت على الاثر والله حكم عدل وستقدم فتعلم . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدي توصله الى أمير المؤمنين فانه ولي نعمتي وأحق من نفذ وصيتي فلما مات يحيي أوصل

السجان عهده الى الرشيد . قال سهل بن هرون وأنا عند الرشيد اذ وصلت الرقعة اليه . فلما قرأها جعل يكتب فى أسفلها ولا أدري لمن الرقعة . فقلت له يا أمير المؤمنين . ألا أكفيك قال كلا انى أخاف عادة الراحة ان يتقوى سلطان العجز فيحكم بالغفلة و يقضى بالبلادة ووقع فيها الحكم الذي رضيت به فى الآخرة لك هو أعدى الخصوم عليك وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه قال ثم رمى بالصك الى . فلما رأيته علمت انه ليحيى . وان الرشيد أراد ان يؤثر الجواب عنه . وقال دعبل يرثي بني برمك :

ولما رأيت السيف جلل جعفرا * و نادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا و أيقنت انما * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

﴿ وقال سليمان الاعمى يرثى بنى برمك ﴾

هدأ الخالون عن شجوي و ناموا * وعيني لا يلايمها منام
وما سهرى باني مستهام * اذا سهر المحب المستهام
ولكن الحوادث أرقتنى * فبى أرق اذا هجع النيام
أصبت بسادة كانوا عيونا * بهم نسقى اذا انقطع الغمام
فقلت وفى الفؤاد ضريم نار * وللعبرات من عيني انسجام
على المعروف والدنيا جميعا * ودولة آل برمك السلام
جزعت عليك يا فضل بن يحيي * ومن يجزع عليك فلا يلام
هوت بك أنجم المعروف فينا * وعز بفقدك القوم اللئام
وما ظلم الاله أخاك لكن * قضاء كان سببه اجترام
عقاب خليفة الرحمن فخر * لمن بالسيف صبحه الحمام
عجبت لما دهاف فضل بن يحيي * وما عجبي وقد غضب الامام
جرى فى الليل طائرهم بنحس * وصبح جعفرا منه اصطلام
ولم أرقبل قتلك يا ابن يحيي * حساما قده السيف الحسام
برين الحادثات له سهاما * فغالته الحوادث والسهام
ليهن الحاسدين بان يحيى * أسيرا لا يضيم و يستضام
وان الفضل بعد رداء عز * غدا ورداؤه ذال ولام

فقـل للشامتين به جميعا * لكم أمثالهـا عام فعام
أمين الله فى الفضل بن يحيى * رضيعك والرضيع له ذمام
أبا العباس ان لكل هم * وان طال انقراض وانصرام
أرى سبب الرضاء له قبول * على الله الزيادة والتمام
وقد آليت فيه بصوم شهر * فان تم الرضا أوجب الصيام
وقـد آليت معتـذرا بنذر * ولى فيما نذرت به اعـتزام
بان لاذقت بعـدكم مداما * وموتى ان يفارقني المدام
ألهو بعـدكم وأقر عينا * على اللهـو بعـدكم حرام
وكيف يطيب لى عيش وفضل * أسـير دونه البـلد الشآم
وجعفر ثاويا بالجسر أبلت * محاسنه السمائم والقتام
أمر به فيـغلبنى بكائي * ولكن البـكاء له اكتتام
أقول وقمت منتصبا لديه * الى ان كاد يفضحني القيام
اما والله لولا خوف واش * وعـين للخليفـة لاتنـام
لثمنا ركن جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام

وقال بعض الشعراء يغرى هرون ببني برمك

قل للخليفة با كتفائه * دون الانام بحسن رائه
أما بدأت بجعـــفر * فاسق البرامك من انائه
مابرمـكـي بعــــده * ثقف الظنون على وفائه
انى وقصـد البرمكـــي الى انتكاث من شقائه
فلقد رفعت لجعـفر * ذكرين قلانى جزائه
فارفع ليحـيي مثـله * ماالعود الا من لحائه
واخضب بصدر مهند * عثنون يحيى من دمائه

﴿ ابراهيم بن المهدي ﴾ قال : قال لى جعفر بن يحيى يوما انى استاذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت أن أخلو بنفسي وأفر من أشغال الناس وأتوحد فهل أنت مساعدى . قلت جعلني الله فداك أنا أسعد بمساعدتك وآنس بمخالاتك . فقال بكر الى بكور الغراب

. قال : فاتيت عند الفجر الثاني فوجدت الشمعة بين يديه وهو قاعد ينتظرني للميعاد . قال فصلينا ثم أفضنا في الحـديث حتى أتى وقت الحجامة فاتي الحجام فحجمنا في ساعة واحـدة . ثم قـدم الينا الطعام فطعمنا فلمـا غسلنا أيدينا خلع علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخـلوق وظللنا باسر يوم مر بنا ثم انه تذكر حاجـة فـدعا الحـاجب . فقال له اذا جاء عبد الملك القهرمان فاذن له فنسي الحاجب وجاء عبـد الملك بن صالح الهاشمي على جلالتـه وسنه وقدره وأدبه فاذن له الحاجب فما راعنا الا طلعة عبـد الملك ابن صالح فتغير لذلك وجه جعفر بن يحيي وتنغص عليه ما كان فيه . فلما نظر اليه عبد الملك على تلك الحـالة دعا غلامه فدفع اليه سيفه وسواده وعمامته ثم جاء فوقف على باب المجلس فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم . قال فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنـادمة ودعا بطعام فطعم ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثا . ثم قال ليخفف عني فانه شيء ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فرحا . وقد كان الرشيد حاور عبد الملك على المنادمة فابي ذلك وتنزه عنه . ثم قال له جعفر بن يحيى جعلني الله فداك قد تفضلت وتطولت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة لما صنعت . قال بلى ان قلب أمير المؤمنين عاتب على فتساله الرضا عنى . فقال قد رضي عنك أمير المؤمنين . ثم قال وعلى أربعة آلاف دينار قال هي حاضرة ولكن من مال أمير المؤمنين أحب الى من مالى . قال وابني ابراهيم أحب ان أشد ظهره بمصاهرة أمير المؤمنين . قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته عائشة الغالية . قال واحب أن تخفق الالوية على رأسه بولاية قال وقـد ولاه امير المؤمنين مصر . قال فانصرف عبد الملك ونحن نعجب من اقدام جعفر على الرشيد من غير استئذان فلما كان الغد وقفنا على باب أمير المؤمنين ودخل جعفر فـلم يلبث ان دعا بابي يوسف القاضي ومحمد ابن الحسن وابراهيم بن عبد الملك . فعقد له النكاح وحملت البدر الى عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر . وخرج جعفر فاشار الينا . فلما صار الى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله فالتفت الينا . فقال تعلقت قلوبكم باول أمر عبد الملك فاحببتم ان تعرفوا آخره واني لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه سالني عن أمسى فابتدأت أحدثه بالقصة من أولها الى آخرها فجعل يقول احسن والله . ثم قال فما أجبته فجعلت أخبره وهو يقول في كل شيء أحسن وخرج ابراهيم واليا على مصر

٧ — أخبار الطالبيين — حدث عبد العزيز بن عبد الله البصرى عن عثمان بن سعيد بن سعد المدني قال : لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح قدم عليه بنو الحسن بن على بن أبي طالب فاعطاهم الاموال وقطع لهم القطائع . ثم قال لعبد الله بن الحسن احتكم على . قال يا أمير المؤمنين بالف ألف درهم فاني لم أرها قط فاستقرضها أبو العباس من ابن أبي مقرن الصيرفى وأمر له بها . قال عبد العزيز لم يكن يومئذ بيت مال . ثم ان أبا العباس أتى بجوهر مروان فجعل يقلبه وعبد الله ابن الحسن عنده فبكى عبد الله . فقال له ما يبكيك يا أبا محمد . قال هذا عند بنات مروان وما رأت بنات عمك مثله قط . قال فحباه به ثم أمر أبا مقرن الصيرفى أن يصل اليه و يبتاعه منه فاشتراه بثمانين ألف دينار . ثم حضر خروج بني حسن فارسل معهم رجلا من ثقاته . ثم قال له قم بانزالهم ولا تال في الطافهم وكلما خلوت معهم فاظهر الميل اليهم والتحامل علينا وعلى ناحيتنا وانهم أحق بالامر منا وأحص لى ما يقولون وما يكون منهم في مسيرهم ومقدمهم . ومما كان خشن قلب أبي العباس حتى أساء بهم الظن انه لما بني مدينة الانبار دخلها مع أبي جعفر أخيه وعبد الله بن الحسن وهو يسير بينهما ويريهما بنيانه وما أقام فيها من المصانع والقصور . فظهرت من عبد الله بن الحسن فلتة فجعل يتمثل بهذه الابيات

ألم تر حوشبا قد صار يبني * قصورا نفعها لبني نفيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

قال فتغير وجه أبي العباس وقال له أبو جعفر : أتراها ابنيك ابا محمد والامر اليهما صائر لا محالة . قال لا والله ما ذهبت هذا المذهب ولا اردته ولا كانت الا كلمة جرت على لساني لم الق لها بالا فاوحشت تلك الكلمة أبا العباس . فلما قدم المدينة عبد الله بن حسن اجتمع اليه الفاطميون . فجعل يفرق فيهم من الاموال التى بعث بها أبو العباس فعظم بها سرورهم . فقال لهم عبد الله بن الحسن فرحتم قالوا وما لنا لا نفرح بما كان محجوبا عنا بايدى بني مروان حتى أتى الله بقرابتنا وبني عمنا فاصاروه الينا . قال لهم أفرضيتم ان تنالوا هذا من تحت أيدى قوم آخرين . فخرج الرجل الذى كان وكله أبو العباس باخبارهم فاخبره بما سمع من قولهم وقوله فاخبر أبو العباس أبا جعفر بذلك فزادت الامور شرا ثم مات أبو العباس وقام أبو جعفر بالأمر بعده فبعث بعطاء أهل المدينة وكتب الى عامله ان أعط الناس في أيديهم ولا تبعث الى أحد بعطائه وتفقد بني هاشم ومن

تخلف منهم ممن حضر وتحفظ بمحمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن . ففعل وكتب انه لم يتخلف أحد عن العطاء الا محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن فانهما لم يحضرا . فكتب أبو جعفر الى عبد الله بن الحسن وذلك مبدأ سنة تسع وثلاثين ومائة يسأله عنهما ويامره باظهارهما ويخبره انه غير غادره ، فكتب اليه عبد الله انه لا يدرى أين هما ولا أين توجها وان غيبتهما غير معروفة . فلم يلبث أبو جعفر وكان قد أذكى العيون ووضع الارصاد حتي جاءه كتاب من بعض ثقاته يخبره ان رسولا لعبد الله ومحمد وابراهيم خرج بكتب الى رجال بخراسان يستدعيهم اليه . فامر أبو جعفر برسولهم فاتى به وبكتبه فردها الى عبد الله بن الحسن بطوابعها لم يفتح منها كتابا ورد اليه رسوله . وكتب اليه انى أتيت برسولك والكتب الذي معه فرددتها اليك بطوابعها كراهية ان أطلع منها على مايغير لك قلبي . فلا تدع الى التقاطع بعد التواصل ولا الى الفرقة بعد الاجتماع . وأظهر لى ابنيك فانهما سيصيران بحيث تحب من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف . فكتب اليه عبد الله بن حسن يعتذر اليه ويتنصل فى كتابه ويعلمه ان ذلك من عدو أراد تشتيت مابينهم بعد التئامه . ثم جاءه كتاب ثقة من ثقاته يذكر ان الرسول بعينه خرج بالكتب باعيانها على طريق البصرة وانه نازل علي فلان المهلبي فان أراده أمير المؤمنين فليضع عليه رصده . فوضع اليه أبو جعفر رصده فاتي به اليه ومعه الكتب فحبس الرسول وأمضى الكتب الى خراسان مع رسول من عنده من أهل ثقاته . فقدمت عليه الجوابات بما كره واستبان له الامر . فكتب الى عبد الله بن الحسن يقول :

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

أما بعد فقد قرأت كتبك وكتب ابنيك وأنفذتها الى خراسان . وجاءتنى جواباتها بتصديقها وقد استقر عندى انك مغيب لابنيك تعرف مكانهما فاظهرهما لى فان لك على ان أعظم صلتهما وجوائزهما وأضعهما بحيث وضعتهما قرابتهما فتدارك الامور قبل تفاقمها . فكتب اليه عبد الله بن الحسن :

وكيف أريد ذاك وأنت مني * وزندك حين تقدح من زنادى
وكيف أريد ذاك وأنت منى * بمنزلة النياط من الفؤاد

وكتب اليه انه لا يدرى أين توجها من بلاد الله ولا يدرى أين صارا وانه لا يعرف الكتب ولا

يشك انها مفتعلة . فلما اختلفت الامور على أبي جعفر بعث سالم بن قتيبة الباهلي و بعث معه بمال وأمره بامره وقال له اني انما أدخلك بين جلدي وعظمي فلا توطئني عشواء ولا تخف عني أمراً تعلمه . فخرج سالم بن قتيبة حتى قدم المدينة وكان عبد الله يبسط له في رخام المنبر في الروضة . وكان مجلسه فيه فجلس اليه واظهر له المحبة والميل الي ناحيته . ثم قال له حين أنس اليه ان نفرا من أهل خراسان وهم فلان وفلان وسمي له رجالا يعرفهم ممن كان يكاتب ممن استقر عند أبي جعفر أمره قد بعثوا اليك معي مالا وكتبوا اليك كتابا فقبل الكتاب والمال وكان المال عشرة آلاف دينار . ثم أقام معه ماشاء الله حتى ازداد به انسا واستئمانا . ثم قال له انه قد بعثت بكتابين الى أمير المؤمنين محمد والي ولي عهده ابراهيم وأمرت أن لا أوصل ذلك الا في أيديهما فان أوصلتني اليهما وادخلتني عليهما أوصلت اليهما الكتابين والمال ورحلت الى القوم بما يثلج صدورهم وتقبله قلوبهم فانا عندهم بموضع الصدق والامانة وان أمرهما مظلم وان لم تكن تعرف مكانهما لم يخاطروا بدينهم وأموالهم ومهجهم . فلما رأي عبد الله ان الامور تفسد عليه من حيث يرجو صلاحها الا بايصاله اليهما واظهارهما له أوصله . فدفع الكتابين مع أربعين الف درهم . ثم قال هذا محمد وهذا ابراهيم . فقال لهم ان من ورائي لم يبعثوني ولهم ورائي غاية وليس مثلي يتصرف الى قوم الا بجملة مايحتاجون اليه ومحمد انما صار الى هذه الخطة ووجبت له هذه الدعوة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وههنا من هو أقرب من رسول الله رحما وأوجب حقا منه . قال ومن هو قال أنت الا ان يكون عند ابنك محمد أثر ليس عندك في نفسك . قال فكذلك الامر عندى . قال له فان القوم يقتدون بك في جميع أمورهم ولا يريدون ان يبذلوا دينهم وأموالهم وأنفسهم الا بحجة يرجون بها لمن قتل منهم الشهادة فان أنت خلعت أبا جعفر وبايعت محمدا اقتدوا بك وان أبيت اقتدوا بك أيضا في تركك ذلك ثقة بك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك الذى وضعك الله فيه . قال فاني أفعل فبايع محمدا وخلع أبا جعفر و بايعه سالم من بعده وأخذ كتبه وكتب ابراهيم ومحمد فخرج فقدم على أبي جعفر وقد حضر الموسم . فأخبره بحقيقة الامر وبعينه . فلما حضر أبو جعفر المدينة أرسل الى بني الحسن فجمعهم وقال لسالم اذا رأيت عبد الله عندي فقم على راسي واشر الي بالسلاح . ففعل فلما رآه عبد الله سقط في يده وتغير وجهه . فقال له أبو جعفر مالك أبا محمد أتعرفه . قال نعم يا أمير المؤمنين

قاقلني وصلتك رحم . فقال له أبو جعفر هل علمت انك تعرف موضع ولديك وانه لا عذر لك وقد باح الامر فاظهرهما لي ولك أن أصل رحمك ورحمهما وان أعظم ولايتهما وأعطى كل واحد منهما الف الف درهم . فتراجع هو وعبد الله حتي جبذ على ظهره وبنو حسن اثنا عشر رجلا فامر بهم جميعا وخرج أبو جعفر فعسكر من ليلته على ثلاثة أميال من المدينة وعبى على القتال ولم يشك ان أهل المدينة سيقاتلونه في بني حسن فعبي ميمنة وميسرة وقلبا وتهيأ للحرب واجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عشر بن معطيا يعطون العطايا . فلم يتحرك عليه منهم أحد . ثم مضى بهم الى مكة فلما انصرف أبو جعفر الى العراق خرج محمد بن عبد الله بالمدينة . فكتب اليه أبو جعفر من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » ولك عهد الله وميثاقه وذمة الله وذمة نبيه ان أنتما أتيتما وتبتما ورجعتما من قبل ان اقدر عليكما وان يقع بيني وبينكما سفك الدماء ان أؤمنكما وجميع ولدكما ومن شايعكما وتابعكما على دمائكم واموالكم وأوسعكم ما اصبتم من دم أو مال وأعطيكما الف الف درهم لكل واحد منكما وما سألتماه من الحوائج وأبوئكما من البلاد حيث شئتما وأطلق من الحبس جميع ولد ابيكما ثم لا أتعقب واحدا منكما بذنب سلف منه أبدا . فلا تشمت بنا وبك عدونا من قريش فان احببت ان توثق من نفسك بما عرضت عليك فوجه الى من احببت ليأخذ لك من الامان والعهود والمواثيق ما تأمن به وتطمئن اليه ان شاء الله والسلام . فاجابه محمد بن عبد الله : من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد « طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون » الى قوله ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان ما عرضت فان الحق معنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم اليه بشيعتنا وحظيتم بفعلنا وان ابانا عليا رحمه الله كان الامام فكيف ورثتم ولاية ولده وقد علمتم انه لم يطلب هذا الامر احد بمثل نسبنا ولاشرفنا وانا لسنا من ابناء الظئار ولا من ابناء الطلقاء وانه ليس يمت احد بمثل ما نمت به من القرابة والسابقة والفضل وانا بنو ام ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ابنة عمرو في الجاهلية وبنو فاطمة ابنته في الاسلام دونكم وان الله اختارنا

واختار لنا فولدنا من النبيين أفضلهم . ومن السلف أولهم اسلاما على بن أبي طالب . ومن النساء أفضلهم خديجة بنت خويلد أول من صلى الى القبلة منهن . ومن البنات فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ولدت الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة صلوات الله عليهما . وان هاشما ولد عليا مرتين . وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين . وان النبي صلي الله عليه وسلم ولدني مرتين : واني من أوسط بني هاشم نسبا وأشرفهم أبا وأما . وانا لم نعرق في العجم ولم تنازع في أمهات الاولاد . فما زال الله بمنه وفضله يختار لى الامهات فى الجاهلية والاسلام حتى اختار لى فى النار فابى أرفع الناس درجة فى الجنة ومن أهونهم عذابا فى النار . وأبى خير أهل الجنة . وأبي خير أهل النار فلك الله ان دخلت فى طاعتي وأجبت دعوتى ان أؤمنك على نفسك ومالك ودمك وكل أمر أحدثته الا حدا من حدود الله أوحق امرئ مسلم أو معاهد . فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا أولى بالامر منك وأوفى بالعهد لانك لا تعطى من العهد أكثر مما أعطيت رجالا قبلى فأى الامانات تعطيني أمان ابن هبيرة أو امان عمك عبد الله بن على أو امان أبى مسلم والسلام فكتب اليه أبو جعفر المنصور . من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله بن حسن . أما بعد : فقد بلغنى كتابك وفهمت كلامك فاذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ولا كالعصبة الاولياء لان الله جعل العم أبا وبدأ به فى القرآن على الوالد الادنى ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت آمنة اقربهن رحما وأعظمهن حقا وأول من يدخل الجنة غدا ولكن اختار الله لخلقه على قدر علمه الماضي لهن فاما ماذكرت من فاطمة جدة النبي صلى الله عليه وسلم وولادتها لك فان الله لم يرزق أحدا من ولدها دين الاسلام ولو ان أحدا من ولدها رزق الاسلام بالقرابة لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء وقد قال جل ثناؤه « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وله عمومة أربعة فانزل الله عليه « وأنذر عشيرتك الاقربين » فدعاهم فانذرهم فاجابه اثنان أحدهما أبى وأبى عليه اثنان أحدهما أبوك : فقطع الله ولايتهما منه ولم يجعل بينهما الا ولا ذمة ولا ميراثا وقد زعمت انك ابن أخف أهل النار عذابا وابن خير الاشرار وليس فى الشر خيار ولا فخر فى النار وسترد فتعلم « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وأما ما فخرت به من فاطمة أم على وان هاشما ولدك مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة

ولاعبدالمطلب الامرة وزعمت انك أوسط بنى هاشم نسبا وأكرمهم ابا وأما وانك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا فانظر أين انت ويحك من الله غدا فانك قد تعديت طورك وفخرت على من هو خير منك نسبا وآباء وأولادا فخرت علي ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم وهل خيار ولد أبيك خاصة وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات الاولاد وما ولد منكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن حسين وهو لام ولد وهو خير من جدك حسن بن حسن وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته أم ولد وهو خير من ابيك ولا مثل ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد . وأما قولك انا بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يقول «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ولكنكم بنو ابنته وهي امرأة لاتحرز ميراثا ولا ترث الولاء ولا يحل لها ان تؤم فكيف تورث بها امامة ولقد ظلمها أبوك بكل وجه فاخرجها نهارا ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبي الناس الا الشيخين لتفضيلهما ولقد كانت السنة التي لا اختلاف فيها ان الجد أبا الام والخال والخالة لا يرثون ولا يورثون وأما ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة فامر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فما أخذوه وكان في الستة من أصحاب الشوري فتركوه كلهم رفضه عبدالرحمن بن عوف . وقاتله طلحة والزبير وأبى سعد بيعته وأغلق بابه دونه . وبايع معاوية بعده ثم طلبها بكل وجه فقاتل عليها . ثم حكم الحكمين ورضى بهما وأعطاهما عهدالله وميثاقه فاجتمعا على خلعه واختلفا في معاوية . ثم قام جدك الحسن فباعها بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ودفع الاموال الى غير أهلها وأخذ مالا من غير ولاية فان كان لكم فيها حق فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك الحسين على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه . ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم علي جذوع النخل وأحرقوكم بالنيران ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيي بن زيد بارض خراسان وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء وحملوهم كالسبي المجلوب الى الشام حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثاركم وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم وأموالهم واردنا اشراككم فى ملكنا فابيتم الا الخروج علينا وأنزلت ما رأيت من ذكرنا أباك وتفضيلنا اياه لقدمه على العباس وحمزة وجعفر وليس كما ظننت ولكن هؤلاء سالمون مسلم منهم مجتمع بالفضل عليهم وابتلي بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلعنه على

المنابر كما نلعن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرنا فضله وعنفناهم وظلمناهم فيما نالوا منه . وقد علمت ان المكرمة في الجاهلية سقاية الحاج الاعظم وولاية بئر زمزم . فصارت الى العباس من بين اخوته وقد نازعنا فيها أبوك فقضى لنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام . فقد علمت انه لم يبق أحد من بعد النبي صلى الله عليه وسلم من بني عبد المطلب غير العباس وحده فكان وارثه من بين اخوته . ثم طلب هذا الامر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده فالسقاية سقايتنا وميراث النبي صلى الله عليه وسلم ميراثنا والخلافة بايدينا . فلم يبق فضل ولا شرف في الجاهلية والاسلام الا والعباس وارثه وموروثه . والسلام فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة بايعه أهل المدينة وأهل مكة . وخرج أخوه ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة في شهر رمضان فاجتمع الناس اليه فنهض الى دار الامارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم اليه البصرة بغير قتال وأرسل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الى الاهواز جيشا فاخذه بعد قتال شديد وأرسل جيشا الى واسط فاخذها . ثم ان أبا جعفر المنصور جهز اليهم عيسى بن موسى فخرج الى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم باصحابه وقتل . ثم مضى عيسى ابن موسى الى البصرة فلقى ابراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه الى أبي جعفر . وقال رجل من أهل مكة كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد بالمسجد . فاتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه الى نفسه فقرأه ثم وضعه . فقال الرسول الجواب . فقال ليس له جواب قل لصاحبك يدعنا نجلس في الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تاتينا آجالنا . مروان بن شجاع مولى بني أمية قال : كنت مع اسمعيل بن علي بفارس أؤدب ولده . فلما لقيته المبيضة فظفر بهم أتي منهم باربعمائة اسير . فقال له أخوه عبد الصمد وكان على شرطته اضرب أعناقهم . فقال ما يقول يا مروان . فقلت أصلح الله الامير أول من سن قتال اهل القبلة علي بن أبي طالب فرأي ان لا يقتل اسير ولا يجهز على جريح ولا يتبع مول . قال خذ بيعتهم وخل سبيلهم . قيل لمحمد بن علي بن حسين ما أقل ولد أبيك . قال اني لاعجب كيف ولدت له قيل له وكيف ذلك . قال انه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء . ولما وجه المنصور عيسى بن موسى في محاربة بني عبد الله بن الحسن . قال يا أبا موسى اذا صرت الى المدينة فادع محمد بن عبد الله بن الحسن الى الطاعة والدخول في الجماعة فان أجابك فاقبل منه وان هرب منك فلا تتبعه وان أبى الا الحرب فناجزه واستعن بالله عليه فاذا ظفرت به فلا

تخيفن أهل المدينة وعمهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والانصار وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي اياك لا كما أوصى بها يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة حين وجهه الى المدينة وأمره ان يقتل من ظهر الى ثنية الوداع وان يبيحها ثلاثة أيام ففعل . فلما بلغ يزيد ما فعله تمثل بقول ابن الزبعرى في يوم أحد حيث قال :

ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

ثم اكتب الى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح فانهم أهل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ومنبت القوم والعشيرة وعظماء البيت والحرم لا يلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذي بعث منه محمداً نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف به آباءنا بتشريف الله ايانا فهذه وصيتي لا كما أوصى به الذى وجه الحجاج الى مكة . فامره ان يضع المجانيق على الكعبة وان يلحد في الحرم بظلم . ففعل ذلك . فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو ابن كلثوم :

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لنا الدنيا ومن اضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا

الرياشي قال : قال عيسى بن موسى لما وجهني المنصور الى المدينة في حرب بني عبد الله بن الحسن جعل يوصيني ويكثر . فقلت يا أمير المؤمنين الى كم توصيني :

اني انا السيف الحسام الهندى * أكلت جفني وفريت غمدى

* فكل ما تطلب منى عندي *

وقال معاوية يوما لجلسائه من أكرم الناس أبا وأما وجداً وجدة وعما وعمة وخالا وخالة . فقالوا أمير المؤمنين أعلم . فاخذ بيد الحسن بن على . وقال هذا أبوه على بن أبي طالب . وأمه فاطمة ابنة محمد وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجدته خديجة . وعمه جعفر . وعمته هالة بنت ابى طالب . وخاله القاسم بن محمد . وخالته زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم . الرياشي عن الاصمعي قال : لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة . فبايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج ابراهيم أخوه بالبصرة فتغلب على البصرة والاهواز وواسط قال سديف بن ميمون في ذلك :

ان الحمامة يوم الشعب من حضن * هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمل ان ترتد ألفتنا * بعد التباعد والشحناء والاحن
وتنقضي دولة أحكام قادتها * فيها كاحكام قوم عابدي وثن
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا * ان الخلافة فيكم يابني حسن
لاعز ركن نزار عند نائبة * ان أسلموك ولاركن لذي يمن
ألست أكرمهم يوما اذا انتسبوا * عودا وأنقاهم ثوبا من الدرن
وأعظم الناس عند الله منزلة * وأبعد الناس من عجز ومن افن

فلما سمع أبو جعفر هذه الابيات استطير بها . فكتب الى عبد الصمد بن على ان يأخذ سديفا فيدفنه حيا ففعل . قال الرياشي : فذكرت هذه الابيات لابي جعفر شيخ من أهل بغداد فقال هذا باطل الابيات لعبد الله بن مصعب وانما كان سبب قتل سديف انه قال أبياتا مبهمة وكتب بها الى أبي جعفر وهي هذه :

أسرفت فى قتل الرعية ظالما * فاكفف يديك أضلها مهديها
فلتأتينك راية حسنية * جرارة يقتادها حسنيها

فالتفت أبو جعفر . فقال لحازم بن خزيمة تهيأ بهيئة السفر متنكرا حتى اذا لم يكن الاان تضع رجلك فى الغرز ائتني ففعل . فقال اذا أتيت المدينة فادخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدع سارية وثانية فانك تنظر عند الثالثة الى شيخ آدم يكثر التلفت طوبل كبير فاجلس معه فتوجع لآل أبي طالب واذكر شدة الزمان عليهم ثلاثة ايام . ثم قل فى الرابع من يقول هذه الابيات : * أسرفت فى قتل الرعية ظالما * قال ففعل . فقال له الشيخ ان شئت نبأتك من أنت أنت حازم بن خزيمة بعثك الى أمير المؤمنين لتعرف من قال هذا الشعر . فقل له جعلت فداك والله ما قلته ولا قاله الاسديف بن ميمون فاني أنا القائل وقد دعوني الى الخروج مع محمد بن عبد الله :

دعوني وقد سالت لابليس راية * وأوقد للغاوين نار الحباحب
أباالليث تغترون يحمي عرينه * وتلقون جهلا أسده بالثعالب
فلا نفعتني السن ان لم يؤزركم * ولا أحكمتني صادقات التجارب

قال واذا الشيخ ابراهيم بن هرمة . قال فقدمت على المنصور فاخبرته الخبر . فكتب الى عبد الصمد بن على وكان سديف فى حبسه فاخذه فدفنه حيا . قال الرياشي : سمعت محمد بن عبد الحميد يقول قلت لابن ابي حفصة ما أغراك ببنى على قال ما أحد احب الى منهم ولكني لم

أجد شيئا أنفع عند القوم منه . لما دخل زيد بن علي بن ابي طالب على هشام . قال بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال اماقولك اني احدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله . واما قولك انى ابن أمة فهذا اسمعيل ابن امة اخرج الله من صلبه محمدا صلى الله عليه وسلم واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت . وخرج من عنده . فقال هشام ما أحب احد الحياة الا ذل . فقال له الحاجب لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وقال زيد بن على عند خروجه من عند هشام بن عبد الملك :

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
محتفى الرجلين يشكو الوجا * يقرعه اطراف مروحداد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فقتل وصلب . وفيه يقول شبل لابى العباس يغريه ببنى أمية حيث يقول :

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

٨ — باب من فضائل على بن ابي طالب رضي الله عنه — عوانة بن الحكم قال : حج محمد بن هشام ونزلت رفقة فاذا فيها شيخ كبير قد احتوشته الناس وهو يامر وينهى فقال محمد بن هشام لمن حوله تجدون الشيخ عراقيا فاسقا . فقال له بعض اصحابه نعم وكوفيا منافقا . فقال محمد على به فاتى بالشيخ . فقال له أعراقي أنت . قال له نعم عراقى . قال وكوفى . قال وكوفى . قال وترابي قال وترابي من التراب خلقت واليه أصير . قال انت ممن يهوي أباتراب . قال ومن أبو تراب . قال على بن أبي طالب قال أتعني ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة ابنته وأبا الحسن والحسين . قال نعم قال فما قولك فيه . قال قد رأيت من يقول خيرا ويحمد ورأيت من يقول شرا ويذم . قال فايهما أفضل عندك أهو ام عثمان . قال وما أنا وذاك والله لو ان عليا جاء بوزن الجبال حسنات ما نفعني ولو انه جاء بوزنها سيآت ما ضرني وعثمان مثل ذلك . قال فاشتم أباتراب قال أوما ترضى منى بما رضى به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من على . قال وماذاك قال رضي الله وهو خير منك من عيسى وهو خير مني فى النصاري وهم شر من على اذ قال « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » الرياشى قال : انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير عليا . فقال له أبوه يا بني انه والله

مابنت الدنيا شيئا الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فهدمته الدنيا أما ترى عليا ومايظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكانما والله ياخذون بناصيته رفعا الى السماء وماتري بني مروان ومايندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكانما يكشفون عن الجيف . قدم الوليد مكة . فجعل يطوف بالبيت والفضل بن أبي لهب يستقى من زمزم وهو يقول :

يا ايها السائل عن على * تسال عن بدر لنا بدري
مردد فى المجد ابطحى * سائله غرته تضى

فلم ينكر عليه احد . العتبي قال : قيل يوما لمسلمة بن هلال العبدي خطب جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يسمع مثلها قط ومادرينا اوجهه كان أحسن ام كلامه . قال اولئك قوم بنور الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون . وكتب عوام صاحب ابى نواس الى بعض عمال ديار ربيعة :

بحق النبي بحق الوصى * بحق الحسين بحق الحسن
بحق التي ظلمت حقها * ووالدها خير ميت دفن
ترفق بارزاقنا في الخراج * بترفيهها او بحط المؤن

قال فاسقط عنه الخراج طول ولايته

٩ — احتجاج المامون على الفقهاء فى فضل على — اسحق بن ابراهيم بن اسمعيل ابن حماد بن زيد قال : بعث الى يحيي بن اكثم والى عدة من اصحابي وهو يومئذ قاضى القضاة فقال ان امير المؤمنين امرنى ان احضر معي غدا مع الفجر اربعين رجلا كلهم فقيه يفقه مايقال له ويحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب امير المؤمنين . فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتي تم العدد الذي اراد وكتب تسمية القوم وامر بالبكور فى السحر . وبعث الى من لم يحضر فامره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا فركب وركبنا معه حتي صرنا الى الباب فاذا بخادم واقف . فلما نظر الينا قال يا أبا محمد امير المؤمنين ينتظرك فادخلنا فامر بالصلاة فاخذنا فيها فلم نستتمها حتي خرج الرسول . فقال ادخلوا فدخلنا فاذا أمير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته . فوقفنا وسلمنا فرد السلام وامر لنا بالجلوس . فلما استقر بنا المجلس تحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه

ووضع قلنسوته . ثم أقبل علينا فقال انما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك . واما الخف فمنع من خلعه علة من قد عرفها منكم فقد عرفها ومن لم يعرفها فسا عرفه بها ومد رجله وقال انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم . قال فامسكنا فقال لنا يحيي انتهوا الى ما امركم به امير المؤمنين فتنحينا فنزعنا اخفافنا وطيالستنا وقلانسنا ورجعنا . فلما استقربنا المجلس قال انما بعثت اليكم معشر القوم في المناظرة فمن كان به شيء من الخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه مايقول . فمن اراد منكم الخلاء فهناك وأشار بيده فدعونا له . ثم القى مسئلة من الفقه . فقال يا أبا محمد قل وليقل القوم من بعدك فاجابه يحيي . ثم الذي يلي يحيي . ثم الذي يليه حتى اجاب آخرنا في العلة وعلة العلة وهو مطرق لا يتكلم حتى اذا انقطع الكلام التفت الى يحيي . فقال يا أبا محمد أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته ويخطىء بعضنا ويصوب بعضنا حتي أتى على آخرنا . ثم قال اني لم أبعث فيكم لهذا ولكنني أحببت ان ابسطكم ان امير المؤمنين اراد مناظرتكم في مذهبه الذى هو عليه والذي يدين الله به قلنا فليفعل امير المؤمنين وفقه الله . فقال ان امير المؤمنين يدين الله على ان علي بن ابي طالب خير خلفاء الله بعد رسوله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بالخلافة له . قال اسحق فقلت يا أمير المؤمنين ان فينا من لا يعرف ما ذكر امير المؤمنين في علي . وقد دعانا أمير المؤمنين المناظرة . فقال يا اسحق اختر ان شئت سالتك اسالك وان شئت ان تسال فقل . قال اسحق فاغتنمتها منه . فقلت بل أسالك يا أمير المؤمنين . قال سل قلت من أين قال امير المؤمنين ان علي بن ابي طالب افضل الناس بعد رسول الله واحقهم بالخلافة بعده قال يا اسحق خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان افضل من فلان . قلت بالاعمال الصالحة . قال صدقت . قال فاخبرني عمن أفضل صاحبه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ان المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بافضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله أيلحق به . قال فاطرقت . فقال لي يا أبا اسحق لا تقل نعم فانك ان قلت نعم اوجدتك في دهرنا هذا من هو اكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة فقلت اجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاضل ابدا . قال يا اسحق فانظر ما رواه لك اصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن ابي طالب فقس عليها ما اتوك به من فضائل ابي بكر فاني رأيت فضائل ابي بكر تشاكل فضائل علي فقل انه افضل منه لا والله ولكن فقس الى فضائله ما روى لك من فضائل ابي بكر وعمر فان وجدت لهما من الفضائل

ما لعلي وحده فقل انهما أفضل منه لا والله . ولكن قس الى فضائله فضائل ابى بكر وعمر وعثمان فان وجدتها مثل فضائل علي فقل انهم افضل منه لا والله . ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فان وجدتها تشاكل فضائله فقل انهم افضل منه قال يا اسحق اى الاعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله . قلت : الاخلاص بالشهادة قال اليس السبق الى الاسلام قلت نعم قال اقرأ ذلك فى كتاب الله تعالى يقول « والسابقون السابقون أولئك المقربون » انما عنى من سبق الى الاسلام فهل علمت احدا سبق عليا الى الاسلام قلت : ياامير المؤمنين ان عليا أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر اسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم . قال اخبرني أيهما اسلم قبل ثم اناظرك من بعده في الحداثة والكمال قلت علي اسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة . فقال نعم فاخبرني عن اسلام علي حين اسلم لا يخلو من ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه الى الاسلام او يكون الهاما من الله قال فاطرقت . فقال لي يا اسحق لا تقل الهاما فتقدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله لم يعرف الاسلام حتى اتاه جبريل عن الله تعالى . قلت اجل بل دعاه رسول الله الى الاسلام . قال : يا اسحق فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاه الى الاسلام من ان يكون دعاه بامر الله أو تكلف ذلك من نفسه . قال فاطرقت . فقال يا اسحق لا تنسب رسول الله الى التكلف فان الله يقول « وما انا من المتكلفين » . قلت اجل ياأمير المؤمنين بل دعاه بامر الله . قال فهل من صفة الجبار جل ذكره ان يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم . قلت أعوذ بالله فقال افتراه في قياس قولك يا اسحق ان عليا أسلم صبيا لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه السلام أترى هذا جائزا عندك ان تنسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت أعوذ بالله قال يا اسحق فاراك انما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرفوا فضله ولو كان الله امره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا . قلت بلى قال فهل بلغك ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا احدا من الصبيان من اهله وقرابته لئلا تقول ان عليا ابن عمه . قلت لا اعلم ولا ادرى فعل أو لم يفعل . قال يا اسحق أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسال عنه . قلت لا قال فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك . قال ثم اي الاعمال كانت أفضل بعد السبق الي الاسلام . قلت الجهاد في سبيل الله . قال

صدقت فهل تجد لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجد لعلي فى الجهاد . قلت فى أى وقت . قال فى أى الاوقات شئت . قلت بدر . قال لا اريد غيرها فهل تجد لاحد الادون ماتجد لعلى يوم بدر اخبرنى كم قتلي بدر . قلت نيف وستون رجلا من المشركين . قال فكم قتل على وحده . قلت لا أدرى . قال ثلاثة وعشرين او اثنين وعشرين والا ر بعون لسائر الناس قلت يا أمير المؤمنين كان ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عريشه . قال يصنع ماذا . قلت يدبر قال ويحك يدبردون رسول الله او معه شريكا ام افتقارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رأيه اى الثلاث أحب اليك . قلت أعوذ بالله ان يدبر ابو بكر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكون معه شريكا او ان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم افتقار الى رأيه . قال فما الفضيلة بالعريش اذا كان الامر كذلك اليس من ضرب بسيفه بين يدى رسول الله أفضل ممن هو جالس . قلت يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهدا . قال : صدقت كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجالس أفضل من الجالس . أما قرأت كتاب الله « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسني وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » قلت وكان ابو بكر وعمر مجاهدين . قال فهل كان لابى بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد . قلت نعم . قال فكذلك سبق الباذل نفسه فضل ابي بكر وعمر . قلت اجل . قال : يا اسحق هل تقرأ القرآن . قلت نعم . قال اقرأ علىّ « هل أتي على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » فقرأت منها حتى بلغت « يشربون من كاس كان مزاجها كافورا — الى قوله — ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . قال على رسلك فيمن أنزلت هذه الآيات . قلت فى على . قال فهل بلغك ان عليا حين أطعم المسكين واليتيم والاسير قال انما نطعمكم لوجه الله ، وهل سمعت الله وصف فى كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليا . قلت لا قال : صدقت لان الله جل ثناؤه عرف سيرته يا اسحق ، الست تشهد ان العشرة فى الجنة . قلت بلى يا أمير المؤمنين . قال : أرأيت لو ان رجلا قال والله ما أدرى هذا الحديث صحيح أم لا ولا أدرى ان كان رسول الله قاله أم لم يقله أكان عندك كافرا قلت اعوذ بالله . قال أرأيت لو انه قال ما ادرى هذه السورة من كتاب أم لا كان كافرا قلت نعم . قال : يا اسحق أرى بينهما فرقا يا اسحق أتروى الحديث قلت نعم . قال

فهل تعرف حديث الطير . قلت نعم . قال : فحدثني به قال فحدثته الحديث . فقال يااسحق اني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق . فاما الان فقد بان لي عنادك انك توقن ان هذا الحديث صحيح قلت نعم رواه من لا يمكنني رده . قال : أفرأيت ان من أيقن ان هذا الحديث صحيح ثم زعم ان أحدا أفضل من علي لا يخلو من احدى ثلاث من أن يكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده مردودة عليه أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب اليه . أو أن يقول ان الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول . فاي الثلاثة أحب اليك أن تقول فاطرقت . ثم قال يااسحق لا تقل منها شيا فانك ان قلت منها شيا استتبتك وان كان للحديث عندك تاويل غير هذه الثلاثة الاوجه فقله . قلت لا أعلم وان لابي بكر فضلا . قال أجل لولا ان له فضلا لما قيل ان عليا أفضل منه فما فضله الذي قصدت له الساعة . قلت قول الله عز وجل : « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » فنسبه الى صحبته . قال يااسحق اما اني لا أحملك على الوعر من طريقك اني وجدت الله تعالى نسب الى صحبة من رضيه ورضي عنه كافرا وهو قوله : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا » قلت ان ذلك صاحبا كان كافرا وأبو بكر مؤمن قال فاذا جاز أن ينسب الى صحبة من رضيه كافرا جاز أن ينسب الى صحبة نبيه مؤمنا وليس بافضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث . قلت : ياأمير المؤمنين ان قدر الآية عظيم . أن الله يقول « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » قال يااسحق تابي الآن الا أن أخرجك الى الاستقصاء عليك أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضا أم سخطا . قلت ان أبا بكر انما حزن من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا عليه وغما ان يصل الى رسول الله شيء من المكروه . قال : ليس هذا جوابي انما كان جوابي أن تقول رضى أم سخط . قلت بل كان رضا لله . قال : فكان الله جل ذكره بعث الينا رسولا ينهي عن رضا الله عز وجل وعن طاعته . قلت أعوذ بالله . قال : أوليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله . قلت بلى . قال : أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحزن نهيا له عن الحزن . قلت أعوذ بالله . قال : يااسحق ان مذهبي الرفق بك لعل الله يردك الى الحق و يعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به وحدثني عن قول الله « فانزل الله سكينته عليه » من عني بذلك رسول الله أم

أبو بكر . قلت بل رسول الله . قال . صدقت . قال فحدثني عن قول الله عز وجل « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ـ الى قوله ـ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » أتعلم من المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع . قلت لا أدرى ، يا أمير المؤمنين . قال : الناس جميعا انهزموا يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سبعة نفر من بنى هاشم على يضرب بسيفه بين يدي رسول الله والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفا من ان يناله من جراح القوم شيء حتى أعطى الله لرسوله الظفر . فالمؤمنون فى هذا الموضع على خاصة ثم من حضره من بني هاشم قال : فمن أفضل من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت ام من انهزم عنه ولم يره الله موضعا لينزلها عليه . قلت بل من انزلت عليه السكينة . قال . يا اسحق من افضل من كان معه فى الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراد من الهجرة ان الله تبارك وتعالى امر رسوله ان يامر عليا بالنوم على فراشه وان يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فبكى على رضى الله عنه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا على أجزعا من الموت . قال لا والذى بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفا عليك أفتسلم يا رسول الله . قال نعم قال سمعا وطاعة وطيبة نفسى بالفداء لك يا رسول الله . ثم أتي مضجعه واضطجع وتسجى ثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجمعوا ان يضرب به من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه وعلى يسمع ما القوم فيه من اتلاف نفسه ولم يدعه ذلك الى الجزع كما جزع صاحبه فى الغار ولم يزل على صابرا محتسبا . فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركى قريش حتي أصبح . فلما اصبح قام فنظر القوم اليه فقالوا أين محمد . قال وما علمى بمحمد أين هو . قالوا فلا نراك الا مغرورا بنفسك منذ ليلتنا فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتي قبضه الله اليه : يا اسحق هل تروى حديث الولاية . قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال : اروه ففعلت قال يا اسحق ارأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر مالم يوجب لهما عليه . قلت أن الناس ذكروا ان الحديث انما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين على وانكر ولاء على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . قال فى أى موضع قال هذا أليس بعد منصرفه من حجة الوداع . قلت أجل . قال : فان قتل زيد بن حارثة قبل

الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا . أخبرني لو رأيت ابنا لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك أكنت منكرا ذلك عليه تعريفه الناس مالا ينكرون ولا يجهلون . فقلت اللهم نعم . قال : يااسحق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم ان الله جل ذكره . قال في كتابه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ولكن أمروهم فاطاعوا أمرهم . يااسحق أتروى حديث أنت مني بمنزلة هرون من موسي . قلت نعم ياأمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صححه وجحده . قال : فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أومن جحده . قلت من صححه . قال : فهل يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم مزح بهذا القول . قلت أعوذ بالله . قال : فقال قولا لا معنى له فلا يوقف عليه قلت أعوذ بالله قال أفما تعلم ان هرون كان أخا موسى لابيه وأمه . قلت بلى . قال . فعلي أخو رسول الله لابيه وأمه قلت لا قال أو ليس هرون نبيا وعلي غير نبي . قلت بلى . قال : فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هرون فما معنى قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسي . قلت له انما أراد ان يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون انه خلفه استثقالا له . قال فاراد أن يطيب نفسه بقول لا معني له قال فاطرقت . قال يااسحق له معني في كتاب الله بين . قلت وما هو ياأمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لاخيه هرون « اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » قلت ياأمير المؤمنين ان موسى خلف هرون في قومه وهو حي ومضي الى ربه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عليا كذلك حين خرج الى غزاته قال كلا ليس كما قلت أخبرني عن موسي حين خلف هرون هل كان معه حين ذهب الى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني اسرائيل . قلت لا قال : أوليس استخلفه على جماعتهم . قلت نعم . قال: فاخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى غزاته هل خلف الا الضعفاء والنساء والصبيان فاني يكون مثل ذلك . وله عندي تاويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه اياه لا يقدر أحد ان يحتج فيه ولا أعلم احدا احتج به وأرجو ان يكون توفيقا من الله قلت وماهو ياأمير المؤمنين . قال قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله « واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا » فانت مني ياعلي بمنزلة هرون من موسى وزيري من أهلي وأخي شد الله به أزري وأشركه في أمري كي نسبح الله

كثيرا ونذكره كثير افهل يقدر أحد أن يدخل فى هذا شيئا غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون لا معنى له . قال فطال المجلس وارتفع النهار . فقال يحيى بن أكثم القاضى يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبت ما لا يقدر أحد أن يدفعه . قال اسحق فاقبل علينا وقال ما تقولون . فقلنا كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله . فقال والله لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقبلوا القول من الناس ما كنت لاقبل منكم القول اللهم قد نصحت لهم القول اللهم انى قد أخرجت الامر من عنقى اللهم انى أدينك بالتقرب اليك بحب على وولايته . وكتب المامون الى عبد الجبار بن سعد المساحقى عامله على المدينة : ان اخطب الناس وادعهم الى بيعة الرضا على بن موسى . فقام خطيبا فقال: يا أيها الناس هذا الامر الذى كنتم فيه ترغبون والعدل الذى كنتم تنتظرون ، والخير الذي كنتم ترجون . هذا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ستة آباءهم ماهم من خير من يشرب صوب الغمام . وقال المامون لعلى بن موسى : علام تدّعون هذا الامر . قال : بقرابة على وفاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المامون : ان لم تكن الا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من هو أقرب اليه من على أو من هو فى قعدده وان ذهبت الى قرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الامر بعدها للحسن والحسين فقد ابتزهما على حقهما وهما حيان صحيحان فاستولى على مالا حق له فيه فلم يجد على ابن موسى له جوابا

١٠ — باب من أخبار الدولة العباسية — روى عن على بن طالب رضى الله عنه أنه افتقد عبد الله بن عباس وقت صلاة الظهر . فقال لاصحابه ما بال أبى العباس لم يحضر . قالوا ولد له مولود . فلما صلى على الظهر قال انقلبوا بنا اليه فاتاه فهنأه . فقال له شكرت الواهب و بورك لك فى الموهوب ، فما سميته . قال : لا يجوز لى أن أسميه حتى تسميه أنت . فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ورده . وقال : خذه اليك أبا الاملاك وقد سميته عليا وكنيته أبا الحسن ، قال فلما قدم معاوية قال لابن عباس لك اسمه وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه . وكان على سيدا شريفا عابدا زاهدا وكان يصلى فى كل يوم ألف ركعة . وضرب مرتين ضربه الوليد فى تزويجه لبابة ابنة عبد الرحمن ابن جعفر . وكانت عند عبد الملك بن مروان فعض تفاحة ورمى بها اليها وكان ابخر فدعت بسكين . فقال ما تصنعين به . قالت أميط عنها الاذى فطلقها فتزوجها على بن عبد الله بن عباس

فضرب به الوليد . وقال انما تزوج أمهات أولاد الخلفاء لتضع منهم لان مروان بن الحكم انما تزوج أم خالد بن يزيد لتضع منه . فقال علي بن عبدالله بن عباس : انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لان أكون لها محرما وأما ضربه اياه في المرة الثانيه فان محمد بن يزيد . قال حدثني من رآه مضروبا يطاف به على بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبدالله الكذاب . قال فاتيته فقلت ماهذا الذي نسبوك فيه الى الكذب . قال بلغهم اني أقول هذا الامر سيكون في ولدي ووالله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كان وجوههم المجان المطرقة . وفي حديث آخر ان علي بن عبدالله دخل على هشام بن عبدالملك ومعه ابنان أبو العباس وأبو جعفر فشكا اليه دينا لزمه . فقال له كم دينك قال ثلاثون ألفا فامر له بقضائه فشكر له عليه . وقال له وصلت رحما وأنا أريد ان تستوصي بابني هذين خيرا . قال نعم فلما تولى قال هشام لاصحابه ان هذا الشيخ قد هتر وأسن وخولط فصار يقول ان هذا الامر سينقل الى ولده فسمعه علي بن العباس . فقال والله ليكونن ذلك وليملكن ابناي هذان ماتملكه . قال محمد بن يزيد : وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال حضر علي بن عبدالله مجلس عبد الملك بن مروان وكان مكرما له وقد أهديت له من خراسان جارية وفص خاتم وسيف . فقال يا أبا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمي سعدى وهي من سبي الصفد من رهط عجيف بن عنبسة فاولدها سليمان بن علي وصالح بن علي . وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جدري خرج عليه فانصرف علي من مصلاه فاذا بها على فراشه . فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع عليها فاولدها صالحا فاجتنبت فراشه فسالها عن ذلك . فقالت : خفت ان يموت سليمان في مرضه فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فبالحرى ان ذهب أحدهما بقي الآخر وليس مثلي وطيئة الرجال . وزعم جعفر انه كانت في سليمان رتة وفي صالح مثلها وانها موجودة في آل سليمان وصالح . وكان علي يقول : أكره أن أوصي الى محمد ولدي وكان سيد ولده وكبيرهم فاشينه بالوصية فاوصى الى سليمان . فلما دفن علي جاء محمد الى سعدى ليلا . فقال اخرجي لي وصية أبي . فقالت ان أباك أجل من ان تخرج وصيته ليلا ولكن تاتي غدوة ان شاء الله . فلما أصبح غدا عليه سليمان بالوصية . فقال : يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك . فقال : جزاك الله من ابن وأخ

خيرا ما كنت لاثرب على أبي بعد موته كما لم أثرب عليه فى حياته . العتبي عن أبيه عن جده قال : لما اشتكى معاوية شكاته التى هلك فيها أرسل الى ناس من جملة بني أمية ولم يحضرها سفيانى غيري وغير عثمان بن محمد . فقال : يامعشر بني أمية انى لما خفت ان يسبقكم الموت الى سبقته بالموعظة اليكم . لالأرد قدرا ، ولكن لابلغ غدرا . ان الذى أخلف لكم من دنياى أمر ستشاركون فيه وتغلبون عليه والذى أخلف لكم من ورائى أمر مقصور لكم نفعه ان فعلتموه مخوف عليكم ضرره ان ضيعتموه . ان قريشا شاركتكم فى أنسابكم وانفردتم دونها بافعالكم فقدمكم ماتقدمتم له اذا أخر غيركم ماتاخروا عنه . ولقد جهل بي فحلمت ! ونقر لى ففهمت . حتي كانى أنظر الى أبنائكم بعدكم كنظرى الى آبائهم قبلهم . ان دولتكم ستطول وكل طويل مملول وكل مملول مخذول . فاذا كان ذلك كذلك كان سببه اختلافكم فيما بينكم واجماع المختلفين عليكم فيدبر الامر بضد ما أقبل به فلست أذكر حسنا يركب منكم ، ولاقبيحا ينتهك فيكم ، ألا والذى أمسك عن ذكره أكثر وأعظم ، ولا معول عليه عند ذلك أفضل من الصبر واحتساب الاجر فيمادكم القوم دولتهم امتداد العنانين في عنق الجواد . حتى اذا بلغ الله بالامر مداه ، وجاء الوقت المبلول بريق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخلقة المطبوعة على ملالة الشيء المحبوب ، كانت الدولة كالاناء المكفا فعندها أوصيكم بتقوى الله الذى لم يتقه غيركم فيكم فجعل العاقبة لكم والعاقبة للمتقين . قال عمرو بن عتبة : فدخلت عليه يوما آخر فقال : ياعمرو أوعيت كلامى قلت وعيت . قال أعد على كلامي فلقد كلمتم وما أراني امسى من يومكم ذلك . قال شبيب بن شبة الاهتمي : حججت عام هلك هشام وولى الوليد بن يزيد وذلك سنة خمس وعشرين ومائة فبينما أنا مريح ناحية من المسجد . اذ طلع من بعض أبواب المسجد فتي أسمر رقيق السمرة ، موفر اللمة خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، اقنى بين القني ، أعين كان عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أبهة الاملاك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف فى تواضعه ، والعفو فى صورته ، واللب فى مشيته . فما ملكت نفسى ان نهضت فى أثره سائلا عن خبره وسبقني فتحرم بالطواف . فلما سبع قصد المقام فركع وأنا ارعاه ببصري . ثم نهض منصرفا فكان عينا أصابته فكبا كبوة دميت لها أصبعه . فقعد لها القرفصاء فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به أمسح رجله من عفر التراب ، فلا يمتنع على ثم شققت حاشية ثوبه فعصبت بها أصبعه وما ينكر ذلك ولا يدفعه ثم نهض متوكئا على وانقدت له أما شيه حتي اذا أتى دارا باعلى مكة ابتدره

رجلان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فد خلت بدخوله . ثم خلى يدي وأقبل على القبلة فصلى ركعتين أوجز فيهما في تمام . ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها . ثم قال : لم يخف على مكانك منذ اليوم ولا فعلك بي فمن تكون يرحمك الله قلت شبيب بن شبة التميمي . قال الاهتمي قلت نعم . قال فرحب وقرب ووصف قومي بأبين بيان وأفصح لسان . فقلت له أنا أجلك أصلحك الله عن المسئلة وأحب المعرفة فتبسم وقال لطف أهل العراق أنا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . فقلت بأبي أنت وأمي ما أشبهك بنسبك وأدلك على منصبك ولقد سبق الى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي لك . قال فاحمد الله يا أخا بني تميم فانا قوم انما يسعد الله بحبنا من أحبه ويشقى ببغضنا من أبغضه ولن يصل الايمان الى قلب أحدكم حتى يحب الله ويحب رسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه . فقلت له أنت توصف بالعلم وانا من حماته وأيام الموسم ضيقة وشغل اهل مكة كثير وفي نفسي أشياء أحب ان اسال عنها افتاذن لي فيها جعلت فداك . قال نحن من أكثر الناس مستوحشون وأرجو ان تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت كما رجوت فافعل . قال فقدمت من وثائق القول والايمان ماسكن اليه فتلا قول الله « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » ثم قال سل عما بدا لك . قلت ما ترى فيمن على الموسم وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي خال الوليد . فتنفس الصعداء وقال عن الصلاة خلفه تسالني أم كرهت ان يتامر على آل الله من ليس منهم . قلت عن كلا الامرين . قال ان هذا عند الله لعظيم . فاما الصلاة ففرض لله تعبد به خلقه فادما فرض الله تعالى عليك في كل وقت مع كل أحد وعلى كل حال فان الذي ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه بانه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة منه لك . ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك قال ثم كررت في السؤال عليه فما احتجت ان أسال عن أمر دنيي أحدا بعده . ثم قلت يزعم اهل العلم انها ستكون لكم دولة . فقال لا شك فيها تطلع طلوع الشمس وتظهر ظهورها فنسال الله خيرها ونعوذ بالله من شرها فخذ بحظ لسانك ويدك منها ان أدركتها . قلت أو يتخلف عنها أحد من العرب وانتم سادتها . قال نعم قوم يابون الا الوفاء لمن اصطنعهم ونابى الا الطلبا بحقنا فننصر ويخذلون كما نصر باولنا أولهم ويخذل بخذلفتنا من خالف منهم : قال فاسترجعت . فقال

سهل عليك الامر سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس مايكون لهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم وحفظ أعقابهم وتجديد الصنيعة عندهم . قلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم . قال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا وبغض الينا الغدر وان كان لنا وانما يشذ عنا منهم الاقل . فاما أنصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم مواليهم وموالى القوم من أنفسهم فاذا وضعت الحرب أوزارها صفحنا بالمحسن عن المسيء ووهبنا للرجل قومه ومن اتصل باسبابه فتذهب المثابرة وتخبو الفتنة وتطمئن القلوب . قلت ويقال انه يبتلى بكم من اخلص لكم المحبة قال قد روى ان البلاء أسرع الى محبينا من الماء الى قراره . قلت لم أرد هذا قال فمه قلت تقعون بالولى وتحظون بالعدو قال من يسعد بنا من الاولياء أكثر ومن يسلم لنا من الاعداء أقل وأيسر وانما نحن بشر وأكثرنا اذن ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور فنقع بما لا نريد وان لنا لاحسانا ياسوالله بهما نكلم ويرم به ما نثلم ونستغفر الله مما لا نعلم وما انكرت من ان يكون الامر على ما بلغك ومع الولى التعزز والادلال ، والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والاحتيال ، والتذلل والاغتيال ، وربما أمل المذل ، وأخل المسترسل وتجانب المتقرب ومع المقة تكون الثقة ، وعلى ان العاقبة لنا على عدونا وهى لولينا وانك لسؤول يا أخا تميم . قلت اني أخاف ان لا اراك بعد اليوم . قال انى لارجو ان اراك وتراني كما تحب عن قريب ان شاء الله تعالى . قلت عجل الله ذلك . قال آمين . قلت ووهب لى السلامة منكم فاني من محبيكم . قال آمين وتبسم . وقال لا باس عليك ما أعاذك الله من ثلاث . قلت وماهى . قال قدح في الدين أو هتك للملك أو تهمة فى حرمة . ثم قال احفظ عني ما أقول لك اصدق وان ضرك الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تجالس عدونا وان أحظيناه فانه مخذول ولا تخذل ولينا فانه منصور واصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تسخف فيمقتوك ولا تنقبض فيتجشموك ولا تبدأ حتي يبدؤك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وأنا رائح من عشيتي هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته . ثم قلت أترقب لظهور الامر وقتا . قال الله المقدر الموقت فاذا قامت النوحتان بالشام فهما آخر العلامات قلت وماهما . قال موت هشام العام وموت محمد بن على مستهل ذى القعدة وعليه تخلفت وما بلغتكم حتي انضيت . قلت فهل اوصي . قال نعم الى اخيه ابراهيم . قال فلما خرجت فاذا مولى له يتبعني حتى عرف منزلي . ثم أتاني بكسوة من كسوته . فقال يامرك ابو جعفران تصلى

فى هذه . قال وافترقنا . قال فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يد نيانى منه فى جماعة من قومى لابايعه . فلما نظر الى أثبتنى فقال خليا عمن صحت مودته . وتقدمت حرمته . وأخذت قبل اليوم بيعته . قال فاكبر الناس ذلك من قوله ووجدته على أول عهده لى . ثم قال لى أين كنت عني فى أيام أخى أبي العباس فذهبت أعتذر . قال امسك فان لكل شيء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مسابقتك فاختر بين رزق يسعك أو عمل يرفعك : قلت أنا حافظ لوصيتك . قال وأنا لها أحفظ انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم أنهك عن قبولها . قلت الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب الى . قال ذلك لك وهو أجم لقلبك وأودع لك وأعفى ان شاء الله . ثم قال هل زدت في عيالك بعدى شيئاً وكان قد سالني عنهم فذكرتهم له فعجبت من حفظه . قلت الفرس والخادم . قال قد ألحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخادمنا وفرسك بخيلنا ولو وسعني لحملت لك من بيت المال وقد ضممتك الى المهدى وأنا أوصيه بك فانه أفرغ لك مني . قال الاحوص بن محمد الشاعر الانصارى من بني عاصم بن الافلح الذى حمت لحمه الدبر يشبب بامرأة يقال لها أم جعفر . فقال فيها :

أدور ولولا ان أري أم جعفر * بابياتكم ما درت حين أدور

وكان لام جعفر أخ يقال له ايمن فاستعدى عليه ابن حزم الانصارى وهو والى المدينة للوليد ابن عبد الملك وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فبعث ابن حزم الى الاحوص فاتاه وكان ابن حزم يبغضه فقال ما تقول فيما يقول هذا قال وما يقول قال يزعم انك تشبب باخته وقد فضحته وشهرت أخته بالشعر فانكر ذلك . فقال لهما قد اشتبه على أمركما ولكني ادفع الى كل واحد منكما سوطا ثم اجتلدا وكان الاحوص قصيرا نحيفا وكان أيمن طويلا ضخما جلدا فغاب أيمن الاحوص نضر به حتى صرعه واثخنه . فقال أيمن :

لقد منع المعروف من أم جعفر * اشم طويل الساعدين غيور
علاك بمتن السوط حتى اتقيته * باصفر من ماء الصفاق يفور

قال فلما رأى الاحوص تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد . ثم شخص اليه الى الشام فدخل عليه فانشده :

لا ترثين لحزمي رأيت به * ضرا ولو القي الحزمى فى النار
الناخسين لمروان بذي خشب * والمدخلين على عثمان في الدار

قال له صدقت والله لقد كنا غفلنا عن حزم وآل حزم . ثم دعا كاتبه فقال اكتب عهد عثمان بن حيان المرى على المدينة واعزل ابن حزم واكتب بقبض أموال حزم وآل حزم واسقاطهم اجمعين من الديوان ولا يأخذوا الاموى عطاء أبدا . ففعل ذلك فلم يزالوا فى الحرمان للعطاء مع ذهاب الاموال والضياع حتي انقضت دولة بني أمية وجاءت دولة بنى العباس . فلما قام أبو جعفر المنصور بامر الدولة قدم عليه أهل المدينة فجلس لهم . فامر حاجبه ان يتقدم الى كل رجل منهم ان ينتسب له اذا قام بين يديه . فلم يزالوا على ذلك يفعلون حتى دخل عليه رجل قصير قبيح الوجه : فلما مثل بين يديه قال له يا امير المؤمنين أنا ابن حزم الانصاري الذى يقول فينا الاحوص :

لا ترثين لحزمي رأيت به * ضرا ولو القى الحزمى فى النار
الناجشين لمروان بذى خشب * والمدخلين على عثمان فى الدار

ثم قال يا أمير المؤمنين حرمنا العطاء منذ سنين وقبضت أموالنا وضياعنا . فقال له المنصور اعد على البيتين فاعادهما عليه . فقال اما والله لئن كان ذلك ضركم في ذلك الحين لينفعنكم اليوم . ثم قال على بسليمان الكاتب فاتاه أبو أيوب الخوزي . فقال اكتب الى عامل المدينة ان يرد جميع ما اقتطعه بنو أمية من ضياع بني حزم وأموالهم ويحسب لهم ما فاتهم من عطائهم وما استغل من غلاتهم من يومئذ الى اليوم فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بني مروان ويفرض لكل واحد منهم فى شرف العطاء . وكان شرف العطاء يومئذ مائتي دينار فى السنة . ثم قال على الساعة بعشرة آلاف درهم تدفع الى هذا الفتي لنفقته فخرج الفتي من عنده بما لم يخرج به أحد ممن دخل عليه :

١١ — فرش ذكر خلفاء بني العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم —

أبو العباس السفاح : ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مستهل رجب سنة أربع ومائة . وبويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتوفى بالانبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان . وكان أبيض طويلا أقني الانف حسن الوجه حسن اللحية جعدها نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . وصلى عليه عمه عيسى بن على . ورزق

من الولد اثنين محمد من ام ولد ومات صغيرا وابنة سماها ريطة من أم ولد تزوجها المهدي واولدها عليا وعبيد الله . ووزر له ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو اول من لقب بالوزارة . فقتله ابو العباس واستوزر بعده خالد بن برمك الى آخر أيامه . وكان حاجبه أبو غسان صالح بن الهيثم . وقاضيه يحيي بن سعيد الانصارى ﴿ المنصور ﴾ وبويع أبو جعفر المنصور واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى اليوم الذى توفى فيه أخوه لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . وكان مولده بالشراة لسبع خلون من ذى الحجة سنة خمس وتسعين . وتوفى بمكة قبل التروية بيوم اسبع خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وهو محرم . ودفن بالحجون وصلى عليه ابراهيم بن يحيي بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة الا ثمانية أيام . وكان سنه ثلاثا وستين سنة . وامه امة اسمها سلامة وجنسها بربرية . وكان أسمر طوالا نحيف الجسم خفيف العارضين يخضب بالسواد ونقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن . وتزوج ابنة منصور الحميرية وولدت له محمدا وهو المهدى وجعفرا . وكانت شرطت عليه ان لا يتزوج ولا يتسري الا عن امرها وكان قد ابتاع جاريته ام على وجعلها قيمة فى ولده على ام موسي واولادها . فحظيت عند ام موسي وسالته التسرى بها المارأت من فضلها فواقعها فاولدها عليا . وتوفى قبل استكمال سنة . ثم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله فولدت له اسليمان وعيسى ويعقوب ورزق من امهات الاولاد صالحا وغالية وجعفرا والقاسم والعباس وعبد العزيز . ووزر له ابن عطية الباهلى . ثم ابو ايوب المورياني ، ثم الربيع مولاه . وكان حاجبه عيسى بن روضة مولاه ثم ابو الخصيب مولاه . وكان قاضيه عبد الله بن محمد بن صفوان : ثم شريك بن عبد الله والحسن بن عمار والحجاج بن ارطاة ﴿ المهدي ﴾ ثم بويع ابنه ابو عبد الله محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس صبيحة اليوم الذى توفى فيه ابوه لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة . وكان مولده بالحميمة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . وتوفى بماسبذان فى المحرم سنة تسع وستين ومائة وصلي عليه ابنه الرشيد فكانت خلافته عشر سنين وخمسة واربعين يوما . وكان سنه احدى واربعين سنة وثمانية اشهر ويومين . وكان اسمر طويلا معتدل الخلق جعد الشعر بعينه اليمني نكتة

بياض نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن . وتزوج ريطة بنت السفاح وولدها عليا وعبيد الله . وأول جارية ابتاعها بحياة فرزق منها ولدا مات قبل استكمال سنة : وكان يبتاع الجوارى باسمها وتقربهن اليه وأول من حظى منهن عنده رحيم ولدت له العباسة . ثم الخيزران فولدت له موسى وهرون والبانوقة ثم حلالة وحسنة فكانتا مغنيتين محسنتين . وتزوج سنة تسع وخمسين ومائة أم عبد الله بنت صالح بن على أخت الفضل وعبد الله واعتق الخيزران فى السنة وتزوجها . ووزر له أبو عبد الله معاوية بن عبد الله الاشعرى . ثم يعقوب بن داود السلمى . ثم الفيض بن أبى صالح . واستحجب سلامان الابرش . واستخلف عن القضاء محمد بن عبد الله بن علاثة وعافية بن يزيد كانا يقضيان معا في مسجد الرصافة ﴿ الهادي ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد موسي الهادى ابن المهدى مستهل صفر سنة تسع وستين ومائة . وتوفى ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة بعيسا باذ وصلى عليه أخوه الرشيد . وكانت خلافته سنة وشهرين الا اياما . وكانت سنه ستا وعشرين سنة وكان أبيض طويلا جسيما بشفته العليا تقلص نقش خاتمه الله ربى . وتزوج امة العزيز فاولدها عيسي . ثم رحيم فاولدها جعفرا . ثم سعوف فاولدها العباس . واشترى جارية حسنة بالف درهم وكانت شاعرة فرزدق منها عدة بنات . منهم أم عيسى تزوجها المامون . وكان له من أمهات الاولاد عبد الله واسحق وموسي وكان اعمى . ووزر له الربيع . ثم يونس . ثم عمر بن ربع . واستحجب الفضل بن الربيع وولى القضاء أبا يوسف يعقوب . ثم ابراهيم فى الجانب الغربي . وسعيد بن عبد الرحمن الجمحى بالجانب الشرقى ﴿ هرون الرشيد ﴾ ثم بويع أخوه أبو محمد هرون الرشيد في اليوم الذي توفى فيه أخوه يوم الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة . وفى هذه الليلة ولد عبد الله المامون ولم يكن فى سائر الزمان ليلة ولد فيها خليفة وتوفى فيها خليفة وقام فيها خليفة غيرها وكان مولد الرشيد فى المحرم سنة ثمان واربعين ومائة وتوفي فى جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ودفن بطوس وصلى عليه ابنه صالح فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وكانت سنه ستا وأربعين سنة وخمسة أشهر . ولما أفضت اليه الخلافة سلم عليه عمه سليمان بن المنصور والعباس ابن محمد عم أبيه وعبد الصمد بن علي عم جده . فعبد الصمد عم العباس والعباس عم سليمان وسليمان عم هرون . وكان الرشيد ابيض جسيما طويلا جميلا وقد وخطه الشيب نقش

خاتمه لا إله الا الله وخاتم آخر كن من الله على حذر . وتزوج زبيدة واسمها أمة العزيز وتكنى أم الواحد وزبيدة لقب لها وهى ابنة جعفر بن المنصور أولدها محمدا الامين . ثم مراجل فأولدها عبدالله المأمون . وماردة أولدها محمدا المعتصم ونادر ولدت له صالحا وشجا ولدت له خديجة ولبابة . وسريرة ولدت محمدا . وبربرية ولدت له أبا عيسى ثم القاسم وهو المؤتمن . وسكينة وحث فولدت له اسحق وأبا العباس . ووزر له جعفر بن يحيي بن خالد البرمكى وقتله . ثم الفضل بن الربيع واستحجب بشر بن ميمون مولاه . ثم محمد بن خالد بن برمك واستخلف على قضاء الجانب الغربي نوح بن دراج وحفص بن غياث ﴿ الامين ﴾ ثم بويع أبو عبدالله محمد الامين في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقتل يوم الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان مولده بالرصافة سنة أحدى وسبعين ومائة فى شوال . فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأياما صفا له الامر من جملتها سنتين وشهرا . وكانت الفتنة بينه وبين أخيه سنتين . وكان طويلا جسيما جميلا حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين أشقر سبطا صغير العينين به أثر جدرى نقش خاتمه محمد واثق بالله ورزق من الولد موسى من أم ولد تدعي نظما . ولقبه الناطق بالحق وضرب اسمه على الدراهم . وذكر الصولى قال حدثني من قرأ على درهم :

كل عز ومفخر * فلموسى المظفر
ملك خط ذكره * فى الكتاب المسطر

وماتت نظم فاشتد جزعه عليها فدخلت زبيدة معزية له . فقالت :

نفسي فداؤك لا يذهب بك التلف * ففى بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فكانت كل مرزية * من بعد موسي على مفقوده سلف

وبايع لابنه موسى فى حياته ولاخيه عبدالله وأمه أم ولد ونقش اسمه أيضا على الدراهم . وكان لجعفر بن موسى الهادى جارية اسمها بدل فطلبها الامين منه فأبى عليه . وكان شديد الوجد بها فزاره الامين يوما فسر به وزاد عليه فى الشرب حتى ثمل فانصرف وأخذ الجارية فلما أصبح جعفر ندم على ما جرى ولم يدر ما يصنع فدخل على الامين . فلما مثل بين يديه قال له أحسنت والله يا جعفر بدفعك بدل الينا وما أحسنا وقرزورقه على عشرين ألف ألف

درهم . ووزر للأمين الفضل بن الربيع الى آخر أيامه . وكان حاجبه العباس بن الفضل ابن الربيع . ثم علي بن صالح صاحب المصلى . ثم السندي بن شاهق ﴿ المأمون ﴾ ثم بويع أبو العباس عبد الله المأمون ابن هرون الرشيد بعد قتل أخيه يوم الخميس لخمس خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة وكان مولده بالناشرية في ليلة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة وتوفي بالبدندون سنة ثماني عشرة ومائتين لثمان خلون من رجب ودفن بطرسوس . فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما . وكان سنه ثمانا وأربعين سنة وأربعة أشهر الا أياما وكان أبيض تعلوه شقرة أجنى أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين بخده خال أسود وكان قد وخطه الشيب نقش خاتمه سل الله يعطك وكان الرشيد حد المأمون . وذلك انه دخل على الرشيد وعنده مغنية تغنيه فلحنت فكسر المأمون عينه عند اسماعه اللحن فتغير لون الجارية وفطن الرشيد لذلك . فقال أعلمتها بما صنعت . قال لا والله يا مولاى قال ولا أومأت اليها قال قد كان ذلك . فقال كن مني بمرأى ومسمع فاذا خرج اليك أمري فانته اليه . ثم أخذ دواة وقرطاسا وكتب اليه :

يا آخذ اللحن على الـ ـقينة عند الطرب
تريد أن تفهمها * حد لغات العرب
أقسم بالله وما * سطر أهل الكتب
للكلب خير أدبا * من بعض أهل الادب

اذا قرأت ما كتبت به اليك فامر من يضربك عشرين مقرعة جيادا . فدعا المأمون النوابين ثم أمرهم ببطحه وضربه فامتنعوا فاقسم عليهم فامتثلوا أمره . ورزق من الولد محمدا الاصغر وعبيد الله بن أم عيسي بنت موسي الهادى . وتزوج بوران بنت الحسن بن سهل بني بها سنة عشر ومائتين ووهب لابيها عشرة آلاف ألف درهم ولولده ألف ألف درهم وكان له عدة أولاد من بنين وبنات . ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم الحسن بن سهل . ثم أحمد بن أبي خالد الاحول . ثم أحمد بن يوسف . ثم ثابت بن يحيى . ثم محمد بن بزدار . واستحجب عبد الحميد بن شبيب . ثم محمدا وعليا ابني صالح مولى المنصور ﴿ المعتصم بالله ﴾ ثم بويع أخوه أبو اسحق المعتصم بن الرشيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثماني عشر

ومائتين وكان مولده فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة . وتوفى بسر من رأى يوم
الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين ومائتين وصلى عليه
ابنه هرون الواثق . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . وأمه أم ولد يقال لها ماردة
. وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعا مشرب اللون نقش خاتمه الله ثقة أبي اسحق
ابن الرشيد وبه يؤمن وكان شديد البأس حمل بابا من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلا وفوقه
عكام فيه مائتان وخمسون رطلا . وخطا خطا كثيرة وكان يسمي مابين أصبعي المعتصم
المقطرة لشدته وانه اعتمد يوما على غلام فدقه . وذكر الصولى انه كان يسمي المثمن .
وذلك انه الثامن من خلفائهم ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وولى الامر فى سنة ثمانى
عشرة ومائتين وله ثمان وأربعون سنة وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر . ورزق من
الولد الذكور ثمانية . ومن الاناث ثمانيا وغزا ثمان غزوات وخلف فى بيت ماله ثمانية
آلاف الف دينار ومن الورق ثمانية آلاف الف درهم . ووزر له الفضل بن مروان . ثم
أحمد بن عمار . ثم محمد بن عبد الملك الزيات واستحجب وصيفا مولاه . ثم محمد بن حماد ثم
دنفش ﴿ الواثق ﴾ ثم بويع ابنه أبو جعفر هرون الواثق صبيحة اليوم الذي توفى فيه أبوه
يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين .
وكان مولده يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وتوفى بسر من رأي
يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائتين . وصلى عليه أخوه
المتوكل . فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما وكان سنه ستا وثلاثين
سنة وأربعة أشهر وأياما . وكان أبيض الى الصفرة حسن الوجه جسيما في عينه اليمنى
نكتة بياض نقش خاتمه محمد رسول الله وخاتم آخر الواثق بالله ورزق من الولد محمد المهتدي .
وأمه أم ولد يقال لها قرب وعبد الله وأبا العباس أحمد وأبا اسحق محمد وأبا اسحق ابراهيم .
ووزر له محمد بن عبد الملك الزيات وحاجبه ايتاخ . ثم وصيف مولاه . ثم دنفش .
وقاضيه ابن أبي داود ﴿ المتوكل ﴾ ثم بويع أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل يوم الاربعاء
لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكان مولده يوم الاربعاء
لاحدي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست ومائتين . وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون
من شوال سنة سبع واربعين ومائتين ودفن فى القصر الجعفرى وصلى عليه ابنه المنتصر ولى
عهده . فكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام . وكان

سنه أربعين سنة الا ثمانيـة أيام . وكان أسمر كبير العينين نحيف الجسم خفيف العارضين نقش خاتمه على الهي اتكالي وكان كثير الولد . وزر له محمد بن عبد الملك الزيات . ثم محمد بن الفضل الجرجاني ثم عبيد الله بن يحيى بن خاقان واستحجب وصيفا التركي . ثم محمد بن عاصم . ثم ابراهيم بن سهل . وكان خليفته على القضاء يحيي بن أكثم ﴿ المنتصر ﴾ ثم بويع ابنه ابوجعفر محمد المنتصر لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لست خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين فكانت خلافته ستة أشهر . وسنه ستة وعشرين سنة الا ثلاثة أيام . وكان قصيرا أسمر ضخم الهامة عظيم البطن جسيما على عينه اليمنى أثر. نقش خاتمه يؤتى الحذر من مامنه. وعلى خاتم آخر انا من آل محمد الله ولي ومحمد . ورزق من الولد عليا وعبد الوهاب وعبد الله واحمد . ووزر له احمد بن الخصيب . وحاجبه وصيف ثم بغا . ثم ابن المرزبان ثم أوتامش ﴿ المستعين ﴾ ثم بويع المستعين أبو العباس احمد بن محمد بن المعتصم يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وخلع نفسه بموافقة المعتز بوساطة أبي جعفر المعروف بابن الكردبة يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر . وكان مولده يوم الثلاثاء لاربع خلون من رجب سنة احدى وعشرين ومائتين . وقتل بالقادسية بعد خلعه نفسه بتسعة أشهر . وأمه أم ولد يقال لها مخارق . وكان مربوعا أحمر الوجه أشقر مسمنا عريض المنكبين ضخم الكراديس خفيف العارضين بوجهه أثر جدري ألثغ بالسين نقش خاتمه في الاعتبار غني عن الاختبار . وزر له أحمد بن الخصيب فنكبه وقلد مكانه ابن يزداد . ثم شجاع بن القاسم كاتب اوتامش . وأوتامش هذا حاجبه . وكانت سنه احدى وثلاثين سنة الا ثمانية أيام ﴿ المعتز ﴾ ثم ولى أبو عبد الله محمد المعتز بن المتوكل يوم الجمعة لاربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكانت الفتنة قبل ذلك بينه وبين المستعين سنة وقتل عشية يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين . وكان مولده يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكانت خلافته منذ بويع له واجتمعت الكلمة عليه ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ومنذ بايعه أهل سر من رأى الى ان قتل أربع سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوما . وقتله صالح بن وصيف وكان

أبيض شديد البياض ربعة حسن الجسم على خده الايسر خال أسود الشعر . نقش خاتمه الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء . وزرله جعفر بن محمود الاسكافي . ثم عيسى بن فرخانشاه . ثم أحمد بن اسرائيل الانباري وحاجبه سماء بن صالح بن وصيف وكانت سنه أربعا وعشرين سنة وشهرين وأياما ﴿ المهتدي ﴾ ثم بويع المهتدي أبو عبد الله محمد بن الواثق بسر من راي يوم الاربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين . كان مولده يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائتين . وقتل بسر من رأى بسهم لحقه يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين فكانت خلافته أحد عشر شهرا واربعة عشر يوما . وكان سنه سبعا وثلاثين سنة واربعة أشهر وأحد عشر يوما وكان ابيض مشربا بحمرة صغير العينين اقنى الانف في عارضيه شيب . وخضب لما ولى الخلافة . نقش خاتمه من تعدى الحق ضاق مذهبه . وزرله أبو ايوب سليمان بن وهب . وحاجبه باك باك ﴿ المعتمد ﴾ ثم بويع ابو العباس احمد المعتمد بن المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين : وكان مولده يوم الثلاثاء لثمان بقين من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين . وتوفى ببغداد لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وكان سنه خمسين سنة وخمسة اشهر واثنين وعشرين يوما ومات اخوه وولى عهده طلحة الموفق في ايامه في صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان قد غلب على الامر لميل الناس اليه . وكان المعتمد قد عقد لولده جعفر ولقبه المفوض وبعده لابي احمد طلحة الموفق فاشتد امر الموفق . وقتل صاحب الزنج في سنة (١) ومال الناس اليه واسمه الناصر لدين الله وكان يدعي له على المنبر في ايام المعتمد : وكان الموفق حبس ابنه ابا العباس المعتضد . فلما حضرته الوفاة اطلقه للقيام بالامر واجري المعتمد امره على ما كان يجرى عليه امر ابيه الموفق وافرده بولاية العهد وامر بكتب الكتب بخلع ابنه المفوض . وافرد المعتضد بالعهد وجعله الخليفة بعده . وكان المعتمد اسمر مربوعا نحيف الجسم حسن العينين مدور الوجه على وجهه اثر جدري نقش خاتمه السعيد من كفى بغيره . ووزرله عبيد الله يحيى بن خاقان ثم سليمان بن وهب . ثم الحسن بن مخلد ثم صاعد بن مخلد . ثم أبو الصقر اسمعيل بن بلبل

(١) بياض بالاصل

حاجبه موسى بن بغا ثم جعفر بن بغا ثم بكتمر ﴿ المعتضد ﴾ و بويع المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق في رجب سنة سبع وسبعين ومائتين وكان مولده في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وتوفي ببغداد ليلة الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وصلى عليه أبو عمر القاضي : فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام . وكان سنه خمسا وأربعين سنة وتسعة أشهر وأياما . وأمه ضرار وكان نحيف الجسم معتدل القامة طويل اللحية أسمر نقش خاتمه . الاضطرار يزيل الاختيار . ووزر له عبيد الله ابن سليمان بن وهب . ثم ابنه القاسم بن عبيد الله وحاجبه صالح الامين ﴿ المكتفي ﴾ ثم بويع ابنه أبو محمد علي بن المعتضد يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وكان مولده في رجب سنة أربع وستين ومائتين . وتوفي ببغداد فدفن عند قبر أبيه ليلة الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما وأمه (١) وقيل خاضع . وكان ربعة حسن الوجه أسود الشعر وافر اللحية عريضها ولم يشب الى ان مات نقش خاتمه بالله أحمد بن الموفق يثق . وخلف في بيت ماله ستة عشر الف الف دينار ومن الورق ثلاثين الف الف درهم . ووزر له القاسم بن عبد الله ثم العباس . ثم الحسن بن أيوب . وحاجبه خفيف السمرقندي . ثم سوسن مولاه ﴿ المقتدر ﴾ ثم بويع المقتدر وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد في اليوم الذي توفي فيه أخوه يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وخلع في خلافته دفعتين الاولى بعد جلوسه باربعة أشهر وأيام بابن المعتز وبطل الامر من يومه والدفعة الثانية بعد احدى وعشرين سنة وشهرين ويومين من خلافته . وخلع نفسه وأشهد عليه واجلس القاهر يومين وبعض اليوم الثالث ووقع الخلف بين العسكرين وعاد المقتدر الى حاله : وكان مولده لثمان بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وقتل بالشماسية يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة . فكانت خلافته خمسا وعشرين سنة الاخمسة عشر يوما . وكان سنه ثمانيا وأربعين سنة وشهرا وعشرين يوما : وكان أبيض مشربا بحمرة حسن الخلق ضخم الجسم بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر مدور الوجه قد كثر الشيب في وجهه نقش خاتمه الحمد لله الذي

(١) بياض بالاصل

ليس كمثله شيء، وهو على كل شيء . وزر له العباس بن الحسن . ثم علي بن محمد بن موسى ابن الفرات . ثم عبيد الله بن خاقان . ثم أبو الحسن علي بن عيسى . ثم حامد بن العباس . ثم أحمد بن عبيد الله الحصيبي . ثم محمد بن علي بن مقلة . ثم سليمان ابن الحسن بن مخلد ثم عبيد الله الكلوداني . ثم الحسن بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . ثم الفضل بن جعفر بن الفرات واستحجب سوسنا مولى المكتفي ونصراً القشوري وياقوتا المعتضدى وابراهيم ومحمدا ابنى زائق ﴿ القاهر ﴾ ثم بويع أخوه أبو منصور محمد القاهر بن المعتضد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة . وخلع وسمل يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده لخمس خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثمانين ومائتين . وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام وعاش الى أيام المطيع وكان سنه (١) وكان ربعة أسمر اللون معتدل القامة اصهب الشعر . ووزر له أبو علي بن مقلة . ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم أحمد بن عبيد الله الحصيبي واستحجب علي بن يلبق مولى يونس . ثم سلامة الطولوني ﴿ الراضي ﴾ ثم بويع الراضي أبو العباس أحمد بن المقتدر يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين . ومات ببغداد ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة ودفن بالرصافة . وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام . وكان سنه احدى وثلاثين سنة وثمانية أشهر وأياما وأمه أم ولد يقال لها ظلوم وكان قصير القامة نحيف الجسم اسود الشعر رقيق السمرة في وجهه طول نقش خاتمه محمد رسول الله . ووزر له أبو علي بن مقلة . ثم ابنه أبو الحسين . ثم عبد الرحمن بن عيسى . ثم محمد بن القاسم الكرخي . ثم سليمان بن الحسن . ثم الفضل بن جعفر . ثم أبو عبد الله البزيدى واستحجب محمد بن ياقوت . ثم ذكيا مولاه ﴿ المتقي ﴾ ثم بويع أخوه المتقي ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسمل يوم السبت لثمان خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة . وكان مولده في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين . وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا الا أياما . وكان أبيض

---

(١) بياض بالاصل

تعلوه حمرة أصهب شعر اللحية كث اللحية بفكه أدنى عوج نقش خاتمه محمد رسول الله ـ وزرله أحمد بن محمد بن ميمون ثم اليزيدى . ثم سليمان بن الحسن . ثم أبو اسحق محمد بن أحمد العرابطي . ثم محمد بن القاسم الكرجى . ثم أحمد بن عبد الله الاصبهانى . ثم على بن محمد بن مقلة واستحجب سلامة مولى خماروبه بن أحمد . ثم بدر الحرشني . ثم سلامة الطولونى . ثم عبد الرحمن بن أحمد بن خاقان المفلحى ﴿ المستكفى ﴾ ثم بويع أبو القاسم عبد الله بن على المستكفى فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بالسندية عقيب كسوف القمر وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . فكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وأياما . وكان مولده مستهل سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة . وكانت سنه سبعا وأربعين سنة ـ وأمه أم ولد يقال لها غصن . وكان أبيض تعلوه حمرة ضخم الجسم تام الطول خفيف العارضين كبير العينين اشهل جهوري الصوت نقش خاتمه محمد رسول الله . وزر له محمد ابن على السرمن رأى : واستكتب بعده أبا أحمد الفضل بن عبد الله الشيرازي ـ واستحجب أحمد بن خاقان ﴿ المطيع ﴾ ثم بويع المطيع أبو القاسم الفضل بن المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وخلع نفسه ببغداد لسبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وثلثمائة . وكان مولده فى النصف من ذي القعدة سنة احدى وثلثمائة وتوفى فى (١) فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة ثلاثة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد تدعى مشعلة وكان سنه (٢) وكان شديد البياض اسود شعر الرأس واللحية . وزرله على بن محمد بن مقلة والناظر فى الامور أبو جعفر الصيمري كاتب أحمد بن بويه . ثم استولى على اسم الوزارة . وكتب للمطيع الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى . ومات وقام مقامه أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي وحاجبه عز الدولة بختيار بن معز الدولة ✻ تم كتاب اليتيمة الثانية

(١) بياض بالاصل

(٢) بياض بالاصل

١٦

فرش كتاب الدرة الثانية

﴿ فى أيام العرب ووقائعها ﴾

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رضي الله عنه : قد مضى قولنا فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعها فانها مآثر الجاهلية ومكارم الاخلاق السنية . قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم في مجالسكم . قال كنا نتناشد الشعر ونتحدث باخبار جاهليتنا وقال بعضهم وددت أن لنا مع اسلامنا كرم أخلاق آبائنا فى الجاهلية . ألا ترى ان عنترة الفوارس جاهلى لا دين له والحسن بن هانىء اسلامى له دين فمنع عنترة كرمه ما لم يمنع الحسن بن هانىء دينه فقال عنترة فى ذلك :

أغض طرفى ان بدت لى جارتى * حتى يوارى جارتى مأواها

وقال الحسن بن هانىء مع اسلامه :

كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل

والباعثي والناس قد رقدوا * حتى أتيت حليلة البعل

١ — حروب قيس فى الجاهلية — يوم منعج لغني على عبس . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى يوم منعج يقال له يوم الردهة . وفيه قتل شاس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي بمنعج على الردهة . وذلك ان شاس بن زهير أقبل من عند النعمان بن المنذر . وكان قد حباه بحباء جزيل وكان فيما حباه قطيفة حمراء ذات هدب وطيلسان وطيب . فورد منعج وهو ماء لغنى فاناخ راحلته الى جانب الردهة وعليها خباء رياح بن الاسل الغنوى وجعل يغتسل وامرأة رياح تنظر اليه وهو مثل الثور الابيض . فانتزعه رياح بسهم فقتله ونحر ناقته فاكلها وضم متاعه وغيب أثره وفقد شاس بن زهير حتى وجدوا القطيفة الحمراء بسوق عكاظ قد سامتها امرأة رياح بن الاسل . فعلموا ان رياحا صاحب ثارهم فغزت بنو عبس غنيا قبل أن يطلبوا

قودا أودية مع الحسين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة . فلما بلغ ذلك غنيا قالوا لرياح انج لعلنا نصالح القوم على شيء . فخرج رياح رديفا لرجل من بني كلاب لا يريان الا أنهما قد خالفا وجهة القوم فمر صرد على رؤسهما فصرصر . فقال ماهذا فما راعهما الا خيل بني عبس فقال الكلابي لرياح انحدر من خلفي والتمس نفقا في الارض فاني شاغل القوم عنك . فانحدر رياح عن عجز الجمل حتى أتى صعدة فاحتفر تحتها مثل مكان الارنب وولج فيه ومضي صاحبه فسالوه فحدثهم . وقال هذه غني جامعة وقد استمكنتم منهم فصدقوه وخلوا سبيله . فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه فقالوا من الذي كان خلفك فقال لا أكذب رياح بن الاسل وهو في تلك الصعدات . فقال الحصينان لمن معهما قد أمكننا الله من ثار نا ولا نريدان يشركنا فيه أحد فوقفوا عنهما ومضوا فجعلا يريغان رياح ابن الاسل بالصعدات . فقال لهما هذا عز الكماة الذي تريغانه فابتدراه فرمي أحدهما بسهم فاقصده وطعنه الآخر قبل ان يرميه فاخطاه ومرت به الفرس واستدبره رياح بسهم فقتله . ثم نجا حتي أتى قومه وانصرفا خائبين موتورين . وفي ذلك يقول الكميت ابن زيد الاسدى وكان له أبان من غني :

أنا ابن غني والدى كلاهما * لامين منهم فى الفروع وفى الاصل
هم استودعوا زهرا انسيب بن سالم * وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل
وهم قتلوا شاس الملوك وارغموا * اباه زهيرا بالمذلة والنكل

٢ — يوم النفراوات لبنى عامر على بنى عبس — فيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى . وكانت هوازن تؤدي اليه اتاوة وهي الخراج فاتته يوما عجوز من بنى نصر بن معاوية بسمن فى نحى واعتذرت اليه وشكت سنين تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعسها بقوس فى يده عطل فى صدرها فاستلقت على قفاها منكشفة فتالى خالد بن جعفر وقال والله لاجعلن ذراعى فى عنقه حتي يقتل اواقتل . وكان زهير عدوسا مقداما لا يبالى ما أقدم عليه فاستقل اي انفرد من قومه بابنيه وبنى أخويه اسيد وزنباع يرعي الغيث فى عشر أورات له وشول فاتاه الحرث بن الشريد وكانت تماضر بنت الشريد تحت زهير . فلما عرف الحرث مكانه ابرز اليه بنى عامر بن صعصعة رهط خالد بن جعفر فركب منهم ستة فوارس فيهم خالد بن جعفر وصخر بن الشريد . وخرج ابن البكاء ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرات ويقال لمعاوية الاخيل وهو جد ليلى الاخيلية وثلاثة فوارس من سائر بنى عامر . فقال أسيد لزهير اعلمتني راعية

غنمي انها رأت على رأس الثنية اشباحا ولا أحسبها الا خيل بني عامر فالحق بنا بقومنا . فقال زهير كل ازب نفور وكان اسيد أسعر القفا فذهبت مثلا فتحمل أسيد بمن معه وبقي زهير وابناه ورقاء والحرث وصبحتهم الفوارس : فمرت بزهير فرسه القعساء ولحقه خالد ومعاوية الاخيل فطعن معاوية القعساء فقلبت زهيرا وخر خالد فوقه فرفع المغفر عن رأس زهير . وقال يا آل عامر اقبلوا جميعا فاقبل معاوية فضرب زهيرا على مفرق رأسه ضربة بلغت الدماغ واقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا وعليه درعان فلم يغن شيئا واجهض ابنا زهير القوم عن زهير واحتملاه وقد أثخنته الضربة فمنعوه الماء . فقال أميت أنا عطشا اسقوني الماء وان كان فيه نفسي فسقوه فمات بعد ثلاثة أيام . فقال في ذلك ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فاقبلت أسعى كالعجول ابادر
الى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم أضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر
فياليت اني قبل أيام خالد * ويوم زهير لم تلدني تماضر
لعمري لقد بشرت بي اذ ولدتني * فماذا الذي ردت اليك البشائر

وقال خالد بن جعفر في قتله زهيرا

بل كيف تكفرني هوازن بعدما * أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر بناتهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

٣ — يوم بطن عاقل لذبيان على عامر — فيه قتل خالد بن جعفر ببطن عاقل

وذلك ان خالدا قدم على الاسود بن المنذر أخي النعمان بن المنذر ومع خالد عروة الرجال بن عتبة ابن جعفر فالتقي خالد بن جعفر والحرث بن ظالم بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان عند الاسود بن المنذر . قال فدعا لهما الاسود بتمر فجيء به على نطع فجعل بين أيديهم فجعل خالد يقول للحرث بن ظالم يا حارث ألا تشكر يدي عندك ان قتلت عنك سيد قومك زهيرا وتركتك سيدهم : قال ساجزيك شكر ذلك . فلما خرج الحرث قال الاسود لخالد مادعاك الى ان تحترش بهذا الكلب وانت ضيفي . فقال له خالد انما هو عبد من عبيدي لو وجدني نائما

ما أيقظني وانصرف خالد الى قبته فلامه عروة الرحال . ثم ناما وقد أشرجت عليهما القبة ومع الحرث تبيع له من بنى محارب يقال له خراش . فلما هدأت العيون أخرج الحرث ناقته وقال لخراش كن لى بمكان كذا فان طلع كوكب الصبح ولم آتك فانظر أي البلاد أحب اليك فاعمد لها ثم انطلق الحرث حتى اتي قبة خالد فهتك شرجها . ثم ولجها وقال لعروة اسكت فلا باس عليك وزعم أبو عبيدة انه لم يشعر به حتي أتى خالدا وهو نائم فقتله ونادى عروة عند ذلك واجوار الملك فاقبل اليه الناس وسمع الهتاف الاسود بن المنذر وعنده امرأة من بني عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وصرخت . وفى ذلك يقول عبدالله بن جعدة :

شقت عليك العامرية جيبها * أسفا وماتبكى عليك ضلالا
ياحار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معزالا
واغرورقت عيناى لما أبصرت * بالجعفرى وأسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سراوتكم * ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رأيتم عارضا متلبيا * منا فانا لانحاول مالا

٤ — يوم رحرحان لعامر على تميم — قال وهرب الحرث بن ظالم ونبت به البلاد فلجا الى معبد بن زرارة وقد هلك زرارة فاجاره . فقالت بنو تميم لعبد مالك آويت هذا المشؤم الانكد وأغريت بنا الاسود وخذلوه غير بنى ماوية وبني عبدالله بن دارم . وفى ذلك يقول لقيط بن زرارة :

فاما نهشل وبنو نعيم * فلم يصبر لنا منهم صبور
فان تعمد طهية فى أمور * تجدها ليس لها نصير
ويربوع باسفل ذى طلوح * وعمرو لاتحل ولا تسير
أسيد والهجيم لها حصاص * وأقوام من الجعراء عور
وأسابنا قبائل من تميم * لها عدد اذا حسبوا أكثير
وأما الأيمان بنو عدي * وتيم ان تدبرت الامور
فلاتنم بهم فتيان حرب * اذا ما الحى صبحهم نذير
اذا ذهبت رماحهم بزبد * فان رماح زيد لاتضير

قال وبلغ الاحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحرث بن ظالم عند معبد فاغزا معبدا فالتقوا برحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر ابن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم في فدائه فقال لهما الكما عندي مائتا بعير . فقالا يا أبا نهشل انت سيد الناس وأخوك معبد سيد مضر فلا تقبل فيه الادية ملك فابى ان يزيدهم . وقال لهم ان أبانا أوصانا ان لا نزيد أحدا في ديته على مائتي بعير . فقال معبد للقيط لا تدعني يالقيط فوالله لئن تركتني لا تراني بعدها أبدا : قال صبرا أبا القعقاع فاين وصاة أبينا ان لا توكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذؤب بكم ذؤبان العرب ورحل لقيط عن القوم . قال فمنعوا معبدا الماء وضاروه حتى مات هزالا وقيل أبي معبد ان يطعم شيئا أو يشرب حتى مات هزالا . ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل :

قضينا الحزن من عبس وكانت * منية معبد فينا هزالا

وقال جرير :

وليلة وادي رحرحان فررتم * فرارا ولم تلووا زفيف النعائم
تركتم أبا القعقاع في الغل مصفدا * وأي أخ لم تسلموا في الاداهم

وقال آخر :

وبرحرحان غداة كبل معبد * نكحوا بناتكم بغير مهور

٥ — يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم — قال أبو عبيدة : يوم شعب جبلة أعظم أيام العرب وذلك انه لما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر والب عليهم . وبين أيام رحرحان ويوم جبلة سنة كاملة . وكان يوم شعب جبلة قبل الاسلام باربعين سنة وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم . وكانت بنو عبس يومئذ في بني عامر حلفاء لهم فاستعدى لقيط بني ذبيان لعداوتهم لبني عبس من أجل حرب داحس فاجابته غطفان كلها غير بني بدر . وتجمعت لهم تميم كلها غير بني سعد . وخرجت معه بنو أسد لحلف كان بينهم وبين غطفان حتى أتى لقيط الجون الكلبي وهو ملك هجر . وكان يجبى من بها من العرب . فقال له هل لك في قوم عادين قد ملؤا الارض نعما وشاء فترسل معي ابنيك فما أصبنا من مال وسبي فلهما وما أصبنا من دم فلي فاجابه الجون الى ذلك وجعل له موعدا رأس الحول . ثم

أتى لقيط النعمان بن المنذر فاستنجده وأطعمه فى الغنائم فاجابه . وكان لقيط وجيها عند الملوك فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان انهلت الجيوش الى لقيط وأقبل سنان ابن ابي حارثة المري فى غطفان وهو والدهرم بن سنان الجواد . وجاءت بنو أسد وأرسل الجون ابنيه معاوية وعمرا وأرسل النعمان أخاه لامه حسان بن وبرة الكلبي . فلما توافوا اخرجوا الى بني عامر وقد اندروا بهم وتاهبوا لهم . فقال الاحوص بن جعفر وهو يومئذ رحاها وازن لقيس بن زهير ما ترى فانك تزعم انه لم يعرض لك أمران الا وجدت فى احدها الفرج . فقال قيس بن زهير الراى ان ترتحل بالعيال والاموال حتى ندخل شعب جبلة فنقاتل القوم دونها من وجه واحد فانهم داخلون عليك الشعب وان لقيطا رجل فيه طيش فسيقتحم عليك الجبل فارى لك ان تامر بالابل فلا ترعي ولا تسقى وتعقل ثم نجعل الذرارى وراء ظهورنا وتامر الرجال فتاخذ باذناب الابل فاذا دخلوا علينا الشعب حلت الرجالة عقل الابل ثم لزمت أذنابها فانها تنحدر عليهم ونحن الى مرعاها وورودها ولا يرد وجوهها شيء وتخرج الفرسان فى أثر الرجالة الذين خلف الابل فانها تحطم ما لقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل قال الاحوص نعم ما رأيت . فاخذ برأيه ومع بنى عامر يومئذ بنو عبس وغنى فى بنى كلاب وباهلة فى بني صعب والابناء ابناء صعصعة . وكان رهط المعقر البارقي يومئذ فى بنى نمير بن عامر . وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس . قال أبو عبيدة : وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بني عامر قد دخلوا شعب جبلة فنزلوا على فم الشعب . فقال لهم رجل من بني أسد خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويخرجوا . فوالله ليتساقطن عليكم تساقط البعر من است البعير فاتوا حتى دخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الابل وعطشوها ثلاثة أخماس وذلك اثنتا عشرة ليلة ولم تطعم شيئا . فلما دخلوا حلوا عقلها فاقبلت تهوى . فسمع القوم دويها فى الشعب قد هدم عليهم والرجالة فى اثرها آخذين باذنابها فدقت كلما لقيت وفيها بعير اعور يتلوه غلام أعسر آخذ بذنبه وهو يرتجز ويقول :

أنا الغلام الاعسر * الخير فى والشر * والشر مني اكثر

فانهزموا لا يلوون على احد . وقتل لقيط بن زراة . وأسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة واسر سنان بن أبي حارثة المرى أسره عروة الرحال فجز ناصيته واطلقه فلم تشنه . واسر عمرو ابن ابي عمرو بن عوين أسره قيس بن المنفق فجز ناصيته وخلاه طمعا فى المكافاة فلم يفعل

وقتل معاوية بن الجون و منقذ بن طريف الاسدى ومالك بن ربعى بن جندل بن نهشل .
فقال جرير

كانك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعا يال دارم
ويوم الصفا كنتم عبيد العامر * وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم

يعنى بالحزن يوم لقيط . وقال جرير أيضا فى بني دارم :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا * كان عليه حلة ارجوان
وكبل حاجب بالشام حولا * فحكم ذا الرقيبة وهو عان

وقالت دختنوس أخت لقيط ترثى لقيطا :

فرت بنو اسد فرا * والطير عن أربابها
عن خير خندف كلها * من كهلها وشبابها
وأتمها حسبا اذا * ضمت الى أحسابها

وقال المعقر البارقى :

أمن آل شعثاء الحمول البواكر * مع الصبح أم زالت قبيل الاباعر
وحلت سليمي فى هضاب وأيكة * فليس عليها يوم ذلك قادر
فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر
فصبحها أملاكها بكتيبة * عليها اذا أمست من الله ناظر
معاوية بن الجون ذبيان حوله * وحسان فى جمع الرباب مكاثر
وقد رجعت دودان تبغي لثارها * وجاشت تميم كالفحول تخاطر
وقد جمعوا جمعا كان زهاءه * جراد هفا فى هبوة متطاير
فمروا باطناب البيوت فردهم * رجال باطناب البيوت مساعر
فباتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة * لنا مسمعات بالدفوف وزامر
فلم نقرهم شيا ولكن قراهم * صبوح لدينا مطلع الشمس حازر
وصبحهم عند الشروق كتائب * كاركان سلمى سيرها متواتر
كان نعام الدوباض عليهم * وأعينهم تحت الحبيك خوازر

من الضار بين الهام يمشون مقدما * اذا غص بالريق القليل الحناجر
أظن سراة القوم ان لن يقاتلوا * اذا دعيت بالسفح عبس وعامر
ضربنا جميل البيض فى غمر لجة * فلم ينج فى الناجين منهم مفاخر
هوي زهدم تحت العجاج لعامر * كما انقض بازأقتم الريش كاسر
يفرج عنا كل ثغر نخافه * مشيح كسرحان القصيمة ضامر
وكل طموح فى العنان كانها * اذا اغتمست فى الماء فتخاء كاسر
لها ناهض فى الوكر قدمهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
تخاف نساء يبتززن حليلها * محربة قد أحردتها الضرائر

استعار هذا البيت فالقت عصاها من المعقر البارقى اذ كان مثلا فى الناس راشد بن عبد ربه السلمي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . ووجه راشد بن عبد ربه السلمي أميرا على المظالم والقضاء فقال راشد بن عبد ربه :

صحا القلب عن سلمى واقصر شاوه * وردت عليه تبتغيه تماضر
وحلمه شيب القذال عن الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فاقصر جهلى اليوم وارتد باطلى * عن اللهو لما ابيض مني الغدائر
على انه قد هاجه بعد صحوه * بمفرض ذى الآجام عيس بواكر
ولما دنت من جانب الغوط أخصبت * وحلت فلاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان ان ليس بينها * وبين قري بصرى ونجران كافر
فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فاستعار هذا البيت الاخير من المعقر البارقى ولا أحسبه استجاز ذلك الا لاستعمال العامة له وتمثلهم به :

٦ — يوم مقتل الحرث بن ظالم بالحريبة — قال أبو عبيدة : لما قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر الكلابى أتي صديقا له من كندة فالتف عليه فطلبه الملك فخفى ذكره حتى شخص من عند الكندى وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بنى عجل بن لجيم . فقام بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا لعجل أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم فانه لا طاقة لنا

بالشهباء ودوسر وهما كتيبتان للاسود بن المنذر ولا بمحاربة الملك فابت ذلك عليهم عجل . فلما رأي ذلك الحرث بن ظالم كره أن يقع بينهم فتنة بسببه فارتحل من بني عجل الى جبل طيىء فأجاروه فقال فى ذلك :

لعمرى لقد حانت بى اليوم ناقتى * على ناصر من طيىء غير خاذل
فأصبحت جارا للمجرة فيهم * على باذخ يعلو يد المتطاول
اذا اجا ألفت عـلى شعابها * وسلمى فاني انتم من تناولى

فمكث عندهم حينا . ثم ان الاسود بن المنذر لما أعجزه أمره أرسل الى جارات كن للحرث ابن ظالم فاستاقهن وأموالهن فبلغ ذلك الحرث بن ظالم فخرج من الجبلين فاندس الحرث بن ظالم فى الناس حتي علم مكان جاراته ومرعى ابلهن فاتاهن فاستنقذهن واستاق ابلهن فالحقهن بقومهن واندس فى بلاد غطفان حتي أتى سنان بن أبي حارثة المري وهو أبو هرم الذى كان يمدحه زهير . وكان الاسود بن المنذر قد استرضع ابنه شرحبيل عند سلمي امرأة سنان وهى من بني غنم بن دودان بن أسد . فكانت لا تأمن على ابن الملك أحدا فاستعار الحرث بن ظالم سرج سنان وهو في ناحية الشربة لا يعلم سنان ما يريد واتى بالسرج امرأة سنان وقال لها يقول لك بعلك ابعثي ابنك مع الحرث فاني أريد ان استأمن له الملك وهذا سرجه آية ذلك . قال فزينته سلمى ودفعته اليه فاتى به ناحية من الشربة فقتله . وقال فى ذلك :

اخصى حمار بات يكدم لجمه * اتؤكل جاراتى وجارك سالم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الا كارم
فتكت به لما فتكت بخالد * وكان سلاحي تحتويه الجماجم
بدأت بذاك وانثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم

قال وهرب الحرث من فوره ذلك وهرب سنان بن أبي حارثة . فلما بلغ الاسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذبيان فقتل وسبي وأخذ الاموال وأغار على بني دودان رهط سلمي التي كان شرحبيل فى حجرها فقتلهم وسباهم فنشط لذلك . قال فوجد بعد ذلك نعلى شرحبيل فى ناحية الشربة عند بني محارب بن خصفة فغزاهم الملك . ثم أسرهم ثم أحمى الصفا . وقال انى أحذيكم نعالا فامشاهم على ذلك الصفا فتساقطت أقدامهم . ثم ان سيار بن عمرو بن جابر الفزارى احتمل للاسود دية ابنه الف بعير وهي دية الملوك ورهنه بها قوسه فوفاه بها . فقال فى ذلك :

ونحن رهنا القوس ثمة نوديت * بألف على ظهر الفزاري اقرعا
بعشر مئين للملوك وفى بهـا * ليحمد سيار بن عمـرو فاسرعا

فكان هذا قبل قوس حاجب . وقال في ذلك أيضا :

وهـل وجدتم حاملا كحامل * اذ رهن القوس بالف كافـل
بدية للملك الحـلاحـل * فافتكها من قبـل عام قابل

وهرب الحرث فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به فأجاره . وكان من سببه وقعة رحرحان التي تقدم ذكرها . ثم هرب الحرث حتى لحق بمكة وقريش لانه يقال ان مرة بن عوف بن سعد أبا ذبيان انما هو مرة بن عوف بن لؤى بن غالب فتوسل اليهم بهذه القرابة . وقال فى ذلك :

اذا فارقت ثعلبة بن سعد * واخوتهم نسبت الى لؤى
الى نسب كريم غير دغل * وحي من أكارم كل حى
فان يك منهم أصلى فمنهم * قرابين الاله بنـو قصى

فقالوا هذه رحم كرشاء اذا استغنيتم عنها ادبرتم . قال فشخص الحرث عنهم غضبان . وقال فى ذلك :

ألا لستم منا ولا نحن منكم * برئنا اليكم من لؤي بن غالب
غدونا على نشز الحجاز وأنتم * بمنشعب البطحاء بين الاخاشب

وتوجه الحرث بن ظالم الي الشام فلحق بيزيد بن عمر والغساني فاجاره واكرمه . وكان ليزيد ناقة محماة فى عنقها مدية وزناد وصرة ملح وانما كان يمتحن بها رعيته لينظر من يجترىء عليه فوحمت امرأة الحرث فاشتهت شحما فى وحمها فانطلق الحرث الى ناقة الملك فانتحرها وأتاها بشحمها وفقدت الناقة فارسل الملك الى الحسن التغلبي . وكان كاهنا فساله عن الناقة فاخبره ان الحرث صاحبها فهم الملك به . ثم تذمم من ذلك وأوجس الحرث فى نفسه شرا فاتي الحسن التغلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك فامر بقتله فقال أيها الملك انك قد أجرتنى فلا تغدرن بى . فقال لاضير ان غدرت بك مرة لقد غدرت بي مرارا وأمر ابن الحسن فقتله وأخذ ابن الحسن سيف الحرث فاتى به عكاظ فى الاشهر الحرم فاراه قيس بن زهير العبسى فضربه قيس فقتله . وقال يرثى الحرث بن ظالم :

وماقصرت من حاضر دون سرها * أبر وأوفى منك حار بن ظالم
أعز وأحمى عند جار وذمة * وأضرب فى كاب من النقع قاتم

٧ — حرب داحس والغبراء — وهي من حروب قيس . قال أبو عبيدة :
حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابنى بغيض بن ريث بن غطفان . وكان السبب الذى هاجها ان قيس بن زهير وحمل ابن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق . وكان داحس فحلا لقيس بن زهير والغبراء حجرة لحمل بن بدر وتواضعا الرهان على مائة بعير وجعلا منتهي الغاية مائة غلوة والاضمار أربعين ليلة ثم قادوهما الى رأس الميدان بعدان أضمروهما أربعين ليلة وفى طرف الغاية شعاب كثيرة فاكمن حمل بن بدر فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا وجهه عن الغاية . قال فارسلوهما فاحضرا . فلما احضرا خرجت الانثي من الفحل . فقال حمل بن بدر سبقتك ياقيس فقال قيس رويدا يعدوان الجرد الى الوعث وترشح أعطاف الفحل . قال فلما أوغلا فى الجرد وخرجا الى الوعث برز داحس عن الغبراء فقال قيس جرى المذكيات غلاء فذهبت مثلا . فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية وثبوا فى وجه داحس فردوه عن الغاية . ففى ذلك يقول قيس بن زهير :

وملاقيت من حمل بن بدر * واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا على بغير فخر * وردوا دون غايته جوادى

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابني بغيض فبقيت أربعين سنة لم تنتج لهم ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحرب فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق . فقال قيس كلا لامطلتك به . ثم أخذ الرمح فطعنه به فدق صلبه ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء وزعموا ان الربيع بن زياد العبسى حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس . ثم أن مالك بن زهير نزل اللقاطة من أرض الشربة فاخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله . ففى ذلك يقول عنترة الفوارس :

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة * وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو عبس مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا فأبي حذيفة أن يرد شيئا . وكان

الربيع بن زياد مجاورا لبني فزارة ولم يكن في العرب مثله ومثل اخوته . وكان يقال لهم الكملة وكان مشاحنا لقيس بن زهير من سبب درع لقيس غلبه عليها الربيع بن زياد فاطرد قيس لبونا لبني زياد فاتي بها مكة فعاوض بها عبد الله بن جدعان بسلاح . وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

ألم يأتيك والانباء تنمي * بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى * بادراع وأسياف حداد
وكنت اذا بليت بخصم سوء * دلفت له بداهية الفؤاد

ولما قتل مالك بن زهير قامت بنو فزارة يسالون ويقولون مافعل حماركم قالوا اصدناه . فقال الربيع ماهذا الوحي . قالوا قتلنا مالك بن زهير . قال بئسما فعلتم بقومكم قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم . قالوا لولا انك جارنا لقتلناك وكانت حفرة الجار ثلاثا فقالوا له بعد ثلاث ليال اخرج عنا فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه وأتاه قيس بن زهير فعاقده . وفي ذلك يقول الربيع :

فان تك حربكم أمست عوانا * فاني لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة ارثوها * وحشوا نارها لمن اصطلاها
فاني غير خاذلكم ولكن * ساسعى الان اذ بلغت مداها

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان الى بني فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع ابن زياد ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر

٨ — يوم المريقب لبني عبس على فزارة — فالتقوا بذي المريقب من أرض الشربة فاقتتلوا . فكانت الشوكة في بني فزارة قتل منهم عوف بن زيد بن عمرو بن أبي الحصين أحد بني عدي بن فزارة وضمضم أبو الحصين المري قتله عنترة الفوارس ونفر كثير ممن لا يعرف أسماؤهم . فبلغ عنترة ان حصينا وهرما ابني ضمضم يشتمانه ويواعدانه . فقال في قصيدته التي أولها :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
ولقد خشيت بان أموت ولم تدر * للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما * والناذرين اذا لم القهما دمي
ان يفعلا فلقد تركت أباهما * جزر السباع وكل نسر قشعم

لما رآني قد نزلت أريده * أبدى نواجذه لغير تبسم

وفي هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

ولقد علمت اذا التقت فرسانها * يوم المريقب ان ظنك أحمق

٩ — يوم ذى حسا لذبيان على عبس — ثم ان ذبيان تجمعت لما اصابت بنو عبس منهم يوم المريقب فزارة بن ذبيان ومرة بن عوف بن سفيان بن ذبيان وأحلافهم فنزلوا فتوافوا بذى حسا وهو وادى الصفا من أرض الشربة وبينها وبين قطن ثلاث ليال وبينها و بين اليعمرية ليلة فهرب بنو عبس وخافوا ان لا تقوم بجماعة بني ذبيان واتبعوهم حتى لحقوهم فقالوا التفاني أو تقيدون . فاشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد ان لا يناجزوهم وان يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم . فتوافقوا ان يكون رهنهم عند سبيع بن عمرو احد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان : فدفعوا اليه ثمانية من الصبيان وانصرفوا وتكاف الناس . وكان رأى الربيع مناجزتهم فصرفه قيس عن ذلك . فقال الربيع :

أقول ولم أملك لقيس نصيحة * أري ما ترى والله بالغيب أعلم

أتبقى على ذبيان في قتل مالك * فقد حش جاني الحرب نارا تضرم

فمكث رهنهم عند سبيع بن عمرو حتى حضرته الوفاة . فقال لابنه مالك بن سبيع ان عندك مكرمة لا تضيع ان أنت حفظت هؤلاء الاغيلمة . فكأني بك لو مت قد أتاك خالك حذيفة ابن بدر فعصر لك عينيه . وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم فلا تشرف بعدها أبدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم . فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتي دفعهم اليه فاتي بهم اليعمرية فجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا ويقول ناد اباك فينادي أباه حتى يقتله

١٠ — يوم اليعمرية لعبس على ذبيان — فلما بلغ ذلك من فعل حذيفة بني عبس أتوهم باليعمرية . فلقوهم بالحرة حرة اليعمرية فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا منهم مالك بن سبيع الذى بذي بالغلمة الى حذيفة وأخوه يزيد بن سبيع وعامر ابن لوذان والحرث بن زيد وهرم بن ضمضم أخو حصين ويقال ليوم اليعمرية يوم نفر لان بينهما أقل من نصف يوم

١١ — يوم الهباءة لعبس على ذبيان — ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ الى جنب جفر الهباءة واقتتلوا من بكرة حتى انتصف النهار وحجز الحر بينهم . وكان حذيفة ابن بدر يحرق فخذيه الركض . فقال قيس بن زهير يا بني عبس ان حذيفة غدا اذا احتدمت الوديقة مستنقع في جفر الهباءة فعليكم بها فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف فرس حذيفة والحنفاء فرس حمل بن بدر فقال قيس بن زهير هذا أثر الحنفاء وصارف فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة فبصر بهم حمل بن بدر . فقال لهم من أبغض الناس اليكم ان يقف على رؤسكم قالوا قيس بن زهير والربيع بن زياد . فقال هذا قيس بن زهير قد أتاكم فلم ينقض كلامه حتى وقف قيس وأصحابه على جفر الهباءة وقيس يقول لبيكم لبيكم يعني اجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم اذ يقتلون . وفي الجفر حذيفة وحمل ابنا بدر ومالك بن بدر وورقاء بن هلال من بني ثعلبة بن سعد وحسن بن وهب فوقف عليهم شداد ابن معاوية العبسي وهو فارس جروة وجروة فرسه ولها يقول :

ومن يك سائلا عني فاني * وجروة كالشحا تحت الوريد
أقوتها بقوتي ان شتونا * وألحفها ردائي في الجليد

فحال بينهم وبين خيلهم ثم توافت فرسان بني عبس . فقال حمل ناشدتك الله والرحم يا قيس فقال لبيكم لبيكم فعرف حذيفة انه لن يدعهم فانتهر حملا وقال اياك والمأثور من الكلام فذهبت مثلا وقال لقيس لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها فقال قيس أبعدها الله ولا أصلحها وجاءه قرواش بمعبلة فقصم صلبه وابتدره الحرث ابن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباه بسيفيهما حتى ذففا عليه وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر . فقال قيس بن زهير يرثيه :

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة مايريم
ولولا ظلمه مازلت أبكي * عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغي والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي * وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوج على ومستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل هو بالغلمة فقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه وجعلوا لسانه في أسته وفيه يقول قائلهم :

فان قتيلا بالهباءة فى استه * صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها نهدكم عن ضلالكم * وتعرف اذا ما فض عنها الخواتم

وقال فى ذلك عقيل بن علفة المرى :

ويوقد عوف للعشيرة ناره * فهلا على جفر الهباءة أوقدا
فان على جفر الهباءة هامة * تنادى بني بدر وعارا مخلدا
وان أبا ورد حذيفة مثغر * باير على جفر الهباءة اسودا

وقال الربيع بن قعنب :

خلق المخازى غيران بذي حسا * لبني فزارة خزية لا تخلق
تبيان ذلك ان في است أبيهم * شعناء من صحف المخازى تبرق

وقال عمرو بن الاسلع :

ان السماء وان الارض شاهدة * والله يشهد والانسان والبلد
أنى جزيت بني بدر بسعيهم * على الهباءة قتلا ماله قود
لما التقينا على أرجاء جمتها * والمشرفية فى ايماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له * خذها اليك فانت السيد الصمد

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة تجمعوا وعرفت بنو عبس ان ليس لهم مقام بارض غطفان فخرجوا الى اليمامة فنزلوا باخوالهم بنى حنيفة ثم رحلوا عنهم فنزلوا ببني سعد بن زيد بن مناة

١٢ — يوم الفروق — ثم ان بني سعد غدروا لجوارهم فاتوا بمعاوية الجون فاستجاشوا عليهم وأرادوا أكلهم فبلغ ذلك بني عبس ففروا ليلا وقدموا ظعنهم ووقف فرسانهم بموضع يقال له الفروق . وأغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم فلم يجدوا الا مواقد النيران فاتبعوهم حتى أتوا الفروق فاذا بالخيل والفرسان قد توارت الظعن عنهم فانصرفوا عنهم ومضي بنو عبس فنزلوا ببني ضبة فاقاموا فيهم . وكان بنو حذيفة من بنى عبس يسمون بنى رواحة و بنو بدر بن فزارة يسمون بنى سودة ثم رجعوا الى قومهم فصالحوهم . وكان أول من سعى فى الحمالة حرملة بن الاشعر بن صرمة بن مرة فمات فسعى فيها هاشم بن حرملة ابنه . وله

يقول الشاعر

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباتين و يوم اليعمله
ترى الملوك حوله مرعبله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

١٣ — يوم قطن — فلما توافوا للصلح وقفت بنو عبس بقطن وأقبل حصين ابن ضمضم فلقي تيجان أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بابيه ضمضم . وكان عنترة ابن شداد قتله بذي المريقب فاشارت بنى عبس وحلفاؤهم بنو عبدالله بن غطفان . وقالوا لا نصالحكم ما بل البحر صوفة وقد غدرتم بنا غير مرة وتناهض القوم عبس وذبيان فالتقوا بقطن فقتل يومئذ عمرو بن الاسلع عيينة ثم سفرت السفراء بينهم . وأتي خارجة بن سنان ابا تيجان بابنه فدفعه اليه . فقال فى هذا وفاء من ابنك فاخذه فكان عنده أياما . ثم حمل خارجة لابى تيجان ما ئة بعير قادها اليه واصطلحوا وتعاقدوا

١٤ — يوم غدير قلياد — قال أبو عبيدة : فاصطلح الحيان الا بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فانهم ابوا ذلك . وقالوا لا نرضى حتى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلنا فخرجوا من قطن حتى وردوا غدير قلياد فسبقهم بنو عبس الى الماء فمنعوهم حتي كادوا يموتون عطشا ودوابهم فاصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سبيع من بني ثعلبة . واياها يعني زهير بقوله :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

فوردوا احرابا وأخرجوا عنه سلما . ثم حرب داحس والغبراء

١٥ — يوم الرقم لغطفان على بني عامر — غزت بنو عامر فاغاروا على بلاد غطفان بالرقم وهو ماء لبني مرة وعلى بني عامر عامر بن الطفيل و يقال يزيد بن الصعق فركب عيينة بن حصن في بني فزارة و زيد بن سنان فى بنى مرة و يقال الحرث ابن عوف . فانهزمت بنو عامر وجعل يقاتل عامر بن الطفيل و يقول يال قيس لا تقتلى تموني فزعمت بنو غطفان انهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا فدفعوهم الى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم فقتلوهم أجمعين . وانهزم الحكم بن الطفيل في نفر من اصحابه فيهم جراب بن كعب حتي انتهوا الى ماء يقال له المزورات فقطع العطش اعناقهم فماتوا . وخنق نفسه الحكم بن الطفيل تحت شجرة مخافة المثلة . وقال فى ذلك عروة بن الورد :

عجبت لهم لم يخنقون نفوسهم * ومقتلهم تحت الوغا كان أجدرا

١٦ — يوم النتاءة لعبس على بنى عامر — خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثارها يوم الرقم نجمعوا على بني عبس بالنتاءة وقد أنذروا بهم فالتقوا وعلى بني عامر عامر بن الطفيل وعلى بنى عبس الربيع بن زياد فاقتتلوا قتالا شديدا . فانهزمت بنو عامر وقتل منهم صفوان بن مرة قتله الاحنف بن مالك ونهشل بن عبيدة بن جعفر قتله أبو زعبة بن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد وطعن ضبيعة بن الحرث عامر بن الطفيل فلم يضره ونجا عامر وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة فقال خراشة بن عمرو العبسى :

وساروا على أطنابهم وتواعدوا * مياها تحامتها تميم وعامر
كان لم يكن بين الزفاف وواسط * الى المنحنى من ذى الاراكة حاضر
الا أبلغا عنى خليلى عامرا * تنمى سعاد اليوم أم أنت ذاكر
وصدتك أطراف الرماح عن الهوى * ورمت أمورا ليس فيها مصادر
وغادرت هزان الرئيس ونهشلا * فلله عينا عامر من يغادر
وأسلمت عبد الله لما عرفتهم * ونجاك وثاب الجراثيم ضامر
قذفتهم فى اليم ثم خذلتهم * فلا وألت نفس عليك تحاذر

وقال ابو عبيدة : ان عامر بن الطفيل هو الذى طعن ضبيعة بن الحرث ثم نجا من طعنته . وقال فى ذلك :

فان تنج منها يا ضبيع فانني * وجدك لم أعقد عليك التمائما

١٧ — يوم شواحط لبني محارب على بني عامر — غزت سرية من بني عامر بن صعصعة بلاد غسان فاغارت على ابل لبنى محارب بن خصفة فادركهم الطلب فقتلوا من بنى كلاب سبعة وارتدوا ابلهم . فلما رجعوا من عندهم وثب بنو كلاب على حشروهم من بني محارب كانوا احاربوا اخوتهم فخرجوا عنهم وحالفوا بنى عامر بن صعصعة فقالوا نقتلهم بقتل بني محارب من قتلوا منا فقام خداش بن زهير دونهم حتى منعهم من ذلك . وقال :

أيارا كبا اما عرضت فبلغن * عقيلا وأبلغ ان لقيت أبا بكر
فيا اخوينا من أبينا وأمنا * اليكم اليكم لا سبيل الى حشر
دعوا جانبي انى سأترك جانبا * لكم واسعا بين اليمامة والقفر

أنا فارس الضحياء عمرو بن عامر ＊ أبي الذم را ختار الوفاء على الغدر

١٨ — يوم حوزة الاول لسليم على غطفان — قال ابو عبيدة : كان بين معاوية بن عمرو بن الشريد وبين هاشم بن حرملة أحد بني مرة غطفان كلام بعكاظ . فقال معاوية لوددت والله اني قد سمعت بظعائن يندبنك : فقال هاشم والله لوددت اني قد بريت الرطبة وهي جمة معاوية . وكانت الدهر تنطف ماء ودهنا وان لم تدهن . فلما كان بعد تهيأ معاوية ليغزو هاشما فنهاه اخوه صخر . فقال كأني بك ان غزوتهم علق بجمتك حسك العرفط . قال فابي معاوية وغزاهم يوم حوزة فرآه هاشم بن حرملة قبل ان يراه معاوية وكان هاشم ناقها من مرض أصابه . فقال لاخيه دريد بن حرملة ان هذا ان رآني لم آمن ان يشد علي وأنا حديث عهد بشيكة فاستطرد له دوني حتى تجعله بيني وبينك ففعل فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم فاختلفا طعنتين فاردي معاوية هاشما عن فرسه الشماء وأنفذ هاشم سنانه من عانة معاوية . قال وكر عليه دريد فظنه قد أردى هاشما فضرب معاوية بالسيف فقتله وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حارث الفزاري . قال وعادت الشماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فاخذوها وظنوها فرس الفزاري الذي قتله خفاف . ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخي معاوية . فقالوا أنعم صباحا أبا حسان قال حييتم بذلك ماصنع معاوية . قالوا قتل : قال فما هذه الفرس قالوا قتلنا صاحبها . قال اذا قد أدركتم ثاركم هذه فرس هاشم بن حرملة . قال فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حرام فاتي بني مرة فلما رأوه قال لهم هاشم هذا صخر فحيوه وقولوا له خيرا وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية . فقال من قتل أخي فسكتوا . فقال لمن هذه الفرس التي تحتي فسكتوا . فقال هاشم هلم أبا حسان الى من يخبرك قال من قتل أخي . فقال هاشم اذا اصبتني أو دريدا فقد أصبت ثارك قال فهل كفنتموه . قال نعم في بردين أحدهما بخمس وعشرين بكرة . قال فاروني قبره فاروه اياه . فلما رأى القبر جزع عنده . ثم قال كانكم قد انكرتم ما رأيتم من جزعي فوالله ما بت منذ عقلت الا واترا أو موتورا أو طالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده

١٩ — يوم حوزة الثاني — قال ثم غزاهم صخر . فلما دنا منهم مضى على الشماء وكانت

غراء محجلة فسود غرتها وتحجيلها فرأته بنت هاشم . فقالت لعمها دريد أين الشماء . قال هي في بني سليم . قالت ما أشبهها بهذه الفرس فاستوى جالسا . فقال هذه فرس بهيم والشماء غراء محجلة وعاد فاضطجع فلم يشعر حتى طعنه صخر . قال فثاروا وتنادروا وولى صخر وطلبته غطفان عامة يومها وعارض دونه البرشجرة بن عبد العزى . وكانت أمه خنساء أخت صخر وصخر خاله فرد الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا الى قومه . فقال خفاف بن ندبة لما قتل معاوية قتلني الله ان برحت من مكاني حتى أثار به فشد على مالك سيد بني جشم فقتله . فقال في ذلك

فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا
نصبت له علوا وقد حام صحبتي * لابني مجدا أولا ثارها لكا
أقول له والرمح ياطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

وقال صخر يرثي معاوية وكان قال له قومه اهج بني مرة . فقال ما بيننا أجل من القذع وأنشأ يقول :

وعاذلة هبت بليل تلومني * ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالي أن أهجوهم ثم ماليا
أبي الذم اني قد أصابوا كريمتي * وان ليس اهداء الخنى من سماتيا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب الناس عني معاويا
وهون وجدي انني لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا
وذي اخوة قطعت اقران بينهم * كما تركوني واحدا لا أخا ليا

وقال في قتل دريد :

ولقد دفعت الى دريد طعنة * نجلاء تزغو مثل غط المنخر
ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس الدابر

قال أبو عبيدة : واما هاشم بن حرملة فانه خرج منتجعا فلقيه عمرو بن قيس الجشمي فتبعه . وقال هذا قاتل معاوية لا وألت نفسي ان وأل . فلما نزل هاشم كمن له عمرو بن قيس بين الشجر حتى اذا دنا منه أرسل عليه معبلة ففلق قحفة فقتله . وقال في ذلك :

اني قتلت هاشم بن حرمله * اذا الملوك حوله مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

٢٠ — يوم ذات الاثل — قال أبو عبيدة: ثم غزا صخر بن عمرو الشريد بني أسد ابن خزيمة واكتسح ابلهم فتى الصريخ بني أسد. فركبوا حتى تلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا فطعن ربيعة بن ثور الاسدى صخرا فى جنبه وفات القوم بالغنيمة وجرى صخر من الطعنة فكان مريضا قريبا من الحول حتى مله أهله فسمع امرأة من جاراته تسال سلمي امرأته كيف بعلك قالت لاحى فيرجى ولا ميت فينسى لقد لقينا منه الامرين وكانت تسال أمه كيف صخر فتقول أرجوله العافية ان شاء الله. فقال فى ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمي مضجعى ومكاني
فاي امرىء ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان
وما كنت أخشى أن تكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
أهم بامر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة. قالوا لو قطعتها لرجونا ان تبرأ فقال شانكم فقطعوها فمات. فقالت الخنساء أخته ترثيه :

فما بال عيني مابالها * لقد أخضل الدمع سربالها
أمن فقد صخر من آل الشريد حلت به الارض أثقالها
فآليت أبكي على هالك * وأسال نائحة مالها
هممت بنفسى كل الهموم * فاولى لنفسى أولى لها
ساحمل نفسى على آلة * فاما عليها واما لها

وقالت ترثيه.

وقائلة والنفس قد فات خطوها * لتدركه يالهف نفسى على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

٢١ — يوم عدنية وهو يوم ملحان — قال أبو عبيدة : هذا اليوم قبل يوم ذات الاثل وذلك ان صخرا غزا بقومه وترك الحى خلوا فاغارت عليهم غطفان فثارت اليهم غلمانهم ومن كان تخلف منهم فقتل من غطفان نفر وانهزم الباقون . فقال فى ذلك صخر :

جزى الله خيرا قومنا اذ دعاهم * بعد نية الحي الخلوق المصبح
وغلماننا كانوا أسودا خفية * وحق علينا ان يثابوا و يمدحوا
هم نفروا اقرانهم بمضرس * وسعر وذادوا الجيش حتي تزحزحوا
كانهم اذ يطردون عشية * بقية ملحان نعام مروح

٢٢ — يوم اللوى لغطفان على هوازن — قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصمة واسم الصمة معاوية الاصغر من بني غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كني فاسمه عبدالله وخالد ومعبد وكنيته أبو فرغان وأبو دفافة وأبو وفاء وهو أخو دريد بن الصمة لابيه وأمه . فاغار على غطفان فاصاب منهم ابلا عظيمة فطردها . فقال له أخوه دريد النجاء فقد ظفرت فابى عليه وقال لا أبرح حتى انتقع نقيعتى والنقيعة ناقة ينحرها من وسط الابل فيصنع منها طعاما لاصحابه ويقسم ما أصاب على أصحابه . فاقام وعصى أخاه فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى فقتل عبد الله وارتث دريد فبقي فى القتلى . فلما كان فى بعض الليل أتاه فارسان . فقال أحدهما لصاحبه انى أرى عينيه تبص فانزل فانظر الى نفسه فنزل فكشف ثوبه فاذا هى تزمر فطعنه فخرج دم قد كان احتقن . قال دريد فافقت عندها فلما جاوزوني نهضت . قال فما شعرت الا وأنا عند عرقوبي جمل امرأة من هوازن . فقالت من أنت أعوذ بالله من شرك قلت لا بل من أنت ويلك قالت امرأة من هوازن سيارة قلت وأنا من هوازن وأنا دريد بن الصمة . قال وكانت فى قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة فضمته وعالجته حتي أفاق *. فقال دريد يرثى عبدالله أخاه ويذكر عصيانه له وعصيان قومه بقوله :

أعاذل ان الرزء فى مثل خالد * ولا رزء فيما أهلك المرء عن يد
وقلت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بني السوداء والقوم شهدي
علانية ظنوا بالفى مدجج * سراتهم فى السابرى المسرد
أمرتهم أمرى بمنقطع اللوي * فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم واننى غير مهتد
وما أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

فان تعقب الايام والدهر تعلموا * بني غالب أنا غضاب لمعبد
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردى
فان يك عبد الله خلي مكانه * فما كان وقافا ولا طائش اليد
ولا برما اذا الرياح تناوحت * برطب العضاه والضريع المنضد
كميش الازار خارج نصف ساقه * صبور على الضراء طلاع انجد
قليل التشكى للمصائب حافظ * عليم باعقاب الاحاديث فى غد
وهون وجدى انني لم أقل له * كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى

أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة فى فوارس من بني جشم حتى اذا كانوا فى واد لبنى كنانة يقال له الاخرم وهم يريدون الغارة على بنى كنانة اذرفع له رجل فى ناحية الوادي معه ظعينة . فلما نظر اليه قال لفارس من أصحابه صح به خل عن الظعينة وانج بنفسك فانتهى اليه الفارس وصاح به وألح عليه فالقى زمام الناقة وقال للظعينة :

سيرى على رسلك سير الامن * سير رداح ذات جاش ساكن
ان التأنى دون قرني شائن * ابلى بلائي واخبري وعابني

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه فاعطاه للظعينة فبعث دريد فارسا آخر لينظر ماصنع صاحبه . فلما انتهي اليه ورأي ماصنع صاح به فتصامم عنه كان لم يسمع فظن انه لم يسمع فغشيه فالقى زمام الراحلة الى الظعينة . ثم خرج وهو يقول :

خل سبيل الحرة المنيعه * انك لاق دونها ربيعه * فى كفه خطية مطيعه
أولا فخذها طعنة سريعه * والطعن مني فى الوغى شريعه

ثم حمل عليه فصرعه . فلما ابطأ على دريد بعث فارسا لينظر ماصنعا . فلما انتهى اليهما وجدهما صريعين ونظر اليه يقود ظعينته ويجرر رمحه . فقال للظعينة اقصدى قصد البيوت . ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تريد من شتيم عابس * ألم تر الفارس بعد الفارس * أرداهما عامل رمح يابس

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه وارتاب دريد فظن انهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق دريد ربيعة وقد دنا من الحى ووجد أصحابه قد قتلوا . فقال أيها الفارس ان مثلك لا يقتل

ولا أرى معك رمحك والخيل ثائرة بأصحابك فدونك هذا الرمح فاني منصرف الى أصحابي ومثبطهم عنك فانصرف الى أصحابه . فقال ان فارس الظعينة قد حماها وقتل أصحابكم وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه فانصرف القوم . فقال دريد في ذلك :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * حامي الظعينة فارسا لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نهزة * ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللا تبدو أسرة وجهه * مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجي ظعينته ويسحب رمحه * متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه * مثل البغاث خشين وقع الاجدل
ياليت شعرى من أبوه وأمه * ياصاح من يك مثله لا يجهل

وقال ابن مكدم :

ان كان ينفعك اليقين فسائلى * عن الظعينة يوم وادي الاخرم
اذ هي لاول من أتاها نهبة * لولا طعان ربيعة بن مكدم
اذ قال لى ادنى الفوارس منهم * خل الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه * عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
وهويت بالرمح الطويل اهابة * فهوى صريعاً لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة * نجلاء فاغرة كشدق الاضجم
ولقد شفعتها بآخر ثالث * وأبى الفرار عن العداة تكرمى

ثم لم يلبث بنو كنانة ان غارت على بني جشم فقتلوا وأسروا دريد بن الصمة فاخفى نفسه . فبينما هو عندهم محبوس اذ جاءت نسوة يتهادين اليه فصاحت احداهن . فقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جرى علينا هذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها . فقالت يا آل فراس أنا جارة لكم منه هذا صاحبنا يوم الوادى فسالوه من هو . فقال أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي قالوا ربيعة بن مكدم . قال فما فعل . قالوا قتلته بنو سليم . قال فما فعلت الظعينة قالت المرأة أنا هي وأنا امرأته فحبسه القوم وائتمروا أنفسهم . فقال بعضهم لا ينبغي لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا . وقال الآخرون لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذى أسره فانبعثت المرأة في الليل وهي ريطة بنت جذل الطعان . فقالت :

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة * وكل امريء يجزى بما كان قدما
فان كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وان كان شرا كان شرا مذمما
ستجزيه نعمى لم تكن بصغيرة * باعطائه الرمح الطويل المقوما
فلا تكفروه حق نعماه فيكم * ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فان كان حيا لم يضق بثوابه * ذراعا غنيا كان أو كان معدما

فلما أصبحوا أطلقوه فكسته وجهزته ولحق بقومه فلم يزل كافا عن حرب بني فراس حتى هلك :

٢٣ — يوم الصلعاء لهوازن على غطفان — فلما كان فى العام المقبل غزاهم دريد بن الصمة بالصلعاء فخرجت اليه غطفان . فقال دريد لصاحبه ماترى قال أرى خيلا عليها رجال كأنهم الصبيان أسنتها عند آذان خيلها قال هذه فزارة . ثم قال انظر ماتري قال أرى قوما كان عليهم ثيابا غمست فى الجاب المزى . قال هذه أشجع . ثم قال انظر ماترى قال أري قوما يهزون رماحهم سودا يخدون الارض باقدامهم . قال هذه عبس أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا فالتقوا بالصلعاء فكان الظفر لهوازن على غطفان وقتل دريد دواب بن أسماء بن زيد بن قارب

٢٤ — حرب قيس وكنانة يوم الكديد لسليم على كنانة — فيه قتل ربيعة بن مكدم فارس كنانة وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وهو أنجد العرب كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم . وفيهم يقول على بن أبي طالب لاهل الكوفة وددت والله ان لى بجميعكم وأنتم مائة ألف ثلثمائة من بنى فراس بن غنم . وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره . ومر به حسان بن ثابت وقتله بنو سليم يوم الكديد ولم يحضر يوم الكديد أحد من بنى الشريد

٢٥ — يوم برزة لكنانة على سليم — قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سليم ربيعة بن مكدم فارس كنانة رجعوا أقاموا ماشاء الله ثم ان ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد واسم الشريد عمرو . وكانت بنو سليم قد توجوا الكاو أمروه عليهم نغزا بنو كنانة فاغار على بني فراس ببرزة ورئيس بني فراس عبد الله بن جذل فدعا عبد الله الى البراز . فبرز اليه هند بن خالد بن صخر ابن الشريد . فقال له عبد الله من أنت قال أنا هند بن خالد بن صخر . فقال عبد الله أخوك أسن

منك يريد مالك بن خالد فرجع فاحضر أخاه فبرزله فجعل عبدالله بن جذل يرتجز ويقول .

أدنوابنى فرق القمع * أنى اذاالموت كنع * لاأستغيث بالجزع

وشد على مالك بن خالد فقتله . فبرز اليه أخوه كرز بن خالد بن صخر فشد عليه عبدالله بن جذل فقتله أيضا فشد عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد . فتخا لفا طعنتين فجرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا وكان عمرو قد نهى أخاه مالكا عن غزو بني فراس فعصاه وانصرف للغزو عنهم . فقال عبدالله بن جذل :

تجنبت هندا رغبة عن قتاله * الى مالك أعشو الى ضوء مالك
فايقنت أنى ثائر بابن مكدم * غداة اذ أو هالك فى الهوالك
فانفذته بالرمح حين طعنته * معانقة ليست بطعنة باتك
وأثنى لكرز فى الغبار بطعنة * علت جلده منها باحمر عاتك
قتلنا سليما غثها وسمينها * فصبرا سليم قد صبرنا لذلك
فان تك نسواني بكين فقد بكت * كما قد بكت أم لكرز ومالك

وقال عبد الله بن جذل :

قتلنا مالكا فبكوا عليه * وهل يغنى من الجزع البكاء
وكرزا قد تركناه صريعا * تسيل على ترائبه الدماء
فان تجزع لذاك بنو سليم * فقد وأبيهم غلب العزاء
فصبرا ياسليم كما صبرنا * وما فيكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم * أخو الهلاك ان ذم الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل * تداركها وقد حمس اللقاء

٢٦ — يوم القيقاء لسليم على كنانة — قال أبو عبيدة : ثم ان بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن حتى يدركوا بثارهم من بني كنانة فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على بني فراس فقتل منهم نفرا منهم عاصم بن المعلى ونضلة والمعارك وعمرو بن مالك وحصن وشريح وسبى سبيا فيهم ابنة مكدم أخت ربيعة بن مكدم . فقال عباس بن مرداس فى ذلك يرد على ابن جذل فى كلمته التى قالها يوم برزة :

أبلغا عني ابن جذل ورهطه * فكيف طلبنا كم بكرز ومالك
غداة فجعنا كم بمحصن وبابنه * وبابن المعلي عاصم والمعارك
ثمانية منهم ثارنا هم به * جميعا وما كانوا بواء بمالك
نذيقكم والموت يبني سرادقا * عليكم شبا حد السيوف البواتك
تلوح بايدينا كما لاح بارق * تلألأ فى داج من الليل حالك
صبحنا كم لعوج العناجيج بالضحى * تمر بنا مر الرياح السواهك
اذا خرجت من هبوة بعد هبوة * سمت نحو ملتف من الموت شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن الشريد :

قتلت بمالك عمرا وحصنا * رخابت القتام على الخدود
وكرزا قد أبات به شريحا * على أثر الفوارس بالكديد
جزيناهم بما انتهكوا وزدنا * عليه ما وجدنا من مزيد
جلبنا من جنوب العود جردا * كطير الماء غلس للورود

قال فلما ذكر هند بن خالد يوم الكديد وافتخر به ولم يشهده أحد من بني الشريد غضب من ذلك نبيشة بن حبيب فانشا يقول:

تبخل صعبنا فى كل يوم * كمخضوب البنان ولا يصيد
وتا كل مايعاف الكلب منه * وتزعم ان والدك الشريد
أبى لى أن أقر الضيم قيس * وصاحبه المزور به الكديد

٢٧ — حرب قيس وتميم يوم السريان لبني عامر على بني تميم — قال أبو عبيدة أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا. ورئيس ضبة حسان بن وبرة وهو أخو النعمان لامه فاسره يزيد بن الصعق وانهزمت تميم . فلما رأي ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده فشد على درار بن عمرو القيسي وهو الرويم. وقال لابنه أدهم اغنه عني فشد عليه فطعنه فتحول عن سرجه الى جنب آبدانه . ثم لحقه فقال لاحد بنيه اغنه عني ففعل مثل ذلك ثم لحقه فقال لابن له آخر اغنه عني ففعل مثل ذلك فقال ماهذا الا ملاعب الاسنة فسمي عامر من يومئذ ملاعب الاسنة . فلما دنا منه قال له درار اني لاعلم ماتريد أتريد اللبب . قال نعم قال انك لن تصل الي ومن هؤلاء عين تطرف كلهم بنو عامر. قال له عامر فاحلني على غيرك فدله على حبيش بن الدلف وقال

عليك بذلك الفارس فشد عليه فاسره . فلما رأى سواده وقصره جعل يتفكر وخاف ابن الدلف أن يقتله . فقال ألست تريد اللبب قال بلى . قال فانى لك به وفادي حسان بن وبرة نفسه من يزيد بن الصعق بالف بعير فداء الملوك فكثر مال يزيد ونما . ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعق على عصافير النعمان بذى ليان وذو ليان عن يمين العرنيين

٢٨ — يوم أقرن لبنى عبس على بني دارم — غزا عمرو بن عمرو بن عدس من بني دارم وهو فارس بني مالك بن حنظلة فاغار على بنى عبس وأخذ ابلا وشاء ثم أقبل حتى اذا كان أسفل من ثنية أقرن نزل فابتني بجارية من السبي ولحقه الطلب فاقتتلوا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسى عمرا . وانهزمت بنو مالك بن حنظلة وقتلت بنو عبس أيضا حنظلة بن عمرو . وقال بعضهم قتل فى غير هذا اليوم وار تدوا ما كان فى أيدي بني مالك فنعي ذلك جرير على بني دارم فقال :

هل تذكرون لدى ثنية أقرن * أنس الفوارس حين يهوى الاسلع

وكان عمرو أسلع أى أبرص . وكان لسماعة بن عمرو خال من بنى عبس فزاره يوما فقتله بابنه عمرا

٢٩ — يوم المروت لبني العنبر على بني بشير — أغار بجير بن سلمة بن أقيش على بني العنبر بن عمرو بن تميم فاتي الصريخ بني عمرو بن تميم فاتبعوه حتي لحقوه . وقد نزل المروت وهو يقسم المرباع و يعطي من معه فتلاحق القوم واقتتلوا فطعن قعنب بن عتاب الهيثم بن عامر العنبري فصرعه فاسره وحمل الكدام وهو يزيد بن أزهر المازنى على بجير بن سلمة فطعنه فارداه عن فرسه . ثم نزل اليه فاسره فابصره قعنب بن عتاب فحمل عليه بالسيف فضربه فقتله فانهزم بنو عامر وقتل رجالهم . فقال يزيد بن الصعق يرثى بجيرا :

أواردة على بني رياح * بفخرهم وقد قتلوا بجيرا

فاجابته العوراء من بنى سليطة بن يربوع وهى تقول :

قعيدك يا يزيد أبا قبيس * أتنذركى تلاقينا النذورا
وتوضع بجمر الركبان انا * وجدنا فى مراس الحرب خورا
ألم تعلم قعيدك يا يزيد * بانا نقمع الشيخ الفجورا

ونفقأ أنا نظر به ولا نبالى * ونجعل فوق هامته الدرورا
فابلغ ان عرضت بني كلاب * فانا نحن أقعصنا بجيرا
وضرجنا عبيدة بالعوالى * فاصبح موثقا فينا أسيرا
أنخرافى الخلاء بغير فخر * وعند الحرب خوار اضجورا

٣٠ — يوم دارة مأسل لتيم على قيس — غزا عتبة بن شتير بن خالد الكلابى بني ضبة فاستاق نعمهم وقتل حصن بن ضرار الضبي زيد الفوارس . فجمع أبوه ضرار قومه وخرج ثائرا بابنه حصين وزيد الفوارس يومئذ حدث لم يذكر . فاغار على بني عمرو بن كلاب وأفلت منه عتبة بن شتير وأسر أباه شتير بن خالد وكان شيخا كبيرا أعور . فأتي به قومه فقال ياشتير اختر واحدة من ثلاث قال اعرضها علي قال اما ان تردابني حصينا قال فاني لا أنشر الموتي . قال واما ان تدفع الى ابنك عتبة أقتله به قال لاترضى بذلك بنو عامران يدفعوا فارسهم شابا مقتبلا بشيخ أعور هامة اليوم أو غد . قال : واما ان أقتلك قال اماهذه فنعم . قال فامر ضرار ابنه ادهم أن يقتله . فلما قدمه ليضرب عنقه نادي شتير يا آل عامر صبرا بصبي كانه أنف ان يقتل بصبي فقال في ذلك شمعلة في كلمة له طويلة :

وخيرنا شتيرا من ثلاث * وما كان الثلاث له خيارا
جعلت السيف بين الليت منه * وبين قصاص لمته عذارا

وقال الفرزدق يفخر بايام ضبة :

ومغبوقة قبل القيان كانها * جراد اذا أجلى على الفزع الفجر
عوابس ماتنفك تحت بطونها * سرابيل أبطال بنائقها حمر
تركن ابن ذي الجدين يسبح مسندا * وليس له الألاء له قبر
وهن على خدي شتير بن خالد * أثير عجاج من سنابكها كدر
اذا لبست للباس يغشى ظهورها * اسود عليها البيض عادتها الهصر
يهزون أرماحا طوالا متونها * بهن الغني يوم الكريهة والفقر

٣١ — أيام تميم على بكر يوم الوقيط — قال فراس بن خندف تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون فرأى ذلك ناشب بن الاعور بن بشامة العنبري وهو أسير في بني سعد بن مالك ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة . فقال لهم اعطوني رسولا أرسله الى بني العنبر أوصيهم بصاحبكم خيرا

ليولوه مثل الذى يولوني من البر به والاحسان اليه . وكان حنظلة بن الطفيل الربدى أسيرا في بني العنبر . فقالوا له على ان توصيه ونحن حضور قال نعم فاتوه بغلام لهم . فقال لقد اتيتموني باحمق وما أراه مبلغا عني . قال الغلام لا والله ما أنا باحمق وقل ما شئت فاني مبلغه فملأ الاعور كفه من الرمل . فقال كم هذا الذي في كفي من الرمل قال الغلام شيء لا يحصى كثرة . ثم أوما الى الشمس وقال ما تلك قال هي الشمس . قال فاذهب الى قومي فابلغهم عني التحية وقل لهم يحسنوا الي أسيرهم ويكرموه فاني عند قوم محسنين الى مكرمين لى وقل لهم يقروا جملي الاحمر . ويركبوا ناقتى العنساء ويرعوا حاجتي في بني مالك . وأخبرهم ان العوسج قد اورق ، وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة ، فانه مشؤم ويطيعوا ابن الاخنس فانه حازم ميمون . قال فاتاهم الرسول فابلغهم . فقال بنو عمرو بن تميم ما نعرف هذا الكلام ولقد جن الاعور بعدنا . فوالله ما نعرف له ناقة عنساء ولا جملا أحمر فشخص الرسول . ثم ناداهم هذيل يا بني العنبر قد بين لكم صاحبكم اما الرمل الذى قبض عليه فانه يخبركم انه اتاكم عدد لا يحصى . واما الشمس التي أوما اليها فانه يقول ان ذلك اوضح من الشمس . واما جمله الاحمر فانه هو الصمان يامركم ان تقروه . واما ناقته العنساء فهي الدهناء يامركم ان تحترزوا منها . واما ابناء مالك فانه يامركم أن تنذروا بني مالك بن زيد مناة وان تمسكوا الحلف بينكم وبينهم . واما العوسج الذي اورق فيخبركم ان القوم قد لبسوا السلاح . واما تشكي النساء فيخبركم بانهن قد عملن عملا يغزون به . قال فتحرزت عمرو فركبت الدهناء وانذروا بنى مالك فقالوا اسنا ندرى ما يقول بنو عمرو ولسنا متحولين لما قال صاحبكم . قال فصبحت اللهازم بني حنظلة فوجدوا عمرا قد خالت . وانما أرادوهم على الوقيط وعلى الجيش ابجر بن جابر العجلى وشهدها ناس من تيم الله وشهدها الفرز بن الاسود بن شريد من بنى سنان فاقتتلوا فاسر ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة . وتنازع فى أسره بشر بن الفرما من تيم الله . والغرز ابن الاسود فجز ناصيته وحلا أسره من تحت الليل . وأسر عمرو بن قيس من بني ربيعة بن عجل . وأسر عثجل بن الماموم بن شيبان بن علقمة من بنى زرارة ومن عليه . وأسرت غمامة بنت طوق بن عبيد بن زرارة واشترك فى أسرها الحطيم بن هلال ودربان بن زياد وقيس ابن خالد وردوها الى أهلها . وعير جرير بن الخطفى بني دارم باسر ضرار وعثجل وبني غمامة . فقال :

اغمار لو شهد الوقيط فوارسي * ما فيه يقتل عجل وضرار

فاسر حنظلة المامون بن شيبان بن علقمة أسره طابسة بن زياد أحد بني ربيعة . وأسر حوثرة ابن بدر من بني عبد الله بن دارم فلم يزل في الوثاق حتى قال ابياتا يمدح فيها بني عجل . وانشايتغنى بها رافعا عقيرته :

وقائلة ماغاله ان يزورها * وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل

وقد أدركتني والحوادث جمة * مخالب قوم لاضعاف ولاعزل

سراع الى الداعي بطاء عن الخنا * رزان لدي النادى من غير ماجهل

لعلهم ان يمطروني بنعمة * كما طاب ماء المزن في البلد المحل

فقد ينعش الله الفتي بعد عسرة * وقد يبتدى الحسني سراة بني عجل

فلما سمعوه أطلقوه . وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وعمرو بن ناشب . وأسر سنان بن عمرو أخو بني سلامة بن كندة من بني دارم . وأسر حاضر بن ضمرة وأسر الهيثم بن صعصعة . وهرب عوف بن القعقاع عن اخوته . وقتل حكيم النهشلي وذلك انه لم يزل يقاتل وهو يرتجز ويقول :

كل امرىء مصبح في أهله * والموت أدني من شراك نعله

وفيه يقول عنترة الفوارس .

وغادرنا حكيما في مجال * صريعا قد سلبناه الازارا

٣٢ — يوم النباج ونبتل لبكر على تميم — الحسني قال: أخبرنا ابو حسان العبدى واسمه رفيع عن ابى عبيدة معمر بن المثني قال : غدا قيس بن عاصم في مقاعس وهو رئيس عليها ومقاعس هو صريم وربيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحماني في الحارث وهم حمان وربيعة ومالك والاعرج بنو كلب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة واللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة وعجل بن لجيم . وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج ونبتل وبينهما روحة . فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن ظرب في الاغارة . ثم اتفقا على ان يغير قيس على أهل النباج . ويغير سلامة على أهل النبتل . قال فبعث قيس بن عاصم للاهتم

سبقة له والسبقة الطليعة فاتاه الخبر . فلما أصبح قيس سقى خيله ثم اطلق بافواه الروايا . وقال لقومه قاتلوا فان الموت بين أيديكم والفلاة بين أيديكم ومن ورائكم . فلما دنوا من القوم صبحا سمعوا ساقيا يقول لصاحبه ياقيس أورد ختفاءلوا به . فاغاروا على النباج قبل الصبح فقاتلوهم قتالا شديدا . ثم ان بكرا انهزمت فاسر الاهتم حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد واصابوا اغنائم كثيرة . فقال قيس لاصحابه لا مقام دون النبتل فالنجاة النجاة فاتوا نبتل ولم يغز سلامة ولا أصحابه بعد فاغار عليهم قيس بن عاصم فقاتلوه . ثم انهزموا فاصاب إبلا كثيرة . فقال سلامة انكم اغرتم على ما كان أمره الى فتلاحوا فى ذلك ثم اتفقوا على ان سلموا اليه غنائم نبتل ففى ذلك يقول ربيعة بن طرب :

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فانت لنا عز عزيز وموئل
وأنت الذى خويت بكر بن وائل * وقد عضلت منها النباج ونبتل
غداوغدت يا آل شيباز اذرأت * كراديس يزجيهن وردمحجل
وظلت عقاب الموت تهفو عليهم * وشعث النواصى لجمهن تصلصل
فما منكم ابناء بكر بن وائل * لغارتنا الاركوب مذلل

وقال جرير يصف ما كان من اطلاق قيس بن عاصم أفواه المزاد بقوله :

وفى يوم الكلاب ويوم قيس * هراق على مساحة المزاد

وقال مرة بن قيس بن عاصم :

أنا ابن الذى شق المزادوقدرأى * بنبتل أحياء اللهازم حضرا
وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * ولم يجدوا الا الاسنة مصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من أعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤن الا فجاءة * يثرن عجاجا بالسنابك أكدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الامر أصدرا
وحمران أدته الينا رماحنا * فنازع غلا عن ذراعيه أسمرا
وجشامة الذهلى قدناه عنوة * الى الحى مصفود اليدين مكفرا

٣٣ — يوم زرود الثاني لبني يربوع علي بني ثعلب — أغار خزيمة بن طارق التغلبي

على بني يربوع وهم بزرود فبدروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا . ثم انهزمت بنو تغلب وأسر خزيمة بن طارق أسره أنيف بن جبلة الضبي وهو فارس السليط . وكان يومئذ معتلا في بني يربوع وأسيد بن جبلة السليطي . فتنازعا فيه فحكما بينهما الحرث بن قراد وأم الحرث امرأة من بني سعد بن ضبة . فحكم بناصية خزيمة للانيف بن جبلة على ان لاسيد على انيف مائة من الابل . قال ففدا خزيمة نفسه بمائتي بعير وفرس قال أنيف :

أخذتك قسرا يا خزيم بن طارق * ولاقيت مني الموت يوم زرود

وعانقته والخيل تدمي نحورها * فانزلته بالقاع غير حميد

وهذه أيام كلها لبني يربوع على بني بكر من ذلك . يوم ذى طلوح وهو يوم أود ويوم الحائر . ويوم ملهم . ويوم القحقح وهو يوم مالة . ويوم رأس عين . ويوم طخفة . ويوم الغبيط . ويوم مخطط . ويوم جدود . ويوم الجبابات . ويوم زرود الثاني

٣٤ — يوم ذي طلوح لبني يربوع على بكر — كان عميرة بن طارق بن حصينة ابن أريم بن عبيد بن ثعلبة تزوج مزنة بنت جابر اخت ابجر بن جابر العجلى . فخرج حتى ابتنى بها في بني عجل فاتى ابجر أخته مزنة امرأة عميرة يزورها فقال لها اني لا ارجو أن آتيك ببنت النطف امرأة عميرة التي في قومها . فقال له عميرة أترضى أن تحاربني وتسبيني . فندم أبجر وقال لعميرة ما كنت لاغز وقومك . ثم غزا ابجر الحوفزان متساندين هذا فيمن تبعه من بني شيبان . وهذا فيمن تبعه من بني اللهازم وساروا بعميرة معهم قد وكل بهم أبجر أخاه حرفشة بن جابر . فقال له عميرة لو رجعت الى أهلي فاحتملتهم فقال حرفشة افعل فكر عميرة على ناقته . ثم مطل عن الجيش فسار يومين وليلة حتى أتى بني يربوع فانذرهم الجيش فاجتمعوا حتى التقوا باسفل ذي طلوح . فاول ما كان فارس طلع عليهم عميرة فنادى يا ابجر هلم . فقال من أنت قال أنا عميرة فكذبه فسفر عن وجهه فعرفه فاقبل اليه والتقت الخيل بالخيل . فاسر الجيش الا أقلهم وأسر حنظلة بن بشر بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . وكان في بني يربوع الحوفزان بن شريك وأخذه معه مكبلا وأخذ طارق سوادة بن بجير ابن عم أخاه واخذ أبو غنمة الضبي الشاعر مع بني شيبان ففكه متمم بن نويرة . فقال ابن غنمة يمدح متمم بن نويرة :

جزى الله رب الناس عني متمما * بخير جزاء ما اعف وأمجدا

أجيرت به آباؤنا وبناتنا * وشارك فى اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل انى لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال مرصدا

وأسر سويد بن الحوفزان وأسر أسود وفلحس وهما من بنى سعد بن همام . فقال جرير فى ذلك يذكر يوم ذى طلوح :

ولما لقينا خيل أبجر يدعى * بدعوى لجيم قبل ميل العواتق
صبرنا وكان الصبر منا سجية * باسيافنا تحت الظلال الخوافق
فلما رأوا ان لا هوادة عندنا * دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق

٣٥ — يوم الحائر وهو يوم ملهم لبني يربوع على بكر — وذلك ان ابا مليك عبيد الله بن الحرث بن عاصم بن حميد وعلقمة أخاه انطلقا يطلبان ابلا لهما حتى وردا ملهم من ارض اليمامة . فخرج عليهما نفر من بني يشكر فقتلوا علقمة وأخذوا أبا مليك فكان عندهم ماشاء الله ثم خلوا سبيله وأخذوا عليه عهدا وميثاقا أن لا يخبر بامر أخيه أحدا . فاتي قومه فسالوه عن أمر اخيه فلم يخبرهم . فقال وبرة بن حمزة هذا رجل قد اخذ عليه عهد وميثاق فخرجوا يقصون أثره ورئيسهم شهاب بن عبد القيس حتى وردوا ملهم . فلما رآهم أهل ملهم تحصنوا فحرقت بنو يربوع بعض زرعهم وعقروا بعض نخلهم . فلما رأى ذلك القوم نزلوا اليهم فقاتلوهم فهزمت بنو يشكر وقتل عمرو بن صابر صبرا ضربوا عنقه . وقتل عيينة بن الحرث بن شهاب بن مثلم بن عبيد بن عمرو رجلا آخر منهم . وقتل مالك بن نويرة حمران بن عبد الله وقال :

طلبنا بيوم مثل يومك علقما * لعمري لمن يسعى بها كان اكرما
قتلنا بجنب العرص عمرو بن صابر * وحمران أقصدناهما والمثلما
فلله عينا من رأى مثل خيلنا * وما أدركت من خيلهم مثل ملهما

٣٦ — يوم القحقح وهو يوم مالة — لبني يربوع على بنى بكر أغارت بنو ربيعة بن ذهل بن شيبان على بنى يربوع ورئيسهم مجبة بن ربيعة بن ذهل فاخذوا ابلا لعاصم بن قرط أحد بنى حميد وانطلقوا فطلبهم بنو يربوع فناوشوهم . فكانت الدائرة على بني ربيعة وقتل المنهال بن عصمة المجبة بن ربيعة فقال في ذلك ابن تمراق الرياحى :

واذا لقيت القوم فاطعن فيهم * يوم اللقاء كطعنة المنهال

ترك المجبه للضباع منكسا * والقوم بين سوافل وعوال

٣٧ — يوم رأس العين لبني يربوع على بكر — أغارت طوائف من بني يربوع على بني أبي ربيعة برأس العين فاطردوا النعم فاتبعهم معاوية بن فراس فى بني أبي ربيعة فادركوهم . فقتل معاوية بن فراس وفاتوا بالابل . وقال سحيم فى ذلك :

أليس الاكرمون بنو رياح * نموى منهم عمي وخالى
هم قتلوا المجبه وابن تيم * تنوح عليهما سود الليالى
وهم قتلوا عميد بني فراس * برأس العين فى الحجج الخوالى
وذادوا يوم طخفة عن حماهم * ذياد غرائب الابل النهالى

٣٨ — يوم العظالى لبني يربوع على بكر — قال أبو عبيدة : وهم يوم أعشاش ويوم الافاقة . ويوم الاياد . ويوم مليحة قال وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس . وكانوا يجيرونهم ويجهزونهم فاقبلوا من عند عامل عين التمر فى ثلثمائة فارس متساندين يتوقعون انحدار بني يربوع فى الحزن . وكانوا يشتون خفافا فاذا انقطع الشتاء انحدروا الى الحزن قال فاحتمل بنو عيينة وبنو عبيدة وبنو زبيد من بنى سليط من أول الحى حتى استهلوا ببطن مليحة . فطلعت بنو زبيد فى الحزن حتى حلوا الحديقة والافاقة . وحلت بنو عبيدة وبنو عتيبة بعين بروضة الثمد قال وأقبل الجيش حتى نزلوا هضبة الحصائم بعثوا ربيئهم فصادفوا غلاما شابا من بني عبيد يقال له قرط بن أضبط فعرفه بسطام وقد كان عرفه عامة غلمان بنى ثعلبة حين أسره عتيبة قال وقال سليط بل هو المطوح بن قرواش . فقال له بسطام أخبرنى ماذاك السواد الذى أرى بالحديقة قال هم بنو زبيد قال أفيهم أسيد بن حيوة قال نعم قال كم هم قال خمسون بيتاً قال فاين بنو عتيبة وابن بنو ريم قال نزلوا روضة الثمد . قال فاين سائر الناس قال هم محتجزون بخفاف . قال فمن هناك من بنى عاصم قال الاحيمر وقعنب ومعدان ابنا عصمة . قال فمن فيهم من بنى الحرث بن عاصم . قال حصين بن عبدالله . فقال بسطام لقومه أطيعوني تقبضوا على هذا الحى من زبيد وتصبحوا سالمين غانمين قالوا وما يغنى عنا بنو زبيد لا يودون رحلتنا قال ان السلامة احدى الغنيمتين . فقال له مفروق انتفخ سحرك يا أبا الصهباء . وقال له هانىء احينا فقال لهم ويلكم ان أسيدا لم يظله بيت قط شاتيا ولا قائظا انما بيته القفر فاذا أحس بكم اجال على الشقراء فركض

حتى يشرف على مليحة فينادي يا آل يربوع فتركب فيلقاكم طمن يذسيكم الغنيمة ولا يبصر أحد كم مصرع صاحبه وقد جئتموني وأنا أنا بعكم وقد أخبرتكم ما أنتم لاقون غدا . فقالوا نلتقط بني زيد ثم نلتقط بني عبيد وبنى عتيبة كما نلتقط الكماة ونبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يربوع ففعلوا . فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء ثم خرج نحو بني يربوع فابتدره الفارسان فطعن أحدهما فالقى نفسه فى شق فاخطاه . ثم كر راجعا حتى أشرف على مليحة فنادى ياصباحاه يا آل يربوع غشيتم فتلاحقت الخيل حتى توافوا بالغطفان فاقتتلوا فكانت الدائرة على بني بكر فقتل منهم مفروق بن عمرو فدفن بثنية يقال لها ثنية مفروق . والمقاعس الشيباني . وزهير بن الحرور الشيباني وعمرو بن الحرور الشيباني . والدمس بن المقاعس وعمير بن الوراك . والضريس . وأما بسطام فالح عليه فارسان من بني يربوع وكان دارعا على ذات النسوع . وكانت اذا أجردت لم يتعلق بها شيء من خيلهم . واذا أوعثت كادوا يلحقونها . فلما رأى ثقل درعه وضعها بين يديه على القربوس وكره ان يرمى بها وخاف أن يلحق في الوعث فلم يزل ديدنه وديدن طالبيه حتى حميت الشمس وخاف اللحاق فمر بوجار ضبع . فرمي الدرع فيها فمد بعضها بعضا حتى غابت فى الوجار . فلما خفف عن الفرس نشطت ففاتت الطلب وكان آخر من أتى قومه . وقد كان رجع الى درعه لما رجع عنه القوم فاخذها . فقال العوام فى بسطام وأصحابه :

ان يك فى جيش الغبيط ملامة * فجيش العظالى كان أخزى وألوما
أناخوا يريدون الصباح فصبحوا * فكانت على الغادين غدوة أشاما
فررتم ولم تلووا على مجحريكم * كراحمة الحراث يدعى لاقدما
ولو ان بسطاما أطيع لامره * لادي الى الاحياء بالخور مغنما
ففر أبو الصهباء اذ حمي الوغى * والقى بابدان السلاح وسلما
وأيقن ان الخيل ان تلتبس به * يعد غانما أو يملأ البيت مأتما
ولو انها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزنما
أبي لك قيد بالغبيط لقاؤهم * ويوم العظالى ان فخرت مكلما
فافلت بسطام حريصا بنفسه * وغادر فى كرشاء لدنا مقوما
وقاظ أسيرا هانىء وكانما * مفارق مفروق تغشين عندما

قال ثم ان هانئا فدي نفسه وأسرى قومه . فقال العوام فى ذلك :

ان الفتي هانئا لاقي بشكته * ولم يحم عن قتال القوم اذ نزلا
ثمت سارع فى الاسرى ففكهم * حامى الذمار حقيق بالذى فعلا

٣٨ — يوم الغبيط لبنى يربوع على بني بكر — قال أبو عبيدة . يقال لهذا اليوم يوم الغبيط : و يوم الثعالب والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه . ويقال له يوم صحراء فالج . وقال أبو عبيدة : حدثنى سليط بن سعد ورباب الصبيري وجهم بن حسان السليطي . قال غزا بسطام بن قيس ومفروق بن عمرو والحرث بن شريك وهو الحوفزان بلاد بني تميم . وهذا اليوم قبل يوم العظالى فاغاروا على بني ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدى بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان . فلذلك قيل له يوم الثعالب . وكان هؤلاء جميعا متجاورين بصحراء فالج فاقتتلوا . فانهزمت الثعالب فاصابوا فيهم واستاقوا ابلا من نعمهم ولم يشهد عتيبة بن الحرث بن شهاب هذه الوقعة لانه كان نازلا يومئذ فى بنى مالك بن حنظلة . ثم انبروا على بني مالك وهم بين صحراء فالج وبين الغبيط فاكتسحوا ابلهم فركبت عليهم بنو مالك فيهم عتيبة بن الحرث بن شهاب ومعه فرسان من بني يربوع بانفهم أي صار معهم مثل الاثافى للرماد وتالف اليهم الاحيمر بن عبد الله والاسيد بن حياة و أبو مرحب وجرو بن سعد الرياحي وهو رئيس بنى يربوع وربيع والخليس وعمارة وبنو عتيبة بن الحرث ومعدان وعصمة ابنا قعنب ومالك بن نويرة والمنهال ابن عصمة أحد بنى رياح بن يربوع . وهو الذي يقول فيه متمم بن نويرة فى شعره الذي يرثي فيه مالكا أخاه :

لقد غيب المنهال تحت لوائه * فتي غير مبطان العشية أروعا

فادركوهم بغبيط المدرة . فقاتلوهم حتى هزموهم وادركوا ما كانوا استاقوا من أموالهم وألح عتيبة والاسيد والاحيمر على بسطام . فلحقه عتيبة فقال استاسرلى ياأبا الصهباء . فقال ومن أنت قال أنا عتيبه وأنا خير لك من الفلاة والعطش . فاسره عتيبة ونادى القوم نجادا أخا بسطام كرعلى أخيك وهم يرجون ان ياسروه فناداه بسطام ان كررت فانا حنيف وكان بسطام نصرانيا . فلحق نجاد بقومه فلم يزل بسطام عند عتيبة حتى فادي نفسه . قال أبو عبيدة : فزعم أبو عمرو بن العلاء انه فدى نفسه باربعمائة بعير وثلاثين فرسا ولم يكن عربى عكاظي أعلى فداء منه علي ان

جز ناصيته وعاهده أن لا يغزو بني شهاب أبدا . فقال عتيبة بن الحرث بن شهاب :

ابلغ سراة بني شيبان مألكة * أني أبأت بعبد الله بسطاما
اني أسرته في قيد وسلسلة * صوت الحديد يغنيه اذا قاما

٣٩ — يوم مخطط لبني يربوع على بكر — قال أبو عبيدة : غزا بسطام ابن قيس والحوفزان الحرث متساندين يقودان بكر بن وائل حتى وردوا على بني يربوع بالفردوس وهو بطن لاياد وبينه وبين مخطط ليلة . وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمخطط فاقتتلوا فانهزمت بكر بن وائل وهرب الحوفزان وبسطام فقاتا ركضا . وقتل شريك بن الحوفزان قتله شهاب بن الحرث أخو عتيبة . وأسر الاحيمر بن عبد الله بن الضريس الشيباني . فقال في ذلك مالك بن نويرة ولم يشهد هذا اليوم :

ان لا أكن لاقيت يوم مخطط * فقد خبر الركبان ما أتودد
بأبناء حي من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا
فقال الرئيس الحوفزان تبينوا * بني الحصن قد شارفتم ثم جردوا
فما فتئوا حتى رأونا كأننا * مع الصبح آذى من البحر مزبد
بملمومة شهباء يبرق خالها * ترى الشمس فيها حين دارت توقد
فما برحوا حتى علتهم كتائب * اذا طعنت فرسانها لا تعرد
فاقررت عيني يوم ظلوا كأنهم * ببطن غبيط خشب أثل مسند
صريع عليه الطير تحجل فوقه * وآخر مكبول اليدين مقيد
وكان لهم في أهلهم ونسائهم * مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى * شريك وبسطام عن الشر مقعد

٤٠ — يوم جدود — غزا الحوفزان وهو الحرث بن شريك فأغار على من بالقاعة من بني سعد بن زيد مناة فأخذ نعما كثيرا وسبى فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحرث فأعجب بها وأعجبت به : وكانت خرقاء فلم يتمالك ان وقع بها فلما انتهى الى جدود منعتهم بنو يربوع ابن حنظلة ان يردوا الماء ورئيسهم عتيبة بن الحرث بن شهاب . فقاتلوهم فلم يكن لبني بكر بهم يد فصالحوهم على ان يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم على ان يخلوهم يردوا الماء فقبلوا ذلك

وأجازوهم فبلغ ذلك بني سعد فقال قيس بن عاصم فى ذلك :

جزي الله يربوعا باسواسعيها * اذا ذكرت فى النائبات أمورها
ويوم جدود قد فضحتم أباكم * وسالمتم والخيل تدمى نحورها

فاجابه مالك :

ساسأل من لاقي فوارس منقذ * رقاب اماء كيف كان نكيرها

ولما أتى الصريخ بني سعد ركب قيس بن عاصم فى آثر القوم حتى أدركهم بالاشيمين . فألح قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء وكان الحوفزان قد خرج فى طليعة فلقيه قيس بن عاصم فساله من هو فقال لا تكاتم اليوم أنا الحوفزان فمن أنت قال أنا أبو على . ومضى ورجع الحوفزان الى أصحابه . فقال لقيت رجلا أزرق كان لحيته ضريبة صوف . فقال أنا أبو على فقالت عجوز من السبي بابى أبو على ومن لنا بابي على فقال لها ومن أبو على . قالت قيس بن عاصم . فقال لاصحابه النجاء وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزبد وعقد شعرها الى صدره ونجا بها . وكانت فرس قيس اذا أوعثت تضرب ويمطر عليها الزبد فلما أجدا لحقت بحيث تكلم الحوفزان . فقال له قيس ياأباحمار أنا خير لك من الفلاة والعطش . قال له الحوفزان ماشاء الزبد . فلما رأي قيس ان فرسه لا يلحقه نادى الزرقاء فقال ميلى به ياجعار . فلما سمعه الحوفزان دفعها بمرفقه وجز قرونها بسيفه فالقاها عن عجز فرسه وخاف قيس ان لا يلحقه فنجله بالرمح فى خزانة وركه فلم يقصده وعرج منها ورد قيس الزرقاء الى بني الربيع . فقال سويد ابن حيان المنقري :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * تمج نجيعا من دم الجوف أشكلا

٤١ — يوم سفوان — قال أبو عبيدة : التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان فزعمت بنو شيبان انه لهم وأرادوا ان يجلوا تميما عنه . فاقتتلوا اقتتالا شديدا فظهرت عليهم بنو تميم وزادوهم حتى وردوا الحدث وكانوا يتواعدون بني مازن قبل ذلك . فقال فى ذلك الودان المازنى :

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلى على سفوان
تلاقوا اجيادا لا تحيد عن الوغى * اذا الخيل جالت فى القنا المتداني
علتها الكماة الغر من آل مازن * أولات طعان كل يوم طعان

تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم * على ماجنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصالون في الروع خطوهم * بكل رقيق الشفرتين يمان
اذا استنجدوا لم يسالوا من دعاهم * لاية حرب أم لاى مكان

٤٢ — يوم السلى — قال أبو عبيدة : كان من حديث يوم السلى ان بنى مازن اغارت على بني يشكر فاصابوا منهم . وشد زاهر بن عبد الله بن مالك على تيم بن ثعلبة اليشكري فقتله فقال في ذلك :

لله تيم أى رمح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاد
ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غير معرد حياد

وقال حاجب بن دينار المازني

سلى يشكرا عني وأبناء وائل * لهازمها طرا وجمع الاراقم
ألم تعلمي انا اذا الحرب شمرت * سمام على أعدائنا فى الحلاقم
عتاة قراة فى الشتاء مساعر * حماة كماة كالليوث الضراغم
بايديهم سمر من الخط لدنة * وبيض تجلى عن فراخ الجماجم
أولئك قوم ان فخرت بعزهم * فخرت بعزفى اللهي والغلاصم
هم انزلوا يوم السلى عزيزها * بسمر العوالى والسيوف الصوارم

٤٣ — يوم بلقاء الحسن — وهو يوم السقيفة لبنى ضبة على شيبان : قال أبو عبيدة غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وقيس بن مسعود هو ذو الجدين وأخوه السليل بن قيس بني ضبة ابن اد بن طابخة . فاغار على ألف بعير لمالك بن المشفق فيها فحلها قد فقا عينه وفى الابل مالك بن المشفق فركب فرساله ونجا ركضا حتي اذا دنا من قومه نادى ياصباحاه فركبت بنو ضبة . وتداعت بنو تيم فتلاحقوا بالبلقاء . فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه أيهم رئيس القوم . قال حاميتهم صاحب الفرس الادهم يعني بسطاما فعلا عاصم عليه بالرمح فعارضه حتى اذا كان بحذائه رمى بالقوس وجمع يديه في رمحه فطعنه فلم تخطىء صماخ أذنه حتي خرج الرمح من الناحية الاخري وخر على الالاءة والالاءة شجرة فلما رأى ذلك بنو شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فمن قتيل وأسير . وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس بن مسعود أخا

بسطام في سبعين من بني شيبان . فقال ابن غنمة الضبي وهو مجاور يومئذ في بني شيبان يرثي بسطاما وخاف أن يقتلوه . فقال :

لام الارض ويل ما أجنت * بحيث أضر بالحسن السبيل
بقسم ماله فينا وبدعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
كأنك لم تربه ولم تربه * تخب به عذافرة ذبول
حقيبة رحلها بدن وسرج * يعارضها مربة ذؤل
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
لقد ضمنت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفي ببسطام قتيل
فخر على الالاة ولم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل
فان تجزع عليه بنو أبيه * فقد فجعوا وحل بهم جليل
بمطعام اذا الا شوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة :

ويوم شقائق الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه أسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

وقال محرز بن المكعبر الضبي :

أطلقت من شيبان سبعين راكبا * فآبوا جميعا كلهم ليس يشكر
اذا كنت في أفنان شيبان منعما * فجز اللحي ان النواصي تكفر
فلا شعرهم أبغي وان كنت منعما * ولا ودهم في آخر الدهر أضمر

٤٤ - أيام بكر على تميم - يوم الزويرين : قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض تميم في الجاهلية ترعى بها اذا أجدبوا فاذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عورة يصيبونها ولا شيئا يظفرون به الا اكتسحوه . فقالت بنو تميم امنعوا هؤلاء القوم من رعي أرضكم وما يأتون اليكم فحشدت تميم وحشدت بكر واجتمعت . فلم يتخلف منهم الا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذهل بن شيبان وكان غازيا . فقدمت بكر عليهم عمر الاصم أبا مفروق قال وهو

عمرو بن قيس بن مسعود أبوعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فحسد سائر ربيعة الاصم على الرياسة فاتوه فقالوا يا أبا مفروق انا قد زحفنا لتميم وزحفوا الينا أكثر ما كنا وكانوا قط قال فما تريدون قالوا نريد ان نجعل كل حي على حياله ونجعل عليهم رجلا منهم فنعرف عناء كل قبيلة فانه أشد لاجتهاد الناس . قال والله اني لابغض الخلاف عليكم ولكن ياتي مفروق فينظر فيما قلتم . فلما جاء مفروق شاوره ابوه وذلك أول يوم ذكرنيه مفروق بن عمرو . فقال له مفروق ليس هذا أرادوا وانما أرادوا ان يخدعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال الفضل لنا بذلك أبدا ولئن ظفر بك لاتزال لنا رياسة نعرف بها . فقال الاصم ياقوم قد استشرت مفروقا فرأيته مخالفا لكم ولست مخالفا رأيه وما أشار اليه فاقبلت تميم بجملين مجللين مقرونين مقيدين وقالوا لا نولي حتي يولي هذان الجملان وهما الزويران فاخبرت بكر بقولهم الاصم . فقال وانا زويركم ان خشوهما فخشوني وان عقروهما فاعقروني . قال والتقى القوم فاقتتلوا قتالا شديدا . قال وأسرت القوم بنو تميم حراث بن مالك أخا مرة بن همام فركض به رجل منهم وقد أردفه واتبعه ابنه قتادة بن حراث حتي لحق الفارس الذى أسر أباه فطعنه فارداه عن فرسه واستنقذ أباه . ثم استحر بين الفريقين القتال فانهزمت بنو تميم . فقتل منهم مقتلة عظيمة فمن قتل منهم أبو الرئيس النهشلي . واخذت بكر الزويرين أخذتهما بنو سدوس بن شيبان ابن ذهل بن ثعلبة فنحروا أحدهما فاكلوه وافتحلوا الآخر وكان نجيبا . فقال رجل من بني سدوس :

ياسلم ان تسالي عنا فلا كشف * عند اللقاء ولسنا بالمقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * جيش الزويرين في جمع الاحاليف
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

وقال الاغلب بن جعشم العجلي :

جاؤا بزوريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا قد كان من عهد ارم
فكر بالسيف اذا الرمح انحطم * كهمة الليث اذا ما الليث هم
كانت تميم معشرا ذوي كرم * مخلصة من القلاص العصم
قد نفخوا لو ينفخون في فحم * وصبروا لو صبروا على أمم
اذ ركبت ضبة اعجاز النعم * فلم تدع ساقا لها ولا قدم

٤٥ — يوم الشيطين لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : لما ظهر الاسلام قبل ان يسلم اهل نجد والعراق سارت بكر بن وائل الى السواد . وقالت نغير على تميم بالشيطين فان فى دين ابن عبد المطلب من قتل نفسا قتل بها فنغير هذا العام . ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذراري والاموال فاتوا الشيطين في أربع وبينهما مسيرة ثمان أميال . فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون ورئيسهم يومئذ بشر بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين . فقتلوا بنى تميم قتلا ذريعا وأخذوا أموالهم واستحر القتل فى بنى العنبر و بني ضبة و بني يربوع دون بني مالك بن حنظلة . قال ابو عبيدة : حدثنا ابو الحمناء العنبري قال قتل من بني تميم يوم الشيطين ستمائة رجل قال فوفد وفد بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع الله على بكر بن وائل فابي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رشد بن زهير العنبرى :

وما كان بين الشيطين ولعلع * لسوقتنا الا مراجع أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديقة يضلع
بارعن دهم شيد الباق وسطه * له عارض فيه الاسنة تلمع
صبحنا به سعدا وعمرا ومالكا * فكان لهم يوم من الشر أشنع
فخلوا لنا صحن العراق وانه * حمى منهم لا يستطاع ممنع

٤٦ — يوم صعفوق لبكر على تميم — اغارت بنو ربيعة على بنى سليط بن يربوع يوم صعفوق فاصابوا منهم أسرى . فاتى طريف بن تميم العنبري فروة بن مسعود وهو يومئذ سيد بنى ربيعة ففدى منهم أسرى بني سليط ورهنهم ابنه فابطا عليهم فقتلوا ابنه . فقال :

لا تامنن سليمي ان أفارقها * صرمى الظعائن بعد اليوم صعفوق
اعطيت اعداءه طوعا برمته * ثم انصرفت وظني غير موثوق

٤٧ — يوم مبايض لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : كانت الفرسان اذا كانت أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا كى لا يعرفوا . وكان طريف بن تميم العنبري لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن وائل . وكان طريف قتل شراحيل الشيباني أحد بني عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان . فقال حصيصة أروني طريفا فاروه اياه فجعل كلما مر به تامله و نظر اليه ففطن طريف . فقال مالك تنظر الى . فقال اتوسمك

لاعرفك الله على ان لقيتك ان اقتلك أو تقتلني . فقال طريف فى ذلك :

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
فتوسموني انني أنا ذلكم * شاكى سلاحى فى الحوادث معلم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
حولى اسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتي خضم

قال فمضى لذلك ماشاء الله . ثم ان بني عائدة حلفاء بنى ربيعة بن ذهل بن شيبان وهم بزعمون انهم من قريش وان عائذة بن لؤى بن غالب خرج منهم رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بني شيبان فذعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه . فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فابت بنو ربيعة عليهم ذلك . فقال هانيء بن مسعود يا بنى ربيعة ان اخوتكم قد أرادوا ظلمكم فانمازوا عنهم . قال ففارقوهم وساروا حتى نزلوا بمبايض ماء لهم . ومبايض علم من وراء الدهناء فابق عبد لرجل من بني ربيعة فسار الى بلاد تميم فاخبرهم أن حيا جديدا من بنى بكر بن وائل نزول على مبايض وهم بنو ربيعة والحي الجديد المنتقى من قومه فقال طريف العنبري هؤلاء ثارى يا آل تميم انما هم اكلة رأس واقبل فى بني عمرو بن تميم واقبل معه أبو الجدعاء أحد بنى طهية وجاءه فدكى بن عبد المنقرى فى جمع من بني سعد بن زيد مناة فنذرت بهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانىء بن مسعود وهو رئيسهم الى علم مبايض . فاقاموا عليه وشرقوا بالاموال والسرح وصبحتهم بنو تميم فقال لهم طريف أطيعونى وافرغوا من هؤلاء الاكلاب يصف لكم ماوراءهم . فقال له أبو الجدعاء رئيس بنى حنظلة وفدكى رئيس بني سعد بن مناة انقاتل اكلبا أحرزوا نفوسهم ونترك أموالهم ماهذا برأى وأبوا عليه . فقال هانىء لاصحابه لايقاتل رجل منكم ولحقت تميم بالنعم والبغال فاغاروا عليها . فلما ملؤا أيديهم من الغنيمة قال هانيء بن مسعود لاصحابه احملوا عليهم فهزموهم وقتلوا طريفا العنبرى قتله حميصة الشيبانى . وقال :

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * سفها وانت بمعلم قد تعلم
وأتيت حيا في الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستقدم
فوجدت قوما يمنعون ذمارهم * بسلا اذا هاب الفوارس أقدموا
واذا دعوا بنى ربيعة شمروا * بكتائب دون النساء تلملم
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم * وحموا ذمار أبيهم ان يشتموا

سلبوك درعك والاغر كلاهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

٤٨ — يوم فيحان لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : لما فدي بسطام بن قيس ابن عتيبة بن الحرث اذ أسر يوم الغبيط بار بعمائة بعير قال لادركن عقل ابلى فاغار بفيحان فاخذ الربيع بن عيينة واستاق ماله . فلما سار يومين شغل عن الربيع بالشراب وقد مال الربيع على قده حتى لان ثم خلعه وانحل منه . ثم جال فى متن ذات النسوع فرس بسطام وهرب فركبوا فى أثره . فلما يئسوا منه ناداه بسطام يا ربيع هلم طليقا فابى قال وأتى نادى قومه يحدثهم فجعل يقول فى أثناء حديثه ايها يا ربيع انج ربيع وكان معه رئى . قال وأقبل ربيع حتى انتهي الى ادني بني يربوع فاذا هو براع فاستسقاه وضربت الفرس برأسها فماتت فسمي ذلك المكان الى اليوم هبير الفرس . فقال له ابوه عيينة اما اذ نجوت بنفسك فانى مخاف لك مالك

٤٩ — يوم ذى قار الاول لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : فخرج عيينة فى نحو خمسة عشر فارسا من بني يربوع فكمن في حمي ذى قار حتي مرت به ابل بني الحصين بالفداوية اسم ماء لهم فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاء ثم استاقوها فاخلف للربيع ماذهب له . وقال :

ألم ترنى أفات على ربيع * جلادا فى مباركها وخورا
وانى قد تركت بني حصين * بذى قار يرمون الامورا

٥٠ — يوم الحاجر لبكر على تميم — قال ابو عبيدة : خرج وائل بن صريم اليشكرى من اليمامة فلقيه بنو أسيد بن عمرو بن تميم أخذوه أسيرا فجعلوا يغمسونه فى الركية ويقولون * يا ايها الماتح دلوي دونكا * حتى قتلوه فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجر فاخذ ثمامة بن باعث بن صريم رجلا من بني أسيد كان وجيها فيهم فقتله وقتل على طنه مائة منهم . فقال باعث بن صريم

سائل أسيدا هل ثارت بوائل * أم هل شفيت النفس من بلبالها
اذ أرسلونى ماتحا لدلائهم * فملأتها علقا الى أشبالها
ان الذى سمك السماء مكانها * والبدر ليلة نصفها وهلالها
آليت انقف منهم ذا لحية * ابدا فينظر عينه فى مالها

وقال : سائل أسيدا هل ثأرت بوائل * أم هل أتيتهم بامر مبرم
أذ أرسلوني مانحا لدلائهم * فملأتهن الى العراقى بالدم

٥١ — يوم الشقيق لبكر على تميم — قال أبو عبيدة : أغار أبجر بن جابر العجلى على بني مالك بن حنظلة فسبي سليمى بنت محصن فولدت له أبجر . ففى ذلك يقول أبو النجم :

ولقد كررت على طهية كرة * حتى طرقت نساءها بمساء

٥٢ — حرب البسوس وهى حرب بكر وتغلب ابنى وائل — أبو المنذر هشام ابن محمد بن السائب قال : لم تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وربيعة وكليب . فالاول عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث . وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان . وهو الياس بن مضر وعامر بن الظرب هو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة . وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن . والثانى ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم ابن بكر بن حبيب بن كعب هو قائد معد يوم السلان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث كليب بن ربيعة . وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل وقاد معدا كلها يوم خزازي ففض جموع اليمن وهزمهم . فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتاجه ونجيبته وطاعته فغبر بذلك حينا من دهره . ثم دخله زهو شديد وبغي على قومه لما هو فيه من عزه وانقياد معد له حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يهاج ولا تورد ابل احد مع ابله ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب أعز من كليب وائل . وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة . وكان كليب بن وائل قد تزوج جليلة بنت مرة ابن ذهل بن شيبان وأخوها جساس بن مرة . وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكانت نازلة فى بني شيبان مجاورة لجساس . وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب أشأم من سراب وأشأم من البسوس . فمرت ابل لكليب بسراب ناقة البسوس وهى معقولة بفناء بيتها جوار جساس بن مرة . فلما رأت سراب الابل نازعت عقالها حتي قطعته وتبعت الابل واختلطت بها حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة فلما رآها أنكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت

الناقة وهي ترغو . فلما رأتها البسوس قذفت خمارها عن رأسها وصاحت واذلاه واجاراه وخرجت

٥٣ — مقتل كليب بن وائل — فاحمست جساسا فركب فرسا له مغرورا به فاخذ آلته وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان على فرسه ومعه رمحه حتى دخلا على كليب الحمي فقال له يا أبا الماجدة عمدت الى ناقة جارتي فعقرتها . فقال له أتراك مانعي ان أذب عن حماى فاحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو ابن الحرث من خلفه فقطع بطنه . فوقع كليب وهو يفحص برجله . وقال لجساس أغثني بشربة ماء . فقال تجاوزت شبيثا والاحص . ففي ذلك يقول عمرو بن الاهتم :

وان كليبا كان يظلم قومه * فادركه مثل الذي تريان
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذكر ظلم الاهل أى أوان
وقال لجساس أغثني بشربة * والا فخبر من رأيت مكانى
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطني شبيث وهو غير زؤان

وقال نابغة بني جعدة :

أبلغ عقالا ان خطة داحس * بكفيك فاستاخر لها أو تقدم
كليب لعمري كان اكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم
وقال لجساس أغثني بشربة * تدارك بها منا علي وأنعم
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو ذو متوسم

فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهي وتشمر المهلهل أخو كليب واسمه عدى بن ربيعة . وانما قيل له المهلهل لانه أول من هلهل الشعر أي أرقه واستعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه فارسل رجلا منهم الى بني شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الامر فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادى قومه . فقالوا له انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليباً بناب من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم . ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا لكم فيها مخرج ولنا مقنع . فقال مرة وما هى قال له تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا جساسا قاتله فنقتله به أو هماما فانه كفء له أو تمكننا

من نفسك فان فيك وفاء من دمه . فقال أما احياني كليبا فهذا مالا يكون . وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد احتوى عليه . وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه لي فادفعه اليكم يقتل بجريرة غيره واما انا فهل هو الا أن تجول الخيل جولة غدا فاكون أول قتيل بينهما فما أتعجل من الموت . ولكن لكم عندي خصلتان أما احداهما فهؤلاء بني الباقون فعلقوا في عنق أيهم شئتم نسعة فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور والا فالف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بني وائل . فغضب القوم وقالوا لقد أسأت تبذل لنا ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب . ووقع الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها ودعت النمر بن قاسط فانضمت الى بني كليب وصاروا يدا معهم على بكر . ولحقت بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بني شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل . فظعنت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحرث بن عباد في أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامة . وقال المهلهل يرثي كليبا :

بت ليلي بالانعمين طويلا * أرقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف أهدا ولا يزال قتيل * من بني وائل ينسى قتيلا
غيبت دارنا تهامة في الدهـر وفيها بنو معد حلولا
فتساقوا كاسا أمرت عليهم * بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني لجيم بضرب * يترك الهام رقعه مفلولا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا
انتضوا معجس القسي وابرقنـا كما توعد الفحول الفحولا
قتلوا ربهم كليبا سفاها * ثم قالوا ما ان نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى * يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين في عاطف الرحـم ونروي رماحنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه :

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها * اذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أي فتى عز ومكرمة * تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها

نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم * مالت بنا الارض أوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها * زهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ماتلفى أسنتها * الا وقد خضبوها من أعاديها
تهزهزون من الخطى مدمجة * كمتا أنابيبها زرقا عواليها
نروي الرماح بأيدينا فنوردها * بيضا ونصدرها حمرا أعاليها
ليت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم * مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

قال أبو المنذر : أخبرني خراش ان أول وقعة كانت بينهم بالنهى يوم النهى فالتقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة . فكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى شيبان واستحر القتل فيهم الا انه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بني مرة

٥٤ — يوم الذنائب — ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة لهم فظهرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وهو جد معن بن زائدة والحوفزان هو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل قتله عتاب بن سعد بن زهير بن جشم . وقتل الحرث ابن مرة بن ذهل بن شيبان قتله كعب بن زهير بن جشم وقتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو ابن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . وقتل من بني تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله وعبد الله بن مالك بن تيم الله . وقتل من بني قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة وهو أحد الخرفين وكان شيخا كبيرا فحمل فى هودج فلحقه عمرو بن مالك بن الفدوكس بن جشم وهو جد الاخطل فقتله هؤلاء . من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب

٥٥ — يوم واردات — ثم التقوا بواردات وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمينا فظفرت بنو تغلب واستحر القتل فى بنى بكر . فيومئذ قتل الشعثمان شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن الحرث بن سيار . وفيه قتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو

جساس لامه وأبيه فمر به مهلهل مقتولا . فقال والله ماقتل بعد كليب قتيل أعز على فقدا منك وقتله ناشرة . وكان همام رباد وكفله كما كان ربى حذيفة بن بدر قرواشا فقتله يوم الهباءة

٥٦ — يوم عنيزة — ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب . ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيه لبني تغلب على بني بكر . فمنها يوم الحنو . ويوم غو برضات . ويوم انيق . ويوم ضرمة . ويوم العصيات هذه الايام كلها لتغلب على بكر أصيبت فيها بكر حتى ظنوا ان ليس يستقيلون أمرهم . وقال مهلهل يصف هذه الايام وينعيها على بكر فى قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذى حسم أنيرى * اذا أنت انقضيت فلا تجورى
فان يك بالذنائب طال ليلى * فقد أبكى من الليل القصير

وفيها يقول :

فلو نبش المقابر عن كليب * لاخبر بالذنائب أى زير
كأنا غدوة و بني أبينا * بجنب عنيزة رحيا مديرا
واني قد تركت بواردات * بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد * وبعض القتل أشفى للصدور
على ان ليس عدلا من كليب * اذا برزت مخبأة الخدور
ولولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء

أكثرت قتل بني بكر بربهم * حتى بكيت ومايبكى لهم أحد
آليت بالله لا أرضي بقتلهم * حتي أبهرج بكرا أينما وجدوا

قال أبو حاتم : أبهرج أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية . وقال البهرج من الدراهم من هذا . وقال المهلهل :

يالبكر انشروا لى كليبا * يالبكر أين أين الفرار
تلك شيبان تقول لبكر * صرح الشر وبان السرار
و بنو عجل تقول لقيس * ولتيم اللات سيروا فساروا

وقال :

قتلوا كليبا ثم قالوا أربعوا * كذبوا ورب الحل والاحرام

حتى تبيد قبائل وقبيلة * ويعض كل مثقف بالهام
وتقوم ربات الخدور حواسرا * يمسحن عرض ذوائب الايتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه * مما يرى ندما على الابهام

٥٧ — يوم قضة — ثم ان مهلهلا أسرف فى القتل ولم يبال باى قبيلة من قبائل بكر أوقع وكان اكثر بكر قعدت عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليب بن وائل . فكان الحرث ابن عباد قد اعتزل تلك الحروب حتي قتل ابنه بجير بن الحرث. ويقال انه كان ابن أخيه . فلما بلغ الحرث قتله . قال نعم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل وظن أن المهلهل قد أدرك به ثار كليب وجعله كفؤاله . فقيل له انما قتله بشسع نعل كليب . وذلك ان المهلهل لما قتل بجيرا قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث بن عباد . وكان له فرس يقال له النعامة فركبها وتولى أمر بكر . فقتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب . فقال فى ذلك الحرث بن عباد :

قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيالى
لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى

وكان اليوم الذى شهده الحرث بن عباد يوم قضة ويوم تحلاق اللمم . وفيه يقول طرفة ابن العبد :

سائلوا عنا الذي يعرفنا * ما لقوا فى يوم تحلاق اللمم
يوم تبدي البيض عن أسوقها * وتلف الخيل أفواج النعم

وفيه أسر الحرث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه واسمه عدى بن ربيعة . فقال له دلنى على عدى ابن ربيعة وأخلى عنك . فقال له عدى عليك العهود بذلك ان دللتك عليه قال نعم . قال فانا عدى فجز ناصيته وتركه . وقال فيه :

لهف نفسي على عدى ولم أعــرف عديا اذ امكنتني اليدان

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان قتلهما جحدر بن ضبيعة طعن أحدهما بسنان رمحه والآخر بزجه . ثم ان المهلهل فارق قومه ونزل فى بنى جنب وجنب في مذحج فخطبوا اليه ابنته فنعمم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه فى صداقها جلودا من أدم . فقال فى ذلك :

اعزز على تغلب بما لقيت * اخت بني الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الخباء من أدم

لو با بانين جاء يخطبها * زمل ما انف خاطب بدم

٥٨ — الكلاب الاول — قال أبو عبيدة: لما تسافهت بكر بن وائل وغلبها سفهاؤها وتقاطعت أرحامها ارتأى رؤساؤهم . فقالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوى الضعيف ولا نستطيع تغيير ذلك فنرى ان نملك علينا ملكا نعطيه الشاء والبعير فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فتفسد ذات بيننا ولكنا نأتي تبعا فنملكه علينا . فأتوه فذكروا له أمرهم فملك عليهم الحرث ابن عمرو آكل المرار الكندى . فقدم فنزل بطن عاقل . ثم غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما فى أيدي ملوك الحيرة اللخميين وملوك الشام الغسانيين وردهم الى أقاصى أعمالهم . ثم طعن فى نبطه أي مات فدفن ببطن عاقل واختلف ابناه شرحبيل ومسلمة فى الملك . فتواعدا الكلاب فاقبل شرحبيل فى ضبة والرباب كلها وبني يربوع وبكر بن وائل . وأقبل مسلمة فى تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة وعليهم سفيان بن مجاشع وعلى تغلب السفاح وانما قيل له السفاح لانه سفح أوعية قومه . وقال لهم اندروا الى ماء الكلاب فسبقوا ونزلوا عليه وانما خرجت بكر بن وائل مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب فالتقوا على الكلاب واستحر القتل فى بني يربوع وشد أبو حنش على شرحبيل فقتله . وكان شرحبيل قتل حنشا فاراد أبو حنش ان ياتي برأسه الى مسلمة فخافه فبعثه مع عسيف له . فلما رآه مسلمة دمعت عيناه فقال له أنت قتلته . قال لا ولكنه قتله أبو حنش . فقال انما أدفع الثواب الى قاتله وهرب أبو حنش عنه . فقال مسلمة :

ألا أبلغ أباحنش رسولا * فمالك لاتجيء الى الثواب
تعلم ان خير الناس ميتا * قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاميس الرباب

ومما يدل على ان بكرا كانت مع شرحبيل قول الاخطل :

ابا غسان انك لم تهنى * ولكن قد أهنت بني شهاب
ترقوا فى النخيل وأنسؤنا * دماء سراتكم يوم الكلاب

٥٩ — يوم الصفقة — وهو يوم الكلاب الثانى . قال أبو عبيدة: أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال كان يوم الكلاب متصلا بيوم الصفقة . وكان من حديث الصفقة ان

كسرى الملك كان قد أوقع ببني تميم فاخذ الاموال وسبى الذراري بمدينة هجر . وذلك انهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير فسميت تلك الوقعة يوم الصفقة . ثم ان بني تميم أداروا أمرهم وقال ذو الحجي منهم انكم قد أغضبتم الملك و قد أوقع بكم حتي وهنتم وتسامعت بما لقيتم القبائل فلا تامنون دوران العرب فجمعوا سبعة رؤساء منهم وشاوروهم فى أمرهم . وهم أكثم بن صيفى الاسدى والاعيمر بن يزيد بن مرة المازني . وقيس بن عاصم المنقرى . وأبير بن عصمة التيمي والنعمان بن الحسحاس التيمى . وأبين بن عمرو السعدى . والزبرقان بن بدر السعدى . فقالوا لهم ماذا ترون . فقال أكثم بن صيفى وكان يكني أبا حنش ان الناس قد بلغهم ماقد لقينا ونحن نخاف ان يطمعوا فينا . ثم مسح بيده على قلبه وقال اني قد نيفت على التسعين وانما قلبي بضعة من جسمي . وقد نحل كما نحل جسمي واني أخاف ان لايدرك ذهني الرأي لكم . وأنتم قوم قد شاع فى الناس أمركم وانما كان قوامكم اسيفا وعسيفا يريد العبد والاجير وصرتم اليوم انما ترعى لكم بناتكم فليعرض على كل رجل منكم رأيه وما يحضره فاني متي أسمع الحزم أعرفه . فقال كل رجل منهم مارأى وأكثم ساكت لايتكلم حتى قام النعمان بن الحسحاس . فقال ياقوم انظروا ماء يجمعكم ولا يعلم الناس باى ماء أنتم حتى تنفرد الحلقة عنكم . وقد حممتم وصلحت أحوالكم وانجبر كسيركم وقوى ضعيفكم ولا أعلم ماء يجمعكم الاقدة . فارتحلوا وانزلوا قدة وهو موضع يقال له الكلاب فلما سمع أكثم بن صيفى كلام النعمان . قال هذا هو الرأي فارتحلوا حتي نزلوا الكلاب . و بين أدناه واقصاه مسيرة يوم واعلاه مما يلى اليمن وأسفله مما يلى العراق . فنزلت سعد والرباب باعلى الوادى ونزلت حنظلة باسفله . قال أبو عبيدة : وكانوا لايخافون ان يغزوا فى القيظ ولا يسافر فيه أحد ولا يستطيع أحد ان يقطع تلك الصحاري لبعد مسافتها ولیس بها ماء و لشدة حرها فاقاموا بقية القيظ لا يعلم أحد بمكانهم حتي اذا تهور القيظ أى ذهب بعث الله ذا العينين وهو من اهل مدينة هجر فمر بقدة وصحرائها . فرأى مابها من النعم فانطلق حتي أتى أهل هجر . فقال لهم هل لكم فى جارية عذراء ومهرة شوهاء و بكرة حمراء ليس دونها نكبة . فقالوا ومن لنا بذلك قال تلكم تميم القاء مطرحون بقدة . قالوا إى والله فمشى بعضهم الى بعض . وقالوا اغتنموها من بني تميم فاخرجوا منهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيدون . يزيد بن هوبر . ويزيد بن عبد المدان . ويزيد ابن المامور . ويزيد بن المخرم وكلهم حارثيون ومعهم عبد يغوث الحارثي . فكان كل واحد منهم

على ألفين والجماعة ثمانيـة آلاف فلا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منـه ومن يوم جيش كسرى يوم ذى قار . ويوم شعب جبلة فمضوا حتى اذا كانوا ببلاد باهلة . قال جزء ابن جزء لابنه جزء الباهـلي يا بنى هل لك فى اكرومة لا يصاب أبدا مثلها . قال وماذاك قال هذا الحي من تميم قد ولجوا هنـاك مخافة وقد قصصت أثر الجيش يريدونهم فاركب جملى الارجى وسر سيرا رويدا عقبة من الليل يعني ساعة ثم خل عنه حبليه وانخه وتوسد ذراعه . فاذا سمعته قد أفاض بجرته وبال فاستنقعت ثفناته فى بوله فشد عليه حبله . ثم ضع السوط عليه فانك لا تسال جملك شيأ من السير الا أعطاك حتى تصبح القوم ففعل ما أمره به . قال الباهلى فحللت بالكلاب قبـل الجيش وأنا أنظر الى ابن ذكاء يعني الصبح فناديت ياصبـاحاه فانهم ليثبون الى يسالوني من أنت اذ أقبل رجـل من بني شقيق على مهر قد كان فى النعم فنادى ياصبـاحاه قد أتى على النعم . ثم كر راجعا نحو الجيش فلقيه عبـد يغوث الحارثي وهو أول الرعيل فطعنه فى رأس معدته فسبق اللبن الدم . وكان قد اصطبح . فقال عبـد يغوث أطيعوني وامضوا بالنعم وخلوا العجائز من تميم ساقطة افواهها . قالوا امادون ان تنكح بناتهم فلا . وقال ضمرة بن لبيد الحمـاسى أنظروا اذا استقتم النعم فان أتتكم الخيل عصبـا العصبة تنتظر الاخري حتى تلحق بهـا فان أمر القوم هين وان لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتي يردوا وجوه النعم فان أمرهم شديد . وتقـدمت سعـد والرباب فى أوائل الخيل فالتقوا بالقوم فلم يلتفتوا اليهم واستقبـلوا النعم ولم ينتظر بعضهم بعضـا . ورئيس الرباب النعمان بن الحسحـاس . ورئيس بنى سعد قيس ابن عاصم . وأجمع العلمـاء ان قيس بن عاصم كان رئيس بني تميم . فالتقي القوم فكان أول صريع النعمان بن الحسحاس واقتتل القوم بقيـة يومهم . وثبت بعضهم لبعض حتي حجز الليـل بينهم . ثم أصبحوا على راياتهم . فنادي قيس بن عاصم يا آل سعد . ونادى عبد يغوث يا آل سعد قيس يدعو سعد بن زيد مناة وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادي يا آل كعب فنادى عبد يغوث يا آل كعب قيس يدعو كعب بن سعد وعبد يغوث يدعو كعب بن مالك . فلما رأى ذلك قيس نادي يا آل كعب مقاعس . فلما سمعه وعلة بن عبد الله الجرمى . وكان صاحب لواء أهل اليمن نادى يا آل مقاعس تفاءل به فطرح له اللواء . وكان أول من انهزم فحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم لا تقتلوا الا فارسا فان الرجالة لكم . ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصباً هواريا * أقسمت لا أطعن الا راكبا * انى وجدت الطعن فيهم صائبا

وقال أبو عبيد : أمر قيس بن عاصم ان يتبعوا المنهزمة ويقطعوا عرقوب من لحقوا ولا يشتغلوا بقتلهم عن اتباعهم فجزوا دوابرهم . فذلك قول وعلة :

فدى لكم أهلى وأمى ووالدي * غداة كلاب اذ تجز الدوابر

وسنكتب هذه القصيدة على وجهها . وحمى عبد يغوث أصحابه فلم يوصل الى الجانب الذى هو فيه فالظ به مصاد بن ربيعة بن الحرث . فلما لحقه مصاد طعنه فالقاه عن الفرس فاسره . وكان مصاد قد أصابته طعنة فى مابضه . وكان عرقه يهمي أى يسيل فعصبه وكتفه يعني عبد يغوث ثم اردفه خلفه فنزفه الدم فمال عن فرسه مقلوبا . فلما رأي ذلك عبد يغوث قطع كتافه واجهز عليه وانطلق على فرسه وذلك أول النهار . ثم ظفر به بعد فى آخره ونادى مناد قتل اليزيديون وشد قبيصة بن ضرار الضبي على ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن فطعنه فخر صريعا . فقال له قبيصة الا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم وأسر عبد يغوث أسره عصمة بن أبير التيمى . قال أبو عبيدة : انتهي عصمة ابن ابير الى مصاد وقد أمعنوا فى الطلب فوجده صريعا وقد كان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيرا فى يديه فعرف انه هو الذي اجهز عليه فاقتص أثره . فلما لحقه قال له ويحك انى رجل أحب اللبن وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال عبد يغوث ومن أنت قال عصمة ابن أبير . قال عبد يغوث أو عندك منعة . قال نعم فالقي يده فى يده فانطلق به عصمة حتى جثاه عند الاهتم على ان جعل له من فداه جعلا . فوضعه الاهتم عند امرأته العبشمية فاعجبها جماله وكمال خلقه . وكان عصمة الذى أسره غلاما نحيفا . فقالت لعبد يغوث من أنت قال أنا سيد القوم فضحكت . وقالت قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا . ولذلك يقول عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عبشمية * كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

فاجتمعت الرباب الى الاهتم . فقالت ثار نا عندك وقد قتل مصاد والنعمان فاخرجه الينا فابي الاهتم ان يخرجه اليهم فكاد ان يكون بين الحيين الرباب وسعد فتنة حتى أقبل قيس بن عاصم المنقرى . فقال أترى اقطع حلف الرباب من قبلنا وضرب فمه بقوس فهمته فسمى الاهتم فقال الاهتم انما دفعه الى عصمة بن أبير ولا أدفعه الا لمن دفعه الى فليجي فلياخذه فاتوا عصمة فقالوا يا عصمة قتل سيد نا النعمان وفارسنا مصاد وثار نا أسيرك وفى يدك فما ينبغى لك أن تستحييه . فقال اني ممحل وقد اصبت الغني فى نفسي ولا تطيب نفسى عن اسيرى فاشتراه بنو الحسحاس بمائة بعير . وقال رؤبة بن العجاج بل ارضوه بثلاثين من حواشى النعم فدفعه اليهم فخشوا ان

يهجوهم فشدوا على لسانه نسعة . فقال انكم قاتلي ولا بد فدعوني اذم أصحابي وأنوح على نفسي فقالوا انك شاعر ونخاف ان تهجونا فعقد لهم ان لا يفعل فاطلقوا لسانه وامهلوه حتي قال قصيدته التي أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا * فما لكما في اللوم خير ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها * قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * نداماي من نجران ان لا تلاقيا
أبا كرب والاهتمين كلاهما * وقيس بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة * صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتني من القوم نهدة * ترى خلفها الجرد الجياد تواليا
ولكنني أحمي ذمار أبيكم * وكاد الرماح يختطفن المحاميا
أحقا عباد الله أن لست سامعا * نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة * أمعشر تيم اطلقوا عن لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية * كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا * فان أسار لم يكن من بوانيا
وقد علمت عرسي مليكة انني * انا الليث معدوا عليه وعاديا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل المطي وامضي حيث لا حي ماضيا
وأعقر للشرب الكرام مطيتي * واصدع بين القينتين ردائيا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا * لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها * بكفي وقد أنحوا الي العواليا
كأني لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلي كري قاتلي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لأيسار صدق اعظموا ضوء ناريا

قال أبو عبيدة : فلما ضربت عنقه قالت ابنة مصاد بؤ بمصاد . فقال بنو النعمان يا لكاع نحن نشتريه بأموالنا ويبوء بمصاد . فوقع بينهم في ذلك الشر ثم اصطلحوا وكان الغناء كله يوم الكلاب من الرباب لتميم ومن بني سعد لمقاعس . وقال وعلة الجرمي وكان أول منهزم انهزم يوم الكلاب وكان بيده لواء القوم :

ومن على الله منا شكرته * غداة الكلاب اذ تجز الدوابر
ولما رأيت الخيل تبرى اثايجا * علمت بان اليوم احمس فاجر
نجوت نجاء ليس فيه وتيرة * كأني عقاب عند تيماء كاسر
خدارية صعقاء لبد ريشها * بطخفة يوم ذو أهاضيب ماطر
لها ناهض في الوكر قد مهدت له * كما مهدت للبعل حسناء عاقر
كأنا وقد حالت جدية دوننا * نعام تلاه فارس متواتر
فمن يك يرجو في تميم هوادة * فليس لجرم في تميم أواصر
ولما سمعت الخيل تدعو مقاعسا * تنازعني من ثغرة النحر ناحر
فان استطع لا تبتئس بي مقاعس * ولا ترني بيداؤهم والمحاضر
ولا أك في جرارة مضرية * اذا ما غدت قوت العيال تبادر
يقول لي النهدي هل أنت مردفي * وكيف رداف الفل امك عاثر
يذكرني بالآل بيني وبينه * وقد كان في جرم و نهد تدابر

وقال محرز بن المعكبر الضبي ولم يشهدها وكان مجاورا في بكر بن وائل لما بلغه الخبر :

فدى لقومي ما جمعت من نشب * اذ ساقت الحرب أقواما لاقوام
اذ حدثت مذحج عنا وقد كذبت * ان لا يذب عن أحسابنا حام
دارت رحاهم قليلا ثم واجههم * ضرب تصدع منه جلدة الهام
ظلت ضباع مجيرات تجررهم * وألحموهن منهم أي إلحام
حتى جدية لم يترك بها ضبعا * الا لها جزر من شلو مقدام
ظلت رؤس بني كعب بكلكلها * وهم يوم بني بدر باظلام

قال أبو عبيدة : حدثني المنتجع بن نبهان قال وقف رؤبة بن العجاج على التيم بمسجد الحرورية فقال يامعشر تيم اني سمرت عند الامير تلك الليلة فتذاكرنا يوم الكلاب . فقال يامعشر تيم ان الكلاب ليس كما ذكرتم فاعفونا من قصيدتي صاحبينا يعني عبد يغوث ووعلة الجرمي ومن قصيدة ابن المعكبر صاحبكم وهاتوا غير ذلك فانتم أكثر الناس كلاما وهجاء . قال رؤبة فانشدناه في ذلك اليوم شعرا كثيرا فجعل يقول هذه اسلامية كلها

٦٠ — يوم طخفة — كانت الردافة ردافة الملك لعتاب بن هرم بن رباح ثم كانت لقيس بن عتاب . فسأل حاجب بن زرارة النعمان ان يجعلها للحرث من مرط بن سفيان ابن مجاشع فسألها النعمان بني يربوع وقال اعقبوا اخوتكم فى الردافة قالوا انهم لا حاجة لهم فيها وانما سألها حاجب حسدا لنا وأبوا عليه . فقال الحرث بن شهاب وهو عند النعمان ان بني يربوع لا يسلمون ردافتهم الى غيرهم . وقال حاجب ان بعث اليهم الملك جيشا لم يمنعوا ولم يمتنعوا فبعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسان بن المنذر . فكان قابوس على الناس وكان حسان على المقدمة وبعث معهم الصنائع والوضائع فالصنائع من كان يأتيه من العرب والوضائع المقيمون بالحيرة . فالتقوا بطخفة فانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره وأخذه ليجز ناصيته . فقال قابوس ان الملوك لا تجز نواصيها فجهزه وأرسله الى أبيه . وأما حسان بن المنذر فاسره بشر بن عمرو الرياحى ثم من عليه وأرسله . فقال مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه * جراز من الهندى أبيض مقضب
طلبنا بها أنا مداريك قبلها * اذا طلب الشاو البعيد المقرب

٦١ — يوم فيف الريح — قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحرث بن كعب وقبائل من مراد وجعفى وزبيد وخثعم . وعليهم أنس بن مدركة وعلى بني الحرث الحصين . فاغاروا علي بني عامر بن صعصعة بفيف الريح . وعلى بنى عامر عامر بن مالك ملاعب الاسنة . قال فاقتتل القوم فكسروهم وارفضت قبائل من بنى عامر وصبرت بنو نمير فما شبهوا الا بالكلاب المتعاظلة حول اللواء . وأقبل عامر ابن الطفيل وخلفه دعي بن جعفر . فقال يامعشر الفتيان من ضرب ضربة أوطعن طعنة فليشهدنى . فكان الفارس اذا ضرب ضربة أوطعن طعنة قال عند ذلك أبا على . فبينما هو كذلك اذ أتاه مسهر بن يزيد الحارثى . فقال له من ورائه عندك ياعامر والرمح عند اذنه فوهصه أى طعنه فاصاب عينه فوثب عامر عن فرسه ونجا على رجليه . وأخذ مسهر رمح عامر . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر :

لعمرى وما عمري على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
أعاذل لو كان البداذ لقوتلوا * ولكن نزونا بالغدبر المجمهر

ولو كان جمع مثلنا لم يبزنا * ولكن اتتنا ثروة ذات مفخر
أتونا ببهراء ومذحج كلها * وأكلب طرا في جباب السنور

وقال مسهر وزعم انهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل :

وهصت بخوص الرمح مقلة عامر * فاضحى نحيفا في الفوارس أعورا
وغادر فينا رمحه وسلاحه * وأدبر يدعو في الهوالك جعفرا
وكنا اذا قيسية فرقت لنا * جري دمعها من عينها فتحدرا
مخافة مالاقت حليلة عامر * من الشر اذ سربالها قد تعفرا

قال وامتنت بنو نمير على بني كلاب بصبرهم يوم فيف الريح فقال عامر :

تمنون بالنعما ولولا مكرنا * بمنعرج الفيفا لكنتم مواليا
ونحن تداركنا فوارس وحوح * عشية لاقين الحصين اليمانيا

وحوح من بني نمير وكان عامر استنقذهم وأسر حنظلة بن الطفيل يومئذ . قال ابو عبيدة : كانت وقعة فيف الريح وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وأدرك مسهر بن يزيد الاسلام فاسلم

٦٢ — يوم تياس — كانت افناء قبائل من بني سعد بن زيد مناة وافناء قبائل من بني عمرو بن تميم التقت بتياس . فقطع غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم رجل الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة فطلبوا القصاص فاقسم غيلان أن لا يعقلها ولا يقص بها حتي تحشى عيناه ترابا . وقال :

لا نعقل الرجل ولا نديها * حتي تروا داهية تنسيها

فا لتقوا فاقتتلوا فجرحوا غيلان حتى ظنوا انهم قد قتلوه ورئيس عمرو ولواؤه مع ابنه ذؤيب وهو القائل لابنه :

يا كعب ان أخاك منحمق * ان لم يكن بك مرة كعب
جانيك من يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب
والحرب قد يضطر جانبها * نحو المضيق ودونه الرحب

٦٣ — يوم زرود الاول — غزا الحوفزان حتي انتهي الى زرود خلف جبل من جبالها . فاغاروا على نعم كثير صادر عن الماء لبنى عبس فاحتازوه وأتى الصريخ بني عبس . فركبوا ولحق عمارة بن زياد العبسي الحوفزان فعرفه . وكانت أم عمارة قد ارضعت مضر بن

شريك وهو أخو الحوفزان . وقال عمارة يابني شريك قد علمتم ما بيننا وبينكم . قال الحوفزان وهو الحرث بن شريك صدقت ياعمارة فانظر كل شيء هو لك فخذه . فقال عمارة لقد علمت نساء بني بكر بن وائل اني لم أملأ أيدي أزواجهن وابنائهن شفقة عليهن من الموت . فحمل عمارة ليعارض النعم ليرده وحال الحوفزان بينه و بين النعم فعثرت بعمارة فرسه فطعنه الحوفزان ولحق به نعامة بن عبد بن شريك فطعنه أيضا . وقال نعامة ما كرهت الرمح في كفل رجل قط أشد من كفل عمارة وأسرا بني عمارة سناد وشداد . وكان في بني عبس رجلان من طيء ابنان لاوس بن حارثة مجاورين لهم . وكان لهما أخ أسير في بني يشكر فاصابا رجلا من بني مرة يقال له معدان بن محرب فذهبا به فدفناه تحت شجرة . فلما فقدته بنو شيبان : نادوا ياثارات معدان . فعند ذلك قتلوا بني عمارة وهرب الطائيان باسيرهما . فلما رأ عمارة من جراحه أتى طيا فقال ادفعوا الى هذا الكلب الذى قتلنا به . فقال الطائي لاوس ادفع الى بني عبس صاحبهم . فقال لهم أوس أتامروني أن أعطي بني عبس قطرة من دمي وان ابني أسير في بني يشكر فوالله ما أرجو فكاكه الا بهذا . فلما قفل الحوفزان من غزوه بعث الى بني يشكر في ابن أوس فبعثوا به اليه ففتك به معدان . وقال نعامة بن شريك :

استنزلت رماحنا سنانا * وشيخنا بطخفة عنانا

ثم أخوه قد رأى عيانا * لما فقدنا بيننا معدانا

٦٤ — يوم غول الثاني — وهو يوم كنهل قال أبو عبيدة : اقبل ابنا هجيمة وهما من بني غسان في جيش فنزلا في بني يربوع فجاورا طالق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع فنزلا معه على ماء يقال له كنهل فاغار عليهما اناس من ثعلبة بن يربوع فاستاقوا نعمهما وأسروا من كان في النعم . فركب قيس بن هجيمة بخيله حتى أدرك بني ثعلبة فكر عليه عتيبة بن الحرث . فقال له قيس هل لك ياعتيبة الى البراز . فقال ما كنت لاسأله وأدعه فبارزه . قال عتبة فما رأيت فارسا املأ لعيني منه يوم رأيته فرماني بقوسه فما رأيته شيا كان أكره الى منه فطعنني فاصاب قربوس سرجي حتي وجدت من السنان في باطن فخذي فتجنبت . قال ثم أرسل الرمح وقبض بيدى وهو يرى ان قد أثبتني وانصرف فاتبعته الفرس . فلما سمع زجلها رجع جانحا على قربوس سرجه وبدا لى فرج الدرع ومعي رمح معلبة بالقد والعصب كنا نصطاد به الوحش فرميته بالقوس وطعنته

بالرمح فقتلته وانصرفت . فلحقت النعم . وأقبل الهرماس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلا ثم اتبعني . وقال هل لك في البراز فقلت لعل الرجعة لك خير . قال ابعد قيس ثم شد على فضر بني على البيضة فخلص السيف الى رأسي وضربته فقتلته . فقال سحيم بن رئيل بعير طارقا بقتل جاريه :

لقد كنت جارا لبني هجيمة قبلها * فلم تغن شيا غير قتل المجاور

وقال جرير :

وساق ابني هجيمة يوم غول * الى أسيافنا قدر الحمام

٦٥ — يوم الجبابات — قال ابو عبيدة : خرج بنو ثعلبة بن يربوع فمروا بناس من طوائف بني بكر بن وائل بالجبابات خرجوا اسفارا فنزلوا وسرحوا ابلهم ترعى وفيها نفر منهم يرعونها منهم سوادة بن يزيد بن بجيل العجلي ورجل من بني شيبان وكان محموما . فمرت بنو ثعلبة بن يربوع بالابل فاطردوها وأخذوا الرجلين فسالوهما من معكما . فقالا معنا شيخ بن يزيد بن بجيلي العجلي في عصابة من بني بكر بن وائل خرجوا اسفارا يريدون البحرين . فقال الربيع ودعموص ابنا عتيبة بن الحرث بن شهاب أين نذهب بهذين الرجلين وبهذه الابل ولم يعلموا من أخذها ارجعوا بنا حتي يعلموا من أخذ ابلهم وصاحبيهم ليعنيهم ذلك . فقال لهما عميرة ماوراءكما الاشيخ بن يزيد قد أخذتما أخاه واطردتما ماله دعاه فابيا ورجعا فوقفا عليهم وأخبراهم وتسميا لهم فركب شيخ ابن يزيد فاتبعهما وقد وليا . فلحق دعموصا فاسره ومضي ربيع حتي أتى عميرة فاخبره ان أخاه قد قتل . فرجع عميرة على فرس يقال له الخنساء حتي لحق القوم فافتك منهم دعموصا على ان يرد عليهم أخاهم وابلهم فردها عليهم فكفر ابنا عتيبة ولم يشكرا عميرة : فقال :

ألم ترد عموصا يصد بوجهه * اذا مارآني مقبلا لم يسلم
ألم تعلما يا ابني عتيبة مقدمي * علي ساقط بين الاسنة مسلم
فعارضت فيه القوم حتي انتزعته * جهاراً ولم أنظر له بالتلوم

٦٦ — يوم آراب — غزا الهذيل بن حسان التغلبي فاغار على بني يربوع بآراب فقتل فيهم قتلا ذريعا فاصاب نعما كثيرة وسبي سبيا كثيرا فيهم زينب بنت حميري بن الحرث بن همام بن رياح بن يربوع رهي يومئذ عقيلة نساء بني تميم وكان الهذيل يسمي المجدع . وكان بنو تميم

يفزعون به أولادهم وسبي أيضا طابية بنت جزء بن سعد الرياحي ففداها أبوها وركب عتيبة ابن الحرث في اسراهم ففكهم أجمعين

٦٧ — يوم الشعب — غزا قيس بن شرقاء التغلبي فاغار على بني يربوع بالشعب فاقتتلوا فانهزمت بنو يربوع فزعم أبو عبيدة انها كانت اختطافا فاسر سحيم بن واصل الرياحي ففي ذلك يقول سحيم :

أقول لهم بالشعب اذ ياسرونني * ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم

ففدا نفسه وأسر يومئذ متمم بن نويرة . فوفد مالك بن نويرة على قيس بن شرقاء في فدائه فقال :

هل أنت ياقيس بن شرقاء منعم * أو الجهدان أعطيته أنت قائله

فلما رأى وسامته وحسن شارته . قال بل منعم فاطلقه له

٦٨ — يوم عول الاول — فيه قتل طريف بن شراحيل وعمرو بن مرثد الملحمى غزا طريف بن هشيم في بنى العنبر وطوائف من بني عمرو بن تميم فاغار على بنى بكر بن وائل بعول فاقتتلوا . ثم ان بكرا انهزمت فقتل طريف بن شراحيل أحد بني ربيعة وقتل أيضا عمرو بن مرثد الملحمي وقتل المحسر . فقال في ذلك ربيعة بن طريف :

يارا كبا بالغن عنى مغلغلة * بني الخصيب وشر المنطق الفند
هلا شراحيل اذ مال الحزام به * وسط العجاج ألم يغضب له أحد
أو المحسر أو عمرو يخيفهم * منا فوارس هيجا نصرهم حسد
ان يلحظونى بزرق من أسنتنا * تشفى بهن النسا والعجب والكبد
وقد قتلنا كم صبرا وناسركم * وقد طردنا كم لو ينفع الطرد
حتى استغاث بنا أدنى شريدكم * من بعد مامسه الضراء والنكد

قال نضلة السلمي في يوم عول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة :

ألم تسل الفوارس يوم عول * بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو حر * وينفع أهله الرجل القبيح
فشد عليهم بالسيف صلتا * كما عض الشبا الفرس الجموح
فاطلق غل صاحبه وأردى * قتيلا منهم ونجا جريح
ولم يخشوا مصالته عليهم * وتحت الرغوة اللبن الصريح

٦٩ — يوم الخندمة — كان رجل من مشركي قريش يحد حربة يوم فتح مكة . فقالت له امرأته ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه قالت والله ما أري يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال والله انى لارجوان أخدمك بعض نسائهم وأنشأ يقول :

ان تبتلوا اليوم فمالى علة * هذا سلاح كامل واله * وذو غرار بن صريع السله

فلما لقيهم خالد بن الوليد يوم الخندمة انهزم الرجل لا يلوى على شيء فلامته امرأته . فقال :

انك لوشهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه

واستقبلنا بالسيوف المسلمه * يقطعن كل ساعد وجمجمه

ضربا فلا تسمع الا غمغمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

٧٠ — يوم اللهيما — قال أبو عبيدة . كان سبب الحرب التى كانت بين عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل و بين عمرو بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة أن قيس بن عامر بن غريب أخا بنى عمر بن عدى وأخاه سالما خرجا يريدان بني عمرو بن الحرث على فرسين يقال لاحداهما اللعاب والاخرى عفزر فباتا عند رجل من بني نفاثة . فقال النفاثى لقيس وأخيه اطيعانى وأرجعا لا اعرفن رماحكما تكسر فى قتادنعمان قالا ان رماحنا لا تكسر الا فى صدور الرجال . قال لا يضركما وستحمدان أمرى فاصبحا غاديين . فلما اشارفا متن اللهيما من نعمان و بنو عمرو بن الحرث فويق ذلك بموضع يقال له أديمة أغارا على غنم جندب بن أبي عميس وفيها جندب فتقدم اليه قيس . فرماه جندب في حلمة ثديه و نفحه قيس بالسيف فاصابت ظبة السيف وجه جندب وخر قيس و نفرت الغنم نحو الدار تبتعها . وحمل سالم على جندب بفرسه عفزر فضرب جندب خطم عفزر بالسيف فقطعه وضربه سالم فاتقاه بيده فقطع احد زنديه فخر جندب و ذفف عليه سالم وأدرك العشى سالما فخرج وترك سيفه فى المعركة وثوبه بحقويه لم ينج الا بجفن سيفه ومئزره . فقال فى ذلك حماد ابن عامر :

لعمرك ما وفى ابن أبي عميس * وما خان القتال وما أضاعا

* سما بقرانه حتى اذا ما * أتاه قرنه بذل المصاعا

فان أك نائيا عنه فانى * سررت بانه عين البياعا

وأفلت سالما منها حر بصا * وقد كلم الدراية والذراعا
ولو سلمت له يمنى يديه * لعمر أبيك أطعمك السباعا

وقال حذيفة بن أنيس :

ألا بلغا جل المرارى وجابرا * وبلغ بني ذى السهم عنا ويعمرا
كشفت غطاء الحرب لما رأيتها * تميل على صفو من الليل أكدرا
أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
ويمشى اذا ما الموت كان أمامه * كذا الشبل يحمي الانف ان يتأخرا
نجا سالم والنفس منه بشرقة * ولم ينج الا جفن سيف ومئزرا
وطاب عن اللعاب نفسا ورمة * وغادر قيسا فى المكر وعفزرا

٧١ — يوم خزاز — قال أبو عبيدة : فتنازع عامر ومسمع ابنا عبد الملك وخالد بن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح العطاردي وغسان بن عبد الحميد وعبد الله بن سالم الباهلى ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة و يتفاخرون ويتنازعون فى الرياسة يوم خزاز . فقال خالد بن جبلة كان الاحوص بن جعفر الرئيس وقال عامر و مسمع كان الرئيس كليب بن وائل وقال ابن نوح كان الرئيس زرارة بن عدس وهذا فى مجلس أبى عمرو بن العلاء . فتحاكموا الى أبى عمرو . فقال ما شهدها عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر اليوم أقدم من ذلك ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحدا من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك غير ان أهل اليمن كان الرجل منهم يأتى ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها فيأخذ من أموال نزار ماشاء كعمال صدقاتهم اليوم . وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك ملوك حمير وكانت نزار لم تكثر بعد فاوقدوا نارا على خزاز ثلاث ليال ودخنوا ثلاثة أيام . فقيل له وما خزاز . قال هو جبل قريب من امرة على يسار الطريق خلفه صحراء منبج بناوحه كور وكوير اذا قطعت بطن عاقل. ففى ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن أن يأكلوهم ولولا قول عمرو بن كلثوم ماعرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة أوقد فى خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنو أبينا

فصالوا صولة فيما يليهم * وصلنا صولة فيما يلينا

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب وائل قائدهم ورئيسهم مادعى الوفادة وترك الرياسة ومارأيت أحدا عرف هذا اليوم ولا ذكره فى شعره قبله ولا بعده

٧٢ — يوم المعا — قال أبو عبيدة : أغار المنبطح الاسدى على بني عباد بن ضبيعة فاخذ نعما لبني الحرث بن عباد وهي ألف بعير فمر ببنى سعد بن مالك بن ضبيعة وبنى عجل بن لجيم . فتبعوه حتى انتزعوها منه ورئيس بني سعد حمران بن عبد عمرو فاسره وأقبل ابن حسان العجلى المنبطح الاسدي ففداه قومه ولا أدرى كم كان فداؤه واستنقذ السبى . فقال حجر بن خالد بن محمود فى يوم المعا :

ومنبطح الفواخر قد أذقنا * بناعجة المعاحر الجلاد

تنفذنا أخاديدا فردت * على سكن وجمع بني عباد

سكن ابن باعث بن الحرث بن عباد والاخاديد من أخذ من النساء . وقال حمران بن عبد عمرو :

ان الفوارس يوم ناعجة المعا * نعم الفوارس من بني سيار

لم يلههم عقد الاصرة خلفهم * وحنين منهلة الضروع عقار

لحقوا على قب الاباطل كالقنا * شعث تعد لكل يوم عوار

حتى حبون أخا القواصر طعنة * وفككن منه القد بعد اسار

سالت عليه من الشعاب خوائف * ودر الغطاط تباج الاسحار

٧٣ — يوم النسار — قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطيء وغطفان ولحقت بهم ضبة وعدى فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلا شديدا . فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر فتجمعوا حتي لحقوا طيا وغطفان وحلفاءهم من بني ضبة وعدى يوم الفجار . فقتلت تميم طيا أشد ماقتلت عامر يوم النسار . فقال فى ذلك بشر بن أبي حازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فاعتبوا بالصيلم

٧٤ — يوم ذات الشقوق — فحلف ضمرة النهشلى . فقال الخمر على حرام حتي يكون له يوم يكافئه فاغار عليهم ضمرة يوم ذات الشقوق فقتلهم . وقال فى ذلك :

الآن ساغ لي الشراب ولم أكن * آتي الفجار ولا أشد تكلمي
حتى صبحت على الشقوق بعدة * كالتمر تنثر في حرير الحرم
وأبات يوما بالجفار بمثله * واجرت نصفا من حديث الموسم
ومشت نساء كالنساء عواطلا * من بين عارفة النساء وأيم
ذهب الرماح بزوجها فتركته * في صدر معتدل القناة مقوم

٧٥ — يوم خو — قال أبو عبيدة : غارت بنو أسد على بني يربوع فاكتسحوا ابلهم فاتى الصريخ الحي فلا يتلاحقوا الامساء بموضع يقال له خو . وكان ذؤاب بن ربيعة الاشتر على فرس أنثى . وكان عيينة بن الحرث بن شهاب على حصان فجعل الحصان يستنشق ريح الانثى في سواد الليل ويتبعها . فلم يعلم عيينة الا وقد أقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة الاسدي وعيينة غافل لا يبصر ما بين يديه في ظلمة الليل . وكان عيينة قد لبس درعه وغفل عن جربانها حتى أتى الصريخ فلم يشده . ورآه ذؤاب فاقبل بالرمح الى ثغرة نحره فخر صريعا قتيلا . ولحق الربيع بن عيينة فشد على ذؤاب فاسره وهو لا يعلم انه قاتل أبيه . فكان عنده أسيرا حتى فاداه أبوه ربيعة بابل معلومة قاطعه عليها وتواعد اسوق عكاظ والاشهر الحرم ان ياتي هذا بالابل ويأتي هذا بالاسير . وأقبل أبو ذؤاب بالابل وشغل الربيع بن عيينة فلم يحضر سوق عكاظ . فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشك أن ذؤابا قد قتلوه بابيهم عيينة فرثاه وقال .

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة * ما ان أحاول جعفر بن كلاب
ان المودة والهوادة بيننا * خلق كسحق الريطة المنجاب
ولقد علمت على التجلد والاسى * ان الرزية كان يوم ذؤاب
ان يقتلوك فقد هتكت بيوتهم * بعيينة بن الحرث بن شهاب
باحبهم فقدا علي أعدائه * وأشدهم فقدا على الاصحاب

فلما بلغهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة . وقالت آمنة بنت عيينة ترثي أباها .

على مثل ابن مية فانعياه * بشق نواعم البشر الجيوبا
وكان أبي عيينة سمهريا * فلا تلقاه يدخر النصيبا
ضروبا للكمي اذا اشمعلت * عوان الحرب لا ورعا هيوبا

٧٦ — ايام الفجار الاول — قال ابو عبيدة : أيام الفجار عدة وهذا أولها وهو بين كنانة وهوازن وكان الذي هاجه ان بدر بن معشر أحد بني عقال بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة جعل له مجلس بسوق عكاظ . وكان حدثا منيعا في نفسه : فقال في المجلس وقام على رأسه قائم :

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا في عينه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنهم لجة بحر مسدف

قال ومدرجله : وقال انا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضربها . فضربها الاحيمر بن مازن أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية فاندرها من الركبة . وقال خذها اليك أيها المخندف . قال ابو عبيدة : انما خرصها خريصة يسيرة . وقال في ذلك :

نحن بنو دهمان ذو التعطرف * بحر لبحر زاخر لم ينزف * نبني على الاحياء بالمعرف

قال ابو عبيدة : فتحاور الحيان عند ذلك حتى كادان يكون بينهما الدماء . ثم تراجعو رأوا ان الخطب يسير :

٧٧ — الفجار الثاني — كان الفجار الثاني بين قريش وهوازن . وكان الذي هاجه أن فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة وضيئة حسانة بسوق عكاظ . وقالوا بل أطاف بها شباب من بني كنانة وعليها برقع وهي في درع فضل فاعجبهم ماروا من هيئتها فسالوها ان تسفر عن وجهها فابت عليهم فاتي أحدهم من خلفها فشد ذيلها بشوكة الى ظهرها وهي لاتدري . فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها فضحكوا وقالوا امنعتنا النظر الى وجهها فقد رأينا دبرها فنادت المرأة يا آل عامر فتحاور الناس وكان بينهم قتال ودماء يسيرة فحملها حرب ابن أمية وأصلح بينهم

٧٨ — الفجار الثالث — وهو بين كنانة وهوازن . وكان الذي هاجه ان رجلا من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية فاعدم الكناني فوافى النصرى بسوق عكاظ بقرد فاوقفه في سوق عكاظ . وقال من يبيعني مثل هذا بمالي على فلان حتى اكثر في ذلك وانما فعل ذلك النصري تعيير الكناني ولقومه فمر به رجل من بني كنانة فضرب القرد

بسيفه فقتله فهتف النصرى يا آل هوازن وهتف الكناني يا آل كنانة . فتهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال . ثم رأوا الخطب يسيرا فتراجعوا ولم يتفاقم الشر بينهم . قال أبو عبيدة : فهذه الايام تسمي فجارا لانها كانت في الاشهر الحرم وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها . فلذلك سميت فجارا وهذه يقال لها الفجار الثالث

٧٩ — الفجار الآخر — وهو بين قريش وكنانة كلها وهوازن . وانما هاجها البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب فابت أن تقتل بعروة البراض لان عروة سيد هوازن والبراض خليع من بني كنانة أرادوا أن يقتلوا به سيدا من قريش . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة . وقد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه . وقال النبي عليه الصلاة والسلام كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة يعني أناولهم النبل . وكان سبب هذه الحرب ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك ويشتري له بثمنها من ادم الطائف ما يحتاج اليه وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذي القعدة فيتسوقون الى حضور الحج . ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وعكاظ بين نخلة والطائف و بينها و بين الطائف نحو من عشرة أميال . وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذي القعدة الى وقت الحج ويامن بعضها بعضا فجهز النعمان عير اللطيمة . ثم قال من يجيرها فقال البراض ابن قيس الضمري أنا أجيرها على بني كنانة . فقال النعمان ما أريد الا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل هوازن أكلب خليع يجيرها لك أبيت اللعن أنا أجيرها لك على أهل الشيخ والقيصوم في أهل نجد وتهامة . فقال البراض أعلى بني كنانة تجيرها ياعروة . قال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة . فخرج بها وتبعه البراض وعروة لا يخشي منه شيا لانه كان بين ظهراني قومه من غطفان الى جانب فدك الى أرض يقال لها أوارة فنزل بها عروة فشرب من الخمر وغنته قينة ثم قام فنام . فجاء البراض فدخل عليه فناشده عروة وقال كانت مني زلة وكانت الفعلة مني ضلة فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانت الفعلة مني ضله * هلا على غيري جعلت الزله * فسوف أعلو بالحسام القله

وقال : وداهية يهال الناس منها * شددت على بنى بكر ضلوعى
هتكت بها بيوت بني كلاب * وأرضعت الموالى بالضروع
جمعت له يدي بنصل سيف * أثل فخر كالجذع الصريع

واستاق اللطيمة الى خيبر واتبعه المساور بن مالك الغطفانى وأسد بن خيثم الغنوى حتى دخلا خيبر . فكان البراض أول من لقيهما فقال لهما من الرجلان قالا من غطفان وغنى . قال البراض ماشان غطفان وغنى بهذه البلدة قالا ومن أنت . قال من أهل خيبر قالا ألك علم بالبراض . قال دخل علينا طريدا خليعا فلم يؤوه أحد بخيبر ولا أدخله بيتا . قالا فاين يكون . قال وهل لكما به طاقة ان دللتكما عليه . قالا نعم . قال فانزلا فنزلا وعقلا راحلتيهما . قال فايكما أجرأ عليه وأمضى مقدما واحد سيفا . قال الغطفانى أنا . قال البراض فانطلق أدلك عليه ويحفظ صاحبك راحلتيكما ففعل فانطلق البراض يمشى بين يدى الغطفانى حتى انتهى الى خربة فى جانب خيبر خارجة عن البيوت . فقال البراض هو فى هذه الخربة واليها ياوى فانظرنى حتي أنظر أثم هو أم لا فوقف له ودخل البراض . ثم خرج اليه وقال هو نائم فى البيت الاقصى خلف هذا الجدار عن يمينك اذا دخلت فهل عندك سيف فيه صرامة . قال نعم . قال هات سيفك انظر اليه أصارم هو فاعطاه اياه فهزه البراض ثم ضربه به حتي قتله . ووضع السيف خلف الباب وأقبل على الغنوى . فقال ماوراءك . قال لم أر أجبن من صاحبك تركته قائما فى الباب الذى فيه الرجل والرجل نائم لا يتقدم اليه ولا يتاخر عنه . قال الغنوي يالهفاه لوكان أحد ينظر راحلتينا . قال البراض هما علي ان ذهبتا فانطلق الغنوى والبراض خلفه حتي اذا جاوز الغنوى باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب . ثم ضربه به حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما . ثم انطلق وبلغ قريشا خبر البراض بسوق العكاظ فخلصوا نجيا واتبعتهم قيس لما بلغهم ان البراض قتل عروة الرحال وعلم قيس أبو براء عامر بن مالك فادركوهم وقد دخلوا الحرم ونادوهم يامعشر قريش انا نعاهد الله ان لا نبطل دم عروة الرحال أبدا أو نقتل به عظما منكم وميعادنا وایاکم هذه الليالى من العام المقبل فقال حرب بن أمية لابي سفيان ابنه قل لهم ان موعدكم قابل فى هذا اليوم : فقال خداش بن زهير في هذا اليوم وهو يوم نخلة :

ياشدة ماشددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

لما رأوا خيلنا تزجى أوائلها * آساد غيل حمى اشبالها الاجم
واستقبلوا بضراب لا كفاء له * يبدي من الغرل الا كفال ما كتموا
ولوا سلالا وعظم الخيل لاحقة * كما تخب الى أوطانها النعم
ولت بهم كل محضار ململمة * كانها لقوة بجنبها ضرم

وكانت العرب تسمي قريشا سخينة لا كلهن السخن

٨٠ — يوم شمطة — وهى من يوم الفجار الآخر ويوم نخلة منه أيضا . قال فجمعت كنانة قريشها وعبد منافها والاحابيش ومن لحق بهم من بني أسد ابن خزيمة وسلح يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمي باداة كاملة سوى من سلح من قومه والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة قال وجمعت سليم وهوازن جموعها واحلافها غير كلاب و بنى كعب فانهما لم يشهدا يوما من أيام الفجار غير يوم نخلة فاجتمعوا بشمطة من عكاظ فى الايام التى تواعدوا فيها على قرن الحول وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها . وكذلك على قبائل قيس غير ان أمر كنانة كلها الى حرب بن أمية وعلى احدى مجنبتيها عبد الله بن جدعان وعلى الاخرى كريز ابن ربيعة وحرب ابن أمية فى القلب وأمر هوازن كلها الى مسعود بن معتب الثقفى . فتناهض الناس وزحف بعضهم الى بعض . فكانت الدائرة فى أول النهار لكنانة على هوازن حتى اذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت وانقشعت كنانة فاستحر القتل فيهم . فقتل منهم تحت رايتهم مائة رجل وقيل ثمانون ولم يقتل من قريش يومئذ أحد يذكر . فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة

٨١ — يوم العبلاء — ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول فى اليوم الثالث من أيام عكاظ والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا فى يوم شمطة وكذلك على المجنبتين . فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على كنانة . وفى ذلك يقول خداش بن زهير .

ألم يبلغك مالقيت قريش * وحى بني كنانة اذ أبيروا
دهمناهم بارعن مكفهر * فظل لنا بعقوتهم زئير

وفى هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير بن العوام قتله مرة بن معتب الثقفى . فقال رجل من ثقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا * تنتاب الطير لحما بين أحجار

٨٢ — يوم شرب — ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقو على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ فالتقوا بشرب ولم يكن بينهم يوم أعظم منه والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا . وكذلك على المجنبتين وحمل ابن جدعان يومئذ مائة رجل على مائة بعير ممن لم تكن له حمولة فالتقوا . وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان يوم شمطة ويوم العبلاء فحميت قريش وكنانة وصارت بنو مخزوم وبنو بكر فانهزمت هوازن وقتلت قتلا ذريعا . وقال عبد الله بن الزبعرى يمدح بني المغيرة .

الا لله قوم ولدت أخت بني سهم هشام وأبو عبد * مناف مدره الخصم

وذو الرمحين اشبال * من القوة والحزم فهذان يذودان * وذا من كثب يرمي

وأبو عبد مناف قصي وهشام بن المغيرة وذو الرمحين أبو ربيعة بن المغيرة قاتل يوم شرب برمحين وأمهم ريطة بنت سعيد بن سهم . فقال في ذلك جذل الطعان :

جاءت هوازن ارسالا واخوتها * بنو سليم فهابوا الموت وانصرفوا

فاستقبلوا بضراب فض جمعهم * مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا

٨٣ — يوم الحريرة — قال ثم جمع هؤلاء وأولئك ثم التقو على رأس الحول بالحريرة وهي حرة الى جنب عكاظ . والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا فى سائر الايام . وكذلك على المجنبتين الا ان أبا مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى قد كان مات . فكان من بعده على بكر بن عبد مناة بن كنانة أخوه جثامة بن قيس فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة . وكان آخر الايام الخمسة التي تراجعوا فيها . قال فقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية . وقتل من كنانة ثمانية نفر قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك من بني عامر ابن صعصعة . وقتل أبو كنف وابنا اياس وعمرو بن أيوب . فقال خداش بن زهير :

انى من النفر المحمر أعينهم * أهل السوام وأهل الصخر واللوب

الطاعنين نحور الخيل مقبلة * من كل سمراء لم تغلب ومغلوب

وقد بلوتم فابلاكم بلاؤهم * يوم الحريرة ضربا غير مكذوب

لاقتهم منهم آساد ملحمة * ليسوا بدارعة عوج العراقيب

فالآن ان تقبلوا ناخذ نحوركم * وان تباهوا فانى غير مغلوب

وقال الحرث بن كلدة الثقفي :

تركت الفارس البذاخ منهم * تمج عروقه علقا عبيطا
دعست بنانه بالرمح حتى * سمعت لمتنه فيه أطيطا
لقد أرديت قومك يا ابن صخر * وقد جشمتهم أمرا شطيطا
وكم أسلمت منكم من كمى * جريحا قد سمعت له غطيطا

مضت أيام الفجار الآخر . وهي خمسة أيام في أربع سنين أولها يوم نخلة ولم يكن لواحد منهما على صاحبه . ثم يوم شمطة لهوازن على كنانة وهو أعظم أيامهم . ثم يوم العبلاء . ثم يوم شرب وكان لكنانة على هوازن ثم يوم الحريرة لهوازن على كنانة . قال أبو عبيدة : ثم تداعى الناس الى السلم على ان يذروا الفضل ويتعاهدوا ويتواثقوا

٨٤ — يوم عين أباغ — وبعده أيام ذى قار : قال أبو عبيدة : كان ملك العرب المنذر الاكبر ابن ماء السماء . ثم مات فملك ابنه عمرو بن المنذر وأمه هند واليها ينسب . ثم هلك فملك أخوه قابوس وأمه هند أيضا فكان ملكه أربع سنين وذلك في مملكة كسرى بن هرمز . ثم مات فملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء وذلك في مملكة كسرى بن هرمز فغزاه الحرث الغساني . وكان بالشام من تحت يد قيصر فالتقوا بعين أباغ . فقتل المنذر فطلب كسرى رجلا يجعله مكانه فاشار اليه عدى بن زيد وكان من تراجمة كسرى النعمان ابن المنذر . وكان صديقا له فاحب ان ينفعه وهو أصغر بني المنذر بن المنذر بن ماء السماء . فولاه كسرى علي ما كان عليه أبوه وأتاه عدي بن زيد فمكنه النعمان ثم سعي بينهما فحبسه حتي أتي على نفسه . وهو القائل :

أبلغ النعمان عني مالكا * انه قد طال حبسى وانتظار
لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصار
وعداى شمت أعجبهم * انني غيبت عنهم فى أسار
لامرئ لم يبل مني سقطة * ان أصابته ملمات العثار
فلئن دهر تولى خيره * جرت بالنحس لى منه الجوار
لبما منه قضينا حاجة * وحياة المرء كالشيء المعار

فلما قتل النعمان عدى بن زيد العبادى وهو من بني امرئ القيس بن سعد بن زيد مناة بن تميم

صار ابنه زيد بن عدى الى كسرى . فكان من تراجمته . وكان النعمان عند كسري فحمله عليه فهرب النعمان حتى لحق ببني رواحة من عبس . واستعمل كسرى على العرب اياس بن قبيصة الطائى . ثم ان النعمان تحول حينا فى أحياء العرب . ثم أشارت عليه امرأته المتجردة ان ياتى كسري ويعتذر اليه : ففعل فحبسه بساباط حتى هلك ويقال أوطأه الفيلة . وكان النعمان اذا شخص الى كسرى اودع حلقته وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا هاني‌ء بن مسعود الشيباني . وجعل عنده ابنته هند التي تسمى حرقة . فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء . فقال فيه زهير بن اي سلمة المزنى :

الم تر للنعمان كان بنجوة * من الشر لوان امرأ كان باقيا

فلم ار مخذولا له مثل ملكه * اقل صديقا او خليلا موافيا

خلا ان حيا من رواحة حافظوا * وكانوا اناسا يتقون المخازيا

فقال لهم خيرا واثني عليهم * وودعهم توديع ان لا تلاقيا

٨٥ — يوم ذى قار — قال ابو عبيدة : يوم ذى قار هو يوم ذى الحنو . ويوم قراقر ويوم الجبابات . ويوم ذات العجرم . ويوم بطحاء ذى قار . وكلهن حول ذى قار وقد ذكرتهن الشعراء . قال ابو عبيدة : لم يكن هاني‌ء بن مسعود المستودع حلقة النعمان وانما هو ابن ابنه واسمه هاني‌ء بن قبيصة بن هاني‌ء بن مسعود لان وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر اصحابه بها فقال اليوم اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا فكتب كسري الى اياس بن قبيصة يامره ان يضم ما كان للنعمان فابي هاني‌ء بن قبيصة ان يسلم ذلك اليه . فغضب كسرى واراد استئصال بكر ابن وائل . وقدم عليه النعمان بن زرعة التغلبي وقد طمع فى هلاك بكر بن وائل . فقال يا خير الملوك الا ادلك على غرة بكر قال بلى . قال اقرها واظهر الاضراب عنها حتى يجليها القيظ ويدنيها منك فانهم لو قاظوا تساقطوا عليك بما لهم واديا يقال له ذوقار تساقط الفراش فى النار فاقرهم حتي اذا قاظوا جاءت بكر بن وائل حتى نزلوا الحنو حنو ذى قار . فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم بين ثلاث خصال اما ان يسلموا الحلقة . واما ان يعروا الديار . واما ان ياذنوا بحرب فتنازعت بكر بينها فهم هاني‌ء بن قبيصة بركوب الفلاة واشار به على بكر وقال لا طاقة لكم بجموع الملك فلم تر من هاني‌ء سقطة قبلها . وقال حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى لا أرى غير القتال فانا ان ركبنا الفلاة متنا عطشا وان اعطينا بايدينا تقتل

مقاتلتنا وتسبي ذرارينا . فراسلت بكر بينها وتوافت بذى قار ولم يشهدها أحد من بنى حنيفة ورؤساء بنى بكر يومئذ ثلاثة نفر هانئ بن قبيصة . ويزيد بن مسهر الشيبانى . وحنظلة بن ثعلبة العجلى . وقال مسمع بن عبد الملك العجلى بن لجيم بن مصعب بن على ابن بكر بن وائل لا والله ما كان لهم رئيس وانما غزوا فى ديارهم فثار الناس اليهم من بيوتهم . وقال حنظلة بن ثعلبة لهانئ بن قبيصة يا أبا أمامة ان ذمتكم ذمتنا عامة وأنه لن يوصل اليك حتي تفني أرواحنا فاخرج هذه الحلقة ففرقها فى قومك فان تظفر فسترد عليك وان تهلك فاهون مفقود . فامر بها فاخرجت وفرقت بينهم وقال للنعمان لولا انك رسول ما أبت الى قومك سالما . قال أبو المنذر . فعقد كسري للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر . وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة واياد . وعقد لاياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر وعقد للهامرز التسترى وكان على مسلحة كسري بالسواد على الف من الاساورة وكتب الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجدين وكان عامله على الطف طف سفوان وأمره ان يوافى اياس بن قبيصة . ففعل وسار اياس بمن معه من جنده من طيىء ومعه الهامرز والنعمان بن زرعة وخالد بن يزيد وقيس بن مسعود كل واحد منهم على قومه . فلما دنا من بكر انسل قيس الى قومه ليلا فاتي هانئا فاشار عليهم كيف يصنعون وأمرهم بالصبر ثم رجع . فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى . فقال يامعشر بكر ان النشاب الذى مع هؤلاء الاعاجم تفرقكم فعاجلوهم اللقاء وابدؤهم بالشدة . وقال هانئ بن مسعود ياقوم مهلك معذور ، خير من منجي مغرور ، ان الجزع لا يرد القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد فما من الموت بد ، ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وضن النساء فسقطن الى الارض . وقال ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته فسمى مقطع الوضن قال وقطع يومئذ سبعمائة رجل من بني شيبان أيدى أقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف وعلى ميمنتهم بكر بن يزيد بن مسهر الشيباني وعلى ميسرتهم حنظلة بن ثعلبة العجلي وهانئ بن قبيصة ويقال ابن مسعود فى القلب . فتجالد القوم وقتل يزيد بن حارثة اليشكرى الهامرز مبارزة . ثم قتل يزيد بعد ذلك . ويقال ان الحوفزان بن شريك شد على الهامرز فقتله . وقال بعضهم لم يدرك الحوفزان يوم ذي قار وانما قتله يزيد بن حارثة وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا فاتبعهم بكر حتى دخلوا السواد فى طلبهم يقتلونهم واسر النعمان بن زرعة التغلبي

ونجا اياس بن قبيصة على فرسه الحمامة . فكان أول من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس ابن قبيصة . وكان كسرى لا يأتيه أحد بهزيمة جيش الا نزع كتفه . فلما أتاه ابن قبيصة ساله عن الجيش . فقال هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم فعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوة ثم أستأذنه اياس فقال أخي قيس بن قبيصة مريض بعين التمر . فاردت أن آتيه فاذن له . ثم أتي كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق . فسال هل دخل على الملك أحد فقالوا اياس فظن انه حدثه الخبر . فدخل عليه واخبره بهزيمة القوم وقتلهم . فامر به فنزعت كتفاه . قال ابو عبيدة . لما كان يوم ذي قار كان في بكر أسري من تميم قريبا من مائتي أسيراً كثرهم من بني رياح بن يربوع فقالوا خلوا عنا نقاتل معكم فانما نذب عن أنفسنا . فقالوا انا نخاف ان لا تناصحونا قالوا فدعونا نعلم حتى تروا مكاننا وغناءنا فذلك قول جرير :

منا فوارس ذى نهد وذي نجب * والمعلمون صباحا يوم ذي قار

قال ابو عبيدة : سئل عمرو بن العلاء وتنافر اليه عجلى ويشكرى . فزعم العجلى انهم لم يشهد يوم ذى قار غير شيباني وعجلى . وقال اليشكرى بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم . فقال عمرو قد فصل بينكما التغلبي حيث يقول :

ولقد رأيت أخاك عمرا مرة * يقضى وضيعيه بذات العجرم
فى غمرة الموت التي لا تشتكى * غمراتها الابطال غير تغمغم
وكانما أقدامهم واكفهم * سرب تساقط فى خليج مفعم
لما سمعت دعاء مرة قد علا * وابني ربيعة فى العجاج الاقتم
ومحلم يمشون تحت لوائهم * والموت تحت لواء آل محلم
لا يصرفون عن الوغى بوجوههم * فى كل سابغة كلون العظلم
ودعت بنو ام الرقاع فاقبلوا * عند اللقاء بكل شاك معلم
وسمعت يشكر تدعي بحبيب * تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون فى حلق الحديد كما مشت * أسد العرين بيوم نحس مظلم
والجمع من ذهل كان زهاءهم * جرب الجمال يقودها ابنا قشعم
والخيل من تحت العجاج عوابسا * وعلى مناسجها سحائب من دم

وقال العديل بن الفرج العجلى :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة * الا اصطلينا وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به * للناس افضل من يوم بذى قار
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة * لما استلبنا لكسرى كل اسوار

قال وقالت عجل لنا يوم ذى قار فقيل لهم من المستودع ومن المطلوب ومن ناصب الملك ومن الرئيس فهو اذا لهم كانت الرياسة لهانئ وكان حنظلة يشير بالرأي . وقال شاعرهم :

ان كنت ساقية يوما ذوى كرم * فاسقي الفوارس من ذهل بن شيبانا
واسقي فوارس حاموا عن ذمارهم * وأعلى مفارقهم مسكا وريحانا

وقال أعشي بكر :

أما تميم فقد ذاقت عداوتنا * وقيس غيلان مس الحزى والاسف
وجند كسرى غداة الحنو صبحهم * منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا
* لقوا ململمة شهباء يقدمها * الموت لا عاجز فيها ولا خرف
فرع نمته فروع غير ناقصة * موفق حازم فى أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم * مثل الاسنة لا ميل ولا كشف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم * جنان عين عليها البيض والزغف
لما رأونا كشفنا عن جماجمنا * ليعلموا أننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم * ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو أن كل معد كان شاركنا * فى يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا الى النشاب أيديهم * ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت * حتي تولت وكاد القوم ينتصفوا
بطارق وبنى ملك مرازبة * من الاعاجم في آذانها الشنف
من كل مرجانة فى البحر أحرزها * تيارها ووقاها طينها الصدف
كأنما الآل فى حافات جمعهم * والبيض برق بدا فى عارض يكف
ما فى الخدود صدود عن سيوفهم * ولا عن الطعن فى اللبات منحرف

وقال الاعشى يلوم قيس بن مسعود :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

أطورين فى عام غـزاة ورحـلة * ألا ليت قيسا عرفته القوابل
لقـد كان فى شيبـان لو كنت عالمـا * قباب وفيهم رحلة وقبـائل
ورحراحة تعشى النواظر فخمة * وجرد على أكتافهن الرواحل
رحلت ولم تنظـر وأنت عميدهم * فلا يبلغني عنك ما أنت فاعل
فعريت من أهل ومال جمعته * كما عريت مما تمر المغـازل
شفى النفس قتلي لم توسد خدودها * وسادوا ولم تعضض عليها الانامل
لعلك يوم الحنو اذ صبحتهم * كتائب موت لم تعظك العواذل

ولما بلغ كسري خبر قيس بن مسعود اذ نقل الى قومه حبسه حتي مات فى حبسه وفيه يقول الاعشى

وعريت من أهـل ومال جمعتـه * كما عريت ممـا تمـر المغـازل

وكتب لقيط الايادي الى بني شيبان فى يوم ذي قار شعرا يقول فى بعضه :

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا
وقـلدوا أمـركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مـترفا ان رخاء العيش ساعـده * ولا اذا عض مكروه به خشعـا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعـا طورا و متبعا
حتى استمر على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

وهذه الابيات نظير قول عبد العزيز بن زرارة :

غشيت فى الدهر أطوارا على طرق * شتى فصادفت منه اللين والفظعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرني * ولا تخشيت من لاوائه جزعا
لا يملا الامر صدري قبل موقعه * ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا



١٧

فن من كتاب الزمردة الثانية

﴿فى فضائل الشعر﴾

قال الفقيه ابو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه رحمه الله : قد مضى قولنا فى أيام العرب ووقائعها وأخبارها . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، اذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها ، والمقيد لايامها ، والشاهد على حكامها ، حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطي المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة . فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير . والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات . قال بعض المحدثين قصيدة له ويشبهها ببعض هذه القصائد بقوله :

برزت تذكر فى الحسن من الشعر المعلق كل حرف نادر منها له وجه معشق

١ — المعلقات — لامرىء القيس قفا نبك . ولزهير أمن أم أوفى . ولطرفة لخولة أطلال . ولعنترة يادار عبلة . ولعمرو بن كلثوم ألا هبي . وللبيد عفت الديار . وللحرث بن حلزة آذنتنا ببينها اسماء . اختلف الناس فى أشعر الشعراء . قال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده امرؤ القيس بن حجر هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم . وقال عمر ابن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان من الذي يقول

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا نابغة بني ذبيان . قال لهم فمن الذي يقول هذا الشعر :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى * على وجل تظن بى الظنون

فالفيت الامانة لم تخنها * كذلك كان نوح لا يخون

قالوا هو النابغة قال هو أشعر شعرائكم . وما أحسب عمر ذهب الا الى انه أشعر شعراء غطفان ويدل على ذلك قوله هو أشعر شعرائكم : وقد قال عمر لابن عباس أنشدني لاشعر الناس الذى

لا يعاظل من القوافي ولا يتبع حوشي الكلام . قال من ذلك يا أمير المؤمنين قال زهير بن أبي سلمي . فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح وكان زهير لا يمدح الا مستحقا كمدحه لسنان ابن أبي حارثة وهرم بن سنان . وهو القائل :

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وكذلك أحسن القول ما صدقه الفعل . قالت بنو تميم لسلامة بن جندل مجدنا بشعرك قال افعلوا حتى أقول . وقيل للبيد من أشعر الشعراء قال صاحب الفروج يريد امرأ القيس . قيل له فبعده من . قال ابن العشرين يعني طرفة . قيل له فبعده من قال أنا . وقيل للحطيئة من أشعر الناس قال الذي يقول :

من يسال الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

يريد عبيد بن الابرص قيل له فبعده من فاخرج لسانه وقال هذا اذا رغب . وقيل لبعض الشعراء من أشعر الناس قال النابغة اذا رهب وزهير اذا رغب وجرير اذا غضب . وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفة أشعرهم واحدة يعني قصيدته * لخولة أطلال ببرقة ثهمد * وفيها يقول

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأنشد هذا البيت للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال هذا من كلام النبوة . وسمع عبد الله بن عمر رجلا ينشد بيت الحطيئة :

متى تاته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذاك رسول الله اعجابا بالبيت يعني ان مثل هذا المدح لا يستحقه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسئل الاصمعي عن شعر النابغة . فقال ان قلت ألين من الحرير صدقت وان قلت أشد من الحديد صدقت . وسئل عن شعر الجعدي فقال . مطرف بالف وخمار براق . وسئل حماد الراوية عن شعر ابن أبي ربيعة فقال ذلك الفستق المقشر الذي لا يشبع منه . وقال في عمرو بن الاهتم كأن شعره حلل منشرة . سئل عمرو بن العلاء عن جرير والفرزدق فقال هما بازيان يصيدان ما بين الفيل والعندليل . وقال جرير انا مدينة الشعر والفرزدق نبعته . وقال بلال بن جرير قلت لابي يا أبت انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم الا بني نجا قال اني لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه . واختلف الناس في أشعر نصف بيت قالته العرب . فقال بعضهم قول

أبي ذؤيب الهذلي * والدهر ليس بمعتب من يجزع * وقال بعضهم قول حميد بن ثور الهلالي * توكل بالأدني وإن جل ما يمضي * وقال بعضهم قول زهير * ومن يك رهناللحوادث يغلق * وهذا بالا يدرك غايته ولا يوقف على حد منه . والشعر لا يفوت به أحد ولا ياتي به بديع الا أتي ما هو أبدع منه . ولله در القائل أشعر الناس من أبدع في شعره ألا ترى مروان بن أبي حفصة على موضعه من الشعر و بعد صيته فيه و معرفته وسمته أنشدوه لامرىء القيس فقال هذا أشعر الناس وقد قالوا لحسان ابن ثابت أفخر بيت قالته العرب وأحكم بيت قالته العرب . فاما أفخر بيت قالته العرب فقوله :

و بيوم بدر اذ يرد وجوههم * جبريل تحت لوائهم ومحمدا

وأما أحكم بيت قالته العرب فقوله :

فان امرأ امسى وأصبح سالما * من الناس الا ماجني لسعيد

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتغلبي اذا تنحنح للقري * حك استه وتمثل الامثالا

ولما قال جرير هذا البيت قال والله لقد هجوت بني تغلب ببيت لو طعنوا في استاههم بالرماح ماحكوها . و يقال ان أبدع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

و يقال ان اصدق بيت قالته العرب قول لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وذكر الشعر عند عبد الملك بن مروان فقال اذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بني قيس ابن ثعلبة وهم رهط أعشي بكر و باصحاب النخل من يثرب يريد الاوس والخزرج وأصحاب الشعف من هذيل والشعف رؤس الجبال

٢ — فضائل الشعر — ومن الدليل على عظم قدر الشعر عند العرب وجليل خطبه في قلوبهم انه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تاليفه وأعجب قريشا ماسمعوا منه قالوا ما هذا الا سحر . وقالوا في النبي صلى الله عليه وسلم شاعر نتربص به ريب المنون . وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمرو بن الاهتم لما أعجبه

كلامه ان من البيان لسحرا . وقال الراجز :

لقد خشيت أن تكون ساحرا * رواية مرا ومرا شاعرا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة . وقال كعب الاحبار : انا نجد قوما في التوراة اناجيلهم في صدورهم تنطق السنتهم بالحكمة وأظنهم الشعراء . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها في حاجاته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم . وقال الحجاج : للمساور بن عبد مالك تقول الشعر وقد بلغت من العمر مابلغت قال أرعي به الكلأ وأشرب به الماء وتقضى لي به الحاجة فان كفيتني ذلك تركته وقال عبد الملك بن مروان : لمؤدب ولده روهم الشعر روهم الشعر يمجدوا وينجدوا . وقالت عائشة رووا أولادكم الشعر تعذب السنتهم . وبعث زياد : بولده الى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالما بكل ماساله عنه . ثم استنشده الشعر فقال لم أروه منه شيئا . فكتب معاوية الى زياد مامنعك ان ترويه الشعر . فوالله ان كان العاق يرويه فيبر وان كان البخيل يرويه فيسخو وان كان الجبان يرويه فيقاتل . وكان علي رضي الله عنه اذا أراد المبارزة في الحرب أنشا يقول :

أي يومي من الموت أفر * يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجو الحذر

وقال المقداد بن الاسد : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها . وفي رواية الخشني عن أبي عاصم عن عبد الله بن الاحمق عن أبي مليكة قال قالت عائشة رحم الله لبيدا كان يقول :

قضى اللبانة لا أباك واذهب * والحق باسرتك الكرام الغيب
ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فكيف لو أدرك زماننا هذا . ثم قالت اني لاروى الف بيت له وانه أقل ماأروى لغيره . وقال الشعبي : ماأنا لشيء من العلم أقل مني رواية للشعر ولو شئت ان أنشد شعرا شهرا لا أعيد بيتا فعلت . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وهي تنشد شعر زهير بن حباب تقول :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه * يوما فتدركه عواقب ماجني
يجزيك او يثني عليك فان من * اثني عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق ياعائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس. يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعى . عن أبيه عن جده قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المصطلقى :

لا تامنن وان أمسيت فى حرم * ان المنايا تحمى كل انسان
فاسلك طريقك تمسى غير مختشع * حتى تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذي صاحب يوما مفارقه * وكل زاد وان أبقيته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك ياتيك الجديدان

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أدرك هذا الاسلام لاسلم . أبو حاتم : عن الاصمعي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك يا رسول الله قال نعم . فانشده :

تركت القيان وعزف القيان * وأدمنت تصلية وابتهالا
وكر المشقر فى حومة * وتثني على المشركين القتالا
أيارب لا أغبنن صفقتي * فقد بعت مالي وأهلي بدالا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع ربح البيع . وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء بجدنا وجدودنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الى أين يا أبا ليلى . فقال الى الجنة يا رسول الله بك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنة ان شاء الله . فلما بلغ قوله وانتهى وهو يقول :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية سفيان الثوري : عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال انها لكلمة نبي يعني قول الشاعر

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويانيك بالاخبار من لم تزود

وسمع كعب قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قال انه فى التوراة حرف بحرف يقول الله تعالى من يفعل الخير يجده عندى لا يذهب

الخير بيني و بين عبدي . ابن عباس قال : أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم أبياتا لامية ابن أبي الصلت يذكر فيها حملة العرش . وهي :

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث مرصد

والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمرا و يصبح لونها يتوقد

تابى فما تطلع لهم فى وقتها * الا معذبة والا تجلد

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم كالمصدق له . ومن حديث ابن أبي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تروي من شعر أمية بن أبي الصلت شيا قلت نعم . قال فانشدني فانشدته فجعل يقول بين كل قافيتين هيه حتي أنشدته مائة قافية . فقال هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه . ولو لم يكن من فضائل الشعر الا أنه أعظم جند يجنده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يدل على ذلك قوله لحسان شن الغطاريف على بنى عبدمناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام وتخبط يمشي فيه (١) قال والذى بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين . ثم أخرج لسانه فضرب به ارنبة أنفه وقال والله يارسول الله انه ليخيل لى انى لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيد الله حسان فى هجوه بروح القدس . وقال ابن سيرين : بلغني أن دوسا انما أسلمت فرقا من كعب بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

قضينا من تهامة كل نحب * وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت * قواضبهن دوسا أو ثقيفا

قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد شكر الله لك قولك حيث تقول :

زعمت سخينة أن تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

ولو لم يكن من فضائل الشعر الا أنه أعظم الوسائل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك أنه قال لعبدالله بن رواحة أخبرني ما الشعر يا عبدالله . قال شيء يختلج فى صدرى فينطق به لساني قال فانشدني فانشده شعره الذي يقول فيه :

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت عيسى باذن الله والقدر

---

(١) بياض فى الاصل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وإياك قبلت لله وإياك قبلت لله . ومن ذلك مارواه ابن اسحق صاحب المغازى وابن هشام . قال ابن اسحق لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء وقال ابن هشام الاثيل أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة ابن عبد مناف صبرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت اخته قتيلة ابنة الحرث ترثيه

يا راكبا ان الاثيل مطية * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بان تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني عليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ياخير ضنو كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * منَّ الفتي وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من اسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تمزق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

قال ابن هشام . قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر لو بلغني قبل قتله ماقتلته وقال من حديث زياد بن طارق الجشمي : قال حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين . فبينما هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله فى حرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * يا أرجح الناس حلما حين يختبر
انا لنشكر للنعما اذا كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشا فى هوازن وأرضعوه . فقال عليه الصلاة والسلام أما ما كان لى ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم . فقالت الانصار وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الانصار ما كان فى أيديها من الذرارى والاموال فاذا كان هذا مقام الشعر عند النبي صلى الله عليه وسلم فاى وسيلة تبلغه أو تعسره . وكان الذى هاج فتح مكة ان عمرو بن سالم الخزاعى ثم أحد بني كعب خرج

من مكة حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت خزاعة فى حلف النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهده وعقده . فلما انتقضت عليهم قريش بمكة وأصابوا منهم ماأصابوا أقبل عمرو بن مالك الخزاعى بابيات قالها . فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين أظهر الناس . فقال :

يارب اني ناشـد محمـدا * حلف أبينا وأبيه الا تلدا
قد كنت والدا وكنا ولدا * وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقـل عـددا * هم بيتـونا بالوتير هجـدا
وقتلونا ركعا وسجـدا * فانصر هداك الله نصرا أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا * فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيما خاطة وجهه تربدا * فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

قال ابن هشام : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم . ثم عرض عارض من السماء . فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم ان هذه السحابة تستهـل بنصر بني كعب . وقال عمر بن الخطاب : الشعر جذل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفا به النائرة ويبلغ به القوم في ناديهم ويعطى به السائل . فقال ابن عباس الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز فاحسبه ذهب الى شعر الحجاز وحض عليه اذ لغتهم أوسط اللغات . وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخى انك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فانك تعر الشريفة فى قومها والعفيفة فى نفسها والهجاء فانك لا تعدوان تعادي كريماً أو تستثير به لئيما ولكن أفخر بيت قومك وقل من الامثال ماتوقر به نفسك وتؤدب به غيرك . وسئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله فقال أموال كثيرة ظهرت عليهم وان شاعرا كتب اليه يقول :

نحج اذا حجوا ونغزوا اذا غزوا * فانى لهم وفر ولسنا بذى وفر
اذا التاجر الهندى جاء بفارة * من المسك راحت فى مفارقهم تجرى
فدونك مال الله حيث وجدته * سيرضون ان شاطرتهم منك بالشطر

قال فشاطرهم عمر أموالهم . وأنشد عمر بن الخطاب قول زهـير :

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفاد أو جـلاء

فجعل يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها . وانما أراد مقطع الحقوق يمين أو حكومة أو

بينة وأنشد عمر قول عبدة بن الطبيب * والعيش شح واعقاق وتاميل * فقال على هذا بنيت الدنيا. ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهاجر أصحابه مسهم وباء المدينة فمرض أبو بكر وبلال قالت عائشة ندخلت عليهما . فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك . قالت فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرى مصبح فى أهله * والموت ادنى من شراك نعله

قالت وكان بلال اذا أقلعت عنه يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة كان عامر بن فهيرة يقول :

وقد رأيت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه * كالثور يحمى جلده بروقه

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته . فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة . ومن حديث البراء بن عازب قال لما كان يوم حنين رأيت النبي صلي الله عليه وسلم والعباس وأبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهما آخذان بلجام بغلته وهو يقول، : انا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب : ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه لما دخل الغار مكث فقال . هل أنت الا أصبع دميت . وفي سبيل الله ما لقيت . فهذا من المنثور الذي يوافق المنظوم وان لم يتعمد به قائله المنظوم . ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوزن مثل قول عبد مملوك لمواليه. اذهبوا بي الى الطبيب وقولوا قدا كتوى . ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر ولا يسمي قول النبي صلي الله عليه وسلم وان كان موزونا شعر الا انه لا يراد به الشعر . ومثله فى آى الكتاب . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم . ومنه وجفان كالجواب وقدور راسيات . ومثله ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ومنه فذلك الذي يدع اليتيم . ولو تطلبت فى رسائل الناس وكلامهم لوجدت فيه ما يحتمل الوزن كثيرا ولا يسمي شعرا من ذلك قول القائل من يشترى باذنجان تقطيعه مستفعلن مفعولات وهذا كثير

٣ — من قال الشعر من الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين — كان شعراء النبي صلى الله عليه وسلم حسان . وكعب بن مالك . وعبد الله بن رواحة . وقال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى أشعر الثلاثة . ومن قول على كرم الله وجهه بصفين

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يردها * حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عني والجزاء بكفه * ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

وقال أنس بن مالك خادم النبي صلي الله عليه وسلم قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى الانصار بيت الا وهو يقول الشعر قيل له وانت أبا حمزة قال وانا . وقال عمرو بن العاص يوم صفين :

شبت الحرب فاعددت لها * مفرع الحارك محبوك الثبج
يصل المشد بشد فاذا * ونت الخيل عن الشد معج
جرشع أعظمه جفرته * فاذا ابتل من الماء خرج

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدى * بصفين يوما شاب منها الذوائب
عشية جا أهل العراق كانهم * سحاب ربيع زعزعتها الجنائب
وجئناهم نردي كان صفوفنا * من البحر مد موجه متراكب
اذا قلت قد ولوا سراعا بدت لنا * كتائب منهم فارجحنت كتائب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم * سراة النهار ماتولى المناكب
وقالوا لنا انا نري ان تبايعوا * عليا فقلنا بل نري ان نضارب

﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أحد السبعة من فقهاء المدينة . وله يقول سعيد بن المسيب انت الفقيه الشاعر لابد للصدر ان ينفث يعنى انه من كان فى صدره زكام فلابد ان ينفث به زكمة صدره يريدان كل من اختلج فى صدره شيء من شعر أوغيره ظهر على لسانه وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو ان لى مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بدينار

قال عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ما أحسن الحسنات في أثر السيآت واقبح السيآت في أثر الحسنات . وأحسن من هذا وأقبح من ذلك الحسنات في أثر الحسنات والسيآت في أثر السيآت ﴿ ومن شعراء التابعين ﴾ عروة بن أذينة وكان من ثقات أصحاب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عنه مالك . وقال ابن شبرمة كان عروة ابن أذينة يخرج في الثلث الاخير من الليل الى سكك البصرة فينادي يا أهل البصرة « أوامن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون » الصلاة الصلاة ﴿ ومن شعراء الفقهاء المبرزين ﴾ عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق . وقال حسان : خرجنا مع ابن المبارك مرابطين الى الشام . فلما نظر الى مافيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم التفت الي وقال انا لله وانا اليه راجعون على أعمار أفنيناها وليال وأيام قطعناها في علم الخلية والبرمة وتركنا ههنا أبواب الجنة مفتوحة . قال فبينما هو يمشي وأنا معه في أزقة المصيصة اذ لقي سكران قد رفع عقيرته يتغنى ويقول :

أذلني الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فاخرج برنامجا من كمه . فكتب البيت فقلنا له أتكتب بيت شعر سمعته من سكران قال اما سمعتم المثل رب جوهر في مزبلة قالوا نعم قال فهذه جوهرة في مزبلة . وبلغ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عمر بن عبد العزيز بعض مايكره . فكتب اليه :

أتاني عنك هذا اليوم قول * فضقت به وضاق به جوابي
وقد فارقت أعظم منك رزأ * وواريت الاحبة في التراب
وقد عزوا على ان اسلموني * معا فلبست بعدهم ثيابي

وقد ذكرنا شعر عبيدالله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن أذينة في الباب الذي يتلو هذا وهو قولهم في الغزل . الواسطي : عن بعض أشياخ الشام قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب . ووجه راشد بن عبيد الله السلمي أميرا على القضاء والمظالم . فقال راشد بن عبيد الله

صحا القلب عن سلمي وأقصر شاوه * وردت عليه مابغته تماضر
وحكمه شيب القذال على الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجرا
فاقصر جهلي اليوم وارتد باطلي * عن اللهو لما ابيض مني الغدائر

علي انه قدهاجه بعد صحوه * بمعرض ذي الاجام عيس بواكر
ولما دنت من جانب الفرض أخصبت * وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها * وبين قرى بصري ونجران كافر
فالقت عصاها واستقر بها النوي * كما قرعينا بالاياب المسافر

وكان عبدالله بن عمر يحب ولده سالما حبا مفرطا فلامه الناس فى ذلك . فقال :

يلومونني فى سالم وألومهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وقال ان ابنى سالما يحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه . وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا برز للقتال أنشد .

أى يومي من الموت أفر * يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجى الحذر

وكان اذا سار بارض الكوفة يرتجز ويقول

ياحبذا السير بارض الكوفة * أرض سواء سهلة معروفة
* تعرفها جمالنا المعروفة *

وكان ابن عباس فى طريقه من البصرة الى الكوفة يحدو بالابل ويقول :

أوبى الى أهلك يارباب * أوبى فقد حان لك الاياب

وقال ابن عباس لما كف بصره :

أن ياخذ الله من عيني نورهما * ففى لسانى وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلى غير ذى دخل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

٤ — قولهم فى الغزل — قال رجل لمحمد بن سيرين ما تقول فى الغزل الرقيق ينشده الانسان فى المسجد فسكت عنه حتي أقيمت الصلاة وتقدم الى المحراب فالتفت اليه . فقال :

ونبرد برد الفراديس فى الصيف رقرقت فيها العبيرا
ونسخن ليلة لايستطيع * نباحا بها الكلب الاهر برا

ثم قال الله أكبر . وقال الحجاج دخلت المدينة فقصدت الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا بابى هريرة قد اكب الناس عليه يسالونه . فقلت هكذا افرجوا لى عن وجهه فافرج لى عنه فقلت له انما أقول هذا :

طاف الخيالان فهاجا سقما * خيال أروى وخيال تكتما
تريك وجها ضاحكا ومعصما * وساعدا عبلا وكفا أبرما

فما تقول فيه قال قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد مثل هذا المسجد فلا ينكر . ودخل كعب بن زهير على النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح فمثل بين يديه . وأنشد :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول
ماان تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول
ولا تمسك بالوعد الذى وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل
وكانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل
ولا يغرنك مامنت وماوعدت * ان الامانى والاحلام تضليل

ثم خرج من هذا الى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين الفا . ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم * ولامك أقوام ولومهم ظلم
ونم عليك الكاشحون وقبل ذا * عليك الهوى قد نم لو نفع النم
فيامن لنفس لا تموت فينقضى * عناها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت اتيان الحبيب تأثما * ألا ان هجران الحبيب هو الاثم

ومن شعر عروة بن أذينة وهو من فقهاء المدينة وعبادها وكان من أرق الناس تشبيبا :

قالت وأبثثتها وجدى وبحت به * قد كنت عندى تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وماالقي على بصرى

وقد وقفت عليه المرأة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل :

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * غدوت نحو سقاء الماء أبترد
هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

والله ماقال هذا رجل صالح وكذبت عدوة الله عليها لعنة الله بل لم يكن مرائيا . ولكنه كان مصدورا فنفث وقدم عروة بن أذنيه على هشام بن عبد الملك فى رجال من أهل المدينة . فلما

دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها ثم التفت الى عروة . فقال له ألست القائل :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بان رزقي وان لم آت يأتيني
أسعى له فيعييني تطلبه * ولو قعدت أتاني لا يعنيني

قال فما أراك الا وقد سعيت له . قال سانظر فى أمري يا أمير المؤمنين وخرج عنه فجعل وجهته الى المدينة فبعث اليه بالف دينار وكشف عنه . فقيل له قد توجه الى المدينة فبعث اليه بالالف دينار . فلما قدم عليه بها الرسول قال له أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له أنا كما قلت قد سعيت وعييت فى طلبه وقعدت عنه فاتاني لا يعنيني . ومن قول عبد الله بن المبارك وكان فقيها ناسكا شاعرا رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سالت جارتها * وتعرت ذات يوم تبترد
أكما تنعتنى تبصرني * عمركن الله لم لا تقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها * حسن فى كل عين من برد
حسدا حملنه من شانها * وقديما كان فى الحب الحسد

وقال شريح القاضى وكان من جملة التابعين والعلماء المتقدمين استقضاه على رضي الله تعالى عنه ومعاوية وكان تزوج امرأة من بنى تميم تسمى زينب فنقم عليها فضربها ثم ندم : فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني حين أضرب زينبا
أأضربها في غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس أذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا برزت لم تبد منهن كوكبا

٥ — قولهم فى المدح — قال حج الرشيد وزميله أبو يوسف القاضي . قال شراحيل بن زائدة وكان كثيرا ما أسايره . فبينا انا أسايره اذ عرض له اعرابى من بني أسد فانشده شعرا مدحه فيه وعرضه . فقال له الرشيد ألم أنهك عن مثل هذا فى شعرك يا أخا بني أسد اذا أنت قلت فقل كما قال مروان بن أبي حفصة فى أبي هذا وأشار الى يقول :

بنو مطر يوم اللقاء كانهم * أسود لها فى غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كانما * لجارهم بين السماكين منزل
بها ليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كاولهم فى الجاهلية أول

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

وقال عتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

ان أولى بالحق فى كل حق * ثم أحرى بان يكون حقيقا
من أبوه عبد العزيز بن مروا * ن ومن كان جده الفاروقا
ثم داموا لنا علينا وكانوا * فى ذرا شاهق يفوت الانوقا

مدح عباس بن مرداس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة ومدحه كعب بن زهير فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم وان ذلك البرد لعند الخلفاء الى اليوم . وقال ابن عباس قال لى عمر بن الخطاب أنشدنى قول زهير فانشدته قوله فى هرم بن سنان بن حارثة حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا * مرزدون بها ليل اذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال له عمر ما كان أحب الى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر الى صناعة عمر بالشعر كيف لم ير أحدا يستحق هذا المدح الا أهل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . واسمع رجل عبد الله بن عمر بيت الحطيئة :

متى تاته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أحدا يستحق المدح غير رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستاذن نصيب بن رياح على عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له . فقال اعلموا أمير المؤمنين انى قلت شعرا أوله الحمد لله فاعلموه فاذن له فادخل عليه وهو يقول :

الحمد لله أما بعد ياعمر * فقد أتتنا بك الحاجات والقدر
فانت رأس قريش وابن سيدها * والرأس فيه يكون السمع والبصر

فامر له بحلية سيفه . ومدحه جرير بشعره الذى يقول فيه :

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فامرله بثلثمائة درهم . ومدحه دكين الراجز فامرله بخمس عشرة ناقة . ومدح نصيب بن رباح عبد الله بن جعفر فامرله بمال كثير وكسوة و رواحل . فقيل له تفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود فقال أما والله لئن كان عبدا ان شعره لحر وان كان اسود ان ثناءه لابيض وانما أخذ مالا يفني وثيابا تبلى ورواحل تنضى فاعطى مديحا يروي وثناء يبقى . ودخل ابن هرم ابن سنان على عمر بن الخطاب . فقال له من أنت قال أنا ابن هرم بن سنان . قال صاحب زهير قال نعم . قال أما انه كان يقول فيكم فيحسن . قال كذلك كنا نعطيه فنجزل . قال ذهب ما اعطيتموه وبقي ما أعطاكم وكان الطرمح الثقفي ناسكا شاعرا . فلما قال في أبي جعفر المنصور قوله :

أنت ابن مستبطح البطاح ولم * تعطف عليه الحنى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والمو * ج عليه كالسيل يعتلج
لهم أو كاد أو لكان له * في سائر الارض عنك منعرج

فكيف ذلك وهو يقول للسيل دع طريقك . فبلغ ذلك الطرمح فقال الله يعلم اني انما أردت يارب لو قلت للسيل دع طريقك . وقال الحطيئة لما حبسه عمر بن الخطاب في هجائه الزبرقان بن بدر أبياتا يمدح فيها عمر و يستعطفه . فلما قرأها عمر عطف له وأمر باطلاقه والابيات :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ * زغب الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الامام الذي من بعد صاحبه * ألقى اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم كانت بها الاثر

ودخل ابن دارة على عدي بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اني مدحتك قال امسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه فاني أكره ان لا اعطيك ثمن ما تقول لي الف شاة والف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما أخبرتك فقال :

تحن قلوصي في معد وانما * تلاقي الربيع في ديار بني ثعل
وأبقى الليالي من عدي بن حاتم * حساما كنصل السيف سل من الخلل
أبوك جواد لا يشق غباره * وانت جواد ليس تعذر بالعلل
فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

قال عدى أمسك لا يبلغ الى اكثر من هذا

٦ — قولهم فى الهجاء — قال الله تبارك وتعالى فى هجو المشركين « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » فارخص الله للشعراء بهذه الآية فى هجائهم لمن تعرض لهم . يزيد ابن عمرو بن تميم الخزاعى عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبا سفيان يهجوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه هجانى واني لا أقول الشعر فاهجه عني . فقام اليه عبد الله بن رواحة فقال يارسول الله ائذن لى فيه . قال أنت القائل هممت الخ . قال نعم قال لست له . ثم قام حسان بن ثابت فقال يارسول الله ائذن لى فيه وأخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه وقال والله يارسول الله انه ليخيل لى انى لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه . فقال أنت له اذهب الى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك . فقال يرد على ابى سفيان :

ألا ابلغ أبا سفيان عني * مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا واجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم * ويطريه ويمدحه سواء
لنا فى كل يوم من معد * سباب اوقتال اوهجاء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء
فان أبي ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

وقال رجل من اهل اليمن دخلت الكوفة فاتيت المسجد فاذا بعمار بن ياسر ورجل ينشده هجاء معاوية وعمرو بن العاص وهو يقول الصق بالعجوزين . قلت له سبحان الله اتقول هذا وأنتم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال ان شئت فاجلس وان شئت فاذهب فجلست . فقال اتدرى ما كان يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجانا اهل مكة . قلت لا أدرى قال كان يقول لنا قولوا لهم مثل مايقولون لكم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لقد شكر الله لك بيتا قلته وهو :

زعمت سخينة أن تغالب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

وسالت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لها الزنا . فقال حسان فى ذلك :

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الملك بن مروان ما هجانى أحد باوجع من بيت هجانى به ابن الزبير وهو :

فان تصبك من الايام جائحة * لم نبك منك على دنيا ولا دين

وقيل لعقيل بن علقمة : مالك لا تطيل الهجاء . قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . وقال رجل من ثقيف لمحمد بن مناذر ما بال هجائك اكثر من مدحك قال ذلك مما اغرانى به قومك واضطرنى اليه لومك . وقال ابو عمرو بن العلاء : قلت لجرير انك لعفيف الفرج كثير الصدقة فلم تسب الناس . قال يبدؤني ثم لا أغفر لهم . وكان جرير يقول لست عندي ولكني بعيد يريد انه يسرف فى القصاص . ومثله قول الشاعر :

بنى عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما * دفنتم بافناء العذيب القوافيا

فلسنا كمن قد كنتم تظلمونه * فيقتل نفسا أو يحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا

فان قلتم انا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكنا أسانا التقاضيا

وكان عمر بن الخطاب يقول . واحدة باخرى والبادي أظلم . قيل وفد جرير على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك للاخطل أتعرف هذا قال لا قال هذا جرير . قال والذى عرفني اعيار امك ياجرير ماعرفتك قال له جرير والذى أعمى بصيرتك وادام خزيتك لقد عرفتك بسيماك سيما أهل النار . ابن الاعرابي : قال . دخل كثير عزة على عبد الملك فانشده وعنده رجل لا يعرفه فقال لعبد الملك هذا شعر حجازى دعنى أضغمه له ضغمة . قال كثير من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا الاخطل قال فالتفت اليه فقال له هل ضغمت الذى يقول :

والتغلبي اذا تنحنح للقرا * حك استه وتمثل الامثالا

تلقاهم حلفا على أعدائهم * وعلى الصديق تراهم جفالا

حدثنا يحيى بن عبد العزيز قال . حدثنا عبد الملك بمصر كان رجل له صديق يقال له حصين فولى موضعا يقال له السابين فطلب اليه حاجة فاعتل عليه فيها . فكتب له :

اذهب اليك فان ودك طالق * منى وليس طلاق ذات البين

فاذا اروعيت فانها تطليقة * ويقيم ودك لى على سنتين
وأذا أبيت شفعتها بمثالها * فيكون تطليقين فى حيضين
وان الثلاث أتتك مني نية * لم تغن عنك ولاية السابين
ولم أرض أن أهجو حصيناوحده * حتى اسودوجه كل حصين

طلب دعبل بن على حاجة الى بعض الملوك فصرح بمنعه. فكتب اليه :

أحسبت أرض الله ضيقة * عني فارض الله لم تضـق
وحسبتني فقعـا بقرقره * فوطئتني وقفـا على حنق
فاذا سألتك حاجة أبدا * فاضرب بها قفلا على غلق
واعد لى غـلا وجامعـة * فاجمع يدي بها الى عنقي
ثم ارم بي في قعر مظلمة * ان عدت بعد اليوم فى الحمق
ما أطول الدنيا و أوسعها * وأدلني بمسالك الطرق

ومثل هذا قول أبي زبيد

ان كان رزقى اليك فارم به * فى ناظرى حية على رصد * ليتك أدبتني بواحدة
تجعلها منك آخر الابد * تحلف أن لاتبرني أبدا * فان فيها بردا على كبدي

وقال زياد ماهجيت بيتا قط أشد على من قول الشاعر :

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتامير
عاشت سمية ماعاشت وماعلمت * ان ابنها من قريش فى الجماهير
سبحان من ملك عبادا بقدرته * لايدفع الخلق محتوم المقادير

وقال بلال بن جرير سالت أبي أى شيء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث :

ألست كليبا اذا سيم خطة * أقر كاقرار الحليلة للبعل
وكل كليبي صحيفة وجهه * اذل لاقدام الرجال من النعل

وكان بلال بن جرير شاعرا ابن شاعر ابن شاعر لان غطفان كان شاعرا وهو يقول :

مازال عصيانا لله يسلمنا * حتى دفعنا الى يحيي و بندار
الى عليجين لم تقطع ثمارها * قد طال ماسجدا للشمس والنار

ومن أخبث الهجاء قول جميل :

أبوك حبان سارق الضيف برده * وجدي باشماخ فارس شمرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن * لآباء سوء يلقهم حيث سيرا
فان تغضبوا من قسمة الله فيكم * فلله اذلم يرضكم كان أبصرا

وقال كثير فى نصيب وكان أسود ويكنى أبا الحجناء :

رايت أبا الحجناء فى الناس حائرا * ولون أبي الحجناء لون البهائم
تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

وكان يقال لسعد بن أبي وقاص المستجاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة سعد . فقال رجل بالقادسية فيه :

ألم تر أن الله أنزل نصره * وسعد بباب القادسية معصم
فابنا وقد أيمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفني يده ولسانه فخرس وقطعت يده . وذكر عند المبرد محمد بن يزيد النحوى رجلا من الشعراء فقال لقد هجانى ببيتين أنضج بهما كبدي فاستنشدوه فانشدهم هذين البيتين :

سالنا كل حى عن ثماله * فكل قد أجاب ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا الآن زدتهما جهاله

ولم يقل أحد أحسن من قول أبي نواس :

وقائلة لها فى وجه نصح * علام قتلت هذا المستهاما
فكان جوابها فى حسن ميس * أأجمع وجه هذا والحراما

وكان جرير يقول اذا هجوت فاضحك و ينشد :

اذا سلمت فتاة بني تميم * تلقم باب عضرتها الترابا
ترى برصا باسفل أسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

وقوله : وتقول اذ نزع الازار عن استها * هذى دواة معلم الكتاب
وقوله : استوطنت بي سجايا من بني مطر * وخاطرت بى عن احسابها مضر
هيا ثم عمرا حامى ديارکم * كانها لاست الخارى الحجر

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح بن حكيم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأتها تميم يوم زحف لولت
ولو أن عصفورا يمد جناحه * لقامت تميم تحته واستظلت

وقال جرير في بني تغلب :

قوم اذا نبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

وقال محمد بن الجهم يهجو محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل :

أحسن من سبعين بيتا سرى * جمعك اياهن في بيت
ما أحوج الملك الى ديمة * تغسل عنه وضر الزيت

ومن أخبث الهجاء قول زياد الاعجم :

قالوا الاشاقر تهجوهم فقلت لهم * ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
وهم من الحسب الذاكي بمنزلة * كطحلب الماء لا أصل ولا ورق
لا يكثرون وان طالت حياتهم * ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

وقوله :

قضى الله خلق الناس ثم خلقتم * بقية خلق الله آخر آخر
فلم تسمعوا الا الذي كان قبلكم * ولم تدركوا الا مدق الحوافر

وقال فيهم :

قبيلة خيرها شرها * وأصدقها الكاذب الآثم
وضيفهم وسط أبياتهم * وان لم يكن صائما صائم

ونظير هذا قول الطرماح :

وما خلقت تيم وزيد مناتها * وضبة الا بعد خلق القبائل

ومن أخبث الهجاء قول الطرماح في بني تميم :

لو حان ورد تميم ثم قيل لها * حوض الرسول عليه الازد لم ترد
أو أنزل الله وحيا أن يعذبها * ان لم تعد لقتال الازد لم تعد
وكل لؤم أباد الله سبته * ولؤم ضبة لم ينقص ولم يزد
لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو أسد
قوم أقام بدار الذل أولهم * كما أقامت عليه خدمة الوتد

ومن قول المساور بن هند :

ماسرني ان قومي من بني أسد * وان ربي ينجيني من النار
وانهم زوجوني من بناتهم * وان لي كل يوم ألف دينار

ومن أخبث الهجاء في نمير المطاعة :

اذا ما نأى عني الصديق وسبني * بها غير ذى اثم فلا أتكلم

وقال عبيدة :

يا أبا جعفر كتبتك سمحا * فاستطال المداد والبم لام
لا تلمني على الهجاء فلم يهـجك الا المـداد والاقلام

وقال سليمان بن أبي شيخ كان أبو سعيد الرأى يمارى أهل الكوفة ويفضل أهل المدينة فجاءه رجل من أهل الكوفة وسماه شرشيرا . وقال كلب في جهنم يسمي شرشيرا فقال :

عندى مسائل لا شرشير يعرفها * ان سيل عنها ولا أصحاب شرشير
وليس يعلم هذا الدين يعلمه * الا حنيفية كوفية الزور
لا تسألن مدينيا فتكفره * الا عن البم والمثنى والزير

فكتب أبو سعيد الى أهل المدينة انكم قد هجيتم فردوا فرد عليه رجل من أهل المدينة يقول :

لقد عجبت لغاوساقه قدر * وكل أمر اذا ما حم مقدور
قالوا المدينة أرض لا يكون بها * الا الغناء والا البم والزير
لقد كذبت لعمر الله ان بنا * قبر النبي وخير الناس مقبور

فانحصر في بيته ولم يقل شيأ : وقال مساور العزاف في أهل القياس :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة * حتى بلينا باصحاب المقاييس
قاموا من السوق اذ قامت مكاسبهم * فاستعملوا الرأى بعد الجهد والبوس
أما الغريب فامسوا لا عطاء لهم * وفي الموالى هم شح علاميس

فلقيه أبو حنيفة فقال له هجوتنا نحن نرضيك فبعث اليه بدراهم فكف عنه . وقال :

اذا ما الناس يوما قايسونا * بمسئلة من الفتيا ظريفه
أتيناهم بمقياس صحيح * بديع من طراز أبي حنيفة
اذا سمع الفقيه بها وعاها * وأثبتها بحبر في صحيفه

ومن خبيث الهجاء قول الشاعر :

عجبت لعبدان هجرني سفاهة * ان اصطحبوا من شاتم ونفيل
بحارور سيان وفهر وغالب * وعون ومقدام وابن صفول
فاما الذى يحصيهم فمكثر * وأما الذي يطريهم فقليل

وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة :

قال ابن معن وجلى نفسه * على القرابين من الاهل
هل فى جواري بني وائل * جارية واحدة مثلي
قد نقطت فى خدها نقطة * مخافة العين من الكحل

٧ — مداراة الشعراء — قال مدح قوم من الشعراء جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس فما طلهم بالجائزة. وكان الخليل بن أحمد صديقه وكان وقت مدحهم اياه غائبا. فلما قدم الخليل أتوه فاخبروه فاستغ ثوابه عليه. فكتب اليه :

لا تقبلن الشعر ثم تعقه * وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا * حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضي * وعقابهم باق على الايام

فاجازهم وأحسن اليهم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما مدحه عباس بن مرداس اقطعوا عني لسانه قالوا بماذا يارسول الله فامر له بحلة قطع بها لسانه. ومدح ربيعة الرقى يزيد بن حاتم وهو والى مصر فتشاغل عنه ببعض الامور واستبطاه ربيعة فشخص من مصر. وقال :

أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فارسل فى طلبه ورده. فلما دخل عليه قال له أنت القائل أراني ولا كفران البيت قال نعم. قال هل قلت غير هذا قال لا قال والله لترجعن بخفي حنين مملوءة مالا. فامر بخلع خفيه وان تملأ له مالا. ثم قال أصلح ما أفسدت من قولك. فقال فيه لما عزل من مصر وولى مكانه يزيد بن حاتم السلمي :

بكى أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاعز بن حاتم
لشتان ما بين اليزيدين فى الندي * يزيد سليم والاعز ابن حاتم
فهم الفتى القيسى انفاق ماله * وهم الفتي العبسى جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام اني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

واعلم : ان بقية الشعراء لم تحفظ الاغراض التي أمر الله تعالى بحفظها . وقد وضعنا في هذا الكتاب بابا فيمن وضعه الهجاء، ومن رفعه المدح . وكان لزياد عامل على الاهواز يقال له تيم فمدحه رجل من الشعراء فلم يعطه شيا . فقال الشاعر أما انى لا أهجوك ولكننى أقول فيك ما هو شر عليك من الهجاء فدخل على زياد فاسمعه شعرا مدحه فيه . وقال في بعضه :

وكائن عند تيم من بدور * اذا ما صفدت تدعو زيادا

دعته كي يجيب لها وشيكا * وقد ملئت حناجرها صفادا

فقال زياد لبيك يا بدور ثم أرسل فيه فاغرمه مائة الف :

٨ — باب في رواة الشعر — قال الاصمعي : ما بلغت الحلم حتي رويت اثني عشر الف ارجوزة للاعراب . وكان خلف الاحمر اروى الناس للشعر واعلمهم بجيده . قال مروان بن ابي حفصة لما مدحت المهدي بشعري الذي اوله :

طرقتك زائرة فحي خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها

أردت أن أعرضه على نظراء البصرة . فدخلت المسجد الجامع فتصفحت الحلق فلم أر حلقة اعظم من حلقة يونس النحوي فجلست اليه . فقلت له انى مدحت المهدي بشعر وأردت أن لا أرفعه حتي اعرضه على نظرائكم واني تصفحت الحلق فلم أر حلقة أحفل من حلقتك فان رأيت ان تسمعه مني فافعل . فقال يا ابن أخي ان ههنا خلفا ولا يمكن أحدنا أن يسمع شعرا حتي يحضر فاذا حضر فاسمعه فجلست حتى اقبل خلف الاحمر . فلما جلس جلست اليه . ثم قلت له ما قلت ليونس . فقال أنشد يا ابن أخي فأنشدته حتى أتيت على آخره . فقال لى أنت والله كاعشى بكر بل انت أشعر منه حيث يقول :

رحلت سمية غدوة اجمالها * غضبي عليك فما تقول بدالها

وكان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن و ينحله الشعراء . و يقال ان الشعر المنسوب الى ابن أخت تأبط شرا . وهو :

ان بالشعب الى جنب سلع * لقتيلا دمه ما يطل

لخلف الاحمر وانما ينحله اياه . وكذلك كان يفعل حماد الرواية يخلق الشعر القديم ويقول مامن شاعر الا قد حققت في شعره أبياتا فجازت عنه الا الاعشى أعشى بكر فاني لم أزد في شعره قط

غير بيت فانشدت عليه الشعر قيل له وما البيت الذي أدخلته في شعر الاعشى . فقال :

وانكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قال حماد الرواية . ارسل الى أبو مسلم ليلا فراعني ذلك فلبست أكفاني ومضيت . فلما دخلت عليه تركني حتى سكن جاشي . ثم قال لي ماشعر فيه أوتاد . قلت من قائله اصلح الله الامير . قال لا أدرى قلت فمن شعراء الجاهلية أم شعراء الاسلام . قال لا أدرى قال فاطرقت حينا أفكر فيه حتى بدر الى وهمي شعر الافوه الازدي حيث يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتني الا له عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذي كادوا

فقلت هو قول الافوه الازدى أصلح الله الامير وأنشدته الابيات : فقال صدقت انصرف اذا شئت فقمت فلما خطوت الباب لحقني أعوان له ومعهم بدرة فصحبوني الى الباب فلما أردت ان أقبضها منهم قالوا لا بد من ادخالها الى موضع منامك فدخلوا معي فعرضت ان أعطيهم منها شيئا فقالوا لا نقدم على الامير . الاصمعي قال : أقبل فتيان الى أبي ضمضم بعد العشاء . فقال ماجاء بكم قالوا جئنا نتحدث اليك قال كذبتم يا خبثاء ولكن قلتم كبر الشيخ فهلم بنا عسى ان ناخذ عليه سقطة . قال فانشدهم لمائة شاعر كلها اسمه عمرو . قال الاصمعي : تحدثت أنا وخلف الاحمر فلم نزد على أكثر من ثلاثين . وقال الشعبي : لست لشئ من العلوم أقل رواية من الشعر ولو شئت لانشدت شهرا ولا أعيد بيتا . وكان الخليل بن أحمد . أروى الناس للشعر ولا يقول بيتا وكذلك كان الاصمعي . وقيل للاصمعي مايمنعك من قول الشعر قال نظرى لجيده . وقيل للخليل : مالك لا تقول الشعر قال الذي أريده لا أجده والذى أجده منه لا أريده . وقيل لآخر : مالك تروى الشعر ولا تقوله قال لاني كالمسن أشحذ ولا أقطع . وقال الحسن بن هاني رويت أربعة آلاف شعر وقلت أربعة آلاف شعر فما زريت لشاعر شيا . القاسم بن محمد السلامى قال . حدثنا حماد بن بشر الاطروش قال حدثني يحيي بن سعيد قال أخبرني الاصمعي قال تصرفت بي الاسباب الى باب الرشيد مؤملا للظفر لما كان في الهمة دفينا أترقب به طالع سعد فاتصل بي ذلك الى ان صرت للحرس مؤانسا بما استملت به مودتهم فكنت كالضيف عند أهل الميرة فطرفهم متوجهة باتحافى وطار لتني الغايات بما كدت به أن أصير الى

ملالة غير انى لم أزل مؤانسا للامل بنذ كرابه عنداعتراض الفترة . وقلت فى ذلك :

وأي فتي أعير هات قاب * وساع ماتضيق به المعانى
تجاذبه المواهب عن اباء * الا لا بل تؤلفه الامانى
فرب معرس للياس أملى * عن الدرك الجهير لدى الامانى
وأي فتى أناس من سمو * من المهمات متهم الجنان
بغير توسع فى الصدر ماض * على العزمات والعضب اليماني

فلم نشعر أن خرج علينا خادم فى ليلة نثرت السعادة والتوفيق فيها الارق بين اجفان الرشيد فقال هل بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقة قد فكه التيسير للانعام أنا صاحبك ان كان صاحبك من طلب فادمن وحفظ فاتقن فاخذ بيدي . ثم قال ادخل ان يختم الله لك بالاحسان لديه والتصريف فلعلها ان تكون ليلة تعرس فيها صباحها بالغنى . قلت بشرك الله بالخير قال ودخلت فواجهت الرشيد فى البهو جالسا كانما ركب البدر فوق أزراره جمالا والفضل بن يحيى الى جانبه والشمع يحدق به على قضب المناور والخدم فوق فرشه وقوف فوقف بي الخادم حيث يسمع تسليمي . ثم قال سلم فسلمت فرد . ثم قال تنح ليسكن قليلا ان وجد لروعه حسا فقعدت حتي سكن جاشى قليلا . ثم أقدمت فقلت يا أمير المؤمنين اضاءة كرمك و بهاء مجدك مجيران لمن نظر اليهما من غير اعتراض أذية له تسالني فاجيب أم ابتدى فاصيب بيمن أمير المؤمنين و فضله . قال فتبسم الفضل ثم قال ماأحسن ما استدعي الاختيار ولقد استسهل المفاتحة وأجد ربه أن يكون محسنا . ثم قال الفضل والله ياأمير المؤمنين اقدم مبرزا محسنا في استشهاده على براءته من الحيرة وارجو ان يكون ممتعا قال ارجو . ثم قال ادن فدنوت فقال اشاعر أم راوية . فقلت رواية ياأمير المؤمنين . قال لمن قلت لذى جد و هزل بعد أن يكون محسنا . قال والله مارأيت أدعى لعلم ولا أخبر بمحاسن بيان فتقته الاذهان منك و لئن صدرت حامدا أثرك لتعرفن الافضال متوجها اليك سريعا . قلت أنا على الميدان ياأمير المؤمنين لمن مني من غنائي مجيبا فيما أحبه . قال قد أنصف القارة من راماها . ثم قال مامعنى المثل فى هذه الكلمة بديا قلت ذكرت العرب ياأمير المؤمنين ان السابقة كانت لهم رماة لاتقع سهامهم فى غير الحدق . فكانت تكون فى الموكب الذى يكون فيه الملك على الجياد الباق ايديهم الاسورة وفى أعناقهم الاطواق فخرج من موكب الصعر فارس معلم بعذبات سمور فى قلنسوته قد وضع

نشابته فى الوتر ثم صاح أين رماة الحرب فسمته العرب بالقارة . وقال قد أنصف القارة من راماها والملك أبو حسان أراد ذلك المضاف له . قال احسنت أرويت للعجاج ورؤبة شيئا قلت هما يا أمير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافي وان غابا عنك بالاشخاص فمد يده فاخرج من تحت فراشه رقعة ثم قال اسمعني . فقال اطرقني طارق هم طرقا فمضيت فيها مضي الجواد فى سنن ميدانه تهدر فى أشداقي حتى اذا صرت الى مدح بني أمية ثنيت عنان السياق الى امتداحه المنصور فى قوله قلت لزيد لم تصله مرية . قال أعن خبرة أم عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده . قال الفضل أحسنت بارك الله فيك مثلك يؤمل لهذا الموقف . قال الرشيد ارجع الى أول هذا الشعر فاخذت من أوله حتى صرت الى صفة الجمل فاطلت . فقال الفضل مالك تضيق علينا كل ما اتسع من مشاهدة السمر فى ليلتنا هذه بذكر جمل أجرب فكر الى امتداح المنصور حتى أتى على آخره . فقال الرشيد اسكت هى التي اخرجتك من دارك وأزعجتك من قرارك وسلبتك تاج ملكك ثم ماتت فعمل جلودها سياطا تضرب بها قومك ضرب العبيد ثم قهقه . ثم قال لا تدع نفسك والتعرض لما تنكره . فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله . قال الرشيد أخطأت فى كلامك يرحمك الله لو قلت وأستعين الله قلت صوابا انما يحمد الله على النعم ثم صرف وجهه الى وقال ما أحسن ما أديت فى قدر ما سئلت اسمعني كلمة عدي بن الرقاع فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قوله * عرف الديار توهما فاعتادها : فقال الفضل يا أمير المؤمنين البسنا ثوب السهر ليلتنا هذه لاسماع الكذب لم لا تامره يسمعك مقالات الشعراء فيك وفى آبائك . قال ويحك انه أدب وقل ما يعتاض مثله ولان اسمع من ثقيف بعبارة تشغله العناية عمرا أحب الى من أن تشافهني به الرسوم وللمتدح بهذا الشعر حركات سترد عليك ولا تقدر أن تصدر من غير استحسان لها فاكون أول مسبب طريقة ذكر ثم تردها اليك الرواية . قال الفضل قدو الله يا أمير المؤمنين شاركتك فى الشوق وأعنتك على السوق . ثم التفت الى الفضل فقال احرمنا ليلتك منشدا هذا سيدي أمير المؤمنين قد أصغي اليك فروبحك فى عنان الانشاد فهي ليلة دهرك لم تنصرف الا غانما . قال الرشيد أما اذا قطعت على فاحلف لتشركني فى الجزاء فما كان لى فى هذا شيء لم تقاسمنيه . قال الفضل قدو الله يا أمير المؤمنين وطنت نفسي على ذلك متقدما فلا تجعلنه وعيدا . قال الرشيد لأجعله وعيدا . قال الاصمعي الآن البس رداء التيه على العرب كلها واني أرى الخليفة والوزير هما يتناظران في المواهب لى . فمررت فى سنن الانشاد حتى بلغت الى قوله :

تزجي أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فاستوي جالساً ثم قال أتحفظ في هذا شيئاً قلت نعم يا أمير المؤمنين كان الفرزدق لما قال عدى :

* تزجي اغن كان ابرة روقه * قال لجرير اي شيء تراه يناسب هذا تشبيها . فقال جرير * قلم أصاب من الدواة مدادها * فما رجع الجواب حتى قال عدي

* قلم أصاب من الدواة مدادها * فقلت لجرير ويحك لكان سمعك مخبوء في فؤاده . فقال جرير اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام . ثم قال الرشيد مر في انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

ولقـد أراد الله اذ ولا كها * من أمـة اصلاحها ورشادها

قال الفضل كذب ومابر . قال الرشيد ماذا صنع اذ سمع هذا قلت ذكرت الرواة يا أمير المؤمنين انه قال لا حول ولا قوة الا بالله . قال مر في انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

لم تاته السـلاب الا عنوة * غصبا ويجمع للحروب عتادها

قال الرشيد لقد وصفه بحزم وعزم لا يعرض بينهما وكل ولا استذلال . قال فماذا صنع قلت يا أمير المؤمنين ذكرت الرواة انه قال ماشاء الله قال أحسبك وهمان . قلت يا أمير المؤمنين أنت أولى بالهداية فليردني أمير المؤمنين الى الصواب . قال انما هذا عند قوله :

ولقـــد أراد الله اذ ولا كها * من أمة اصلاحها ورشادها

ثم قال والله ما قلت هـذا عن سمع ولكني أعلم ان الرجل لم يكن يخطىء في مثل هـذا . قال الاصمعي وهو والله الصواب . ثم قال مر في انشادك فمضيت حتى بلغت الى قوله :

٢ وعلمت حتى ماسائل عن * حرف لكنني أزدادهـا

قال وكان من خبرهم ماذا قلت ذكرت الرواة ان جريراً لما أنشد عدى هـذا البيت . قال بلى والله وعشر مئين قال عدى وقر في سمعي أثقل من الرصاص هذا والله يا أمير المؤمنين المديح المنتقى . قال الرشيد والله انه لنقي الكلام في مدحه وتشبيبه قال الفضـل يا أمير المؤمنين لا يحسن عدى ان يقول :

شمس العداوة حتي يستقاد لهـم * واعظم الناس احـلاما اذا قدروا

قال الرشيد بلى قد أحسن . ثم التفت الي فقال ماحفظت له في هـذا الشعر شيئاً حين قال :

اطفات نيران الحروب وأوقدت * نار قـدحت براحتيك زنادها

قلت ذكرت الرواة أنه يا امير المؤمنين حك يميناً بشمال مقتدحا بذلك . ثم قال الحمد لله على هبة

الانعام . قال الرشيد رويت لذي الرمة شيا قلت الا كثير يا أمير المؤمنين . قال والله لا أسالك سؤال امتحان ولا كان هذا عليك ولكني أجعله سببا للمذاكرة فان وقع عن عرفانك والا فلا ضيق عليك بذلك عندي فما اراد بقوله :

ممرا مرت منية أسدية * ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف يا أمير المؤمنين حمارا وحشيا اسمنه بقل روضة تشابكت فروعه ثم تراسخت عروقه من قطر سحابة كانت في نوء الاسد ثم في الذراع منه . قال أصبت أفتري القوم علموا هذا من نجوم بنظرهم بل هو شيء قلما يستخرج بغير أسباب للذين دونت لهم أصوله وأداه الى أهله الاوهام أو الشؤن فالله أعلم بذلك . قلت يا أمير المؤمنين هذا تسور في كلامهم ولا أحسبه الاعن أثر القي اليهم قلما أجد الاشياء يميزها الفكر في القلوب فان ذهبت الى انه هبة الله ذكرهم بها ذهبت الى ماتجاربني فيه الاوهام . ثم قال أرويت للشماخ شيئا قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال يعجبني من قوله هذا

اذا رد في ثني الزمام ثنت له * جرانا كخوط الخيزران المعوج

قلت يا أمير المؤمنين هي عروس كلامه . قال فايها الحسن الآن من كلامه قلت الرائية وأنشدته أبيا نامنها قال امسك . ثم قال استغفر الله ثلاثا أخر قايلا واجلس فقد أمتعت منشدا ووجدناك محسنا في أدبك معبرا عن سرائر حفظك . ثم التفت الى الفضل فقال لكلام هؤلاء ومن تقدم من الشعراء ديباج الكلام الحسن وان يزيدك على القدم جدة وحسنا فاذا جاءك الكلام المزين بالبديع جاءك الحرير الصيني المذهب يبقى على الحادثة في أنف الروايات فاذا أمتعته الاسماع ولذ في القلوب لهارونق صواب ولكن في الاقل . ثم قال يعجبني مثل قول مسلم في أبيك وأخيك الذي امتدحهما به مخاطبا حليلته مفتخرا عليها بطول الرأى في اكتساب المغانم حيث قال :

أجدك هل تدرين ان رب ليلة * كان دجاها من قرونك ينشر
صبرت لها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيي حين يذكر جعفر

أفرأيت ما ألطف ماجعلهما معدنا لكمال الصفات ومحاسنها . ثم التفت الى فقال أجد ملالة ولعل ابا العباس يكون لذلك انشط وهو لناضيف في ليلتنا هذه فاقم عنده مسامر اله . ثم نهض فتبادر الخدم فامسكوا بيده حتى نزل عن فرسه . ثم قدمت النعل فجعل الخادم يسوي عقب النعل في رجله فقال ارفق ويحك حسبك قد عقرتني . قال الفضل لله در العجم ما احكم

صنعتهم لو كانت سيرية ما احتجت الى هذه الكلفة . قال هذه نعلي ونعل آبائي رحمة الله عليهم وتلك نعلك ونعل آبائك لا تزال تعارضني في الشيء ولا ادعك بغير جواب يمضك . ثم قال يا غلام على بصالح الخادم فقال يؤمر له بتعجيل ثلاثين الف درهم في ليلته هذه . قال الفضل لولا انه مجلس امير المؤمنين ولا يامر فيه احد غيره لدعوت له بمثل ما امر به امير المؤمنين فدعا له بمثل ما امر الا الف درهم ويصبح من غد فيلقى الخازن ان شاء الله: قال الاصمعي فما صليت الظهر الا وفى منزلي تسعة وخمسون الف درهم .

وقال دعبل :

يموت ردىء الشعر من غير اهله * وجيده يبقي وان مات قائله

وقال ايضا :

اني اذا قلت بيتا مات قائله * ومن يقال له والبيت لم يمت

٩ — باب من استعدى عليه من الشعراء — لما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بالشعر الذى يقول فيه .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

استعدى عليه عمر بن الخطاب وانشده البيت فقال ما اري به باسا . قال الزبرقان والله يا امير المؤمنين ما هجيت ببيت قط اشد على منه فبعث الى حسان بن ثابت وقال انظر ان كان هجاه فقال ما هجاه ولكن سلح عليه ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء في هذا البيت ولكنه كره ان يتعرض لشانه . فبعث الى شاعر مثله وامر بالحطيئة الى الحبس . وقال يا خبيث لاشغلنك عن أعراض المسلمين . فكتب اليه من الحبس يقول :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذى من بعد صاحبه * القت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فامر باطلاقه واخذ عليه ان لا يهجو رجلا مسلما . ولما هجا النجاشى رهط تميم ابن مقبل استعدوا عليه عمر بن الخطاب وقالوا يا امير المؤمنين انه هجانا قال وما قال فيكم قالوا قال :

اذا الله عادى اهل لؤم ودقة * فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

قال عمر هذا رجل دعا فان كان مظلوما استجيب له وان لم يكن مظلوما لم يستجب له قالوا فانه قد قال بعد هذا :

قبيلته لا يخفرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل
وما سمي العجلان الا لقولهم * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال عمر ليت آل الخطاب مثل هؤلاء فان ذلك احزم لهم وأمكن قالوا فانه يقول بعد هذا ؟ قال عمر سيد القوم خادمهم فما أرى بهذا بأسا ونظير هذا قول معاوية لابي بردة بن أبي موسى وكان دخل حماما فزحمه رجل فرفع الرجل يده فلطم بها أبا بردة فاثر في وجهه . فقال فيه عتبة الاسدى :

فلا يضرم الله اليمين التي لها * بوجهك يا ابن الاشعرين ندوب

قال فاستعدى عليه معاوية وقال انه هجاني قال وما قال فيك قال فانشده البيت . قال معاوية هذا رجل دعا ولم يقل الاخير اقال فقد قال غير هذا قال وما قال . فانشده :

وأنت امرؤ في الاشعرين مقابل * وفي البيت والبطحاء أنت غريب

قال معاوية واذا كنت مقابلا في قومك فما عليك أن لا تكون مقابلا في غيرهم قال فقد قال غير هذا قال وما قال قال :

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا وجذذتموها * فهل من قائم أو من حصيد
فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد
أنطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
ذروا خول الخلافة واستقيموا * وتأمين الاراذل والعبيد

قال فما منعك يا أمير المؤمنين ان تبعث اليه من يضرب عنقه قال أولا خير من ذلك قال وما هو قال نجتمع أنا وأنت فنرفع أيدينا الى السماء وندعو عليه فما زاد ان زوي . استعدى قوم زيادا على الفرزدق وزعموا انه هجاهم فارسل فيه وعرض له أن يعطيه فهرب منه وانشد :

دعاني زياد للعطاء ولم أكن * لاقربه ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم * رجال كثير قد يرى بهم فقرا
فلما خشيت أن يكون عطاؤه * اداهم سودا أو محدرجة سمرا

نهضت الى عيس تجوب متونها * سرى الليل واستعراضها البلد القفرا
يؤم بها الموماة من لا يرى له * لدى ابن أبي سفيان جاها ولا عذرا

ثم لحق بسعيد بن العاص وهو والى المدينة فاستجار به وأنشده شعره الذى يقول فيه

اليك فررت منك ومن زياد * ولم أحسب دماء كم حلالا
فان يكن الهجاء أحل قتلى * فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغر السوابق من قريش * اذا ما الامر بالحدثان حالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

ولما بلغ التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أم الحكم أرسل يزيد ابن معاوية الى كعب بن جعيل . فقال له ان عبد الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن ابن أم الحكم فاهج الانصاري . فقال أرادى أنت الى الاشراك بعد الايمان لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أدلك على غلام مناضرى فدله على الاخطل فارسل اليه فهجا الانصار . وقال فيه :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار
قوم اذا حضر العصير رأيتهم * حمرا عيونهم من المسطار
واذا نسبت الى الفريعة خلته * كالجحش بين حمارة وحمار
فدعوا المكارم لستم من أهلها * وخذوا مساحيكم بني النجار

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصارى . فلما بلغه الشعر أقبل حتى دخل على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسه . وقال يا معاوية هل ترى من لؤم قال ما أرى الا كرما . قال فما الذى يقول فينا عبد الاراقم :

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار

قال قد حكمتك فيه قال والله لا رضيت الا بقطع لسانه . ثم قال :

معاوي الا تعطنا الحق نعترف * لحي الاسد مشدود اعليها العمائم
أيشتمنا عبد الاراقم ظلمه * وماذا الذي تجرى عليك الاراقم
فمالى ثأر دون قطع لسانه * فدونك من ترضيه عنك الدراهم

فقال معاوية قد وهبتك لسانه وبلغ الاخطل . فلجأ الى يزيد بن معاوية فركب يزيد الى النعمان

فاستوهبه اياه فوهبه له . ومن قول عبد الرحمن بن حسان فى عبد الرحمن ابن أم الحكم :

وأما قولك الخلفاء منا * فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم نضحت كحوت بحر * هوي فى مظلم الغمرات داج
وهم دعج وولد أبيك زرق * كأن عيونهم قطع الزجاج

وقال يزيد لابيه ان عبد الرحمن بن حسان يشبب بابنتك رملة قال وما يقول فيها قال يقول :

هي بيضاء مثل لؤلؤة الغواص صيغت من لؤلؤ مكنون

قال صدق قال ويقول :

واذا ماممستها لم تجدها * في نساء من المكارم دون

قال صدق أيضا قال ويقول :

ثم حاضرتها الى القبة الحمراء تمشى في مرمر مسنون

قال كذب قال ويقول فيه فى مرمر قال مافى هذا شيء قال فهلا نبعث اليه من يأتيك برأسه . قال يابني لو فعلت ذلك لكان أشد عليك لانه يكون سببا للخوض فى ذكره فيكثر مكثر ويزيد زائد اضرب عن هذا صفحا واطو دونه كشحا . ومن قول عبد الله بن قيس المعروف بالرقيات يشبب بعاتكة ابنة يزيد بن معاوية :

أعاتك يابنت الخلائف عاتكا * أنيلي فتى أمسي بحبك هالكا
تبدت وأتراب لها فقتلنني * كذلك يقتلن الرجال كذلكا
يقلبن ألحاظا لهن فواترا * ويحملن مافوق النعال سبائكا
اذا غفلت عنا العيوب التي نري * سلكن بها حيث انتهين المسالكا
وقلن لنا لو نستطيع لزاركم * طبيبان منا عالمان بدائكا
فهل من طبيب بالعراق لعله * يداوى سقيما هالكا متهالكا

فلم يعرض له يزيد للذى تقدم من وصاية أبيه معاوية فى رملة . تحدثت الرواة أن الحجاج رأي محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج فارتاع من نظر الحجاج اليه فدعا به . فلما وقف بين يديه قال :

فداك أبى ضاقت بي الارض رحبها * وان كنت قد طوفت كل مكان

وان كنت بالعميفاء أو بتخومها * ظننتك الا أن تصد تراني

فقال لا عليك فوالله ان قلت الاخيرا انما قلت هذا الشعر :

يخنين أطراف البنان من التقى * ويخرجن وسط الليل معتجرات

ولكن أخبرني عن قولك :

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حذرات

في كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هزيل ومعي رفيق على أتان . قال فتبسم الحجاج ولم يعرض له . وهذه الابيات لابن نمير فى زينب بنت يوسف :

لم ترعيني مثل سرب أريته * خرجن من التنعيم معتجرات

مررن بفج ثم رحن عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة خفرات

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن بان يلقينه حذرات

دعت نسوة شم العرانين بدنا * نواضر لا شعثا ولا غبرات

فادنين لما قمن يحجبن دونها * حجابا من القسى والحبرات

أجل الذى فوق السموات عرشه * أوانس بالبطحاء معتمرات

يخنين أطراف البنان من التقى * ويخرجن وسط الليل معتجرات

وكان الفرزدق قد عرض بهشام بن عبد الملك فى شعره : والبيت الذى عرض به فيه قوله :

يقلب عينا لم تكن بخليفة * مشوهة حولاء جما عيوبها

فكتب هشام الى خالد بن عبد الله القسرى عامله على العراق يأمره بحبسه فحبسه حتى دخل جرير على هشام فقال يا أمير المؤمنين انك تريد أن تبسط يدك على بادى مضر وحاضرها فاطلق لها شاعرها وسيدها الفرزدق . فقال له هشام أو ما يسرك ما أخزاه الله قال ما اريد أن يخزيه الله الا على يدى فامر باطلاقه

﴿ أى بيت تقوله العرب أشعر ﴾ قيل لابى عمرو بن العلاء أي بيت تقوله العرب أشعر . قال البيت الذى اذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ولان يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله : وقيل للاصمعي : أي بيت تقوله العرب أشعر قال الذى يسابق لفظه معناه . وقيل للخليل : أى بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته . وقيل لعميرة : أى بيت تقوله العرب أشعر قال البيت الذى

لا يحجبه عن القلب شيء وأحسن من هذا كله قول زهير :

وان احسن بيت انت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

﴿ أحسن ما يجتلب به الشعر ﴾ قالت الحكماء : لم يستدع شارد الشعر باحسن من الماء الجاري والمكان الخالي والشرف العالي وتاول بعضهم الخالي يريد الخالي من النوار يعني الرياض وهو توجيه حسن . ولقي أبو العتاهية : الحسن بن هاني فقال له أنت الذي لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك قال وكيف ينبغي للشعر ان يقال الا على هكذا قال اما اني أقوله على الكنيف قال ولذلك توجد فيه الرائحة . وقال عبد الملك بن مروان : لارطاة بن سمية هل تقول الآن شعرا قال ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب فلا يقال الشعر الا بواحدة من هذه . وقيل للحطيئة : من أشعر الناس فاخرج لسانا رقيقا كانه لسان حية وقال هذا اذا طمع وقيل لكثير عزة : لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما أعجب وماتت عزة فما أطرب ومات عبد العزيز فما أرغب يريد عبد العزيز ابن مروان . وقالوا : أشعر الناس النابغة اذا رهب وزهير اذا غضب وجرير اذا رغب . وقال عمرو بن هند : لعبيد بن الابرص ولقيه في يوم بؤسه أنشدني من شعرك قال حال الجريض دون القريض . وقد يمتنع الشعر على قائله ولا يسلس حتي يبعثه خاطر أو صوت حمامة . وقال الفرزدق : أنا أشعر الناس عند اليأس وقد يأتي على الحين وقلع ضرس عندي أهون من قول بيت شعر . وقال الراجز :

انما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا * فاذا ما نسقوه

كان غثا أو سمينا * ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

وأسلس ما يكون الشعر في أول الليل قبل الكرى وأول النهار قبل الغداء وعند مفاجاة النفس واجتماع الفكر . وأقوى ما يكون الشعر عندي على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة . قيل للخزيمي : ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مراثيك . قال كنا حينئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد . والدليل علي صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت بن زيد كانا شيعيين غاليين في التشيع وكانت مدائحهم في بني أمية أشرف واجود منها في بني هاشم وما لذلك علة الا قوة أسباب الطمع . وقيل لكثير عزة : يا أبا صخر كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر قال اطوف في الرباع المحيلة والرياض المعشبة فان نفرت عنك القوافي وأعيت عليك المعاني فروح قلبك واجم ذهنك وارتصد لقولك فراغ بالك وسعة

ذهنك فانك تجد فى تلك الساعة ما يمتنع عليك يومك الاطول وليلك الاجمع

١٠ — من رفعه المدح ووضعه الهجاء — قال بلال بن جرير سألت ابى جريرا فقلت له انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم غير بني نجاء . قال يا بنى اني لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه . وقد يكون الشيء مدحا فيجعله الشعر ذما ويكون ذما فيجعله الشعر مدحا . قال حبيب الطائي فى هذا المعنى :

ولولا خلال سنها الشعر ما دری * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة * ويقضى بما يقضي به وهو ظالم

الا ترى الى بنى عبد المدان الحارثيين كانوا يفخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى قال فيهم حسان هذا :

لا باس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا له والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر اجسامنا بعدان كنا نفخر بها . فقال لهم ساصلح منكم ما افسدت . فقال فيهم :

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذى جسم يعد وذى بيان

كانك ايها المعطى لسانا * وجسما من بنى عبد المدان

وكان بنو انف الناقة يعيبون بهذا الاسم فى الجاهلية حتي قال فيهم الحطيئة :

سيري امامى فان الاكثرين حصى * والاكرمين اذا ما ينسبون أبا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوى بانف الناقة الذنبا

فعاد هذا الاسم فخرا لهم وشرفا فيهم . وكان بنو نمير أشراف قيس وذوائبها حتي قال فيهم جرير هذا :

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما بقى نميرى الا طاطا رأسه . وقال حبيب :

فسوف يزيدكم ضعة هجائى * كما وضع الهجاء بني نمير

وقد كان المحلق بن خيثم بن شداد خاملا لا يذكر حتي طرقه الاعشى فى فتية وليس عنده الا ناقة فاتى أمه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رأيتي ان تاذنى فى نحر الناقة . قالت نعم يا بنى فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابا وشوي لهم بعض لحمها فاصبح الاعشى ومن معه غادين فلم بشعر

المحلق حتى أتته القصيدة التي أولها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق * ومابي من سقم وما بي تعشق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندي والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تقاسما * باسحم داج عوض لا يتفرق
ترى الجود يسري سائلا فوق وجهه * كما زان متن الهندوانى رونق

فلما أتته القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليه وتقول وبات على النار الندي والمحلق . وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يفترقون أبد الدهر :

﴿ مايعاب من الشعر وليس بعيب ﴾ قال الاصمعى : سمعت حماد الراوية وأنشد رجل بيتا لحسان :

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسالون عن السواد المقبل

فقال ما يعرف هذا الا في كلاب الحانات . وأنشده آخر قول الشاعر :

لمن منزل بين المذانب فالجسر * فقال مايعرف هذا الا دار الياسريين

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الفرزدق :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويابنت ذى البردين والفرس الورد

فقال من جهل المعنى ولم يعرف الخبر مافى هذا من المدح ان يمدح رجلا بلباس البردين وركوبه فرس وردا نما معناه ما قال أبو عبيدة ان وفود العرب اجتمعت عند النعمان . فاخرج اليهم بردي محرق وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما . فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة فاتزر باحدهما وتردى بالآخر . فقال له النعمان أنت أعز العرب قبيلة . قال العز والعدد من العرب في معد . ثم فى نزار . ثم فى مضر . ثم فى خندف . ثم فى تميم . ثم فى سعد . ثم فى كعب . ثم فى عوف . ثم في بهدلة . فمن أنكر هذا من العرب فلينافرنى فسكت الناس . فقال النعمان هذه عشيرتك فكيف أنت كما تزعم فى نفسك وأهل بيتك . فقال أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة : وأما أنا فى نفسى فهذا شاهدى ثم وضع قدمه فى الارض وقال من أزالها فله مائة من الابل فلم يتعاط ذلك أحد . فذهب بالبردين . فسمي ذا البردين وفيه يقول الفرزدق :

فما تم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ماقيل لم يتبهدل

لهم وهب النعمان بردى محرق ✳ لجد معد والعديد المحصل

ومما يعاب من الشعر وليس بعيب قول الاعشي فى فرس النعمان وكان يسمي اليحموم :

ويامر لليحموم كل عشية ✳ بقت وتعليف فقد كاد يسبق

فقالوا ما يمدح به أحد من السوقة فضلا عن الملوك ان يقوم بفرس ويامر له بالعلف حتى كاد يسبق وليس هذا معناه . وانما المعنى فيه ما قال أبو عبيدة ان ملوك العرب بلغ من حزمها ونظرها فى العواقب أن أحدهم لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريبا منه مخافة عدو يفجؤه أو حالة تصعب عليه . فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم فيتعاهده كل عشية وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بافنية البيوت . ومما عابوه وليس بعيب قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم ✳ بلى وغيرها الارياح والديم

فنقض فى عجز هذا البيت ما قال فى صدره لانه زعم ان الديار لم يعفها القدم . ثم انه انتبه من مرقده فقال بلى عفاها وغيرها أيضا الارياح والديم وليس هذا معناه الذى ذهب اليه . وانما معناه ان الديار لم تعف فى عينه من طريق محبته لها وشغفه بمن كان فيها . وقال غيره فى هذا المعنى ما هو أبين من هذا وهو :

ألا ليت المنازل قد بلينا ✳ فلا يرمين عن شرف حزينا

فقوله ألا ليت المنازل قد بلينا أى بلى ذكرها ولكنها تجدد على طول البلاء بتجدد ذكرها . وقال الحسن بن هانىء فى هذا المعنى فلخصه وأوضحه وشنفه وقرطه حيث يقول :

لمن دمن تزداد طول نسيم ✳ على طول ما أقوت وحسن رسوم

تلافي البلى فيهن حتى كانما ✳ لبسن على الاقواء ثوب نعيم

ومما عيب من الشعر وليس بعيب ما يروي عن مروان بن الحكم انه قال لخالد بن يزيد بن معاوية وقد استنشده من شعره فانشده

فلو بقيت خلائف آل حرب ✳ ولم يلبسهم الدهر المنونا

لاصبح ماء اهل الارض عذبا ✳ وأصبح لحم دنياهم سمينا

فقال له مروان منونا وسمينا والله انها القافية ما اضطرك اليها الا العجز وهذا مما لا عجز فيه ولا عابه أحد فى قوافى الشعر وما أرى العيب فيه الا على من رآه عيبا لان الياء والواو يتعاقبان فى اشعار

العرب كلها قديمها وحديثها . وقال عبيد بن الابرص :

وكل ذي غيبة يؤب * وغائب الموت لايؤب
من يسال الناس يحرموه * وسائل الله لايخيب

ومثله من المحدثين :

أجارة بيتينا عليك غيور * وميسورما يرجى لديك عسير

ومما عيب من الشعر وليس بعيب قول ذى الرمة :

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

ولما أنشدوا هذا الشعر بلال بن أبي بردة قال ياغلام مر لصيدح بقت علف فانما هي انتجعتنا وهذا من التعنت الذى لا انصاف معه لان قوله انتجعى بلالا انما أراد نفسه . ومثله فى كتاب الله تعالى « واسال القرية التي كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها » وانما أراد أهل القرية وأهل العير . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فى بعض مايرتجز به من شعره .

اليك يغدو قلقا وضينها * مخالفا دين النصاري دينها

فجعل الدين للناقة وانما أراد صاحب الناقة ولم تزل الشعراء فى اماديحها تصف النوق وزيارتها لمن تمدحه ولكن من طلب تعنتا وجده أوتجنيا على الشاعر ادركه عليه كافعل صريع الغوانى بالحسن بن هانى حين لقيه . فقال له مايسلم لك بيت عندى من سقط قال فاى بيت اسقطت فيه . قال انشدني لك أي بيت ينسب فانشده :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح صباحا

فقال له قد ناقضت فى قولك كيف يمله ديك الصباح صباحا وانما يبشره بالصبوح الذي ارتاح له . فقال له الحسن فانشدنى انت من قولك فانشده :

عاصى الغرام فراح غير مفند * وأقام بين عزيمة وتجلد

قال له قد ناقضت فى قولك انك قلت عاصى الغرام فراح غير مفند . ثم قلت واقام بين عزيمة وتجلد فجعلت رائحا مقيما فى مقام واحد والرائح غير المقيم . والبيتان جميعا مؤتلفان ولكن من طلب عيبا وجده . ومما عابه ابن قتيبة وليس بعيب قول المرقش الاصفر :

صحا قلبه عنها على ان ذكرها * اذا ذكرت دارت به الارض قائما

فقال له كيف يصحو من كانت هذه صفته والمعنى صحيح وانما ذهب الى أن هذه بعد ما تقدم من سوء حاله حالة صحو عنده ومثل هذا فى الشعر كثير لان بعض الشر أهون من بعض. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى عمه ابى طالب انه اخف الناس عذابا يوم القيامة يحذي نعلين من نار يغلى منهما دماغه . وهذا من العذاب الشديد وانما صار خفيفا عند ماهو اشد منه . فزعم المرقش انه عند نفسه صاح اذ تبدل حاله الى اسهل مما كان فيه . وقد عاب الناس قول الحسن بن هاني :

و أخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

فقالوا كيف تخافه النطف التي لم تخلق ومجازهذا قريب اذا لحظ أن من خاف شيا خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه وروحه والنطف داخلة فى هذه الجملة . فهو اذا أخافه أهل الشرك أخاف النطف التى فى اصلابهم . وقال الشاعر :

ألا ترى لمكتئب * يحبك لحمه ودمه

وقال المكفوف :

احبكم حبا على الله أجره * تضمنه الاحشاء واللحم والدم

ولقى العتابي : منصور النميرى فساله . فقال انى لمدهوش وذلك اني تركت امرأتي وقد عسر عليها ولادها فقال له العتابي ألا أدلك على ماتسهل عليها . قال وما هو قال اكتب على رحمها هرون قال وما معناك فى هذا . قال ألست القائل فيه :

ان أخلف القطر لم تخلف مواهبه * او ضاق امر ذكرناه فيتسع

فقال بالخلفاء تعرض واياهم تتبع فيقال فغدا على هرون فاعلمه ما كان من قول العتابي . فكتب الى عبد الصمد فكتب اليه عمه يشفع له فوهبه له

١١ — تقبيح الحسن و تحسين القبيح — سئل بعض علماء الشعر من أشعر الناس قال الذى يصور الباطل فى صورة الحق والحق فى صورة الباطل بلطف معناه ورقة فطنته فيقبح الحسن الذى لا أحسن منه ويحسن القبيح الذى لا أقبح منه . فمن تحسين القبيح قول الحرث بن هشام يعتذر من فراره يوم بدر :

الله أعلم ماتركت قتالهم * حتي رموا مهرى باشقر مزبد
وعلمت أنى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدي

فصرفت عنهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذى سمعه صاحب زبيل . فقال يامعشر العرب حسنتم كل شيء فحسن حتي الفرار . ومن تقبيح الحسن قول بشار العقيلى فى سليمان بن على . وكان وصل رجلا فاحسن :

ياسوأة يكثر الشيطان اذ ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زال عن يده * فكوكب النحس يسقى الارض أحيانا

وقال غيره فى تقبيح الحسن :

يقولون لى انى بخيل بنائلى * وللبخل خير من سؤال بخيل

وقال المتلمس فى تحسين القبيح :

ياعائب الفقر ألا تزدجر * عيب الغني أكبر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى ان صح منك النظر
أنك تعصى كى تنال الغني * وليس تعصي الله كى تفتقر

ومن تحسين القبيح انه قيل لجذيمة الابرص ماهذا الوضح الذي بك . قال سيف الله الذى جلاه . وقال ابن حسان وكان به برص :

لا تحسبن بياضا فى منقصة * ان البهائم فى أقرانها بلق

وقال محمود الورّاق يمدح الشيب :

وعائب عابني بشيبي * لم يان لما أبان وقته
فقلت اذ عابني بشيبي * ياعائب الشيب لا بلغته

وقال آخر :

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب ان كان كلما * بدت شيبة غدا من اللهو مركب

وقال أعرابى فى عجوز :

أبى القلب الا أم عمرو وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند
كبرد يمان قد تقادم عهده * ورقعته ماشيب فى العين واليد .

وقال بشار العقيلى فى سوداء :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذ لو نكما واحد * انكما من طينة واحده

١٢ — الاستعارة — لم تزل الاستعارة قديمة تستعمل فى المنظوم والمنثور وأحسن ماتكون أن يستعار المنثور من المنظوم والمنظوم من المنثور وهذه الاستعارة خفية لا يؤبه بها لانك قد نقلت الكلام من حال الى حال . وأكثر مايجتليه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء وانما يجرى فيه الامر على سنن الاول . وأقل ماياتي لهم المعني الذى لم يسبق اليه أحد امافى منظوم واما فى منثور لان الكلام بعضه من بعض . ولذلك قالوا فى الامثال ماترك الاول للآخر شيأ الاترى ان كعب بن زهير وهو فى الرعيل الاول والصدر المقدم قد قال :

ما أرانا نقول الا معارا * أومعادا من قولنا مكرورا

ولكن فى قولهم ان الآخر اذا أخذ من الاول المعني فزاد فيه مايحسنه ويقربه ويوضحه فهو أولى به من الاول . وذلك كقول الاعشى :

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

فاخذ هذا المعني الحسن بن هانىء فحسنه وقربه اذ قال :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هى الداء

وقال القطامي :

والناس من يلق خيرا يامولون له * مايشتهي ولام المخطيء الهبل

أخذه من قول المرقش :

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغولا يعدم على الغي لائما

وقال قيس بن الحطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

أخذه بعض المحدثين فقال :

فشبهتها بدرا بدا منه شقة * وقد سترت خدا فابدت لنا خدا

وأذرت على الخدين دمعا كانه * تناثر درا أوندا واقع الورد .

وأخذه آخر فقال :

ياقمر النصف من شهره * أبدي صبا لثمان بقين

وأخذه بشار فقال :

ضنت بخد وجلت عن خد * ثم انثنت كالنفس المرتد

فلم يفسد الآخر قول الاول ولم يكن الاول بالمعنى أولى من الآخر . قلنا فى هذا المعنى ماهو أحسن من كل ما تقدم أو مثله . وهو قوله :

كان التي يوم الوداع تعرضت * هلال بدا محقا على أنه تم

وأما الاستعارة : اذا كانت من المنثور فى المنظوم ومن المنظوم فى المنثور فانها أحسن استعارة دخل سهل بن هرون : على الرشيد وهو يضاحك ابنه المامون . فقال سهل اللهم زده من الخيرات وابسط له من البركات حتى يكون بكل يوم من أيامه موفيا على أمسه مقصرا عن غده فقال له الرشيد ياسهل من روى من الشعر أفصحه ومن الحديث أوضحه . وأراد أن يقول لن يعجزه . قال ياأمير المؤمنين ماأعلم أحدا سبقني الى هذا المعنى . قال بلى سبقك أعشى همدان حيث يقول :

حسبتك أمس خير بنى معد * وأنت اليوم خير منك أمس

وأنت غدا تزيد الضعف خيرا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

وقد يكون مثل هذا وما أشبهه عن موافقة . وقد سئل الاصمعي عن الشاعر بن يتفقان فى المعني الواحد ولم يسمع أحدهما قول صاحبه . فقال عقول الرجال توافت على السنتها

١٣ — اختلاف الشعراء فى المعنى الواحد — وقد تختلف الشعراء فى المعنى الواحد وكل واحد منهم محسن فى مذهبه جار فى توجيهه وان كان بعضه أحسن من بعض ألا ترى أن الشماخ بن ضرار يقول فى ناقته :

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

وقال الحسن بن هانى، فى ضد هذا المعني ماهو أحسن منه فى محمد الامين :

فاذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن علي الرجال حرام

وقال أيضا

أقول لناقتي اذ أبلغتنى * لقد أصبحت مني باليمين

فلم اجعلك للغربان نحلا * ولا قلت اشرقى بدم الوتين

فقد عاب بعض الرواة قول الشماخ واحتج فى ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصارية

الماسورة التى نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم انى نذرت يارسول الله ان نجانى الله عليها أن أنحرها . قال بئسما جزيتيها ولا نذر لاحد فى ملك غيره . وقد قالت الشعراء : فلم تزل تمدح حسن الهيئة وطيب الرائحة واسبال الثوب . قال الفرزدق

بنودارم قومى ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون أهداب اليماني كأنهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

وأول من سبق الى هذا المعنى النابغة الذبيانى في قوله :

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب

وقال طرفة :

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

وقال كثير عزة فى اسبال الذيول يمدح بني أمية :

اشم من الغادين فى كل حلة * يميسون فى صبغ من العصب متقن
لهم ازرحمر الحواشي بطونها * باقدامهم فى الحضرمى الملسن

وقال فيه أيضا :

اذا حلل العصب اليماني أجادها * أكف اساتيذ على النسج درب
أتاهم بها الجانى فراجعوا عليهم * توائم من فضفاضهن المكعب
لها طرر تحت البنائق اذ نبت * الى مرهفات الحضرمى المعترب

وقال آخر :

مع كل فضفاض القميص كأنه * اذا مامرت فيه المدام فنيق

وخالفهم فيه صريع الغوانى فقال :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وقال لبيد بن ربيعة يرثي أخاه عبدالله بن ربيعة ويصفه بتشمير الثوب :

كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من السوآت طلاع أنجد

مثل قول الحجاج :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وقد يحمل معناهم فى تشمير الثوب وسحبه واختلافهم فيه على وجهين أحدهما ان يستحسن بعضهم ما يستقبح بعض . والوجه الثاني وهو أشبه ان يكون لتشمير الثوب موضع واسحبه موضع كما قال عمرو بن معديكرب .

فيوما ترانا فى الخزوز نجرها ❊ ويوما ترانا فى الحديد عوابسا
ويوما ترانا فى الثريد ندوسه ❊ ويوما ترانا نكسر الكعك يابسا

وقال أعشى بكر لعمرو بن معديكرب :

واذا تجىء كتيبة مكروهة ❊ ملمومة يخشي العدو نزالها
كنت المقدم غير لابس جبة ❊ بالسيف تضرب مقدما ابطالها

وقال مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد خلاف هذا كله وهو :

تراه فى الامن فى درع مضاعفة ❊ لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

ولما انشده يزيد بن مزيد قال له الا قلت كما قال الاعشى فانشده البيتين فقال قولى احسن من قوله انه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم . وقال عبد الملك بن مروان . لاسيلم بن الاحنف الاسدي ما احسن شىء مدحت به . قال قول الشاعر :

أسيلم ذا كمو لاخفا بمكانه ❊ لعين تراك أو الاذن تسمع
من النفر الشم الذين اذا اعتزوا ❊ وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه ❊ وطيب دهنا رأسه فهو أترع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا ❊ له حول برديه ارقوا وأوسعوا

فقال عبد الملك احسن من هذا قول قيس بن الاسلت :

قد حصت البيضة رأسى فما ❊ أطعم نوما غير تهجاع
أسعي على حى بني مالك ❊ كل امريء فى شانه ساعى

وقال بعضهم :

سالت المحبين الذين تحملوا ❊ تباريح هذا الحب فى سالف الدهر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله ❊ لاخرى وطول للتمادى على الهجر

وقال الحمدونى ماهو أحسن من هذا المعني فى ضده وهو قوله :

زعموا ان من تشاغل بالحب سلا عن حبيبه وأفاقا ❊ كذبوا ما كذا بلونا ولكن ❊

لم يكونوا فيما أري عشاقا * كيف أسلو بلذة عنك واللذات يحدثن لى اليك اشتياقا
كلما رمت سلوة تذهب الحر * قة زادت قلبي عليك احتراقا

وقال كثير عزة:

أريد لأنسي ذكرها فكانما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وقال بعض الناس ان كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها الاقال كما قال مجنون بني عامر :

فلا خفف الرحمن مابي من الهوى * ولا قطع الرحمن عن حبها حبي
فما سرني اني خلى من الهوى * ولو أن لى مابين شرق الى غرب

وذكر أكثرهم ان بعد العهد يسلى المحب عن حبيبه . وقالوا فيه :

اذ ماشئت ان تسلو حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالى

قال العباس بن الاحنف .

اذا كنت لا يسليك عمن تحبه * تناء ولا يشفيك طول تلاق
فما أنت الا مستعير حشاشة * لمهجة نفس آذنت بفراق

وقال كثيرة عزة :

فان تسل عنك النفس أو تدع الصبا * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

ومثله قول بشار :

من حبها أتمنى ان يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراقا لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

وهذه المذاهب كلها خارجة في معناها جائزة في مجراها . وقال عبدالله بن جندب

الا يا عباد الله هـذا أخوكم * قتيلا فهل منكم له اليوم واتر
خذوا بدمي ان مت كل خريدة * مريضة جفن العين والطرف ساهر

وقال صريع الغواني في ضد هذا :

أديرا على الراح لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي دخلي

وقالوا : عبد الله بن جندب أحسن في هذا المعني لانه انما أراد ان يدل على موضع ثاره واسم قاتله ولم يرد الطلب بالثار لانه لا ثار له . وقد قال عبدالله بن عباس ونظر الى رجل مدنف عشقا :

* هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود *

وقال الفرزدق : وأراد مذهب بن جندب فلم يؤاته رقة الطبع فخرج الى جفاء القول وقبحه فقال

يا أخت ناجية بن سامة التى * أجدى عليك بني ان طلبوا دمى * لن يتركوك وقد قتلت أباهم

وقال ابن أخت تابط شرا يرثى خاله وقتلته هذيل :

شامس فى القر حتى اذا ما * ذكت الشعرى فبرد وظل

ظاعن بالحزم حتى اذا ما * حل حل الحزم حيث يحل

أخذ معنى البيت الاول أعرابى فسهل معناه وحسن ديباجته . فقال :

اذا نزل الشتاء فانت شمس * وان نزل المصيف فانت ظل

وأخذ معنى البيت الثاني الحسن بن هانيء فقال فى الخصيب :

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

وقالوا فى الخيال فحيوه ورحبوا به . فمن ذلك قول مروان بن أبى حفصة :

* طرقتك زائرة فحى خيالها . وقال * طرق الخيال فحيه بسلام *

وعلى هذا بنيت أشعارهم وخالفهم جرير فطرد الخيال . فقال :

طرقتك زائرة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام

وأول من طرد الخيال طرفة فقال :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل

وأعجب من هذا قول الراعى الذي هجا الخيال فقال :

طاف الخيال باصحابى فقلت لهم * أأم سدرة زارتني أم الغول

لا مرحبا بابنة الاقيال اذ طرقت * كان محجرها بالقار مكحول

وقد يختلف معنى الشاعر أيضا فى شعر واحد بقوله ألا ترى ان امرأ القيس . قال :

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

فوصف نفسه بالصبر والجلد والقوة على التهالك . ثم أدركته الرقة والاشتياق فقال فى البيت الذى بعده :

أغرك مني ان حبك قاتلى * وانك مهما تامرى القلب يفعل

مستدركا قوله فى البيت الاول * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل * ولم يزل من تقدم من الشعراء وغيرهم مجمعين على ذم الغراب والتشاؤم به . وكان اسمه مشتقا من الغربة فسموه غراب البين

وزعموا انه اذا صاح فى الديار أقفرت من أهلها وخانفهم أبو الشيص . فقال ماهو أحسن من هذا وأصدق من ذلك كله قوله :

ما فرق الاحباب بعد الله الا الابل والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا
وما اذا صاح غرا * ب فى الديار احتملوا وما على ظهر غرا * ب البين تطوى الرحل
وما غراب البين الا ناقة أوجمل

وقال آخر فى هذا المعنى وذكر الابل :

لهن الوجا لم كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وكسير
وما الشؤم فى نعب الغراب ونعقه * وما الشؤم الا ناقة و بعير

ومن قولنا فى هذا المعنى :

نعب الغراب فقلت أكذب طائر * ان لم يصدقه رغاء بعير
رد الجمال هو المحقق للنوي * بل شر أحلاس لهن وكور

وقد يأتى من الشعر ماهو خارج عن طبقة الشعراء منفرد في غرائبه و بديع صنعته ولطيف تشبيهه كقول جعفر بن جرار كاتب ابن طولون :

كم بين نادى و بين لما * و بين بون الى ذما
من رشا أبيض التراقي * أغيد ذى غنة أجما
وطفلة رخصة المرائى * ليست تجلى ولا تسمي
الاوسلك من اللآلى * تعجز من يخرج المعمى
صغري وكبرى الى ثلاث * من التعاليل أو أيما
وكم معم وأرض لم * وأرض برم وأرض رما
من طفلة بضة لعوب * تلقاك بالحسن مستتما
منهن ريا وكيف ريا * ريا اذا لاقت المشما
لو شمها طائر بدو * لخر فى الترب أولهما
تسحب ذايلين من خلوق * قد أفنيا زعفران قما
كأنما أحنيا عليها * من طيب ما بشرا وشما
فالفيا زعفران قم * فانغمسا فيه واستحما

فهل تظن اسمها المريا * يفوح لامرطها المذما
هيهات يا أخت أهل بما * غلطت في الاسم والمسمي
لو كان هذا وقيل سم * مات اذا من يقول سما
قد قلت اذ أقبلت تهادى * كطلعة البدر أو أتما
قومي باسروعة وتخفى * بالبرد مثل القداح حما
لو كنت ممن لكنت مما * لكنني قد كبرت مما
عانبنى الدهر في عذاري * باحرف فارعوت لما
قوس ما كان مستقيما * وابيض ما كان مدلهما
وكيف تصبو الدمى الى من * كان أخا ثم صار عما
لى عنك يا أخت أهل بم * شغل بما قد دنا وجما
فلست من وجهك المفدى * ولست من قدك المحما
أذهلني عنك خوف يوم * يحيا له كل ما أرما
ما كسبته يدى رهينا * خيرا وشرا أصبت ثما
تحشر فيه الجنان زفا * وتحشر النار فيه زما
تقول هذي لطالبيها * هيت وهذى لهم هلما
نفسي أولى بان أذما * من أمرها كل ما أستذما
يانفس كم تخدعين لما * بلبس داج وأكل لما
رعيت من ذى الحطام مرعى * جمعت أكلا له وذما
ويحك فاستيقظى ليوم * تغدو لما قبله مصما
ألم تري يونس بن عبد الـ * ـلاعلى غدا صاهتا مرما
فى حفرة ما يجيز حرفا * قد دك من فوقها وطما
والمزنى الذي اليه * نعشو اذا دهرنا ادلهما
احفى فؤادى له عزائى * لكن زفيرى عليه نما
كأنما خوفا نخافا * أو حذرا جاشاها فصما

أقبل سهم من الرزايا * فخص أعلامنا وعما
دككك منا ذرا جبال * شامخة فى السماء شما
وخصنا دون من عليها * فداومتنا نعم وعما
قد قرب الموت ياابن أم * فبادر الموت ياابن أما
واعلم بان ما عصاك كهلا * من التقى لم يطعك هما
هو الهدى والردى فاما * آتيت آتى الردى واما
مفاترا فاعتبر بحالى * فى طبق مؤصد معمى
قد أسكنتنى الذنوب بيتا * يخاله الالف مستحما
فهل لدنياك من سبيل * تكون فيها الدهور رهما
فتشكر الله لا سواه * فقل نعماه ان تتما
يانفس ردى ولا تميلى * فافضل البر ما استتما
ان بهذا الكلام نصحا * ان لم يواف القلوب صما
يارب لى الف الف ذنب * ان تعف يارب فاعف جما
فابرد بعفو غليل قلب * كأن فيه رسيس حما

١٤ — ما يجوز فى الشعر مما لا يجوز فى الكلام — قال أبو حاتم : أبيح للشاعر مالم يبح للمتكلم من قصر الممدود ومد المقصور وتحريك الساكن وتسكين المتحرك وصرف مالا ينصرف وحذف الكلمة مالم تلتبس باخرى كقولهم فل من فلان وحم من حمام. قال الشاعر :

وجاءت حوادث من مثلها * يقال لمثلك ويهافل

وقال مسلم بن الوليد :

سل الناس انى سائل الله وحده * وصائن وجهى عن فلان وعن فل

وقال آخر : * ورد ا حمامات تجاوبها حم * ومن المحذوف أيضا قول الشاعر :

لها أشارير من لحم تتمره * من الثعالى ووخز من أرانيها

يريد من الثعالب ومثله قول الشاعر * وللضفادى جمة نقانق * يريد الضفادع.

ومن المحذوف قول كعب بن زهير :

ويل مهاخلة لو أنهـا صدقت * فى وعدها أو لو ان النصح مقبول

يريد ويل لامها ومنه قولهم لاه أبوك يريدون لله أبوك . وقال الشاعر :

لاه ابن عمك لا يخا * ف المبديات من العواقب

وكذلك الزيادة أيضا اذا احتاجوا اليها في الشعر . فمن ذلك قول زهير :

* فى ماء شرقي سلمى فيدا ورَكَك * قال الاصمعي سالت نجيبات نيدعن ركك فقيل ماء ههنا يسمي ركا فعلمت أن زهيرا احتاج فضعف . ومنه قول القطامي :

وقول المرء ينفذ بعد حين * مواضع ليس ينفذها الابار

ومثله قولهم كلكال من كلكل ونظير هذا كثير في الشعر لمن تتبعه . وأما قصرهم الممدود فجائز فى أشعارهم ومد المقصور عندهم قبيح . وقد يستجاد فى الشعر على قبحه مثل قول حسان بن ثابت :

قفاؤك أحسن من وجهك * وأمك خير من المنذر

وأنشد أبو عبيدة :

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب فى الحلق وفى اللهاء

فمد اللهى وهو جمع لهـاة كما قالو قطاة وقطى ونواة ونوي . وأما تحريك الساكن وتسكين المتحرك فمن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النوس حمامها

ومثله قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثمـا من الله ولا واغل

وقال أميـة بن أبى الصلت :

تابي فمـا تطلع لهم فى وقتها * الا معـذبة والا تجـلد

ومن قولهم فى تحريك الساكن :

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسوط قونس الفرس

وأما صرف مالا ينصرف عندهم فكثير والقبيح عندهم أن لا يصرف المنصرف وقد يستجاد فى الشعر على قبحه . قال عباس بن مرداس :

وماكان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

ومن قولهم فى تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبويه فى كتابه :

عجب الناس وقالوا * شعر وضاح اليمانى

انما شعرى قيد * قد خاط بجلجلان

ولو حرك خلط اجتمع خمس حركات :

١٥ — باب ما أدرك على الشعراء — قال أبو عبدالله بن محمد بن مسلم بن قتيبة ادركت العلماء بالشعر على امري القيس قوله :

أغرك مني ان حبك قاتلى * وانك مهما تامرى القلب يفعل

وقالوا اذا لم يغر هذا فما الذى يغر ومعناه فى هذا البيت يناقض البيت الذى قبله حيث قول :

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابى من ثيابك تنسل

لانه ادعى فى هذا البيت فضلا للتجلد وقوة الصبر بقوله * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل *
وزعم فى البيت الثاني انه لا تحمل فيه للصبر ولا قوة على المالك بقوله :
* وانك مهما تامرى القلب يفعل * وأقبح من هذا عندى قوله :

يظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل

ومما أدرك على زهير قوله فى الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل * علي الجذوع يخفن الغم والعرقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق وانما ذلك لانهن يبتن فى الشطوط . ومما أدرك على النابغة قوله يصف الثور :

يحيد عن استن سود أسافله * مثل الاماء الغوادى تحمل الحزما

قال الاصمعى انما توصف الاماء فى مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو لانهن يجئن بالحطب اذا رحن . قال الاخفش التغلبى :

يظل بها ربدالنعام كانها * اماء يرحن با لعشي حواطب

وأخذ عليه فى وصف السيف قوله :

يقد السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

زعم انه يفسد الدرع المضاعفة والفارس والفرس . ثم يقع فى الارض فيقدح النار من الحجارة . وهذا من الافراط القبيح . وأقبح عندى من هذا فى وصفه المرأة قوله :

ليست من السود أعقابا اذا انصرفت * ولا تبيع باعلى مكة البرما

ومما أخذ عليه قوله :

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

فشبه نفسه بالدلو وشبه النعمان خطاطيف حجن يريد خطاطيف معوجة يمد بها الدلو ـ وكان الاصمعي يكثر التعجب من قوله :

وعيرتني بنو ذبيان خشيته * وهل على بان أخشاك من عار

ومما أدرك على المتلمس قوله :

وقد أتناسي الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم

والصيعرية سمة للنوق فجعلها صفة للفحل . وسمعه طرفة وهو صبي ينشد هذا البيت ـ فقال استنوق الجمل فضحك الناس وصارت مثلا . واخذ عليه أيضا قوله :

أحارث انا لو تساط دماؤنا * تزايلن حتى لا يمس دم دما

وهذا من الكذب المحال . ومما ادرك على طرفة قوله :

أسد غيل فاذا ماشربوا * وهبوا كل أمون وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

فذكر أنهم يعطون اذا سكروا ولم يشترط لهم ذلك اذا صحوا كما قال عنترة :

واذا شربت فانني مستهلك * مالى وعرضي وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمي

ومما أدرك على عدى بن زيد قوله فى صفة الفرس :

فضاف يعري جله عن سراته * يبد الجياد فارها متتابعا

ولا يقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وعتيق . ويقال للكودن والبغل والحمار فاره ـ ومما أدرك عليه وصفه الخمر بالخضرة ولا يعلم أحد وصفها بذلك فقال :

والمشرف الهندي يسقي به * أخضر مطموثا بماء الجريض

ومما أدرك على أعشى بكر قوله :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني * شاو مشل شلول شلشل شلل

وهذه الالفاظ الاربعة فى معني واحد . ومما أدرك على لبيد قوله :

ومقام ضيق فرجته * بمقامي ولساني وجدل

لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامي وزحل

فظن ان الفيال أقوي الناس كما ان الفيل أقوى البهائم . ومما أدرك على عمرو بن أحمد الباهلى قوله يصف المرأة :

لم تدر مانسج اليرندج قبلها * ودراس أعوص دارس متجدد

اليرندج جلود سود فظن انه شيء ينسج ودراس أعوص يريد انها لم تدارس الناس عويص الكلام الذى يخفى أحيانا ويتبين أحيانا . وقد اتى ابن أحمر فى شعره بأربعة ألفاظ لم تعرف فى كلام العرب منها انه سمى النار ماموسا ولا يعرف ذلك كما قال * تطاير عن ماموسها الشرر . وسمى حوار الناقة مانوسا ولا يعرف ذلك فقال :

حنت قلوصى الى مانوسها جزعا . فما حنينك اما أنت والذكر

وفى بيت آخر يذكر فيه البقرة * وتبس عنها فرقد خضر * أى تاخر ولا يعرف التقبيس . وقال * وتقنع الحرباء أرنبة * يريد ما لف على الرأس ولا تعرف الارنبة فى غير شعره ومما أدرك على نصيب بن رباح قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى

تلهف على من يهيم بها بعده . ومما أدرك على الراعى قوله فى المرأة :

تكسو المفارق واللبات ذا أرج * من قصب معتلف الكافور دراج

أراد المسك فجعله من قصب والقصب المعي فجعل المسك من قصب دابة تعتلف الكافور فيتولد عنها المسك . ومما أدرك على جرير قوله فى بني العدوس رهط الاخطل :

هذا ابن عمي فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

القطين فى هذا الموضع العبيد والاماء . وقيل له أبا حرزة ماوجدت في تيم شيا تفخر به عليهم حتي فخرت بالخلافة لا والله ان صنعت فى هجائهم شيا . ومما أدرك على الفرزدق قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا أو مجلف

وقد أكثر النحويون الاحتيال لهذا البيت ولم ياتوا فيه بشيء يرضى . ومثل ذلك قوله :

عداة أحلت لابن أصرم طعنة * حصين عبيطات السدائف والخمر

فنصب عبيطات السدائف ورفع الخمر وانما هي معطوفة عليها . وكان وجهها النصب فكانه أراد وحلت له الخمر . ومما أدرك على الاخطل قوله في عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله خلافة منهم * لابيض لا أري الخوان ولا جدب

وهذا مما لا يمدح به خليفة . وأخذ عليه قوله في رجل من بني أسد يمدحه وكان يعرف بالقين ولم يكن قينا . فقال فيه :

نعم المجير شهابا من بني أسد * بالسيف اذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وانبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وهذا مدح كالهجاء . ومما أدرك على ذي الرمة :

تصغى اذا شدها بالكور جارحة * حتي اذا ما استوى في غرزها تثب

وسمعه اعرابي ينشده فقال صرع والله الرجل ألا قلت كما قال عمك الراعي :

وواضعة خدها للزما * م فالخد منها له اصعر
ولا تعجل المرء قبل الركو * ب وهي بركبته ابصر
وهي اذا اقام في غرزها * كمثل السفينة او اوقر

ومما أدرك عليه أيضا قوله :

حتى اذا دومت في الارض راجعها * كبر ولو شاء نجي نفسه الهرب

قالوا التدويم انما يكون في الجو يقال دوم الطائر في السماء اذا حلق واستدار ودوى في الارض اذا استدار فيها . ومما أدرك على أبي الطمحان القيسي قوله :

لما تخايلت الحمول حسبتها * دوما بايلة ناعما مكموما

الدوم شجر المقل وهو لا يكم وانما يكم النخل . ومما أخذ على العجاج قوله :

كان عينيه من الغؤور * قلتان أو خوجلتا قارور
صيرتا بالنضح والتصبير * صلاصل الزيت الى السطور

الحوجلتان القارورتان جعل الزجاج ينضح ويرشح . ومما أدرك على رؤبة قوله :

كنتم كمن أدخل في حجر يدا * فاخطا الافعي ولاقي الاسودا

جعل الافعى دون الاسود وهي فوقه في المضرة . وأخذ عليه في قوله في وصف الظليم :

وكل زجاء سحام الخيـل * تبرى له فى رعلات خطل

فجعل للظليم عدة اناث كما يكون للحمار وليس للظليم الا أنثى واحـدة . وأخـذ عليـه قوله يصف الراعى * لا يلتوى من عطس ولا نعق * انما هـو النعيق والنعاق وانمـا يصف الرامى . وادرك عليه قوله :

اقفرت الوعثـاء والعثاعث * من أهلها والبرق البرارث

انما هي البراث جمع برث وهي الارض اللينة . وادرك عليه قوله * ياليتنا والدهر يجرى السمهى * انما يقال ذهب السمهى أى فى الباطل . وأخذ عليه قوله * أو فضة أو ذهب كبريت * قال فسمع بالكبريت انه أحمر فظن انه ذهب . ومما يستقبح من تشبيهه قوله فى النساء : * يلبسن من لين الثياب نيما * والنيم الفرو المقشى * وأخذ عليه قوله فى قوائم الفرس : * يهوين مساو يقفن وقفا * وانشده سالم بن قتيبة فقال له اخطأت يا أبا الحجاف جعلته مقيدا . قال له رؤبة ادنى من ذنب البعير . ومما أدرك علي أبي نخيلة الراجز قوله فى وصف المرأة :

سرية لم تأكل المرققـا * ولم تذق من القبول الفستقا

فجعل الفستق من البقول وانما هو شجر . ومما أدرك على أبي النجم قوله فى وصف الفرس : * يسبح أخراه ويطفو اوله * قال الاصمعى اذا كان كذلك فحمار الكساح أسرع منه لان اضطراب مؤخره قبيح . و ن الوجه فيه ماقال اعرابى فى وصف فرس أبى الاعور السلمي : مر كلمع البرق شام ناظره * يسبح أولاه ويطفو آخره * فما يمس الارض منه حافره وأخذ عليه أيضا فى الورود قوله :

جاءت تسامي فى الرعيل الاول * والظل فى أخفافها لم يفصل

فوصف انها وردت فى الهاجرة وانما خير الورود غلسا والماء بارد كما قال الآخر : * فوردت قبل الصباح الفائق * وكقول لبيد بن ربيعة العامري * ان من ورد لتغليس النهل * وقال آخر * فوردن قبل تبين الالوان * وأنشد بشار الاعمى قول كثير عزة :

ألا انمـا ليـلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

فقال لله أبو صخر جعلها عصا خيزرانة فوالله لو جعلها عصا زبد لهجنها ألا قال كما قلت :

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها قطع الجمان

اذا قامت لحاجتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

ودخل العتابي على الرشيد فانشده في وصف الفرس :

كان أذنيـه اذا تشوفا * قادمه أو قلما محرفا

فعلم الناس انه لحن ولم يهتد أحد منهـم الى اصلاح البيت غير الرشيـد فانه قال قل : * تخال أذنيه اذا تشوفا * والراجز وان كان لحن فانه أصاب التشبيه . حدث أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط . قال حدثني أحمد بن محمد بن يحيي عن الزبير بن بكار عن سليمان ابن عباس السعدي عن السائب راوية كثير عزة . قال قال لي كثير عزة يوما قم بنا الى ابن أبي عتيق نتحدث عنده . قال فجئنا فوجدنا عنده ابن معاذ المغني فلما رأى كثيرا قال لابن ابي عتيق الا أغنيك شعر كثير عزة قال نعم فغناه :

أأبئت سعـدى انهـا ستبين * كما ابنت من حبل القرين قرين
أأزم اجمال وفارق جيرة * وصاح غراب البين أنت حزين
كانك لم تسمع ولم تر قبلهـا * تفرق آلاف لهن حنـين
فاخلفن ميعادي وخن أماناتي * وليس لمن خان الامانة دين

فالتفت ابن ابي عتيق الى كثير . فقال وللذين صحبتهم يا ابن أبي جمعة ذلك والله أشبه بهن وأدعي للقلوب اليهن وانما يوصفن بالبخل والامتناع وليس بالوفاء والامانة ذو الرقيات أشعر منك حيث يقول :

حبذا الادلال والغنج * والتي في طرفهـا دعج
والتي ان حدثت كذبت * والـتي في ثغرها ثلج
خبروني هل على رجل * عاشق في قبلة حرج

فقال كثير قم بنا من عند هذا . ومضى عمـارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال اني بباب المأمون اذ خرج عبد الله بن السمط . فقال لي علمت ان أمير المؤمنين على كماله لا يعرف الشعر . قلت له وبم علمت ذلك قال اسمعته الساعة بيتا لو شاطرني ملكه عليـه لكان قليـلا . فنظر الى نظرة سمجة كاد أن يصطلمني عليهـا . قلت له وما البيت فانشد :

اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والنـاس بالدنيا مشاغيـل

قلت له والله لقد حلم عليك اذ لم يؤدبك عليه ويلك واذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يدبر امرها ألا قلت كما قال جدك في عبد العزيز بن مروان :

فلاهو فى الدنيا مضيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

فقال الآن علمت انى اخطات . الهيثم بن عدى قال : دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه . فقال يا أمير المؤمنين لقد رأيت ببابك جماعة من الشعراء لا أحسبهم اجتمعوا بباب احد من الخلفاء فلو أذنت لهم حتي ينشدوك فاذن لهم فانشدوه . وكان فيهم الفرزدق وجرير والاخطل والاشهب بن رميلة وترك البعيث فلم ياذن له . فقال الرجل المستاذن لهم لو أذنت للبعيث فلم ياذن له . وقال انه ليس كهؤلاء انما قال من الشعر يسيرا قال والله يا مير المؤمنين انه لشاعر فاذن له . فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ان هؤلاء ومن ببابك قد ظنوا انك انما أذنت لهم دونى لفضل لهم على . قال اولست تعلم ذلك قال لا والله ولا علمه الله لى . قال فانشدني من شعرك قال أما والله حتي انشدك من شعر كل رجل منهم ما يفضحه . فاقبل على الفرزدق فقال قال هذا الشيخ الاحمق لعبد بنى كليب :

باى رشاء ياجرير ومائح * تدليت فى حومات تلك القماقم

فجعله يتدلى عليه وعلى قومه من عل وانما ياتيه من تحته لو كان يعقل . وقد قال هذا كلب بنى كليب :

لقومي أحمى للحقيقة منكم * وأضرب للجبار والنقع ساطع

وأوثق عند المردفات عشية * لحاقا اذا ماجرد السيف لامع

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه الا عشية وقد نكحن وفضحن . وقال هذا النصرانى ومدح رجلا يسمي قينا فهجاه ولم يشعر . فقال :

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه * فالآن طير عن أثوابه الشرر

وقال ابن رميلة ورفع أخاه سلمي فقتل :

مددنا وكانت ضلة من حلومنا * بثدى الى أولاد ضمرة أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعل باخيه ما فعل . فجعل الوليد يعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه وقد قال له قد كشفت عن مساوى القوم فانشدنى من شعرك فانشده فاستحسن قوله ووصله واجزل له . ومما عيب على الحسن بن هانىء قوله فى بعض بني العباس :

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

فقالوا من حق الرسول صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره ولو اتسع متسع فاجاز لكان له مجاز حسن . وذلك ان يقول القائل من بني هاشم لغيره من ابناء قريش منا رسول

الله صلى عليه وسلم يريد أنه من القبيلة التي نحن منها كما قال حسان بن ثابت

وما زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره . ومما أدرك عليه قوله في البعير :

* أخنس في مثل الكظام مخطمه * والاخنس القصير المشافر وهو عيب له وانما توصف المشافر بالسبوطة . ومما أدرك على أبي ذؤيب قوله في وصف الدرة :

فجاء بها ماشئت من لطمية * يدوم الفرات فوقها ويموج

قالوا والدرة لا تكون في الماء الفرات انما تكون في الماء المالح . اجتمع جرير بن الخطفى وعمر بن الجا التيمي عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة . فانشده عمر بن لجا ارجوزته التي يقول فيها :

تلاطم الجبها على دلائها * تلاطم الازد على عطائها

حتي انتهى الى قوله : تجر بالاهون من دمائها * جر العجوز الشيء من خبائها
فقال جرير ألا قلت * جر الفتاة طرفي ردائها * فقال والله ما أردت الا ضعف العجوز وقد قلت أنت أعجب من هذا وهو قولك :

وأوثق عند المردفات عشية * لحاقا اذا ما جرد السيف لامع

والله لئن لم يلحقن الا عشية ما لحقن حتي نكحن واحبلن ووقع الشر بينهما . وقدم عمر بن أبي ربيعة المدينة فاقبل اليه الاخوص ونصيب فجعلوا يتحدثون . ثم سالهما عمر عن كثير عزة فقالوا هو ههنا قريب . قال فلو أرسلنا اليه قالا هو أشد ما ذي من ذلك قال فاذهبا بنا اليه فقاموا نحوه . فالقوه جالسا في خيمة له فوالله ما قام للقرشي ولا وسع له فجعلوا يتحدثون ساعة فالتفت الي عمر بن أبي ربيعة . فقال له انك لشاعر لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك . أخبرني عن قولك :

ثم استطيرت تشتد في أثري * تسال أهل الطواف عن عمر

والله لو وصفت بهذا هرة اهلك لكان كثيرا ألا قلت كما قال هذا يعني الاخوص :

أدور ولولا أن أري أم جعفر * بابيا تكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوي * وان لم يزر لا بد أن سيزور

قال فانكسر نخوة عمر بن أبي ربيعة ودخلت الاخوص زهوه . ثم التفت الى الاخوص فقال اخبرني عن قولك :

فان تصلي اصلك وان تبيني * بهجر بعد وصلك ما أبالي

أما والله لو كنت حرا البالي لقلت كما قال هذا الاسود وأشار الى نصيب :

بزينب الم قبل أن يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

قال فانكسر الاخوص ودخلت نصيبا زهوه . ثم التفت الى نصيب فقال له أخبرني عن قولك :

اهيم بدعد ماحييت فان أمت * فوا كبدي من ذا يهيم بها بعدي

همك ويحك من يفعل بها بعدك . فقال القوم ألله أكبر استوت الفرقة قوموا بنا من عند هذا . ودخل كثير عزة على سكينة بنت الحسين . فقالت له يا ابن أبي جمعة أخبرني عن قولك في عزة :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندي جثجاثها وعرارها

باطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

ويحك وهل على الارض زنجية منتنة الابطين توقد بالمندل الرطب نارها الا طاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس :

ألم تر يانى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

سمر عبد الملك بن مروان ذات ليلة وعنده كثير عزة . فقال له انشدني بعض ماقلت في عزة فانشده الى هذا البيت

هممت وهمت ثم هابت وهبتها * حياء ومثلي بالحياء حقيق

فقال له عبد الملك أما والله لولا بيت انشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك . قال ولم يا أمير المؤمنين قال لانك شركتها معك في الهيبة . ثم استأثرت بالحياء دونها . قال فاي بيت عفوت عنى به يا أمير المؤمنين . قال قولك :

دعوني لا أريد بها سواها * دعوني هائما فيمن يهيم

ومما أدرك على الحسن بن هاني. قوله في وصف الاسد حيث يقول :

كانما عينه اذا التفتت * بارزة الجفن عين مخنوق

وانما يوصف الاسد بغؤور العينين كما قال العجاج :

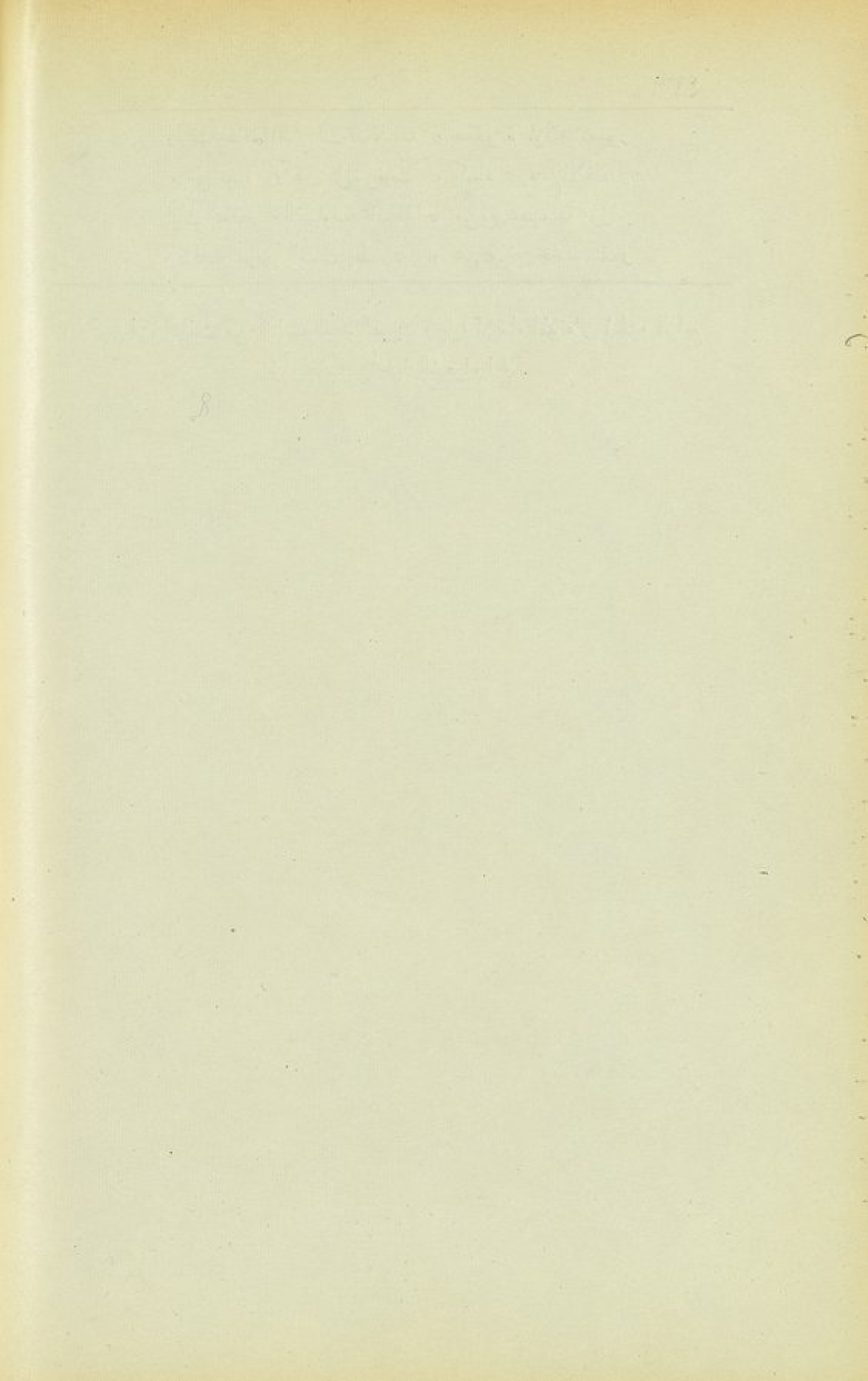
كان عينيه من الغؤور * قلبان او حوجلتا قارور

وقال ابو زبيد : * كان عينيه نقباوا رفى جحر *

ومن قولنا في وصف الاسد ماهو اشبه به من هذا :

ولرب خافقة الذوائب قد غدت * معقودة بلوائه المنصور
يرمى بها الآفاق كل شرنبث * كفاه غير مقلم الاظفور
ليث تطير له القلوب مخافة * من بين همهمة له وزئير
وكانما يومى اليك بطرفه * عن جمرتين بجلمد منقور

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد و يليه ان شاء الله تعالى الجزء الرابع
وأوله باب من أخبار الشعراء الخ



فهرست

الجزء الثالث

من كتاب العقد الفريد

(ذكر مافيه من الكتب)

كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة
كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة

كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعها
كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تم الفهرس ﴾

العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الرابع

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر

بشارع رقعة القمح رقم ٦ بجوار الأزهر الشريف بمصر

﴿ على نفقة أصحابها ﴾

ورثة المرحوم فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي

(الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ – ١٩٢٨ م)



١٨

﴿ باب من اخبار الشعراء ﴾

حدث دعبل الشاعر انه اجتمع هو ومسلم وأبو الشيص وأبو نواس في مجلس فقال لهم أبو نواس ان مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ولهذا اليوم ما بعده فليات كل واحد منكم باحسن ماقال فلينشده . فانشده أبو الشيص فقال :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي * متاخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم
واهنتني فاهنت نفسي صاغرا * مامن يهون عليك ممن يكرم
أشبهت اعدائي فصرت أحبهم * اذ كان حظي منك حظي منهم

قال فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتي ما كاد ينقضي عجبه . ثم أنشد مسلم أبياتا من شعره الذي يقول فيه :

فاقسم انسى الداعيات الى الصبا * يمينا وقد فاجات والستر واقع
فغطت بايديها ثمار نحورها * كايدي الاسارى أثقلتها الجوامع

قال دعبل فقال لي أبو نواس هات أبا علي وكاني بك قد جئتنا بام القلادة فانشدته :

ابن الشباب وأية سلكا * أم أين يطلب ضل أم هلكا
لا تعجبي ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعري كيف صبركما * ياصاحبي اذا دمي سفكا
لا تطلبا بظلامتي احدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا

(ثم سالناه ان ينشد فانشد أبو نواس)

لاتبك هندا ولا تطرب الى دعد * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أخذت بحمرتها فى العين والخد
فالخمر ياقوتة والكاس لؤلؤة * فى كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها خمرا ومن يدها * خمرا فمالك من سكرين من بد
لى نشوتان وللندمان واحدة * شيء خصصت به من بينهم وحدى

فقاموا كلهم فسجدوا له فقال افعلتموها أعجمية لا كلمتكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا ثم قال تسعة أيام في هجر الاخوان كثير وفى هجر بعض يوم استصلاح للفساد وعقوبة على الهفوة ثم التفت فقال أعلمتم ان حكيما عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب ياأخى ان أيام العمر أقل من ان تحتمل الهجر محمد بن الحسن المكى قال أخبرنى الزبير بن أبى بكر قال دخلت على المعتز بالله أمير المؤمنين فسلمت عليه فقال ياأبا عبد الله اني قد قلت فى ليلتي هذه أبياتا وقد أعيا على اجازة بعضها قلت أنشدنى فانشدنى وكان محموما يقول

انى عرفت علاج القلب من وجع * وما عرفت علاج الحب والجزع
جزعت للحب والحمى صبرت لها * اني لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن حبه وجع * فليس يشغلني عن حبكم وجعى

(قال أبو عبد الله فقلت)

وما أمل حدثى ليلة أبدا * مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

فامرلى على البيت بالف دينار . اجتمع : الحسن بن هانيء وصريع الغواني وأبو العتاهية فى مجلس بالكوفة فقيل لابى العتاهية انشدنا فانشد

اسيدتى هاتى فديتك ما جرمي * فانزل فيما تشتهين من الحكم
كفاك بحق الله ماقد ظلمتني * فهذا مقام المستجير من الظلم

(وقيل لصريع الغواني أنشدنا فانشا يقول)

قد اطلعت على سرى واعلاني * فاذهب لشانك ليس الجهل من شاني
ان التى كنت أرجو قصد سيرتها * اعطت رضا وأطاعت بعد عصيان

ثم قيل للحسن بن هانيء أنشدنا فانشد

ياابنة الشيخ أصبحينا * ماالذى تنتظرينا قد جرى فى عوده الما * فاجرى الخمر فينا

(قيل هذا الهزل فهات الجد فانشا)

لمن طلل عارى المحل دفين عفا عهده الارواح وهو وجرون

كما افترقت عند المبيت حمائم * غريبات ممسي مالهن ركون

ديار التي اما جنى رشفاتها * فحلو وأما مسها فيلين

وما أنصفت اما الشجون فظاهر * بوجهى وأما وجهها فمصون

فقام صريع الغواني يجر ذيله وخرج وهو يقول ان هذا مجلس ماجلسته أبدا (هشام ابن عبد الملك الخزاعي) قال كنا بالرقة مع هرون الرشيد فكتب اليه صاحب الخبر بموت الكسائي وابراهيم الموصلي والعباس بن الاحنف في وقت واحد فقال لابنه المامون أخرج فصل عليهم فخرج المامون في وجوه قواده وأهل خاصته وقد صفوا له قالوا له من ترى أن يقدم قال الذى يقول

يا بعيد الدار عن وطنه * هائما يبكى على شجنه

كلما جد البكاء به * زادت الاسقام في بدنه

قيل له هذا واشاروا الى العباس بن الاحنف فقال قدموه فتقدم عليهم

(أبو عمرو بن العلاء) قال نزل جرير وهو مقبل من عند هشام بن عبد الملك فبات عندى الى الصبح فلما أصبح شخص وخرجت معه أشيعه فلما خرجنا من أطناب البيوت التفت الى فقال انشدنى من قول مجنون بني الملوح فانشدته

وأدنيتنى حتى اذا ماسبيتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح

تجافيت عني حين لالى حيلة * وغادرت ماغادرت بين الجوانح

فقال والله لولا انه لايحسن لشيخ مثلى الصراخ لصرخت صرخة سمعها هشام على سريره وهذا من أرق الشعر كله والطفه لولا التضمين الذى فيه والتضمين أن يكون البيت معلقا بالبيت الثاني لايتم معناه الا به وانما يحمد البيت اذا كان قائما بنفسه

وقال العباس بن الاحنف نظير قول المجنون بلا تضمين وهو قوله

اشكو الذين اذا قوني مودتهم * حتى اذا ايقظوني بالهوي رقدوا

وقال الاصمعي دخلت على هرون الرشيد فوجدته منغمسا في الفراش فقال ما ابطا بك يا أصمعى قلت احتجمت يا أمير المؤمنين قال فما أكلت عليها قلت سكباجة وطباجة قال رميتها بحجرها اتشرب فقلت نعم وقلت

اسقني حتى تراني مائلا * وترى عمران ديني قد خرب

قال يامسرور رأى شيء معك قال ألف درهم قال ادفعها للاصمعي . كان يصحب على بن داود الهاشمي يهودي ظريف مؤنس أديب شاعر اريب فلما أراد الحج أراد ان يستصحبه فكتب اليه اليهودي يقول

اني أعوذ بداود وحفرته * من ان احج بكره يا ابن داود
تبينت ان طريق الحج مصردة * عن النبيذ وما عيشي بتصريد
والله مافي من أجر فتطلبه * فيما علمت ولا ديني بمحمود
أما أبوك فذاك الجود يعرفه * وأنت أشبه خلق الله بالجود
كان ديباجتي خديه من ذهب * اذا تعصب في أثوابه السود

حدث أبو اسحق يحيى بن محمد الحواري قال سمعت شيخا من أهل البصرة يقول قال ابراهيم السوبقي مولى المهالبة تتابعت على سنون ضيقه وألح على العسر وكثرة العيال وقلة ذات اليد وكنت مشتهرا بالشعر أقصد به الاخوان وأهل الاقدار وغيرهم حتى جفاني كل صديق وملني من كنت أقصده فاضر بي ذلك جدا فبينما أنا ذات يوم جالس مع امرأتي في يوم شديد البرداذ قالت يا هذا قد طال علينا الفقر وأضر بنا الجهد وقد بقيت في بيتي كانك زمن هذا مع كثرة الولد فاخرج عني واكفني نفسك ودعني مع هؤلاء الصبيان أقوم بهم مرة وأقعد بهم أخرى وألحت على في الخصومة وقالت لي يا مشؤم تعلمت صناعة لا تجدي عليك شيا فضجرت منها ومن قولها وخرجت على وجهي في ذلك البرد والريح وليس على الا فرو خلق ليس فوقه دثار ولا تحته شعار الا على عنقي ازار ثم جاءت ريح شديدة فذهبت به عن يدي وتفرقت اجزاؤه عني من بلاه وكثرة رقاعه وعلى عنقي ازار ليس على منه الا رسمه فخرجت والله متحيرا لا أدري أين أقصد ولا حيث أذهب فبينما أنا أجيل الفكرة اذ أخذتني سماء بقطر متدارك فدفعت على دار على بابها روشن مطل ودكان لطيف وليس عليه أحد فقلت استتر بالروشن الى ان يسكن المطر فقصدت قصد الدار فاذا بجارية قاعدة قد اجافت باب الدار كالحافظة عليه فقالت لي اليك ياشيخ عن بابنا فقلت أنا ويحك لست بسائل ولا أنا ممن تتخوف ناحيته فجلست على الدكان فلما سكنت نفسي سمعت نغمة رخيمة من وراء الباب تدل على نغمة امرأة فاصغيت فاذا بكلام يدل على عتاب ثم سمعت نغمة أخرى مثل ذلك وهي تقول فعلت وفعلت والاخرى تقول بل انت فعلت وفعلت الى أن قالت احداها أنا جعلت فداك ان كنت أسأت فاغفري واحفظي في بيتين

لمولانا ابراهيم السوبقى فقالت الاخرى وما قال فانه يبلغني عنه اشعار ظريفة فانشدتها تقول

هبيني يامعذبتي أسات * وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسى * على اذا أسات كما أسات

فقالت ظرف والله وأحسن فلما سمعت ذكري وذكر مولانا علمت انها من بعض نساء المهالبة فلم أتمالك ان دفعت الباب وهجمت عليهما فصاحتا وراءك ياشيخ عنا حتى نستتر وتوهمتا انني من أهل الدار فقلت لها جعلت فداكما لاتحتشماني فانى أنا ابراهيم السوبقى فبالله وبحق حرمتي منكن الا شفعتني فيها ووهبت لى ذنبها واسمعي مني فانا الذي أقول

خذي بيدى من الحزن الطويل * فقد يعفو الخليل عن الخليل
أسات فاجملى تفديك نفسى * فما ياتي الجميل سوى الجميل

فقالت قد فعلت وصفحت عن زلتها ثم قالت ياأبااسحق مالى أراك بهذه الهيئة الرثة والبزة الخلقة فقلت يامولاتى تعدى على الدهر ولم ينصفني الزمان وجفاني الاخوان وكسدت بضاعتى فقالت عز على ذلك وأومات الى الاخرى فضربت بيدها على كمها فسلت دملجا من ساعدها ثم ثنت باليد الاخري فسلت منها دملجا آخر فقالت ياأبااسحق خذ هذا واقعد على الباب مكانك وانتظر الجارية تاتيك ثم قالت ياجارية سكن المطر قالت نعم فقامتا وخرجت وقعدت مكاني فما شعرت الا والجارية قد وافت بمنديل فيه خمسة أثواب وصرة فيها الف درهم وقالت تقول لك مولاتي انفق هذه فاذا احتجت فصر الينا حتى نزيدك ان شاء الله فاخذت ذلك وقمت وقلت فى نفسى ان ذهبت بالدملجين الى امرأتي قالت هذا لبناتي وكاثرتني عليهما فدخلت السوق فبعتهما بخمسين دينارا وأقبلت فلما فتحت الباب صاحت امرأتي وقالت قد جئت أيضا بشؤمك فطرحت الدنانير والدراهم بين يديها والثياب فقالت من أين هذا فقلت من الذى تشاءمت به وزعمت انه بضاعتي التي لاتجدي فقالت قد كانت عندى فى غاية الشؤم وهي اليوم فى غاية البركة

١ — نوادر من الشعر — قال المامون لمحمد بن الجهم انشدنى بيتا أوله ذم وآخره مدح أولك به كورة فانشده

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم * حسنت مناظراهم لحسن المخبر

فقال له زرني فانشده

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

فولاه الدينور . وقال هرون الرشيد : للمفضل الضبي أنشدنا بيتا أوله اعرابي في شملته هب من نومته وآخره مدني رقيق غذى بماء العقيق قال المفضل هولت على يا أمير المؤمنين فليت شعري باى مهر تفتض عروس هذا الخدر قال هرون هو بيت جميل حيث يقول

ألا أيها النوام و يحكمو هبوا * اسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال له المفضل فاخبرني يا أمير المؤمنين عن بيت أوله اكثم بن صيفي فى اصابة الرأى وآخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء و الدواء قال له هرون ما هو قال هو بيت الحسن ابن هانىء حيث يقول

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

قال صدقت . قال الربيع : خرجنا مع المنصور منصرفنا من الحج فنزلنا الرضم ثم راح المنصور ورحنا معه فى يوم شديد الحر وقد قابلته الشمس وعليه جبة وشى فالتفت الينا وقال انى أقول بيتا من الشعر فمن أجازه منكم فله جبتي هذه قلنا يقول أمير المؤمنين فقال

وهاجرة نصبت لها جبيني * يقطع حرها ظهر العصابه

فبدر بشار الاعمى فقال

وقفت بها القلوص ففاض دمعى * على خدي واسعدني عصابه

فخرج له من الجبة فلقيته بعد ذلك فقلت له ما فعلت بالجبة قال بعتها باربعة آلاف درهم . خرج رسول عائشة بنت المهدى وكانت شاعرة الى الشعراء وفيهم صريع الغوانى فقال تقرأكم سيدتي السلام وتقول لكم من أجاز هذا البيت فله مائة دينار فقالوا هاته فانشدهم

انيلى نوالا وجودى لنا * فقد بلغت نفسى الترقوه

فقال صريع

وانى كالدلو فى حبكم * هويت اذا انقطعت عرقوه

فاخذ المائة دينار وكان الفرزدق يجلس الى الحسن البصرى وجرير يجلس الى ابن سيرين لتباعد ما بين الرجلين وكان موتهما فى عام واحد وذلك سنة عشر ومائة فبينما الفرزدق جالس عند الحسن اذ جاءه رجل فقال يا أبا سعيد انا نكون فى هذه البعوث والسرايا فنصيب المرأة من العدو وهى ذات زوج أفتحل لنا من غير ان يطلقها زوجها قال الفرزدق قد قلت أنا مثل هذا فى شعري قال له الحسن وما قلت قال قلت

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلالا لمن يبني بها لم تطلق

قال الحسن صدقت ثم أقبل اليه رجل آخر فقال يا أباسعيد ما تقول في الرجل يشك في الشخص يبدو له فيقول والله هذا فلان ثم لا يكون هو ما تري في يمينه فقال الفرزدق وقد قلت أنا مثل هذا قال الحسن وما قلت قال قلت

واست بماخوذ بقول تقوله * اذا لم تعمد قائلات العزايم

قال الحسن صدقت . استعدت امرأة : على زوجها عباد بن منصور وزعمت انه لا ينفق عليها فقال لرؤبه احكم بينهما فقال

فطلق اذا ما كنت لست بمنفق * فما الناس الا منفق او مطلق

كان رجل يدعي الشعر ويستبرده قومه فقال لهم انما تستبردونى من طريق الحسد قالوا فبيننا وبينك بشار العقيلي فارتفعوا اليه فقال له انشدنى فانشده فلما فرغ قال له بشار انى لا اظنك من أهل بيت النبوة قال له وما ذلك قال ان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغى له فضحك القوم وخرجوا عنه . وقال ابو دلف

اني أبو دلف المهدي بقافية * جوابها يهلك الداهى من الغيظ

من زاد فيها الدرحلي وراحلتي * وخاتمى والمدى فيها الى الغيظ

فاجابه ابن عبد ربه

قدزدت فيها وان أضحى أبو دلف * والنفس قد أشرفت منه على الغيظ

سمر الفرزدق والاخطل وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلة فبينما هم حوله اذ خفق فقالوا نعس أمير المؤمنين وهموا بالقيام فقال لهم سليمان لا تقوموا حتي تقولوا في هذا شعرا فقال الاخطل

رماه الكرى في رأسه فكانه * صريع سقى ما بين اصحابه خمرا

فقال له ويحك سكران جعلتني ثم قال جرير بن الخطفى

رماه الكرى في رأسه فكانما * يري في سواد الليل قنبرة حمرا

فقال له ويحك أجعلتنى أعمي ثم قال الفرزدق بعد هذا

رماه الكري في رأسه فكانما * أميم جلاميد تركن به وقرا

قال له ويحك جعلتني مشجوجا ثم أذن لهم فانقلبوا الخباهم وأعطاهم . كان عمر بن أبي ربيعة القرشي غزلا مشيبا بالنساء الحراج رقيق الغزل وكان الاصمعى يقول في شعره الفستق المقشر

الذى لا يشبع منه وكان جرير يستبرده ويقول شعر حجازى لو اتخذ فى تموز لوجد البرد فيه فلما انشد له

فلما تلاقينا عرفت الذى بها * كمثل الذى بي حذوك النعل بالنعل

فقال مازال يهذى حتى قال الشعر (وقالت) العلماء ماعصى الله بشعر ماعصي بشعر عمر بن أبى ربيعة وولد عمر بن أبى ربيعة يوم مات عمر بن الخطاب فسمي باسمه فقالت العلماء أي خير رفع وأى شر وضع ثم انه تاب فى آخر أيامه وتنسك ونذر لله ان يعتق لله رقبة لكل بيت يقوله وانه حج فبينما هو يطوف بالبيت اذ نظر الى فتي من نمير يلاحظ جارية فى الطواف فلما رأي ذلك منه مرارا أتاه فقال له يافتى اما رأيت ماتصنع فقال له الفتي ياأباالخطاب لاتعجل على فان هذه ابنة عمي وقد سميت لى ولست اقدر على صداقها ولا اظفر منها باكثرمما تري وانا فلان بن فلان وهذه فلانة ابنة فلان فعرفهما عمر فقال له اقعد يا ابن أخي عند هذه السارية حتى يأتيك رسولى ثم ركب دابته حتى أتى منزل عم الفتى فقرع الباب فخرج اليه الرجل فقال ماجاء بك ياأبا الخطاب فى مثل هذه الساعة قال حاجة عرضت قبلك فى هذه الساعة قال هى مقضية قال عمر كائنة ما كانت قال نعم قال فانى قد زوجت ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان قال فانى قد أجزت ذلك فنزل عمر عن دابته ثم ارسل غلاما الى داره فأتاه بألف درهم فساقها عن الفتى ثم ارسل الى الفتى فاتاه فقال لابي الجارية أقسمت عليك الا ما ابتنى بها هذه الليلة قال له نعم فلما دخلت على الفتي انصرف عمر الى داره مسرورا بما صنع فرمي بنفسه على فراشه وجعل يتململ ووليدة له عند رأسه فقالت له ياسيدى ارقت هذه الليلة أرقا لا أدرى ما دهمك فانشأ يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قدأقصرت حينا
اراك اليوم قدأحدثت شوقا * وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت انك ذا عزاء * اذا ماشئت فارقت القرينا
بعينك هل رأيت لها رسولا * فشاقك ام لقيت لها خدينا
فقلت شكا الى أخ محب * ببعض زماننا اذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهند * يذكر بعض ما كنا نسينا
وذو القلب المصاب وان تعزي * مشوق حين يلقى العاشقينا

ثم ذكر يمينه فاستغفر الله واعتق رقبة لكل بيت

٢ — باب من الشعر يخرج معناه في المدح والهجاء — قال الشاعر فى خياط اعور يسمى عمرا

خاط لى عمرو قباء * ليت عينيه سواء فاسأل الناس جميعا * أمديح أم هجاء

(ومثله قول حبيب في مرثية بني حميد حيث يقول)

لو خر سيف من العيوق منصلتا * ما كان الا على هاماتهم يقع

فلو هجوا بهذا رجلا على انه أنحس خلق الله لجاز فيه ولو مدح به على مذهب قول الشاعر

وانا لتستحلى المنايا نفوسنا * ونترك أخرى مرة ما نذوقها

(وقال الآخر)

ونحن اناس ما نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد فى فراشه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد السيوف دماؤنا * وليس على غير السيوف تسيل

(ومثله لحبيب)

انظر فحيث تري السيوف لوامعا * أبدا ففوق رؤسهم تتألق

— ومن أخبار الشعراء دعا الاعور بن بنان التغلبي الاخطل الشاعر الى منزله فادخله بيتا قد نجد بالفرش الشريفة والوطاء العجيب وله امرأة تسمي برة فى غاية الحسن والجمال فقال له أبا مالك انك رجل تدخل على الملوك فى مجالسهم فهل ترى فى بيتي عيبا فقال له ما ارى فى بيتك عيبا غيرك فقال له انما أعجب من نفسى اذ كنت ادخل مثلك بيتى أخرج عليك لعنة الله فخرج الاخطل وهو يقول

وكيف يداوي الطبيب من الجوي * وبرة عند الاعور بن بنان
ويلصق بطنا منتن الريح مجرزا * الى بطن خود دائم الخفقان

٣ — ما قالوه فى تثنية الواحد وجمع الاثنين والواحد وافراد الجمع والاثنين — قال الفرزدق فى تثنية الواحد * وعندى حساما سيفه وحمائله * وقال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقني * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

وانما هو دير الوليد معروف بالشام واراد بالدجاج الديكة (وقال قيس بن الحطيم فى الدرع)

مضاعفة يمي الانامل رفعها * كان قنبيرها عيون الجنادب

جرير يدقتـيرها (وقال آخر)

وقال لبـوابيـه لاتدخلنـه * وسد خصاص الباب عن كل منظر

و قال أهـل التفسير فى قول الله عز وجل ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد انه انما أراد واحدا فثناه وكذلك قول معاوية للجلواز الذى كان وكله بروح بن زنباع لما اعتذر اليه روح واستعطفه خليا عنه (وقولهم فى جمع الاثنين والواحد) قال الله تبارك وتعالى فان كان له اخوة فلامه السدس يريد أخوين فصاعدا وقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون وانما ناداه رجل من بني تميم وقوله والقي الالواح وانما هى لوحان

(وقال الشاعر)

لولا الرجاء لامر ليس يعلمه * خلق سواك لماذلت لكم عنقى

ومثل هذا في الشعر القديم والمحدث * واما قولهم فى افراد الجمع فهو اقل من هذا الذى ذكرناه وكذلك فى افراد الاثنين (فمن ذلك) قول الله تعالى ثم يخرجكم طفلا وقوله فاتياه فقولا انا رسول رب العالمين وقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين وقال جرير :

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

(وقال آخر)

وكان بالعينين حب قرنفل * أو فلفل كحلت به فانهلت

ولم يقل فانهلتا وقال مسلم بن الوليد

ألا أنف الكواعب عن وصالى * غداة بدالها شيب القذال

وقال جرير * وقلنا للنساء به اقيمي *

ع — وقولهم في تذكير المؤنث وتانيث المذكر — قال مالك بن اسماء بن خارجة الفزارى فى شعره الذى اوله * حبذا ليلنا بتل بوانا *

ومررنا بنسوة عطرات * وسماع وقرقف ونزلنا

مالهم لا يبارك الله فيهم * حين يسالن قبحنا مافعلنا

(وقال آخر) وقد استشهد سيبويه فى كتابه

فلا ديمة ودقت ودقها * ولا ارض ابقل ابقالها

فذكر الارض (و قال نصيب)

ان السماحة والمروءة ضمنا * قبرا بمرو على الطريق الواضح

(وقالت اعرابية)

قامت تبكيه على قبره * من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار وحشية * قد ذل من ليس له ناصر

(وقال ابو نواس)

كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار في حجره

وانما ذكرت هذا الباب في كتاب الشعر لاحتياج الشاعر اليه في شعره واتساعه فيه

٥ — باب ما غلط فيه على الشعراء ـ وأكثر ما ادرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ولكن أصحاب اللغة لا ينصفونهم وربما غلطوا عليهم وتاولوا غير معانيهم التي ذهبوا اليها فمن ذلك) قول سيبويه واستشهد ببيت في كتابه في اعراب الشيء على المعني لا على (اللفظ واخطا فيه

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

كذا رواه سيبويه على النصب وزعم ان اعرابه على معني الخبر الذى في ليس وانما قاله الشاعر على الخفض والشعر كله مخفوض فما كان يضطره ان ينصب هذا البيت ويحتال على اعرابه بهذه الحيلة الضعيفة وانما الشعر

معاوى اننا بشر فاسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد * أكلتم ارضنا فجردتموها
فهل من قائم او من حصيد * أتطمع بالخلود اذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد اميرها وابو يزيد

(ونظير هذا البيت) ماذكره في كتابه ايضا واحتج به في باب النون الخفيفة

ثبتم ثبات الخيزراني في الثرى * حديثا متى ماياتك الخير ينفعا

وهذا البيت للنجاشي وقد ذكره عمرو بن بحر الجاحظ في فخر قحطان على عدنان في شعر كله مخفوض وهو

أيا راكبا أما عرضت فبلغن * بني عامر عني يزيد بن صعصع
ثبتم ثبات الخيزراني في الثري * حديثا متى ماياتك الخير ينفع

ومثله قول محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد في كتاب الروضة وادرك على الحسن

ابن هانيء قوله

ومالبكر بن وائل عصم * الا لحمقائها وكاذبها

فزعم انه أراد بحمقائها هبنقة القيسي ولا يقال في الرجل حمقاء وانما أراد دغة العجلية وعجل في بكر وبها يضرب المثل في الحمق

٦ — باب من مقاطع الشعر ومخارجه — اعلم بانك متى ما نظرت بعين الانصاف وقطعت بحجة العقل علمت ان لكل ذي فضل فضله ولا ينفع المتقدم تقدمه ولا يضر المتاخر تاخره فاما من أساء النظم ولم يحسن التاليف فكثير كقول القائل

شر يوميها واغواه لها * ركبت هند بخرج جملا

شر يوميها نصب على الحال وانما معناه ركبت هند جملا بخرج في شر يوميها وكقول الفرزدق

ومامثله في الناس الاممكلا * أبو أمه حي ابوه يقاربه

معناه ما مثل هذا الممدوح في الناس الا الخليفة الذى هو خاله فقال ابو امه حي أبوه يقاربه فبعد المعنى القريب ووعر الطريق السهل وليس المعني بتوعر اللفظ وقبح البنية حتى ما يكاد يفهم * ومثل هذا الا انه أقرب منه الى الفهم قول القائل

بينما ظل ظليل ناعم * طلعت شمس عليه فاضمحل

يريد حتى طلعت شمس عليه ومثله قول الآخر

ان الكريم وابيك يعتمل * ان لم يجد يوما على من يتكل

يريد على من يتكل عليه (ولله در الاعشى حيث قال)

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

(وأبين منه قول النابغة)

ليست من السود اعقابا اذا انصرفت * ولا تبيع باعلى مكة البرما

(وقد) حذا على مثال قول النابغة بعض المبرزين من أهل العصر فقال

ليست من الرمص اشفارا اذا نظرت * ولا تبيع بفوق الصخرة الزعفا

فقيل له ما معناك في هذا قال هو مثل قول النابغة وانشد البيت وقال ما الفرق بين ان تبيع البرم أو تبيع الزعف وبين أن تكون رمصاء العينين او سوداء العقبين * وانظر الى سهولة معني الحسن بن هانيء وعذوبة الفاظه في قوله

حذرامرىء ضربت يداه على العدا * كالدهر فيه شراسة وليان

والى خشونة الفاظ حبيب الطائي فى هذا المعنى حيث يقول

شرست بل لنت بل قابلت ذاك بذا * فانت لا شك فيه السهل والجبل

(وقد) ياتي من الشعر مالا فائدة له ولا معنى كقول القائل

الليل ليل والنهار نهار * والارض فيها الماء والاشجار

(وقال الاعشى)

ان محلا وان مرتحلا * وان فى السفر اذ مضوا مثلا

(وقال) ابراهيم الشيباني الكاتب قد تكون الكلمة اذا كانت مفردة حوشية بشعة حتى اذا وضعت فى موضعها وقرنت مع اخوتها حسنت كقول الحسن بن هانىء

ذو خصر افلت من كر الغيل * والكر كلمة خسيسة ولا سيما فى الرقيق والغزل والنسيب غير انها لما وضعت فى موضعها حسنت وكذلك الكلمة الرقيقة العذبة ربما قبحت ونفرت اذا لم توضع فى موضعها مثل قول الشاعر

رأت رائحاجونا فقامت غريرة * بمسحاتها جنح الظلام تبادره

فاوقع الجافى الجلف هذه اللفظة غير موقعها وبخسها حقها حين جعلها فى غير مكانها حقا لان المساحى لا تصلح الغرائر * واعلم أنه لا يصلح لك شيء من المنثور والمنظوم الا ان يجري منه على عرف وان يتمسك منه بسبب فاما ان كان غير مناسب لطبيعتك وغير ملائم لقريحتك فلا تمض مطيتك فى التماسه ولا تتعب نفسك الى ابتعائه باستعارتك الفاظ الناس وكلامهم فان ذلك غير مثمر لك ولا مجد عليك مالم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمة بطبعك . واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه واستضاءته بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم تكن معه أداة تولد له من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الجزم والمعنى الجزل لم يكن من الصناعة فى عير ولا نفير ولا ورد ولا صدر على ان سماع كلام الفصحاء المطبوعين ودرس رسائل الشعر من المتقدمين هو على كل حال مما يفتق اللسان ويقوي البيان ويحد الذهن ويستحد الطبع ان كانت فيه بقية وهناك خبية (واعلم) ان العلماء شبهت المعاني والالفاظ بالاجساد والنبات فاذا كتب الكاتب البليغ المعنى الجزل وكساه لفظا حسنا وأعاره مخرجا سهلا ومنحه دلا مونقا كان فى القلب أحلى

وللصدر أملى ولكنه بقى عليه ان يؤلفه مع شقائقه وقرائنه ويجمع بينه وبين أشباهه و نظائره وينظمه فى سلكه كالجوهر المنثور الذى اذا تولى نظمه الناظم الحاذق وتعاطى تأليفه الجوهرى العالم اظهرله باحكام الصنعة ولطيف الحكمة حسنا هو فيه وكساه ومنحه بهجة هي له وكذلك كلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولوجا فى الاسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه لاسيما اذا كان المعنى البديع مترجما بلفظ مونق شريف لم يسمه التكليف بميسمه ولم يفسده التعقيد باستهلاكه كقول ابن أبى كريمة :

قفاه وجه والذي وجهه * مثل قفاه يشبه الشمسا

فهجر المعنى بتعقد مخارج الالفاظ (واخذه الحسن بن هانىء فأوضحه وسهله حيث قال)

بابي أنت من غزال غرير * بز حسن الوجوه حسن قفاكا

(وكلاهما اخذه من حسان بن ثابت حيث يقول)

قفاك احسن من وجهه * وامك خير من المنذر

(وقد ياتى) من الشعر في طريق المدح ما الذم اولى به من المدح ولكنه يحل محل ماقبله وما بعده (ومثله قول حبيب)

لو خرسيف من العيوق منصلتا * ماكان الا على هاماتهم يقع

وهذا لا يجوز ظاهره فى شىء من المدح وانما يجوز في الذم والنحس لانك لو وصفت رجلا بانه انحس الخلق لم تصفه باكثر من هذا وليس للشجاعة فيه وجه لان قولهم لو خرسيف من السماء لم يقع الا على رأسه هذا رأس كل نحس

٧ — قولهم فى رقة التشبيب — ومن الشعر المطبوع الذى يجرى مع النفس رقة و يؤدى عن الضمير ابانة مثل قول العباس بن الاحنف

وليلة ما مثلها ليلة * صاحبها بالسعد منجوع
ليلة جئناها على موعد * نسرى وداعي الشوق متبوع
لما خبت نيرانها وانكفا السامر عنها وهو مصروع
قامت تثني وهى مرعوبة * تود ان الشمل مجموع
حتي اذا ما حاولت خطوة * والصدر بالارداف مدفوع
بكى وشاحاها علي متنها * وانما أبكاهما الجوع

فانتبه الهادون من أهلها * وصار للموعد مرجوع
ياذا الذى نم علينا لقد * قلت ومنك القول مسموع
لا تشغلينى أبدا بعدها * الا ونمامك منزوع
ما بال خلخالك ذا خرسة * لسان خلخالك مقطوع
عاذلنى فى حبها اقصرى * هذا لعمرى عنك موضوع

الاصمعى قال سمع كثير عزة منشدا ينشد شعر جميل بن معمر الذى يقول فيه :

ما أنت والوعد الذى تعد ينني * الا كبرق سحابة لم تمطر
تقضى الديون ولست تقضى عاجلا * هذا الغريم ولست فيه بمعسر
ياليتنى ألقى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر
يهواك ما عشت الفؤاد وان أمت * يتبع هواي صداك بين الاقبر

فقال كثير هذا والله الشعر المطبوع ما قال أحد مثل قول جميل وما كنت الاراوية لجميل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذي عليها (وسمع الفرزدق) رجلا ينشد شعر عمر بن أبى ربيعة الذي يقول فيه

فقالت وأرخت جانب الستر انما * معي فتحدث غير ذى رقبة أهلي
فقلت لها مالى بهم من ترقب * ولكن سرى ليس يحمله مثلي

حتى انتهى الى قوله

فلما توافقنا عرفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

فقال الفرزدق هذا والله الذى ارادت الشعراء ان تقوله فاخطأته وبكت على الطلول وانما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكي من حب قاتله قبلى

فلم يصنع عمر مع جميل شيا (ومن قولنا فى رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره)

صحا القلب الا خطرة تبعث الاسا * لها زفرة موصولة بحنين
بلى ربما حلت عرى عزماته * سوالف آرام واعين عين
لواقط حبات القلوب اذا رنت * بسحر عيون وانكسار جفون
وريط متين الوشي أينع تحته * ثمار صدور لا ثمار غصون

برود كانوار الربيع لبستها * ثياب قصاب لاثياب مجون
فرين اديم الليل عن نور أوجه * تجن بها الالباب كل جنون
وجوه جري فيها النعيم فكللت * بورد خدود يجتني وعيون
ساابس للايام درعا من الاسي * وان لم يكن عند اللقا بحصين
فكيف ولى قاب اذاهبت الصبا * أهب بشوق فى الضلوع دفين
ويهتاج منه كل ماكان ساكنا * دعاء حمام لم يبت بوكون
وان ارتياحي من بكاء حمامة * كذى شجن داويته بشجون
كان حمام الايك حين تجاوبت * حزين بكى من رحمة لحزين

(ومما عارضت به صريع الغوانى فى قوله)

أديرا على الراح لاتشربا قبلى * وتطلبا من عند قاتلتى ذحلى
فيا حزني انى أموت صبابة * ولكن على من لا يحل له قتلى
فديت التى صدت وقالت لتربها * دعيه الثريا منه أقرب من وصلى

(فقلت على رويه)

أتقتلني ظلما وتجحدنى قتلى * وقد قام من عينيك لى شاهدا عدل
اطلاب ذحلى ليس بي غير شادن * بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلى
أغار على قلبي فلما أتيته * أطالبه فيه أغار على عقلى
بنفسى التي ضنت برد سلامها * ولو سالت قتلي وهبت لها قتلى
اذا جئتها صدت حياء بوجهها * فتهجرني هجرا ألذ من الوصل
وان حكمت جارت على بحكمها * ولكن ذاك الجور أشهى من العدل
كتمت الهوى جهدى فجرده الاسى * بماء البكا هذا يخط وذا يملى
وأحببت فيها العذل حبا لذكرها * فلاشيء أشهي فى فؤادى من العذل
أقول لقلبي كلما ضامه الاسى * اذا ماأبيت العز فاصبر على الذل
برأيك لارأيي تعرضت للهوى * وأمرك لاأمرى وفعلك لا فعلى
وجدت الهوى نصلا من الموت مغمدا * فجردته ثم اتكيت على النصل

فان تك مقتولا على غير ريبة * فانت الذى عرضت نفسك للقتل

فمن نظر الى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضل شعر صريع عنده الا بفضل التقدم ولا سيما اذا قرن قوله فى هذا الشعر

كتمت الذي التي من الحب عاذلى * فلم يدر مابى فاسترحت من العذل

(يقول فى هذا الشعر)

واحببت فيها العذل حبا لذكرها * فلا شىء أشهى فى فؤادي من العذل

(ومن قولنا فى رقة التشبيب وحسن التشبيه)

كم سوسن لطف الحياء بلونه * فاصاره وردا على وجناته

(ومثله) يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا

(ونظير هذا من قولنا فى رقة التشبيب وحسن التشبيه والبديع الذى لا نظير له والغريب الذي لم يسبق اليه)

حوراء راعتها النوى في حور * حكمت لواحظها على المقدور

نظرت الى بمقلة ادمانة * وتلفتت بسوالف اليعفور

فكأنما غاط الاسا بجفونها * حتي أتاك بلؤلؤ منثور

(ونظير هذا من قولنا)

أدعو عليك فلا دعاء يسمع * يامن يضر بناظريه وينفع

للورد حين ليس يطلع دونه * والورد عندك كل حين يطلع

لم تنصدع كبدى عليك لضعفها * لكنها ذابت فلا تتصدع

من لى باجرد مايبين لسانه * خجلا وسيف جفونه مايقلع

منع الكلام سوى اشارة مقلة * فبها يكلمني وعنها يسمع

(ومثله)

جمال يفوت الوهم في غاية الفكر * وطرف اذا ماقاه ينطق بالسحر

ووجه أعار البدر ذلة حاسد * فمن ذا الذى يسود فى صفحة البدر

٨ — قولهم فى النحول — قال عمر بن أبي ربيعة القرشى يصف نحول جسمه وشحوب لونه فى شعره الذي يقول فيه :

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأيما بالعشي فيخصر
أخا سفر جواب ارض تقاذفت * به فلوات فهو أشعث أغبر
قليلا على ظهر المطية شخصه * خلا مابقي منه الرداء المحبر

(وفيه يقول)

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وانور
وغاب قمير كنت ارجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
ونفضت عني النوم أقبلت مشية الحباب وركني خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فتلهفت * وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني * وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذ هنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولي من عدوك حضر
فو الله ما أدري أتعجيل حاجة * سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والاسى * اليك وما عين من الناس تنظر
فيالك من ليل تقاصر طوله * وما كان ليلي قبل ذلك يقصر
ويالك من ليل هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكي المسك منها مفلج * رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر
وترنو بعينيها الى كما رنا * الى ربرب وسط الخميلة جؤذر
بروق اذا تفتر عنه كأنه * حصى برد أو اقحوان منور
فلما تقضى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغور
أشارت بان الحي قد حان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور
فما راعني الا مناد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تامر
فقلت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثارا فيثار
فقالت أتحقيقا لما قال كاشح * علينا وتصديقا لما كان يؤثر
فان كان مالا بد منه فغيره * من الامر أوفى للخفاء وأستر
أقص على أختي بدأ حديثنا * ومالي من ان يعلما متاخر

لعلهما ان يبغيا لك مخرجا * وان يرحبا صدرا بمن كنت أحضر
فقالت لاختيها أعينا على فتى * اتى زائرا والامر للامر أقدر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر
يقوم فيمشي بيننا متنكرا * فلا سرنا يفشو ولا هو يبصر
فكان مجنى دون ما كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما اجزنا ساحة الحى قلن لى * ألم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا * اما تستحي أم ترعوى أم تفكر

(ويروي) ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة الى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح فقال يا أخا أهل الشام مجن ابن أبي ربيعة كان أحسن من مجنك هذا (يريد قول عمر بن أبي ربيعة)

فكان مجنى دون ما كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

(وقال اعرابي في النحول)

ولو ان ما ابقيت مني معلق * بعود ثمام ماتاود عودها

(وقال آخر)

ان تسالونى عن تباريح الهوي * فانا الهوي وأبو الهوى وأخوه
فانظر الى رجل أضر به الاسى * لولا تقلب طرفه دفنوه

(وقال مجنون بن عامر في النحول)

الا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

(وقال خالد الكاتب)

هذا محبك حبا لا حياة به * لم يبق من جسمه الا توهمه

(ومن قولنا في هذا المعني)

سبيل الحب أوله اغترار * وآخره هموم وادكار
وتلقى العاشقين لهم جسوم * براها الشوق لو نفخوا لطاروا

(ومثله من قولنا)

لم يبق من جثمانه * الا حشاشة مبتئس

قد رق حتى مايرى * بل ذاب حتي مايحس

(وقال الحسن بن هاني، في هذا المعني فاربى على الاولين والآخرين)

يامن تموّت عمدا * فكان للعين أملى وفى الشعوبة اربى * فكان اشهي واحلى
أردت ان تزدريك العين هيهات كلا ياعاقر القلب مني * هلا تذكرت خلا
تركت مني قليلا * من القليل أقلا يكاد لا يتجزى * أقل فى اللفظ من لا

٩ — قولهم فى التوديع — قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج بالرقة ودعت جارية لى تسمي شفيعا وانا أضحك وهى تبكي وأقول لها انما هى أيام قلائل قالت ان كنت تقدران تخلق مثل شفيع فنعم فلما طال بى السفر واتصلت بى الايام كتبت اليها كتابا وفي اسفله

ودعتها والدمع يقطر بيننا * وكذاك كل مودع بفراق
شغلت بتفييض الدموع شمالها * و يمينها مشغولة بعناق

قال فكتبت الى فى طومار كبير ليس فيه الا بسم الله الرحمن الرحيم وفى آخره يا كذاب وسائر الكتاب ابيض قال فوجهت الكتاب الى ذي الرياستين الفضل بن سهل وكتبت اليها كتابا على نحو ما كتبت ليس فيه الا بسم الله الرحمن الرحيم فى اوله وفى آخره أقول

فودعتها يوم التفرق ضاحكا * اليها ولم اعلم بان لا تلاقيا
فلو كنت اذري انه آخر اللقا * بكيت وأبكيت الحبيب المصافيا

قال فكتبت الىّ كتابا آخر ليس فيه الا بسم الله الرحمن الرحيم فى أوله وفى آخره أعيذك بالله ان يكون ذلك فوجهته الى ذى الرياستين الفضل بن سهل فاشخصني الى بغداد وصيرنى الى ديوان الضياع (محمد بن بزيد) القرشى عن الزبير عن عبد الله بن يحيي بن خاقان وزير المتوكل قال انه لما نفاه المتوكل الى جزيرة اقريطش فطال مقامه بها تمتع بجارية رائعة الجمال بارعة الكمال فانسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتدبيرها وكان قبل ذلك متيما بجارية خلفها بالعراق فسلا عنها فبينما هو مع الاقريطشية فى سرور وحبور يحلف لها انه لا يفارق البلد ماعاش اذ قدم عليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب

كيف بعدى لا ذقتم النوم أنتم * خبروني مذ بنت عنكم وبنتم
بمراض الجفون من خرد العين وورد الخدود بعدى فتنتم
ياأخلاى ان قلبي وان با * ن من الشوق عندكم حيث كنتم

فاذا ما أبى الاله اجتماعا * فالمنايا على وحدى وعشم

(اخذت هذا المعنى من قول حاتم)

اذا ما اتى يوم يفرق بيننا * بموت فكن أنت الذى تتأخر

فلم يباشر لذة بعدكتابها حتي رضى عنه المتوكل وصرفه الى أحسن حالاته (الزبيرى) قال حدثني ابن رجاء الكاتب قال أخذ مني الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبني فشربا معا فى بعض الليالى فسكر قبلها وبقيت وحدها ولم تبرح من المجلس هيبة له فذكرت ماكنا فيه من ايامنا فاخذت العود فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح وهي تقول

لا كان يوم الفراق يوما * لم يبق للمقلتين نوما

شتت مني ومنك شملا * فسر قوما وساء قوما

ياقوم من لى بوجد قلب * يسومني في العذاب سوما

مالامنى الناس فيه الا * بكيت كيما ازاد لوما

فلما فرغت من صوتها رفع المعتز رأسه اليها والدمع يجري على خديها كالفريد انقطع سلكه فقصها عن الخبر وحلف لها ان يبلغها أملها فاعلمته القصة فردها الى واحسن اليها والحقنى فى ندمائه وخاصته (وكان) لابى احمد صاحب حرب المعتمد جارية فكتبت اليه وهو مقيم على العلوي بالبصرة تقول

لنا عبرات بعدكم تبعث الاسى * وأنفاس حزن جمة وزفير

ألا ليت شعرى بعد نا هل بكيتم * فاما بكائى بعدكم فكثير

قال أبو أحمد فلم يكن لى هم غيرها حتي قفلت من غزاتي (وكتب) مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر الى جارية له خلفها بالرملة

ومازال يدعونى الى الصد ما أرى * فاناى ويثنيني الذى لك فى صدرى

وكان عزيزا ان بيني وبينها * حجابا فقد أمسيت منك على عشر

وانكاهما والله للقلب فاعلمي * اذا ازددت مثيلها فصرت على شهر

وأعظم من هذين والله انني * اخاف بان لا نلتقى آخر الدهر

سابكيك لا مستبقيا فيض عبرتي * ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

(الزبير بن بكار) قال رأيت رجلا بالثغر وعليه ذلة واستكانة وخضوع وكان يكثر

التنفس ويخفى الشكوي وحركات الحب لاتخفى فسالته وقد خلوت به فقال وقد تحدر دمعه :

أنا فى أمرى رشاد * بين غزو وجهاد * بدنى يغزو الاعادي
والهوى يغزو فؤادي * ياعليما بالعباد * رد إلفى ورقادى

(وقال اعرابي يصف البين)

أدمت أناملها عضا على البين * لما اذنت فرأتني دامع العين
وودعتنى ايماء وما نطقت * الا بسبابة منها وعينين
وجدي كوجدك بل اضعافه فاذا * عني تواريت قاب الرمح راحيني
وان سمعتى بموتي فاطلبي بدمي * هواك والبين واستعدى على البين

(وقال آخر)

مالت تودعني والدمع يغلبها * كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهي باكية * ياليت معرفتي اياك لم تكن

(وقال)

أنين فاقد الف ان فى الغلس * حتي تضايق منه مخرج النفس
فكلما أن من شوق اجال يدا * على فؤاد له بالبين مختلس

(وقال آخر)

أمبتكر للبين أم أنت رائح * وقلبك ملهوف ودمعك سافح
الآن تبكي والنوي مطمئنة * فكيف اذا بارحت من لا تبارح
فانك لم تبرح ولا شطت النوي * ولكن صبرى عن فؤادى نازح

(وقال آخر)

اذا انفتحت قيود البين عنى * وقيل أتيح للنائى سراح
أبت حلقاته الا انقفالا * ويابى الله والقدر المتاح
ومن لى بالبقاء وكل يوم * لسهم البين فى كبدي جراح

(وقال محمد بن أبي أمية الكاتب)

ياغريبا يبكى لكل غريب * لم يذق قبلها فراق حبيب
عزه البين فاستراح الى الدمع وفى الدمع راحة للقلوب

ختلته حوادث الدهر حتى * اقصدته منها بسهم مصيب
أى يوم أراك فيه كما كنت قريبا فاشتكى من قريب

(وقال ابو العتاهية)

أبيت مسهدا قلقا وسادى * أروح بالدموع عن الفؤاد
فراقك كان آخر عهد نومى * وأول عهد عيني بالسهاد
فلم ار مثل ماسلبته نفسي * ومارجعت به من سوء زادى

(وقال محمد بن يزيد التستري)

رفعت جانبا اليك من الكلة قد قابلته طرفا كحيلا
نظرت نظرة الصبابة لا تملك أنفاس دمعها أن يجولا
ثم ولت وقد تغير ذاك الصبح من خدها فعاد أصيلا

(وقال يزيد بن عثمان)

دمعه كاللؤلؤ الرطب على الخد الاسيل
وجفون تنفث السحر من الطرف الكحيل
انما يفتضح العا * شق فى يوم الرحيل

(وقال على بن الجهم)

ياوحشة للغريب فى البلد النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق احبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعد وما انتفعا
يقول فى نايه وغربته * عدل من الله كل ماصنعا

(وقال آخر)

بانوا واضحى الجسم من بعدهم * ماتبصر العين له فيا
ياأسفى منهم ومن قولهم * ماضرك الفقد لنا شيا
باى وجه انلقاهم * ان وجدوني بعدهم حيا

(وقال آخر)

أترحل عن حبيبك ثم تبكى * عليه فمن دعاك الى الفراق

(وقال هدبة العدوى)

ألا ليت الرياح مسخرات * بحاجتنا تباكر أو تؤب
فتخبرنا الشمال اذا أتتنا * وتخبرنا هنا عنا الجنوب
عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائي الغريب

(وقال آخر)

لا بارك الله فى الفراق ولا * بارك فى الهجر ما امرّها
لو ذبح الهجر والفراق كما * يذبح ظبي لما رحمتهما
شربت كاس الفراق مترعة * فطار عن مقلتي نومهما
يا سيدي والذى أؤمله * ناشدتك الله أن تذوقهما

(وقال حبيب الطائي)

الموت عندى والفراق * كلاهما ما لا يطاق
يتعاونان على النفوس * فذا الحمام وذا السياق
لو لم يكن هذا كذا * ما قيل موت أو فراق

(وقال آخر)

شتان ما قبلة التلاق * وقبلة ساعة الفراق
هذي حياة وتلك موت * بينهما راحة العناق

(وقال سعيد بن حميد)

موقف البين مأتم العاشقينا * لا ترى العين فيه الا حزينا
ان في البين فرحتين فاما * فرحتى بالوداع للظاعنينا
فاعتناق لمن أحب وتقبيل * ولمس بحضرة الكاشحينا
ثم لى فرحة اذا قدم النا * س لتسليمهم على القادمينا

(وقال اعرابى)

ليل الشجي على الخلى قصير * وبلا المحب على المحب يسير
بان الذين احبهم فتحملوا * وفراق من تهوى عليك عسير
فلا بعثن نياحية لفراقهم * فيها تلطم اوجه وصدور

ولا لبسن مـدارعا مسودة * لبس الثواكل اذدهاك مسير
ولاذ كرنك بعـد موتي خاليا * فى القبر عندى منكر ونكير
ولاطلبنك فى القيامة جاهدا * بين الخـلائق والعباد نشور
فبجنة ان صرت صرت بجنة * ولئن حواك سعيرها فسعير
والمستهام بكل ذاك جـدير * والذنب يغفر والا له شكور

(ومن قولنا فى البين)

هيج البين دواعى سقمي * وكسا جسمي ثوب الالم
أيهـا البـين أقلـني مـرة * فاذا عـدت فقد حـل دمي
ياخـلى الذرع نم فى غبطـة * ان من فارقتـه لم ينم
ولقـد هـاج لقلبي سقما * ذكر من لوشاء داوى سقم

(ومن قولنا في المعنى)

ودعتني بزفـرة واعتنـاق * ثم نادت متى يكون التلاق
وتصدت فأشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق
ياسقيم الجفون من غـير سقم * بين عينك مصرع العشاق
ان يوم الفـراق أفظـع يـوم * ليتني مت قبل يوم الفراق

(ومن قولنا فيه)

فـررت من اللقـاء الى الفـراق * فحسبي ما لقيت وما ألاقى
سقـانى البين كأس المـوت صرفا * وماظني أموت بكف ساقي
فيـا برد اللقـاء عـلى فؤادى * أجرنى اليوم من حر الفراق

(وقال مجنون بنى عامر)

وانى لمفن دمـع عيني بالبـكا * حذارا لامرلم يكن وهوكائن
وقالوا غـدا أو بعـد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي * بكفى الا ان ماحان حائن

(وقال أبو هشام الباهلى)

خليلى غـدا لا شك فيه مودع * فوالله ماأدرى به كيف أصنع

فواحزنا ان لم أودعه غدوة * ويا أسفا ان كنت فيمن يودع
فان لم أودعه غدا مت بعده * سريعا وان ودعت فالموت أسرع
أنا اليوم أبكيه فكيف به غدا * أنا في غد والله أبكى وأجزع
لقد سخنت عيني وجلت مصيبتي * غداة غد ان كان ما أتوقع
فيا يوم لا أدبرت هل لك محبس * ويا غد لا أقبلت هل لك مدفع

(وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له)

غريب في قرى مصر * يقاسى الهم والسقما
لليلك كان بالميدا * ن اقصر منه بالفرما

(وقال آخر)

وداعك مثل وداع الربيع * وفقدك مثل افتقاد الديم
عليك سلام فكم من ندى * فقدناه منك وكم من كرم

١٠ — قولهم في الحمام — قال أبو الحسن الاخفش قال جعفر العكلى وكان لصا

وقد ما هاجني فازددت شوقا * بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمي * على عودين من غرب وبان
فكان البان ان بانت سليمي * وفي الغرب اغتراب غير دان

(وقال آخر)

وتفرقوا بعد الجميع لانه * لا بد أن يتفرق الجيران
لا تصبر الابل الجياد تفرقت * بعد الجميع ويصبر الانسان

(وقال آخر)

فهل ريبة في أن تحن نجيبه * الى الفها أو أن يحن نجيب

واذا رجعت الابل الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام

(وقال عوف بن محلم)

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

وكل مطوقة عند العرب حمامة كالدبسى والقمري والورشان وما أشبه ذلك وجمعها حمام ويقال حمامة للذكر والانثى كما يقال بطة للذكر والانثى ولا يقال حمام الا في الجمع والحمامة تبكى وتغني وتنوح وتغرد وتسجع وتقرقر وتترنم وانما لها أصوات سجع لا تفهم فيجعله الحزين

بكاء و يجعله الطرب غناء (قال حميد بن ثور)

مطوقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وانزاح الربيع فانجما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة في نوحها متلوما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

(وقال مجنون بني عامر)

ألا يا حمامات اللوي عدن عودة * فاني الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني * وكدت باشجاني لهن أبين
فلم تر عيني مثلهن بواكيا * بكين ولم تذرف لهن عيون

(وقال حبيب في المعنى)

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

(وقال)

كما كاد ينسى عهد ظبيان باللوى * ولكن أملته على الحمائم
بعثن الهوي في قلب من ليس هائما * فقل في فؤادي رعنه وهو هائم
لها نغم ليست دموعا فان علت * مضت حيث لا تمضي الدموع السواجم

(ومن قولنا في الحمام)

فكيف ولي قلب اذا هبت الصبا * أهاب بشوق في الضلوع دفين
و يهتاج منه كلما كان ساكنا * دعاء حمام لم تبت بوكون
وكان ارتياحي من بكاء حمامة * كذي شجن داويته بشجون
كأن حمام الايك لما تجاوبت * حزين بكى من رحمة لحزين

(ومن قولنا في المعنى)

ونائي في غصون الايك أرقني * وما عنيت بشيء ظل يعنيه
مطوق بخضاب مابزايله * حتي تزاوله احدى تراقيه
قد بات يشجو بشجو ما دريت به * و بت أشجو بشجو ليس يدريه

(ومن قولنا فيه)

أناحت حمامات اللوى أم تغنت * فابدت دواعي قلبه ما أجنت

فديت التي كانت ولا شيء غيرها * مني النفس لو تقضى لها ما تمنت

(ومن قولنا)

لقد سجعت فى جنح ليل حمامة * فاى أسى هاجت على الهائم الصب

لك الويل كم هيجت شجوا بلا جوى * وشكوى بلا شكوى وكربا بلا كرب

واسكبت دمعا من جفون مسهدا * وما رقرقت منك المدامع بالسكب

(وقال ذو الرمة)

رأيت غرابا ناعيا فوق بانة * من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غرابا لاغتراب وبانة * لبين النوى هذا العيافة والزجر

١١ — قولهم فى طيب الحديث — (قال عدى بن زيد)

فى سماع ياذن الشيخ له * وحديث مثل ماذى مشار

(وقال القطامى)

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

(وقال جران العود)

فنلنا سقاطا من حديث كانه * جني النحل أو ابكار كرم تقطف

(وقال بشار)

وانا ليجرى بيننا حين نلتقى * حديث له وشي كوشي المطارف

(وقال أيضا)

وبكر كنوار الربيع حديثها * يروق بوجه واضح وقوام

(وقال آخر)

كانما عسل رجعا ومنطقها * ان كان رجع كلام يشبه العسلا

(وقال أيضا)

وحديث كانه زهر الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

١٢ — قولهم فى الرياض — أنشد أحمد بن جدار للمعلى الطائى

كان عيون الروض يذرفن بالندى * عيون يراسلن الدموع على عذر

(وقال البحترى)

شقائق يحملن الندي فكأنه * دموع التصابى فى خدود الخرائد
ومن لؤلؤ كالاقحوان منضد * على نكت مصفرة كالفرائد

(وقال أيضا)

وقد نبه النيروز فى غلس الدجا * أوائل ورد كنّ بالامس نوما
يفتقه برد الندى فكأنه * يبث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه * عليها كما نشرت وشيا منمنما

(وقال أعشى بكر)

ماروضة فى رياض الحسن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رائحة * ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

(وأنشد ابن أبي الطاهر لنفسه)

فتقت جيوب الروض منهادية * حلت عزاليها صبا وقبول
ولها عيون كالعيون نواظر * تبدو ومنها أزرق وكحيل

(وقال الاخطل الصغير)

خلع الربيع على الثري من وشيه * حللا يظل بها الثرى يتخيل
نور اذا مرت الصبا فيه الندا * خلت الزبرجد بالفريد يفصل
فكانها طورا عيون ضواحك * وكانها طورا عيون همل

(وقال أبو نواس)

يوم تقاصر واستتبت نعيمه * فى ظل ملتف الحدائق أخضرا
واذا الرياح تنسمت فى روضة * نثرت به مسكا عليك وعنبرا

(وأنشد ابن مسهر لابن أبي زرعة الدمشقي يقول)

وقد لبست زهر الرياض حليها * وجلت الارض الفضا بالزخارف
لجين وعقيان ودر وجوهر * تؤلفه ايدي الربيع اللطائف

(وأنشد البحترى)

قطرات من السحاب وروض * نثرت وردها عليه الخدود

وكان الجوزان والاقحوان الـــغض نظمان لؤلؤ وفـريد

(وانشد ابن حدار للمعلى)

ترى للندى فيـه مجالا كانما * نثرت عليـه لؤلؤا فتبددا

(وأنشد ابن الحارثي لنفسه)

وما روضة عـلوية أسدية * منمنمة زهراء ذات ثري جعد
سقاها الندى فى عقب جنح من الدجا * فنوارها يهتز بالكوكب السعد
باحسن من حر تضمن حاجة * لحر فاوفى بالنجاح مع الوعد

(وانشد محمد بن عمـار للحسن بن وهب يقول)

طلع الربيع على الرياض فبشرت * نوء الربيع بجـدة وشباب
وغدا السحاب مكللا جو الثرى * أذيال أسحم حالك الجلباب
فتري السماء اذا أحد ربابها * فكانما التحفت جناح غراب
وترى الغصون اذا الرياح تناوحت * ملتفة كتعانق الاحباب

(وقال حبيب الطائي)

الروض ما بين مغبوق ومصطبح * من ريق مكتفات في الثري دلح
وطف اذا وكفت فى روضة طفقت * عيون نوارها تبكى من الفرح

(وأنشد البحتري في دمشق)

اذا أردت ملأت العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البـلدا
يمسى السحاب على اجبالها فرقا * ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * او يانعا خضرا أو طائرا غردا
كانما القيظ ولى بعـد جيانه * او الربيع دنا من بعد ما بعـدا

(وأنشد ابن أبي الطاهر الاشجع)

من الكنائس والارواح مطرد * للعين يلعب فيه الطرف والبصر
فى رقعة من رقاع الارض يعمرها * قوم على ابويهم أجمعت مضر

(وأنشد على بن الجهم لعلى بن الخليل)

وروضة فى ظلال دسكرة * جـداول الماء فى جوانبها

تستن فى خضرة منورة * يغرد الطير فى مشار بها
كأن فيها الحلى والحلل السيمنة تهدي الى مرازبها

(وقال ابراهيم بن العباس الكاتب)

تأمل سماء أظلت عليك فيها مصابيحها تزهر
وارضا تقابلها بالعرو * س والمرج بينهما جعفر
ومسحب نور غداة الربيع انفاسها المسك والعنبر
خلال شقائقه أصفر * واضعاف اصفره أحمر
وللماء مطرد بينه * يصفق باديه المصدر
يشارفه البر من جانب * ومن جانب بحره الاخضر
مجال وحوش ومرقي سفين * فيا عرف لهو ويا منظر
وياحسن دنيا وياعز ملك * يسوسهما السائس الاكبر

(وقال بلال بن أبي عتيبة فى بستانه)

يذكرني الفردوس طورا فانثني * وطورا يواتيني على النسك والفتك
بغرس كابكار العذارى وتربة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الارض ينظرن حوله * الى ملك اوفي على منبر الملك
يدل عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهي مطرقة تبكي

(وقال فيه)

ياجنة فاقت الجنان فما * تبلغها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطنا * لان قلبي لاهلها وطن
زوج حيتانها الضباب بها * فهذه كنسة وذا ختن
فانظر وفكر فيما تمر به * ان الاريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة * ومن نعام كأنها سفن

(وقال الخليل بن أحمد)

ياصاحب القصر نعم القصر والوادى * بمنزل حاضران شئت أوبادى
ترقي به السفن والظلمان واقفة * والنون والضب والملاح والحادى

(وقال اسمعيل بن ابراهيم الحمدوني)

روضة صبغت أيدى الربيع لها * برودها وكستها وشيها عدن
عاجت عليها مطايا الغيث مهملة * لهن في ضحكات أدمع هتن
كأنما البين يبكيها ويضحكها * وصل حباها به من بعده سكن
فولدت صفرا أثوابها خضرا * احشاؤهن لاحشاء الندي وطن
من كل عسجدة في خدرها اكتتمت * عذراء في بطنها الياقوت مكتمن

(وأنشد عمرو بن بحر الجاحظ)

أين اخواننا على السراء * أين أهل القباء والدهناء
جاورتنا في الارض نور الاقاحى * من ربيع تجاد بالانواء
كل يوم باقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

(ومن قولنا في هذا المعني)

وروضة عقدت ايدى الربيع بها * نورا بنور وتزويجا بتزويج
بملقح من سوار يها وملقحة * وناتج من غواديها ومنتوج
توشحت بملاة غير ملحمة * من نورها ورداء غير منسوج
فالبست حلل الموشى زهرتها * وجللتها بانماط الديابيج

(ومن قولنا)

وموشية يهدى اليك نسيمها * على مفرق الارواح مسكا وعنبرا
سداوتها من ناصع اللون أبيض * ولحمتها من فاقع اللون أصفرا
يلاحظ لحظا من عيون كأنها * فصوص من الياقوت كللن جوهرا

(ومثله قولنا)

وما روضة بالحزن حاك لها الندى * برودا من الموشى حمر الشقائق
يقيم الدجا أعناقها ويميلها * شعاع الدجا المتن في كل شارق
اذا ضاحكتها الشمس تبكى باعين * مكللة الاجفان صفر الحمالق
حكت أرضها لون السماء وزانها * نجوم كأمثال النجوم الخوافق
باطيب نشرا من خلائقه التى * لها خضعت فى الحسن زهر الخلائق

١٩

فرش كتاب الجوهرة الثانية

﴿ فى أعاريض الشعر وعلل القوافى ﴾

(قال أبو عمر) أحمد بن محمد بن عبد ربه قد مضى قولنا فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أعاريضه وعلله وما يحسن ويقبح من زحافه وما ينفك من الدوائر الخمس من الشطور التي قالت عليها العرب والتي لم تقل وتلخيص جميع ذلك بمنثور من الكلام يقرب معناه من الفهم منظوم من الشعر يسهل حفظه على الرواة فأكملت جميع هذه العروض فى هذا الكتاب الذى هو جزآن فجزء للفرش وجزء للمثال مختصرا مبينا مفسرا فاختصرت للفرش ارجوزة وجمعت فيها كل ما يدخل العروض ويجوز فى حشو الشعر من الزحاف وبينت الاسباب والاوتاد والتعاقب والتراقب والخروم والزيادة على الاجزاء وفك الدوائر فى هذا الجزء واختصرت المثال فى الجزء الثاني فى ثلاث وستين قطعة على ثلاثة وستين ضربا من ضروب العروض وجعلت المقاطعات رقيقة غزلة ليسهل حفظها على ألسنة الرواة وضمنت فى آخر كل مقطعة منها بيتا قديما متصلا بها وداخلا فى معناها من الابيات التى استشهد بها الخليل فى عروضه لتقوم به الحجة لمن روى هذه المقطعات واحتج بها

﴿ مختصر الفرش ﴾

اعلم ان أول ما ينبغى لصاحب العروض أن يبتدىء به معرفة الساكن والمتحرك فان الكلام كله لا يعرو ان يكون ساكنا أو متحركا واعلم ان كل ألف خفيفة أو ألف ولام خفيفتين لا يظهران على اللسان ويثبتان فى الكتابة فانهما يسقطان فى العروض وفى تقطيع الشعر نحو ألف قال ابنك أو ألف ولام نحو قال الرجل وانما يعد فى العروض ما ظهر على اللسان واعلم ان كل حرف مشدد فانه يعد فى العروض حرفين أولهما ساكن والثاني متحرك نحو ميم محمد ولام سلام واعلم ان التنوين كله يعد فى العروض نونا ساكنة ليست من أصل الكلمة

١ — باب الاسباب والاوتاد — اعلم ان مدار الشعر وفواصل العروض على ثمانية أجزاء وهي فاعلن مفعولن مفاعيلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلتن متفاعلن مفعولات وانما ألفت هذه الاجزاء من الاسباب والاوتاد فالسبب سببان خفيف وثقيل فالسبب الخفيف حرفان متحرك وساكن مثل من وعن وما أشبههما والسبب الثقيل حرفان متحركان مثل بك ولك وما أشبههما والوتد وتدان مفروق ومجموع فالوتد المجموع ثلاثة أحرف متحركان وساكن مثل على والى وما أشبههما . والوتد المفروق ثلاثة أحرف ساكن بين متحركين مثل أين وكيف وما أشبههما وانما قيل للسبب سبب لانه يضطرب فيثبت مرة ويسقط أخرى وانما قيل للوتد وتد لانه يثبت فلا يزول

٢ — باب الزحاف — اعلم ان الزحاف زحافان فزحاف يسقط ثاني السبب الخفيف وزحاف يسكن ثانى السبب الثقيل وربما اسقطه ولا يدخل الزحاف فى شيء من الاوتاد وانما يدخل فى الاسباب خاصة وانما يدخل فى الجزء فى ثانى الجزء ورابعه وخامسه وسابعه فاذا أردت أن تعرف موضع الزحاف من الجزء فانظر الى جزء من الاجزاء الثمانية التى سميت لك فان رأيت الوتد فى أول الجزء فانما يزحف خامسه وسابعه وان كان الوتد فى آخر الجزء فانما يزحف ثانيه ورابعه وان كان الوتد فى وسط الجزء فانما يزحف ثانيه وسابعه وللزحاف الذي يدخل فى ثاني الجزء ثلاثة أسماء الخبن والاضمار والوقص فالمخبون ماذهب ثانيه والمضمر ماسكن ثانيه المتحرك والموقوص ماذهب ثانيه المتحرك وللزحاف الذى يدخل فى رابع الجزء اسم واحد المطوى وهو ماذهب رابعه الساكن وللخامس منها ثلاثة أسماء القبض والعصب والعقل فالمقبوض ماذهب خامسه الساكن والمعصوب ماسكن خامسه المتحرك والمعقول ماذهب خامسه المتحرك وللسابع اسم واحد المكفوف وهو ماذهب سابعه الساكن

٣ — باب الزحاف المزدوج — المخبول هو ماذهب ثانيه ورابعه الساكنان والمخزول هو ماسكن ثانيه وذهب رابعه الساكن والمنقوص هو ماسكن خامسه وذهب سابعه الساكن والمشكول هو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان

﴿ علل الاعاريض والضروب ﴾

المحذوف هو ماذهب من آخر الجزء سبب خفيف والمقطوف هو ماذهب من آخر الجزء سبب خفيف وسكن آخر ما بقى والمقصور ماذهب آخر سببه وسكن آخر متحركاته من

الجزء الذى فى آخره سبب والمقطوع ماذهب أواخرسوا كنه وسكن آخر متحركاته من الجزء الذى فى آخره وتدوالابتر ماحذف ثم قطع فكان فاعل من فاعلاتن وقع فى فعولن والاحذم ماذهب من آخرالجزء وتدمجوع والاصلم ماذهب من آخر الجزء وتد مفروق والموقوف ماسكن سابعه المتحرك والمكسوف ماذهب سابعه المتحرك والمجزوء ماذهب من آخرالصدر جزء ومن آخر العجزجزء والمشطور ماذهب شطره والمنهوك ماذهب منه أربعة أجزاء وبقي جزآن والزيادة على الاجزاء ثلاثة أشياء المذال وهو مازاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون فى آخره وتد والمسبغ مازاد على اعتداله حرف ساكن مما يكون فى آخره سبب والمرفل مازاد على اعتداله حرفان متحرك وساكن مما يكون فى آخره وتد

(واعلم) ان كل جزء من أجزاء العروض يكون مخالفا لاجزاء حشوه بزحاف أوسلامة فهو المعتل وما كان معتلا فانما هو ثلاثة أشياء ابتداء وفصل وغاية وان الاعتماد ليس علة لانه غير مخالف لاجزاء الحشو كلها وانما خالفها فى الحسن والقبح وليس اختلاف الحسن والقبح علة ونحن نجد الاعتماد فى الشعر كثيرا من ذلك البيت الذي جاء به الخليل

أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم * والا تقيموا صاغرين الرؤسا

﴿ ومنه قول امرىء القيس ﴾

أعني على برق أراه وميض * يضيء حبيا في شماريخ بيض

ويخرج منه لامعات كانها * أكف تلقى الفوز عند المفيض

وانما زعم الخليل ان المعتل ما كان مخالفا لاجزاء حشوه بزحاف أوسلامة ولم يقل بحسن أوقبح ألا تري ان القبض فى مفاعيلن فى الطويل حسن والكف فيه قبيح والقبض فى مفاعلن فى الهزل قبيح والكف فيه حسن والاعتماد فى المتقارب على ضد ماهو فى الطويل السالم فيه حسن والقبض فيه قبيح فاذا اعتل أول البيت سمي ابتداء واذا اعتل وسطه وهو العروض سمي فصلا واذا اعتل الطرف وهو فى القافية سمي غاية واذا لم يعتل أوله ولا وسطه ولا آخره سمي حشوا كله وما كان من الانصاف مستوفيا الدائرته وآخرجزء منه بمنزلة الحشو من الآخر فهو التام وما كان من الانصاف لم يذهب به الانتقاص فهو مجزوء وما كان من الانصاف مقفى فهو مصرع فان كانت الكلمة كلها كذلك فهو مشطور فاذا لم يبق منه الا جزآن فهو المنهوك واذا اختلفت القوافى واختلطت وكانت حيزا حيزا من كلمة واحدة فهو المخمس واذا كانت انصاف

على قواف يجمعها قافية واحدة ثم تعادي لمثل ذلك حتى تنقضي القصيدة فهو المسمط

٤ — باب الخرم — اعلم أن الخرم لا يدخل الا في كل جزء أوله وتد وذلك ثلاثة أجزاء فعولن مفاعلتن مفاعيلن وهو سقوط حركة من أول الجزء وانما منعه أن يدخل فى السبب انك لو أسقطت من السبب حركة بقى ساكن ولا يبدأ بساكن أبدا ولا يدخل الخرم الا في أول البيت فاذا دخل الخرم فعولن قيل له أثلم فاذا دخل القبض مع الخرم قيل له اثرم فاذا دخل الخرم مفاعلتن قيل له اعضب فاذا دخله العصب مع الخرم قيل له اقصم فاذا دخل الخرم مفاعيلن قيل له اخرم فاذا دخله الكف والقبض مع الخرم قيل له اخرب فاذا دخله القبض مع الخرم قيل له اشتر وكل مالم يدخله الخرم فهو تام

٥ — باب التعاقب والتراقب — اعلم أن التعاقب يدخل بين السببين المتقابلين فى حشو الشعر حيثما كانا ولا يكونان من جميع العروض الا فى أربعة أشطار فى المديد والرمل والخفيف والمجتث وقد بينا جميع ذلك فى موضعه فما عاقبه ماقبله فهو صدر وما عاقبه ما بعده فهو عجز وما عاقبه ماقبله وما بعده فهو طرفان وما لم يعاقبه ماقبله ولا ما بعده فهو برىء والتراقب بين السببين المتقابلين من فاصلة واحدة ولا يدخل التراقب من جميع العروض الا فى المضارع والمقتضب وقد فسرناه هنالك وقد نظمنا جميع ما ذكرناه من هذه الابواب فى ارجوزة ليسهل حفظها على المتعلم اذ كان حفظ المنظوم أسهل من حفظ المنثور وذكرنا فيها كل الدوائر الخمس وماينفك من كل دائرة من عدد الشطور التى قالت عليها العرب والتي لم تقل عليها وموضع الزحاف منها واعلم أن الدائرة الاولى مؤلفة من أربعة أجزاء سباعيين مع خماسيين وهي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن والدائرة الثانية من ثلاثة أجزاء سباعية وهى مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن والدائرة الثالثة مؤلفة من ثلاثة أجزاء سباعية وهي مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن والدائرة الرابعة مؤلفة من ثلاثة أشياء سباعية وهى مستفعلن مفعولات مستفعلن والدائرة الخامسة مؤلفة من أربعة أجزاء خماسية وهي فعولن فعولن فعولن فعولن واعلم أن كل دائرة من هذه الدوائر ينفك من رأس كل سبب وكل وتد فيها شطر وقد بينا جميع ذلك فى الدوائر وأسماء الشطور التي تنفك عنها

﴿ وهذه أرجوزة العروض ﴾

بالله نبدأ وبه التمام * وباسمه يفتتح الكلام

ياطالب العلم هو المنهاج * قد كثرت من دونه الفجاج

وكل علم فله فنون * وكل فن فـله عيـون

* أولها جوامع البيان * وأصلها معرفة اللسان *

فان فى المجاز والتأويل * ضلت أساطير ذوى العقول

حتى اذا عرفت تلك الابنيه * واحدها وجمعها والتثنيه

طلبت ما شئت من العلوم * ما بين منثور الى منظوم

فدا وبالاعراب والعروض * داء فى الاملاك والمريض

* كلاهما طب لداء الشعر * واللفظ من لحن به وكسر

ما فلسف البطليس جالينوس * وصاحب القانون بطليموس

ولا الذي يدعونه بهرمس * وصاحب الاركند والاقليدس

فلسفة الخليل فى العروض * وفى صحيح الشعر والمريض

وقد نظرت فيه فاختصرت * الى نظام منه قد احكمت

* ملخص مختصر بديع * والبعض قد يكفى عن الجميع

﴿ اختصار الفرش ﴾

هذا اختصار الفرش من مقال * وبعده أقول فى المثال

* أوله والله أستعين * أن يعرف التحريك والسكون

من كل ما يبدو على اللسان * لا كل ما تخطه اليدان

ويظهر التضعيف فى الثقيل * بعدّه حرفين فى التفعيل

مسكنا وبعده محركا * كنون كنا وكراء سركا

٦ — باب الاسباب والاوتاد

و بعد ذا الاسباب والاوتاد * فانها لقولنا عماد *

فالسبب الخفيف اذ يعد * محرك وساكن لا يعد

والسبب الثقيل فى التبيين * حركتان غير ذى تنوين

والوتد المفروق والمجموع * كلاهما فى حشوه ممنوع

وأيما اعتل من الاجزاء * فى الفصل والعاقى والابتداء

فالوتد المجموع منها فافهمن * حركتان قبل حرف قد سكن

والوتد المفروق من هذين * مسكن بين محركين
فهذه الاوتاد والاسباب * لها ثبات ولها ذهاب
وانما عروض كل قافيه * جار على اجزائه الثمانيه
وها كها بينة مصوره * لكل من عاينها مفسره

﴿ الفواصل ﴾

فاعلن فعولن مستفعلن فاعلاتن مفاعيلن مفاعلتن متفاعلن مفعولات

هذى التي بها يقول المنشد * فى كل مايرجوه أومايقصد
كل عروض يعتزى اليها * وانما مداره عليها
منها خماسيان فى الهجاء * وغيرها مسبع البناء
يدخلها النقصان بالزحاف * فى الحشو والعروض والقوافى
وانما يدخل في الاسباب * لانها تعرف باضطراب

٧ — باب الزحاف

فكل جزء زال منه الثاني * من كل مايبدو على اللسان
وكان حرفا شانه السكون * فانه عندي اسمه مخبون
وان وجدت الثانى المنقوصا * محركا سميته الموقوصا
وان يكن محركا فسكنا * فذلك المضمر حقا بينا
والرابع الساكن اذ يزول * فذلك المطوى لا يحول
وان يزل خامسه المسكن * فذلك المقبوض وهو حسن
وان يكن محركا سكنته * فسمه المعصوب ان سميته
وان أزلت سابع الحروف * سميته اذ ذاك بالمكفوف

٨ — باب تسمية الزحاف الذى يكون فى موضعين من الجزء

كل زحاف كان في حرفين * حل من الجزء بموضعين
فانه يجحف بالاجزاء * وهو يسمي أقبح الاسماء
فكل ماسكن منه الثانى * وأسقط الرابع فى اللسان
فذلك المخزول وهو يقبح * فحيثما كان فليس يصلح

وان يزل رابعه والثانى * ذاك وذا فى الجزء سا كنان
فانه عندي اسمه المخبول * يقصر الجزء الذى يطول
وكل جزء فى الكتاب يدرك * يسكن منه الخامس المحرك
واسقط السابع وهو يسكن * فذلك المنقوص ليس يحسن
وسابع الجزء وثانيه اذا * كان يعد ساكنا ذاك وذا
فاسقطا باقبح الزحاف * سمي مشكولا بلا اختلاف
هذا الزحاف لاسواه فاسمع * يطلق فى الاجزاء لم يمتنع

٩ — باب العلل —

والعلل التي تجوز أجمع * وليس فى الحشو لهن موضع
ثلاثة تدعى بالابتداء * والفصل والغاية فى الاجزاء
والاعتماد خارج عن شكلها * وفعله مخالف لفعلها
لانهم قد تركوا التزامه * وجاز فيه القبض والسلامه
ومثل ذاك جائز فى الحشو * فنحو هذا غير ذاك النحو
وكل معتل فغير جائز * فى الحشو والقصيد والاراجز
وانما أجازه الخليل * مجازفا اذ خانه الدليل
وكل حى من بنى حواء * فغير معصوم من الخطاء
فاول البيت اذا ما اعتلا * سميته بالابتداء كلا
وغاية الضرب تسمي غايه * وليس فى الحشو بلا حكايه
وكل مايدخل في العروض * من علة تجوز فى القريض
فهى تسمي الفصل عندذا كا * وقل من يعرفه هنا كا

١٠ — باب الخرم —

والخرم فى أوائل الابيات * تعرف بالاسماء والصفات
نقصان حرف من أوائل العدد * فى كل ماشطر يفك من وتد
خمسة أشطار من الشطور * يخرم منها أول الصدور
منها الطويل أول الدوائر * واطول البناء عند الشاعر

يدخله الخرم فيدعي أثلما * فان تلاه القبض سمى أثرما
والوافر الذى مدار الثانيه * عليه قد تعيه أذن واعيه
يدخله الخرم فى الابتداء * فى أول الجزء من الاجزاء
وهو يسمي أعضبا فكل ما * ضم اليه العصب سمى أقصما
وان يكن أعصب ثم يعقل * فذلك الاجم ليس يجهل
والهزج الذى هو السوار * عليه لثالثة المدار
يدخله الخرم فيدعى أخرما * وهو قبيح فاعلمن وافهما
حتى اذا ما كف بعد الخرم * سميته اجزم اذ تسمي
والاشتر المهجن العروضا * ما كان منه آخر مقبوضا
هذا وفى الرابعة المضارع * يدخل فيه الخرم لايدافع
كمثل مايدخل فى شطر الهزج * وهو يسمى باسمه بلاحرج
ولا يجوز الخرم فيه وحده * الا بقبض او يكف بعده
لعلة التراقب المذكور * خص به من اجمع الشطور
والمتقارب الذي فى الآخر * تحلو به خامسة الدوائر
يدخله ما يدخل الطويلا * من خرمه وليس مستحيلا
هذا جميع الخرم لاسواه * وهو قبيح عند من سماه
يدخل فى اوائل الاشعار * ماقيل فى ذى الخمسة الاشطار
لان فى أول كل شطر * حركتين فى ابتداء الصدر
وانما ينفك في أوتاد * فلم يضرها الخرم فى الكساد
لقوة الاوتاد فى اجزائها * وانها تبرأ من أدوائها
سالمة من اجمع الزحاف * فى كل مجزوء وكل واف
والجزء مالم تر فيه خرما * فانه الموفور قد يسمي

١١ — باب علل الاعاريض والضروب —

والعلل المسميات اللاتي * تعرف بالفصول والغايات
تدخل فى الضرب وفى العروض * وليس في الحشو من القريض

منها الذى يعرف بالمحذوف * وهو سقوط السبب الخفيف
فى آخر الجزء الذى فى الضرب * اوفى العروض غير قول كذب
ومثله المعروف بالمقطوف * لو بسكون آخر الحروف
وكل جزء فى الضروب كائن * اسقط منه آخر السواكن
وسكن الآخر من باقيه * مما يجزون الزحاف فيه
فذلك المقصور حين يوصف * وان يكن آخره لا يزحف
من وتد يكون حين لاسبب * فذلك المقطوع حين ينتسب
وكل ما يحذف ثم يقطع * فذلك الابتر وهو أشنع
وان يزل من آخر الجزء وتد * ان كان مجموعا فذلك الاحد
أوكان مفروقا فذاك الاصلم * كلاهما للجزء حقا صيلم
وان يسكن سابع الحروف * فانه يعرف بالموقوف
وان يكن محركا فاذهبا * فذلك المكشوف حقا يوجبا
وبعده التشعيث فى الخفيف * فى ضربة السالم لا المحذوف
يقطع منه الوتد الموسط * وكل شيء بعده لا يسقط

١٢ — باب التعاقب والتراقب —

وبعد ذا تعاقب الجزأين * فى السببين المتقابلين
لا يسقطان جملة فى الشعر * فان ذاك من اشد الكسر
ويثبتان أيما ثبات * وذاك من سلامة الابيات
وان ينل بعضهما ازاله * عاقبة الآخرة لامحاله
فكل ما عاقبه ما قبله * سمي صدرا فافهمن اصله
وكل ما عاقبه مابعده * فهو يسمي عجزا فعده
وان يكن هذا وذا معاقبا * فهو يسمي طرفين واجبا
يدخل فى المديد والخفيف * والرمل المجزوء والمحذوف
ويدخل المجتث ايضا جمعه * ولا يكون فى سوى ذى الاربعه
والجزء اذ يخلو من التعاقب * فهو بريء غير قول الكاذب

وهكذا ان قسته التعاقب * وليس مثل ذلك التراقب
لانه لم يأت من جزأين * فى السببين المتجاورين
لكنه جاء بجزء واحد * فى أول الصدر من القصائد
والسببان غير مزحوفين * فى جزئه وغير سالمين
ان زال هذا كان ذا مكانه * فاسمع مقالى وافهمن بيانه
فهكذا التراقب الموصوف * وكله فى شطره معروف
يدخل اول المضارع السبب * وبعده يدخل صدر المقتضب

﴿ الزيادات على الاجزاء ﴾

ثم الزيادات على الاجزاء * موجودة تعرف بالاسماء
وانما تكون فى الغايات * تزاد فى أواخر الابيات
وكلها فى شطره موجود * منها المرفل الذى يزيد
حرفين فى الجزء على اعتداله * محركا وساكنا فى حاله
وذاك فيما لا يجوز الزحف * فيه ولا يعزي اليه الضعف
وفيه أيضا يدخل المذال * مقيدا فى كل ما يقال
وهو الذى يزيد حرفا ساكنا * على اعتدال جزئه مباينا
ومثله المسبغ من هذي العلل * حرف يزيده على شطر الامل

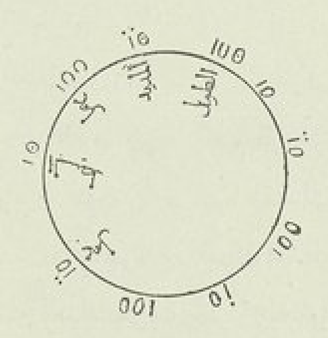
١٣ — باب نقصان الاجزاء —

فان رأيت الجزء لم يذهب معا * بالانتقاص فهو واف فاسمعا
وان يكن اذهبه النقصان * فافهم ففى قولى لك البيان
فذلك المجزوء فى النصفين * اذا انتقصت منهما جزأين
والبيت ان نقصت منه شطره * فذاك المشطور فافهم أمره
وان نقصت منه بعد الشطر * جزأ صحيحا من اخير الصدر
وكان ما يبقى على جزأين * فذاك المنهوك غير مين

﴿ صفة الدوائر ﴾

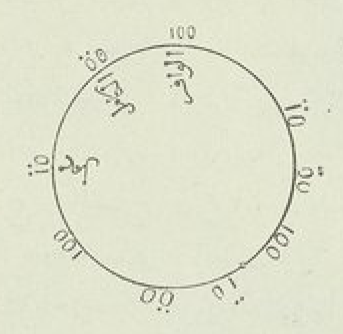
فاسمع فهذي صفة الدوائر * وصف عليم بالعروض خابر

دوائر تعيا على ذهن الحذق * خمس عليهن الخطوط والحلق
فمالها من الخطوط البائنه * دلائل على الحروف الساكنه
والحلقات المتجوفات * علامة المتحركات *
والنقط التي على الخطوط * علامة تعد للسقوط
والحلق التى عليها تنقط * تسكن أحيانا وحينا تسقط
والنقط التي باجواف الحلق * لمبتدا الشطور منها يخترق
فانظر تجد من تحتها اسماءها * مكتوبة قد وضعت ازاءها
والنقطتان موضع التعاقب * ومثل ذاك موضع التراقب
وهذه صورة كل واحده * منها ومعنى فسرها على حده
أولها دائرة الطويل * وهي ثمان لذى التفصيل
مقسم الشطر على ارباع * بين خماسى الى سباعي
حروفه عشرون بعد أربعه * قد بينوا لكل حرف موضعه
ينقل منها خمسة شطور * يفصلها التفعيل والتقدير
منها الطويل والمديد بعده * ثم البسيط يحكمون سرده
ثلاثة قالت عليها العرب * واثنان صدوا عنهما ونكبوا
وهذه صورتها كما تري * وذكرها مبينا مفسرا

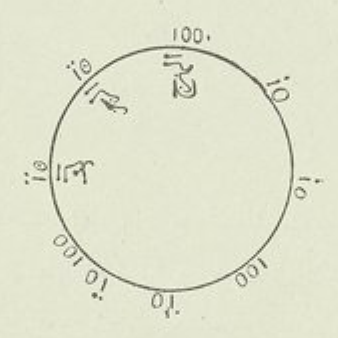


وبعدها الثانية المخصوصه * بالسبب الثقيل والمنقوصه
اجزاؤها مثلثة مسبعه * قد كرهوا ان يجملوها اربعه
لانها تخرج عن مقدارهم * فى جملة الموزون من اشعارهم

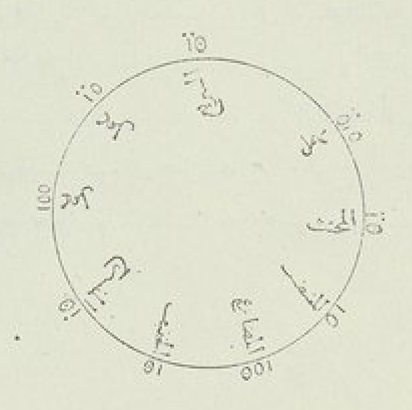
فهو على عشرين بعد واحد * من الحروف مابها من زائد
ينفك منها وافر وكامل * وثالث قد حار فيه الجاهل



والدائرة الثالثة التي حكت * في قدرها الثانية التي مضت
في عدة الاجزاء والحروف * ولبس في الثقيل والخفيف
ينفك منها مثل ماينفك * من تلك حقا ليس فيه شك
ترفل من ديباجها في حلل * من هزج أو رجز أو رمل
وهذه صورتها مبينة * بحليها ووشيها مزينه

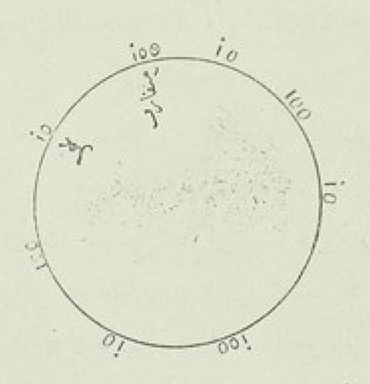


وأربع الدوائر المسروده * اجزاؤها ثلاثة معـدوده
عجيبة قد حار فيها الوصف * عشرون حرفاً عدها وحرف
مثل التي تقدمت من قبلهـا * وشكلها مخـالف لشكلها
بديعـة احكم فى تدبـيرها * بالوتد المفروق فى شطورها
ينفك منهـا ستـة مقـوله * من بينهـا ثلاثة مجهـوله
وكل هذى الستة المشطوره * معروفة لاهلهـا مخبوره
اولهـا السريع ثم المنسرح * ثم الخفيف بعده ثم وضح
وبعده مضارع ومقتضب * شطران مجزوآن فى قول العرب
وبعدها المجتث أحلى شطر * يوجد مجزواً لاهـل الشعر



وبعدها خامسة الدوائر * للمتقارب الذى فى الآخر
ينفك منها شطره وشطر * لميات فى الاشعار منه الذكر
من اقصر الاجزاء والشطور * حروفه عشرون فى التقدير
مؤلف الشطر على دوائر * مجسمات اربع متـواتر
هذا الذي جربه المجرب * من كل ما قالت عليـه العرب
فكل شيء لم يقـل عليـه * فاننـا لم نلتفت اليـه
ولا نقول مثل ما قد قالوا * لانه من قولنـا محال

وانه لو جاز فى الابيات * خلافها لجاز فى اللغات
وقد اجاز ذلك الخليل * ولا اقول فيه مايقول
* لانه ناقض فى معناه * والسيف قد ينبو وفيه ماه
اذ جعل القول القديم اصله * ثم اجاز ذا و ليس مثله *
وقد يزل العالم النحرير * والحبر قد يخونه التحبير
و ليس للخليل من نظير * فى كل ماياتى من الامور
لكنه فيه نسيج وحده * مامثله من قبله و بعده
* فالحمد لله على نعمائه * حمدا كثيرا وعلى آلائه
ياملكا ذلت له الملوك * ليس له في ملكه شريك
ثبت لعبد الله حسن نيته * واعطفه بالفضل على رعيته



﴿ ابتداء الامثال ﴾

﴿ شطر الطويل ﴾ الطويل له عروض واحد مقبوض وثلاثة ضروب ضرب سالم وضرب مقبوض وضرب محذوف معتمد

﴿ العروض المقبوض والضرب السالم ﴾

وروضة وردحف بالسوسن الغض * تحلت بلون السام والذهب المحض
رأيت بها بدرا على الارض ماشيا * ولم أر بدرا قط يمشى على الارض

الى مثله فلتصب ان كنت صابيا * فقد كاد منه البعض يصبو الى البعض
وكل ورد خديه ورمان صدره * بمص على مص و عض على عض
و قل الذى أبني الفؤاد بحبه * على أنه يجزى المحبة بالبعض
أيا منذرا أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

﴿ الضرب المقبوض ﴾

و حاملة راحا على راحة اليد * موردة تسقي بلون مورد
متى ما تري الابريق للكاس راكعا * تصلى له من غير طهر وتسجد
على ياسمين كاللجين ونرجس * كاقراط در فى قضيب زبرجد
بتلك وهذى قاله ليلك كله * وعنها فسل لا تسال الناس عن غد
ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * و ياتيك بالاخبار مالم تزود

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

﴿ الضرب المحذوف المعتمد ﴾

أيقتلني دائي وأنت طبيبي * قريب وهل من لا يرى بقريب
لئن خنت عهدي انني غير خائن * وأي محب خان عهد حبيب
وساحبة فضل الذيول كانها * قضيب من الريحان فرق كثيب
اذا ما بدت من خدرها قال صاحبي * أطعني و خذ من وصلها بنصيب
وما كل ذي لب بؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فعولن مفاعيلن فعولن فعولن

يجوز في حشو الطويل القبض والكف فالقبض فيه حسن والكف فيه قبيح ويدخله الخرم فى الابتداء فيقال له أثلم فاذا دخله القبض مع الخرم قيل له أثرم والخرم سقوط حركة من أول البيت ولا يكون الا فى وتد والقبض ماذهب خامسه الساكن والكف ماذهب سابعه

الساكن والاعتماد سقوط الخامس من فعولن التي قبل القافية اعتمد به فقبض ولم تجر فيه السلامة الاعلي قبح ولم يات في الشعر الاشاذا قليلا والاعتماد فى المتقارب سلامة الجزء الذى قبل القافية والمحذوف ماذهب من آخره سبب خفيف

﴿ شطر المديد ﴾

هو مجزوء كله له ثلاثة اعاريض وستة ضروب فالعروض الاول منها مجزوء وله ضرب مثله والعروض الثانى محذوف لازم الثانى له ثلاثة ضروب لازمة الثانى ضرب مقصور لازم الثانى وضرب محذوف لازم الثانى وضرب أبتر لازم الثانى والعروض الثالث محذوف مخبون له ضربان ضرب مثله وضرب أبتر لازم الثانى

﴿ العروض المجزوء والضرب المجزوء ﴾

ياطويل الهجر لا تنس وصلى * واشتغالى بك عن كل شغل
ياهلالا فوق جيد غزال * وقضيبا تحته دعص رمل
لاسلت عاذلتى عنه نفسى * اكثري فى حبه أو أقلى
شادن يزهى بخد وجيد * مائس فاتن حسن ودل
ومنى مايبع منك كلاما * فتكلم فيجبك بعقل

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

﴿ العروض المحذوف اللازم الثانى والضرب المقصور اللازم الثانى ﴾

ياوميض البرق بين الغمام * لاعليها بل عليك السلام
ان فى الاحداج مقصورة * وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالا لها * وترى الوصل عليها حرام
* ماتاسيك لدار خلت * ولشعب شت بعد التئام
انما ذكرك ماقد مضى * ضلة مثل حديث المنام

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلن * فاعلاتن فاعلن فاعلان

﴿ الضرب المحذوف اللازم الثاني ﴾

عاتب ظلت له عاتبا * رب مغلوب غدا طالبا
من يتب عن حب معشوقه * لست عن حبي له تائبا
فالهوى لي قدر غالب * كيف أعصي القدر الغالبا
ساكن القصر ومن حله * أصبح القلب بكم ذاهبا
اعلموا انى لكم حافظ * شاهدا ماعشت أو غائبا

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلن * فاعلاتن فاعلن فاعلن

﴿ الضرب الابتر ﴾

أي تفاح ورمان * يجتني من خوط ريحان
اى وردفوق خد بدا * مستنيرا بين سوسان
وثن يعبد فى روضة * صيغ من در ومرجان
من رأي الذلفاء فى خلوة * لم ير الحد على الزانى
انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فاعلن * فاعلاتن فاعلن فعلن

﴿ العروض المجزوء المحذوف والمخبون ضربه ﴾

من محب شفه سقمه * وتلاشى لحمه ودمه
كاتب حنت صحيفته * وبكي من رحمة قلمه
يرفع الشكوى الى قمر * ينجلى عن وجهه ظلمه
من لقرن الشمس جبهته * والمع البرق مبتسمه
خل عقلى يامسفهه * ان عقلى لست اتهمه
للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن فاعلن فعلن * فاعلاتن فاعلن فعلن

﴿الضرب الابتر اللازم الثاني﴾

زادني لومك اضرارا * ان لي في الحب انصارا
طار قلبي من هوي رشا * لو دنا للقلب ما طارا
خذ بكفي لا أمت غرقا * ان بحر الحب قد فارا
انضجت نار الهوى كبدي * ودموعي تطفيء النارا
رب نار بت ارمقها * تقضم الهندي والغارا

﴿تقطيعه﴾

فاعلاتن فاعلن فعلن * فاعلاتن فاعلن فعلن

يجوز في حشو المديد الخبن والكف والشكل فالمخبون ماذهب ثانيه الساكن والمكفوف ماذهب سابعه الساكن والمشكول ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان وهو اجتماع الخبن والكف في فاعلاتن ويدخله التعاقب في السببين المتقابلين بين النون من فاعلاتن والالف من فاعلن لا يسقطان جميعا وقد يثبتان فما عاقبه ماقبله فهو صدر وما عاقبه ما بعده فهو عجز وما عاقبه ما قبله وما بعده فهو طرفان ومالم يعاقبه شيء فهو بريء. والمقصور ماذهب آخر سواكنه آخر وسكن متحركانه من السبب والابتر ماحذف ثم قطع

﴿شطر البسيط﴾

البسيط له ثلاثة اعاريض وستة اضرب فالعروض الاول مخبون تام له ضربان ضرب مثله وضرب مقطوع لازم الثاني والعروض الثاني مجزوء له ثلاثة اضرب ضرب مذال وضرب مجزوء وضرب مقطوع ممنوع من الطي والعروض الثالث مقطوع ممنوع من الطي له ضرب مثله

﴿العروض المخبون الضرب المخبون﴾

بين الاهلة بدر ماله فلك * قلبي له سلم والوجه مشترك
اذا بدا انتهبت عيني محاسنه * وذل قلبي لعينيه فينتهك
ابتعت بالدين والدنيا مودته * فخانني فعلى من يرجع الدرك
كفوا بني حارث الحاظ ريمكم * فكلها لفؤادي كله شرك
يا حار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿الضرب المقطوع اللازم﴾

ياليلة ليس فى ظلمائها نور * الا وجوها تضاهيها الدنانير
حور سقتني كاس الموت اعينها * ماذا سقتنيه تلك الاعين الحور
اذا ابتسمن فدر الثغر منتظم * وان نطقن فدر اللفظ منثور
خل الصبا عنك واختم بالنهي عملا * فان خاتمة الاعمال تكفير
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿العروض المجزوء الضرب المذال﴾

ياطالبا فى الهوى مالا ينال * وسائلا لم يعف ذل السؤال
وات ليالى الصبا محمودة * لوانها رجعت تلك الليال
واعقبتها التى واصلتها * بالهجر لما رأت شيب القذال
لاتلتمس وصلة من مخلف * ولاتكن طالبا مالا ينال
ياصاح قد اخلفت اسماء ما * كانت تمنيك من حسن الوصال

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلان

﴿الضرب المجزوء﴾

ظالمتي فى الهوي لاتظلمى * وتصرمى حبل من لم يصرم
أهكذا باطلا عاقبتنى * لا يرحم الله من لم يرحم
قتلت نفسا بلانفس وما * ذنب باعظم من سفك الدم
لمثل هذا بكت عيني ولا * للمنزل القفر لا للارسم
ماذا وقوفي على رسم عفا * مخلولق دارس مستعجم

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع من الطى ﴾

ما أقرب اليأس من رجائى * وأبعد الصبر من بكائى
يامذكى النار في جوانحي * أنت دوائي وأنت دائى
من لى بمخلفة فى وعدها * تخلط لى اليأس بالرجاء
سألتها حاجة فلم تفه * فيها بنعم ولا بلاء
قلت استجيبي فلما لم تجب * سالت دموعى على ردائى

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن مستفعلن * مستفعلن فاعلن فعولن

﴿ العروض المقطوع الممنوع من الطى ضربه مثله ﴾

كآبة الذل فى كتابي * ونخوة العز في جواب
قتلت نفسا بغير نفس * فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب * اذ خلق الناس من تراب
ولت حميا الشباب عنى * فلهف نفسى على الشباب
أصبحت والشيب قد علانى * يدعو حثيثا الى الخضاب

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن فاعلن فعولن * مستفعلن فاعلن فعولن

يجوز فى حشو البسيط الخبن والطى والخبل فالخبن ماذكرناه فى المديد والطى ماذهب رابعه الساكن. والمخبول ماذهب ثانيه ورابعه الساكنان وهو اجتماع الخبن والطى فى مستفعلن والخبن فيه حسن والطي فيه صالح والخبن فيه قبيح والمقطوع ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الوتد والمذال مازاد على اعتداله حرف ساكن تمت الدائرة الاولى

﴿ شطر الوافر له عروضان وثلاثة ضروب ﴾

فالعروض الاول مقطوع له ضرب مثله والعروض الثاني مجزوء ممنوع من العقل له ضربان ضرب سالم وضرب معصوب

﴿ العروض المقطوف الضرب المقطوف ﴾

تجافى النوم بعدك عن جفوني * ولكن ليس يجفوها الدموع
يذكرني تبسمك الاقاحى * ويحكى لى توردك الربيع
يطير اليك من شوق فؤادي * ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت غابت * فليس لها على الدنيا طلوع
فما لى عن تذكرك امتناع * ودون لقائك الحصن المنيع
اذا لم تستطع شيا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعلتن مفاعلتن فعولن * مفاعلتن مفاعلتن فعولن

﴿ العروض المجزوء الممنوع من العقل الضرب السالم ﴾

غزال زانه الحور * وساعد طرفه القدر
يريك اذا بدا وجها * حكاه الشمس والقمر
براه الله من نور * فلا جن ولا بشر
فذاك الهم لا طلل * وقفت عليه تعتبر
أهاجك منزل أقوى * وغير آية الغير

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعلتن مفاعلتن * مفاعلتن مفاعلتن

﴿ الضرب المعصوب ﴾

وبدر غير ممحوق * من العقيان مخلوق
اذا أسقيت فضلته * مزجت بريقه ريق
فيالك عاشقا يسقى * بقية كاس معشوق
بكيت لنأيه عني * ولا أبكي بتشهيق
لمنزلة بها الا * فلاك أمثال المهاريق

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعلتن مفاعلتن * مفاعلتن مفاعيلن

يجوز فى حشو الوافر العصب والعقل والنقص فالعصب فيه حسن والنقص فيه صالح

والعقل فيه قبيح ويدخله الخرم في الابتداء فيسقط حركة من أول البيت فيسمي اعصب فاذا دخله العصب مع الخرم قيل له اقصم فاذا دخله النقص مع الخرم قيل له اعقص فاذا دخله العقل مع الخرم قيل له اجم . والمعصوب ما سكن خامسه المتحرك والمنقوص ما سكن خامسه المتحرك وذهب سابعه الساكن . والمقطوف ما ذهب من آخره سبب خفيف وسكن آخر ما بقي ولا يدخل القطف الا فى العروض والضرب من تمام الوافر

﴿ شطر الكامل ﴾

الكامل له ثلاثة اعاريض وتسعة ضروب فالعروض الاول تام له ثلاثة ضروب ضرب تام مثله وضرب مقطوع ممنوع الا من سلامة الثاني واضماره وضرب أحذ مضمر والعروض الثاني أحذ له ضربان ضرب مثله وضرب مضمر والعروض الثالث مجزوء له اربعة ضروب ضرب مرفل وضرب مذال وضرب مجزوء وضرب مقطوع ممنوع الا من سلامة الثانى واضماره

﴿ العروض التام الضرب التام ﴾

ياوجه معتذر ومقلة ظالم * كم من دم ظلما سفكت بلا دم
اوجدت وصلى فى الكتاب محرما * ووجدت قتلي فيه غير محرم
كم جنة لك قد سكنت ظلالها * متفكها فى لذة وتنعم
وشربت من خمر العيون تعللا * فاذا انتشيت أجود جود المرزم
واذا صحوت فما أقصر عن ندي * وكما علمت شمائلى وتكرمى

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن متفاعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع الا من الاضمار والسلامة ﴾

حال الزمان فبدل الآمالا * وكسى المشيب مفارقا وقذالا
غنيت غوانى الحى عنك وربما * طلعت اليك اهلة وجمالا
أضحي عليك حلالهن محرما * ولقد يكون حرامهن حلالا
ان الكواعب ان رأينك طاويا * وصل الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن فعلاتن

﴿ الضرب الاحذ المضمر ﴾

يوم المحب لطوله شهر * والشهر يحسب انه دهر
بابي وأمي غادة في خدها * سحر وبين جفونها سحر
الشمس تحسب انها شمس الضحى * والبدر يحسب انها البدر
فسل الهوى عنها يجبك وان نات * فسل القفار يجيبك القفر
لمن الديار برامتين فعاقل * درست وغير أيها القطر

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿ العروض الاحذ الثالث ضربه مثله ﴾

اما الخليط فشد ماذهبوا * بانوا ولم يقضوا الذى يجب
فالدار بعدهم كوشم يد * يادار فيك وفيهم العجب
أين التي صيغت محاسنها * من فضة شيبت بها ذهب
ولى الشباب فقلت أندبه * لامثل ماقالوا ولا ندبوا
دمن عفت ومحا معالمها * هطل اجش وبارح ترب

(تقطيعه)

متفاعلن متفاعلن فعلن * متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿ الضرب الاحذ المضمر ﴾

عيني كيف غررتما قلبي * وأبحتماه لوعة الحب *
يانظرة اذكت على كبدي * نارا قضيت بحرها نحبي
خلوا جوى قلبي أكابده * حسبي مكابدة الجوى حسبي
عيني جنت من شؤم نظرتها * مالا دواء له على قلبي
جانيك من يجني عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

﴿ تقطيعه ﴾

متفا علن متفاعلن فعلن * متفاعلن متفاعلن فعلن

﴿ العروض المجزو والضرب المجزو المرفل ﴾

هتك الحجاب عن الضمائر * طرف به تبلي السرائر
يرنو فيمتحن القلو * ب كانه في القلب ناظر
* ياساحرا ما كنت أعـرف قبله في الناس ساحر *
اقصيتني من بعد ما * ادنيتني فالقلب طائر *
* وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر *

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلاتن

﴿ الضرب المذال ﴾

يامقلة الرشا الغرير * وشقة القمر المنير
ما رنقت عيناك لى * بين الاكلة والستور
الا وضعت يدى على * قلبي مخافة ان يطير
هبني كبعض حمام مكة واستمع قول النذير
ابنى لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلان

﴿ الضرب المجزو ﴾

قل ما بدا لك وافعل * واقطع حبالك أو صل
هذا الربيع تحيه * وانزل باكرم منزل
وصل الذي هو واصل * فاذا كرهت فبدل
واذا نبا بك منزل * أو مسكن فتحول
واذا افتقرت فلا تكن * متجشعا وتجمل

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن متفاعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع الا من سلامة الثاني واضماره ﴾

يا دهر مالي أطيبا * ك وأنت غير موات
جرعتني غصصا بها * كدرت صفو حياتي
اين الذين تسابقوا * في المجـد للغايات
قوم بهم روح الحيا * ة ترد في الاموات
واذا هم ادكروا الاسا * ءة أكثروا الحسنات

﴿ تقطيعه ﴾

متفاعلن متفاعلن * متفاعلن فعلاتن

يجوز في الكامل من الزحاف الاضمار والوقص والخزل فالاضمار فيه حسن والوقص فيه صالح والخزل فيه قبيح فالمضمر ما سكن ثانيه المتحرك والموقوص ما ذهب ثانيه المتحرك . والمخزول ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن ويدخله من العلل القطع والحذذ . فالمقطوع ما تقدم ذكره . والاحذ ما ذهب من آخر الجزء وتد مجموع

﴿ شطر الهزج ﴾

الهزج له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض وضربان ضرب سالم وضرب محذوف

﴿ العروض المجزوء الممنوع من القبض ضربه مثله ﴾

أيا من لام في الحب * ولم يعلم جوى قلبي
ملام الصب يغويه * ولا أغوى من القلب
فاني لمت في هند * محبا صادق الحب
وما يلقى لها شبه * بشرق لا ولا غرب
الى هند صبا قلبي * وهند مثلها يصبي

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعيلن مفاعيلن * مفاعيلن مفاعيلن

﴿ الضرب المجزو المحذوف ﴾

متى اشـفي غليلي * بنيل من بخيل
غزال ليس لي منه * سوي الحزن الطويل

جميل الوجه أخلاني * من الصبر الجميل
حملت الضيم فيه من * حسود أو عذول
وماظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول

﴿ تقطيعه ﴾

مفاعيلن مفاعيلن * مفاعيلن فعولن

يجوز في الهزج من الزحاف القبض والكف فالكف فيه حسن والقبض فيه قبيح وقد فسرنا المقبوض والمكفوف في الطويل أيضا ويدخله الخرم في الابتداء فيكون اخرم فاذا دخله الكف مع الخرم قيل له اخرب فاذا دخله القبض مع الخرم قيل له اشتر والخرم كله قبيح

﴿ شطر الرجز ﴾

الرجز له اربعة اعاريض وخمسة ضروب فالعروض الاول تام له ضربان ضرب ام مثل عروضه وضرب مقطوع ممنوع من الطي والعروض الثاني مجزوء له ضرب مثله مجزوو العروض الثالث مشطور له ضرب مثله والعروض الرابع منهوك له ضرب مثله

﴿ العروض التام الضرب التام ﴾

لم أدرجني سباني أم بشر * أم شمس ظهر أشرقت لي أم قمر
أم ناظر يهدي المنايا طرفه * حتي كأن الموت منه في النظر
يحيي قتيلا ماله من قاتل * الا سهام الطرف ريشت بالحور
مابال رسم للوصل اضحى داثرا * حتى لقد اذ كرني مماذثر
دار لسلمي اذ سليمى جارة * قفري تري آ يانها مثل الزبر

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع من الطي ﴾

قلب بلوعات الهوى معمود * حتي سقتنيه الظباء الغيد
من ذا يداوي القلب من داء الهوى * اذلا دواء للهوى موجود
أم كيف اسلو غادة ماحبها * الاقضاء ماله مردود *
القلب منها مستريح سالم * والقلب مني جاهد مجهود

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعل

﴿ العروض المجزوء الضرب المجزوء ﴾

أعطيته ما سألا * حكمته لو عدلا

وهبته روحي فما * اردى به ما فعلا

أسلمته في يده * عيشه أم قتلا

قلبي به في شغل * لا مل ذاك الشغلا

قيده الحب كما * قيد راع جملا

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن

﴿ العروض المشطور الضرب المشطور ﴾

يا ايها المشغوف بالحب التعب * كم انت في تقريب مالا يقترب

دع ود من لا يرعوى اذا غضب * ومن اذا عاتبته يوما عتب

انك لا تجني من الشوك العنب

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

﴿ العروض المنهوك الضرب المنهوك ﴾

بياض شيب قد نصع * رقعته فما ارتقع *

اذا رأى البيض انقمع * من بين ياس وطمع

لله أيام النخع

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن

ويجوز في حشو الرجز الخبن والطي والخبل فالخبن فيه حسن والطي فيه صالح والخبل فيه قبيح وقد مضي تفسير الطي والخبن والخبل في البسيط ويدخله من العلل القطع وقد

ذكرناه ويكون مجزوأ والمجزوء ماذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء ويأتي مشطورا والمشطور ماذهب شطره ويأتي منهوكا والمنهوك ماذهب من شطره جزآن وبقي على جزء

﴿ شطر الرمل ﴾

الرمل له عروضان وستة ضروب فالعروض الاول محذوف جائز فيه الخبن له ثلاثة ضروب ضرب متمم وضرب مقصور جائز فيه الخبن وضرب محذوف مثل عروضه والعروض الثاني مجزوء له ثلاثة ضروب ضرب مسبغ وضرب مجزوء مثل عروضه الجائز فيه الخبن وضرب محذوف جائز فيه الخبن

﴿العروض المحذوف الجائز فيه الخبن الضرب المتمم﴾

أنا في اللذات مخلوع العذار * هائم في حب ظبي ذي احورار
صفرة في حمرة في خده * جمعت روضة ورد وبهار
بابي طاقة آس اقبلت * تنثني بين حجل وسوار
قادني طرفي وقلبي للهوي * كيف من طرفي ومن قلبي حذار
لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن * فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

﴿ الضرب المقصور ﴾

يامدير الصدغ في الخد الاسيل * ومحيل السحر بالطرف الكحيل
هل لمحزون كئيب قبلة * منك يشفي بردها حر الغليل
وقليل ذاك الا انه * ليس من مثلك عندي بالقليل
بابي أحور غنى موهنا * بغناء قصر الليل الطويل
يا بني الصيداء ردوا فرسي * انما يفعل هذا بالذليل

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن * فاعلاتن فاعلاتن فاعلان

﴿ الضرب المحذوف ﴾

شادن يسحب اذيال الطرب * يتثنى بين لهو ولعب
بجبين مفرغ من فضة * فوق خد مشرب لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهده * للهوى والشوق يملي ما كتب
ما لجهلي ما أراه ذاهبا * وسواد الرأس مني قد ذهب
قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدي رأس هذا واشتهب

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن * فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

﴿العروض المجزوء الضرب المسبغ﴾

ياهلالا في تجنيه * وقضيبا في تثنيه
والذي استاسميه * ولكي اكنيه
شادن ماتقدر العين * تراه من تلاليه
كلما قابله شخص رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذ * ر عليه كاد يرميه

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتان

﴿الضرب المجزوء﴾

ياهلالا قد تجلى * في ثياب من حرير
واميرا بهواه * قاهر كل أمير
ما لخديك استعارا * حمرة الورد النضير
ورسوم الوصل قد * لبستها ثوب دثور
مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

(تقطيعه)

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتن

﴿الضرب المجزوء المحذوف الجائز فيه الخبن﴾

يا قتيلا من يده * ميتا من كمده

قدحت للشوق نارا * عينه في كبده
هائم يبكي عليه * رحمة ذو حسد،
كل يوم هو فيه * مستعيذ من غده
قلبه عند الثريا * بائن عن جسده

﴿تقطيعه﴾

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلن

يجوز في الرمل من الزحاف الخبن والكف والشكل فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح والشكل قبيح وقد فسرنا المكفوف والمخبون فاما المشكول فهو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان ويدخله التعاقب في السببين المتقابلين على حسب مايدخل في المديد ويدخله من العلل الحذف والقصر والاسباغ وقد فسرنا المحذوف والمقصور وأما المسبغ فهو مازاد على اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون في آخره سبب خفيف وذلك فاعلاتن يزاد عليها حرف ساكن فيكون فاعلاتان

﴿شطر السريع﴾

السريع له أربعة أعاريض وسبعة أضرب فالعروض الاول مكشوف مطوى لازم الثاني له ثلاثة ضروب ضرب موقوف مطوى لازم الثاني وضرب مكشوف مطوى لازم الثاني مثل عروضه وضرب أصلم سالم والعروض الثاني مخبول مكشوف له ضربان ضربه مثل عروضه وضرب أصلم سالم والعروض الثالث مشطور موقوف ممنوع من الطى ضربه مثله والعروض الرابع مشطور مكشوف ممنوع من الطي ضربه مثله

﴿العروض المكشوف المطوى اللازم الثانى الضرب الموقوف المطوي اللازم الثاني﴾

بكيت حتى لم أدع عبرة * اذحملوا الهودج فوق القلوص
بكاء يعقوب على يوسف * حتي شفى غلته بالقميص
لاتأسف الدهر على مامضى * والق الذي مادونه من محيص
قد يدرك المبطىء من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن مستفعلن فاعلات

﴿الضرب المكشوف المطوى اللازم الثاني﴾

لله در البين مايفعل * يقتل من شاء ولا يقتل
بانوا بمن أهواه فى ليلة * رد على آخرها الاول
ياطول ليل المبتلي بالهوي * وصبحه من ليله اطول
فالدار قد ذكرني رسمها * ما كدت عن تذكاره اذهل
هاج الهوي رسم بذات الغضى * مخلولق مستعجم محول

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن مستفعلن فاعلن

﴿الضرب الاصلم السالم﴾

قلبي رهين بين أضلاعي * من بين ايئاس واطماع
من حيث يدعوه داعى الهوى * اجابه لبيك من داعى
من لى سقيم ماله عائد * وميت ليس له ناعى
لمارأت عاذلتى مارأت * وكان لى من سمعها واعى
قالت ولم تقصد لقيل الخني * مهلا لقد أبلغت اسماعى

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿العروض المخبول المكشوف الضرب المخبول المكشوف﴾

شمس تجلت تحت ثوب ظلم * سقيمة الطرف بغير سقم
ضاقت على الارض مذ صرمت * حبلى فما فيها مكان قدم
شمس وأقمار يطوف بها * طوف النصاري حول بيت صنم
النشر مسك والوجوه دنا * نير وأطراف الاكف عنم

﴿تقطيعه﴾

مستفعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿الضرب الاصلم السالم﴾

أنت بما فى نفسه اعلم * فاحكم بما احببت ان تحكم

الحاظه فى الحب قد هتكت * مكتومه والحب لايكتم
يامقلة وحشية قتلت * نفسا بلا نفس ولم تظلم
قالت تسليت فقلت لها * مابال قلبي هائم مغرم
ياأيها الزارى على عمر * قدقلت فيه غير ما تعلم

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن فعلن * مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطي * ضربه مثله ﴾

خليت قلبي في يدي ذات الخال * مصفدا مقيدا فى الاغلال
قد قلت للباكى رسوم الاطلال * ياصاح ماهاجك من ربع خال

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مفعولات

﴿ العروض المشطور المكشوف الممنوع من الطي * ضربه مثله ﴾

ويحيا قتيلا ماله من عقل * بشادن يهتز مثل النصل
مكحل مامسه من كحل * لا تعذلاني انني فى شغل
ياصاحبي رحلي اقلا عذلي

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مستفعلن مفعولن

يجوز فى السريع من الزحاف الخبن والطى والخبل فالخبن فيه حسن والطي صالح والخبل فيه قبيح ويدخله من العلل الكشف والوقف والصلم فالمكشوف ماذهب سابعه المتحرك والموقوف ماسكن سابعه والاصلم ما ذهب من آخره وتد مفروق والمشطور ما ذهب شطره

﴿ شطر المنسرح ﴾

المنسرح له ثلاثة أعاريض وثلاثة ضروب فالعروض الاول ممنوع من الخبل له ضرب مطوى والعروض الثانى منهوك موقوف ممنوع من الطى له ضرب مثله والعروض الثالث منهوك مكشوف ممنوع من الطى له ضرب مثله

﴿ العروض الممنوع من الخبل الضرب المطوى ﴾

بيضاء مضمومة مقرطقة * ينقد عن نهدها قراطقها
كأنما بات ناعما جذلا * فى جنة الخلد من يعانقها
وأى شيء ألذ من أمل * نالته معشوقة وعاشقها
دعني أمت من هوى مخدرة * تعلق نفسي بها علائقها
من لم يمت غبطة يمت هرما * الموت كاس والمرء ذائقها

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مفعولات مستفعلن * مستفعلن مفعولات مفتعلن

﴿ العروض المنهوك الموقوف الممنوع من الطي * ضربه مثله ﴾

أقصرت بعض الاقصار * عن شادن نائي الدار
* صبرني لما صار * ولم أكن بالصبار *
* وقال لى باستعبار * صبرا بني عبد الدار *

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مفعولات

﴿ العروض المنهوك المكشوف الممنوع من الطى ضربه مثله ﴾

عاضت بوصل صدا * تريد قتلى عمدا
لما رأتني فردا * أبكي وألقى جهدا
قالت وابدت درا * ويلم سعد سعدا

﴿ تقطيعه ﴾

مستفعلن مفعولن

يجوز فى المنسرح من الزحاف الخبن والطى والخبل فالخبن فيه حسن والطى فيه صالح والخبل قبيح ويدخله من العلل الوقف والكشف وقد فسرناهما فى السريع * والمنهوك ما ذهب شطره ثم ذهب منه شطر بعد الشطر

﴿ شطر الخفيف ﴾

الخفيف له ثلاثة اعاريض وخمسة ضروب فالعروض الاول منه تام له ضربان ضرب

يجوز فيه التشعيث وضرب محذوف يجوز فيه الخبن له ضرب مثله مجزو يجوز فيه الخبن
والعروض الثالث مجزوله ضربان ضرب مثله مجزو وضرب مجزو مقصور مخبون

﴿العروض التام * الضرب التام الجائز فيه التشعيث﴾

أنت دائي وفي يديك دوائي * ياشفائي من الجوي وبلائي
ان قلبي يحب من لا أسمي * فى عناء اعظم به من عنائي
كيف لا كيف أن الذ بعيش * مات صبري به ومات عزائي
أيها اللائمون ماذا عليكم * ان تعيشوا وان اموت بدائي
ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

﴿تقطيعه﴾

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن * فاعلاتن مستفعلن مفعولن

﴿الضرب المحذوف يجوز فيه الخبن﴾

ذات دل وشاحها قلق * من ضمور وحجلها شرق
بزت الشمس نورها وحباها * لحظ عينيه شادن خرق
ذهب خدها يذوب حياء * وسوى ذاك كله ورق
ان امت ميتة المحبين وجدا * وفؤادى من الهوى حرق
فالمنايا من بين غاد وسار * كل حى برهنها غلق

﴿تقطيعه﴾

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن * فاعلا تن مستفعلن فعلن

﴿الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن عروضه مثله محذوفة يجوز فيها الخبن﴾

ياغليلا كالنار فى كبدى * واغتراب الفؤاد عن جسدى
وجفونا تذرى الدموع أسى * وتبيع الرقاد بالسهدي
ليت من شفني هواه رأي * زفرات الهوى على كبدى
* غادة نازح محلتها * وكلتني بلوعة الكمدي
رب خرق من دونها قذق * مابه غير الجن من احدى

﴿تقطيعه﴾

فاعلاتن مستفعلن فعلن * فاعلاتن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المجز والضرب ﴾

ما لليـلى تبـدلت * بعدنا ودغـيرنا
أرهقتنـا ملامـة * بعد ايضاح عذرنا
فسلونا عـن ذكرها * وتسلت عن ذكرنا
لم نقـل اذ تحرمت * واستهلت بهجرنا
ليت شعري ماذا ترى * أم عمرو فى أمرنا

﴿ تقطيعه ﴾

فاعـلاتن مستفعلن * فاعلاتن مستفعلن

﴿ الضرب المجزو المقصور ﴾

أشرقت لى بدور * فى ظـلام تنير
طـار قلبي بحبهـا * من لقلب يطـير
يابدورا أنا بهـا * الدهر عان أسـير
ان رضيتم بان أمو * ت فموتى حقير
كل خطب ان لم تكو * نوا غضبتم يسـير

﴿ تقطيعه ﴾

فاعـلاتن مستفعلن * فاعلاتن فعـولن

يجوز في الخفيف من الزحاف الخبن والكف والشكل فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح والشكل فيه قبيح ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفعلن وفاعلاتن لا يسقطان معا وقد يثبتان وذلك ان وتد مستفع لن فى الخفيف والمجتث كله مفروق فى وسط الجزء وقد بينا التعاقب فى المديد ويدخله من العلل التشعيث والحذف والقصر وقد بينا المحذوف والمقصور وأما التشعيث فهو دخول القطع فى الوتد من فاعلاتن التي من الضرب الاول من الخفيف فيعود مفعولن

﴿ شطر المضارع ﴾

المضارع له عروض واحد مجزو وممنوع من القبض وضرب مجزو ممنوع من القبض مثل عروضه وهو

أرى للصبا وداعا * وما يذكر اجتماعا
كان لم يكن جديرا * بحفظ الذي أضاعا
ولم يصبنا سرورا * ولم يلهنا سماعا
فجدد وصال صب * متي تعصه أطاعا
وان تدن منه شبرا * يقربك منه باعا

﴿تقطيعه﴾

مفاعيلن فاع لاتن * مفاعيلن فاعلاتن

يجوز فى حشو المضارع من الزحاف القبض والكف فى مفاعيلن ولا يجتمعان فيه لعلة التراقب ولا يخلو من واحد منهما وقد فسرنا التراقب مع التعاقب و يدخله فى فاعلاتن الكف فاما القبض فهو ممنوع منه وتدفاع لاتن فى المضارع لانه مفروق وهو وقاع والتراقب فى المضارع بين السببين في مفاعيلن في الياء والنون لا يثبتان معا ولا يسقطان معا وهو فى المقتضب بين الفاء والواو من مفعولات

﴿ شطر المقتضب ﴾

المقتضب له عروض واحد مجزو مطوى وضرب مثل عروضه وهو

يامليحة الدعج * هل لديك من فرج
أم تراك قاتلتى * بالدلال والغنج
من لحسن وجهك من * سوء فعلك السمج
عاذلى حسبكما * قد غرقت فى لجج
هل على و يحكما * ان لهوت من حرج

﴿ تقطيعه ﴾

فاعلاتن مفتعلن * فاعلاتن مفتعلن

يدخل التراقب فى أول البيت في السببين المتقابلين على حسب ماذكرناه في المضارع

﴿ شطر المجتث له عروض واحد مجزو وضربه مثله ﴾

وشادن ذى دلال * معصب بالجمال
يضن أن يحتويه * معى ظلام الليالى

أو يلتقي في منامي * خيـاله مع خيـالي
غصن نما فوق دعص * يختـال كل اختيـال
البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

﴿ تقطيعه ﴾

مستفع لن فاعـلاتن * مستفع لن فاعـلاتن

يجوز في المجتث من الزحاف الخبن والكف والشكل فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح والشـكل فيه قبيح ويدخله التعاقب بين السببين المتقـابلين من مستفع لن وفاعلاتن على حسب ما يدخل الخفيف وذلك لان وتد مستفع لن في المجتث مفروق كما هو في الخفيف مفروق

﴿ شطر المتقارب ﴾

المتقارب له عروضان وخمسة اضرب فالعروض الاول منها تام يجوز فيه الحذف والقصر له أربعة ضروب ضرب تام مثل عروضه وضرب مقصور وضرب محذوف معتمد وضرب ابتر والعروض الثاني مجزو محذوف معتمد له ضرب مثله معتمد

﴿ العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر ﴾

﴿ الضرب التام ﴾

لحال عن العهـد لما أحالا * وزال الاحبـة عنه فزالا
محل تحل عراها السحاب * وتحكي الجنوب عليه الشمالا
فيـا صاح هذا مقام المحب * وربع الحبيب فخط الرحالا
سل الربع عن ساكنيه فاني * خرست فما أستطيع السؤالا
ولا تعجلني هداك المليك * فان لكل مقـام مقـالا

﴿ تقطيعه ﴾

فعو لن فعو لن فعو لن فعو لن * فعو لن فعو لن فعو لن فعو لن

﴿ الضرب المقصور ﴾

فؤادي رميت وعقلي سبيت * ودمعي مريت ونومي نفيت
يصد اصطباري اذا ما صددت * ويناًى عزائي اذا ما نأيت
عزمت عليك بمجرى الوشاح * وما تحت ذلك مما كنيت

وتفاح خدورمان صدر * ومجناها خير شيء جنيت
تجدد وصلا عفا رسمه * فمثلك لما بدا لي بذيت
على رسم دار قفار وقفت * ومن ذكر عهد الحبيب بكيت

﴿ تقطيعه ﴾

فعو لن فعو لن فعو لن فعو لن * فعو لن فعو لن فعو لن فعول

﴿ الضرب المحذوف المعتمد ﴾

أياويح نفسي وويل أمها * لما لقيت من جوى همها
فديت التي قتلت مهجتي * ولم تتق الله في دمها
أغض الجفون اذا ما بدت * واكني اذا قيل لي سمها
اداري العيون واخشى الرقيب * وارصد غفلة قيمها
سبتني بجيد وخد ونحر * غداة رمتني باسهمها

﴿ تقطيعه ﴾

فعو لن فعولن فعو لن فعل * فعولن فعولن فعو لن فعل

﴿ الضرب الابتر ﴾

لا تبك ليلى ولا ميه * ولا تندبن راكبانيه
وابك الصبا اذ طوى ثوبه * فلا أحد نا شرطيه
ولا القلب ناس لما قدمضى * ولا تارك أبدا غيه
ودع عنك يأسا على ارسم * فليس الرسوم بمبكيه
خليلي عوجا على رسم دار * خلت من سليمي ومن ميه

﴿ تقطيعه ﴾

فعولن فعولن فعو لن فعولن * فعولن فعو لن فعو لن فع

﴿ العروض المجزوء المحذوف المعتمد ضربه مثله ﴾

أأحرم منك الرضا * وتذكر ما قد مضي
وتعرض عن هائم * أبى عنك ان يعرضا
قضى الله بالحب لي * فصبرا على ماقضي

رميت فؤادى فما * تركت به منهضا

فقوسك شريانه * ونبلك جمر الغضا

﴿ تقطيعه ﴾

فعو لن فعولن فعل * فعولن فعولن فعل

يجوز فى المتقارب من الزحاف القبض وهو فيه حسن ويدخله الخرم فى الابتداء على حسب مايدخل الطويل

١٤ — علل القوافى — القافية حرف الروي الذي يبني عليه الشعر ولا بد من تكريره فيكون فى كل بيت والحروف التي تلزم حرف الروى أربعة التاسيس والردف والوصل والخروج فاما التاسيس فالف يكون بينها وبين حرف الروى حرف متحرك باى الحركات كان وبعض العرب يسميه الدخيل وذلك نحو قول الشاعر * كليني لهم باأميمة ناصب * فالالف من ناصب تاسيس والصاد دخيل والباء روى والياء المتولدة من كسرة الباء وصل واما الردف فانه احد حروف المد واللين وهي الياء والواو والالف يدخل قبل حرف الروى وحركة ماقبل الردف بالفتح اذا كان الردف ألفا وبالضم اذا كان واوا وبالكسر اذا كان ياء مكسورا ماقبلها وقد تجتمع الياء والواو فى شعر واحد لان الضمة والكسرة اختان كما قال الشاعر

اجارة بيتينا ابوك غيور * وميسور مايرجى لديك عسير

فجاء بغيور مع عسير ولا يجوز مع الالف غيرها كما قال الشاعر * بان الخليط ولو طوعت مابان * وجنس ثالث من الردف وهو ان يكون الحرف مفتوحا ويكون الردف ياء اوواوا نحو قول الشاعر

كنت اذا ماجئته من غيب * يشم رأسى ويشم ثوبي

واما الوصل فهو اعراب القافية واطلاقها ولا تكون القافية مطلقة الا باربعة احرف الف ساكنة مفتوح ماقبلها من الروي وياء ساكنة مكسور ماقبلها من الروى وهاء متحركة اوساكنة مكنية ولا يكون شيء من حروف المعجم وصلا غير هذه الاربعة الاحرف الالف والواو والياء والهاء المكنية وانما جاز لهذه ان تكون وصلا ولم يجز لغيرها من حروف المعجم لان الالف والياء والواو حروف اعراب ليست أصليات وانما تتولد مع الاعراب وتشبهت الهاء بهن لانها زائدة مثلهن ووجودها يكون خلفا منهن فى قولهم

أرقت الماء وهرقت الماء وأيا زيدو هيا زيدو نحو قول الشاعر

قد جمعت من أمكن وأمكنه * من ههنا وههنا ومن هنه

وهو يريد هنا فجعل الهاء خلفا من الالف واما الخروج فان هاء الوصل اذا كانت متحركة بالفتح تبعتها ألف ساكنة واذا كانت متحركة بالكسر تبعتها ياء ساكنة واذا كانت متحركة بالضم تبعتها واو ساكنة فهذه الالف والياء والواو يقال لها الخروج واذا كانت هاء الوصل ساكنة لم يكن لها خروج نحو قول الشاعر * ثار عجاج مستطيل قسطله * واما الحركات اللوازم للقوافى فخمس وهي الرس والحذو والتوجيه والمجرى والنفاذ فاما الرس ففتحة الحرف الثانى قبل التاسيس واما الحذو ففتحة الحرف الذى قبل الردف او ضمته اوكسرته واما التوجيه فهو ما وجه الشاعر عليه قافيته من الفتح والضم والكسر يكون مع الروي المطلق او المقيد اذا لم يكن فى القافية ردف ولا تاسيس وأما المجرى ففتح حرف الروي المطلق او ضمته او كسرته واما النفاذ فانه فتحة هاء الوصل او كسرتها اوضمتها ولا تجوز الفتحة مع الكسرة ولا الكسرة مع الضمة ولكن تنفرد كل حركة منها على حالها وقد يجتمع فى القافية الواحدة الرس والتاسيس والدخيل والروى والمجري والوصل والنفاذ والخروج كما قال الشاعر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

فحركة الواو الرس والالف تاسيس والفاء دخيل والقاف روى وحركته المجري والهاء هاء الوصل وحركتها النفاذ والالف الخروج ونحو قول الشاعر

* عفت الديار محلها فمقامها * فحركة القاف الحذو والالف الردف والميم الروى وحركتها المجرى والهاء وصل وحركتها النفاذ والالف الخروج وهل هذه الحروف والحركات لازمة للقافية أم لا

١٥ — باب ما يجوز أن يكون تاسيسا وما لا يجوز — اذا كان حرف الالف التاسيس فى كلمة وكان حرف الروى في كلمة أخري منفصلة عنها فليس بحرف تاسيس لانفصاله من حرف الروي وتباعده منه لان بين حرف الروى والتاسيس حرفا متحركا وليس كذلك الردف لان الردف قريب من الروى ليس بينهما شىء فهو يجوز أن يكون فى كلمة ويكون الروى فى كلمة أخرى منفصلة منها نحو قول الشاعر

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر اذيالها

فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الالها

فالف الاردف واللام حرف الروى وهي فى كلمة منفصلة من الردف فجاز ذلك لقرب مابين الردف والروي ولم يجز فى التاسيس لتباعده من الروى نحو قول الشاعر

فهن يعكفن به اذا حجا * عكف النبيط يلعبون الفنزجا

فلم يجعلها تاسيسا لتباعدها عن الروي وانفصالها منه ومثله

وطالما وطالما وطالما * غلبت عادا وغلبت الاعجما

فلم يجعل الالف تاسيسا وقد يجوز ان تكون تاسيسا اذا كان حرف الروي مضمرا كما قال زهير

ألا ليت شعرى هل يرى الناس ما أرى * من الامر أو يبدو لهم ما بداليا

فجعل ألف بداليا تاسيسا وهى كلمة منفصلة من القافية لما كانت القافية فى مضمر وكذلك قول الشاعر

وقد يشبت المرعي على دمن الثرى * وتبقي حزازات النفوس كما هيا

واما غلامك وسلامك فى قافية فلا تكون الالف الا تاسيسا لان الكاف التي هى حرف لا تنفصل من الغلام

١٦ — باب ما يجوز أن يكون حرف روى وما لا يجوز أن يكونه — اعلم ان حروف الوصل كلها لا يجوز ان تكون رويا لانها دخلت على القوافى بعد تمامها فهي زوائد عليها ولانها تسقط فى بعض الكلام فاذا كان ما قبل حرف الوصل ساكنا فهو حرف الروى لانها لا تكون مما قبل حرف الروى ساكنا نحو قول الشاعر

أصبحت الدنيا لاربابها * ملهى وأصبحت لها ملهى

كانني احزم منها على * قدر الذى نال ابى منها

واذا حركت ياء الوصل أو واو الوصل جاز لها ان تكون رويا كما قال زهير

ألا ليت شعرى هل يرى الناس ما أرى * من الامر أو يبدو لهم ما بداليا

وقال عبدالله بن قيس الرقيات

ان الحوادث بالمدينة قد * شيبنني وقرعن مروتيه

وكذلك الهاء من طلحة وحمزة وما اشبههما أن يكون رويا ان يطاق فتعود ياء فاذا

كان ذلك فانت فيها بالخيار ان شئت جعلتها رويا أو وصلا لما قبلها وجعلها أبو النجم رويا فقال :

أقول اذ جئن مدبجات * ما أقرب الموت من الحياة

وكذلك التاء نحو اقشعرت واستهلت والكاف نحو مالكا ونعالكا فقد يجوز أن تكون رويا وقد يجوزان تكون وصلا وانما جاز أن تكون رويا لانها أقوى من حروف الوصل وجاز أن تكون وصلا لانها دخلت على القوافى بعد تمامها وقد جعلت الخنساء التاء وصلا ولزمت ماقبلها فقالت

أعيني هلا تبكيان أخاكما * اذا الخيل من طول الوجيف اقشعرت

فلزمت الراء فى الشعر كله وجعلت التاء صلة وقال آخر فجعل التاء رويا

الحمد لله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت

وقال حسان فجعل الكاف رويا

دعوا فلجات الشام قد حيل بينها * بطعن كافواه المخاض الاوارك
بايدى رجال هاجروا نحو ربهم * باسيافهم حقا وايدى الملائك

(وقال)

اذا سلكت بالرمل من بطن عالج * فقولا لها ليس الطريق هنالك

وهنالك كافها زائدة تقول للرجل هنالك وللمرأة هنالك وقال غيره

أيا خالدا ياخير أهل زمانكا * لقد شغل الافواه حسن فعالكا

فجعل الكاف رويا وقد يجوز أن تكون وصلا ويلزم ماقبلها وكذلك فعالكم وسلامكم الميم الآخرة حرف الروى كما قال الشاعر

بنو أمية قوم من عجيبهم * ان المنون عليهم والمنون هم

الميم حرف الروى وقد جعلها بعض الشعراء وصلا مع الهاء والكاف التي قبلها لانهما حرفا اضمار كالهاء والكاف ولحقت الاسم بعد تمامه كما لحقت الهاء والكاف فى نحو قوله :

زر والديك وقف على قبريهما * فكانني بك قد نقلت اليهما

ومثله لامية بن أبي الصلت

لبيكما لبيكما * ها أناذا لديكما

واما النسبة مثل ياء قرشي وثقفي وما أشبه ذلك اذا كانت خفيفة فانت فيها بالخيار ان شئت جعلتها رويا وان شئت وصلا نحو قول الشاعر :

انى لمن أنكرنى ابن اليثربي ❊ قتلت علياء وهند الجملي

فجعل الياء الخفيفة رويا واذا كانت النسبة مثقلة مثل قرشي وثقفي لم تكن الا رويا واذا قال شعرا على حصاها ورماها لم تكن الهاء الاحرف الروى ومن بني شعرا علي اهتدى فجعل الدال رويا جازله ان يجعل مع ذلك أحمدا وان جعل الياء من اهتدى حرف الروى لم يجز معها احمدا وجازله معها بشرى وحبلى وعصا وأفعى ومن ذلك قول الشاعر

داينت أروى والديون تقضى ❊ فمطلت بعضا وادت بعضا

فلزم الضاد من تقضى وجعل الياء وصلا فشبهها بحرف المد الذى فى القافية

﴿ ومثله ﴾

ولانت تفرى ماخلقت وبعـــض القوم يخلق ثم لا يفرى

﴿ ومثله ﴾

هجرتك بعد تواصل دعد ❊ وبدا لدعد بعض مايبدو

ويرمى مع يقضى جائز اذا كان الياء حرف الروى لانها من أصل الكلمة ❊ ومما لا يجوز أن يكون رويا الحروف المضمرة كلها الدخولها على القوافى بعد تمامها مثل اضرب واضربوا واضربي لان الف اضربا لحقت اضرب وواو ضربوا لحقت اضرب وياء اضربي لحقت اضرب بعد تمامها فلذلك كانت وصلا لانها زائدة مع هذا فى نحو قول الشاعر

لا يبعد الله جيرانا تركتهم ❊ لم أدر بعد غداة البين ماصنع

يريد ماصنعوا

﴿ ومثله ﴾

يادار عبلة بالجواء تكلمي ❊ وعمى صباحا دار عبلة واسلم

يريد واسلمي فجعل الياء وصلا وبعضهم جعلها رويا على قبح وأما ياء غلامى فهي أضعف من ياء اسلمى لانها قد تحذف فى بعض المواضع تقول هذا غلام تريد غلامي وقالوا ياغلام أقبل فى النداء وواغلاماه فحذفوا الياء وبعضهم يجعلها رويا علي ضعفها كما قال

انى امرؤ أحمى ذمار اخوتى ❊ اذا رأوا كريهة يرمون بى

﴿ ومثله ﴾

اذا تغديت وطابت نفسي * فليس في الحي غلام مثلي

(قال) الاخفش وقد كان الخليل يجيزاخواني مع أصحابي ويابي عليه العلماء ويحتج بقول الشاعر بازل عامين حديث سني * لمثل هـذا ولدتني أمي

وحرف الاضمار اذا كان سا كنا كان ضعيفا فاذا تحرك قوى وجاز ان يكون رويا كقول الشاعر

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى * من الامر أو يبـدو لهم ما بداليا

وانمـا جاز الكاف ان يكون رويا ولم يجز ذلك للهاء وكلاهما حرف اضمار لان الكاف اقوى عندهم من الهاء واثبت في الكلام واذا خاطبت المذكر والمؤنث لا تبدل صورتها كما تبدل الهـاء في غـلامه وغلامها واذا قلت مررت بغـلامك ورأيت غـلامك فالكاف في حال واحدة والهاء مضطربة في قولك رأيت غلامـه ومررت بغلامه وانما جاز فيها ان تكون وصلا أيضا كما تكون الهاء لانها تشبهت بالهـاء اذا كانت حرف اضمار كالهاء ودخلت على الاسم كدخول الهاء وكانت اسما للحرف كما تكون الهـاء وانما خالفتها بالشيء اليسير واما قولك ارمه واغزه فلا تكون الهاء ههنا رويا لانها لحقت الاسم بعـد تمامه ولانها زوائد فيـه وانهـا دخلت لتبين الحركة من اغزه والميم من ارمه وقد تكون تدخل للوقف أيضا واذا كانت الهاء أصلية لم تكن الارويا مثـل قول الشاعر

قالت ابنالي والا اسفه * ماالسوء الا عقله المدله

ومن بنى شعرا على حي جاز له فيـه طي ورمي لان الياء الاولى من حي ليست بردف لانها من حرف مثقل قدذهب مده ولينه قال سيبويه واذا قال الشاعر تعالى أو تعالوا لم تكن الياء والواو الارويا لان ما قبلها انفتح فلمـا صارت الحركة التي قبلها غـير حركتهما ذهبت قوتهما في المد وأ كثر يتهما وكذلك أخشى واخشوا وكل ياء او واو انفتح ماقبلها وكذلك هذه الياء والواو اذا تحركتا لم تكونا الاحرف روى لذهاب اللين والمد وكذلك قوله رأيت قاضيا وراميا وأريد ان يغزوو تدعو في قافيتين من قصيدة وأما الميم من غلامهم وسلامهـم فقد تكون رويا وقد تكون وصلا ويلزم ماقبلها كما قال الشاعر

يا قاتل الله عصبة شهدوا * خيف منى لى ما كان اسرعهم
ان نزلوا لم يكن لهم لبث * او رحلوا اعجلوا مودعهم
لا غفر الله للحجيج اذا * كان حبيبي اذ ناوامعهم

قالعين هنا حرف الروى والهاء والميم صلة لحروف الاضمار كلها التى تقدم ذكرها ولا يحسن ان يكون رويا الاما كان منها محركا لان المتحرك اقوي من الساكن وذلك مثل ياء الاضافة التي ذكرنا او ما كان منها احرفا قويا مثل الكاف والميم والنون فانها تكون رويا ساكنة كانت اومتحركة وذلك مثل قول الشاعر

فتى لا يكن هذا تعلة وصلنا * لبين ولا ذا حظنا من نوالك

﴿ ثم قال ﴾

أبر وأوفى ذمة بعهوده * اذا وازنت شم الذري بالحوارك

(وقال آخر)

قل لمن يملك الملو * ك وان كان قد ملك
قد شربناك مرة * وبعثنا اليك بك

(وقال آخر فى الهاء)

رموني وقالوا ياخويلد لاترع * فقلت وانكرت الوجوه هم هم

(ولآخر)

نمت فى الكرام بنو عامر * فروعي واصلى قريش العجم
فهم لى فخر اذا عددوا * كما أنا فى الناس فخر لهم

(وقال آخر فى النون)

طرحتم من الترحال امرا فغمنا * فلو قد رحلتم صبح الموت بعضنا

(وقال آخر)

فهل يمنعنى ارتيادى البلا * د من حذر الموت ان ياتين
أليس أخو الموت مستوثقا * علي فان قلت قد انسان

وأما الهاء فقد أجمعوا أن لا تكون رويا لضعفها الا ان يكون ماقبلها ساكنا كما قد ذكرنا ومن بنى شعرا على اخشوا جاز له معها طغوا وبغوا وعصوا فتكون الواو رويا لانفتاح ماقبلها وظهورها مع الفتح لانها مع الضمة صلة ولا تكون هذه الارويا

١٧ — باب عيوب القوافي — السناد والايطاء والاقواء والاكفاء والاجازة والتضمين والاصراف * السناد على ثلاثة أوجه فالوجه الاول منها اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح والكسر نحو قول الشاعر

ألم تران تغلب أهل عز * جبال معاقل ماير تقينا
شربنا من دماء بني تميم * باطراف القنا حتى روينا

والوجه الثاني اختلاف التوجيه في الروى المقيد وهو اجتماع الفتحة التي قبل الروى مع الكسرة والضمة كهيئتها في الحذو (وذلك كقوله)

وقاتم الاعماق خاوى المخترق * الف شتى ليس بالراعى الحمق

﴿ ومثله ﴾

تميم بن مرو أشياعه * وكندة حولى جميعا صبر
اذا ركبوا الخيل واستلأموا * تحرقت الارض واليوم قر

والوجه الثالث من السنادان يدخل حرف الردف ثم يدعه نحو قول الشاعر

وبالطوف بالاخيار ما اصطحبا به * وما المرء الا بالتقلب والطوف
فراق حبيب وانتهاء عن الهوى * فلا تعذليني قد بدالك ما اخفى

(وأما القافية المطلقة) فليس اختلاف التوجيه فيها سنادا * وأما الاقواء والاكفاء فهما عند بعض العلماء شيء واحد وبعضهم يجعل الاقواء في العروض خاصة دون الضرب ويجعلون الاكفاء والايطاء في الضروب دون العروض فالاقواء عندهم ان ينتقص قوة العروض فيكون مفعولن في الكامل ويكون في الضرب متفاعلن فيزيد العجز على الصدر زيادة قبيحة فيقال أقوى في العروض أي اذهب قوته نحو قول الشاعر

لما رأت ماء السلى مشروبا * والفرث يعصر في الاناء اريث

﴿ وبعده ﴾

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

والخليل يسمي هذا المقعر وزعم يونس ان الاكفاء عند العرب هو الاقواء وبعضهم يجعله تبديل القوافي مثل ان ياتي بالعين مع الغين لشبههما في الهجاء وبالدال مع الطاء لتقارب مخرجيهما ويحتج بقول الشاعر

جارية من ضبة بن اد * كأنها في درعها المنعط

والخليل يسمي هذا الاجازة وأبو عمرو يقول الاقواء اختلاف اعراب القوافي بالكسر والضم والفتح وكذلك هو عند يونس وسيبويه والاجازة عند بعضهم اجتماع الفتح مع الضم أو الكسر فى القافية ولا تجوز الاجازة الافيما كان فيه الوصل هاء ساكنة نحو قول الشاعر

الحمد لله الذي * يعفو ويشتد انتقامه
وربنا ربهم * لا يستطيعون اهتضامه

﴿ ومثله ﴾

فديت من انصفني فى الهوى * حتى اذا احكمه مله
اين ما كنت ومن ذا الذى * قبلى صفا العيش له كله

والاكفاء اختلاف القوافي بالكسر والضم عند جميع العلماء بالشعر الاماذكر يونس وأما المضمن فهو أن لا تكون القافية مستغنية عن البيت الذى يليها نحو قول الشاعر

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم اصحاب يوم عكاظ اني
شهدت لهم مواطن صالحات * تنبيهم بود الصدر مني

هذا قبيح لان البيت الاول متعلق بالبيت الثانى لا يستغنى عنه وهو كثير فى الشعر وأما الايطاء وهو أحسن مايعاب به الشعر فهو تكرير القوافى وكلما تباعد الايطاء كان أحسن وليست المعرفة مع النكرة ايطاء وكان الخليل يزعم ان كل ما اتفق لفظه من الاسماء والافعال وان اختلف معناه فهو ايطاء لان الايطاء عنده انما هو ترديد اللفظتين المتفقتين من الجنس الواحد اذا قلت للرجل تخاطبه أنت تضرب وفى الحكاية عن المرأة هى تضرب فهو ايطاء وكذلك فى قافية أمرجلل وأنت تريد تعظيمه وهو فى قافية أخري جلل وأنت تريد تهوينه فهو ايطاء حتي اذا كان اسم مع فعل وان اتفقا فى الظاهر فليس بايطاء مثل اسم يزيد وهو اسم ويزيد وهو فعل

١٨ — باب مايجوز فى القافية من حروف اللين — اعلم ان القوافى التي يدخلها حروف المد وهي حروف اللين فهى كل قافية حذف منها حرف ساكن وحركة فتقوم المدة مقام ما حذف وهو من الطويل فعولن المحذوف ومن المديد فاعلان المقصور وفعلن الابتر ومن البسيط فعلن المقطوع ومفعولن المقطوع فاما مستفعلان المذال فاختلف فيه فاجازه قوم بغير حرف

مدلانه قدتم وزيد عليه حرف بعد تمامه والزمه قول المد لا لتقاء الساكنين وقالوا المدة بين الساكنين تقوم مقام الحركة واجازته بغير حرف مد احسن لتمامه وأما الوافر فلا يلزم شيء منه حرف مد وأما الكامل فيدخل منه حرف اللين فى فعلاتن المقطوع وفى متفاعلان المذال واما الهزج فلا يلزمه حرف مد وأما الرجز فيلزم مفعولن منه المقطوع حرف المد وأما الرمل فيلزم فاعلان وحدها لا لتقاء الساكنين وأما السريع فيلزم فاعلان الموقوف لا لتقاء الساكنين وكذلك مفعولان وأما المنسرح فيلزم مفعولات كما يلزم السريع وأما الخفيف فانه يلزم فعولن المقصور وان كان قد نقص منه حرفان وليس فى المد خلف من حرفين ولكن لما نقص من الجزء حرف وهو سين مستفعلن قام ما اخلف بالمدة مقام ما نقص من آخر الجزء لانه بعد المدة وأما المضارع والمقتضب والمجتث فليس فيها حرف مد لتمام أواخرها وأما المتقارب فالزموا فعول المقصور حرف المد لا لتقاء الساكنين (قال سيبويه) وكل هذه القوافى قد يجوز أن تكون بغير حرف المد لان رويها تام صحيح على مثل حاله بحرف المد وقد جاء مثل ذلك فى أشعارهم ولكنه شاذ قليل وان تكون بحرف المد أحسن لكثرته ولزوم الشعراء اياه ومما قيل بغير حرف مد

ولقد رحلت العيس ثم زجرتها * قدما وقلت عليك خير معد

(وقال آخر)

ان تمنع النوم النساء يمنعن

(ومن قولنا مقطعات على تاليف حروف الهجاء وضروب العروض الاول من الطويل السالم)

وأزهر كالعيوق يسعي بزهراء * لنا منهما داء وبرء من الداء
ألا بابى صدغ حكى العين عطفه * وشارب مسك قد حكى عطفه الراء
فما السحر ما يعزي الى ارض بابل * ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء
وكف أدارت مذهب اللون اصفرا * بمذهبة فى راحة الكف صفراء

﴿ الضرب الثانى من الطويل مقبوض ﴾

معذبتي رفقا بقلب معذب * وان كان يرضيك العذاب فعذبي
لعمرى لقد باعدت غير مباعد * كما انني قربت غير مقرب

بنفسي بدر أخجد البدر نوره * وشمس متى تبدو الى الشمس تغرب
لو ان امرأ القيس بن حجر بدت له * لما قال مر ابي على ام جندب

﴿ الضرب الثالث من الطويل المحذوف المعتمد ﴾

محب طوى كشحا على الزفرات * وانسان عين خاض فى غمرات
فيامن بعينيه سقامي وصحتي * ومن فى يديه ميتتى وحياتى
بحبك عاشرت الهموم صبابة * كانى لها ترب وهن لداتي
فخدي ارض للدموع ومقلتى * سماء لها تنهل بالعبرات

﴿ الضرب الاول من المديد وهو السالم ﴾

طلق اللهو فؤادي ثلاثا * لا ارتجاع لى بعد الثلاث
وبياض فى سواد عذارى * بدل التشبيب لى بالمراثى
غير انى لا اطيق اصطبارا * واراني صابر الانتكاثي
بأناس فى صفات ذكور * وذكور في صفات اناث

﴿ الضرب الثاني من المديد وهو المقصور اللازم اللين ﴾

صدعت قلبي صدع الزجاج * ماله من حيلة او علاج
مزجت روحى ألحاظها * بالهوى فهو لروحى مزاج
ياقضيبا فوق دعص نقا * وكثيبا تحت تمثال عاج
أنت نورى فى ظلام الدجى * وسراجي عند فقد السراج

﴿ الضرب الثالث من المديد وهو المحذوف اللازم اللين ﴾

مستهام دمعه سائح * بين جنبيه هوى فادح
كلما ام سبيل الهدى * عاقه السانح والبارح
حل فيما بين أعدائه * وهو عن احبابه نازح
أيها القادح نار الهوى * اصلها يا أيها القادح

﴿ الضرب الرابع المديد وهو المقطوع المحذوف ﴾

عاد منها كل مطبوخ * غير ذاذي ومفضوخ
واعتقد من أهل ود الحمى * كل ود غير مشدوخ

وانتشق رياك من ملتق * شارب بالمسك ملطوخ
ان فى العلم وآثاره * ناسخا من بعد منسوخ

﴿الضرب الخامس من المديد وهو المحذوف المخبون﴾

ياجمال الروح فى جسدي * والذي يفتر عن برد
وفريد الحسن واحده * منتهاه منتهى العدد
خذ بكفى انى غرق * فى بحار جمة المدد
ورياح الهجر قد هدمت * ما اقام الوصل من أود

﴿الضرب السادس من المديد وهو الابتر﴾

اذ كرتني طيرتا ناذ * فقرى الكرخ بغداذ
قهوة ليست ببارقة * لا ولا نبع ولاذاذي
مرة يهذى الحليم بها * يأبي ذلك من هاذى
فهي أستاذ الشراب بنا * والمعانى دأب أستاذى

﴿الضرب الاول من البسيط وهو المخبون﴾

نور تولد من شمس ومن قمر * فى طرفه قدر امضى من القدر
أصلى فؤادى بلا ذنب جوى حرق * لم يبق من مهجتي شيا ولم يذر
لا والرحيق المصفى من مراشفه * وما بخديه من ورد ومن طرر
ما أنصف الحب قلبي فى حكومته * ولا عفا الشوق عن عفو مقتدر

﴿الضرب الثانى من البسيط وهو المقطوع﴾

خرجت اجتاز قفرا غير مجتاز * فصادنى اشهل العينين كالبازى
صقر على كفه صقر يؤلفه * ذا فوق بغل وذاك فوق قفازى
كم موعد لى من الحاظ مقلته * لوانه موعد يقضى بانجاز
أبكى ويضحك مني طرفه هزوا * نفسي الفداء لذاك الضاحك الهازى

﴿الضرب الثالث من البسيط وهو المجزو المذال﴾

ياغصنا مائسا بين الرياط * مالى بعدك بالعيش اغتباط
يامن اذا مابدا الى ماشيا * وددت انه خدي بساط

تترك عيناه من أبصره * مختلطا عقله كل اختلاط
قلت متي نلتقي ياسيدى * قال غدا نلتقي عند الصراط

﴿ الضرب الرابع من البسيط وهو المجزو السالم ﴾

ياساحرا طرفه اذ يلحظ * وفاتنا لفظه اذ يلفظ
ياغصنا ينثنى من لينه * وجهك من كل عين يحفظ
أيقظ طرفى اذا ماقد بدا * من طرفه ناعس مستيقظ
ظبى له وجنة من رقة * بجرحها مقلتى اذ تلحظ

﴿ الضرب الخامس من البسيط وهو المقطوع ﴾

يامن دمى دونه مسفوك * وكل حر له مملوك
كانه فضة مسبوكة * أوذهب خالص مسبوك
ما أطيب العيش الا انه * عن عاذل كله متروك
والخير مسدودة أبوابه * ولا طريق له مسلوك

﴿ العروض المجزو المقطوع ضربه مثله ﴾

اليك يا غـــرة الهـــلال * وبدعة الحسن والجمال
مـــددت كفا بها انقباض * فاين كفى من الهلال
شكوت ما بى اليك وجدا * فـــلم ترق ولم تبال
اعاضك الله عن قريب * حالا من السقم مثل حالى

﴿ العروض الاول من الوافر ضربه مثله ﴾

بنفسى من مراشفه مدام * ومن لحظات مقلته سهام
ومن هـــوان بدا والبدر تم * خفى من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدي صدودا * فلا لفظ الى ولا ابتسام
تكلم ليس يوجعك الكلام * ولا يمحو محاسنك السلام

﴿ العروض الثانى من الوافر مجزو سالم ضربه مثله ﴾

سلبت الروح من بدنى * وروعت القلب بالحزن
فـــلى بـــدن بـــلا روح * ولى روح بلا بدن

قرنت مع الردى نفسى * فنفسى وهو فى قرن
فليت السحر من عينيـــك لم أره ولم يرنى

﴿ العروض الثالث من الوافر المجزو المعصوب ﴾

غزال من بنى العاص * أحس من بيت قناص
فاتلع جيده ذعرا * واشخص أى اشخاص
أيامن أخلصت نفسى * هواه كل اخلاص
أطاعك من صميم القلب عفوا كل معتاص

﴿ العروض الاول من الكامل التام ضربه مثله ﴾

فى الكلة الصفراء ريم أبيض * يشفى القلوب بمقلتيه ويمرض
لما غدا بين الحمول مقوضا * كاد الفؤاد عن الحياة يقوض
صد الكرى عن جفن عينك معرضا * لما رآه يصد عنك ويعرض
أديت من حبى اليك فريضة * ان كان حب الخلق مما يفرض

﴿ الضرب الثانى المقطوع ﴾

أومت اليك جفونها بوداع * خود بدت لك من وراء قناع
بيضاء أنماها النعيم بصفرة * فكأنها شمس بغير شعاع
أما الشباب فودعت أيامه * ووداعهن موكل بوداع
لله أيام الصبا لو انها * كرت علىّ بلذة وسماع

﴿ الضرب الثالث الاحذ المضمر ﴾

اصغى اليك بكاسه مصغ * صلت الجبين معقرب الصدغ
كاس تؤلف بالمحبة بيننا * طورا وتنزغ أيما نزغ
فى روضة درجة بزهرتها الصبا * والشمس فى درج من الفرغ
فاشرب بكف أغن عقرب صدغه * للقلب منك منية اللدغ

﴿ الضرب الرابع الاحذ الممنوع من الاضمار العروض الثانى ﴾

يادمية نصبت لمعتكف * بل ظبية أوفت على شرف
بل درة زهراء ماسكنت * بحرولا كنفت وراصداف

اسرفت فى قتلى بلا ترة ※ وسمعت قول الله في السرف
انى أتوب اليك معترفا ※ ان كنت تقبل توب معترف

﴿ الضرب الخامس الاحذ المضمر ﴾

يافتنة بعثت على الخلق ※ مابينها والموت من فرق
شمس بدت لك من مغاربها ※ يفتر مبسمها عن البرق
ماكنت احسب قبل رؤيتها ※ للشمس مطلعا سوى الشرق
يامن يضن بفضل نائله ※ لوفى يديه مفاتح الرزق

﴿ العروض الثالث له اربعة ضروب الضرب السادس المجزو المرفل ﴾

طلعت له والليل دامس ※ شمس تجلت فى حنادس
تختال فى لين المجا ※ سد بين حارسة وحارس
يامن لبهجة وجهه ※ يستاسر البطل الممارس
لم يبق من قبلى سوي ※ رسم تغير فهو دارس

﴿ الضرب السابع المجزو المذيل ﴾

دع قول واشية وواش ※ واجعلهما كلبي هراش
واشرب معتقة تسلسل فى العظام وفى المشاش

﴿ الضرب الثامن المجزو الصحيح ﴾ .

ألحاظ عيني تلتهى ※ في روض ورد يزدهي
رتعت بها وتنزهت ※ فيها ألذ تنزه ※
ياأيها الخنث الجفو ※ ن بنخوة وتكره ※
والمكتسى غنجا أما ※ ترثى لاشعت امره

﴿ الضرب التاسع المجزو المقطوع بسلامة الثانى ﴾

اطفت شرارة لهوي ※ ولوت بشدة عدوي
شعل علون مفارقي ※ ومضت ببهجة سروى
لما سلكت عروضها ※ ذهب الزحاف بجزوى
※ أيها الشادى صه ※ ليست بساعة شدو

﴿ الهزج له عروض واحد وضربان ﴾

ألا يادين قلبي للشـــباب الغض أذولى
جعلت العي سربال * وكان الرشد بي اولى
بنفسي جائر في الحكـــم يلفي جوره عدلا
ولدى الشهد في فيه * باحلى عنده من لا

﴿ الضرب الثاني المحذوف ﴾

هنا تفنى قوافى الشعـــر في هـذا الروى
قواف ألبست حليا * من الحسن البدي
تعالت عن جرير بل * زهـير بل عـدى



٢٠

كتاب الياقوتة الثانية

كتاب الياقوتة الثانية

﴿فى الالحان واختلاف الناس فيه﴾

قال ابو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه قد مضى قولنا فى اعاريض الشعر وعلل القوافى وفسرنا جميع ذلك بالمنظوم والمنثور ونحن قائلون بعون الله واذنه فى علم الالحان واختلاف الناس فيه ومن كرهه ولاي وجه كره ومن استحسنه ولاى وجه استحسن وكرهنا ان يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والامثال عطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس (قال) أبو سعيد بن مسلم قلت لابن دأب قد أخذت من كل شيء بطرف غير شيء واحد فلا ادرى ماصنعت فيه فقال لعلك تريد الغناء قلت أجل قال أما أنك لو شهدتني وانا اترنم بشعر كثير عزة حيث يقول

وما مر من يوم على كيومها ❊ وان عظمت أيام أخرى وجلت

لاسترخت تكتك قال قلت أتقول لى هذا قال أى والله و المهدى أمير المؤمنين كنت أقوله

١ — فصل الصوت الحسن — قال بعض أهل التفسير فى قول الله يزيد فى الخلق مايشاء هو الصوت الحسن (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود (وزعم) أهل الطب ان الصوت الحسن يسري فى الجسم ويجرى فى العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات ومن ذلك كرهو للطفل ان ينوم على أثر البكاء حتي يرقص ويطرب (وقالت) ليلى الاخيلية للحجاج حين سالها عن ولدها واعجبه مارأى من شبابه اني والله ماحملته سهوا ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلا ولا انمته تيقا يعني لم أنومه مستوحشا باكيا وقولها ماحملته سهوا تعني فى بقايا الحيض ويقال حملت المرأة وضعا وبضعا اذا

حملت فى استقبال الحيض وقولها ولا وضعته يتنا يعنى منكسا وقولها ولا ارضعته غيلا يعنى لبنا فاسدا (وزعمت) الفلاسفة ان النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه الروح ولذلك قال افلاطون لا ينبغي ان تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضا ألا ترى ان أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنموا بالالحان فاستراحت لها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الا انه ليس فى الارض لذة تكتسب من ماكل او ملبس او مشرب او نكاح أو صيد الا وفيه معاناة على البدن وتعب على الجوارح غيره لكفى وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرق القلب من قسوته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره (وكان) أبو يوسف القاضى ربما حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كانه يتذكر به نعيم الآخرة (وقال) احمد بن أبى داود ان كنت لاسمع الغناء من مخارق عند المعتصم فيقع على البكاء حتى ان البهائم لتحن الى الصوت الحسن وتعرف فضله (وقال) العتابي وذكر رجلا فقال والله ان جليسه لطيب عشرته لاطرب من الابل على الحداء والنحل على الغناء (وكان) صاحب الفلاحات يقول بان النحل أطرب الحيوان كله الى الغناء وان افراخها تستنزل بمثل الزجل والصوت الحسن (قال الراجز)

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

و بعد فهل خلق الله شيئا اوقع بالقلوب واشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لا سيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدنى

وهل على الارض رعديد مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير بن الخطفى

قل للجبان اذا تاخر سرجه * هل انت من شرك المنية ناجى

الا ثاب اليه روحه وقوى قلبه أم هل على الارض بخيل قد تفقعت اطرافه لؤما ثم غني بقول حاتم الطائي

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت اطرافه أم هل على الارض غريب نازح الدار بعيد المحل يغني بشعر على بن الجهم

يا وحشة للغريب فى البلد النـ ـازح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعده ولا انتفعا

يقول في نايه وغربتـه * عدلا من الله كل ماصنعا

الا انقطعت كبده حنينا الى وطنه وتشوقا الى سكنه

﴿ اختلاف الناس فى الغناء ﴾

اختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق * فمن حجة من أجازه ان اصله الذى أمر النبي صلى الله عليه وسلم به وحض عليه وندب اصحابه اليه وتجند به على المشركين فقال لحسان شن الغارة على بني عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام وهو ديوان العرب ومفيد أحكامها والشاهد على مكارمها وأكثر شعر حسان بن ثابت يغني به (قال) فرج بن سلام حدثني الرياشي عن الاصمعي قال شهد حسان بن ثابت مادبة لرجل من الانصار وقد كف بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فكلما قدم شيء من الطعام قال حسان لابنه عبد الرحمن أطعام يد أم طعام يدين فيقول له طعام يد حتي قدم الشواء فقال له هذا طعام يدين فقبض الشيخ يده فلما رفع الطعام اندفعت قينة تغني لهم بشعر حسان

انظر خليلى بباب جاق هل * تبصر دون البلقاء من أحد

جمال شعثاء اذ هبطن من المحـــش دون الكثبان فالسند

قال فجعل حسان يبكى وجعل عبد الرحمن يومىء الى القينة أن تردده قال الاصمعي فلا أدري ما الذى اعجب عبد الرحمن من بكاء أبيه (وقالت) عائشة رضى الله عنها علموا اولادكم الشعر تعذب السنتهم (واردف) النبي صلى الله عليه وسلم الشريد

فاستنشده من شعر امية فانشده مائة قافية وهو يقول هيه استحسانا لها فلما أعياهم القدح فى الشعر والقول فيه قالوا الشعر حسن ولا نرى ان يؤخذ بلحن حسن واجازوا ذلك فى القرآن وفى الاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقرآن والاذان احق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن واخراجه عن حد الخبر وما الفرق بين أن ينشد الرجل * أتعرف رسما كاطراد المذانب * مرسلا أو يرفع بها صوته مرتجلا وانما جعلت العرب الشعر موزونا لمد الصوت فيه والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور * واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني قالت لا قال أوما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول

اتيناكم اتيناكم * فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

(واحتجوا) بحديث عبد الله بن أويس ابن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهرى قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بجارية فى ظل قارع وهى تغني

هل علي ويحكم * ان لهوت من حرج

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا حرج ان شاء الله والذى لا ينكره أكثر الناس غناء النصب وهو غناء الركبان (حدث) عبد الله بن المبارك عن اسامة بن زيد عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال مر بنا عمر بن الخطاب وأنا وعاصم ابن عمر نغني غناء النصب فقال أعيدا على فاعدناعليه فقال أنتما كحمارى العبادى وقيل له أى حماريك شر قال ذا ثم ذا * وسمع أنس بن مالك أخاه البراء بن مالك يغني فقال ما هذا قال أبيات عربية انصبها نصبا * ومن حديث الجمانى عن حماد بن زيد عن سليمان بن يسار قال رأيت سعد بن أبي وقاص فى منزل بين مكة والمدينة قد ألقى له مصلى فاستلقى عليه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يتغني فقلت سبحان الله أبا اسحق أتفعل مثل هذا وأنت محرم فقال يا ابن أخى وهل تسمعنى أقول هجرا * ومن حديث المفضل عن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدى اسمعني بعض ماعفا الله لك عنه من غنائك فاسمعه كلمة له قال وانك

اغانيها قال نعم قال اطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب (عصم) عن ابن جريج قال سالت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء قال ومابأس ذلك يا ابن أخي (قال) وحدث عبيد بن عمير الليثي ان داود النبي عليه السلام كانت له معزفة يضرب بها اذا قرأ الزبور لتجتمع عليه الجن والانس والطير فيبكي ويبكي من حوله وأهل الكتاب يجدون هذا في كتبهم (ومن حجة من كره الغناء) ان قال انه يسعر القلوب و يستفز العقول ويستخف الحلم و يبعث على اللهو ويحض على الطرب وهي باطل في أصله وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأوا في التاويل انما نزلت هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا واعدل الوجوه في هذا ان يكون سبيله سبيل الشعر فحسنه حسن وقبيحه قبيح (وقد حدث) ابراهيم بن المنذر الخزاعي ان ابن جامع السهمي قدم مكة بمال كثير ففرقه في ضعفاء أهلها فقال سفيان بن عيينة بلغني ان هذا السهمي قدم بمال كثير قالوا نعم قال فعلام يعطى قالوا يغني الملوك فيعطونه قال وبأي شيء يغنيهم قالوا بالشعر قال فكيف يقول فقال له فتى من تلامذته يقول

أطوف بالبيت مع من يطوف * وأرفع من ميزرى المسبل

قال بارك الله عليه ما أحسن ما قال قال ثم ماذا قال

وأسجد بالليل حتى الصباح * وأتلو من المحكم المنزل

قال وأحسن ايضا احسن الله اليه ثم ماذا قال

عسى فارج الهم عن يوسف * يسخر لي ربة المحمل

قال أمسك أمسك افسد آخرا ما اصلح أولا ألا ترى سفيان بن عيينة رحمه الله حسن الحسن من قوله وقبح القبيح وكره الغناء قوم على طريق الزهد في الدنيا ولذاتها كما كره بعضهم الملاذ ولبس العباء وكره الحوارى واكل الكشكار وترك البر واكل الشعير لا على طريق التحريم فان ذلك وجه حسن ومذهب جميل فانما الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله يقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وقد يكون الرجل أيضا جاهلا بالغناء او متجاهلا

به فلا يامر به ولا ينكره (قال رجل) للحسن البصري ما تقول في الغناء يا أبا سعيد قال نعم العون الغناء على طاعة الله يصل الرجل به رحمه و يواسي به صديقه قال الرجل ليس عن هذا أسالك قال وعم سالتني قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني فجعل الرجل يلوى شدقيه و ينفخ منخريه قال الحسن والله يا ابن أخي ماظننت ان عاقلا يفعل هذا بنفسه أبدا وانما أنكر عليه الحسن تشويه وجهه وتعويج فمه وان كان أنكر الغناء فانما هو من طريق أهل العراق وقد ذكرنا أنهم يكرهونه (قال) اسحق بن عمار حدثني أبو المفلس عن أبي الحرث قال اختلف في الغناء عند محمد بن ابراهيم والى مكة فارسل الى ابن جريج والى عمرو بن عبيد فاتياه فسالهما فقال ابن جريج لا باس به شهدت عطاء بن أبي رباح في ختان ولده وعنده ابن سريج المغني فكان اذا غني لم يقل له اسكت واذا سكت لم يقل له غن واذا لحن رد عليه وقال عمرو بن عبيد أليس الله يقول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فايهما يكتب الغناء الذي عن اليمين أو الذى عن الشمال فقال ابن جريج لا يكتبه واحد منهما لانه لغو كحديث الناس فيما بينهم من أخبار جاهليتهم وتناشد أشعارهم (قال اسحق) وحدثني ابراهيم بن سعد الزهرى قال قال لى ابو يوسف القاضى ما أعجب امركم يا اهل المدينة في هذه الاغانى ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها قال فغضبت وقلت قاتلكم الله يا اهل العراق ما اوضح جهلكم وابعد من السداد رأيكم متي رأيت أحدا سمع الغناء فظهر منه ما يظهر من سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المسكر فيترك احدهم صلاته و يطلق امرأته و يقذف المحصنة من جاراته و يكفر بربه فاين هذا من هذا من اختار شعرا جيدا ثم اختار جرما حسنا فردده عليه فاطربه وأبهجه فعفا عن الجرائم واعطى الرغائب فقال أبو يوسف قطعتني ولم يحر جوابا (قال اسحق) وحدثني ابراهيم بن سعد الزهري قال لى الرشيد من بالمدينة ممن يحرم الغناء قال قلت من أمتعه الله خزيته قال بلغني ان مالك بن انس يحرمه قلت يا أمير المؤمنين أولمالك ان يحرم و يحلل والله ما كان ذلك لابن عمك محمد صلي الله عليه وسلم الا بوحي من ربه فمن جعل هذا لمالك فشهادتى على أبي انه سمع مالكا فى عرس ابن حنظلة الغسيل يتغنى

سليمى أزمعت بينا * فاين بوصلها اينا

ولو سمعت مالكا يحرمه و يدى تناله لاحسنت أدبه قال فتبسم الرشيد (وعن أبي شعيب) الحراني عن جعفر بن صالح بن كيسان عن أبيه قال كان عبد الله بن عمر يحب عبد الله بن جعفر

(٢) قال وما تظن به يا أبا عبد الرحمن فان أصاب ظنك فلك الجارية قال ما أراني الا قد أخذتها هذا ميزان رومي فضحك ابن جعفر وقال صدقت هذا ميزان يوزن به الكلام والجارية لك ثم قال هات فغنت

أيا شوقا الى البلد الامين * وحي بين زمزم والحجون

ثم قال هل تري بأسا قال غير هذا قال لا قال فما أري بهذا باسا (وسمع) عبد الله بن عمر ابن محرز يغني

لو بدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو
لعرفت مغناها بما احتملت * مني الضلوع لاهلها قبل

فقال عبد الله بن عمر قل ان شاء الله قال يفسد المعني قال لا خير في كل معني يفسده ان شاء الله (حدث) محمد بن زكريا العلاقى بالبصرة قال حدثني ابن الشرقي عن الاصمعي قال سمع عمر ابن عبد العزيز راكبا يغني في سفره

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم احفل متى قام عودى
فمنهن سبق الغازلات بشربة * كميت متى ماتغسل بالماء تزبد
وكرى اذا نادي المضاف محنبا * كسيد الغضا في الطخية المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف الممدد

فقال عمر بن عبد العزيز وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عودى لولا أن أنفر في السرية واقسم في بالسوية واعدل في القضية (وقال) جرير المدني مررت بالاسلمي العابد وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فاوما الى وأشار بالجلوس فجلست فلما سلم أخذ بيدى وأشار الى حلقي وقال كيف هو قلت أحسن ما كان قط قال اما والله لوددت أنه خلالى وجهك وانك اسمعتني

يالقومي بحبلك المصروم * يوم شطوا وأنت غير ملوم
اصبح الربع من امامة قفرا * غير مغني معازف ورسوم

---

(٢) قوله كان عبد الله بن عمر يحب عبد الله بن جعفر الخ هكذا في جميع النسخ التي بايدينا ولعله سقط منها فدخل عليه فوجد عنده جارية معها عود فقال ما هذا فقال ابن جعفر ماتظن به الخ أو نحو ذلك اه

قلت اذا شئت قال في غير هذا الوقت ان شاء الله (وحدث) ابو عبد الله المروزي بمكة في المسجد الحرام قال حدثنا حسان وسويد صاحبا ابن المبارك قالا لما خرج ابن المبارك الى الشام مرابطا خرجنا معه فلما نظر القوم الى ما فيه من النفير والغزو والسرايا في كل يوم التفت الينا فقال انا لله وانا اليه راجعون على أعمار أفنيناها وأيام وليال قد قطعناها في علم الشعر وتركنا ههنا ابواب الجنة مفتوحة قال فبينما هو يمشي ونحن معه في أزقة المصيصة اذا نحن بسكران قد رفع صوته يغني

أذلني الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى اهوى سبيل

فاخرج برنامجا من كمه فكتب البيت فقلنا له اتكتب بيت شعر سمعته من سكران قال أما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة (قال) وولى الاوقص المخزومي قضاء مكة فما رؤى مثله في العفاف والنبل فبينما هو نائم ذات ليلة في علية له اذ مر به سكران يتغني ويلحن في غنائه فاشرف المخزومي عليه فقال ياهذا اشربت حراما وأيقظت نياما وغنيت خطا خذه عني فاصلحه عليه (قال) الاوقص المخزومي قالت لى امي أى بني انك خلقت في صورة لا تصلح معها لجامعة الفتيان في بيوت القيان فعليك بالدين فان الله يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعني الله بقولها (وحدث) عباس بن المفضل قاضي المدينة قال حدثني الزبير بن بكار قاضي مكة عن مصعب بن عبد الله قال دخل الشعبي علي بشر بن مروان وهو والى العراق لاخيه عبد الملك بن مروان وعنده جارية في حجرها عود فلما دخل الشعبي أمرها فوضعت العود فقال له الشعبي لا ينبغي للامير ان يستحي من عبده قال صدقت ثم قال للجارية هاتي ما عندك فاخذت العود وغنت

ومما شجاني انها يوم ودعت * تولت وماء العين في الجفن حائر

فلما أعادت من بعيد بنظرة * الىّ التفاتا أسلمته المحاجر

فقال الشعبي الصغير اكيسهما يريد الزير ثم قال ياهذه ارخى من بمك وشدى من زيرك فقال له بشر وما علمك قال أظن العمل فيهما قال صدقت ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه (وحدث) عن ابي عبد الله البصري قال غني رجل في المسجد الحرام وهو مستلق على قفاه صوتا ورجل من قريش يصلى في جواره فسمعه خدام المسجد فقال ياعدو الله تغني في المسجد الحرام ورفعوه الى صاحب الشرطة فتجوز القرشي في صلاته ثم سلم واتبعه فقال لصاحب الشرطة كذبوا

عليه أصلحك الله انما كان يقرأ فقال يافساق اتاتوني برجل قرأ القرآن تزعمون انه غني خلوا سبيله فلما خلوه قال له القرشي والله لولا أنك أحسنت وأجدت ماشهدت لك اذهب راشدا (وكان) لابي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان ابو حنيفة يحيي الليل بالقيام ويحييه جاره الكيال بالشراب ويغني على شرابه

اضاعوني وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فاخذه العسس ليلة فوقع في الحبس وفقد ابو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس فهو في الحبس فلما اصبح أبو حنيفة وضع الطويلة على رأسه وخرج حتي أتى باب عيسى بن موسى فاستاذن عليه فاسرع في أذنه وكان أبو حنيفة قليلا مايأتي الملوك فاقبل عليه عيسى بوجهه وقال أمر ماجاء بك أبا حنيفة قال نعم أصلح الله الامير جارلي من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسك فامر عيسى باطلاق كل من أخذ في تلك الليلة اكراما لابي حنيفة فاقبل الكيال على ابي حنيفة متشكراله فلما رآه ابو حنيفة قال أضعناك يافتى يعرض له بقصيدته قال لا والله ولكنك بررت وحفظت (الاصمعى) قال قدم عراقى بعدل من خمر العراق الى المدينة فباعها كلها الا السود فشكا ذلك الى الدارمي وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد فقال ماتجعل لى على ان احتال لك بحيلة حتي تبيعها كلها على حكمك قال ماشئت قال فعمد الدارمى الى ثياب نسكه فالقاها عنه وعاد الى مثل شانه الاول وقال شعرا ورفعه الى صديق له من المغنين فغنى به وكان الشعر

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه * حتى خطرت له بباب المسجد

ردى عليه صلاته وصيامه * لاتقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا قد رجع الدارمي وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق مليحة بالمدينة الا اشترت خمارا أسود وباع التاجر جميع ماكان معه فجعل اخوان الدارمى من النساك يلقون الدارمي فيقولون ماذا صنعت فيقول ستعلمون نباه بعد حين فلما انفذ العراقي ما كان معه رجع الدارمى الى نسكه ولبس ثيابه (وحدث) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ببغداد قال حدثني سهل عن الاصمعى قال كان عروة بن أذينة يعد ثقة ثبتا في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا لبقا في شعره غزلا وكان يصوغ الالحان والغناء على شعره في حداثته وينحلها

المغنيين فمن ذلك قوله وغنى به الحجازيون

يا ديار الحي بالاجمه * لم يبين رسمها كلمه

وهو موضع صوته ومنه قوله

قالت وأبثثتها وجدي وبحت به * قد كنت عندي تحت الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطي هواك وما ألقى على بصري

قال فوقفت عليه امرأة وحوله التلامذه فقال أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت القائل

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

لا والله ما قال هذا رجل صالح قط (قال) وكان عبد الله الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة وانه مر يوما بسلامة وهي تغني فقام يستمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل فتسمع فابى فلم يزل به حتى دخل فقال له اوقفك في موضع بحيث تراها ولا تراك فغنته فاعجبته فقال له مولاها هل لك في أن أحولها اليك فابى ذلك عليه فلم يزل به حتى أجابه فلم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها ولما شعرت للحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن يبرحا

لم يعملا خفا ولا حافرا * ولا لسانا بالهوى مفصحا

حتى استقلا بجوا بيهما * بالطائر الميمون قد انجحا

الطرف والطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فاغمى عليه وكاد أن يهلك فقالت له يوما والله اني أحبك قال لها وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت الله تعالى يقول الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقه التي كان عليها وأنشا يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تاتى به الايام
فاليوم اعذرهم واعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

﴿ وله فيها ﴾

ان سلامة التي * أفقدتني تجلدي
لو تراها وعودها * حين يبدو وتبتدي
للجريربن والغريض وللقرم معبد
خلتهم بين عودها * والدساتين واليد

١ — أخبار عبدالله بن جعفر — حدث سعيد بن محمد العجلى بعمان قال حدثنى نصر بن على عن الاصمعى قال كان معاوية يعيب على عبدالله بن جعفر سماع الغناء فاقبل معاوية عاما من ذلك حاجا فنزل المدينة فمر ليلة بدار عبدالله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول استغفر الله استغفر الله فلما انصرف من آخر الليل مر بداره أيضا فاذا عبدالله قائم يصلى فوقف يستمع قراءته فقال الحمد لله ثم نهض وهو يقول خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعدله طعاما ودعاه الى منزله وأحضر ابن صياد المغنى ثم تقدم اليه يقول اذا رأيت معاوية واضعا يده فى الطعام فحرك اوتارك وغن فلما وضع معاوية يده فى الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغني بشعر عدى بن زيد وكان معاوية يعجب به

يالبيني أوقدي النارا * ان من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها * تقضم الهندى والغارا
ولها ظبي يؤججها * عاقد فى الخصر زنارا

قال فاعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الارض طربا فقال له عبدالله بن جعفر ياأمير المؤمنين انما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الالحان فهل ترى به باسا قال لاباس بحكمة الشعر مع حكمة الالحان (قال) وقدم عبدالله بن جعفر على معاوية بالشام فانزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه و ره ما كان يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوجة معاوية فسمعت ذات ليلة

غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع مافى منزل هذا الذي جعلته بين لحمك ودمك وأنزلته فى دار حرمك فجاء معاوية فسمع شيا حركه وأطربه وقال والله اني لاسمع شيا تكادالجبال تخر له وما أظنه الا من تلقية الجن ثم انصرف فلما كان من آخر الليل سمع معاوية قراءة عبدالله وهو قائم يصلى فانبه فاختة وقال لها اسمعي مكان مااسمعتني هؤلاء قومى الملوك بالنهار رهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه خديج اذهب فانظر من عند عبدالله واخبره بخروجي اليه فذهب فاخبره فاقام كل من كان عنده ثم جاء معاوية فلم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال مجلس فلان قال معاوية مره يرجع الى مجلسه ثم قال مجلس من هذا قال مجلس فلان قال مره يرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل فقال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين قال له معاوية فان اذنى عليلة فمره فايرجع الى موضعه وكان موضع بديح المغنى فامره ابن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داوأذنى من علتها فتناول العود ثم غنى

أمن أم أوفي دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم

فحرك عبدالله بن جعفر رأسه فقال معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال اريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لاقيت عندها لاابليت ولئن سئلت عندها لاعطيت وكان معاوية قد خضب فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكانت عند معاوية جارية أعزجواريه عنده كانت متولية خضابه فغناه بديح

أليس عندك شكر للتي جعلت * ماابيض من قادمات الشعر كالحمم
وجددت منك ماقدكان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال ابن جعفر ياأمير المؤمنين سالتني عن تحريك رأسى فاخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال معاوية كل كريم طروب ثم قام وقال لايبرح أحد منكم حتى يأتيه اذنى فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاص ثيابه والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة اثواب (وعن ابن الكلبي) والهيثم بن عدى قالا بينا عبد الله ابن جعفر في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغي اليه فاذا بصوت شجى رقيق لقينه تغني

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اليه اجلالا ورفعوا مجلسه ثم أقبل عليه صاحب المنزل فقال يا ابن عم رسول الله دخلت منزلنا بلا اذن وما كنت لهذا بخليق فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن اذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام ببابنا يلجوا فولجنا فان كنا كراما فقد اذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فضحك صاحب المنزل وقال صدقت جعلت فداك ما أنت الا من أكرم الا كرمين ثم بعث عبدالله الى جارية من جواريه فقال لها غنى فغنت فطرب القوم وطرب عبدالله فدعا بثياب وطيب فكسا القوم وصاحب المنزل وطيبهم ووهب له الجارية وقال له هذه أحذق بالغناء من جاريتك

٢ — أخبار ابن أبي عتيق — ذكر رجل من أهل المدينة ان ابن أبي عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق دخل على عائشة أم المؤمنين وهي عمته فوضع رأسه في حجرها أو على ركبتها ثم رفع عقيرته يتغني

ومقير حجل جررت برجله * بعد الهدوله قوائم أربع

فاطرب زمان اللهو من زمن الصبا * وانزع اذا قالوا ابي لا ينزع

فليأتين عليك يوما مرة * يبكى عليك مقنعا لا تسمع

قالت له عائشه يا بني فاتق ذلك اليوم (حدث) أبو عبد الله محمد بن عرفة بواسط قال حدثني أحمد بن يحيي عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عباس السعدى عن السائب راوية كثير قال قال لى كثير يوما قم بنا الى ابن أبي عتيق نتحدث عنده قال فجئناه فوجدنا عنده ابن معاذ المغني فلما رأى كثيرا قال لابن أبي عتيق ألا أغنيك بشعر كثير فاندفع يغني بشعره حيث يقول

أبائنة سعدي نعم ستبين * كما أنبت من حبل القرين قرين

أإن ذم اجمال وفارق جيرة * وصاح غراب البين أنت حزين

فاخلفن ميعادى وخن أمانتى * وليس لمن خان الامانة دين

فالتفت ابن أبي عتيق الى كثير وللذين صحبتهن يا ابن أبي جمعة ذاك والله أشبه بهن وادعى للقلوب اليهن وانما يوصفن بالبخل والامتناع وليس بالامانة والوفاء

وابن قيس الرقيات أشعر منك حيث يقول

حبذا الادلال والغنج * والتى فى طرفها دعج
والتي ارحدثت كذبت * والتي فى ثغرها فلج
خبرونى هل على رجل * عاشق فى قبلة حرج

فقال كثير قم بنامن عند هذا ثم نهض (وقال) عبد الله بن جعفر لا بن أبي عتيق لوغنتك فلانة جاريتي صوتا ما أدركتك ذكاتك قال ابن أبي عتيق قل لها تفعل وليس عليك ان مت ضمان فاخذ بيده عبد الله بن جعفر وأدخله منزله ثم أمر الجارية فخرجت وقال لها هات فغنت

بهواك صيرنى العذول نكالا * وجد السبيل الى المقال فقالا
ونهيت نومي عن جفوني فانتهى * وأمرت ليلي ان يطول فطالا

قال فرمى بنفسه ابن أبي عتيق الى الارض وقال فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر (أبو القاسم) جعفر بن محمد قال لما وصف عبد الله بن جعفر لعبد الملك بن مروان بن أبي عتيق وحدثه عن اقلاله وكثرة عياله فامره عبد الملك بن مروان أن يبعث به اليه فاتاه ابن جعفر فاعلمه ابن جعفر بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه اليه فدخل ابن أبي عتيق على عبد الملك فوجده جالسا بين جاريتين قائمتين عليه يميسان كغصني بان بيد كل جارية مروحة تروح بها عليه مكتوب بالذهب فى المروحة الواحدة

انني أجلب الريا * ح وبي يلعب الحجل
وحجاب اذا الحبيب * ثني الرأس للقبل
وغياث اذا الديـ * ـم تغنى أو ارتجل

﴿ وفى المروحة الاخرى ﴾

أنا في الكف لطيفه * مسكني قصر الخليفه
أنا لا أصلح الا * لظريف أو ظريفة
أو وصيف حسن القد * شبيه بالوصيفه

قال ابن أبي عتيق فلما نظرت الى الجاريتين هونتا الدنيا عليّ وأنساني سوء حالى

قلت ان كانتا من الانس فما نساؤنا الا من البهائم فكلما كررت بصري فيهما تذكرت الجنة فاذا تذكرت امرأتي وكنت لها محبا تذكرت النار قال فبدأ عبد الملك يتوجع الى بما حكي له ابن جعفر عني ويخبرني بمالي عنده من جميل الرأي فاكذبت له كل ما حكاه له ابن جعفر عني ووصفت له نفسي بغاية الملا والجدة فامتلأ عبد الملك سرور بما ذكرت له وغما بتكذيب ابن جعفر فلما عاد اليه ابن جعفر عاتبه عبد الملك على ما حكاه عني وأخبره بما حليت به نفسي فقال كذب والله يا أمير المؤمنين وانه أحوج اهل الحجاز الى قليل فضلك فضلا عن كثيره ثم خرج عبد الله فلقيني فقال ما حملك ان كذبتني عند أمير المؤمنين قلت أفكنت تراني تجلسني بين شمس وقمر ثم أنفاقر عنده لا والله ما رأيت ذلك لنفسي وان رأيته الى فانما اعلم بذلك عبد الله بن جعفر عبد الملك بن مروان قال فالجاريتان له قال فلما صارتا الى زرت عبد الله بن جعفر فوجدته قد امتلأ فرحا وهو يشرب وبين يديه عس فيه عسل ممزوج بمسك وكافور فقال مهيم قلت قد والله قبضت الجاريتين قال فاشتنا ولت العس فجرعت فرب منه جرعة فقال لي زد فابيت عليه فقال لجارية له عنده تغنيه ان هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين فخذي في نعتهما فانهما كما فلكت صدورهما فحركت الجارية العود ثم غنت

عهدي بها في جد الحي قردت ✲ صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الثدي على نحرها ✲ في مشرق ذي بهجة ناضر
لو أسندت ميتا الى صدرها ✲ قام ولم ينقــل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا ✲ ياعجبــا للميت الناشر

قال فلما سمعت الابيات طربت ثم تناولت العس فشربت عللا بعد نهل ورفعت عقيرتي أغني

سقــوني وقالوا لا تغني ولو سقــوا ✲ جبال حنين ماسقوني لغنت

(قال) وخرج ابو السائب وابن أبي عتيق يوما يتنزهان في بعض نواحي مكة فمال ابو السائب ليبول وعليه طويلة فانصرف دونها فقال له ابن أبي عتيق مافعلت طويلتك قال ذكرت قول كثير

أري الازار على لبنى فاحسده ✲ ان الازار على ماضم محسود

فتصدقت بها على الشيطان الذى اجرى هذا البيت على لسانه فاخذ ابن أبي عتيق طو لمنه فرمى بها وقال أتسبقني أنت الى بر الشيطان (سمع) سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد على ماتغنيت به فغني واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كانها والله جرجرة الفحل فى الشول وما أحسب أنثي تسمع هذا الاصبت وأمر به فخصي * وقالوا ان الفرزدق قدم المدينة فنزل على الاحوص ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الافلح صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى حمت لحمه الدبر فقال الاحوص ألا اسمعك غناء قال تغن فغناه

أتنسى اذ تودعنا سليمي * بعود بشامة سقى البشام
بنفسي من تجنيه عزيز * على ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لاأراه * ويطرقني اذا هجع النيام

فقال للفرزدق لمن هذا الشعر قال لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك مايزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن ذا الشعر فقال لجرير ثم غناه

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى * شيا ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من يمل حديثه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا الشعر فقال لجرير فقال مااحوجه مع عفافه الى خنوثة شعري وما احوجني مع فسوقي الى رقة شعره (وقال) جرير والله لولا ماشغلت به من هذه الكلاب لشببت تشبيبا تحن منه العجوز الى أيام شبابها حنين الجمل الى عطنه (وقال) الاحوص يوما لمعبد امض بنا الى عقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فالفيا على بابها معاذا الانصارى وابن صياد فاستأذنوا عليها فاذنت لهم الا الاحوص فانها قالت نحن على الاحوص غضاب فانصرف الاحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم بها وقال

ضنت عقيلة عنك اليوم بالزاد * وآثرت حاجة الثاوى على الغادى
قولا لمنزلها حييت من طلل * وللعقيق ألا حييت من واد

اذا وهبت نصيبي من مودتها * لمعبد ومعاذوا بن صياد

(وجعل) رجل يترنم فى مسجد المدينة ورجل من قريش يسمع فاخذه بعض القومة فقالوا ياعدو الله أتغني فى المسجد الحرام وذهبوا به الى صاحب الحكم واتبعهم القرشي فقال لصاحب الحكم اصلحك الله انما كان يقرأ فاطلق سبيله فقال له القرشي والله لولا انك أحسنت في غنائك وأقمت دارات معبد لكنت عليك اشد من الاعوان والصوت المنسوب الى دارات معبد قول اعشى بكر

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم انت للبين واجم

ويروى ان معبدا دخل على قتيبة بن مسلم والى خراسان وقد فتح خمس مدائن فجعل يفخر بها عند جلسائه فقال له معبد والله لقد صغت بعدك خمسة أصوات انها لاكثر من الخمس مدائن التى فتحت والاصوات

﴿ الاول ﴾

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا ايها الرجل

﴿ والثانى ﴾

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم أنت للبين واجم

﴿ والثالث ﴾

ودع لبانة قبل ان تترحلا * واسبل فان سبيلة ان يسبلا

﴿ والرابع ﴾

لعمري لئن شطت بغمنة دارها * لقد كدت من وشك الفراق أبيح

﴿ والخامس ﴾

تفذي الشهباء نحو ابن جعفر * سواء عليها ليلها ونهارها

٣ — أصل الغناء ومعدنه — قال أبو المنذر بن هشام بن الكلبي الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب فغناء الركبان والقينات واما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات واما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يثير القلوب ويهيج الحليم وانما كان أصل الغناء معدنه فى أمهات القرى من بلاد العرب ظاهرا فاشيا وهي المدينة والطائف وخيبر ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع اسواق العرب (وقيل)

ان اول من صنع العود لامك بن قابيل بن آدم وبكى به على ولده (ويقال) ان صانعه بطليموس صاحب الموسيكي وهو كتاب اللحون الثمانية وكان أول من غني في العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان (ومن غنائهما)

ألا ياقيل ويحك قم فهينم ٭ لعل الله يصبحنا غماما

وانما غنتا بهذا حين حبس عنهما المطر وكانت العرب تسمي القينة الكرنية والعود الكران والمزهر أيضا هو العود وهو البربط وكان أول من غني في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو علم بن سريج والدلال ونؤمة الضحى وكان يكني اباعبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غني به في الاسلام

قد براني الشوق حتى ٭ كدت من شوقي اذوب

٤ — أخبار المغنيين — أولهم طويس وكان في أيام عثمان رضى الله عنه (حدثنا) جعفر بن محمد قال لما ولي ابان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية بن ابي سفيان قعد في بهوله عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغني وقد خضب يديه غمسا واشتمل على دف له وعليه ملاءة مصقولة فسلم ثم قال بابي وأمي ياأبان الحمد لله الذي أرانيك أميرا على المدينة اني نذرت لله فيك نذرا ان رأيتك أن أخضب يدى غمسا واشتمل على دفي وآتي مجلس امارتك واغنيك صوتا قال فقال ياطويس ليس هذا موضع ذاك قال بابي أنت وأمي يا ابن الطيب أبحني قال هات ياطويس فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين وغني

مابال اهلك ياربا ب ٭ حذرا كأنهم غضاب

قال فصفق ابان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبل بين عينيه وقال يلومونني على طويس ثم قال له من أسن انا أو أنت قال وعيشك لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى أبيك الطيب انظر الى حذقه ورقة أدبه كيف لم يقل أمك الطيبة الى أبيك المبارك (وعن الكلبي) قال خرج عمر بن عبد العزيز الى الحج وهو والي المدينة وخرج الناس معه وكان فيمن خرج بكر بن اسمعيل الانصاري وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فلما انصرفا راجعين مرا بطويس المغنى فدعاهما الى النزول عنده فقال بكر بن اسمعيل قد البعير الى منزلك فقال له سعيد بن عبد الرحمن أتنزل على هذا المخنث فقال انما

هو منزل ساعة ثم نذهب فاحتمل طويس الكلام عن سعيد فاتيا منزله فاذا هو قد نظفه ونجده فاتاهما بفاكهة الشام فوضعها بين أيديهما فقال له بكر بن اسمعيل ما بقي منك يا طويس قال بقي كلي يا أبا عمرو قال أفلا تسمعنا من بقاياك قال نعم ثم دخل خيمته فاخرج خريطة واخرج منها دفا ثم نقر وغنى

ياخليلي نابني سهدي * لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل * مؤنس تلتذه كبدي
مثل ضوء البدر صورته * ليس بالزميلة النكد
من بني آل المغيرة لا * خامل نكس ولا جحد
نظرت عيني فلا نظرت * بعده عيني الى أحد

ثم ضرب بالدف الارض والتفت الى سعيد بن عبد الرحمن فقال يا أبا عثمان أتدرى من قائل هذا الشعر قال لا قال قالته خولة ابنة ثابت عمتك فى عمارة بن الوليد بن المغيرة ونهض فقال له بكر لولم تقل له ماقلته لم يسمعك ما اسمعك وبلغت القصة عمر بن عبد العزيز فارسل اليهما فسالهما فاخبراه فقال واحدة باخرى والبادى أظلم (الاصمعي) قال حدثني رجل من أهل المدينة قال كان طويس يتغني فى عرس رجل من الانصار فدخل النعمان بن بشير العرس وطويس يتغنى

أجد بعمرة غنيانها * فتهجر أم شاننا شانها
وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

فقيل له اسكت لان عمرة ام النعمان بن بشير فقال النعمان انه لم يقل باسا انما قال

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

وكان مع طويس بالمدينة ابن سريج والدلال ونومة الضحى ومنه تعلموا ثم نجم بعد هؤلاء سلم الخاسر وكان فى صحبة عبد الله بن عبد الله بن جعفر وعنه أخذ معبد الغناء ثم كان ابن ابى السمح الطائى وكان يتيما فى حجر عبد الله بن جعفر وأخذ الغناء عن معبد وكان لا يضرب بعود انما يغني مرتجلا فاذا غنى لمعبد صوتا حققه ويقول قال الشاعر فلان ومططه معبد وخففته أنا ومن غنائه

نام صبحي ولم أنم * بنا لخيال ألم

ان فى القصر غادة * كحلت مقلتي بدم

وكان معبد والغريض بمكة ولمعبد أكثر الصناعة الثقيلة (ولما) قدمت سكينة ابنة الحسين عليهما السلام مكة أتاها الغريض ومعبد فغنياها

عوجى علينا ربة الهودج * انك الا تفعلى تحرجي

قالت والله ما لكما مثل الا الجدي الحار والبارد لا ندري أيهما أطيب (قال) اسحق ابن ابراهيم شهد الغريض ختانا لبعض أهله فقال له بعض القوم غن فقال هو ابن الزانية ان غنى قال له مولاه فانت والله ابن الزانية نغن قال أكذلك أبا عبدل قال أنت أعلم فغنى

وما أنس م الاشياء لا أنس شادنا * بمكة مكحولا اسيلا مدامعه

تشرب لون الرازقى بياضه * وبالزعفران خالط المسك رادعه

فلوت الجن عنقه فمات (وقال غير اسحق بل غنى)

أمن مكتومة الطلل * يلوح كانه خلل

لقد نزلوا قريبا منك لو نفعوك اذ نزلوا

تحاولنى لتقتلني * وليس بعينها حول

ثم نجم ابن طنبورة وأصله من اليمن وكان اهزج الناس واخفهم غناء (ومن غنائه)

وفتيان على شرف جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

كاني لم اصد فيهم ببازى * ولم أطعم بعرصتهم صقوري

فلا تشرب بلا لهو فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

(ويقال) انه حضر مجلسا لرجل من الاشراف الى ان دخل عليهم صاحب المدينة فقيل له غن فغنى

و يلي من الحبيبه * و يل ليه و يل ليه

قد عشش الحية فى * بيدتيه بيدتيه

فضحك صاحب المنزل ووصله (ومنهم) حكم الوادى وكان فى صحبة الوليد بن يزيد ويغني بشعره ومن غنائه

خف من دار جيرتي * يا ابن داود انسها

قددنا الصبح او بدا * وهي لم تقض لبسها
فتى تخرج العرو * س لقد طال حبسها
خرجت بين نسوة * أكرم الجنس جنسها

(وكان) بالشام أيام الوليد بن يزيد مغن يقال له العزيز ويكنى أبا كاهل وفيه يقول الوليد بن يزيد

من مبلغ عنى أبا كاهل * اني اذا ما غاب كاهابل

(ومن غنائه)

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر * فاذا مالم نذقها لم نعش

(وكان) لهرون الرشيد جماعة من المغنيين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى ومخارق وطبقة أخرى دونهم منهم زلزل وعمرو الغزال وعلوية وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع احلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ماتقول فى ابن جامع فقال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال هو بستان فيه جميع الثمار والرياحين قال فعمرو الغزال قال هو حسن الوجه يا أمير المؤمنين (قال) اسحق قلت ليوسف من أحسن الناس غناء قال ابن محرز قلت وكيف ذلك قال ان شئت اجملت وان شئت فصلت قلت اجمل قال كان يغني كل انسان بما يشتهى كانه خلق من قلب كل انسان (وكان) ابراهيم أول من وقع الايقاع بالقضيب (وحدث) يحيى بن محمد قال بينا نحن على باب الرشيد ننتظر الاذن اذ خرج الآذن فقال لنا أمير المؤمنين يقرئكم السلام قال فانصرفنا فقال لنا ابراهيم تصيرون الى منزلى قال فانصرفنا معه قال فدخلت دارا لم أر أشرف منها ولا اوسع واذا أنا بافرشة خز مظهرة بالسنجاب قال فقعدنا ثم دعا بقدح كبير فيه نبيذ وقال

اسقني بالكبير انى كبير * انما يشرب الصغير صغير

(ثم قال)

اسقني قهوة بكوب كبير * ودع الماء كله للحمير

ثم شرب به وأمر به فملىء وقال لنا ان الخيل لاتشرب الا بالصفير ثم امر بجوار فاحطن

بالدار فما شبهت اصواتهن الا باصوات طير فى أجمة يتجاوبن (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى لما أفضت الخلافة الى المأمون أقام عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء ثم كان أول من تغني بحضرته أبو عيسى ثم واظب علي السماع وسأل عني فجرحني عنده بعض من حسدني فقال ذلك رجل يتيه على الخلافة فقال المأمون ما أبقي هذا من التيه شيأ وأمسك عن ذكري وجفاني كل من كان يصلني لما ظهر من سوء رأيه فاضر ذلك بى حتى جاءنى يوما علوية فقال لى أتأذن لى اليوم فى ذكرك فانى اليوم عنده فقلت لا ولكن غنه بهذا الشعر فانه سيبعثه على ان يسألك من أين هذا فينفتح لك ما يريد ويكون الجواب أسهل عليك من الابتداء فمضي علوية فلما استقر به المجلس غناه الشعر الذي امرته به (وهو)

يا مشرع الماء قد سدت مسالكه * أما اليك سبيل غير مسدود
لحائم حار حتى لا حياة به * مشرد عن طريق الماء مطرود

فلما سمعه المأمون قال ويلك لمن هذا قال ياسيدى لعبد من عبيدك جفوته واطرحته قال اسحق قلت نعم قال ليحضر الساعة قال اسحق فجاءني الرسول فسرت به فلما دخلت قال ادن فدنوت فرفع يديه مادهما فاتكأت عليه فاحتضنني بيديه وأظهر من اكرامى وبري ما لو اظهره صديق لى مواس لسرنى (قال) وحدثنى يوسف ابن عمر المدنى قال حدثني الحرث بن عبيد الله قال سمعت اسحق الموصلي يقول حضر مسامرة الرشيد ليلة عثعث المغنى وكان فصيحا متادبا وكان مع ذلك علي الشعر بصوت حسن فتذاكروا رقة شعر المدنيين فانشد بعض جلسائه أبياتا لابن الدمنية حيث يقول

واذكر أيام الحمى ثم انثني * على كبدى من خشية ان تصدعا
وليس عشيات الحمي جراوبع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فعجب الرشيد برقة الابيات فقال له عثعث يا أمير المؤمنين ان هذا الشعر مدنى رقيق قد غذى بماء العقيق حتي رق وصفا فصار أصفى من الهوى ولكن ان شاء أمير المؤمنين انشدته ماهو أرق من هذا واحلى وأصلب واقوى لرجل من أهل البادية قال فانى اشاء قال وأترنم به يا أمير المؤمنين قال وذلك لك نغني لجرير

ان الذين غدوا ابلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى ✻ ماذا لقيت من الهوى ولقينا
راحوا العشية روحة مذكورة ✻ ان حرن حرنا أو هدين هدينا
فرموا بهن سواهما عرض الفلا ✻ ان متن متنا او حيين حيينا

قال صدقت ياعبثر وخلع عليه وأجازه (وكان) لابراهيم الموصلى عبد أسود يقال له زرياب وكان مطبوعا على الغناء علمه ابراهيم وكان ربما حضر به مجلس الرشيد يغني فيه ثم انه انتقل الى القيروان الى بني الاغلب فدخل على زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب فغناه بابيات عنترة الفوارس حيث يقول

فان تك أمى غرابية ✻ من أبناء حام بها عبتني
فانى لطيف ببيض الظبا ✻ وسمر العوالى اذا جئتني
ولولا فرارك يوم الوغى ✻ لقدتك فى الحرب او قدتني

فغضب زيادة الله فامر بصفع قفاه واخراجه وقال له ان وجدتك فى شىء من بلدى بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك فجاز البحر الى الاندلس فكان عند الامير عبد الرحمن بن الحكم (وكان) فى المدينة فى الصدر الاول مغن يقال له قند وهو مولى سعد بن أبي وقاص وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تستظرفه فضرب به سعد فحلفت عائشة لا تكلمه حتى يرضي عنه قند فدخل عليه سعد وهو يوجع من ضربه به فاسترضاه فرضى عنه وكلمته عائشة (وكان) معاوية يعقب بين مروان بن الحكم وسعيد بن العاص على المدينة يستعمل هذا سنة وهذا سنة وكانت فى مروان شدة وغلظة وفى سعيد لين عريكة وحلم وصفح فاتي مروان بن الحكم قند المغني وهو معزول عن المدينة وبيده عكازة فلما رآه قال

قل لقند يشيع الاظعانا ✻ ربما سر عيننا وكفانا

قال له قند لا إله الا الله ما أسمجك واليا ومعزولا (وروى) ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه واضيقهم خلقا اذا قيل له غن يقول أولمثلى يقال هذا على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فان غنى وقيل له أحسنت قال لمثلى يقال احسنت على عتق رقبة ان غنيت سائر يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق نجاء بالعجب فلم يبق بالمدينة مخبأة ولاشابة ولا شاب ولا كهل الاخرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب عليهم السلام

وكان فيمن خرج الى العقيق و بين يديه اسودان كانهما سار يتان يمشيان بين يديه امام دابته فقال لهما انما حران لوجه الله ان لم تفعلا ما آمركما به ان لم أقطعكما اربارباً اذهبا الى ذلك الرجل المتجر بفضل ردائه فخذا بضبعيه فان فعل ما آمره به والا فاقذفا به في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بضبعيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة قال لبيك وسعديك و بابي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول واعلم انك ما سور في أيديهما هما حران ان لم تغن مائة صوت ان لم يطرحاك في العقيق وهما حران وان لم يفعلا ذلك لاقطعن أيديهما فصاح ابن عائشة ياو يلاه واعظم مصيبتاه قال دع من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصى وأقبل يغني فترك الناس العقيق واقبلوا عليه فلما تمت اصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة واحدة ارتجت لها أقطار المدينة وقالوا للحسن صلى الله على روحك حيا وميتا فما اجتمع لاهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن انما فعلت هذا بك يا ابن عائشة لاخلاقك الشكسة قال له ابن عائشة والله مامرت على مصيبة أعظم منها لقد بلغت اطراف أعضائي فكان بعد ذلك اذا قيل له ما أشد مامر عليك قال يوم العقيق (وكان) ابراهيم بن المهدي وهو الذي يقال له ابن شكلة داهيا عاقلا عالما بايام الناس شاعرا مفلقا وكان يصوغ فيجيد و يروى عن ابراهيم انه قد كان خالف على المامون ودعا الى نفسه فظفر به المامون فعفا عنه وقال لما ظفر به المامون

ذهبت من الدنيا كما ذهبت مني * هوي الدهر بي عنها وأهوى بها عني
فان أبك نفسي أبك نفسا عزيزة * وان احتبسها احتبسها على ضني

فلما فتحت له أبواب الرضا من المامون غني بهما بين يديه فقال له المامون أحسنت والله يا أمير المؤمنين فقام ابراهيم رهبة من ذلك وقال قتلتني والله يا أمير المؤمنين لا والله ان جلست حتي تسميني باسمي قال اجلس يا ابراهيم فكان بعد ذلك آثر الناس عند المامون ينادمه و يسامره و يغنيه فحدثه يوما فقال بينا أنا مع أبيك يوما يا أمير المؤمنين بطريق مكة اذا تخلفت عن الرفقة وانفردت وحدي و عطشت وجعلت أطلب الرفقة فاتيت الى بئر فاذا حبشي نائم عندها فقلت له يا نائم قم فاسقني فقال ان كنت عطشان فانزل واستق لنفسك فخطر صوت ببالي فترنمت به وهو

كفناني ان مت في درع أروى * واسقياني من بئر عروة ماء

فلما سمع قام نشيطا مسرورا وقال والله هذه بئر عروة وهذا قبره فعجبت يا أمير المؤمنين لما خطر ببالى فى ذلك الموضع ثم قال اسقيك على ان تغنيني قلت نعم فلم أزل أغنيه وهو يجيد الحمل حتى سقاني وأورى دابتى ثم قال أدلك على موضع العسكر على أن تغنيني قلت نعم فلم يزل يعدو بين يدي وأنا أغنيه حتي أشرفنا على العسكر فانصرف وأتيت الرشيد فحدثته بذلك فضحك ثم رجعنا من حجنا فاذا هو قد تلقانى وأنا عديل الرشيد فلما رآ نى قال مغن والله قيل له أتقول هذا الاخى أمير المؤمنين قال أى لعمر الله لقد غنانى وأهدى الى اقطا وتمرا فامرت له بصلة وكسوة وأمر له الرشيد بكسوة أيضا فضحك المامون وقال غني الصوت فغنيته فافتتن به فكان لا يقترح على غيره (وكان) مخارق وعلوية قد حرفا القديم كله وصيرا فيه نغما فارسية فاذا أتاهما الحجازى بالغناء الاول الثقيل قالا يحتاج غناؤك الى فصادة واسم علوية يوسف مولى لبنى أمية (وكان) زلزل اضرب الناس للوتر لم يكن قبله ولا بعده مثله ولم يكن يغنى وانما كان يضرب على ابراهيم وابن جامع وبرصوما

(ومن غنائه فى المامون)

ألا انما المامون للناس عصمة * مميزة بين الضلالة والرشد
رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعبد

(حدث) سعيد بن محمد العجلى عن الاصمعي قال كان أبو الطمحان القيني وهو حنظلة ابن الشرقى شاعرا مجيدا وكان مع ذلك فاسقا وكان قد انتجع يزيد بن عبد الملك فطلب الاذن عليه أياما فلم يصل فقال لبعض المغنين ألا أعطيك بيتين من شعرى تغني بهما أمير المؤمنين فان سالك من قائلهما فاخبره انى بالباب وما رزقني الله منه فهو بيني وبينك قال هات فاعطاه هذين البيتين

يكاد الغمام الغر يرعد ان رأى * محيا ابن مروان وينهل بارقه
يظل فتيت المسك فى رونق الضحى * تسيل به أصداغه ومفارقه

قال فغنى بهما فى وقت أريحيته فطرب لهما طربا شديدا وقال لله در قائلهما من هو قال أبو الطمحان القيني وهو بالباب يا أمير المؤمنين قال ما أعرفه قال له بعض جلسائه هو صاحب الدير يا أمير المؤمنين قال وما قصة الدير. قال قيل لابى الطمحان ما أيسر

ذنوبك قال ليلة الدير قيل له وما ليلة الدير قال نزلت ذات ليلة بدير نصرانيـة فأكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بهـا وسرقت كساءها ومضيت فضحك يزيد وأمر له بألفي درهم وقال لا يدخل علينا فأخـذها أبو الطمحان وانسل بها وخيب المغني (أبو جعفر البغدادى) قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغا عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع ومعي قرطاس لأكتب فيه بعض ما استفيده من العلماء فمررت بباب أبي عيسى بن المتوكل فاذا ببابه المشدود وكان من أحذق الناس بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت الى المسجد الجامع لعلى استفيد فيه حكمة أكتبها فقال ادخل بنا على أبي عيسى قال فقلت مثل أبي عيسى فى قدره وجلالته يدخـل عليه بغير اذن قال فقال للحاجب اعـلم الامير بمكان أبي عكرمة قال فـا لبث الا ساعة حتي خرج الغلمان فحملوني حملا فدخلت الى دار لا والله ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف فرشا ولا صباحة وجوه فحين دخلنا نظرت الى أبى عيسى فلما أبصرنى قال لى يا بغيض متى تحتشم اجلس فجلست فقال ما هـذا القرطاس بيدك قلت يا سيدى حملته لاستفيد فيه شيا وأرجو ان ادرك حاجتى فى هذا المجلس فمكثنا حينا ثم أتينا بطعام ما رأيت أكثر منه ولا أحسن فأكلنا وحانت منى التفاتة فاذا أنا بزنين ودبس وهما من أحذق الناس بالغناء قال فقلت هـذا مجلس قد جمع الله فيه كل شيء مليح قال ورفع الطعام وجيء بالشراب وقامت جارية تسقينا شرابا ما رأيت أحسن منه فى كل كاس لا أقدر على وصفها فقلت أعزك الله ما أشبه هذا بقول ابراهيم بن المهدى يصف جارية بيدها خمر

حمراء صافية فى جوف صافية * يسعى بهـا نحونا خود من الحور
حسناء تحمل حسنا وين فى يدها * صاف من الراح فى صافى القوارير

وقد جلس المشدود وزنين ودبيس ولم يكن فى ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود فغني

لما استـقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق حجاب الدر شاربه
وتم فى الحسن والتأمت محاسنه * ومازجت بدعابها غرائبه

وأشرق الورد فى نسرين وجنته * واهتز أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

﴿ ثم سكت فغني زنين ﴾

الحب حلو امرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
استودع الله من بالطرف ودعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

﴿ وقال ﴾

وعاتبته دهرا فلما رأيته * اذا ازداد لاجانبي عزجانبه
عقدت له فى الصدر مني مودة * وخليت عنه مبهما لا أعاتبه

﴿ ثم سكت فغني دبيس ﴾

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

قال أبو عكرمة فعجبت انهم غنوا بلحن واحد وقافية واحدة قال أبو عيسي يعجبك من هذا شيء يا أبا عكرمة فقلت ياسيدي المنى دون هذا ثم ان القوم غنوا على هذا الى انقضاء المجلس اذا ابتدأ المشدود تبعه الرجلان بمثل ماغنى

﴿ فكان مما غني المشدود ﴾

يادير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحى
يعتاده كل محنى مفارقه * من الدهان عليه سحق امساح
ما يدلفون الى ماء بآنية * الا اغترافا من الغدران بالراح

﴿ ثم سكت فغني زنين ﴾

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى ذات الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الانضو سياح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كانها دمعة فى جفن سباح

﴿ ثم سكت فغني دبيس ﴾

لا تحفلن بقول اللائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * اغناك لألاؤها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم اشمه * والليل ملتحف فى ثوب سياح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا دير حمنة من ذات الاكيراح

﴿ ثم ابتدأ المشدود فغني ﴾

باحورار العين والدعج * واحمرار الخد فى الضرج
وبتفاح الخدود وما * ضم من مسك ومن ارج
كن رقيق القلب انك من * قتل من يهواك فى حرج

﴿ ثم سكت وغني زنين ﴾

كسروى التيه معتدل * هاشمي الدل والغنج
وله صدغان قد عطفا * ببياض الخد كالسبج
واذا ماافتر مبتسما * اطلق الاسرى من المهج
مالي منك من فرج * لا ابتلاني الله بالفرج

﴿ ثم سكت وغني دبيس ﴾

تعمل الاجفان بالدعج * عمل الصهباء بالمهج
بابي ظبي كلفت به * واضح الخدين والفلج
مر بي في زى ذى خنث * بين ذات الضال من امج
قلت قلبي قد فتكت به * قال ما فى الدين من حرج

﴿ ثم سكت وغني المشدود ﴾

ما يبالى اليوم من صنعا * من بقلبي بيدع البدعا
كنت ذا نسك وذا ورع * فتركت النسك والورعا
كم زجرت القلب عنك فلم * يصغ لى يوما ولا نزعا
لا تدعنى للهوي غرضا * ان ورد الموت قد شرعا

﴿ ثم سكت وغني دبيس ﴾

اسقني كاسا مصردة * ان نجم الليل قد طلعا

قد شربت الحب شرب فتى * لم يدع في كاسه جرعا

﴿ ثم ابتدأ أيضا دبيس ﴾

يقـولون في البستان للعين لذة * وفي الخمر والمـاء الذي غير آسن

اذا شئت أن تلقي المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

فغضب المشدود لمـا قطع عليه دبيس وقال غن على غير هذه القافية واللحن ثم نرجع الى حالنـا الاولى فقال أبو عكرمة قد اصبت

﴿ فابتدأ المشدود فغني ﴾

ادعوك من قلبي اذا لم ارك * ياغاية الطـرف اذا ابصرك

قضي لك الله فسبحان من * احلك القلب ومن قـدرك

لست بناسيـك على حالة * ياليت ماتذكـرني أذكرك

صـيرني الله على ما أرى * منك في الهجـر كما صـيرك

قال فقال زنين وأنا فلابد ان اسلك سبيلكما قال ابو عكـرمة ثم التفت الى فقال ماترى فقلت احسنت والله فابتدأ يغني

ياهائم القلب عاص من عذلك * مانلت ممن هـويته املك

دعاك داعي الهوي بخدعته * حتي اذا ماأجبته خذلك

فاحتل لداء الهـوى وسطوته * انك ان لم تداوه قتـلك

﴿ ثم ابتدأ المشدود يغني ﴾

شققت جيبي عليك شقا * وما لجيبي اردت شقا

اردت قلبي فصادفته * يداي بالجيب قد ترقي

مالك رقي ابت عتقي * لولاك ما كنت مسترقا

﴿ ثم سكت وغنى زنين ﴾

فدذبت شوقا ومت عشقا * يازفرات الحب رفقـا

ثكلت نفسي وزرت رمسي * ان كنت للهجر مستحقا

﴿ ثم سكت وغني دبيس ﴾

ظمئت شوقا بحر عشق * يفيض عذبا ولست اسقى

انا الذى صرت من غرامى * على فراش السقام ملقى
فمن زفير ومن شهيق * ومن دموع تجود سبقا

﴿ ثم ابتدأ المشدود فغني ﴾

ماذا على نجل العيون لوانهم * أوموا اليك فسلموا أوعرجوا
أمنوا مقاساة الهموم وايقنوا * أن الحب الى الاحبة يدلج

﴿ ثم سكت وغني دبيس ﴾

هيا فقد بدا الصباح الابلج * قد ضم مشبهة الغزال الهودج
بانوا ولم أقض اللبانة منهم * وكذا الكريم اذا تصابى يلهج

﴿ ثم سكت وغني زنين ﴾

السحر والغنج فى عينيك والدعج * والشمس والبدر فى خديك والضرج
الدر ثغرك لولا ان ذا برد * والحبر صدغك لولا أن ذا سبج
انضجت قلبي ولو أن الورى لقيت * قلوبهم منك مالاقيت ماهجوا

﴿ ثم سكت وابتدأ المشدود فغني ﴾

ياصاحب المقل المراض * انظر الى بعين راض
ان تجفني متعمدا * لتذيقني جرع الحياض
فلطالما امكنتني * منك المراشف عن تراض

﴿ ثم سكت وغني زنين ﴾

هائم مدنف من الاعراض * لا سبيل له الى الاغماض
موثق النوم مطلق الدمع مايعرف ملجا من الحتوف الفواضى
مابرى جسمه سوى لحظات * أمرضته من العيون المراض

﴿ ثم سكت وغني دبيس ﴾

كن ساخطا واظهر بانك راض * لاتبدين تكره الاعراض
وانظر الى بمقلة غضبانة * ان كنت لم تنظر بمقلة راض
وارحم جفونا ماتجف من البكا * فى ليلة مسلوبة الاغماض
واحكم فديتك بين جسمي والهوى * فالحكم منك على الجوارح ماض

﴿ ثم ابتدأ المشدود فغني ﴾

ياذا الذى حال عن العهد * ومن برانى منه بالصد
بسمرة الخال وما قد حوي * من حمرة فى سالف الخد
ألا تعطفت على عاشق * منفرد بالبث والوجد

﴿ ثم سكت وغني زنين ﴾

أظل بكتمان الهوي وكاتما * ألاقى الذي لاقاه غيرى من الوجد
وعيب على الشوق والوجد والبكا * ولا انا بالشكوى انفس من جهدى

﴿ ثم سكت وغني دبيس ﴾

تهزأت بى لما خلوت من الوجد * ولم ترث لى لا كان عندك ماعندى
وعيب على الشوق والوجد والبكا * وأنت الذى اجريت دمعى على خدى
صددت بلا جرم اليك اتيته * أكن عجيبا لو صددت عن الضد
ألا انني عبد لطرفك خاضع * وطرفك مولى لا يرق على عبد

﴿ ثم غني المشدود ﴾

اقمت ببلدة ورحلت عنها * كلانا عند صاحبه غريب
اقل الناس فى الدنيا نصيبا * محب قد نأي عنه الحبيب

﴿ ثم سكت وغني زنين ﴾

و يقنعني ممن أحب كتابه * و يمنعنيه انه لبخيل
كفى حزنا ان لا أطيق وداعكم * وقد حان منى ياطلوع رحيل

﴿ ثم سكت وغني دبيس ﴾

ياواحد الحسن الذي لحظاته * تدعو النفوس الى الهوى فتجيب
من وجهه القمر المنير وحسنه * غصن نضير مشرق وكثيب
ألناظريك على العيون رقيبة * أم هل لطرفك في القلوب نصيب

﴿ ثم ابتدأ المشدود فغني ﴾

قلق لم يزل وصبر يزول * ورضا لم يطل وسخط يطول
لم تسل دمعتي علي من الرحمة حتى رأيت نفسى تسيل

جال في جسمي السقام فجسمي * مدنف ليس فيه روح تجول
ينقضي للقتيل حول فينسي * وانا فيك كل يوم قتيل

(ثم سكت وغني زنين)

ليس الى تركك من حيلة * ولا الى الصبر لقلبي سبيل
فكيف ماشئت فكن سيدي * فان وجدى بك وجد طويل
ان كنت ازمعت على هجرنا * نحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال) ابو عكرمة فاقبل ابو عيسى على المشدود فقال له غن صوتا فغني

يالجة الدمع هل الدمع مرجوع * ام الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادى هائم ابدا * بعقرب مصدغ من مولاى ملسوع
لا والذي تالفت نفسي بفرقته * فالقلب مني حرق الهجران مصدوع
ما ارق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

(قال) ابو عكرمة فوالله الذى لا إله الا هو لقد حضرت من المجالس مالا احصى ما رأيت مثل ذلك الى اليوم ثم ان اباعيسي امر لكل واحد بجائزة وانصرفنا ولولا ان أباعيسى قطعهم ما انقطعوا

٥ — من سمع صوتا فوافقه معناه فاستخفه الطرب — حكي عن اسحق بن ابراهيم الموصلى عن ابيه قال دخلت على هارون الرشيد فلما رأيته قد أخذ فى حديث الجوارى وغلبتهن على الرجال غنيته بابياته التى يقول فيها

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبي بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعزمن سلطانى

فارتاح وطرب وامرلى بعشرة آلاف درهم (وغنى) ابراهيم الموصلى محمد ابن زبيدة الامين بقول الحسن بن هانيء فيه

رشأ لولا ملاحته * خلت الدنيا من الفتن
كل يوم يسترق له * حسنه عبدا بلا ثمن
ياأمين الله عش ابدا * دم على الايام والزمن
انت تبقى والفناء لنا * فاذا أفنيتنا فكن

سن للناس القرى فقروا ❊ فـكان البخـل لم يكن

قال فاستخفه الطرب حتى قام من مجلسه واكب على ابراهيم يقبل رأسه فقـام ابراهيم من مجاسه يقبل اسفل رجليه وما وطئتا من البساط فأمـر له بثـلاثة آلاف درهم فقال ابراهيم ياسيدي قدأجزتني الى هذه الغاية بعشر بن الف الف درهم فقـال الامين وهل ذلك الاخراج بعض الكور (الرياشي) عن الاصمعي قال قـدم جـرير المدينة فاتاه الشعراء وغيرهم وأتاه اشعب فيهم فسلموا عليه وحادثوه ساعة وخرجوا وبقى اشعب فقال له جرير أراك قبيحا وأراك لئيم الحسب ففيم قعودك وقد خرج الناس فقال له أصلحك الله انه لم يدخل عليك اليوم أحـد أنفعلك مني قال وكيف ذلك قال لانى آخذ رقيق شعرك فازينه بحسن صوتي فقال له جرير فقـل فاندفع يغنيه

يأخت ناجية السلام عليكم ❊ قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لوكنت اعـلم ان آخرعهـدكم ❊ يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

قال فاستخف جرير الطرب لغنائه بشعره حتى زحف اليه واعتنقه وقبـل بين عينيه وسأله عن حوائجه فقضاها له (الزبير بن بكار) قال كان المسور بن مخرمة ذامال كثير فأسرع فيه على اخـوانه فـذهب فسأل امرأته وكانت موسرة فمنعته وبخلت عليـه فخرج يريد بعض خلفاء بني أمية منتجعا فلما كان ببعض الطريق نزل ماء يقال له بلاكث فقال لغلامه كيف يقال لهذا الماء قال يقال له بلاكث فقال

بينما نحن من بلاكث بالقا ❊ ع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيـك اذ دعانى لك الشو ❊ ق وللحادبين كر المطايا

فقال هن بدن ان لم تكرها رواجع قال له قـد اشرفن على أمير المؤمنين قال هن بدن ان لم تكرها رواجع فانصرف ودخـل المصلى ليلا فوجد رجـالا فريش حلقا يتحدثون فقالوا له زاد خير فقال زاد خير حتي انتهى الى داره فقالت له امرأته زاد خير فانشدها الابيات قالت كل ما املك فى سبيل الله ان لم اشاطرته مالهـا (وروى) ابو العباس قال حدثت ان عمر الوادي قال اقبلت من مكة أريد المدينة

فجعلت اسير فى صمد من الارض فسمعت غناء من الهواء لم أسمع مثله فقلت والله لا توصلن اليه فاذاهو عبد أسود فقلت له أعد ماسمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقربك مافعلت ولكن اجعله قراك فاني والله ربما غنيت بهذا الصوت وانا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط وربما غنيته وأنا عطشان فاروى ثم ابتدأ فغنى

وكنت متي مازرت سعدي بارضها * أري الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودجليسها * اذاما انقضت احدوثة لو يعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم غنيت به على الحالات التى وصف فاذاهو كما ذكره (وتحدث) الزبيريون عن خالد صامه بانه كان من أحسن الناس ضربا بعود قال قدمت على الوليد بن يزيد فى مجلس ناهيك به مجلسا فالقيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن ابى السمح وابن عائشة وأبو كميل وغزيل الدمشقي وكانوا يغنون حتى بلغت النوبة الى فغنيته

سرى همي وهم المرء يسرى * وغاب النجم الاقيد فتر

لهم مازال له قرينا * كأن القلب أودع حر جمر

على بكر أخى فارقت بكرا * وأى العيش يصلح بعد بكر

فقال أعد ياصام ففعلت فقال لى من يقول هذا الشعر قلت يقوله عروة بن اذينة يرثى أخاه بكرا قال الوليد وأى عيش يصلح بعد بكر والله لقد حجر واسعا هذا والله العيش الذى نحن فيه يصلح على رغم انفه (وقد قيل) ان سكينة بنت الحسين غنيت بهذا الشعر فقالت ومن بكر هذا هو ذاك الاشتر الذى كان ياتينا لقد طاب كل شىء بعده حتى الخبز والزيت (وعن عبد الصمد بن المعدل) قال سمعت اسحق الموصلى يتحدث قال حججت مع الرشيد فلما نزلت المدينة آخيت بها رجلا كانت له مروءة ومعرفة وأدب وكان يغني فاتى ذات ليلة فى منزلى اذا أنا بصوته يستاذن على فظننت أمرا قد حدث ففزع فيه الى فاسرعت نحو الباب فقلت ماجاء بك قال دعاني صديق الى طعام عتيد ومجلس شراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث ممتع وغناء مشبع فاجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فاخذت مني حميا الكاس ماخذها ثم غنيت بقول نصيب

بزينب المم قبل ان يرحل الركب * وقل ان تمنينا فما ملك القلب

فكدت أطير طربا ثم وجدت في الطرب تنغيصا اذلم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته

ففزعت اليك لاصف لك هذه الحال ثم ارجع الى صاحبي وضرب بغلته موليا فقلت قف أكلمك فقال مابي الى الوقوف اليك من حاجة (وحدث) ان معاوية بن أبي سفيان استمع على يزيد ذات ليلة فسمع عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال له من كان ماهيك البارحة قال سائب خاثر قال فاكثر له من العطاء (وكان) ابن أبي عتيق من نبلاء قريش وظرفائهم (فمن ظريف أخباره) ان عثمان بن حيان المرى لما دخل المدينة والياعليها اجتمع اليه الاشراف من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمل عملا أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء ففعل وأجلهم ثلاثا فقدم ابن ابي عتيق فى الليلة الثالثة وكان غائبا فحط رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلى قالت أوما تدرى ماحدث بعدك وأخبرته الخبر فقال اقيمي الى السحر حتى ألقاه فلقيه فاخبره انه انما اقدمه حب التسليم عليه وقال له ان أفضل ما عملت تحريم الغناء والرثاء فقالوا ان أهلك أشاروا على بذلك فقال انهم وفقوا ووفقت ولكني رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتي فتبت الى الله منها وأنا أسألك ايها الامير ان لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذاأدعها فقال اذا لا تدعك الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كان يجوز تركها تركتها قال فادع بها فامر بها ابن أبي عتيق فتنقبت وأخذت سبحة فى يدها وصارت اليه فحدثته عن مآثر آبائه ففكه بها فقال ابن أبي عتيق أريد ان اسمع الامير قراءتها ففعلت فحركه حداؤها ثم قال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها فى صناعتها التي تركتها فقال له قل لها فلتغن فغنت

سددت خصاص البيت لما دخلته ﴿ بكل بنان واضح وجبين

فنزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها وقال لا والله مامثلك يخرج عن المدينة فقال ابن ابي عتيق يقول الناس اذن لسلامة ومنع غيرها فقال له قد أذنت لهم جميعا (وذكر) لابن أبي عتيق ان المخنثين خصوا وانه خصى الدلال فيهم لواحد منهم كان يعرفه فقال ابن أبي عتيق انا لله لئن خصى لقد كان يحسن

لمن ربع بذات الجيش أمسي دارسا خلقا

ثم استقبل ابن أبي عتيق القبلة فلما كبر سلم ثم قال لاصحابه اما انه كان يحسن خفيفه فاما ثقيله فلا ثم كبر (وكان) سليمان بن عبد الملك مفرط الغيرة فسمع مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال له أعد ماتغنيت به فاعاد واحتفل فقال لاصحابه

والله لكأنها جرجرة الفحل فى الشول وما أحسب أني تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصى (وقال ابو العباس) محمد بن يزيد النحوي روى لنا ان رجلا من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فانشده ابراهيم قول الشاعر

اذا أنت فيها لمن ينهاك عاصيه ❊ واذا جر اليكم سادرا رسنى

فقام الرجل فرمي بشق ردائه واقبل يسحبه حتي خرج من المجلس ثم رجع الى موضعه فجلس فقال له ابراهيم مابالك قال انى كنت سمعت هذا الشعر فاستحسنته فآليت ان لا اسمعه الا جررت ردائي كما جر هذا الرجل رسنه (ووقف) رجل من الشعراء على رجل من المغنين فانشده

اني اتيت اليك من أهلى ❊ فى حاجة يسعى لها امثلى
لا ابتغى شيأ لديك سوى ❊ حي الحمول بجانب الرمل

قال له انزل (مر) دكان المغنى بقوم وعليه رداء عدني يثربى فقالوا له بكم اخذت الرداء فقال بالا أن جيرانا ناودعوا (وحدثني) ابو العباس أحمد بن بكر ببغداد قال حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلى قال كان يقال قديما اذا قساعليك قلب القرشي من تهامة فغنه بشعر عمر بن أبي ربيعة وغناء ابن سريج وكذا فعل اشعب برجل من أهل مكة من بني هاشم وكان اشعب قد انتجع أهل مكة من المدينة قال اشعب فلما دخلت عليه غنيته بغناء أهل المدينة وأهل العقيق فلم ينجع ذلك فيه ولم يحرك من طيبه ولا اريحيته فلما عيل صبرى غنيته بغناء ابن سريج المكى وقول ابن أبى ربيعة القرشى

نظرت اليهـا بالمحصب من منـى ❊ ولى نظـر لولا التحـرج عازم
فقلت اشمس أم مصابيح راهب ❊ بدت لك تحت السجف أم انت حالم
بعيـدة مهوى القرط اما لنـوفل ❊ ابوها واما عبـد شمس وهـاشم

قال فحركت والله من طربه وكان الذى اردت ثم غنيته لابن أبي ربيعة القرشي أيضا

ولولا ان يقول لنـا قريش ❊ مقال الناصح الادني الشفيق
لقلت اذا التقينـا قبليـني ❊ وان كنـا بقارعة الطـريق

فقال احسن والله هكذا يطيب التلاقي لا بالخوف والتوقى قال فلما رأيته قد طرب للصوتين ولم يندلى بشيء قلت هو الثالث والا فعليه السلام قال فغنيته الثالث من غناء ابن سريج قول

عمر بن أبي ربيعة ويقال انها لجميل

مازلت امتحن الدساكر دونها * حتي ولجت على خفى المولج
فوضعت كفي عند مقطع خصرها * فتنفست نفسا ولم تتلهج
قالت وحق أخي وحرمة والدي * لانبهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خيفة قولها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج
فرشفت فاها آخذا بقرونها * رشف النزيف ببرد ماء الحشرج

فصاح الهاشمي اراه أحسن والله واحسنت وأمر لي بالف درهم وثلاثين حلة وخلعة كانت عليه (وغني) ابن سريج رجلا من بني هاشم بقول جرير

بعثن الهوي ثم ارتمين قلوبنا * باسهم اعداء وهن صديق
وماذقت طعم العيش منذ نأيتم * وماساغ لي بين الجوانح ريق

قال فخطف من ثوبه ذراعا وقال هذا والله العقيان في نحور القيان (قال) وصحب شيخ من أهل المدينة شابا في سفينة ومعهم جارية تغني فقال له ان معنا جارية تغني ونحن نجلك فاذا اذنت لنا فعلنا قال فانا اعتزل وافعلوا ماشئتم فتنحي وغنت الجارية

حتى اذا الصبح بدا ضوؤه * وغابت الجوزاء والمرزم
اقبلت والوطء خفي كما * ينساب من مكمنه الارقم

فرمي الناسك بنفسه في الفرات وجعل يخبط بيديه طربا ويقول انا الارقم فاخرجوه وقالوا ماصنعت فقال والله اني أعلم من تاويله مالا تعلمون (وقال) احمد بن جعفر حضر قاضي مكة مادبة لرجل من الاشراف فلما انقضى الطعام اندفعت جارية تغني

الى خالد حتى انخنا بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

فلم يدر القاضي مايصنع من الطرب حتي أخذ نعليه فعلقهما في اذنيه ثم جثا على ركبتيه وقال اهدوني فاني بدنة (كان) رجل من الهاشميين يحب السماع فبعث الى رجل من المغنين فاقترح عليه صوتا كان كلفا به فغناه اياه فطرب الهاشمي وشق ثوبا كان عليه ثم قال للمغني افعل بنفسك مثل ما فعلت بنفسي قال اصلحك الله انك تجد خلفا من ثوبك واني لاأجد خلفا من ثوبي قال انا اخلف لك قال فافعل ونفعل قال اخرجتنا من حد الطيب الى حد السوم

٦ — من قرع قلبه صوت فمات منه او اشرف — حدث ابو القاسم اسمعيل بن عبد الله المامون فى طريق الحج من العراق الى مكة قال حدثني ابي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها واكملهم عقلا وأفضلهم أدبا قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فاخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة اواحد يحسن ان اصطنعه أواسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء لمولاي كنت أحب ان ينالهم من خير ماصرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في اشخاصهم وان يعطى كل رجل منهم عشرة آلاف درهم وان يعجل بسراحهم اليه ففعل عامل المدينة ذلك فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فاذن لهم وأكرمهم وسالهم حوائجهم فاما الاثنان فذكرا حوائجهما فقضاها لهما وأما الثالث فساله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك ولم ألست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى لا احسبك تقضيها قال ويحك فسلنى فانك لا تسالني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال ولى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم وكرامة قال ان رأيت أن تامر جاريتك فلانة التي أكرمتنا لها ان تغنيني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه فدخل على الجارية فاعلمها قالت وما عليك يا أمير المؤمنين افعل ذلك فلما كان من الغد أمر بالفتي فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فالقيت فقعد يزيد على أحدها وقعدت الجارية على الآخر وقعد الفتى على الثالث ثم دعا بطعام فتغدوا جميعا ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتي قل ما بدالك وسل حاجتك قال تامرها تغنى

لا استطيع سلوا عن مودتها * او يصنع الحب بي فوق الذى صنعا
أدعو الى هجرها قلبي فيسعدنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فامرها فغنت فشرب يزيد وشرب الفتى ثم شربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تامرها تغني

تخيرت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
الا عرجا بي بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

قال فغنت بهما وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال يا أمير المؤمنين مرها تغني

منا الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله ما اسلوكم أبدا * ما لاح نجم أو بدا فجر

قال فلم تات على آخر الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية انظري ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها ابكيه قالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وانت حي قال لها ابكيه فو الله لو عاش ما انصرف الا بك فبكته وأمر بالفتى فاحسن جهازه ودفنه (قال) وحدث أبو يوسف بالمدينة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر الجذامي عن أبيه ان عبدالله بن جعفر وفد على عبد الملك بن مروان فاقام عنده حينا فبينا هو ذات ليلة فى سمره اذ تذاكروا الغناء فقال عبد الملك قبح الله الغناء ما أوضعه للمروءة واجرحه للعرض واهدمه للشرف واذهبه للبهاء وعبد الله ساكت وانما عرض لعبدالله وأعانه عليه من حضر من أصحابه فقال عبدالملك مالك أباجعفر لا تتكلم قال ما أقول ولحمي يتمزع وعرضي يتمزق قال أما اني نبئت انك تغني قال أجل يا أمير المؤمنين قال أف لك وتف قال لا أف ولا تف فقد تاتي أنت بما هو أعظم من ذلك قال وما هو قال يأتيك الاعرابي الجافي يقول الزور ويقذف المحصنات فتامر له بالف دينار واشتري أنا الجارية الحسناء من مالى فاختار لها من الشعر اجوده ومن الكلام أحسنه ثم ترده على بصوت حسن فهل بذلك باس قال لا باس ولكن اخبرني عن هذه الاغاني ماتصنع قال نعم اشتريت جارية باثني عشر الف درهم مطبوعة فكان بديح وطويس ياتيانها فيطرحان عليها أغانيهما فعلقت منهما حتى غلبت عليها فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الى اماهبتها الى واما بعتها بحكمك فكتبت اليه انها لا تخرج عن ملكى ببيع ولا هبة فبذل لى فيها ما كنت أحسب ان نفسه لا تسخو به فابيت عليه فبيناهي عندى على تلك الحال اذ ذكرت لى عجوز من عجائزنا ان فتى من أهل المدينة يسمع غناءها فعلقها وشغف بها وانه يجيء فى كل ليلة مستترا يقف بالباب حتى يسمع غناءها ثم ينصرف فراعيت مجيئه فاذا الفتى قد أقبل مقنع الرأس فاشرفت عليه وقد قعد مستخفيا فلم أدع بها تلك الليلة

وجعلت أنا مل موضعه فبات مكانه الذى هو فيه فلما انشق الفجر اطلعت عليه فاذا هو في موضعه فدعوت قيمة الجوارى فقلت لها انطلق الساعة فزينى هذه الجارية واعجلى بها الى فلما جاءت بها نزلت وفتحت الباب وحركته فانتبه مذعورا فقلت له لا باس عليك خذ بيد هذه الجارية فهى لك وان هممت ببيعها فردها الى فدهش وأخذه الخبل ولبط به فدنوت من أذنه فقلت ويحك قد اظفرك الله ببغيتك فقم فانطلق بها الى منزلك فاذا الفتى قد فارق الدنيا فلم أر شيأ قط أعجب منه قال عبد الملك وأنا والله ما سمعت شيئا قط أعجب من هذا ولولا أنك عاينته ماصدقت به فما صنعت بالجارية قال تركتها عندى وكنت اذا ذكرت الفتى لم أجد لها مكانا من قلبي وكرهت ان أوجه بها الى يزيد فيبلغه حالها فيحقد على فما زالت تلك حالها حتى ماتت (ووقف) رجل يقال له طريفة على أيوب المغنى فقال

انى قصدت اليك من أهلى * فى حاجة يسعي لها مثلى

لا أبتغى شيا لديك سوى * حى الحمول بجانب الرمل

فقال له انزل فلك ما طلبت فنزل فاخرج عوده ثم غناه بقول امريء القيس

حى الحمول بجانب الرمل * اذ لا يلائم شكلها شكلي

فلبط طريفة فاذا هو فى الارض منجدل فلما أفاق قام يمسح التراب عن وجهه فقيل له ويحك ما كانت قصتك قال ارتفع والله من رحلى شيء حار وهبط من رأسى شيء بارد فالتقيا وتصادما فوقعت بينهما الا أدرى ما كانت حالى

٧ — أخبار عنان وغيرها من القيان — (حدث) محمد بن زكريا العلائى بالبصرة قال حدثنا ابراهيم بن عمر قال كان الرشيد قد استعرض عنان جارية الناطفى ليشتريها وقال لها أنا والله أحبك ثم أمسك عن شرائها فجلس ليلة معه سماره فغناه بعض من حضر من المغنين بابيات جرير حيث يقول

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا

قال فطرب الرشيد لها طربا شديدا وأعجب بالابيات وقال لجلسائه هل منكم أحد يجيز هذه الابيات بمثلهن وله هذه البدرة وبين يديه بدرة من دنانير فقالوا فلم يصنعوا شيئا فقال خادم على رأسه أنا بها لك يا أمير المؤمنين قال شانك فاحتمل البدرة ثم أتي الناطفى فقال له

استاذن لى على عنان فاذنت له فدخل وأخبرها الخبر فقالت ويحك وما الابيات فانشدها اياها فقالت له اكتب

هيجت بالقول الذي قد قلته * داء بقلبي ما يزال كمينا
قد اينعت ثمراته في طينها * وسقين من ماء الهوي فروينا
كذب الذين تقولوا ياسيدى * ان القلوب اذا هوين هوينا

فقالت له دونك الابيات واذا كان غدا نجز الكمار فدفع اليها البدرة ورجع الى هرون فقال ويحك من قالها قال عنان جارية الناطفى فقال خلعت الخلافة من عنقى ان باتت الا عندي قال فبعث الى مولاها فاشتراها منه بثلاثين الفا وباتت بقية تلك الليلة عنده وقال الاصمعى ما رأيت الرشيد مبتذلا قط الا مرة كتبت اليه عنان جارية الناطفى رقعة فيها

كنت فى ظل نعمة بهواكا * آمنا منك لا أخاف جفاكا
فسعى بيننا الوشاة فاقرر * ت عيون الوشاة بي فهناكا
ولعمري لغير ذا كان أولى * بك في الحق يا جعلت فداكا

قال فاخذ الرقعة بيده وعنده أبو جعفر الشطرنجى فقال أيكم يشير الى المعنى الذي فى نفسى فيقول فيه شعرا وله عشرة آلاف درهم فظننت أنه وقع بقلبه أمر عنان فبدر أبو جعفر

مجلس ينسب السرور اليه * لمحب ريحانه ذكراكا

فقال ياغلام بدرة قال الاصمعى وقلت

لم ينلك الرجاء ان تحضريني * وتجافت أمنيتي عن سواكا

قال أحسنت والله يا أصمعي لهاولك بهذا البيت عشرون الفا (قال جرير)

كلما دارت الزجاجة والكا * س اعارته صبوة فبكاكا

فقال أنا أشعركم حيث أقول

قد تمنيت أن يغشيني الله نعاسا لعل عيني تراكا

قلنا له صدقت والله ياأمير المؤمنين (وقال) بكر بن حماد الباهلى لما انتهى الى خبر عنان وانها اذكرت لهرون وقيل انها أشعر الناس خرجت معترضا لها فاذا راعني الا

الناطفى مولاها قدضرب على عضدى فقال لى هل لك فيما سنح من طعام وشراب ومجالسة عنان فقلت ما بعد عنان مطلب ومضينا حتي أتينا منزله فعقل دابته ثم دخل فقال هذا بكر شاعر باهلة يريد مجالستك اليوم فقالت لا والله اني كسلانة فحمل عليها بالسوط ثم قال لى ادخل فدخلت ودمعها يتحدر كالجمان فى خدها فطمعت بها فقلت

هذى عنان اسبلت دمعها * كالدر اذ ينسل من خيطه

ثم قلت أجيزى فقالت

فليت من يضربها ظالما * تجف كفاه على سوطه

فقلت لها ان لى حاجة فقالت هاتها فمن سببك أوذينا قلت لها بيت وجدته على ظهر كتابى لم أقرضه ولم أقدر على اجازته قالت قل فانشدتها

فمازال يشكوا الحب حتي حسبته * تنفس فى أحشائه فتكلما

قال فاطرقت ساعة ثم أنشدت

ويبكى فابكى رحمة لبكائه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

قلت لها ما عندك فى اجازة هذا البيت

بديع حسن بديع صد * جعلت خدى له ملاذا

فاطرقت ساعة ثم قالت

فعاتبوه فعنفوه * فاوعدوه فكان ماذا

(وجلس) أبو نواس الى عنان فقالت كيف علمك بالعروض وتقطيع الشعر يا حسن قال جيد قالت تقطع هذا البيت

أكلت الخردل الشا * مى فى صحفة خباز

فلما ذهب يقطعه ضحكت به وأضحكت فامسك عنها وأخذ فى ضروب من الاحاديث ثم عاد سائلا لها فقال كيف علمك بالعروض قالت حسن يا حسن فقال قطعى هذا البيت

حولوا عنا كنيستكم * يا بنى حمالة الحطب

فلما ذهبت تقطعه ضحك أبو نواس فقالت قبحك الله ما برحت حتي أخذت بثارك

(حدث) أبو عبد الله بن عبد البر المدنى قال حدثنى اسحق بن ابراهيم الموصلى قال كان للمامون

جماعة من المغنين وفيهم مغن يسمي سوسنا عليه وسم جمال قال فبينما هو عنده يغني اذ تطلعت جارية من جواريه فنظرت اليه فعلقته فكانت اذا حضر سوسن تسوى عودها وتغني

ما مررن بالسوسن الغض الا * كان دمعي لمقلتي نديما
حبذا أنت والمسمي به أنـــت وان كنت منه أذكى نسيما

فاذا غاب سوسن امسكت عن هذا الصوت وأخذت فى غيره فلم تزل تفعل ذلك حتي فطن المأمون فدعا بها ودعا بالسيف والنطع ثم قال اصدقيني أمرك قالت يا أمير المؤمنين بنفعني عندك الصدق قال لها ان شاء الله قالت يا أمير المؤمنين اطلعت من وراء الستارة فرأيته فعلقته فامسك المأمون عن عقوبتها وأرسل الى المغنى فوهبها له وقال لا يقر بنا (قال ابو الحسن) وكان الواثق اذا شرب وسكر رقد فى موضعه الذى سكر فيه ومن سكر من ندمائه ترك ولم يخرج فشرب يوما فسكر ورقد وانقلت أصحابه الا مغن أظهر التراقد وبقيت معه مغنية للواثق فلما خلا المجلس وقع المغني فى سحاة ودفعها اليها

انى رأيتك فى المنام كانني * مترشف من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدى وكأنما * بتنا جميعا فى فراش واحد
ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتي وتحت خدك ساعدى

﴿ فأجابته ﴾

خيرا رأيت وكل ما أبصرته * ستناله منى برغم الحاسدي
وتبيت بين خلاخلي ودمالجى * وتجول بين مراسلي ومجاسدى
فنكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى اليه بالسحاة رفع الواثق رأسه فاخذ السحاة من يدها وقال لها ماهذه فحلفا له انه لم يجر بينهما قبل هذا كلام ولا كتاب ولا رسول غير اللحظ الا ان العشق قد خامرهما فاعتقها وزوجها منه فلما أشهد له وتم النكاح أقامها الواثق الى بيت من بعض البيوت فوقع بها ثم خرج فقال له أردت أن تكشحني فيها وهي خادمتى فقد كشحتك فيها وهى زوجتك (قال) ولما كلف يزيد بحبابة واشتغل بها وأضاع الرعية دخل عليه مسلمة أخوه فقال يا أمير المؤمنين تركت الظهور للعامة والشهود للجمعة واحتجبت مع هذه الامة فارعوى قليلا وظهر للناس فاوصت حبابة الى الاحوص ان يقول أبياتا يهون فيها على يزيد ما قال مسلمة فقال

وغنت بها حبابة

ألا لاتلمه اليوم ان يتبلدا * فقد منع المحزون ان يتجلدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوي * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
هل العيش الا ما تلذ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا

فلما سمعها ضرب بجرابه الارض وقال صدقت صدقت على مسلمة لعنة الله ثم عاد الى سيرته الأولى (وحدث) ابن الغار قال حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال حدثنا الهيثم بن أبي بكر قال كان يزيد بن عبد الملك كلفا بحبابة كلفا شديدا فلما توفيت أكب عليها أياما يترشفها ويتشممها ثم انتنت فقام عنها وأمر بجهازها ثم خرج بين يدى نعشها حتى اذا بلغ القبر نزل فيه حتى اذا فرغ من دفنها وانصرف لصق اليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه فلما أكثر عليه قال قاتل الله ابن أبي جمعة حيث يقول

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائل * من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

قال وطعن فى جنازتها فدفناه الى سبعة عشر يوما (وذكر) المعتصم جارية كانت غلبت عليه وهو بمصر ولم يكن يخرج بها معه فدعا مغنيا له فقال له ويحك انى ذكرت جارية فاقلقني الشوق اليها فهات صوتا يشبه ما ذكرت لك فاطرق مليا ثم غنى

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحى طائر فاطير
فما لنعيم لست فيه بشاشة * وما لسرور لست فيه سرور
وان امرأ فى بلدة نصف قلبه * ونصف باخرى غيرها لصبور

فقال والله ما عدوت ما فى نفسى وأمر له بجائزة ورحل من ساعته فلما بلغ الفرما قال

غريب فى قرى مصر * يقاسى الهم والسدما
لليلك كان بالميدا * ن اقصر منه بالفرما

﴿ قال المامون فى قينة له ﴾

لها فى لحظها لحظات حتف * تميت بها وتحيي من تريد
فان غضبت رأيت الناس قتلى * وان ضحكت فارواح تعود
وتسبي العالمين بمقلتيها * كان العالمين لها عبيد

(وانشد البحترى فى قينة له)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * وفعل جمالها حسن جميل
فان تغضب فاحسن ذات دل * وان ترضى فليس لها عديل

(وقال المعتز فى قينة له)

فامسيت فى ليلين للشعر والدجا * وشمسين من كاس ووجه حبيب

(وقال هرون الرشيد رحمه الله فى قينة له)

تبدى صدودا وتخفى تحته مقة * فالنفس راضية والطرف غضبان
يامن وضعت له خدى فذلله * وليس فوقى سوى الرحمن سلطان

(وقال) ابراهيم الشيبانى القينة لا تخاص محبة لاحد ولا تؤتى الا من باب طمع وقال على بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصانى

فقالت تاتى من باب الذهب وأنشدت

أجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

(وكان) أشعب يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما اراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف ان تذهب ولكن خذ هذا العود ولعلك تعود وناولته عودا من الارض * وكان أشعب يختلف الى قينة بالمدينة يكلف بها وينقطع اذا نظرها فطلبت منه ان يسلفها دراهم فانقطع عنها وتجنب دارها فعملت له دواء ولقيته به فقال لها ماهذا قالت دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذي بك قال اشربيه أنت للطمع فان انقطع طمعك انقطع فزعى وأنشا يقول

أنا والله أهواك * ولكن ليس لى نفقه
فاما كنت تهوينى * فقد حلت لى الصدقه

(وقعد) أبو الحرث حمير الى قينة بالمدينة صدر نهاره فجعلت تحدثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال مالى لا أسمع للطعام ذكرا قالت سبحان الله أما تستحي أما فى وجهي مايشغلك عن هذا فقال لها جعلت فداك لوان جميلا وبثينة قعدا ساعة واحدة لا يأكلان لبصق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال) الشيباني كانت بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها

فتظهر له انها لا تحب غيره وكان كلما جاءها وجد عندها فتى يجلس عندها و يتحدث اليها فقال فيها

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو اليه * فلم اخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها صديق * ولا خمسون الفا كل عام
اراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال الشيباني حضر أبو نواس مجلسا فيه قيان فقلن له ليتنا بناتك قال نعم ونحن على المجوسية (وقال العتبي) حضرت قينة مجلسا فتغنت فاجادت فقام اليها شيخ من القوم فجلس بين يديها وقال كل مملوك لى حر وكل امرأة لى طالق لو كانت الدنيا كلها صررا فى كمى لقطعتها لك فاما اذ لم يكن فجعل الله كل حسنة لى لك وكل سيئة عليك على قالت جزاك الله خيرا فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قمت به لنا فقام شيخ آخر وقعد بين يديها وقال لها كل مملوك لى حر وكل امرأة لى طالق ان كان وهب لك شيأ ولا حمل عنك ثقلا لانه ماله حسنة يهبها لك ولا عليك سيئة يحملها عنك فلاي شيء تحمدينه

٨ — خبر الذلفاء — (قال ابو سويد) حدثنى ابو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو جالس على دكان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد اثمر واينع واذا بازاء كل شق من البستان ميدان ينبت الربيع قد أزهر وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس فنضرت الخضرة واضعفت فى حسنها الزهرة وغنت الاطيار فتجاوبت وسفت الرياح على الاشجار فمايلت بانهار فيه قد شققت ومياه قد تدفقت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله و بركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال ابا زيد فى مثل هذا الحين يصاب أحد حيا قلت اصلح الله الامير أوقد قامت القيامة بعد قال نعم على أهل المحبة سرا والمراسلة بينهم خفية ثم اطرق مليا ثم رفع رأسه فقال اباز يد ما يطيب فى يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة صفراء فى زجاجة بيضاء تناولها مقدودة هيفاء مضمومة لفاء دعجاء اشربها من كفها وامسح فمى بفمها فاطرق سليمان مليا لا يحير جوابا ينحدر

من عينه عبرات بلاشهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال اأبا زيد حللت فى يوم فيه انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرني ماأثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم اصلح الله الامير كنت جالسا عند باب أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قد خرجت الى باب القصر كالغزال انفلت من شبكة الصياد عليها قميص اسكندراني يتبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قداشرق بياض قدمها على حمرة نعليها مضمومة بفرد ذؤابة تضرب الى حقويها وتسيل كالعثا كيل على منكبيها وطرة قد اسبلت على مثني جبينها وصدغان قدزينا كانهما نونان على وجنتيها وحاجبان قد قوسا على محجرى عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كانه قصبة در وفم كانه جرح يقطردماوهي تقول عباد الله من لى بدواء من لا يشتكي وعلاج من لا ينتمي طال الحجاب وأبطأ الجواب فالفؤاد طائر والقلب عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا تبلدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان أمرا جميلا ثم اطرقت طويلا ثم رفعت رأسها فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سمائية أم ارضية فقد أعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم الاريب فما أوحش الساعة بلامساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله أصلح الله الامير ماأكلت طيبا الاغصصت به لذكرها ولارأيت حسنا الاسمج فى عيني لحسنها قال سليمان أبازيد كاد الجهل ان يستفزني والصبا ان يعاودني والحلم ان يعزب عني لحسن مارأيت وشجو ماسمعت تلك هى الذلفاء التي يقول فيها الشاعر

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله أبى من لا يموت الا بحزنها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت نهبة قم اباز يد فاكتم المفاوضة ياغلام ثقله بدرة فأخذتها وانصرفت قال ابو زيد فلما أفضت الخلافة الى سليمان صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر الغض من بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع فهى كالثوب الحرمي وحواشى البرد الانحمي يثير منهامر الرياح نسيما يربى

على رائحة العنبر وفتيت المسك الاذفر وكان له مغن ونديم وسمير يقال له سنان به يانس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وقد كانت الذلفاء خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان فى أكمل سرور وأتم حبور الى ان انصرف مع الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له قرانا أصلحك الله قال وماقراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه اياى عنه الا ما كان من مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا قال فرفع عقيرته يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فأرّقها * فى آخر الليل لما ظلها السحر
تثني على الخد منها من معصفرة * والحلى باد على لباتها خضر
فى ليلة التم لا يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت اجراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو خليت لمشت نحوى على قدم * يكاد من لينه المشي ينفطر

فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى وسط الفسطاط تستمع فجعلت لا تسمع شيا من خلق ولطافة قد الا الذى وافق المعني ومن نعت الليل واستماع الصوت الا رأت ذلك كله فى نفسها ومهبها فحرك ذلك ساكنا فى قلبها فهملت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال فقال لها ماهذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزي معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ماخامر ياغلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت ان سبقت رسول امير المؤمنين الى سنان فحذره ولك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله فخرج الرسول فسبق رسول سليمان فلما أتى به قال ياسنان ألم انهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملنى الثمل وانا عبد أمير المؤمنين وغذى نعمته فان رأى امير المؤمنين ان لا يضيع حظه من عبده

فليفعل قال اما حظي منك فلن أضيعه ولكن ويلك اما علمت ان الرجل اذا تغنى اصغت المرأة اليه وان الفرس اذا صهل تودقت له الحصان وان الفحل اذا هدر صغت له الناقة وان التيس اذا نب استحرمت له الشاة اياك والعود الى ما كان منك يطول غمك (قال اسحق) حدثني ابو السمراء قال حججت فبدأت بالمدينة فاني لمنصرف من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بامرأة بفناء المسجد تبيع من طرائف المدينة واذا هي في ناحية وحدها وعليها ثوبان خلقان واذا هي ترجع بصوت خفي شجي فالتفت فرأيتها فوقفت فقالت هل من حاجة قلت تزيدين في السماع قالت وانت قائم لو قعدت فقعدت كالخجل فقالت كيف علمك بالغناء قلت علم لا أحمده قالت فعلام أنفخ بغير نار ما منعك من معرفته فوالله انه اسحوري وفطوري قلت وكيف وضعته بهذا الموضع العافي قالت ياهذا وهل له موضع يوضع به وهو في علوه في السماء الشاهقة قلت فكل هؤلاء النسوة اللاتي أري على مثل رأيك وفي مثل حالك قالت فيهن وفيهن ولي بينهن قصة قالت وما هي قالت كنت ايام شبابي وانا في مثل هذه الخلقة التي تري من القبح والدمامة وكنت اشتهي الجماع شهوة شديدة وكان زوجي شابا وضيئا وكان لا ينتشر علي حتى اتحفه واطيبه واسكره فاضر ذلك بي وكان قد علقته امرأة فصارت تحاورني فزاد ذلك في غمي فشكوت الى جارة لي ما انا فيه وغلبة امرأة القصار على زوجي فقالت ا ذلك على ما ينهضه عليك ويرد قلبه اليك قلت وابابي انت اذا تكونين اعظم الخلق منة علي قالت اختلفي الي مجمع مولى الزبير فانه حسن الغناء فاعلقي من غنائه اصواتا عشرة ثم غني بها زوجك فانه سيجامعك بجوارحه كلها قالت فالتمست بمجمع فلم افارقه حتى رضيني حذاقة ومعرفة فكنت اذا أقبل زوجي اضطجعت ورفعت عقيرتي ثم غنيت فاذا غنيت صوتا بت على نيف وان غنيت صوتين بت على اثنين وان ثلاثة فثلاثة

فكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتي قيل لن يتصدعا

قال فضحكت والله حتي أمسكت على بطني وقلت ياهذه ما أظن انه خلق مثلك قالت اخفض من صوتك قلت ما كان اعظم منة من المشورة قالت حسبك بها منة وحسبك بي شاكرة قلت ففي قلبك من تلك الشهوة شيء قالت لذع في الفؤاد وأما تلك الغلمة التي كانت تنسيني الفريضة

وتقطعني عن النائلة فقد ذهب تسعة اعشارها فوقفت عليها وقلت ألك حاجة ان ارم حالك قالت لا انا في فائت من العيش فلما نهضت لا قوم قالت على رسلك لا تنصرف خائبا ثم ترنمت بصوت تخفيه من جاراتها

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح
أبى الناس كل الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

(أبو بكر بن جامع عن الحسين بن موسى) قال كتب علي بن الجهم الى قينة كان يعشقها

خفي الله فيمن قد تبلت فؤاده * وتيمته دهرا كان به سحرا
دعي الهجر لا اسمع به منك انما * سألتك أمرا ليس يعرى لكم ظهرا

فكتبت اليه صدقت جعلت فداك ليس يعرى انا ظهرا ولكنه يملأ لنا بطنا وكان ابو بكر الكاتب مفتتنا بقينة محمد بن حماد فاهدى اليها ممسكة فقال فيها بعض الكتاب

أهدى اليها قميصا * ينيكها فيه غيره
فللسعادة حرها * وللشقاوة ايره

(حدث) ابو عبد الله بن عبد البر بمصر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان بالمدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداها رشا وللاخرى جؤذر وكان يحب الغناء وكان بالمدينة مضحك لا يكاد يغيب عن مجالس أحد فارسل الهاشمي اليه ذات يوم ليضحك به فلما أتاه قال ما الفائدة فيك وفي لذتك ولا لذة لي قال له وما لذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فامر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر ان يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحركت عليه بطنه وتناوم الهاشمي وغمز جواريه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف المراحيض فقال لهما يا حبيبتي اين المرحاض قالت احداهما لصاحبتها ما يقول قالت يقول غنياني

رحضت فؤادي فخليتني * أهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا يغنيانه فقال في نفسه ما أراهما فهمتا عني أظنهما مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج قال يا حبيبتي أين المخرج قالت احداهما للاخرى ما يقول قالت يقول غنياني

خرجت بها من بطن مكة بعدما * أصات المنادي للصلاة فاعلما

فاندفعتا بغنيانه فقال في نفسه لم ينهما والله على اظنهما شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال لهما ياحبيبتى اين المذهب قالت احداهما لصاحبتها مايقول قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران في غير مذهب ٭ ولم يك حقا كل هـذا التجنب

فغنياه الصوت فقال في نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الامدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال لهما ياحبيبتي أين بيت الخلاء قالت احداهما لصاحبتها مايقول قالت يسال أن نغني

خلى على جوى الاحزان اذظعنا ٭ من بطن مكة والتسهيد والحزنا

قال فغنياه فقال انالله وانا اليه راجعون ماأحسب الفاسقتين الابصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال لهما أين الحش فقالت احداهما لصاحبتها مايقول قالت يسال ان نغنيه

فلقد أوحش الجهيدان منها ٭ فمناها فالمنزل المعمور

فاندفعتا يغنيانه فقال ماأراهما الاكوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف قال ياحبيبتي أين الكنيف قالت احداهما لصاحبتها يعيش سيدنا هل رأيت اكثر اقتراحا من هذا الرجل مايقول قالت يسال أن نغنى

تكنفني الهوى طفلا ٭ فشيبنى وما اكتهلا

قال فبلغه بطنه وعلم انهما يولعان به والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما كذبتما يازانيتان ولكنى اعلمكما ماهو فرفع ثيابه فسلح عليهما وانتبه الهاشمي فقال له سبحان الله أتسلح على وطائى قال والذى خرج من بطني أعز علىّ من وطائك ان هاتين الزانيتين انما حسبتا انى اسال عن الحش للضراط فاعلمتهما ماهو

٩ — قولهم في العود — قال يزيد بن عبد الملك يوماوذكر عنده البربط فقال ليت شعرى ماهو فقال له عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود انا اخبرك ماهو هو محدودب الظهر ارسح البطن له أربعة اوتار اذا حركت لم يسمعها أحد الاحرك أعطافه وهز رأسه ٭ مر اسحق بن ابراهيم الموصلى برجل ينحت عودا فقال لمن ترهف هذا السيف

(ومن قولنا في هذا المعنى)

يامجلسا أينعت منه ازاهره ٭ ينسيك أوله في الحسن آخره

لم يدر هل بات فيه ناعما جذلا ٭ أوبات في جنة الفردوس سامره

فالعود يخفق مثناه ومثلثه * والصبح قد غردت فيه عصافره
وللحجارة اهزاج اذا نطقت * احيا بها الكبير المحنى ناقره
وحن بينهما الكشبان عن نغم * تبدى عن الصب ماتخفى ضمائره
كأنما العود فيما بيننا ملك * يمشي الهوينا وتتلوه عساكره
كأنه اذ تطى وهي تتبعه * كسرى بن هرمز تقفوه اساوره
ذاك المصون الذي لوكان مبتذلا * ما كان يكسر بيت الشعر كاسره
صوت رشيق وضرب لو يراجعه * سجع القريض اذا ضلت أساطره
لوكان زرياب حيا ثم اسمعه * لمات من حسد اذلا يناظره

﴿ وقال بعض الكتاب فى العود ﴾

وناطق بلسان لاضمير له * كانه فخذ نيطت الى قدم
يبدى ضمير سواه فى الكلام كما * يبدى ضمير سواه منطق الكلم

﴿ وقال الحمدونى فيه ﴾

وسجعت رجع صوت بين أربعة * سر الضمائر فيما بينها علن
فولدت للندامي بين نغمتها * وكفها فرحا تفصيله حزن
فما تلعثم عنها لفظ مزهرها * ولا تحير فى ألحانها لحن
تهدى الى كل حر من طبائعها * بنانها نغم اثمارها فتن
وترتقي العين منها روض وجنتها * طورا وتسرح فى ألفاظها الاذن

﴿ وقال عكاشة بن الحصين ﴾

من كف جارية كان بنانها * من فضة قد طرفت عنابا
وكان يمناها اذا ضربت بها * تلقي على يدها الشمال حسابا

﴿ ومن قولنا فى العود ﴾

يارب صوت بصوغه عصب * نيطت بساق من فوقها قدم
جوفاء مضمومة أصابعها * مسكنات تحريكها نغم
أربعة جزئت لاربعة * اجزاؤها بالنفوس تلتحم
اصغرها فى القلوب أكبرها * يبعث منها الشفاء والسقم

اذا أرنت بغمز لافظهـا * قلت حمام يجيبهن حم
لها لسان بكف ضاربها * يعرب عنها ومالهن فم

١٠ — قولهم في المبرزين في الغناء — قال أبو نواس

قل لزهير اذا شدا وحدا * أقلل أو اكثر فانت مهـذار
سخنت من شدة البرودة حتى * صرت عندي كانك النار

﴿ وقال أيضا ﴾

لا يعجب السامعون من صفتي * كذلك الثلج بارد حار

﴿ وقال أيضا ﴾

قد نضجنا ونحن في الجيش طرا * انضجتنا كواكب الجوزاء
فاصيبوا لنا حسينا ففيه * عوض من جليد برد الشتاء
لو يغني وفوه ملآن جمرا * لم يضره من برد ذاك الغناء

﴿ وله ﴾

كان أبا المفلس اذ يغني * يحاكي غاطسا في عين شمس
يميل بشدقه طورا وطورا * كان بشدقه ضربان ضرس

﴿ وقال دعبل ﴾

ومغن ان تغني * اورث الندمان هما
أحسن الاقوام حالا * فيه من كان اصما

﴿ وقال الحمدوني ﴾

بينما نحن سالمون جميعا * اذ أتانا ابن سالم مختالا
فتغنى صوتا فكان خطاء * ثم ثنى أيضا فكان محالا
سالنا حاجة على ماتغني * فخلعنا على قفاه النعالا

﴿ ولعباس الخياط ﴾

رأيت نصرا شاديا يضرب * فقمت من مجلسنا اهرب
لانه ينبح من عـوده * عليك من أوتاره أكلب
كانمـا تسمع في حلقه * دجاجة يخنقها ثعلب

ما عجبي منه ولكنني * من الذى يسمعه أعجب

﴿ وقال آخر ﴾

ومغن يخرى على جلسائه * ضرب الله شدقه بغنائه

وقال مؤمن فى ربيع المغني وكان يتغني وينقر فى الدواة

غناؤك يا ربيع أشد بردا * اذا حمى الهجير من الصقيع
ونقرك فى الدواة أشد منه * فما يصبو اليك سوى رقيع
أغننا فى المصيف اذا تلظي * ودعنا فى الشتاء وفى الربيع

١١ — باب من الرقائق — وقد جبل أكثر الناس على سوء الاختيار وقلة التحصيل والنظر مع لؤم الغرائز وضعف الهمم وقل من يختار من الصنائع أرفعها و يطلب من العلوم أنفعها ولذلك كان أثقل الاشياء عليهم وأبغضها اليهم مؤنة التحفظ وأخفها عندهم وأسهلها عليهم اسقاط المروءة (وقيل) لبعضهم ما أحلى الاشياء كلها قال الارتكاس (وقيل) لعبد الله بن جعفر ما أطيب العيش قال هتك الحياة واتباع الهوى (وقيل) لعمرو بن العاص ما أطيب العيش قال ليقم من هنا من الاحداث قال فلما قاموا قال العيش كله اسقاط المروءة وأي شيء أثقل على النفس من مجاهدة الهوي ومكابدة الشهوة ومن ذلك كان سوء الاختيار أغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار ألا ترى ان محمد بن يزيد النحوى على علمه باللغة ومعرفته باللسان وضع كتابا سماه بالروضة وقصد فيه الى أخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الا أبرد ما وجد له حتي انتهى الى الحسن بن هاني، وقلما يأتى له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة بنيته وعذوبة ألفاظه فاستخرج له من البرد أبياتا ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من أين وقع عليها وهى

ألا لا يلمني فى العقار جليسى * ولا يلحني في شربها بعبوس
تعشقها قلبي فبغض عشقها * الى من الاشياء كل نفيس

وأين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكره فى كتاب الموالى فقال ومن الموالى الحسن بن هانى، وهو من أقدر الناس على الشعر وأطبعهم فيه

﴿ ومن قوله ﴾

فجاء بها صفراء بكرا يزفها * الى عروسا ذات دل معتق
فلما جلتها الكاس أبدت لناظري * محاسن ليث بالجمال مطوق

﴿ ومن قوله ﴾

ساع بكاس الى ناس على طرب * كلاهما عجب فى منظر عجب
قامت تريك وشمل الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء والعنب
كان صغري وكبرى من فقاقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وجل اشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها فخطر بها كلها وتخطاها الى التى جانسته فى برده فما احسبه لحتمه هذا الاسم المبرد الا لبرده (وقد تخير) لابى العتاهية اشعارا تقتل من بردها وشنعها وقرظها بكلامه فقال ومن شعر أبي العتاهية المستظرف عند الظرفاء المخير عند الخلفاء قوله

ياقرة العين كيف أمسيت * اعزز علينا بما اشتكيت

﴿ وقوله ﴾

آه من وجدى وكربى * آه من لوعة حبى
ما أشد الحب ياسبحانك اللهم ربي

﴿ ونظير هذا ﴾

من سوء الاختيار ماتخيره أهل الحذق بالغناء والصانعون للالحان من الشعر القديم والحديث فانهم تركوا منه الذي هو أرق من الماء وأصفى من رقة الهواء وكل مدنى رقيق قد غذي بماء العقيق وغنوا بقول الشاعر

فلا انسي حياتي ما * عبدت الله لى ربا
وقلت لها ابيليني * فقالت تعرف الذنبا
ولو تعلم مابي لم * تر الذنب ولا العتبا

وأقل ما كان يجب فى هذا الشعر أن يضرب قائله خمسمائة وصانعه أربعمائة والمغني به ثلثمائة والمصغى اليه مائتين

﴿ ومثله ﴾

كانها الشمس اذا ما بدت * تلك التى قلبي لها يضرب

تلك سلمي اذا مابدت * وما أنا في ودها أرغب
كأن في النفس لها ساحرا * ذاك الذى علمه المذهب

يعني المذهب الحبي

﴿ ومثله ﴾

ياخليلي أنتما عللاني * بين كرم مزهر وجنان
خبراني أين حلت منايا * ياعباد الله لا تكتماني
انما حلت بواد خصيب * ينبت الورس مع الزعفران
حلفا بالله لو وجد اني * غرقا في البحر ما أنقذاني

﴿ ومثله ﴾

أبصرت سلمى من منى * يوما فراجعت الصبا
يادرة البحر متى * تشهد سوقا يشترى

﴿ ومثله ﴾

يامعشر الناس هذا * أمر وربي شديد
لاتعنفي يافلانه * فانني لا أريد

﴿ ومثله ﴾

أرقت فامسيت لا أرقد * وقد شفني البيض والخود
فصرت لظبي بني هاشم * كاني مكتحل أرمد
أقلب أمري لدى فكرتي * وأهبط طورا فما أصعد
وأصعد طورا ولا علم لي * على أنني قبلكم أرشد

﴿ ومثله ﴾

ما أرجى من حبيب * ضن عني بالمداد
لو بكفيه سحاب * ماارتوت منه بلادي
أنا في واد ويمسى * هو لي في غير واد
ليته اذ لم يجد لي * بالهوى رد فؤادي

﴿ ومثله ﴾

ما لسلمى تجنبت * مالها ليوم مالها
ان تكن قد تغضبت * اصلح الله حالها

١٢ — باب من رقائق الغناء (قال الزبير بن بكار) سالت اسحق هل تغنى من شعر الراعى شيا قال وأين أنت من قوله

فلم أر مظلوما على حال عزة * أقل انتصارا باللسان وباليد
سوى ناظر ساج بعين مريضة * جرت عبرة منها ففاضت بأثمد

(ومن شعر) ابن الدمنية وهو عبيد الله بن عبد الله والدمنية أمه وهو من أرق شعراء المدينة بعد كثير عزة وقيس بن الحطيم

بنفسى وأهلى من اذا عرضوا له * ببعض الاذي لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البري ولم تزل * له بهتة حتي يقال مريب
جرى الليل فاستبكاني السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب
وما ذاك الا ان تيقنت أنه * يمر بواد أنت منه قريب
يكون اجاجا قبلكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
أيا ساكني شرقي دجلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(ومن قول يزيد بن الطثرية) وغني به ابن صياد المدني وغيره

بنفسى من لو مر برد بنانه * على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى في كل شيء وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

﴿ ومما يغني به من قول جرير ﴾

أتذكر اذ تودعنا سليمي * بعود بشامة سقى البشام
بنفسي من تجنبه عزيز * على ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه * ويطرقنى اذا هجع النيام
متي كان الخيام بذى طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

(ومما غنى به نومة الضحى)

ياموقد النار قد اعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبي بمقباس
ما أوحش الناس فى عيني وأقبحهم * اذا نظرت فلم أبصرك فى الناس

(ومما) يغني به من شعر ذي الرمة وهو من أرق شعر يغنى به قوله

لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت أروح

واكثر ما كان يغني معبد بشعر الاحوص (ومن جيد ما غني به له قوله)

كأني من تذكر أم حفص * وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام
سلام الله يامطر عليها * وليس عليك يامطر السلام
فان يكن النكاح أحل شيء * فان نكاحها مطرا حرام

(ومن شعر) المتوكل بن عبد الله بن نهشل وكان كوفيا في عصر معاوية (وهو القائل)

* لا تنه عن خلق وتأتي مثله *

قفي قبل التفرق يا اماما * وردى قبل بينكم السلاما
ترجيها وقد شطت نواها * ومنتك المنى عاما فعاما
فلا وأبيك لا أنساك حتى * تجاوب هامتي في القبر هاما

(ومما يغنى به من شعر عدي بن الرقاع)

تزجي أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها
ولقد أصبت من المعيشة لذة * ولقيت من شظف الخطوب شدادها
وعلمت حتى ما أسائل عالما * عن حرف واحدة لكي أزدادها



٢١

كتاب المرجانة الثانية

في النساء وصفاتهن

(قال أبو عمر) أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله قد مضى قولنا في الغناء واختلاف الناس فيه ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن اذ كان كله مقصورا على الحليلة الصالحة والزوجة الموافقة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى كريم عشرتها ولا تقر العين برؤيتها. قال الاصمعى. حدثني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال ما رفع أحد نفسه بعد الايمان بالله بمثل منكح صدق ولا وضع أحد نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء: ثم قال لعن الله فلانة ألفت بني فلان بيضا طوالا فقلبتهم سودا قصارا (وفي حكمة) سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تبنى بيتها والسفيهة تهدمه (وقال) الجمال كاذب والحسن مخلف وانما تستحق المدح المرأة الموافقة وعن عكاف بن وداعة الهلالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا عكاف ألك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فانكح فان من سنتنا النكاح (وقالت) عائشة النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته (وقال) صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالنساء فانهن عندكم عوان يعني أسيرات

١ — قولهم في المناكح — خطب صعصعة بن معاوية الى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنته عمرة وهى ام عامر بن صعصعة فقال ياصعصعة انك أتيتني تشتري مني كبدي فارحم ولدى قبلتك أورددتك والحسيب كفء الحسيب والزوج الصالح أب بعد أب وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر الى العلانية يامعشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة أقسم لولا قسم الحظوظ على الجدود ما ترك الاول للآخر ما يعيش به (العباس بن خالد السهمي) قال خطب عمرو بن حجر الي عوف بن محلم الشيباني

ابنته أم اياس فقال نعم أزوجكما على ان اسمي بنيها وأزوج بناتها فقال عمرو بن حجر اما بنونا فنسميهم باسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا وأما بناتنا فننكحهن اكفاءهن من الملوك ولكني أصدقها عقارا في كندة وأمنحها حاجات قومها لا نرد لاحد منهم حاجة فقبل ذلك منه أبوها وأنكحه اياها فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها فقالت أي بنية انك فارقت بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى فيه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له أمة يكن لك عبدا واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا (أما) الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة (وأما) الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وانفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح (وأما) الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه فان تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة (وأما) السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله وملاك الامر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير (وأما) التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ولا تفشين له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تامني غدره ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهما والكآبة بين يديه اذا كان فرحا فولدت له الحرث بن عمرو جد امرىء القيس الشاعر (الشيباني) قال حدثنا بعض أصحابنا ان زرارة بن عدس نظر الى ابنه لقيط فقال مالي أراك مختالا كانك جئتني بابنة ذي الجدين أو مائة من هجائن النعمان فقال والله لا يمس رأسي دهن حتي آتيك بهما أو أبلي عذرا فانطلق حتى أتى ذا الجدين وهو قيس بن مسعود الشيباني فوجده جالسا في نادي قومه من شيبان فخطب اليه ابنته علانية فقال له هلا ناجيتني قال علمت اني ان ناجيتك لم أخدعك وان عالنتك لم أفضحك قال ومن أنت قال لقيط بن زرارة قال لاجرم لا تبيتن فينا عزبا ولا محروما فزوجه وساق عنه المهر وبني بها من ليلته تلك ثم خرج الى النعمان فجاء بمائتين من هجائنه واقبل الى أبيه وقد وفي بنذره فبعث اليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس فخرج لقيط يتلقاها في الطريق ومعه ابن عم له يقال له قراد فقال لقيط

هاجت عليك ديار الحي أشجانا * واستقبلوا من نوى الجيران قربانا
نامت فؤادك لم تقض الذى وعدت * احدى نساء بني ذهل بن شيبانا
فانظر قراد وهل في نظرة جزع * عرض الشقائق هل تنبت أجفانا

فيهن جارية نضح العبير بها ❊ تكسى ترائبها درا ومرجانا
كيف اهتديت ولا نجم ولا علم ❊ وكنت عندي نؤوم الليل وسنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت مرواني على ابى أودعه فلما ودعته قال لها يابنية كوني له أمة يكن لك عبدا وليكن أطيب طيبك الماء ثم لا أذكرت ولا أبسرت فانك تلدين الاعداء وتقربين البعداء ان زوجك فارس من فرسان مضر فاذا كان ذلك فلا تخمشي وجها ولا تحلقي شعرا فلما قتل لقيط تحملت الى أهلها ثم مالت الى مجلس عبد الله بن دارم فقالت نعم الاحماء كنتم يابني دارم وأنا أوصيكم بالقرائب خيرا فلم أر مثل لقيط ثم لحقت بقومها فتزوجها ابن عم لها فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط فقال لها زوجها أى يوم رأيت فيه لقيطا أحسن فى عينك قالت خرج يوما يصطاد فطرد البقر فصرع منها ثم أتانى مختضبا بالدماء فضمني ضمة ولثمني لثمة فليتني مت ثمة فخرج زوجها ففعل مثل ذلك ثم أتاها فضمها ولثمها ثم قال لها من أحسن أنا أم لقيط عندك قالت مرعي ولا كالسعدان (أبو الفضل) عن بعض رجاله قال قدم قيس بن زهير بعد ماقتل أهل الهباءة على النمر بن قاسط فقال يامعشر النمر نزعت اليكم غريبا حزينا فانظروا لى امرأة أتزوجها قد أذلها الفقر وأدبها الغنى لها حسب وجمال فزوجوه على هيئة ما طلب فقال اني لا أقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقي اني غيور فخور ضجور ولكني لا أغار حتي أري ولا أفخر حتى أفعل ولا آنف حتى أظلم فاقام فيهم حتي ولد له غلام سماه خليفة ثم بدا له ان يرتحل عنهم فجمعهم ثم قال يامعشر النمر ان لكم علىّ حقا وأنا أريد ان أوصيكم فآمركم بخصال وانهاكم عن خصال عليكم بالاناة فان بها تنال الفرصة وسودوا من لا تعابون بسودده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء ماتريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع ماتريدون منعه قبل القسم واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل وانهاكم عن الرهان فان بها ثكلت مالكا وانهاكم عن البغى فانه صرع زهيرا وعن السرف فى الدماء فان يوم الهباءة أورثني الذل ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ولا تردوا الاكفاء عن النساء فتحوجوهن الى البلاء فان لم تجدوا الاكفاء فخير أزواجهن القبور واعلموا اني اصبحت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا وظلمت بقتلى من لاذنب له (كان) الفاكه بن المغيرة المخزومي احد فتيان قريش وكان قد تزوج هند ابنه عتبة وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا اذن فقال يوما فى ذلك البيت وهند معه ثم

خرج عنها وتركها نائمة فجاء بعض من كان يغشى البيت بها فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها فاستقبله الفاكه بن المغيرة فدخل على هند وانبهها وقال من هذا الخارج من عندك قالت والله ما انتبهت حتى أنبهتني ومارأيت احدا قط قال الحق بابيك وخاض الناس فى أمرهم فقال لها أبوها يابنية العار وان كان كذبا بثيني شانك فان كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان الجن قالت والله باابت انه لكاذب فخرج عتبة فقال انك رميت ابنتي بشيء عظيم فاما ان تبين ماقلت والا فحاكمني الى بعض كهان اليمن قال ذلك لك فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ونسوة من بني مخزوم وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند وكسف بالها فقال لها أبوها أى بنية ألا كان هذا قبل أن يشتهر فى الناس خروجنا قالت ياابت والله ماذلك لمكروه قبلي ولكنكم تاتون بشرا يخطىء ويصيب ولعله ان يسمني بسمة تبقى على ألسنة العرب فقال لها أبوها صدقت ولكنى ساختبره لك فصفر بفرسه فلما أدلى عمد الى حبة بر فادخلها فى احليله ثم اوكأ عليها وسار فلما نزلوا على الكاهن اكرمهم ونحر لهم فقال له عتبة انا اتيناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة فما هي قال برة فى كمرة قال اريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت فانظر فى امر هؤلاء النسوة فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ويقول قومى لشانك حتى اذا بلغ الى هند مسح يده على رأسها وقال قومى غير رسخاء ولا زانية وستلدين ملكا يسمي معاوية فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فنثرت يده من يدها وقالت والله لاحرصن ان يكون ذلك الولد من غيرك فتزوجها ابو سفيان فولدت له معاوية (وذكروا) ان هند ابنة عتبة بن ربيعة قالت لابيها ياأبت انك زوجتني من هذا الرجل ولم تؤامرني فى نفسي فعرض لى معه ماعرض فلا تزوجني من أحد حتى تعرض على امره وتبين لى خصاله فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها وهو يقول

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما * رضا لك ياهند الهنود ومقنع
وما منهما الا يعاش بفضله * وما منهما الا يضر وينفع
وما منهما الا كريم مرزأ * وما منهما الا أغر سميدع
فدونك فاختارى فانت بصيرة * ولا تخدعي ان المخادع يخدع

قالت يا أبت والله ما أصنع بهذا شيا ولكن فسر لى امرهما وبين لى خصالهما حتى اختار لنفسى أشدهما موافقة لى فبدأ بذكر سهيل بن عمرو فقال اما احدهما ففى ثروة وسعة من العيش ان تابعتيه تابعك وان ملت عنه حط اليك تحكمين عليه فى أهله وماله واما الآخر فموسع عليه منظور اليه فى الحسب الحسيب والرأى الاريب مدره أرومته وعز عشيرته شديد الغيرة كبير الطهر لاينام على ضعة ولا يرفع عصاه عن أهله فقالت ياأبت الاول سيد مضياع للحرة فما عست ان تلين بعد ابائها وتضيع تحت جناحه اذا تابعها بلعها فاشرت وخافها أهلها فامنت فساء عند ذلك حالها وقبح عند ذلك دلالها فان جاءت بولد احمقت وان أنجبت فعن خطا ما انجبت فاطو ذكر هذا عنى ولا تسمه على بعد وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة وانى للتى لا اريب له عشيرة فتعيره ولا تصيره بذعر فتضيره وانى لاخلاق مثل هذا لموافقة فزوجنيه فزوجها من ابى سفيان فولدت له معاوية وقبله يزيد فقال فى ذلك سهيل بن عمرو

نبئت هندا تبر الله سعيها * تأبت وقالت وصف أهوج مائق
وما هوجى يا هند الا سجية * اجر لها ذيلى بحسن الخلائق
ولوشئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولاطمعت بالبطحاء فى كل شارق
ولكننى أكرمت نفسى تكرما * ورافعت عنها الذم عند الخلائق
وانى اذا ما حرة ساء خلقها * صبرت عليها صبر آخر عاشق
فان هى قالت خل عنها تركتها * واقلل بترك من حبيب مفارق
فان ساجونى قلت امرى اليكم * وان أبعدونى كنت فى رأس حالق
فلم تنكحى ياهند مثلى وانى * لمن لم يقفنى فاعلمى غير وامق

فبلغ أبا سفيان فقال والله لو أعلم شيا يرضى ابا يزيد سوى طلاق هند لفعلته وألح سهيل فى تنقيص ابى سفيان فقال أبو سفيان

رأيت سهيلا قد تفاوت شاوه * وفرط فى العلياء كل عنان
وأصبح يسمو للمعالى وانه * لذو جفنة مغشية وقيان
وشرب كرام من لؤى بن غالب * عراض المساعى عرضة الحدثان
ولكنه يوما اذا الحرب شمرت * وابرز فيها وجه كل حصان

فطأطأ فيها مااستطاع بنفسه ❊ وقنع فيها رأسه ودعاني
فاكفيه مالا يستطاع دفاعه ❊ والقيت فيها كلكلي وجراني

قال وتزوج سهيل بن عمرو امرأة فولدت له ولدا فبينا هو سائر معه اذ نظر الى رجل يركب ناقة ويقود شاة فقال لابيه يا ابت هذه ابنة هذه يريد الشاة ابنة الناقة فقال أبوه يرحم الله هندا يعني ما كان من فراستها فيه (وعن على بن أبي طالب) رضى الله عنه انه قال يارسول الله لو تزوجت ام هانيء بنت ابي طالب فقد جعل الله لها قرابة فتكون صهرا أيضا فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لهو احب الى من سمعى وبصرى ولكن حقه عظيم وأنا مؤتمة فان قمت بحقه خفت ان اضيع ايتامى وان قمت بامرهم قصرت عن حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناها على ولد فى صغره وارعاها على بعل فى ذات يده ولو علمت ان مريم ابنة عمران ركبت جملا لاستثنيتها (ولما) توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان عرض عليه عمر ابنته حفصة فسكت عنه عثمان وقد كان بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يزوجه ابنته الاخري فشكا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سكوت عثمان عنه فقال له سيزوج الله ابنتك خيرا من عثمان ويزوج عثمان خيرا من ابنتك فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج عثمان ابنته صلى الله عليه وسلم (ولما) خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ذكرت ذلك لورقة بن نوفل وهو ابن عمها فقال هو الفحل لا يقدع أنفه تزوجيه (وخطب) عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت ابي بكر وهى صغيرة فارسل الى عائشة فقالت الامر اليك فلما ذكرت ذلك عائشة لام كلثوم فقالت لا حاجة لى فيه فقالت عائشة أترغبين عن أمير المؤمنين قالت نعم انه خشن العيش شديد على النساء فارسلت عائشة الى المغيرة بن شعبة فاخبرته فقال لها انا اكفيك فاتى عمر فقال يا أمير المؤمنين بلغنى عنك امر أعيذك بالله منه قال ماهو قال بلغني انك خطبت أم كلثوم بنت ابي بكر قال نعم أفرغبت بها عنى ام رغبت بي عنها قال لا واحدة منهما ولكنها حدثة نشات تحت كنف خليفة رسول الله فى لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر ان نردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك فى شيء فسطوت بها كنت قد

خلفت أبا بكر فى ولده بغير ما يحق عليك فقال كيف لى بعائشة وقد كلمتها قال انا لك بها وأدلك على خير لك منها أم كلثوم بنت على من فاطمة بنت رسول الله تتعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على قد عزل بناته لولد جعفر بن أبى طالب فلقيه عمر فقال يا أبا الحسن انكحنى ابنتك ام كلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد حبستها لابن جعفر قال انه والله ما على الارض احد يرضيك من حسن صحبتها بما ارضيك به فانكحني يا أبا الحسن قال قد انكحتكها يا أمير المؤمنين فاقبل عمر فجلس فى الروضة بين القبر والمنبر واجتمع اليه المهاجرون والانصار فقال زفوني قالوا بمن يا أمير المؤمنين قال بام كلثوم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي وقد تقدمت لى صحبة فاحببت ان يكون لى معها سبب فولدت له ام كلثوم زيد بن عمر ورقية بنت عمر وزيد بن عمر هو الذى لطم سمرة بن جندب عند معاوية اذ تنقص عليا فيما يقال (وخطب) سلمان الفارسى الى عمر ابنته فوعده بها فشق ذلك على عبد الله بن عمر فلقى عمرو بن العاص فشكا ذلك اليه فقال له سأكفيكه فلقى سلمان فقال له هنيالك يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل فى تزويجك ابنته فغضب سلمان وقال لا والله لا تزوجت اليه أبدا (وخرج) بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخيه الى قوم من بنى ليث يخطب اليهم لنفسه ولاخيه فقال انا بلال وهذا أخي كنا ضالين فهدانا الله وكنا عبدين فاعتقنا الله وكنا فقيرين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فالمستعان الله قالوا نعم وكرامة فزوجوهما (قالت تماضر) امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان هل لك فى ابنة عم لى بكر جميلة ممتلئة الخلق أسيلة الخد اصيلة الرأى تتزوجها قال نعم فذكرت له نائلة بنت القرافصة الكلبية فتزوجها وهي نصرانية فتحنفت وحملت اليه من بلاد كلب فلما دخلت عليه قال لها لعلك تكرهين ما ترين من شيبي قالت والله يا أمير المؤمنين اني من نسوة احب ازواجهن اليهن الكهل قال اني قد جزت الكهول وانا شيخ قالت أذهبت شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خير ما ذهبت فيه الاعمار قال أتقومين الينا أم نقوم اليك قالت ما قطعت اليك أرض السماوة وأريد أن انثني الى عرض البيت وقامت اليه فقال لها انزعي ثيابك فنزعتها فقال حلى مرطك قالت انت وذاك قال ابو الحسن فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل فلما دخل اليه وقته

بيدها فجذمت أناملها فارسل اليها معاوية بعد ذلك يخطبها فارسلت اليه ماترجو من امرأة جذماء وقيل انها قالت لما قتل عثمان انى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيت ان يبلى حزن عثمان من قلبي فدعت بفهر فهتمت فاها وقالت والله لا قعد أحد مني مقعد عثمان أبدا (وكانت) فاطمة بنت الحسين بن علي عند حسن بن حسن بن على فلما احتضر قال لبعض أهله كانى بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان اذا سمع بموتى قد جاء يتهادى فى ازار له مورد قد أسبله فيقول جئت أشهد ابن عمي وليس يريد الا النظر الى فاطمة فاذا جاء فلا يدخلن قال فو الله ماهو الا أن غمضوه فجاء عبد الله بن عمرو فى تلك الصفة التى وصفها فمنع ساعة فقال بعض القوم لا يدخل وقال بعضهم افتحوا له فان مثله لا يرد ففتحوا له ودخل فلما صرنا الى القبر قامت عليه فاطمة تبكى ثم اطلعت الى القبر فجعلت تصك وجهها بيديها حاسرة قال فدعا عبد الله بن عمر وصيفاً له فقال انطلق الى هذه المرأة وقل لها يقرئك ابن عمك السلام ويقول لك كفى عن وجهك فان لنا به حاجه فلما بلغها الرسالة أرسلت يديها فادخلتهما فى كميها حتى انصرف الناس فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك فولدت له محمد بن عبد الله وكان يسمى المذهب لجماله وكانت ولدت من حسن بن حسن عبد الله بن حسن الذى حارب أبو جعفر ولديه ابراهيم ومحمدا ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى قتلهما (وعن سلمة بن محارب) قال مارأيت قرشيا قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذى ولدته فاطمة بنت الحسين وكانت له ابنة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة أسماء بنت أبى بكر الصديق وأم محمد فاطمة بنت الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم فاطمة بنت الحسين أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب (وعن الهيثم بن عدى) الطائى قال حدثنا مجالد عن الشعبي قال قال لى شريح ياشعبي عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا قال وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهم فاذا أنا بعجوز على باب دار والى جنبها جارية كاحسن مارأيت من الجوارى فعدلت فاستسقيت وما بي عطش فقالت أى الشراب أحب اليك فقلت ماتيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه

بلهن فاني أظن الرجل عربيا قلت من هذه الجارية قالت هذه زينب ابنة جرير احدى نساء بني حنظلة قلت فارغة هى أم مشغولة قالت بل فارغة قلت زوجينيها قالت ان كنت لها كفؤا ولم تقل كفوا وهى لغة تميم فمضيت الى المنزل فذهبت لاقيل فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بايدى اخوانى من القراء الاشراف علقمة والاسود والمسيب وموسى بن عرفطة ومضيت أريد عمها فاستقبلنا فقال ياأبا أمية حاجتك قلت زينب بنت أخيك قال مابها رغبة عنك فانكحنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أضمها الى فان رأيت ماأحب والا كان ذلك فلو رأيتني ياشعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتي أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين فيسال الله من خيرها و يعوذ به من شرها فصليت وسلمت فاذا هى من خلفى تصلى بصلاتي فلما قضيت صلاتى أتتني جواريها فاخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت فى عكر العصفر فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناحيتها فقالت على رسلك أباأمية كما أنت ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله اني امرأة غريبة لاعلم لى باخلاقك فبين لى ماتحب فآتيه وما تكره فازدجر عنه وقالت انه قد كان لك فى قومك منكح وفى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان وقد ملكت فاصنع ماأمرك الله به امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولك قال فاحوجتنى والله ياشعبي الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على النبي وآله وأسلم و بعد فانك قد قلت كلاما ان تثبتى عليه يكن ذلك حظك وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا ونحن جميع فلا تفرقى وما رأيت من حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها وقالت شيأ لم أذكره كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ماأحب أن يملني أصهاري قالت فمن تحب من جيرانك ان يدخل دارك آذن لها ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون و بنو فلان قوم سوء قال فبت ياشعبي بانعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فاذا بعجوز تامر وتنهى فى الدار فقلت من هذه قالوا فلانة ختنك فسري عني ما كنت

أجد فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك أبا أمية قلت وعليك السلام من أنت قالت انا فلانة ختنك قلت قربك الله قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة فقالت لى أبا أمية ان المرأة لا تكون اسوأ حالا منها فى حالتين اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك ريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتهم شرا من المرأة المدللة قلت أما والله لقد أدبت فاحسنت الادب ورضت فاحسنت الرياضة قالت تحب أن يزورك اختانك قلت متى شاؤا قال فكانت تاتيني فى رأس كل حول توصيني تلك الوصية فمكثت معى عشرين سنة لم أعتب عليها فى شىء الا مرة واحدة وكنت لها ظالما أخذ المؤذن فى الاقامة بعد ماصليت ركعتى الفجر وكنت امام الحي فاذا بعقرب تدب فاخذت الاناء فاكفاته عليها ثم قلت يازينب لا تتحركى حتى آتى فلو شهدتنى ياشعبي وقد صليت ورجعت فاذا أنا بالعقرب قد ضربتها فدعوت بالكست والملح فجعلت امغث أصبعها واقرأ عليها بالحمد والمعوذتين وكان لى جار من كندة يفزع امرأته ويضربها (فقلت فى ذلك)

رأيت رجالا يضربون نساءهم ❊ فشلت يميني حين اضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به ❊ فما العدل منى ضرب من ليس مذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب ❊ اذا طلعت لم يبد منهن كوكبا

(وقال) أبو عبيدة نكح الفرزدق أمة لهزنجبية فولدت له بنتا فسماها بمكية وكان يكني بها ويقول أنا أبو مكية فكتبت النوار يوما الى الفرزدق تشكو مكية (فكتب اليها)

كنتم زعمتم انها ظلمتكم ❊ كذبتم وبيت الله بل تظلمونها
فان لا تعدوا أمها من نسائكم ❊ فان أباها والدلن يشينها
وان لها أعمام صدق واخوة ❊ وشيخا اذا شئتم تايم دونها

قالت النوار فاذا لانشاء (وقال) الفرزدق فى أمته الزنجية

يارب خود من بنات الزنج ❊ تنقل تنورا شديد الوهج
أغبر مثل القدح الخلنج ❊ يزداد طيبا بعد طول الهزج

(وعن الهيثم بن عدى) عن ابن عياش قال حدثنا على الهذلى قال كنت بسجستان مع طلحة الطلحات فلم أر أحدا كان أسخى منه ولا أشرف نفسا فكتب الى عمى من البصرة انى قد كبرت

ومالى كثير وأكره ان أوكله غيرك فاقدم ازوجك ابنتى وأصنع بك ما أنت أهله قال فخرجت على بغلة تركية فاتيت البصرة في ثلاثين يوما ووافيته فى صلاة العصر فوجدته قاعدا على دكانه فسلمت عليه فقال لى من أنت قلت له ابن أخيك يعلى قال وأين ثقلك قلت تعجلت اليك حين أتانى كتابك وطربت نحوكم قال يا ابن أخى أتدرى ماقالت العرب قلت لا قال قالت العرب شر الفتيان المفلس الطروب قال فقمت الى بغلتى فاعدت سرجى عليها فما قال لى شيا ثم قال الى أين قلت الى سجستان قال فى كنف الله قال فخرجت فبت فى الجسر ثم ذكرت أم طلحة فانصرفت اسال عنها حتى أتيت منزلها وكان طلحة أبر الناس بها فقلت رسول طلحة فقالت ائذنوا له فدخلت فقالت ويحك كيف ابنى قلت على أحسن حال قالت فلله الحمد واذا بعجوز قد تحدرت قالت فما جاء بك قلت كيت وكيت قالت ياجارية ائتيني باربعة آلاف درهم ثم قالت ائت عمك فابتن بابنته ولك عندنا ماتحت قلت لا والله لا أعود اليه أبدا قالت ياجارية ائتيني ببغلة رحالتى ثم قالت روح بين هذه وبغلتك حتى تاتى سجستان قلت أكتبى بالوصاة بى والحالة التى استقبلتها فكتبت بوجهها التى كانت فيه وبعافية الله اياها وبالوصاة بى فلم تدع شيا ثم دفعت حتى أتيت سجستان فاتيت باب طلحة وقلت للحاجب رسول صفية بنت الحرث وانا عابس باسر فدخل فخرج طلحة متوحشا وخلفه وصيف يسعى بكرسى فقمت بين يديه فقال ويلك وكيف أمي قلت باحسن حالة قال انظر كيف تقول قلت هذا كتابها قال فعرف الشواهد والعلامات قال اقرأ كتاب وصيتها قال ويحك ألم تاتنى بسلامتها حسبك فامر لى بخمسين ألف درهم وقال لحاجبه اكتبه فى خاصة أهلى قال فوالله ماأتى على الحول حتى أتم لى مائة الف قال ابن عياش فقلت له هل لقيت عمك بعد ذلك قال لا والله ولا القاه أبدا (وعن الهيثم) ابن عدي عن ابن عياش قال أخبرنى موسى السلاماني مولى الحضرمي وكان أيسر تاجر بالبصرة قال بينا أنا جالس اذ دخل على غلام لى فقال هذا رجل من أهل أمك يستاذن عليك وكانت أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف فقلت ائذن له فدخل شاب حلو الوجه يعرف فى هيئته انه قرشى فى طمرين فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فى الرحب والقرب ثم قلت ياغلام بره وأكرمه وألطفه وأدخله الحمام واكسه قميصا رقيقا ومبطنا قوهيا ورداء عمريا وحذونا له نعلين حضرميين فلما نظر

الشاب في عطفيه وأعجبته نفسه قال ياهذا ابغني أشرف أيم بالبصرة أوأشرف بكر بها
قلت ياابن اخى معك مال قال أنا مال كما أنا قلت ياابن اخى كف عن هذا قال انظر
ما أقول لك قلت فان أشرف أيم بالبصرة هند ابنة أبي صفرة اخت عشرة وعمة عشرة
وحالها في قومها حالها وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة ابن اوفى الجرشي قاضي
البصرة قال اخطبها عليّ قلت ياهذا ان أباها قاضي البصرة قال انطلق بنا اليه
فانطلقنا الى المسجد فتقدم فجلس الى القاضي فقال له من أنت ياابن اخى قال له
عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مرحبا بك ما حاجتك قال جئت خاطبا قال ومن ذكرت قال الملاة ابنتك قال
ياأبن أخي ما بها عنك رغبة ولكنها امرأة لا يفتات عليها أمرها فاخطبها الى نفسها
فقام الى فقلت ما صنعت قال قال كذا وكذا قلت ارجع بنا ولا تخطبها
قال اذهب بنا اليها فدخلنا دار زرارة فاذا دار فيها مقاصير فاستاذنا على أمها
فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ثم قالت وها هي في تلك الحجرة قلت لها لا تاتها قال اليست بكرا
قلت بلى قال ادخل بنا اليها فاستاذنا فاذنت لنا فوجدناها جالسة وعليها
ثوب قوهي رقيق معصفر تحته سراويل يري منه بياض جسدها ومرط قد
جمعته على فخذيها ومصحف على كرسي بين يديها فاشرجت المصحف ثم نحته
فسلمنا فردت ثم رحبت بنا ثم قالت من أنت قال أنا عبد الحميد بن سهيل بن
عبد الرحمن بن عوف الزهري خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومد بها صوته
قالت ياهذا انما يمد هذا الصوت للساسانيين قال موسى فدخل بعضي في بعض
ثم قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت ومن ذكرت قال ذكرتك قالت
مرحبا بك ياأخا أهل الحجاز ما الذى بيدك قال لنا سهمان بخيبر أعطاناهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومد بها صوته وعين بصروعين باليمامة ومال باليمن
قالت ياهذا كل هذا عنا غائب ولكن ما الذى يحصل بايدينا منك فاني أظنك تريد أن
تجعلني كشاة عكرمة أتدري من عكرمة قال لا قالت عكرمة بن ربعي فانه كان نشابا لسواد
ثم انتقل الى البصرة وقد تغدي باللبن فقال لزوجته اشترى لنا شاة
تحتلبها وتصنعين لنا من لبنها شرابا وكامخا ففعلت وكانت عندهم الشاة الى ان
استحرمت فقالت ياجارية خذى باذن الشاة وانطلقي بها الى التياس فانزى
عليها ففعلت فقال التياس آخذ منك على النزوة درهما فانصرفت

الى سيدتها فاعلمتها فقالت انما رأينا من يرحم ويعطى وامامن يرحم ويأخذ فلم نره ولكن يا أخا اهل المدينة أردت ان تجعلني كشاه عكرمة فلما خرجنا قلت له ما كان أغناك عن هذا قلت ما كنت أظن ان امرأة تجتريء على مثل هذا الكلام (وعن الاصمعي) قال كان عقيل بن علقة المرى غيورا فخورا وكان يصهر اليه خلفاء بني أمية فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده فقال جنبني هجاء ولدك وكان اذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه فخرج مرة فنزلوا ديرا من ديرة الشام يقال له دير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل

قضت وترامى دير سعد وربما * غلا غرضنا طحته بالجماجم

ثم قال لابنه اجز يا عميس فقال

فاصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوي من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته يا جرباء أجيزى فقالت

كأن الكري أسقاهم صرخدية * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال لها ومايدريك أنت ما نعت الخمر ثم سل السيف ونهض اليها فاستغاثت باخيها عميس فانتزعه بسهم فاصاب فخذه فبرك ومضوا وتركوه حتى اذا بلغوا ادانى المياه منهم قالوا اللهم انا اسقطنا جزورا لنا فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا واذا عقيل بارك وهو يقول

ان بنى زملونى بالدم * من يلق ابطال الرجال يكلم

ومن يكن دره به يقوم * شنشنة اعرفها من اخزم

الشنشنة الطبيعة وأخزم فحل كريم وهذا مثل للعرب (الشيبانى) عن عوانة قال خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فابت ان تتزوجه وقالت والله لا تزوجني أبو الذباب فتزوجها يحيي بن عبد الحكم فقال عبد الملك والله لقد تزوجت أنوه أشوه فقال يحيي أما انها أحبت مني ما كرهت منك وكان عبد الملك رديء الفم يدمى فيقع عليه الذباب فسمى أبا الذباب (وعن العتبى) قال خطب قريبة ابنة حرب اخت أبي سفيان بن حرب أربعة عشر رجلا من اهل بدر فابتهم وتزوجت عقيل بن أبى طالب قالت ان عقيلا كان مع الاحبة يوم قتلوا

وان هؤلاء كانوا عليهم (ولاحته) يوما فقالت يا عقيل أين اخوالى أين أعمامى كان أعناقهم أباريق الفضة قال لها اذا دخلت النار فخذى على يسارك (وكتب) زياد الى سعيد بن العاص يخطب اليه ابنته و بعث اليه بمال كثير وهدايا فلما قرأ الكتاب أمر حاجبه بقبض المال والهدايا وان يقسمها بين جلسائه فقال الحاجب انها أكثر من ذلك قال سعيد أنا أكثر منها ثم وقع الى زياد فى أسفل كتابه كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وقال رجل) للحسن ان لى بنية فمن ترى أن أزوجها قال زوجها ممن يتقى الله فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها (وقال عبد الملك بن مروان) لعمر بن عبد العزيز قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة فقال عمر وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد كفيت المسئلة واجزلت فى العطية (وقيل) للحسن فلان خطب الينا فلانة قال أهو موسر من عقل ودين قال نعم قال فزوجوه (وقال رجل) لحيوة بن شريح انى أريد أن أتزوج فماذا ترى قال كم المهر قال مائة قال فلا تفعل تزوج بعشرة وأبق تسعين فان وافقتك ربحت التسعين وان لم توافقك تزوجت عشرا فلا بد فى عشر نسوة من واحدة توافقك (وقال رجل) أردت النكاح فقلت لاستشيرن أول من يطلع على ثم أعمل برأيه فكان أول من طلع هبنقة القيسى وتحته قصبة فقلت له أريد النكاح فما تشير على قال البكر لك والثيب عليك وذات الولد لا تقربها واحذر جوادى لا ينفحك (وعن الاصمعى) قال أخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه وكان مقلا فخطب اليه مكثر من مال مقل من عقل فشاور فيه رجلا يقال له أبو يزيد فقال لا تفعل ولا تزوج الا عاقلا دينا فانه ان لم يكرمها لم يظلمها ثم شاور رجلا آخر يقال له أبو العلاء فقال له زوجه فان ماله لها وحمقه على نفسه فزوجه فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته وأنشده فقال

أطهفى اذ عصيت أبا يزيد * ولهفى ان أطعت أبا العلاء
وكانت هفوة من غير ريح * وكانت زلقة من غير ماء

(الفضل بن محمد الضبى) قال أخبرنى بشر بن كدام عن معبد بن خالد الجدلى قال خطبت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد وكان النساء يجلسن لخطابهن قال فجئت لانظر اليها وكان بينى و بينها رواق فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم

فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ثم دعت بشن عظيم مملوء لبنا فشربته حتى أكفأته على وجهها وقالت ياجارية ارفعي السجف فاذاهي جالسة على جلد أسد واذا شابة جميلة فقالت ياعبدالله أنا أسدة من بني أسد وعلى جلد أسد وهذا طعامي وشرابي فعلام ترى فان أحببت ان تتقدم فتقدم وان أحببت ان تتأخر فتأخر فقلت استخير الله في أمري وانظر قال فخرجت ولم أعد (قال) وحدثنا بعض أصحابنا ان جارية لامية ابن عبدالله بن خالد بن أسيد ذات ظرف وجمال مرت برجل من بني سعد وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كانت له امرأة مثلك ثم انه أتبعها رسولا يسأل لها أهلا زوج ويذكره لها فقالت للرسول ماحرفته فابلغه الرسول قولها فقال ارجع اليها فقل لها

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت لي الخيل يوما رأيتني * امام رعيل الخيل أحمى حقائقي
واصبر نفسي حين لاحر صابر * على ألم البيض الرقاق البوارق

فأنشدها الرسول ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لنفسك لبوة فلست من نسائك وأنشدت هذه الابيات

ألا انما أبغي جوادا بماله * كريما محياه قليل الصدائق
فتى همه مذ كان خود كريمة * يعانقها بالليل فوق النمارق
و يشربها صرفا كميتا مدامة * نداماه فيها كل خرق موافق

(يحيي بن عبدالعزيز) عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمة فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة فتقول

ومايستوى الرجلان رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود فتقول

ومايستوى الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما القلب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

(وعن الشعبي) قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول ماغلبني أحد قط الاغلام من بني الحرث بن كعب وذلك أني خطبت امرأة من بني الحرث وعندي شاب منهم فاصغى الى فقال أيها الامير لاخير لك فيها قلت يا ابن أخي وما لها قال اني رأيت رجلا يقبلها قال فبرئت منها فبلغني ان الفتي تزوجها قلت ألم تخبرني انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها (أبو سعيد) قال صحبت ابن سيرين عشرين سنة فقال لي يوما يا أبا سعيد ان تزوجت فلا تتزوج امرأة تنظر في يدها ولكن تزوج امرأة تنظر في يدك

٢ — صفات النساء وأخلاقهن — قال أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالنساء عبدة ابن الطبيب حيث يقول

فان تسالوني بالنساء فانني * عليم بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أوقل ماله * فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

(وهذه) الأبيات لعبدة بن علقمة المعروف بالفحل وأول القصيدة

* طحا بك قلب في الشباب طروب *

(وعن رجاء) بن حيوة عن معاذ بن جبل قال انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم واني أخاف عليكم فتنة السراء وهي النساء اذا تحلين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فاتعبن الغني وكلفن الفقير مالا يطاق (وقال) عبد الملك بن مروان من أراد ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية ومن أراد للخدمة فليتخذها رومية (وعن أبي الحسن المدائني) قال قال يزيد بن عمر بن هبيرة اشتروا لي جارية شقاء مقاء رسحاء بعيدة ما بين المنكبين ممسوحة الفخذين قوله شقاء يريد كانها شقة جبل مقاء طويلة رسحاء صغيرة العجيزة أرادها للولد لان الارسح أفرس من العظيم العجيزة (وقال) عمر بن هبيرة لرجل ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بارسح فتكون فارسا (وقال) الاصمعي وذكر النساء بنات العم أصبر والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الابطال كابن الاعجمية (أبو حاتم) عن الاصمعي عن يونس ابن مصعب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد قال اتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي اني أعرف في العين

اذا عرفت وأنكر فيها اذا أنكرت واعرف فيها اذا لم تعرف ولم تنكر اما اذا عرفت فتتحاوص واما اذا أنكرت فجحظ وأما اذا لم تعرف ولم تنكر فتسجوا وقد رأيت عينك ساجية فالقصيرة النسب التي اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب التي لا تعرف حتى تطيل في نسبتها فاياك ان تقع في قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نفسك فيهم (وعن العتبي) قال كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل لبابة بنت عبد الله بن عباس وفاطمة بنت يزيد بن معاوية وزينب بنت سعيد بن العاص وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحرث فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن فاجتمعن يوما فقالت لبابة أما والله انك لتسوبني بهن وانك تعرف فضلي عليهن وقالت بنت سعيد ما كنت ارى ان للفخر على مجازا وأنا ابنة ذي العمامة اذ لا عمامة غيرها وقالت بنت عبد الرحمن بن الحرث ما أحب بابي بدلا ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت وكانت بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السن فلم تتكلم فتكلم عنها الوليد فقال نطق من احتاج الى نفسه وسكت من اكتفى بغيره أما والله لو شاءت لقالت انا ابنة قادتكم في الجاهلية وخلفائكم في الاسلام فظهر الحديث حتى تحدث به في مجلس ابن عباس فقال الله أعلم حيث يجعل رسالته (الشيباني) عن عوانة قال ذكرت النساء عند الحجاج فقال عندي أربع نسوة هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة وام الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد وأمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله البجلي فاما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتيان يلعب ويلعبون وأما ليلتي عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك وأما ليلتي عند أم الجلاس فليلة اعرابي مع اعراب في حديثهم وأشعارهم وأما ليلتي عند أمة الرحمن بنت جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء (وعن العتبي) قال حدثني رجل من أهل المدينة قال كان بالمدينة مخنث يدل على النساء يقال له أبو الحر وكان منقطعا الى فدلني على غير ما امرأة أتزوجها فلم ارض عن واحدة منهن فاستقصرته يوما فقال والله يا مولاى لادلنك على امرأة لم تر مثلها قط فان لم ترها كما وصفت فاحلق لحيتى فدلني على امرأة فتزوجتها فلما زفت الى وجدتها أكثر مما وصف فلما كان في السحر اذا انسان يدق الباب فقلت من هذا قال ابو الحر وهذا الحجام معه فقلت قد وفر الله لحيتك أبا الحر الامر كما قلت (وعن مالك) بن هشام بن عروة عن ابيه أن مخنثا كان عند ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن أبي أمية ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع أبا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف غدا فانا أدلك على بنت غيلان انها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يدخل عليكم هؤلاء * قوله تقبل باربع وتدبر بثمان يريد عكن البطن انها اذا أقبلت أربع واذا أدبرت ثمان (وضرب) البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج الى اذربيجان فاقتاد جارية وفرسا وكان مملكا بابنة عمه فكتب اليها ليغيرها

ألا ابلغوا أم البنين باننا * غنينا واغنتنا الغطارفة المرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه قرأته وقالت يا غلام هات الدواة فكتبت اليه تجيبه

ألا أقره منا السلام وقل له * غنينا فغيقوا بالغطارفة المرد
بحمد أمير المؤمنين أقرهم * شبابا وأغزاكم خوالف فى الجند
اذا شئت غنانى غلام مرجل * ونازعته من ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشىء مد كفه * الى كبد ملساء أوكفل نهد
فما كنتم تقضون من حاج أهلكم * شهودا قضيناها على النأى والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه * مناناولا ندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا الى بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على ان ركب فرسه وأردف الجارية ولحق بها فكان أول شىء بدأ لها به بعد السلام ان قال بالله هل كنت فاعلة قالت الله أجل فى قلبى وأعظم وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى بعثه (وقال معاوية) لصعصعة بن صوحان أى النساء أشهى اليك قال المواتية لك فيما تهوى قال فايهن أبغض قال أبعدهن مما ترضى قال هذا النقد العاجل فقال صعصعة بالميزان العادل (وقال صعصعة) لمعاوية يا أمير المؤمنين كيف ننسبك الى العقل وقد غلب عليك نصف انسان يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرطة عليه فقال معاوية انهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام (وعن سفيان بن عيينة) قال شكا جرير ابن عبدالله البجلى الى عمر بن الخطاب مايلقى من النساء فقال لاعليك فان التى عندى ربما خرجت من عندها فتقول انما تريد ان تتصنع لقيان بنى عدى فسمع كلامهما ابن مسعود فقال لاعليكما فان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه رداءة فى خلق سارة فاوحى الله اليه أن البسها على لباسها مالم ترفى دينها وصمة فقال

عمران بين جوانحك لعلما (وكتب) الحجاج الى أيوب بن القرية ان أخطب على عبدالملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مواتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفي الضجيع وتروى الرضيع (وقال) أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان ياخالد ان الناس قد أكثروا فى النساء فأيهن أعجب اليك قال أعجبهن ياأمير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغيرة ولا الفانية الكبيرة وحسبك من جمالها ان تكون فخمة من بعيد مليحة من قريب أعلاها قضيب وأسفلها كثيب كانت فى نعمة ثم أصابتها حاجة فعها أدب النعمة وذل الحاجة فاذا اجتمعنا كنا أهل دنيا واذا افترقنا كنا أهل آخرة قال قد أصبتها لك قال وأين هي قال فى الرفيق الاعلى من الجنة فاعمل لها (وسئل) اعرابى عن النساء وكان ذا تجربة وعلم بهن فقال أفضل النساء أطولهن اذا قامت وأعظمهن اذا قعدت وأصدقهن اذا قالت التي اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ جودت التي تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها الودود الولود وكل أمرها محمود (وقال) عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء فقال خذها ياأمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين مملوءة الساقين جماء الركبتين لفاء الفخذين مقرمدة الرفغين ناعمة الاليتين منيفة المأكمتين فعمة العضدين فخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر حالكة الشعر غيداء العنق عيناء العينين مكسرة البطن ناتئة الركب فقال ويحك وانى توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب أوفى خالص الفرس (وقال) رجل لخاطب ابغني امرأة لاتؤنس جارا ولاتوهن دارا ولاتثقب نارا يريد لاتدخل على الجيران ولا يدخل عليها الجيران ولا تغرى بينهم بالشر (وفى نحو هذا يقول الشاعر)

من الاوانس مثل الشمس لم يرها * فى ساحة الدار لابعل ولا جار

﴿ وقال الاعشى ﴾

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولا ترى الشمس الا دونها الكلل

﴿ وقال آخر ﴾

ابغي امرأة بيضاء مديدة فرعاء جعدة تقوم فلا يصيب قميصها منها الا مشاشة منكبيها

وحلمتي ثديها ورانقي اليتيها وقال الشاعر

ابت الروادف والثدي لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت * نبهن حاسدة وهجن غيورا

﴿ ولآخر ﴾

اذا انبطحت فوق الاثاف رفعنها * بثديين فى نحر عريض وكعثب

(ونظر) عمران بن حطان الى امرأته وكانت من اجمل النساء وكان من اقبح الرجال فقال انى واياك فى الجنة ان شاء الله قالت له كيف ذاك قال اني اعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت (ونظر) أبو هريرة الى عائشة بنت طلحة فقال سبحان الله ماأحسن ماغذاك أهلك والله مارأيت وجها أحسن منك الاوجه معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معاوية من احسن الناس (ونظر) ابن أبي ذئب الى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت فقال لها من انت فقالت

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة * ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقال لها صان الله ذلك الوجه عن النار فقيل له افتنتك أباعبد الله قال لا ولكن الحسن مرحوم (وقال يونس) أخبرني محمد أبو اسحق قال دخلت على عائشة بنت طلحة فوجدتها متكئة ولوان بختية توخت خلفها ماظهرت (السرى بن اسمعيل) عن الشعبي قال اني لفى المسجد نصف النهار اذ سمعت باب القصر يفتح فاذا بمصعب ابن الزبير ومعه جماعة فقال ياشعبي اتبعني فاتبعته فاتى دار موسى بن طلحة فدخل مقصورة ثم دخل اخرى ثم قال ياشعبي اتبعني فاتبعته فاذا امرأة جالسة عليها من الحلى والجواهر مالم أر مثله ولهى أحسن من الحلى الذى عليها فقال ياشعبي هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر

ومازلت فى ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم أخفى حبها وأداجن
واحمل فى ليلي لقوم ضغينة * وتحمل فى ليلى على الضغائن

هذه عائشة ابنة طلحة فقالت له اماإذ جلوتنى عليه فاحسن اليه فقال ياشعبي رح العشية فرحت فقال ياشعبي ماينبغى لمن جليت عليه عائشة بنت طلحة ان ينقص عن عشرة آلاف فامر لى بها وبكسوة وقارورة غالية فقيل للشعبي فى ذلك اليوم كيف الحال قال وكيف حال من صدر عن الامير ببدرة وكسوة وقارورة غالية ورؤية وجه عائشة بنت

طلحة (وكان) عمرو بن حجر ملك كندة وهو جدامريء القيس أرادان يتزوج ابنة عوف بن محلم الشيباني الذى يقال فيه لاحر بوادى عوف لافراط عزه وهي أم اياس وكانت ذات جمال وكمال فوجه اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر اليها وتمتحن مابلغه عنها فدخلت على أمها أمامة ابنة الحرث فاعلمتها ماقدمت له فارسلت الى بنتها أي بنية هذه خالتك أتت اليك لتنظر الى بعض شانك فلا تستري عنها شيا ارادت النظر اليه من وجه وخلق وناطقيها فيما استنطقتك فيه فدخلت عصام عليها فنظرت الى مالم تر عينها مثله قط بهجة وحسنا وجمالا فاذا هى أكمل الناس عقلا وأفصحهم لسانا فخرجت من عندها وهي تقول ترك الخداع من كشف القناع فذهبت مثلا ثم أقبلت الى الحرث فقال لها ماوراءك ياعصام فارسلها مثلا قالت صرح المخض عن الزبدة فذهبت مثلا قال أخبريني قالت أخبرك صدقا وحقا رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل المقصورة ان ارسلته خلته السلاسل وان مشطته قلت عناقيد كرم جلاه الوابل ومع ذلك حاجبان كانهما خطا بقلم أوسودا بحمم قدتقوسا على مثل عين العبهرة التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة بينهما أنف كحد السيف المصقول لم يخنس به قصر ولم يمض به طول حفت به وجنتان كالارجوان فى بياض محض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غرر ذوات أشر وأسنان تعد كالدر وريق كالخمر له نشر الروض بالسحر يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان يزينه عقل وافر وجواب حاضر يلتقي بينهما شفتان حمراوان كالورد يحلبان ريقا كالشهد تحت ذاك عنق كابريق الفضة ركب فى صدر تمثال دمية يتصل به عضدان ممتلئان لحما مكتنزان شحما وذراعان ليس فيهما عظم يحس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان رقيق قصبهما لين عصبهما تعقد ان شئت بينهما الانامل وتركت الفصوص فى حفر المفاصل وقد تربع فى صدرها حقان كانهما رمانتان من تحت ذلك بطن طوى كطى القباطى المدمجة كسى عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهى الى خصر لولا رحمة الله لانخزل تحته كفل يقعدها اذا نهضت وينهضها اذاقعدت كانه دعص رمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفاوان كانهما نضيد الجمان تحملهما ساقان خدلجتان كالبردى وشيتا بشعر أسود كانه حلق الزرد ويحمل ذلك قدمان كحذو اللسان تبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل مافوقهما فاماماسوى ذلك فتركت ان أصفه غير

انه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو نثر قال فارسل الى أبيها يخطبها فكان من أمرهما ما تقدم ذكره فى صدر هذا الكتاب

﴿ صفة المرأة السوء ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم ايا كم وخضراء الدمن يريد الجارية الحسناء فى المنبت السوء (وفى حكمة داود) المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله عنه (الاصمعى) عن أبي عمرو بن العلاء قال النساء ثلاثة هنية عفيفة مسلمة وأخرى للولد وثالثة غل قمل يلقيه الله فى عنق من يشاء من عباده (وقيل) لاعرابي عالم بالنساء صف لنا شر النساء قال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم الطويلة السقم المحياض الممراض الصفراء المشؤمة العسراء السليطة الذفراء النفرة السريعة الوثبة كان لسانها حربة تضحك من غير عجب وتقول الكذب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء وأست فى الماء (وفى رواية) محمد بن عبد السلام الخشني قال اياك وكل امرأة مذكرة منكرة حديدة العرقوب بادية الظنبوب منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس فى قلبها له رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت وان طلقها كانت حرفته وان أمسكها كانت مصيبته سفعاء ورهاء كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تاكل لما وتوسع ذما صخوب غضوب بذية دنية ليس تطفا نارها ولا يهدأ اعصارها ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من حجابها نباحة على بابها تبكى وهي ظالمة تشهد وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور (نافرت) امرأة فضالة زوجها الى مسلم بن قتيبة وهو والى خراسان فقالت ابغضه والله لخلال فيه قال وما هي قالت قليل الغيرة سريع الطيرة شديد العتاب كثير الحساب قد أقبل نخيره وقل زفيره وسجمت عيناه واضطربت رجلاه يفيق سريعا وينطق رجيعا يصبح حلسا ويمسى رجسا ان جاع جزع وان شبع خشع ومن صفة المرأة السوء يقال امرأة سمعنة نظرنة وهى التى اذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيا تظننت تظننا

﴿ قال اعرابى ﴾

ان لنا لكنه ✻ سمعنة نظرنه

معبة مغنه * كالريح حول القنه

* الاتره تظنه *

(وقال يزيد) بن عمر بن هبيرة لا تنكحن برشاء ولا عمشاء ولا وقصاء ولا لثغاء فيجيئك ولد الثغ فوالله لولد أعمي أحب الي من ولد الثغ (وقال) آخر عمر الرجل خير من أوله يثوب حلمه وتثقل حصانته وتحمد سريرته وتكمل تجارته وآخر عمر المرأة شر من أوله يذهب جمالها ويذرب لسانها ويعقم رحمها ويسوء خلقها (وعن جعفر بن محمد) عليهما السلام اذا قال لك أحد تزوجت نصفا فاعلم أن شر النصفين ما بقي في يده وأنشد

وان أتوك وقالوا انها نصف * فان أطيب نصفيها الذي ذهبا

﴿ وقال الحطيئة في امرأته ﴾

أطوف ما أطوف ثم آوى * الى بيت قعيدته لكاع

﴿ وقال في أمه ﴾

تنحي فاجلسي مني بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

﴿ وقال زيد بن عمير في أمه ﴾

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبي الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهي أبدا يزني بها وتقود

(ويقال) ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فعلامة ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه * وقال آخر يصف امرأة لثغاء

أول ما اسمع منها في السحر * تذكيرها الانثي وتأنيث الذكر

* والسوأة السوآء في ذكر القمر *

﴿ ولآخر في زوجته ﴾

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وكان) روح بن زنباع أثيرا عند عبد الملك فقال له يوما أرأيت امرأتي العبشمية قال نعم قال بماذا شبهتها قال بمشجب بال قد أسيء صنعته قال صدقت وما وضعت يدي عليها قط الا كأني وضعتها على الشكاعى وأنا أحب ان تقول ذلك الى ابنيها الوليد وسليمان فقام اليه فزعا فقبل يده ورجله وقال انشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تعرضني لهما قال مامن ذلك بد وبعث من يدعوهما فاعتزل روح وجلس ناحية من البيت وجاء الوليد وسليمان فقال لهما أتدريان لم بعثت اليكما انما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقه وحرمته ثم سكت (ابو الحسن) المدائني كان عند روح بن زنباع هند بنت النعمان بن بشير وكان شديد الغيرة فاشرفت يوما تنظر الى وفد جذام كانوا عنده فزجرها فقالت والله انى لا بغض الحلال من جذام فكيف تخافني على الحرام فيهم (وقالت) له يوما عجبا منك كيف يسودك قومك وفيك ثلاث خلال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال لها اما جذام فاني فى أرومتها وحسب الرجل أن يكون فى أرومة قومه وأما الجبن فانما مالى الا نفس واحدة فانا أحوطها فلو كانت لى نفس أخرى جدت بها وأما الغيرة فامر لا أريد أن أشارك فيه وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه فى حجره فقالت

وهل هند الا مهرة عربية * سليلة افراس تحللها بغل
فان أنجبت مهرا عريقا فبالحرى * وان يك اقراف فما انجب الفحل

(وعن) الاصمعى قال قال ابو موسى جاءت امرأة الى رجل تدله على امرأة يتزوجها فقال

أقول لها لما اتتني تدلني * على امرأة موصوفة بجمال
أصبت لها والله زوجا كما اشتهت * ان احتملت منه ثلاث خصال
فمنهن عجز لا ينادي وليده * ورقة اسلام وقلة مال

(صفة الحسن) عن أبي الحسن المدائني قال الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب كما تضرب بيضة الادحى واللؤلؤة المكنونة وقد شبه الله عز وجل فى كتابه فقال كأنهن بيض مكنون وقال الشاعر

* كأن بيض نعام فى ملاحفها *

﴿ وقال آخر ﴾

مروزي لاديم تغمره الصفرة حينا لا يستحق اصفرارا
وجرى من دم الطبيعة فيه * لون ورد كسى البياض احمرارا

(وقالت) امرأة خالد بن صفوان له لقد أصبحت جميلا فقال لها وما رأيت من جمالي وما في رداء الحسن ولا عموده ولا برنسه قالت وكيف ذلك قال عمود الحسن الشطاط ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر (وقالوا) ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر (ومنه) قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه (وقال عدي بن زيد يصف لون الوجه)

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ماحاك حائك ديباجا

(وقالوا) ان الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء (وقال الشاعر)

بيضاء ضحوتها وصفـراء العشية كالعراره

﴿ وقال ذو الرمة ﴾

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

﴿ ومن قولنا ﴾

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

﴿ ومن قولنا ﴾

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درا يعود من الحياء عقيقا

﴿ ومن قولنا ﴾

كم شادن لطف الحياء بوجهه * فاصاره وردا على وجناته

﴿ ومن قولنا ﴾

عقائل كالآرام أما وجوهها * فدر ولكن الخدود عقيق

(وقولهم) في الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التي تاخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت لم تكن كذلك والمليحة التي كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا ﴿ وقال بعضهم) السمينة الجميلة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهو البياض والصبيحة مثل ذلك يشبهونها بالصبح في بياضه

﴿ المنجبات من النساء ﴾ قالوا أنجب النساء الفروك وذلك ان الرجل يغلبها على الشبق لزهدها في الرجل (أبو حاتم) عن الاصمعي قال النجيبة التي تنزع بالولد الى أكرم العرقين (وقال) عمر بن الخطاب يا بني السائب انكم قد اضويتم فانكحوا في النزاع (وقالت) العرب بنات العم أصبر والغرائب انجب والعرب تقول اغتربوا لا تضووا أي انكحوا في الغرائب فان القرائب يضوين البنين (وقالوا) اذا أردت أن يصلب ولد المرأة فاغضبها ثم قع عليها وكذلك الفزعة وقال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد ❊ حبك النطاق فشب غير مهبل
حملت به في ليلة مزؤودة ❊ كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(قالت أم تابط شرا) والله ما حملته تضعا ولا وضعا ولا وضعته تينا ولا أرضعته غيلا ولا أنمته مئقا حملته وضعا وتضعا وهي ان تحمله في قبل الحيض ووضعته تينا وضعته منكسا تخرج رجلاه قبل رأسه وأرضعته غيلا ارضعته لبنا فاسدا وذلك ان ترضعه وهي حامل وانمته مئقا أي مغضبا مغتاظا (ومن أمثال العرب) قولهم أنا مئق وأنت تئق فلا نتفق المئق المغضب المغتاظ والتئق الذي لا يحتمل شيا

﴿من اخبار النساء﴾ لما قتل مصعب بن الزبير ابنة النعمان بن بشير الانصارية زوجة المختار بن أبي عبيد انكر الناس ذلك عليه وأعظموه لانه أتى بما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه في نساء المشركين فقال عمر بن أبي ربيعة

ان من أعظم الكبائر عندي ❊ قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلا على غير ذنب ❊ ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا ❊ وعلى الغانيات جر الذيول

ولما خرجت الخوارج بالاهواز أخذوا امرأة فهموا بقتلها فقالت لهم أتقتلون من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين فامسكوا عنها

٣ — باب الطلاق — (محمد بن الفار) قال حدثني عبد الرحمن بن محمد ابن أخي الاصمعي قال سمعت عمي يقول توصلت بالملح وادركت بالغريب وقال عمي للرشيد في بعض حديثه بلغني يا أمير المؤمنين ان رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة قال انما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة فكيف طلق خمسا قال كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوما

فوجدهن متلاحيات متنازعات وكان شنظيرا فقال الى متى هذا التنازع ماأخال هذا الامر الامن قبلك يقول ذلك لامرأة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها اعجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقا فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين وعليك مفضلتين فقال وأنت أيتها المعددة اياديهما طالق ايضا فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها اناة شديدة ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك الا بالطلاق فقال لها وانت طالق أيضا وكان ذلك بمسمع جارة له فاشرفت عليه وقد سمعت كلامه فقالت والله ماشهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة قال وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ان اجاز زوجك فاجابه من داخل بيته قد أجزت قد أجزت (ودخل) المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهي تتخلل حين انفلتت من صلاة الغداة فقال لها ان كنت تتخللين من طعام اليوم انك لجشعة وان كنت تتخللين من طعام البارحة انك لشبعة كنت فبنت فقالت والله مااغتبطنا اذ كنا ولا أسفنا اذ بنا وماهو لشيء مما ذكرت ولكني استكت فتخللت للسواك فخرج المغيرة نادما على ما كان منه فلقيه يوسف بن أبي عقيل فقال له اني نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف فتزوجها فانها ستنجب فتزوجها فولدت له الحجاج (وقال) الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة أمرك بيدك فقالت قد كان عشرين سنة بيدك فاحسنت حفظه فلم أضيعه اذ صار بيدي ساعة واحدة وقد صرفته اليك فاعجبه ذلك منها وأمسكها (وقال) أبو عبيدة طلق رجل امرأته وقال

لقد طلقت أخت بني غلاب * طلاقا ماأظن له ارتدادا
ولم أك كالمعدل أو أويس * اذاما طلقا ندما فعادا

قال ابو عبيدة وطلاق المعدل واويس يضرب به المثل (ونكح) رجل امرأة من العرب فلما اهتدا هارأت ربع داره أحسن ربع وشمل عياله أجمع شمل فقالت أما والله لئن بقيت لهم لاشتتن أمرهم وقالت في ذلك

أرى نارا ساجعلها أرينا * وأترك أهلها شتى عزينا

فلما انتهى ذلك الى زوجها طلقها وقال في ذلك

ألا قالت هدى بني عدى * أرى نارا سأجعلها أرينا

فبيني قبل أن تلحى عصانا * ويصبح أهلنا شتى عزينا

(وقيل) لابن عباس ماتقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء (وقيل لاعرابي) هل لك فى النكاح قال لو قدرت أن أطلق نفسى لطلقتها (وعن الزهري) قال قال ابو الدرداء لامرأته اذا رأيتنى غضبت فرضيني وان رأيتك غضبت ترضيتك والالم نصطحب قال الزهرى وهكذا تكون الاخوان قال الاصمعى كنت اختلف الى اعرابي اقتبس منه الغريب فكنت اذا استأذنت عليه يقول ياامامة ائذنى له فتقول ادخل فاستأذنت عليه مرارا فلم أسمعه يذكر امامة فقلت يرحمك الله ماأسمعك تذكر امامة قال فوجم وجمة فندمت على ما كان منى ثم أنشأ يقول

ظعنت امامة بالطلاق * ونجوت من غل الوثاق

بانت فلم يألم لها * قلبي ولم تبك المآقي

ودواء ما لا تشتهيه النفس تعجيل الفراق

والعيش ليس بطيب من * إلفين من غير اتفاق

(وعن الشيباني) قال طلق أبو موسى امرأته وقال فيها

تجهزي للطلاق وارتحلى * فذا دواء المجانب الشرس

ماانت بالحبة الولود ولا * عندك نفع يرجى لملتمس

لليلتي حين بنت طالقة * ألذ عندى من ليلة العرس

بت لديها بشر منزلة * لا أنا فى لذة ولا أنس

تلك على الخسف لا نظير لها * وهذه ما يسوغ لى نفسى

أقبل منظور بن ريان بن سيار الفزارى الى الزبير فقال انما زوجناك ولم نزوج عبد الله قال مالك قال انها تشكوه قال ياعبد الله طلقها قال عبد الله هي طالق قال ابن منظور أنا ابن قهدم قال الزبير أنا ابن صفية أتريد ان يطلق المنذر اختها قال لاانها راضية بموضعها (وتزوج) محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجة بنت عروة بن الزبير فذكرها جماله وكان يقال له المذهب من حسنه وكان رجلا مطلاقا فقالت محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها فلما طلقها خطبها ابراهيم بن هشام بن اسمعيل

المخزومى فكتب اليها

أعيذك بالرحمن من عيش شقوة * وان تطمعى يوما الى غير مطمع

اذا ما ابن مظعون تحدر رشحه * عليك فبوئى بعد ذلك اودع

فردته ولم تتزوجه (وعن العتبى) عن أبيه قال أمهر الحجاج ابنة عبد الله ابن جعفر تسعين ألف دينار فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية فامهل عبد الملك حتى اذا أطبق عليه الليل دق عليه الباب فاذن له عبد الملك ودخل عليه فقال له ماهذا الطروق أبا يزيد قال أمر والله لم ينتظر له الصبح هل علمت ان أحدا كان بينه و بين من عادى ما كان بين آل أبى سفيان و آل الزبير بن العوام فاني تزوجت اليهم فما فى الارض قبيلة من قريش أحب الى منهم فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج الى بنى هاشم وقد علمت ما يقال فيهم في آخر الزمان قال وصلتك رحم وكتب الى الحجاج يأمره بطلاقها ولا يراجعه فى ذلك فطلقها فاتاه الناس يعزونه وفيهم عمرو بن عتبة فجعل الحجاج يقع بخالد و ينتقصه ويقول انه صير الامر الى من هو أولى به منه وانه لم يكن لذلك أهلا فقال له عمرو بن عتبة ان خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده وعلم علما فسلم الامر الى اهله ولو طلب بقديم لم يغلب عليه أو بحديث لم يسبق اليه فلما سمعه الحجاج استحى فقال يا ابن عتبة انا نسترضيكم بان نعتب عليكم و نستعطفكم بان ننال منكم وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به وعلمنا انكم تحبون أن تحلموا فتعرضنا للذى تحبون

﴿ من طلق امرأته ثم تبعتها نفسه ﴾ الهيثم بن عدى قال كانت تحت العريان ابن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

﴿ فكتب اليها ﴾

من كان ذا شغل فالله يكلؤه * وقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه طرفا * وفى الليالى وفى أيامها طول

(وطلق) الوليد بن يزيد امرأته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه

وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له أبلغ سعدى عني رسالة ولك مني خمسة آلاف درهم فقال عجلها فامر له بها فلما قبضها قال هات رسالتك فانشدها

أسعدى ما اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا أن يؤاتي * بموت من خليلك أو فراق

فاتاها فاستاذن فدخل عليها فقالت له ما بدالك في زيارتنا يا أشعب فقال ياسيدتي أسلني اليك الوليد برسالة وأنشدها الشعر فقالت لجواريها خذن هذا الخبيث فقال ياسيدتي انه جعل لي خمسة آلاف درهم قالت والله لا عاقبنك أو لتبلغن اليه ما أقول لك قال سيدتي اجعلي شيا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت عنه وألقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت أنشده

أتبكي على سعدي وأنت تركتها * وقد ذهبت سعدي فما أنت صانع

فلما بلغه وأنشده الشعر سقط في يده وأخذته كظمة ثم سرى عنه فقال اختر واحدة من ثلاث اما ان نقتلك واما أن نطرحك من هذا القصر واما أن نلقيك الى هذه السباع فتحير أشعب وأطرق حينا ثم رفع رأسه فقال ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدى فتبسم وخلى سبيله

﴿ وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه ﴾ عبد الرحمن بن أبي بكر أمره أبوه بطلاقها ثم دخل عليه فسمعه يتمثل

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء تطلق

فامره بمراجعتها

﴿ وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه ﴾ الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم في طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
فاصبحت الغداة ألوم نفسي * بامر ليس لي فيه خيار

وكانت النوار ابنة عبد الله قد خطبها رجل رضيته وكان وليها غائبا وكان الفرزدق وليها الا أنه كان أبعد من الغائب فجعلت أمرها الى الفرزدق وأشهدت له بالتفويض اليه

فلما توثق منها بالشهود أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه فابت منه ونافرته الي عبد الله بن الزبير فنزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير وهي بنت منظور بن زيان فكان كلما أصلح حمزة من شان الفرزدق نهارا أفسدته المرأة ليلا حتي غلبت المرأة وقضي ابن الزبير على الفرزدق فقال

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زيانا
ليس الشفيع الذى ياتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذى ياتيك عريانا

﴿ وقال الفرزدق فى مجلس ابن الزبير ﴾

وماخاصم الاقوام من ذي خصومة * كورهاء مدنوا اليها خليلها
فدونكها ياابن الزبير فانها * ملعنة يوهى الحجارة ميلها

فقال ابن الزبير ان هذا شاعر وسيهجونى فان شئت ضربت عنقه وان كرهت ذلك فاختاري نكاحه وقرى فقرت واختارت نكاحه ومكثت عنده زمانا ثم طلقها وندم فى طلاقها (وعن الاصمعي) عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخزوم عن راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فاني أريد أن أطلق النوار فقلت له اني أخاف ان تتبعها نفسك و يشهد عليك الحسن وأصحابه قال انهض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت أبا سعيد قال بخير قال كيف أصبحت يا أبا فراس فقال تعلمن اني طلقت النوار ثلاثا قال الحسن وأصحابه قد سمعنا فانطلقنا فقال لى الفرزدق يا هذا ان فى نفسى من النوار شيا فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت بها يميني * لكان على للقدر الخيار

﴿ وممن طلق امرأته وتبعتها نفسه ﴾ قيس بن الذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم فقال فى ذلك

فوا كبدى على تسريح لبنى * فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفني الوشاة فازعجونى * فيا للناس للواشي المطاع
فاصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع

كمغبون يعض على يديه * تبين غبنـه بعد البيـاع

(وطلق) رجـل امرأته فقالت أبعد صحبـة خمسين سنـة فقال مالك عنـدنا ذنب غيره (العتبي) قال جاء رجل بامرأة كأنها برج فضة الى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة فقـال ان امرأتي هـذه شجتني فقال لها أأنت فعلت به قالت نعم غـير متعمـدة لذلك كنت أعالج طيبـا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي عقـل ولا تقوى يدى على القصاص فقال عبد الرحمن للرجل ياهذا علام تحبسها وقد فعلت بك ما أري قال أصدقتهـا أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسى بفراقها قال فان أعطيتهـا لك أتفارقها قال نعم قال فهى لك قال هى طالق اذا فقال عبد الرحمن احبسى علينا نفسك ثم أنشا يقول

ياشيخ ويحك من دلاك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو الجلة الذلل

﴿ فى مكر النساء وغدرهن ﴾ فى حكمة داود عليه السلام وجدت من الرجال واحدا فى العدد ولم أجد واحدة في النساء جميعا * وقال الهيثم بن عدى غزا الغساني الحرث بن عمرو آكل المرار الكندى فلم يصبه فى منزله فاخذ ما وجد له واستاق امرأته فلما أصابها أعجبت به فقالت له انج فوالله لكانى أنظر اليه يتبعك فاغرا فاه كانه بعير آكل مرار وبلغ الحرث فاقبل يتبعه حتي لحقه فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته فقال لها هل أصابك قالت نعم والله ما استملت النساء على مثله قط فامر بها فاوقفت بين فرسين ثم استحضرها حتي تقطعت ثم قال

كل أنثي وان بدالك منها * آية الود حبها خيثعور
ان من غره النساء بود * بعد هند لجاهل مغرور

(وقالت) الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر (وقالوا) النساء حبائل الشيطان (وقال الشاعر)

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وصنها وان كانت تفى لك انها * على مدد الايام سوف تخون

وان هى أعطتك الليـان فانها * لآخر من طلابهـا ستلين
وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان أسبلت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقالت الحكماء) لم تنه امرأة قط عن شىء الا فعلته (وقال طفيل الغنوى)

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

(وعن الهيثم بن عدى) عن ابن عياش قال أرسل عبد الله بن همام السلولى شابا الي امرأة ليخطبها عليه فقالت له فما يمنعك أنت فقال لها ولى طمع فيك قالت ماعنك رغبة فتزوجها ثم انصرف الى ابن همام فقال له ماصنعت فقال والله ماتزوجتنى الا بعد شرط قال أو لهذا بعثتك فقال ابن همام فى ذلك

رأت غلاما على شرط الطلابة لا * يعيا بارقاص بردى الخلاخيل
مبطنا بدحيس اللحم تحسبه * ممايصور فى تلك التماثيل
اكفي من الكفء فى عقد النكاح وما * يعيا به حل هميان السراويل
تركتها والايامى غير واحدة * فاحبسه عن بيتها ياحابس الفيل

(وعن الهيثم بن عدي) عن ابن عياش قال كان النساء يجلسن لخطابهن فكانت امرأة من بني سلول تخطب وكان عبد الله بن عاصم السلولى يخطبها فاذا دخل عليها تقول له فداك أبي وأمي وتقبل عليه تحدثه وكان شاب من بني سلول يخطبها فاذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن هند قالت للشاب قم الى النار وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ثم ان الشاب تزوجها فلما بلغ ذلك عبد الله بن هند قال

أودى بحب سليمي فاتك لقن * كحية برزت من بين أحجار
اذا رأتني تفديني وتجعله * فى النار ياليتنى المجعول فى النار

﴿وله فيها﴾

ماذا تظن سليمى ان ألم بها * مرجل الرأس ذو بردين مزاح
حلو فكاهته خز عمـامته * فى كفه من رقى الشيطان مفتاح

﴿فى السرارى﴾ تسرى الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام وتسري النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية فولدت له ابراهيم ولما

صارت اليه صفية بنت حيي كان أزواجه يعيرنها باليهودية فشكت ذلك اليه فقال لها أما انك لو شئت لقلت فصدقت وصدقت أبي اسحق وجدي ابراهيم وعمي اسمعيل وأخي يوسف (ودخل) زيد بن علي على هشام بن عبد الملك فقال له بلغني انك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة فقال له أما قولك اني أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله وأما قولك اني ابن أمة فاسمعيل ابن أمة أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير (قال الاصمعي) وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الاماء حتى نشأ منهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ففاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس في السراري * وتزوج علي بن الحسين جارية له وأعتقها فبلغ ذلك عبد الملك فكتب اليه يؤنبه فكتب اليه علي ان الله رفع بالاسلام الخسيسة وأتم به النقصية وأكرم به من اللؤم فلا عار على مسلم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أمته وامرأة عبده فقال عبد الملك ان علي بن الحسين يشرف من حيث يتضع الناس (وقال الشاعر)

لا تشتمن امرأ من ان تكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللاحساب آباء

(وقال بعضهم) عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ولمن أحفى شعره كيف أعفاه وعجبا لمن عرف الاماء كيف يقدم على الحرائر (وقالوا) الامة تشترى بالدين وترد بالعيب والحرة غل في عنق من صارت اليه ﴿ الهجناء ﴾ العرب تسمي العجمي اذا أسلم المسلماني ومنه يقال مسلمة السواد والهجين عندهم الذي أبوه عربي وأمه أعجمية والمدرع الذي أمه عربية وأبوه أعجمي (وقال الفرزدق)

اذا باهلي أنجبت حنظلية * له ولدا منها فذاك المدرع

والعجمي النصراني ونحوه وان كان فصيحا والاعجمي الاخرس اللسان وان كان مسلما ومنه قيل زياد الاعجم وكان في لسانه لكنة والفرس تسمي الهجين دوشن والعبد واش ونجاش ومن تزوج أمة نقاش وهو الذي يكون العهد دونه وسمي أيضا بوركان والعرب تسمي العبد الذي لا يخدم الا ما دامت عليه عين مولاه عبد العين وكانت العرب في الجاهلية لا تورث الهجين وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعده ولو وجدوا أما أمة على رأس ثلاثين اماما أفلح

عندهم ولا كان آزاد ولا كان بيده مزاد والازاد عندهم الحر والمزاد الريحان (وقال ابن الزبير) لعبد الرحمن بن أم الحكم

تبلغت لما ان أتيت بلادهم * وفي أرضنا أنت الهمام القلمس

ألست ببغل أمه عربية * أبوه حمار أدبر الظهر ينخس

وشبه المدرع بالبغل اذا قيل له من أبوك قال أمي الفرس (ومما احتجت به الهجناء) أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الاسود وزوج خالدة بنت أبي لهب من عثمان بن أبي العاص الثقفي وبذلك احتج عبد الله بن جعفر اذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف فعيره الوليد بن عبد الملك فقال عبد الله بن جعفر سيف أبيك زوجه والله مافديت بها الاخبط رقبتي وأخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج ضباعة من المقداد وخالدة من عثمان بن أبي العاص ففيه قدوة وأسوة وزوج أبو سفيان ابنته أم الحكم بالطائف في ثقيف (وقال لهذم الكاتب) في عبد الله بن الاهتم وساله فحرمه

وما بنو الاهتم الا كالرخم * لاشيء الا انهم لحم ودم

جاءت به جذام من أرض العجم * اهتم سلاح على ظهر القدم

* مقابل في اللؤم من خال وعم *

(وكانت) بنو أمية لاتستخلف بني الاماء وقالوا لاتصلح لهم العرب (زياد بن يحيي) قال حدثنا جبلة بن عبد الملك قالوا سابق عبد الملك سليمان ومسلمة فسبق سليمان مسلمة فقال عبد الملك

ألم انهكم ان تحملوا هجناءكم * على خيلكم يوم الرهان فتدرك

وما يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

وتضعف عضداه ويقصر سوطه * وتقصر رجلاه فلا يتحرك

وأدركنه خالاته فنزعنه * ألا ان عرق السوء لابد يدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيباني : فقال أتدري من يقول هذا قال لا أدري قال يقوله أخوك قال مسلمة يا أمير المؤمنين ماهكذا قال حاتم الطائي قال عبد الملك وماذا قال حاتم فقال مسلمة قال حاتم

وما انكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناها باسيافنا قسرا
فما زادها فينا السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
ولكن خلطناها بخير نسائنا * فجاءت بهم بيضا وجوههم زهرا
وكائن ترى فينا من ابن سبية * اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضاء ويصدرها حمرا
كريم اذا اعتز اللئيم تخاله * اذا ما سرى ليل الدجى قمرا بدرا

﴿ فقال عبد الملك كالمستحي ﴾

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصحبينا

(قال الاصمعي) كانت بنو أمية لا تبايع لبني أمهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك لاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن أم ولد فلما ولى الناقص ظن الناس انه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسري فلم يلبث الا سبعة أشهر حتي مات ووثب مكانه مروان بن محمد وأمه كردية فكانت الرواية عليه ولم يكن لعبد الملك ابن أسد رأيا ولا أذكى عقلا ولا أشجع قلبا ولا أسمح نفسا ولا أسخى كفا من مسلمة وانما تركوه لهذا المعني (وكان) يحي بن أبي حفصة أخو مروان بن أبي حفصة يهوديا أسلم على يد عثمان بن عفان فكثر ماله فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ونقدها خمسين ألفا

﴿ وفيه يقول القلاخ ﴾

رأيت مقاتل الطلبات حلى * نحور بناته كمر الموالى
فلا تفخر بقيس ان قيسا * خريتم فوق أعظمه البوالى

﴿ وله فيه ﴾

نبئت خولة قالت حين أنكحها * لطالما كنت منك العار أنتظر
أنكحت عبد بن ترجو فضل مالها * فى فيك مما رجوت الترب والحجر
لله در جياد أنت سائسها * برذنتها وبها التحجيل والغرر

﴿ فقال مقاتل يرد عليه ﴾

وما تركت خمسون الف لقائل * عليك فلا تحفل مقالة لائم

فان قلتم زوجت مولى فقد مضت * به سنة قبلى وحب الدراهم

ويقال ان غيره قال ذلك

٤ — باب فى الادعياء — (أول) دعى كان فى الاسلام واشتهر زياد بن عبيد دعى معاوية وكان من قصته انه وجهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العراق الى عمر بفتح كان فلما قدم وأخبر عمر بالفتح فى أحسن بيان وأفصح لسان قال له عمر أتقدر على مثل هذا الكلام فى جماعة الناس على المنبر قال نعم وعلى أحسن منه وأنا لك أهيب فامر عمر بالصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لزياد قم فاخطب وقص على الناس مافتح الله على اخوانهم المسلمين ففعل وأحسن وجود وعند أصل المنبر على بن أبى طالب وأبو سفيان ابن حرب فقال أبو سفيان لعلى أيعجبك ماسمعت من هذا الفتى قال نعم قال اما انه ابن عمك قال فكيف ذلك قال أنا قذفته في رحم أم سمية قال فما يمنعك ان تدعيه قال اخاف هذا الجالس على المنبر يعني عمر أن يفسد على اهابى فلما ولى معاوية استلحقه بهذا الحديث وأقام له شهودا عليه فلما شهد الشهود قام زياد على أعقابهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هذا أمر لم أشهد أوله ولا علم لى باخره وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم وشهد الشهود بما قد سمعتم والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس وحفظ منا ما ضيعوا فاما عبيد فانما هو والد مبرور أو ربيب مشكور ثم جلس

﴿ فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ﴾

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فقد ضاقت بما يأتى اليدان

أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زان

وأشهد ان قربك من زياد * كقرب الفيل من ولد الاتان

(وقال) زياد ما هجيت ببيت قط أشد على من قول يزيد بن مقرع الحميرى

فكر ففى ذاك ان فكرت معتبر * هل نلت مكرمة الا بتاميرى

عاشت سمية ما عاشت وما علمت * ان ابنها من قريش فى الجماهير

سبحان من ملك عيا بقدرته * لا يدفع الناس محتوم المقادير

وكان ولد سمية زيادا وأبا بكرة ونافعا فكان زياد ينسب فى قريش وأبو بكرة فى العرب ونافع فى الموالى

﴿ فقال فيهم يزيد بن مقرع ﴾

ان زيادا ونافعا وأبا * بكرة عندى من أعجب العجب
ان رجالا ثلاثة خلقوا * من رحم أنثى مخالفى النسب
ذا قرشى فيما يقول وذا * مولى وهذا ابن عمه عربى

﴿وقال بعض العراقيين فى أبى مسهر الكاتب﴾

حمار فى الكتابة يدعيها * كدعوى آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها * ولو غرقت ثوبك بالمداد

﴿وقال آخر فى دعى﴾

لعين يورث الابناء لعنا * ويلطخ كل ذى نسب صحيح

(ولما) طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ونصر بن حجاج عند معاوية فى عبد الله بن حجاج مولى خالد بن الوليد أمر معاوية حاجبه ان يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خز أخضر وأمر بحجر فأدنى منه وألقى عليه طرف المطرف ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس فقال نصر بن حجاج أخي وابن أبي عهد الى انه منه وقال عبد الرحمن مولاى وابن عبد أبي وأمته ولد على فراشه فقال معاوية ياحرسى خذ هذا الحجر واكشف عنه فادفعه الى نصر بن حجاج وقال يانصر هذا مالك في حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال الولد للفراش وللعاهر الحجر فقال نصر أفلا أجريت هذا الحكم فى زياد ياأمير المؤمنين قال ذاك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وليس فى الارض أسخى فى العرب من الادعياء لتستحق بذلك العربية

﴿قال الشاعر﴾

دعى واحد أجدي عليهم * من الفى عالم مثل ابن داب
ككلب السوء يحرس جانبيه * وليس عدوه غير الكلاب

﴿وقال الاصمعي﴾ استمشى رجل من الادعياء فدخل عليه رجل من أصحابه فوجد عنده شيحا وقيصوما فقال له ماهذا فقال ورفع صوته الطبيعة تتوق اليه يريد ان طبيعته من طباع العرب فقال فيه الشاعر

بشم الشيح والقيصو * م كى يستوجب النسبا
وليس ضميره فى الصد * ر الا التين والعنبا

﴿ وعن اسمعيل بن أحمد ﴾ قال رأيت على أبي سعيد الشاعر المخزومي كردوانيا مصبوغا بتور يد فقلت أبا سعيد هذا خز قال لا ولكنه دعي على دعي وكان أبو سعيد دعيا في بني مخزوم

﴿ وفيه قال الشاعر ﴾

فتى تاه على الناس * شريف يا أبا سعد
فته ماشئت اذ كنت * بلا أب ولا جد
واذ حظك في النسبة بين الحر والعبد
وان فارقك الفحش * فنى أمن من الحد

(وعن أحمد بن عبد العزيز) قال نزلت في دار رجل من بني عبد القيس بالبحرين فقال لي بلغني انك خاطب قلت نعم قال فانا أزوجك قلت له اني مولى قال اسكت وأنا أفعل

﴿ فقال أبو بجير فيهم ﴾

أمن قلة صرتم الى ان قبلتم * دعارة زراع وآخر تاجر
وأصهب رومي وأسود فاحم * وأبيض جعد من سراة أحامر
شكولهم شتي وكل نسيبكم * لقد جئتم في الناس احدي المناكر
متى قال اني منكم فمصدق * وان كان زنجيا غليظ المشافر
أكلهم وافى النساء جدوده * وكلهم أوفى بصدق المعاذر
وكلهم قد كان في أوليه * له نسبة معروفة في العشائر
على علمكم ان سوف ينكح فيكم * فجدعا ورغما للانوف الصواغر
فهلا أبيتم عفة وتكرما * وهلا وجاتم من مقالة شاعر
تعيبون أمرا ظاهرا في بناتكم * وفخركم قد جاز كل مفاخر
متي شاء منكم مغرم كان جده * عمارة عبس خير تلك العمائر
وحصن بن بدر أو زرارة دارم * وزبان زبان الرئيس بن جابر
قد صرت لا أدري وان كنت ناسيا * لعل نجارا من هلال بن عامر
وعل رجال الزك من آل مذحج * وعل تميما عصبة من يخامر
وعل رجال العجم من آل عالج * وعل البوادي بدلت بالحواضر

زعمتم بان الهند أولاد خندف * وبينكم قربى وبين البرابر
وديلم من نسل ابن ضبة باسل * وبرجان من أولاد عمرو بن عامر
بنو الاصفر الاملاك أكرم منكم * وأولى بقربانا ملوك الاكاسر
أأطمع فى صهري دعيا مجاهرا * ولم نر شرا فى دعي مجاهر
ويشتم لؤما عرضه وعشيره * ويمدح جهلا طاهرا وابن طاهر

(وقال زرارة بن نزوان أحد بني عامر بن ربيعة بن عامر)

قد اختلط الاسافل بالاعالى * وباح الناس واختلط النجار
وصار العبد مثل أبي قبيس * وسيق مع المعلهجة العشار
وانك لن يضيرك بعد حول * أطرف كان أمك أم حمار

﴿ وقال عقيل بن علقمة ﴾

وكنا بني غبط رجالا فاصبحت * بنو مالك غبطا وصرنا لمالك
لحا الله دهرا زعزع المال كله * وسود استاه الاماء الفوارك

(وذكر) جعفر بن سليمان بن على يوما ولده وانهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر عمدت الى فاسقات المدينة ومكة واماء الحجاز فاوعيت فيهم نطفك ثم تريد أن ينجبن ألا فعلت فى ولدك مافعل ابوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها (ودخل) الاشعث بن قيس على على بن أبي طالب فوجد بين يديه صبية تدرج فقال من هذه ياأمير المؤمنين قال هذه زينب بنت أمير المؤمنين قال زوجنيها ياأمير المؤمنين قال أعزب بفيك الكثكث ولك الاثلب أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة انها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم فقال قد زوجتم أخمل منى حسبا واوضع مني نسبا المقداد بن عمرو وان شئت فالمقداد بن الاسود قال على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله وهو أعلم بما فعل ولئن عدت الى مثلها لاسوأنك . وفى هذا المعنى قال الكميت ابن زيد

وماضر بت فحول بني نزار * فواحل من فحول الاعجمينا
وما حملوا الحمير على عتاق * مطهمة فيلقوا مبغلينا
بنى الاعمام انكحنا الايامى * وبالآباء سمينا البنينا

أراد تزويج أبرهة الحبشي في كندة (عن العتبي) قال انشدني أبو اسحق ابراهيم بن خراش لخالد النجار

اليوم من هاشم بخ وأنت غدا * مولى وبعد غد حلف من العرب
ان صح هذا فانت الناس كلهم * يا هاشمي ويا مولى ويا عربي

قال وكان الهيثم بن عدى فيما زعموا دعيا فقال فيه الشاعر

الهيثم بن عدى من تنقله * فى كل يوم له رحل على قتب
اذا اجتدى معشرا من فضل نسبتهم * فلم ينيلوه عداهم الى نسب
فما يزال له حل ومرتحل * الى النصارى وأحيانا الى العرب
اذا نسبت عديا فى بني ثعل * فقدم الدال قبل العين فى النسب

﴿ وقال سيار العقيلي ﴾

ان عمرا فاعرفوه * عربى من زجاج
مظلم النسبة لا يعرف الا بالسراج

﴿ وقال فيه ﴾

ارفق بنسبة عمرو حين تنسبه * فانه عربي من قوارير
مازال فى كير حداد يردده * حتي بدا عربيا مظلم النور

﴿ وقال ايضا فى أدعياء ﴾

هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا * يدخل بعد العشاء فى العرب
حتى اذا ما الصباح لاح لهم * بين ستوقهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة * اعلم شيء بزائف الذهب

﴿ وقال ابو نواس فى أشجع بن عمرو ﴾

قل لمن يدعى سليمي سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سليمي كواو * الحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

﴿ وقال فيه ﴾

أيا متحيرا فيه * لمن يتعجب العجب
لاسماء تعلمهن * أشجع حين ينتسب

﴿ ولاحمد بن أبي الحرث الخراز في نصيب الطائي ﴾

لوانك اذ جعلت اباك أوسا * جعلت الجدحارثة بن لام
وسميت التي ولدتك سعدى * فكنت مقابلا بين الكرام

﴿ وله فيه ﴾

أنت عندى عربى * ليس فى ذاك كلام
شعر فخذيك وساقيـك خزامى وثمام
وضلوع الصدر من * جسمك نبع وبشام
وقذى عينيك صمغ * ونواصيك ثغام
لو تحركت كذا لانـجفلت منك نعام
وظباء سانحات * ويرابيع عظام
وحمام يتغنى * حبذا ذاك الحمام
أنا ما ذنبي ان كذ * ذبني فيك الكرام
القفا يشهد اذ ما * عرفت فيك الانام
كذبوا ما أنت الا * عربى والسلام

﴿ وقال فى المعلى الطائى ﴾

معلى لست من طى * فان قبلتك فارهنها
أبيك فارم فى أخ * فلا ترغب به عنها
كان دماملا جمعت * فصور وجهه منها

﴿ ولآخر ﴾

نعلمها واخوته * فكلهم بها ذرب
لقد ربوا عجوزهم * ولو زبنتها غضبوا
فيالك عصبة ان حد * دثوا عن أصلهم كذبوا
لهم فى بيتهم نسب * وفى وسط الملا نسب
كما لم تخف سافرة * وتخفى حين تنتقب

﴿ وقال خلف بن خليفة فى الادعياء ﴾

فقل للاكرمين بني نزار * وعند كرائم العرب الشفاء
أآخر مرتين سيتموننا * وفي الاسلام ما كره السباء
اذا استحللتم هذا وهذا * فليس لنا على ذا كم بقاء
فلا تامن على حال دعيا * فليس له على حال وفاء

٥ — في الباه وماقيل فيه — ذكر عند مالك بن أنس الباه فقال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقل منه أو أكثر (وقال) معاوية ما رأيت نهما في النساء لا عرفت ذلك في وجهه (وقال) الحجاج لابن شماخ العكلي ما عندك للنساء قال أطيل الظماء وأرد فلا أشرب (وقيل) للمدايني ما عندك يا أبا الحجاف قال يمتد ولا يشتد ويرد ولا يشرب (وقيل) لآخر ما عندك لهن قال ما يقطع حجتها ويشفي غلمتها (وقال) كسرى كنت أراني اني اذا كبرت انهن لا يحببنني فاذا أنا لا أحبهن (وانشد) الرياشي لاعرابي من بني أسد

تمنيت لو عاد شرخ الشباب * فلا شيء عندى لها ممكنا
فاما الحسان فيابينني * وأما القباح فآبي أنا

(ودخل عيسى بن موسى على جارية فلم يقدر على شيء فقال)

النفس تطمع والاسباب عاجزة * والنفس تهلك بين الياس والطمع

(وخلا ثمامة بن أشرس) بجارية له فعجز فقال ويحك ما أوسع حرك فقالت

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

﴿ وقال آخر لجاريته ﴾

ويعجبني منك عند الجماع * حياة الكلام وموت النظر

﴿ وقال آخر ﴾

شفاء الحب تقبيل ولمس * وسبح بالبطون على البطون
ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالذوائب والقرون

(وقالت) امرأة كوفية دخلت على عائشة بنت طلحة فسالت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت زفيرا ونخيرا لم يسمع قط مثله ثم خرجت وجبينها يتفصد عرقا فقلت لها ماظننت ان حرة تفعل مثل هذا فقالت ان الخيل العتاق تشرب بالصفير (وقيل) لاعرابي ما عندك للنساء فاشار الى متاعه وقال

وتراه بعد ثلاث عشر قائما * نظر المؤذن شك يوم سحاب

﴿ وقال الفرزدق ﴾

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودني على مالا يجوز
وقالت رق ايرك مذكبرنا * فقلت لها بل اتسع القفيز

﴿ وقال الراجز ﴾

لا يعقب التقبيل الازب * ينزع منه الا بنزع الصب
ولا يداوي من صميم الحب * الا احتضان الركب الازب

(روى) زياد عن مالك عن محمد بن يحيي بن حسان ان جدته عاتبت جده فى قلة اتيانه اياها فقال لها ما أنا وأنت على قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالت وما قضاء عمر قال قضى ان الرجل اذا أتي امرأته عند كل طهر فقد أدى حقها قالت أفترك الناس كلهم قضاء عمر وأقمت أنا وأنت عليه (وقال اعرابى حين كبر وعجز)

عجبت من ايرى كيف يصنع * أدفعه باصبعي ويرجع
يقوم بعد النشر ثم يصرع

(ودخلت) عزة صاحبة كثير على أم البنين زوج عبد الملك بن مروان فقالت لها اخبريني عن قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معني غريمها

ماهذا الدين الذى طلبك به قالت وعدته بقبلة فخرجت منها قالت انجزيها وعلى أثمها (أهديت) جارية الى حماد عجرد وهو جالس مع أصحابه على لذة فتركهم وقام بها الى مجلس له فافتضها وكتب اليهم

قد فتحت الحصن بعد امتناع * بسنان فاتح للقلاع
ظفرت كفى بتفرق جمع * جاءنا تفريقه باجتماع
واذا شملى وشمل خليلى * انما يلتام بعد انصداع

﴿ آخر ﴾

لم يوافق طباع هذا طباعي * فانا وهي دهرنا فى صراع
وتحربت ان أنال رضاها * فابت غير جفوة وامتناع

فتفكرت لم بليت بهذا * فاذا ان ذا لضعف المتاع

(وقع) بين رجل وامرأته شر فجعل يحيل عليها بالجماع فقالت فعل الله بك كلما وقع بيننا شيء جئتني بشفيع لا أقدر على رده (وأقبل) رجل الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني قتلتني قال اقتلها وعلي اثمها (وقال) هشام ابن عبد الملك للابرش الكلبي زوجني امرأة من كلب ففعل وصارت عنده فقال له هشام ودخل عليه لقد وجدنا في نساء كلب سعة فقال له الابرش ان نساء كلب خلقن لرجال كلب (وقالوا) من ناك لنفسه لم يضعف أبدا ولم ينقطع ومن فعل ذلك لغيره فذاك الذي يضني وينقطع يعنون من فعل ذلك ليبلغ أقصى شهوة المرأة ويطلب الذكر عندها

﴿وقال الشاعر﴾

من ناك للذكر أضنى قبل مدته * لا يقطع النيك الا كل منهوم

(وقالوا) من قل جماعه فهو أصح بدنا وأطول عمرا ويعتبرون ذلك بذكر الحيوان وذلك انه ليس في الحيوان أطول عمرا من البغل ولا أقصر عمرا من العصافير وهي أكثر سفادا والله أعلم



٢٢

كتاب الجمانة الثانية

﴿ فى المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ﴾

﴿ قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ﴾ قد مضى قولنا في النساء والادعياء وما قيل فى ذلك من الشعر ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى كتابنا هذا ذكر المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين فان أخبارهم حدائق مونقة ورياض زاهرة لما فيها من طرفة ونادرة فكأنها أنوار مزخرفة أوحلل منشرة دانية القطوف من جانى ثمرتها قريبة المسافة لمن طلبها فاذا تاملها الناظر واصغي اليها السامع وجدها ملهى للسمع ومرتعا للنظر وسكنا للروح ولقاحا للعقل وسميرا فى الوحدة وانيسا فى الوحشة وصاحبا فى السفر وأنيسا فى الحضر (قال أبو الطيب الربذى) أخذ رجل ادعى النبوة أيام المهدى فادخل عليه فقال له أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال أوتركتمونى أذهب الى أحد ساعة بعثت وضعتموني فى الحبس فضحك منه المهدي وخلى سبيله (ادعي) رجل النبوة بالبصرة فاتى به سليمان بن على مقيدا فقال له أنت نبي مرسل قال أما الساعة فاني مقيد قال ويحك من بعثك قال أبهذا يخاطب الانبياء ياضعيف والله لولا أنى مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم قال فالمقيد لا تجاب له دعوة قال نعم الانبياء خاصة اذا قيدت لم يرتفع دعاؤها فضحك سليمان وقال له انا أطلقك وأمر جبريل فان أطاعك آمنا بك وصدقناك قال صدق الله فلا يؤمنوا حتي يروا العذاب الاليم فضحك سليمان وسال عنه فشهد عنده أنه ممرور فخلى سبيله (قال) ثمامة بن أشرس شهدت المامون أتى برجل ادعى

النبوة وانه ابراهيم الخليل فقال المامون ماسمعت أجرأ على الله من هذا قلت أكلمه قال شانك به فقلت له ياهذا ان ابراهيم كانت له براهين قال وما براهينه قلت أضرمت له نار وألقي فيها فصارت برداوسلاما فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك بردا كما كانت على ابراهيم آمنا بك وصدقناك قال هات ماهو ألين على من هذا قال براهين موسى قال وما كانت براهين موسى قال عصاه التي ألقاها فصارت حية تسعى تلقف ماياً فكون وضرب بها البحر فانفلق و بياض يده من غير سوء قال هذا أصعب هات ماهو ألين من هذا قلت براهين عيسى قال ومابراهين عيسى قلت كان يحيي الموتى و يمشي على الماء و يبرئ الا كمه والابرص فقال في براهين عيسى جئت بالطامة الكبرى قلت لا بد من برهان فقال مامعي شيء من هذا قد قلت لجبريل انكم توجهونني الى شياطين فاعطوني حجة أذهب بها اليهم واحتج عليهم فغضب وقال بدأت أنت بالشر قبل كل شيء اذهب الآن فانظر مايقول لك القوم وقال هذا من الانبياء لا يصلح الا للتخمر فقلت ياأمير المؤمنين هذا هاج به مرارا واعلاه ذلك فيه قال صدقت دعه (ادعى) رجل النبوة في أيام المهدي فادخل عليه فقال له أنت نبي قال نعم قال ومتي نبئت قال وماتصنع بالتاريخ قال ففي أي المواضع جاءتك النبوة قال وقعنا والله في شغل ليس هذا من مسائل الانبياء ان كان رأيك أن تصدقني في كل ماقلت لك فاعمل بقولي وان كنت عزمت على تكذيبي فدعني أذهب عنك فقال المهدي هذا مالا يجوز اذا كان فيه فساد الدين قال واعجبا لك تغضب لدينك لفساده ولا أغضب انا لفساد نبوتي أنت والله ماقويت على الابمعن بن زائدة والحسن بن قحطبة وما أشبههما من قوادك وعلى يمين المهدي شريك القاضي قال ماتقول في هذا النبي ياشريك قال شاورت هذا في أمري وتركت أن تشاورني قال هات ماعندك قال أحاكمك فيما جاء به من قبلي من الرسل قال رضيت قال أكافر أنا عندك أم مؤمن قال كافر قال فان الله يقول ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم فلا تطعني ولا تؤذني ودعني أذهب الى الضعفاء والمساكين فانهم أتباع الانبياء وأدع الملوك والجبابرة فانهم حطب جهنم فضحك المهدي وخلى سبيله (قال) خلف بن خليفة ادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فاتي به خالد فقال له ماتقول قال عارضت

فى القرآن مايقول الله تعالى انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر فقلت أنا ماهو أحسن من هذا انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر وكافر فامر به خالد فضربت عنقه وصلب على خشبة فمر به خلف بن خليفة الشاعر وقال انا أعطيناك العمود فصل لربك على عود وأنا ضامن ان لا تعود (قال) وانى لقاعد على مجلس عبد الله بن حازم وهو على الجسر ببغداد فاذا بجماعة قد أحاطت برجل ادعى النبوة فقدم الى عبد الله فقال له أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال وماعليك بعثت الى الشيطان فضحك عبد الله بن حازم وقال دعوه يذهب الى الشيطان الرجيم (وقال) ثمامة ابن أشرس كنت فى الحبس فادخل علينا رجل ذو هيئة وبزة ومنظر فقلت له من أنت جعلت فداك وماذنبك وفى يدى كاس دعوت به الاشربها قال جاؤابى هؤلاء السفها لانى جئت بالحق من عند ربى أنا نبي مرسل قلت جعلت فداك معك دليل قال نعم معى أكبر الادلة ادفعوا الى امرأة أحبلها لكم فتاتي بمولود يشهد بصدقى قال ثمامة فناولته الكاس وقلت له اشرب صلى الله عليك (محمد بن عتاب) قال رأيت بالرقة أيام الرشيد جماعة أحاطت برجل فاشرفت عليه فاذا رجل له جهارة وبنية قلت ماقصة هذا قالوا ادعى النبوة قلت كذبتم عليه مثل هذا لايدعي الباطل فرفع رأسه الى فقال وما علمك انهم قالوا على الباطل قلت له وأنت نبي قال نعم قلت له ما دليلك قال دليلى انك ولد زنا قلت نبي بقذف المحصنات قال بهذا بعثت قلت أنا كافر بما بعثت به قال ومن كفر فعليه كفره فاذا حصاة عابرة جاءت حتى صكت صلعته قال مارماها الا ابن الزانية ثم رفع رأسه الى السماء فقال ماأردتم بي خيرا حيث طرحتموني فى يد هؤلاء الجهال (ادعى) رجل النبوة فى أيام المأمون فقال ليحيي بن أكثم امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبنا متنكرين ومعنا خادم حتي وصلنا اليه وكان مستترا بمذهبة فخرج اذنه وقال من أنتما فقلنا رجلان بريدان ان يسلما على يديه فاذن لهما ودخلا فجلس المامون عن يمينه ويحيي عن يساره فالتفت اليه المامون فقال له الى من بعثت قال الى الناس كافة قال فيوحي اليك أم ترى فى المنام أم ينفث فى قلبك أم تناجي أم تكلم قال بل أناجي وأكلم قال ومن ياتيك بذلك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال قبل ان تاتياني بساعة قال فما أوحي اليك قال أوحي انه سيدخل على رجلان فيجلس

أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فالذى عن يساري الوط خلق الله قال المامون أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وخرجا يتضاحكان (تنبا) رجل بالكوفة وأحل الخمر ولقى ابن عياش وكان مغرما بالشراب فقال له أشعرت انه بعث نبي يحل الخمر قال اذا لا يقبل منه حتى يبريء الاكمه والابرص وأتي به عامل الكوفة فاستتابه فابي ان يتوب ويرجع فاتته أمه تبكي فقال لها تنحى ربط الله علي قلبك كما ربط على قلب أم موسى وأتاه أبوه يطلب اليه فقال لها تنح يا آزر فامر به العامل فقتل وصلب (وذكر) بعض الكوفيين قال بينا أنا جالس بالكوفة فى منزلى اذ جاءني صديق لى فقال لى انه ظهر بالكوفة رجل يدعي النبوة فقم بنا اليه نكلمه ونعرف ما عنده فقمت معه فصرنا الى باب داره فقرعنا الباب وسالنا الدخول عليه فاخذ علينا العهود والمواثيق اذا دخلنا عليه وكلمناه وسالناه ان كان على حق اتبعناه وان كان على غير ذلك كتمنا عليه ولم نؤذه فدخلنا فاذا شيخ خراسانى أخبث من رأيت على وجه الارض واذا هو أصلع فقال صاحبي وكان أعور دعنى حتى أسائله قلت دونك قال جعلت فداك ما أنت قال نبي قال وما دليلك قال أنت أعور عينك اليمنى فاقلع عينك اليسرى تصير أعمي ثم ادعو الله فيرد عليك بصرك فقلت لصاحبي انصفك الرجل قال فاقلع أنت عينيك جميعا وخرجنا نضحك (وأتى) المامون بانسان متنبي فقال له ألك علامة قال نعم علامتي اني أعلم ما فى نفسك قال قربت على ما فى نفسى قال له فى نفسك انى كذاب قال صدقت وأمر به الى الحبس فاقام به أياما ثم أخرجه فقال أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبس فضحك المامون وأطلقه (وتنبأ) انسان وسمي نفسه نوحا صاحب الفلك وذكر انه سيكون طوفان على يديه الا من اتبعه ومعه صاحب له قد آمن به وصدقه فاتي به الوالى فاستتابه فلم يتب فامر به فصلب واستتاب صاحبه فتاب فناداه من الخشبة يافلان أتسلمنى الآن فى مثل هذه الحالة فقال يا نوح قد علمت انه لا يصحبك من السفينة الا الصارى (قال) وحمل الى المامون من أذربيجان رجل قد تنبا فقال ياثمامة ناظره فقال ما أكثر الانبياء فى دولتك يا أمير المؤمنين ثم التفت الى المتنبي فقال له ما شاهدك على النبوة قال تحضر لى ياثمامة امرأتك أنكحها بين يديك فتلد غلاما ينطق فى المهد يخبرك انى نبي فقال ثمامة اشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال المامون ما أسرع ما آمنت به قال وأنت يا أمير المؤمنين ما أهون عليك ان تتناول امرأتي على فراشك فضحك المامون وأطلقه

١ — أخبار الممرورين والمجانين — قال أبو الحسن كان بالبصرة ممرور يقال له عليان بن أبي مالك وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه وكان راوية للشعر بصيرا بجيده فذكر عن عبد الله بن ادريس صاحب الحديث قال أخرجه الصبيان مرة حتى هجم علينا في الدار فقال لي الخادم هذا عليان قد هجم علينا والصبيان في طلبه فقلت ادفع الباب في وجوه الصبيان واخرج اليه طعاما وطبقا عليه رطب مشان وملتفات وأرغفة فلما وضعه بين يديه حمد الله وأثنى عليه وقال هذا رحمة الله وأشار الى الطعام كما أن أولئك من عذاب الله وأشار الى الصبيان ثم جعل يأكل والصبيان يرجمون الباب وهو يقول فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال ادريس فلما انقضى طعامه قلت له يا عليان مالك تروي الشعر ولا تقوله قال اني كالمسن أشحذ ولا أقطع وكان بصيرا بالشعر فقلت أي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي لا يحجب عن القلب قلت مثل ماذا قال مثل قول جميل

ألا أيها النوام ويحكم هبوا * أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

قال فانشد النصف الاول بصوت ضعيف وأنشد النصف الآخر بصوت رفيع ثم قال ألا ترى النصف الاول كيف استاذن على القلب فلم ياذن له والنصف الثاني استاذن على القلب فاذن له قلت وماذا قال مثل قول الشاعر

ندمت على ما كان مني فقدتني * كما ندم المغبون حين يبيع

ثم قال أستطيب قوله فقدتني بالله يا ابن ادريس قلت بلى فضرب بيده على فخذي وقال قم يشيب الله قرنك وابن ادريس يومئذ ابن ثمانين سنة (وحكي) عن ابن ادريس قال مررت به في مربعة كنده وهو جالس على رماد وبيده قطعة من جص وهو يخبط بها في الرماد فقلت له ما تصنع ههنا يا ابن ابي مالك قال ما كان يصنع صاحبنا قلت ومن صاحبك قال مجنون بني عامر قلت وما كان يصنع قال أما سمعته يقول

عشية مالي حيلة غير أنني * بلقط الحصى والجص في الدار مولع

قلت ما سمعته فرفع رأسه الي متضاحكا فقال ما يقول الله عز وجل ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا قلت سمعته أو رأيته هذا كلام من كلام العرب

ولا علم لي به قلت يا ابن أبي مالك متى تقوم القيامة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل غير أنه من مات قامت قيامته قلت فالمصلوب يعذب عذاب القبر قال ان حقت عليه كلمة العذاب يعذب ومايدريك لعل جسده في عذاب من عذاب الله لا تدركه أبصارنا ولا أسماعنا فان لله لطفا لا يدرك . قلت ما تقول في النبيذ حلال أم حرام قال حلال قلت أتشرب به قال ان شربته فقد شرب به وكيع وهو قدوة قلت أتقتدي بوكيع في تحليله ولا تقتدي بي في تحريمه وأنا أسن منه قال ان قول وكيع مع اتفاق أهل البلد عليه أحب الي من قولك مع اختلاف أهل البلدة عليك قلت فما تقول في الغناء قال قد غني البراء بن عازب وعبد الله بن رواحة وسمع الغناء عبد الله بن عمر وكان عبد الله بن جعفر قلت ايش كان عبد الله بن جعفر قال انما سألتني عن الغناء ولم تسألني عن ضرب العيدان (وكان) بالبصرة مجنون يأوي الى دكان خياط وفي يده قصبة قد جعل في رأسها أكرة ولف عليها خرقة لئلا يؤذي بها الناس فكان اذا أحرده الصبيان التفت الى الخياط وقال له قد حمي الوطيس وطاب اللقاء فما ترى فيقول شأنك بهم فيشد عليهم و يقول

أشد على الكتيبة لا أبالي * أحتفي كان فيها أم سواها

فاذا أدرك منهم صبيا رمى بنفسه الى الارض وأبدي له عورته فيتركه و ينصرف و يقول عورة المؤمن حمى ولولا ذلك لتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفين ثم يقول و ينادي

أنا الرجل الضرب الذي يعرفونني * خشاش كرأس الحية المتوقد

ثم يرجع الى دكان الخياط و يلقي العصا من يده و يقول

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

(وكان) بالبصرة رجل من التجار يكني أبا سعيد وكانت له جارية تدعى جيرين وكان بها كلفا فمر يوما بعليان وقد أحاط به الناس فقالوا له هذا أبو سعيد صاحب جيرين فناداه أبا سعيد قال نعم قال أتحب جيرين قال نعم قال وتحبك قال نعم فانشأ يقول

نبئتها عشقت حشا فقلت لهم * ما يعشق الحش الا كل كناس

فضحك الناس من أبي سعيد ومضي (ومر ابن أبي الزرقاء) صاحب شرطة ابن هبيرة بصياح

الموسوس فقال له يا ابن أبي الزرقاء أسمنت برذونك وأهزلت دينك أما والله أن أمامك عقبة لا يجاوزها الا المخف فوقف ابن أبي الزرقاء فقيل له هو صياح الموسوس قال ما هذا بموسوس ✽ وقال ابراهيم الشيباني مررت ببهلول المجنون وهو يأكل خبيصا فقلت أطعمني قال ليس هو لي انما هو لعاتكة بنت الخليفة بعثته الي لآكله لها وكان البهلول هذا يتشيع فقيل له اشتم فاطمة وأعطيك درهما فقال بل اشتم عائشة وأعطني نصف درهم (وقال) ابن عبد الملك يعرف حمق الرجل في أربع لحيته وشناعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه فدخل عليه شيخ طويل العثنون فقال أما هذا فقد أتاكم بواحدة فانظروا أين هو من الثلاث فقيل له ما كنيتك قال أبو الياقوت قيل فنقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد قيل أي الطعام تشتهي قال خانجبين (وسمع) عمر بن عبد العزيز رجلا ينادي يا أبا العمرين فقال لو كان عاقلا لكفاه أحدهما (وقيل) لداود المصاب في مصيبة نزلت به لا تتهم الله في قضائه قال أقول لك شيا على الامانة قال قل قال والله ما بي غيره (ودخل) أبو عتاب على عمر ابن هداب وقد كف بصره والناس يعزونه فقال له أبا يزيد لا يسوءنك فقدهما فانك لو دريت بثوابهما تمنيت ان الله قطع يديك ورجليك ودق عنقك (ودخل) على قوم يعود مريضاهم فبدأ يعزيهم قالوا انه لم يمت فخرج وهو يقول يموت ان شاء الله يموت ان شاء الله (ووقع) بين أبي عباد وبين ابنه كلام قال لولا انك أبي وانك أسن مني لعرفت (أبو حاتم) عن الاصمعي عن نافع قال كان العناصري من أحمق الناس فقيل له ما رأيت من حمقه فسكت فلما أكثر عليه قال قال لي مرة البحر من حفرة وأين ترابه الذي خرج منه وهل يقدر الامير ان يحفر مثله في ثلاثة أيام (ودخل) رجل من النوكى على الشعبي وهو جالس مع امرأته فقال أيكم الشعبي فقال هذه فقال ما تقول أصلحك الله في رجل شتمني أول يوم من رمضان هل يؤجر قال ان كان قال لك يا أحمق فاني أرجوله (وسال) رجل آخر الشعبي فقال ما تقول في رجل في الصلاة ادخل أصبعه في أنفه تخرج عليها دم أترى له ان يحتجم فقال الشعبي الحمد لله الذي نقلنا من الفقه الى الحجامة (وقال) له آخر كيف تسمي امرأة ابليس قال ذاك نكاح ما شهدناه (العتبي) قال سمعت أبا عبد الرحمن بشرا يقول كان في زمن المهدي رجل

صوفي وكان عاقلا عالما فيجد ليجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان يركب قصبة فى كل جمعة يومين الاثنين والخميس فاذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان فيصعد تلا وينادي باعلى صوته مافعل النبيون والمرسلون أليسوا في أعلى عليين فيقولون نعم قال هاتوا أبا بكر الصديق فاخذ غلام فاجلس بين يديه فيقول جزاك الله خيرا أبا بكر عن الرعية فقد عدلت وقمت بالقسط وخلفت محمدا عليه الصلاة والسلام فى حسن الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع وفرغت منه الى أوثق عروة وأحسن ثقة اذهبوا به الى أعلى عليين ثم ينادى هاتوا عمر فاجلس بين يديه غلام فقال جزاك الله خيرا أبا حفص عن الاسلام قد فتحت الفتوح ووسعت الفيء وسلكت سبيل الصالحين وعدلت فى الرعية اذهبوا به الى أعلى عليين بحذاء أبي بكر ثم يقول هاتوا عثمان فاتي بغلام فاجلس بين يديه فيقول له خلطت فى تلك السنين ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه فى أعلى عليين ثم يقول هاتوا على بن أبي طالب فاجلس غلام بين يديه فيقول جزاك الله عن الامة خيرا أبا الحسن فانت الوصى وولىّ النبي بسطت العدل وزهدت فى الدنيا واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر وأنت أبو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى أعلى عليين الفردوس ثم يقول هاتوا معاوية فاجلس بين يديه صبي فقال له أنت القاتل عمار بن ياسر وخزيمة ابن ثابت ذا الشهادتين وحجر بن الادبر الكندي الذى أخلقت وجهه العبادة وأنت الذى جعل الخلافة ملكا واستاثر بالفيء وحكم بالهوى واستبطر بالنعمة وأنت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض أحكامه وقام بالبغى اذهبوا به فاوقفوه مع الظلمة ثم قال هاتوا يزيد فاجلس بين يديه غلام فقال له ياقواد أنت الذى قتلت أهل الحرة وأبحت المدينة ثلاثة أيام وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآويت الملحدين وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل

وقتلت حسينا وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الابل

اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار ولا يزال يذكروا اليا بعد وال حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال هاتوا عمر فأتى بغلام فأجلس بين يديه فقال جزاك الله خيرا عن الاسلام فقد أحييت العدل بعد موته وألنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق اذهبوا به فألحقوه بالصديقين ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان بلغ دولة بني العباس فسكت فقيل له هذا أبو العباس أمير المؤمنين قال فبلغ أمرنا الى بني هاشم ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعا (ومن مجانين) الكوفة عنباوة وطاق البصل قيل لعنباوة من أحسن أنت أو طاق البصل قال أنا شيء وطاق البصل شيء وكان طاق البصل يغني بقيراط ويسكت بدانق وكان عنباوة عبد الغفار يمر به من يعبث فيصفعه يخشي قفاه خراء وقعد على قارعة الطريق فاذا صفعه أحد قال شم يدك يا فتى ولم يصفعه أحد بعد ذلك (ووعد) رجل رجلا من الحمق ان يهدي له نعلا حضرمية فطال عليه انتظارها فبال في قارورة وأتى الطبيب وقال انظر في هذا الماء ان كان يهدى الى بعض اخواني نعلا حضرمية (وكان) بالكوفة امرأة حمقاء يقال لها محببة ففقد عنباوة فتى كانت ارضعته محببة فقال له لما وجده كيف لا تكون أرعن ومحببة ارضعتك فوالله لقد زفت لي فرخا فما زلت أرى الرعونة في طيرانه (ومن المجانين) هبنقة القيسي وجرنفس السدوسي واسم هبنقة يزيد بن نزوان وكنيته أبو نافع وكان يحسن من ابله الى السمان ويسيء الى المهازيل فسئل عن ذلك فقال أنا اكرم ما أكرم الله وأهين ما أهان الله (وشرد) بعير له فجعل بعيرين لمن دل عليه فقيل له أتجعل بعيرين في بعير قال انكم لا تعرفون فرحة من وجد ضالته (وافترس) الذئب له شاة فقال لرجل خلصها من الذئب وخذها فان فعلت فأنت والذئب واحد (وسام) رجل هبنقة بشاة فقال اشتريتها بستة وهي خير من سبعة وأعطيت فيها ثمانية وان أردتها بتسعة والا فزن عشرة (وكان) باقل الذي يضرب به المثل في العي اشترى شاة بأحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت الشاة ففتح يديه جميعا وأشار باصابعه وأخرج لسانه ليتم العدد أحد عشر (ولما) قرب الفرزدق رأس بغلته من الماء قال له الجرنفس نح رأس بغلتك خلق الله شأفتك قال لماذا عافاك الله قال له لانك كذوب الحجرة وأبي الكمرة فصاح الفرزدق يا بني سدوس فاجتمعوا اليه فقال سودوا الجرنفس عليكم فما رأيت فيكم أعقل منه (قال) الاصمعي سوبق بين الجرنفس وهبنقة أيهما أجن وأحمق فجاء جرنفس بجدارة

خفاف من جص وجاء هبنقة بحجارة ثقال وترس فبدأ الجر نفس فقبض على حجر ثم قال له دري عقاب بلبن وأشخاب ثم رفع صوته وقال الترس فرمى الترس فأصابه فانهزم هبنقة فقيل له لم انهزمت فقال انه قال الترس ورمى الترس فلم يخطئه ولو انه قال العين ورماها أما كان يصيب عيني (وتبع) داود بن المعتمر امرأة ظنها من الفواسد فقال لها لولا ما رأيت عليك من سيما الخير ما تبعتك فضحكت المرأة وقالت انما يعتصم مثلي من مثلك بسيما الخير فأما اذا صارت سيما الخير من سيما الشر فالله المستعان (ووقع) داود هذا بجارية فلما أمعن في الفعل قال لها أثيب أم بكر فقالت له سل المجرب (قالت) أم عدوان الرياشي لابنها وهو يقرأ في المصحف ياعدوان لعلك تجد في هذا المصحف حمارا كان أبوك في الجاهلية فقده فقال ياأماه بل أجد فيه وعدا حسنا ووعيدا شديدا (ونظر) رجل من النوكى الى شيخ في الحمام وعليه سرة كانها مدهن عاج فقال له ياشيخ دعني أجعل ذكري في سرتك فقال له ياابن أخي وأين يكون استك حينئذ

﴿مجانين القصاص﴾ قال أبو دحية القاص ليس في خير ولا فيكم فتبلغوا بي حتى تجدوا خيرا مني (وقال) في قصصه يوما كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا قالوا ان يوسف لم يأكله الذئب قال فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف (وقال) ثمامة بن اشرس سمعت قاصا ببغداد يقول اللهم ارزقني الشهادة أنا وجميع المسلمين (ووقع) الذباب على وجهه فقال مالكم كثر الله بكم القبور (قال) ورأيت قاصا يحدث الناس بقتل حمزة فقال ولما بقرت هند عن كبد حمزة استخرجتها فمضغتها ولاكتها ولم تزدردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ازدردتها ما مسها النار ثم رفع القاص يديه الى السماء وقال اللهم اطعمنا من كبد حمزة

٢ — باب نوكى الاشراف — من النوكى المتقدمين مالك بن زيد مناة بن تميم لما دخل على امرأته ناجية مغضبا فلما رأت ما به من الجهل والجفاء قالت له ضع شملتك قال جسدي أحفظ لها قالت اخلع نعليك قال رجلاي أحق بهما فلما رأت ذلك قامت وجلست اليه فلما شم رائحة الطيب وثب عليها (ومن النوكى) عجل بن لجيم قال أبو عبيدة أرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا في حلبة فجاء سابقا فقال لأبيه كيف ترى أن أسميه ياأبت قال افقأ احدى عينيه وسمه الأعور قال الشاعر

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ✽ وأي عباد الله أنوك من عجل

أليس أبوهم عارعين جواده * فاضحت به الامثال تضرب في الجهل

(ومن بني عجل) دعد التي يضرب بها الامثال في الحمق وقد ذكرنا نسبها وخبرها في كتاب الامثال (ومن نوكى الاشراف) عبيد الله بن مروان عم الوليد بن عبد الملك بعث الى الوليد قطيفة حمراء وكتب اليه اني قد بعثت اليك قطيفة حمراء فكتب اليه قد وصلت القطيفة وأنت والله ياعم أحمق أحمر (ومنهم) معاوية ابن مروان وقف على باب طحان فرأى حمارا يدور بالرحا في عنقه جلجل فقال للطحان لم جعلت الجلجل في عنق الحمار قال ربما أدركتني سآمة أو نعاس فاذا لم اسمع صوت الجلجل علمت انه واقف فصحت به فانبعث قال أفرأيت ان وقف وحرك رأسه بالجلجل وقال هكذا وهكذا وحرك رأسه فقال له ومن لي بحمار يكون عقله مثل عقل الامير وهو القائل وضاع له بازي اغلقوا أبواب المدينة لايخرج البازي (وأقبل اليه قوم من جيرانه فقالوا مات جارك أبو فلان فمر له بكفن فقال ماعندنا اليوم شيء ولكن عودوا الينا اذا نبش (وأقبل) اليه رجل أحمق منه فقال له تعيرنا أصلحك الله ثوبا نكفن فيه ميتا قال أخشى انه ينجسه فلا نلبسه اياه حتي يغسل ويطهر (ومن النوكى الاشراف) عيينة بن حصن دخل على عثمان بغير اذن وكانت عنده ابنته فقال له عثمان ألا استاذنت قال ماظننت أن هنا من احتاج أن استاذن عليه قال ادن فتعش فقال أنا صائم قال تصوم الليل وتفطر النهار وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسميه السفيه المطاع (ومن حمقى قريش) ابان بن عثمان بن عفان قال الشعبي قدم ابان على معاوية فقال أمير المؤمنين زوجني ابنتك قال يا ابن أخي هما اثنتان أحداهما عند ابن عامر والاخري عند أخيك عمرو قال كنت أظن أن لك ثالثة قال يا ابن أخي تخطب الى ولا تدرى لي بنت أم لا رحم الله أباك (ومر) معاوية بن مروان بحقل له فلم ير فيها مايعجبه فقال ما كذب من قال كل حقل لا ترى است صاحبها لا تفلح أبدا ثم نزل عن دابته وأحدث فيها ثم ركب وهو الذى يقول لابي امرأته ملأتني البارحة ابنتك دما قال انها من نسوة يخبان ذلك لازواجهن فلو كنت خصيا مازوجناك وعلى الذى غرنا بك لعنة الله (وكان) أبو العاج والي بواسط فاتاه صاحب شرطته بقوادة فقال ماهذه قال قوادة قال وما تصنع قال تجمع بين الرجال والنساء قال انما جئتني بها لتعرفها بدارى خل عنها لعنك الله ولعنها

(وكان) الربيع العامري واليا باليمامة فاتي بكلب قد عقر كلبا فاقاده فقال فيه الشاعر

شهدت بان الله حق لقاؤه * وان الربيع العامري رقيع
أقاد لنا كلبا بكلب فلم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(وقال) عوانة استعمل معاوية رجلا من كلب فذكر يوما المجوس وعنده الناس فقال لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمي (وكان) بالبصرة ثلاثة اخوة من بني عتاب بن أسيد كان أحدهم يحج عن حمزة ويقول استشهد قبل أن يحج وكان الآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول أخطا السنة في ترك الاضحية وكان الثالث يفطر أيام التشريق عن عائشة ويقول غلطت رحمها الله في صومها أيام التشريق (ولعب) رجل من النوكى بين يدي الرشيد بالشطرنج فلما رآه وقد استجاد لعبه قال له يا أمير المؤمنين ولني نهر بوق فقال له ويلك أوليك نصفه اكتبوا عهده على بوق قال فولني أرمينية قال اذا يبطىء على أمير المؤمنين خبرك

(أهل العى والجهل المشبهون بالمجانين) (خطب) وكيع بن أبي الاسود وهو والى خراسان فقال في خطبته ان الله خلق السموات والارض في ستة أشهر فقالوا له بل في ستة أيام فقال والله لقد قلتها وأنا استقلها (وخطب) علي بن زياد الايادي فقال في خطبته أقول لكم ما قال العبد الصالح لقومه ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد فقالوا له ان هذا ليس من قول العبد الصالح انما هو من قول فرعون فقال من قاله فقد أحسن (وخطب) عتاب بن ورقاء الرياحي فقال أقول لكم كما قال الله في كتابه

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

(وخطب) وال باليمامة فقال في خطبته ان الله تبارك وتعالى لا يغادر عباده على المعاصي وقد أهلك أمة عظيمة على ناقة ما كانت تساوى مائتي درهم فسمي مقوم الناقة (وبكى) حول ابن سنان أولاده وأهله حين ودعوه وهو يريد مكة حاجا فقال لا تبكوا فاني أرجو أن أضحي عندكم (ودخل) قوم دار كردم الدوسي فقالوا له أين القبلة في دارك هذه فقال انما سكناها منذ ستة أشهر (ودخل) كردم الدوسي على رجل فدعاه الى الغداء فقال قد أكلت قال وما أكلت قال قليل أرزفا كثرت منه (وقيل)

لابي عبدالملك عناق بأى شيء تزعمون أن أباعلى الاسوارى أفضل من سلام أبي المنذر قال لانه لما مات سلام أبو المنذر مشى أبو على فى جنازته فلما مات أبو على لم يمش سلام فى جنازته (ومرض) كردم فقال له عمه أى شيء تشتهى فقال رأس كبشين قال لا يكون قال فرأس كبش قال لا يكون فقال لست أشتهى شيأ (وقال) مسعدة بن طارق الذراع أنا لوقوف على حدود دار نقسمها اذ أقبل عيص سيد بنى تميم والمصلى على جنائزهم ونحن فى خصومة لنصلح بينهم فقال خبرونى عن هذه الدار هل ضم بعضها الى بعض أحد فانا منذ ستين سنة أفكر فى كلامه فما أدرك له معنى ولا مجازا (وأقبل) كردم الذراع الى قوم ليكسر لهم دورا فوجد دارا منها فيها رنقة فقال ليس هذه الدار لكم فقالوا بلى والله ما نازعنا أحد قط فيها قال فليست الرنقة لكم قالوا فكسر ماصح عندك انه لنا ودع الرنقة فكسر صحن الدار فقال عشرون فى عشرين مائتان قالوا من هذا المعنى لم تكن الرنقة عندك لنا عشرون فى عشرين مائتان (وسئل آخر) كان ينظر فى الفرائض عن فريضة لم يعرفها فالتمسها فى كتابه لم يجدها فقال لم يمت هذا الرجل بعد ولو مات لوجدت فريضته فى كتابي (وعزى) قوما فقال آجركم الله وأعظم أجوركم وأجركم فقيل له فى ذلك فقال مثل قول مروان بن الحكم بارك الله فيكم وبارك لكم وبارك عليكم (وكان) أبو ادريس السمان يكتب فلا صحبك الله الا بالعافية ولا حياوجهك الا بالكرامة (العتبى) قال بعث رجل وكيله الى رجل من الوجوه يقتضيه ماعليه فرجع اليه مضروبا فقال مالك ويلك قال سبك فسببته فضربني قال وباي شيء سبني قال بهن الحمار فى حر أم الذي أرسلك قال له دعني من افترائه على اخبرني أنت كيف جعلت لاير الحمار من الحرمة مالم تجعل لحرأمي دلا قلت أير الحمار فى هن أم من أرسلك (وقال أبو نواس) قلت لاحد الوراقين الذين يكتبون بباب البطوني أيما أسن أنت أم أخوك قال اذا جاء رمضان استوينا (قال ثمامة بن أشرس) المأمون مررت فى غب مطر والارض ندية والسماء مغيمة والريح شمال واذا بشخص أصفر كأنه جرادة وقد قعد على قارعة الطريق وحجام يحجمه على كاهله وأخدعيه بمحاجم كأنها قعاب وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه فقلت ياشيخ لم تحتجم في هذا البرد قال لهذا الصفار الذي بى (وقيل) لابي عتاب كيف برك بامك قال والله ماقرعتها بسوط

قط (النوكى من نساء الاشراف) دغة العجلية وجهيرة وشولة ودراعة وسارية الليل ورائطة بنت ثقب وهى التى نقضت غزلها انكاثا وفيها يقال في المثل خرقاء وجدت صوفة (وقال) عمرو بن عثمان شيعت القاضى عبدالعزيز بن عبد المطلب المخزومى قاضى مكة الى منزله وبباب المسجد حمقاء تصفق بيديها وتقول أرق عينى ضراط القاضى فقال لى يا أباحفص أتراها تعني قاضى مكة وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يسمع بمثله كما قالوا رب رمية من غير رام (قيل) لدغة أى بنيك أحب اليك قالت الصغير حتى يكبر والمريض حتى يفيق والغائب حتى يرجع (ومن أخبار أهل العي المشبهين بالمجانين) دخل أبو طالب صاحب الحفظة على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد ليشتري طعاما من طعامهم فقال لها قد رأيت متاعك وقلبته قالت له هلا قلت طعامك يا أبا طالب قال قد أدخلت يدي فيه فوجدته قدحمى وصار مثل الجيفة قالت يا أبا طالب ألست قد قلبت الشعير فاعطنا به ماشئت وان كان كاسدا

﴿ قال الاصمعى ﴾ كان بين رجلين من النوكى عبد فقام أحدهما يضربه فقال له شريكه ماتصنع قال أنا أضرب نصيبي منه قال وأنا أضرب حصتى فيه وقام فضربه فكان من رأي العبد أن سلح عليهما وقال أقسما هذه على قدر الحصص (ومر) بعضهم بامرأة قاعدة على قبر وهي تبكى فقال لها ماهذا الميت منك قالت زوجى قال وما كان عمله قالت كان يحفر القبور قال أبعده الله أما علم أنه من حفر حفرة وقع فيها (وطلب) رجل من النوكى من ثمامة بن أشرس أن يسلفه مالا ويؤخره به قال هاتان حاجتان وأنا أقضى لك احداهما قال رضيت قال أنا أؤخرك ماشئت ولا أسلفك (وكان) ابورافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل أبى رافع من فضلاء أهل المدينة وخيارهم مع بله فيهم وعى شديد (فمن ذلك) ان امرأة أبي رافع رأته فى نومها بعد موته فقال لها أتعرفين فلانا الصيرفى قالت له نعم قال فان لى عليه مائتي دينار فلما انتبهت غدت الى الصيرفى فاخبرته الخبر وسألته عن المائتى دينار فقال رحم الله أبارافع والله ماجرت بينى وبينه معاملة قط فاقبلت الى مسجد المدينة فوجدت مشايخ من آل أبي رافع كلهم مقبول القول جائز الشهادة فقصت عليهم الرؤيا وأخبرتهم خبرها مع الصيرفى وانكاره لما ادعاه أبو رافع قالوا ما كان أبو رافع ليكذب فى نوم ولا يقظة قربي صاحبك الى السلطان

ونحن نشهد لك عليه فلما علم الصير فى عزم القوم على الشهادة لها وعلم أنهم ان شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤديها قال لهم ان رأيتم ان تصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ماترونه فافعلوا قالوا نعم والصلح خير ونعم الصلح الشطر فاد اليها مائة دينار من المائتين فقال لهم أفعل ولكن اكتبوا بيني وبينها كتابا يكون وثيقة لى قالوا وكيف تكون هذه الوثيقة قال تكتبون لى عليها انها قبضت مني مائة دينار صلحا عن المائتى دينار التى ادعاها أبو رافع على فى نومها وانها قد أبرأتني منها وشرطت على نفسها أن لا ترى أبا رافع فى نومها مرأة أخرى فيدعي على بغير هذه المائتي دينار فيجىء بفلان وفلان يشهدان على لها فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لانفسهم وقالوا قبحك الله وقبح ماجئت به (ومنهم) عامر بن عبدالله بن الزبير اتي بعطائه وهو فى المسجد فقام ونسيه فى موضعه فلما أتى البيت ذكره فقال ياغلام ائتني بعطائى الذى نسيت فى المسجد قال وأين يوجد وقد دخل المسجد بعدك جماعة قال وبقى أحد ياخذ ماليس له (وسرقت) نعله مرة فلم يلبس نعلا بعدها حتى مات وقال أكره أن آخذ نعلا يجىء من يسرقها فيأثم (وفى هذا الضرب يقول أبو أيوب السجستانى فى أصحابى من أرجو بركته ودعاءه ولا أقبل شهادته (قال الاصمعى) كان الشعبي يحدث انه كان فى بني اسرائيل عابد جاهل قد ترهب فى صومعته وله حمار يرعى حول الصومعة فاطلع عليه من الصومعة فرآه يرعى فرفع يده الى السماء فقال يارب لوكان لك حمار كنت أرعاه مع حماري وما كان يشق علي فهم به نبي كان فيهم فى ذلك الزمان فاوحي الله اليه دعه فانما أثيب كل انسان على قدر عقله (هشام بن حسان) قال اقبل رجل الى محمد بن سيرين فقال ماتقول فى رؤيا رأيتها قال وما رأيت قال كنت أرى ان لى غنما فكنت أعطى بها ثمانية دراهم فابيت من البيع ففتحت عيني فلم أرشيا فاغلقتها ومددت يدي وقلت هاتوا أربعة فلم أعط شيا فقال ابن سيرين لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها قال يمكن الذي ذكرت

﴿ شعر المجانين ﴾ منهم أبو ياسين الحاسب وجعيفران وحرنفش وابوحية النميرى وسيموس وصالح بن مهران الكاتب (وكان) أبوحية أحسن الناس وأشعر الناس وهو القائل

ألا حى اطلال الرسوم البواليا * لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ماتقاضى المرء يوم وليلة * تقاضاه أمرلا يمل التقاضيا

﴿ وهو القائل أيضا ﴾

فلابعثن مع الرباج قصيدة * مني مغلغلة الى القعقاع
ترد المنازل لاتزال غريبة * في القوم بعد تمتع وسماع

﴿ وهو القائل أيضا ﴾

فابدت قناعا دونه الشمس وانقت * باحسن موصولين كف ومعصم

﴿ وأما جعيفران الموسوس الشاعر ﴾ وهو من مجانين الكوفة فانه لقي رجلا فاعطاه درهما وقال له قل شعرا على الجيم فقال

عاذني الهم فاعتلج * كل هم الى فرج
سل عنك الهموم بالكاس والراح تنفرج

﴿ وهو القائل ﴾

ماجعفر لابيه * ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير * فكلهم يدعيه
هذا يقول بني * وذا يخاصم فيه
والام تضحك منهم * لعلمها بابيه

(قال ابو الحسن) استاذن جعيفران على بعض الملوك فاذن له وحضر غداؤه فتغدى معه فلما كان من الغد استاذن فحجبه ثم أتاه في الثالثة فحجبه فنادى باعلى صوته

عليك اذن فانا قد تغدينا * لسنا نعود وان عدنا تعدينا
يا أكلة ذهبت أبقت حرارتها * داء بقلبك ماصمنا وصلينا

(العتبي) قال قال أبو وائل لابي ان في حماقة ولكن ان طلبت الشعر وجدت عندي منه علما قال وهل تقول منه شيا قال نعم أقول أجود من قولك وانا الذي أقوله

لوان جومل كلمتني بعدما * نسيت جوانحي البكاء وأقبر
لحسبت ميت أعظمي سيجيبها * اوان باليها الرميم سينشر

قال له أبي اما الشعر فحسن الا ان اسم المرأة قبيح قال الآن اسم المرأة جمل ولكنني ملحته بجومل فقال له ان هذا من الحماقة التي برىء الينا منها (قال) العتبي قال ابي

وأنشدني أبو وائل

ما أوجع البين من غريب * فكيف ان كان من حبيب
يكاد من شوقه فؤادى * اذا تذكرته يموت

فقال له أبي ان هذا باء وهذا تاء قال لا تنقط انت شيا قلت يا هذا ان البيت الاول مخفوض وهذا مرفوع قال أنا أقول لا تنقط وهو يشكل (ولما توفيت) أم سليمان ابن وهب الكاتب أخى الحسن بن وهب دخل عليه رجل من نوكى الكتاب يسمي صالح ابن شهريار بشعر يرثيها فيه فانشده

لام سليمان علينا مصيبة * مغلغلة مثل الحسام البواتر
وكنت سراج البيت يا أم سالم * فامسى سراج البيت وسط المقابر

فقال سليمان ما نزل باحد ما نزل بى ماتت أمى ورثيت بمثل هذا الشعر ونقل اسمي من سليمان الى سالم

﴿ ومن قول صالح بن شهريار هذا ﴾

لا تعدلن دواء بالنساء فان * كان الصراط فذاك النار ربطوس

(ودخل) بعض شعراء المجانين على أبي الواسع وحوله بنوه فاستاذنه فى الانشاد فاستعفى فلم يزل به حتي أذن له فانشده شعرا فلما انتهي فيه الى قوله

وكيف يبغي وأنت اليوم رأسهم * وحولك الغر من أبنائك الصيد

قال له لبيك تركتنا رأسا برأس (وقيل) وفد اعرابى من شعراء المجانين الى نصر ابن سيار بشعر تغزل فيه بمائة بيت ومدحه ببيتين فقال له والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى الا شغلت به نسيبك دون مدحك قال ساقول غير هذا فغدا عليه بشعر يقول

هل تعرف الدار لام العمر * دع ذا وحبر مدحة فى نصر

فقال له نصر لا ذا ولا ذاك (وقال) بعض العلماء ما سمعت تاويل رافضة فى قبح مذهبهم الا تاويل رجل من مجانين أهل مكة للشعراء فانه قال ما سمعت باكذب من بني تميم زعموا ان قول القائل

بيت زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فزعموا ان هذه أسماء رجال منهم قال بعض أهل الادب قلت له وما عندك أنت فيه

قال البيت بيت الله وزرارة الحجر ومجاشع زمزم تجشعت بالماء وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة قلت له فنشهل قال نهشل وفكر فيه ساعة ثم قال قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل اسود فذلك النهشل (قال) المبرد محمد بن يزيد النحوي خرجنا من بغداد نريد واسطا فملنا الى دير هرقل ننظر الى المجانين فاذا بالمجانين كلهم قد رأونا و نظرنا الى فتى منهم قد غسل ثوبه ونظفه وجلس ناحية عنهم فقلنا ان كان فهذا فوقفنا به فسلمنا عليه فلم يرد السلام فقلنا له ما تجد فقال

الله يعلم انني كمد * لا أستطيع أبث ما أجد
نفسان لى نفس تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
وأرى القيامة ليس ينفعها * صبر و ليس بفوقها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي * فكأنها تجد الذى أجد

فقلت له أحسنت والله فاوما الى شيء ليرمينا به و قال أمثلي يقال له أحسنت قال فولينا عنه هاربين فقال أسالكم بالله الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أحسنت قلتم لى أحسنت وان أسات قلتم لى أسات فرجعنا ووقفنا وقلنا له قل فانشا يقول

لما أناخوقبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالدمى الابل
وقبلت من خلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العين منهمل
وودعت ببنان عقده عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ويلى من البنين ماذا حل بى وبها * من نازل البين حل البين وارتحلوا
ياراحل العيس عرج كى أودعهم * ياراحل العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى بطول العهد ما فعلوا

قال فقلت له ماتوا فصاح وقال وأنا والله أموت وتربع وتمدد فمات فما برحنا حتى دفناه

(وقال) محمد بن يزيد المبرد دخلنا دير هرقل فاذا بمجنون بيده حجر وقد تفرق الناس عنه وهو يقول يامعشر اخواني اسمعوا مني ثم انشا يقول

وذي نفس صاعد * يئن بلا عائد
يكر على جحفل * و يضعف عن واحد

﴿ وأنشد أبو العباس المانى الموسوس ﴾

له وجنات في بياض وحمرة * خفافتها بيض وأوساطها حمر
رقاق يجول الماء فيها كأنها * زجاج اريقت في جوانبها الخمر

وقال محمد بن زيد أصابتنا سحابة جود ثم أقلعت سريعا فمر بي ماني الموسوس فقال

لا تظن الذي جرى * مطرا كان ممطرا
انما ذاك كلـه * دمع عيني تحدرا
وتوالت غيومها * من همومي تفكرا
هكذا حال من يرى * من حبيب تغيرا

(وقف) ماني الموسوس على أبي دلف فانشده

كرات عينك في العدا * تغنيك عن سل السيوف

فقال أبو دلف والله ما مدحت قط بمثل هذا البيت وأمر له بعشرة آلاف درهم فابي أن يقبضها وقال نقنع من هذا بنصف درهم في هريسة (ولماني الموسوس)

من الظباء ظباء همها السخب * وحليها الدر والياقوت والذهب
ياحسن ماسرقت عيني وما انتهبت * والعين تسرق أحيانا وتنتهب
اذا يد سرقت فالحد يقطعها * والحد في سرقة العينين لا يجب

(ومر علي بن الجهم) بمبرسم قد اجتمع الناس عليه وحوله تحلقوا فلما رآه المبرسم قصد نحوه وأخذ بعنانه ثم أنشا يقول

لا تحفلن بمعشر السهج الذين أراهم
فوحق من أبلى بهم * نفسي ومن عافاهم
لو قيس موتاهم بهم * كانوا هم موتاهم

ثم نظر حوله فرأي غلاما جميل الهيئة حسن الوجه فشق ثيابه وقال

هذا السعيد لديهم * قد صار بي أشقاهم

(قال) ابو البحتري الشاعر كان يبلغني ان ببغداد مجنونا يكنى أبا خمة له بديهة حسنة فتعرضت له فاتيح لي لقاؤه في بعض سكك بغداد فقلت له كيف أصبحت أبا خمة فانشأ يقول

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف

وأراك نحوى غير ملتفت * متحرفا عن غير منحرف
يامن أطال بهجره كلفى * أسفى عليك أشد من كلفى

(قال) أبو البحتري فاخرجت له قبضة نرجس كانت في كمى فخبيته بها فجعل يشمها مليا ثم أنشأ يقول

لما تزوجت الجنوب بهاطل * جون هتون زبرج دلاح
أضحى يلقحها بوسمي الصبا * فاستثقلت حملا بغير نكاح
حتى اذا حان المخاض تفجرت * فاتت بولدان بلا أرواح
حاك الربيع لها ثيابا وشيت * بيد الندى وأنامل الارواح
من اصفر فى أزهر قد زانه * تبر على ورق من الاوضاح
ركبن فى عمد الزبرجد فاغتدي * نحو الغزالة ناظرا ملاحى

(قال) الحسن بن هانيء لقيت مانى الموسوس فانشدني

شعر حى أتاك من لفظ ميت * صار بين الحياة والموت وقفا
قدرت جسمه الحوادث حتى * كاد عن أعين البرية يخفى
لو تاملتني لتبصر شخصى * لم تبين من المحاسن حرفا

ثم مضيت فاتيت جعيفران الموسوس وهو شيخ من بني هاشم أرت اللسان وعليه قيد من فضة وفى عنقه غل من ذهب فقال لى من أين أتيت ياحسن قلت من بيت مانوية فدعا بدواة وقرطاس وقال لى اكتب

ما غرد الديك ليلا فى دجنته * الا حثثت اليك السير مجهودا
ولا هدت كل عين لذ راقدها * بنومة فى لذيذ العيش ممهودا
الا امتطيت الدجا شوقا اليك ولو * أصبحت فى حلق الاقياد مصفودا
أسعى مخاطرة بالنفس ياأملى * والليل مدرع أثوابه السودا
فلم ترق ولم ترثى لمكتئب * زودته حرقات القلب تزويدا
هيهات لاغدر في جن ولا بشر * من الخلائق الافيك موجودا

ثم قال خرق رقعة مانوية فخرقتها ثم مضيت فلقيت عرود المصاب وحوله الصبيان وهو يلطم وجهه ويبكى وينادى ايها الناس الفراق مر المذاق فقلت له أبا محمد من اين اقبلت قال

شيعت الحاج قلت وما الذى حملك على تشييعهم فقال لى فيهم سكن قلت فهل قلت فيهم شيا قال نعم وأنشدني

هم رحلوا يوم الخميس عشية * فودعتهم لما استقلوا وودعوا
فلما تولوا ولت النفس معهم * فقلت ارجعي قالت الى أين أرجع
الى جسد ما فيه لحم ولا دم * وما هو الا أعظم تتقعقع
وعينان قد أعياهما كثرة البكا * وأذن عصت عذالها ليس تسمع

(أبو بكر الوراق) قال حدثني صديق لى قال رأيت رجلا من أهل الادب قد ذهب عقله بالمحبة وخلفه دابة له تدور معه فاستوقفته وقلت له يا فلان ما حالك وأين النعمة قال تغير قلبي فتغيرت النعمة قلت بم تغير قال بالحب ثم بكى وأنشا يقول

أرى التجمل شيا لست أحسنه * وكيف أخفي الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف * الهجر ينحله والشوق يحزنه
وانه حين لا وصل يساعفه * يهوي السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف ينسى الهوى من أنت همته * وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت أحسنت والله فقال قف قليلا فوالله لاطرحن في أذنيك أثقل من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش الحواصل وأنشد

للحب نار على عيني مضرمة * لم تبلغ النار منها عشر معشار
الماء ينبع منها من محاجرها * ياللرجال لماء فاض من نار

﴿ ثم وقف وأنشد ﴾

أعاد الصدود فاحيا العليلا * وأبدى الجفاء فصبرا جميلا
ورد الكتاب ولم يقره * لئلا أرد اليه الرسولا
وأحسب نفسى على ماتري * ستلقى من الهم هجرا طويلا
وأحسب قلبي على ماأري * سيذهب مني قليلا قليلا

ثم ترك يدي ومضى (وحكى) أبو العباس المبرد قال دخل عمرو بن مسعدة على المامون وبين يديه جام زجاج فيه سكر طبرزذ وملح جريش قال فسلمت فرد وعرض على الاكل فقلت ما أريد شيا هناك الله يا أمير المؤمنين فلقد باكرت بالغداء فاني بت جائعا ثم أطرق ورفع

رأسه وهو يقول

أعرض طعامك وابذله لمن دخلا * واحلف على من أبي واشكر لمن أكلا

فلا تكن سابرى العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ودعا برطل ودخل رجل من أجلة الفقهاء فمد يده اليه فقال والله يا أمير المؤمنين ماشربتها ناشئا فلا تسقنيها شيخا فرديده الى عمرو بن مسعدة فاخذها منه وقال يا أمير المؤمنين الله انى عاهدت الله فى الكعبة ان لا أشربها أبدا ففكر طويلا والكاس فى يد عمرو بن مسعدة حتى لقد ظن انه سيأمر فيهما ثم قال

ردا على الكاس انكما * لاتعلمان الكاس ماتجدي

لوذقتما ماذقت ما امتزجت * الا بدمعكما من الوجد

خوفتمانى الله ربكما * وكخيفتيه رجاؤه عندى

ان كنتما لاتشربان معي * خوف العقاب شربتها وحدى

(محمد بن يزيد اللبيدي) قال حدثني حبيب بن أوس قال كنت فى غرفة لى على شاطىء دجلة فى وقت الخريف فاذا بغلام كنت أعرفه بجمال قد تجرد من ثيابه وألقى نفسه فى الدجلة يسبح فيها وقد احمر جلده من برد الماء واذا مانى الموسوس يرمقه ببصره فلما خرج من الماء قال

خمش الماء جلده الرطب حتى * خلته لابسا غلالة خمر

قلت له لعنك الله يامانى ابعد الجهاد والغزو تحسن غلاما قد بات مؤاجرا فى الخانات فقال لى ليس مثلك يخاطب يا أحمق وانما يخاطب هذا وأشار الى السماء وقال

يكفيك تقليب القلوب واننى * لفى ترح مما ألاقي فما ذنبي

خلقت وجوها كالمصابيح فتنة * وقلت اهجروها عز ذلك من خطب

فاما أبحت الصب ماقد خلقته * واما زجرت القلب عن لوعة الحب

﴿ أخذ هذا المعنى يزيد بن عثمان فقال ﴾

أيارب تخلق ما تخاق * وتنهى عبادك ان يعشقوا

الهى خلقت حسان الوجوه * فاى عبادك لايعشق

﴿ وقال أبو بكر الموسوس في نصرانى ﴾

أبصرت شخصك فى نومى تعانقنى * كما تعانق لام الكاتب الالفا
يا من اذا درس الانجيل ظل له * قلب الحنيف عن الاسلام منصرفا

﴿ وله فيه ﴾

زناره فى خصره معقود * كأنه من كبدى مقدود

٣ — أخبار البخلاء — أجمع الناس على بخل أهل مرو ثم أهل خراسان (قال ثمامة بن أشرس) ما رأيت الديك قط فى بلدة الا وهو يدعو الدجاج ويثير الحب اليها ويلطف بها الا فى مرو فانى رأيته يأكل وحده فعلمت ان لؤمهم فى الماء كل (ورأيت) فى مرو طفلا صغيرا فى يده بيضة فقلت له اعطنى هذه البيضة فقال ليس تسع يدك فعلمت ان اللؤم والمنع فيهم بالطبع المركب والجبلة المفطورة (واشتكى) رجل مروي ضرارا من سعال فدلوه على سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه فلم يزل يماطل الايام ويدافع الاوقات حتى اتيح له بعض الموفقين فدله على ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فامر بالنخالة فطبخت له وشرب ماءها فجلا صدره (ووجده) يعصمهم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لام عياله أطبخي لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلى فقالت له زوجته قد جمع الله لك فى هذا الدواء دواء وغذاء (وقال خاقان ابن صبيح) دخلت على رجل ليلا من أهل خراسان فاذا هو قد أتى بمسرجة فيها فتيل رقيق وقد القى في دهن المسرجة شيأ من ملح وقد علق فيها عودا بخيط معقود الى المسرجة فاذا عشا المصباح أخرج به رأس الفتيل فقلت ما بال هذا العود مربوطا فقال هذا عود قد شرب الدهن فاذا لم نحفظه وضاع احتجنا الى غيره فلا نجده الا عطشانا فاذا كان هذا ضاع دائبا من دهننا فى الشهر بقدر كفايتنا ليلة قال فبينا انا أتعجب واسال الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو ونظر الى العود فقال أبا فلان فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الشمس والريح يأخذان من سائر الاشياء أوليس كان البارحة هذا العود عند اطفاء السراج أروي وهو عند اسراجك الليلة أعطش قد كنت أنا جاهلا مثلك زمانا حتى وفقني الله الى ما أرشد اربط عافاك الله مكان العود ابرة كبيرة أو مسلة صغيرة فان الحديد أبقى وهو مع ذلك غير نشاف والعود والقصبة ربما تعلقت بهما الشعرة من قطن الفتيلة فتشخص لها وربما كان ذلك سببا لاطفائها قال الخراسانى ألا وانك لا تعلم انك من المسرفين حتى تعمل بأعمال المصلحين

(قال الاصمعي) قال لي أبو محمد الخزامي واسمه عبد الله بن حاسب ونحن في العسكران للشعر شهداو بياض الشعر الاسود هو موته كما ان سواده حياته ألا ترى ان موضع دبرة الحمار الاسود لا ينبت فيها الا شعر أبيض والناس لا يرضون منا في هذا العسكر الا بالعناق والمشامة والطيب غال ممتنع الجانب فلست أري شيأ هو أحسن بنا من اتخاذ مشط صندل فان ريحه طيبة والشعر سريع القبول وأقل ما يصنع ان ما يبقى بنهك الشيب حتى يكون حاله لا لنا ولا علينا (وكان ثمامة بن أشرس) يقول يا كم وأعداء الخبزان تأدموا بها وأعلموا ان اعدي عدوله المملوح فلولا ان الله اعان عليه بالماء لاهلك الحرث والنسل (وكان) يقول كلوا الباقلا مقشره فان الباقلا تقول من اكلني بقشري فقد اكلني ومن اكلني بغير قشري فقد اكلته (ومن البخلاء) هشام بن عبد الملك قال خالد بن صفوان دخلت على هشام فاطرفته وحدثته فقال سل حاجتك فقلت يا امير المؤمنين تزيد في عطائي عشرة دنانير فاطرق حينا وقال فيم ولم وبم العبادة احدثتها ام لبلاء حسن ابليته في امير المؤمنين الالا يا ابن صفوان ولو كان لكثر السؤال ولم يحتمله بيت المال فقلت وفقك الله يا امير المؤمنين وسددك فانت والله كما قال اخو خزاعة

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه * صنيعة قربي او صديق توافقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة * ولم يستلبك المال الا حقائقه

(قيل) لخالد بن صفوان ما حملك على تزيين البخل له قلت احببت ان يمنع غيري فيكثر من يلومه (وخرج) هشام بن عبد الملك متنزها ومعه الابرش الكلبي فمر براهب في دير فعدل اليه فادخله الراهب بستانا له وجعل يجتني له اطايب الفاكهة فقال له هشام يا راهب بعني بستانك فسكت عنه الراهب ثم اعاد عليه فسكت عنه فقال له مالك لا تجيبني فقال وددت ان الناس كلهم ماتوا غيرك قال لماذا ويحك قال لعلك ان تشبع فالتفت هشام الى الابرش فقال ما سمعت ما قال هذا قال والله ان لقيك حر غيره (ومن البخلاء) عبد الله بن الزبير وكانت تكفيه اكلة لايام ويقول انما بطني شبر في شبر فما عسى ان يكفيه اكلة

﴿وقال فيه ابو وجزة مولى الزبير﴾

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد * ابقيت فضلا كثيرا للمساكين
فان تصبك من الايام جائحة * لم نبك منك على دنيا ولا دين

مازلت في سورة الاعراف تدرسها * حتى فؤادى كمثل الخزفي اللين
ان امرأ كنت مولاه فصبعني * يرجو الفلاح لعبد غير مغبون

وابن الزبير هو الذي قال أكلتم تمري وعصيتم أمري فقال فيه الشاعر

رأيت أبابكر وربك غالب * علي أمره يبغى الخلافة بالتمر

وأقبل اليه اعرابى فقال اعطنى وأقاتل عنك أهل الشام فقال له اذهب فقاتل فان اغنيت أعطيناك قال أراك تجعل روحى نقدا ودراهمك نسيئة (وأتاه اعرابى) يسأله جملا ويذكر ان ناقته نقبت فقال انعلها من النعال السبتية واخصفها بها قال له الاعرابي انما اتيتك مستوصلا ولم آتك مستوصفا فلا حملت ناقة حملتني اليك قال ان وصاحبها

﴿ ومن رؤساء أهل البخل ﴾ محمد بن الجهم وهو الذى قال وددت ان عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمى واستهلوا بشتمي حتى ينشر ذلك عنهم في الآفاق حتي لا يمتد الى أمل آمل ولا ينبسط نحوي رجاء راج (وقال) لأصحابه انما نخشي ان نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك نقيامنا قال علامة ذلك ان أقول ياغلام هات الغداء (وذكر) ثمامة بن أشرس محمد بن الجهم فقال لم يطمع أحد قط فى ماله الا شغله عن الطمع فى غيره ولا شفع فى صديق ولا تكلم فى حاجة محرم الا ايلقن المسؤل حاجة المنع ويفتح على السائل باب الحرمان

﴿ ومن البخلاء اللئام ﴾ مروان بن أبي حفصة الشاعر * قال ابو عبيد عن ابن الجهم قال اتيت اليمامة فنزلت على مروان بن ابى حفصه فقدم الى تمرا وارسل غلامه بفلس وسكرجة يشتري زيتا فاتي الغلام بالزيت فقال له خنتني وسرقتني قال وفيم كنت أخونك واسرقك في فلس قال اخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت

﴿ ومن البخلاء ﴾ زبيدة بن حميد الصيرفى استلف من بقال على بابه درهمين وقيراطا فمطله بهما ستة أشهر ثم قضاه درهمين وثلاث حبات فاغتاظ البقال وقال سبحان الله انت صاحب مائة ألف دينار وأنا بقال لا أملك مائة فلس وانما أعيش بكدى واستقضى الحبة على بابك والحبتين صاح علي بابك جمال ولا يحضر تلك الساعة وكيلك فاعنتك وأسلفتك درهمين وأربع شعيرات فتقضيني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات فقال زبيدة ياجنون أسلفتني فى الصيف وقضيتك فى الشتاء وثلاث شعيرات شتوية أوزن من اربعة صيفية لان هذه ندية وتلك يابسة وماأشك

ان معك بعد هذا كله فضلا (قال الاصمعي) كنت عند رجل من ألأم الناس وابخلهم وكان عنده لبن كثير فسمع به رجل ظريف فقال الموت اواشرب من لبنه فاقبل مع صاحب له حتي اذا كان بباب صاحب اللبن تغاشى و تماوت فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع فخرج اليه صاحب اللبن فقال ما باله ياسيدى قال هذا سيد بنى تميم اتاه امر الله ههنا وكان قال لى اسقني لبنا قال صاحب اللبن هذا هين موجود ائتني ياغلام بعلبة من لبن فاتاه به فاسنده صاحبه الى صدره وسقاه حتي اتي عليها ثم تجشا فقال صاحبه لصاحب اللبن أترى هذه الجشاة راحة الموت قال اماتك الله واياه (ومن أمثال العرب فى البخل) قولهم ماهو الا ابنة عصا أو عقدة رشا لان عقدة الرشا المبلول لا تكاد تنحل (قيل) لمدنية ما الجرح الذى لا يندمل قالت حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده قيل لها فما الذل قالت وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يؤذن له قيل لها فما الشرف قالت اتخاذ المنن فى رقاب الرجال والعرب تقول لمن لم يظفر بحاجته وجاء خائبا جاء فلان على غبيراء الظهر وجاء على حاجبه صوفة وجاء بخفى حنين (وقال أبو عطاء) السندى فى يزيد بن عمرو ابن هبيرة

ثلاث خلتهن لقوم قيس * طلبت بها الاخوة والسناء
رجعن على حواجبهن صوف * وعند الله يحتسب الجزاء

﴿ طعام البخلاء ﴾ قال الاصمعى كان يقول المروزى لزواره اذا اتوه هل تغديتم اليوم فان قالوا نعم قال والله لولا انكم تغديتم لاطعمتكم لونا ما اكلتم مثله ولكن ذهب أول الطعام بشهوتكم وان قالوا لا قال والله لولا انكم لم تتغدوا لسقيتكم اقداحا من نبيذ الزبيب ماشربتم مثله فلا يصير فى ايديهم منه شىء (وكان) ثمامة اذا دخل عليه اصحابه وقد تعشوا عنده قال لهم كيف كان مبيتكم ومنامكم فان قال أحدهم انه نام ليلته فى هدوء وسكون قال النفس اذا أخذت قوتها اطمانت واذا قال أحدهم انه لم ينم ليلته قال انه من افراط الكظة والاسراف من البطنة ثم يقول كيف كان شربكم الماء فان قال أحدهم كثيرا قال التراب الكثير لا يبله الا الماء الكثير وان قال قليلا قال ما تركت للماء مدخلا (وكان) اذا أطعم أصحابه استلقي على قفاه ثم يتلو قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (ودخل) عليه رجل وبين يديه طبق فراريج فغطي الطبق بذيله وادخل رأسه فى جيبه وقال للرجل الداخل ادخل فى البيت الآخر حتى أفرغ من بخورى (وشوى) لابى جعفر الهاشمي دجاج

ففقد فخـذا من دجاجـة فامر فنودى فى منزله من هـذا الذى تعـاطي فعقر والله لا أخـبز فى التنور شهرا او ترد فقال ابنه الاكبر يا ابت لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا (وقال دعبـل الشاعر) كنا يوما عنـد سهل بن هرون فاطلنا الحديث حتى اضر به الجوع فدعا بغـدائه فاذا بصحفة عدلية فيها مرق لحم ديك قد هرم لاتحز فيـه السكين ولا يؤثر فيـه الضرس فاخذ قطعة خبز فغار بها جميع ما في الصفحة ففقد الرأس فاطرق ساعة ثم رفع راسه الي الغلام وقال أين الرأس قال رميت به قال لم قال لم أظنك تا كله ولا تسال عنـه قال ولاى شيء ظننت ذاك فوالله انى لا بغض من يرمى برجـله فضلا عن رأسه والرأس رئيس الاعضاء وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه العين التى يضرب بها المثـل فى الصفاء فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم ير قط عظم أهش من عظم راسـه فان كان بلغ من جهلك أن لا تاكله فعنـدنا من يا كله انظر اين هو قال والله ما ادرى اين رميته قال لكني والله ادرى رميت به فى بطنك (واهـدى) رجـل من قريش لزياد بن عبد الله وهو على المدينة طعاما فثقل عليه ذلك فقال اجمعوا المساكين واطعموهم اياه اجمعوا وكشف عن الطعام فاذا طعام له بال فنـدم على الارسال للمساكين وقال للغلام انطلق الى هؤلاء المساكين وقل لهم انكم تجتمعون فى المسجد فتفسون فيه فتؤذون الناس لاعلم انه اجتمع فيه منكم اثنان (وقال) دخلت على عبد الله بن يحيي بن خالد بن امية وقوم يا كلون عنده فمد يده الى رغيف من الخوان فرفعه وجعل برطله بيده ويقول يزعمون ان خبزى صغير فمن هذ الزاني ابن الزانية الذى يا كل نصف رغيف منه (قال) ودخلت عليه يوما والمائدة موضوعة والقوم يا كلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال اجهز على الجرحى ولا تتعرض للاصحاء يقول تعرض للدجاجة التى قد نيل منها والفرخ الماخوذ منه فاما الصحيح فلا تتعرض له هذا معناه فى الجرحى (وسئل) يحيي بن خالد عن طعام رجل فقال اما مائدته فمغيبة واما صحافه فمخروطة من حب الخردل وبين الرغيف والرغيف فترة نبي قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فمن يا كل معه قال الذباب قال له يحيي واري ثوبك مخرقا فلا يكسوك ثوبا وانت فى صحبته قال جعلت فداك والله لوملك بيتا من بغداد الى الكوفة مملوأ ابرا وفي كل ابرة منه خيط وجاءه يعقوب يساله

ابرة منها يخيط بها قميص يوسف ابنه الذى قد من دبر ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل (أخذ) هذا المعنى محمد بن مسلمة فقال يهجو الاغلب

لو ان قصرك يا ابن أغلب كله * ابر يضيق بهن رحب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

(وقيل) لحصين أتغديت عند فلان قال لا ولكني مررت به يتغدى قيل فكيف علمت انه يتغدى قال رأيت غلمانه ببابه فى أيديهم قسى البندق يرمون الذباب فى الهواء (وقال ابو الحرث) حصين دخلت على فلان فوضع بين أيدينا مائدة كنا أشوق الى الطعام اذا رفعت منا اليه اذ وضعت (وحضر) اعرابى سفرة هشام بن الملك فبينا هو ياكل اذ تعلقت شعرة فى لقمة الاعرابى فقال له هشام عندك شعرة فى لقمتك يا اعرابي قال وانك لتلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في لقمتي والله لا أكلت عندك أبدا وخرج وهو يقول

والموت خير من زيارة باخل * يلاحظ أطراف الاكيل على عمد

(وقال آخر)

ولو عليك اتكالى فى الغداء اذا * لكنت اول مقتول من الجوع
يقول عند دعاء الضيف مبتدئا * صوت ضعيف وداع غير مسموع

(قال المدائني) كان للمغيرة بن عبدالله الثقفى وهو والى الكوفة جدي يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسه هو ولا أحد ممن يحضر فحضر مائدته اعرابى فبسط يده وأسرع فى الاكل فقال يا اعرابي انك لتاكل الجدى بحرد كان أمه نطحتك فقال له الاعرابى أصلحك الله وأنت تشفق عليه كان أمه أرضعتك ثم بسط الاعرابى يده الى بيضة بين يده فقال خذها فانها بيضة العقر فلم يحضر طعامه بعد ذلك (ودخل) أشعب على والى المدينة نحضر طعامه وكان له جدي على مائدته يتحاماه كل من حضر فبدر اليه أشعب فمزقه فقال له يا أشعب ان أهل السجن ليس لهم امام يصلي بهم فان رايت ان تكون لهم اماما تصلى بهم فان فى ذلك اجرا فقال والله ما احب هذا الاجر ولكن زوجتي طالق ان اكلت لحم جدي عندك حتى القى الله (قال) عمر بن ميمون تغديت يوما عند الكندى فدخل عليه رجل كان جارا وصديقا لى فلم يعرض عليه الطعام ونحن

تا كل فاستحييت انا منه فقلت سبحان الله لودنت فاصبت معنا قال قد والله فعلت قال الكندى ما بعد الله شيء قلت فكيف قال والله لو بسط يده ليا كل لكان كافيا (قال) ومررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارني واشتهى على رأسا فشتريته له وتغدينا فاخذت عظامه فوضعتها عندباب دارى أتجمل بها عند جيراني فجاء هذا وأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذى أكل الرأس (قال) رجل من البخلاء لولده اشتروا الى لحما فاشتروا له وأمر بطبخه حتى تهرا فاكل منه حتى انتهت نفسه وشرعت اليه عيون ولده فقال ما أنا مطعمه أحدا منكم الا من أحسن صفة أكله فقال الاكبر أتعرفه يا أبت حتى لا ادع للذرة فيه مقيلا قال لست بصاحبه فقال الاوسط أتعرفه يا أبت حتى لا يدرى لعامه هو أم لعام أول قال لست بصاحبه فقال الاصغر أتعرفه يا أبت ثم أدقه دقا وأسفه سفا قال أنت صاحبه وهو لك دونهم (وقال عمرو بن بحر الجاحظ) كان ابو عبد الرحمن الثورى يعجبه الرؤس ويصفها ويسميها العرس لما فيها من الالوان الطيبة وربما سماه الكامل والجامع ويقول الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة والرأس فيه الدماغ وطعمه مفرد وفيه العينان وطعمهما مفرد والشحمة التى بين أصل الاذن ومؤخر العين وطعمها مفرد على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ وأرطب من الزبد وأدسم من الكلي وفى الرأس اللسان وطعمه مفرد والخيشوم والغضروف ولحم الخدين وكل شيء من هذه طعمه مفرد والرأس سيد البدن والدماغ هو معدن العقل وحاسة الحواس وبه قوام البدن وفيه يقول الشاعر

اذا نزعوا رأسى وفى الرأس اكثرى * وغودر عند الملتقى ثم سائرى

(وقيل) لاعرابي أتحسن ان تاكل الرأس قال نعم اعض العينين وافك لحييه وانقي خديه وأرمى بالدماغ الى من هو أحق به مني وكانوا يكرهون أكل الدماغ ولذا يقول قائلهم * ولا ابتغى المخ الذي فى الجماجم * (وكان) ابو عبد الرحمن يجلس مع ابنه يوم الرأس ويقول له اياك ونهم الصبيان وبغر السباع واخلاق النوابح ونهش الاعراب وكل ما بين يديك فانما حظك منه ما قابلك واعلم انه اذا كان فى الطعام شيء ظريف من لقمة كريمة أو مضغة شهية فانما ذلك للشيخ المعظم والصبي المدلل ولست بواحد منهم وقد قالوا مدمن اللحم كمدمن

الحمر أي بني لا تخضم خضم البراذين ولا تدمن الاكل ادمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال ولا تنهش نهش السباع وعود نفسك الاثرة ومجاهدة الهوي والشهوة فان الله جعلك انسانا فلا تجعل نفسك بهيمة واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض الحكماء اذا كنت نهما فعد نفسك من الزمنى واعلم ان الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة جاهلية لانه قاتل نفسه وقاتل نفسه الام من غيره أي بنى والله ماأدي حق الركوع والسجود ذو كظة ولاخشع لله ذو بطنة والصوم صحة والوصال عيش الصالحين أي بنى لامرما طالت أعمار الرهبان وصحت أبدان الاعراب ولله در الحرث ابن كلدة حيث زعم أن الدواء هو الازم وان الداء كله هو من فضول الطعام فكيف لا يرغب فى شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة أى بني ماصار الضب أطول شيء عمرا الا انه يبتلع النسيم ومازعم الرسول ان الصوم وجاء الا انه جعله حاجزا دون الشهوات فافهم تاديب الله وتاديب الرسول أي بنى قد بلغت تسعين عاما ما انفض لى سن ولا انتشر لى عصب ولا عرفت وكف انف ولا سيلان عين ولا سلس بول وما لذلك علة الا التخفف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وان كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك (ومن البخلاء) أبو الاسود الدؤلى وقفت عليه امرأة وهو فى فسطاط وبين يديه طبق تمر فقالت السلام عليك قال أبو الاسود كلمة مقبولة * ووقف عليه اعرابى وهو ياكل فقال الاعرابي ادخل قال وراءك أوسع لك قال الرمضاء أحرقت رجلى قال بل عليهما ببردان وقال أتاذن لى أن آكل معك قال سياتيك ماقدر لك قال تالله مارأيت رجلا ألام منك قال بلى قد رأيت الا انك نسيت ثم أقبل الاسود ياكل حتى لم يبق فى الطبق الا تميرات يسيرة نبذها له فوقعت تمرة منها فاخذها الاعرابى ومسحها بكسائه فقال ابو الاسود ياهذا ان الذي تمسحها به أقذر من الذي تمسحها له قال كرهت أن أدعها للشيطان قال لا والله ولا لجبريل وميكائيل ما كنت لتدعها (الاصمعى) قال مر رجل بابي الاسود الدؤلى وهو يقول من يعشى الجائع فقال ابو الاسود على به فاتاه بعشاء كثير وقال كل حتى تشبع فلما أكل ذهب ليخرج قال أين تريد قال أريد أهلى قال لا أدعك تؤذى المسلمين الليلة بسؤالك اطرحوه في الادهم فبات عنده مكبولا حتى أصبح (قال الهيثم بن عدى) نزل بابن أبي حفصة ضيف باليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب عنه مخافة أن

يلزمه قراه تلك الليلة فخرج الضيف فاشترى مايحتاجه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع تكن ضيفا على الضيف

﴿وقال آخر﴾

بت ضيفا لهشام * فى شرابي وطعامي
وسراجي الكوكب الد ري فى داج الظلام
لا حراما أحد الخبز ولا غير الحرام

﴿ وله ﴾

بت ضيفا لهشام * فشكا الجوع عدمته
وبكى لا صنع الله له حتى رحمته

(وكان) شيخ من البخلاء يأتى ابن المقفع فألح عليه أن يتغدى عنده فى منزله فيمطله ابن المقفع فيقول أتراني أتكلف لك شيأ لا والله لا أقدم لك الاما عندي فلا تثاقل على فلم نزل به حتى أجابه وأتى به الى منزله فاذا ليس عنده الا كسر يابسة وملح جريش فقدمه له ووقف سائل بالباب فقال له بورك فيك فألح في السؤال فقال والله لئن خرجت اليك لادقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل أرح نفسك وانج والله لو علمت من صدق وعيده ماعلمت أنا من صدق وعده ما وقفت ساعة ولا راجعته كلمة (وانتقل) رجل من البخلاء الى دار فابتاعها فلما حلها وقف سائل فقال له صنع الله لك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك فقال لابنته ما أكثر السؤال فى هذا المكان فقالت له ياأبت ما تمسكت لهم بهذا القول فما تبالى كثروا أم قلوا (الاصمعي) تقول العرب ماعلمتك الا برما قرونا البرم الذى يأكل مع أصحابه ولا يجعل شيأ والقرون الذي يأكل تمرتين تمرتين (وألأم اللئام وأبخل البخلاء) حميد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف نزل به وآكله

مابين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد اظفور

﴿ وله ﴾

يجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل

أنا نا وما سواه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما ان تكلم باقل

﴿ وله فى الاضياف ﴾

لا مرحبا بوجوه القوم اذ دخلوا * دسم العمائم تحكيها الشياطين
باتوا وجلة تمر حل بينهم * كأن أيديهم فيها السكاكين
فأصبحوا والنوي عالى معرسهم * وليس كل النوي تلقى المساكين

﴿ ماقالت الشعراء فى طعام البخلاء ﴾ (فمن أهجى) ماقيل فى طعام البخلاء قول جرير فى بني تغلب

والتغلبي اذا تنحنح للقري * حك استه وتمثل الامثالا

﴿ وقوله فيهم ﴾

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا نبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

﴿ وقال الراعى ﴾

اللاقطين النوي تحت الشياه كما * تحت كرادمدهم في مخاليها

﴿ فأين هؤلاء من قول الآخر ﴾

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

﴿ ولآخر ﴾

أبو نوح أتيت اليه يوما * فغداني برائحة الطعام
وقدم بيننا لحما سمينا * أكلناه على طبق الكلام
فلما ان رفعت يدى سقاني * كؤسا حشوها ريح المدام
فكنت كمن سقي ظمآن ماء * وكنت كمن تغدى فى المنام

﴿ ولآخر ﴾

تراهم خشية الاضياف خرسا * يصلون الصلاة بلا أذان

﴿ ولحماد بن جعفر ﴾

حديث أبى الصلت وخبرة * بما يصلح المعدة الفاسده

تخـوف تخمة اخـوانه * فعـودهم أكلة واحـدة

﴿ ولآخر ﴾

اتانا بخبز له حامض * كمثـل الدراهم فى رقتـه
اذاما تنفس حول الخوان * تطاير فى البيت من خفته
فنحن كظوم له كلما * يرد التنفس من خشيتـه
فيكلمه اللحظ من رقة * ويأكله الوهم من قلته

(نزل) رجل من العرب ببخيل فقدم اليه جرادا فعافه وأمر برفعه وقال

لحا الله بيتا ضمني بعد هجعة * اليه دجوجى من الليل مظلم
فابصرت شيخا قاعدا بفنائه * هو العير الا انه يتكلم
أتانا برقان الدجى فى انائه * ولم يك برقانا لدبى لى مطعم
فقلت له غيب اناءك واعتزل * فهذا وهذا لا أبالك مسـلم

(ضاف القطامى) الشاعر فى ليلة ريح ممطرة عجوزا من محارب فلم تقره شيا فرحـل وقال عنهـا

تضيفت فى برد وريح تلفنى * وفى طرمساء غير ذات كواكب
الى حـيز بون توقد النار بعدما * تلففت الظلمـاء من كل جانب
تصلى بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدي لراكب
فما راعها الا بغام مطيتى * تريح بمحسور من الصدر لاغب
فجنت جنونا من أولات مناحة * ومن رجل عادى الاشاجع شاحب
سرى فى جليد الليـل حتى كانما * يحزم بالاطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليـك فلا تذعر على ركائبي
فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جائب
فردت سلاما كارها ثم أعرضت * كما انحاشت الافعى مخافة ضارب
فلمـا تنازعنا الحديث سألتها * من الحى قالت معلنا من محارب
من المشتوين القد فى كل شتوة * وان كان عام الناس ليس بناصب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * على مبيت السوء ضربة لازب
وقمت الى مهرية قد تعودت * يداها ورجلاها حثيث المواكب

الا انها نيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

﴿ وقال الخليل بن أحمد ﴾

كفاه لم يخلقا للندى * ولم يك خلقهما بدعه
فكف عن الخير مقبوضة * كما نقصت مائة سبعه
وكف ثلاثة آلافها * وتسع مياه لها سرعه

﴿ وقال غيره ﴾

وجيرة لا ترى فى الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ما تنضج النار

﴿ وقال أحمد بن نعيم السلمى فى بنى حسان ﴾

اذا اختلفوا للضيف لهوج قدرهم * جراد يم أشباه النخاعة تبلع
تبل جيار الضيف حتى ترده * وتصبح من عين استه تتطلع
ويقربك من أكرمته من سوادهم * قري الحى أو أدنى تجوع وتشبع
عظاما وأرواثا وبعرا وان يكن * لدى القوم نار يشتوى لك ضفدع

﴿ ولآخر ﴾

فبتنا كأنا بيتهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعض بعضنا بمصابه * ويامر بعض بعضنا بالتجلد

﴿ ولآخر ﴾

ذهب الكرام فلا كرام * وبقى الغطاريف اللئام
من لا يقيل ولا ينيـــل ولا يشم له طعام

﴿ ولآخر ﴾

صدقت أليته ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافتك بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

﴿ ولآخر ﴾

ان هذا الفتى يصون رغيفا * ماليه لناظر من سبيل

هو فى سفرتين من ادم الطا * ئف فى ستلين فى منديل
فى جراب فى جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند ميكائيل

﴿ وقال أبو نواس فى فضل الرقاشى ﴾

رأيت قدور الناس سودا من الطلا * وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر
يضيق بحيزوم البعوضة صدرها * ويخرج ما فيها على قلم الظفر
اذا ما تنادوا للرحيل سعى بها * امامهم الحولى من ولد الذر

﴿ وقال فى اسمعيل الكاتب ﴾

خبز اسمعيل كالوشي اذا ما انشق يرفى
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
ان رفاءك هذا * الطف الامة كفا
فاذا قابل بالنصف من الجردق نصفا
احكم الصنعة حتى * ما يرى مغرزا شفا

﴿ ولآخر ﴾

ارفع يمينك من طعامه * ان كنت ترغب فى كلامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه

﴿ ولآخر ﴾

رأيت الخبز عز لديك حتى * حبست الخبز فى جوف السحاب
وما روحتنا لتذب عنا * ولكن خفت من دب الذباب

﴿ ولآخر ﴾

يحذر ان تتخم اخوانه * ان أذى التخمة محذور
ويشتهى ان يؤجروا عنده * بالصوم والصائم ماجور

﴿ ومن قولنا فى نحوه ﴾

لا يفطر الصائم من أكله * لكنه صوم لمن أفطرا
فى وجهه من لؤمه شاهد * يكفى به الشاهد ان يخبرا

لم يعرف المعروف أفعاله * قط كما لم ينكر المنكرا

﴿ وقال آخر ﴾

خليلي من كعب أعينا أخا كما * على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن فرعة انه * مخافة ان يرجى نداه حزين

كان عبيد الله لم يلق ماجدا * ولم يدران المكرمات تكون

فقل لابى يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين

اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

٤ — باب من أخبار البخلاء —

(الرياشي) قال صاحب رجل رجلا من البخلاء فقال له احملني فقال ما كنت لا نزل واحملك قال ما أنت بحاتمي حتى تقول

أخها فاردفها فان حملتكما * فذاك وان كان العقاب فعاقب

قال ما فيها محمل ولا بى طاقة على المشى . وقد قال شاعرهم حاتم

اماوى اما مانع فمبين * واما عطاء لا ينهنهه الزجر

﴿ وقال كثير عزة ﴾

مهين تلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما نعته كان احزما

(سال) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت من بعض الولاة حاجة فلم يقضها فتشفع اليه برجل فقضاها فقال

ذممت ولم تحمد وادركت حاجتي * تولى سواكم أجرها واصطناعها

أبى لك كسب الجد رأى مقصر * ونفس أضاق الله بالخير باعها

اذا هي حثته على الخير مرة * عصاها وان همت بشر أطاعها

(احتاج) أبو الاسود الدؤلى مرة فبعث الى جار له موسر يستسلفه وكان حسن الظن به فاعتل عليه ورده فقال

لا تشعرن النفس تاسا فانما * يعيش بجد حازم وبليد

ولا تطمعن فى مال جار لقربه * فكل قريب لا ينال بعيد

(وكتب) الى آخر يستسلفه فكتب اليه المؤنة كثيرة والفائدة قليلة والمال مكذوب عليه

فكتب اليه أبو الاسود ان كنت كاذبا نجعلك الله صادقا وان كنت صادقا نجعلك الله كاذبا

(وقال بعض الشعراء فى بخيل)

ميت مات وهو فى كنف العيـــش مقيم فى ظل عيش ظليل
فى عداد الموتي وفى عامر الدنـــيا أبو عامر أخى وخليلى
لم يمت ميتة الحياة ولكن * مات عن كل صالح وجميل

﴿ ولآخر ﴾

فاما قراه كله فلنفسه * ومال زيد كله ابن زيد

﴿ ولآخر ﴾

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فاما جوده فعلي النصارى * وأما باسه فعلى الكلاب

﴿ ولآخر ﴾

قدحت باظفارى واعملت معولى * فصادفت جلمودا من الصخر أملسا
تجلهم لما قمت فى وجه حاجتى * وأطرق حتي قلت قدمات أوعسى
فاجمعت ان أنعاه لما رأيته * يفوق فواق الموت حتى تنفسا

﴿ وقال أبو جعفر البغدادى ﴾

جاه بدينار بن لى صالح * أصلحه الله وأخزاها
أدناها تحمله ذرة * وتلعب الريح بافواهها
بل لو وزنا لك كلاهما * ثم عمدنا فوزناهما
لكان لا كانا ولا أفلحا * عليهما يرجح ظلاهما

﴿ ولحماد عجرد ﴾

أورق بخير ك تؤمل للجزيل فما * ترجى الثمار اذا لم يورق العود
وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود
ان الكريم ترى فى الناس عفته * حتى يقال غني وهو مجهود

﴿ وأنشد ﴾

جاد ابن موسى من دنا نيره * لنا بدينار بن اسرارا

كلاهما فى الكف من خفة * لو نفخا من فرسخ طارا
قلت وقلبي لها منكر * أيهما للخير قسطارا
فكان هذا عنده بهرجا * وكان هذا عنده بارا
ثم وزنا واحدا منهما * كان له القسطار مختارا
فكان فى كفة ميزانه * ينقص قيراطا ودينارا

﴿ سمع رجل ابن المناذر ينشد ﴾

فارمي بطرفك حيث شئت فلن تري الا بخيلا

فقال له بخلت الناس كلهم قال فارني واحدا سمحا (وقال ابن أبي حازم)

و قالوا لومدحت فتي كريما * فقلت وأين لى بفتي كريم
بلوت ومر بى خمسون عاما * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يعود على عديم

﴿ ولآخر ﴾

لما رآنا فر بوابه * واستد من غير يد بابه
كلب له من بعضه حاجب * يحجبه ان غاب حجابه

﴿ ومن قولنا ﴾

جعل الله رزق كل عدو * لى بكف لبعض من لا أسمي
كف من لا يهز عطفيه يوما * لمديح ولا ينال بذم
يتلقى الرجاء منه بوجه * راشح الخد والجبين بسم
جئته زائرا فما زال يشكو * لى حتى حسبته سيدمى
الف اللؤم فيه من كل طرف * معرقا فيه بين خال وعم
قد نهاني النصيح عنه مرارا * بابى أنت من نصيح وأمى

﴿ ومن قولنا ﴾

براعة غرني منها وميض سنا * حتي مددت اليه الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كانما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

كلب يهر اذا ماجاء زائره * حتى اذا جاء مهدى تحفة نبسا

﴿ ومن قولنا ﴾

صحيفة طابعها اللوم * عنوانها بالبخل مختوم
أهدي كهام الخلف فى طيها * والمطل والتسويف واللوم
من وجهه نحس ومن قربه * رجس ومن عرفانه شوم
لا تنهتضم ان كنت ضيفا له * فخبزه فى الجوف هاضوم
تكلمه الالحاظ من رقة * فهو بلحظ العين مكلوم
لا تأتدم شيا على أكله * فانه بالجوع مأدوم

﴿ احتجاج البخلاء ﴾ الاصمعي قال أبو الاسود الدؤلي لو أطعمنا المساكين أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم (وقال) لبنيه لا تطيعوا المساكين فى أموالكم فانهم لا يقنعون منكم حتى يرونكم مثلهم (وقال) لهم أيضا لا تجاودوا الله فانه لو شاء أن يغنى الناس كلهم لفعل ولكنه علم ان قوما لا يصلحهم الغني ولا يصلح لهم الا الفقر وقوما لا يصلحهم الفقر ولا يصلح لهم الا الغني (وقال) سهل بن هرون لو قسمت فى الناس مائة الف لكان الاكثر لائمي ونحوه قول ابن الجهم منع الجميع أرضى للجميع (وقال) رجل من تغلب أتيت رجلا من كندة أسأله فقال يا أخا بني تغلب انى لن أصلك حتى أحرم من هو أقرب الى منك واني والله لو مكنت من داري لنقضوها طوبة طوبة والله يا أخا بني تغلب ما بقى بيدى من مالى وأهلى وعرضى الا مامنعته من الناس (وقال) آخر من أعطى في الفضول قصر عن الحقوق (وقال) رجل لسهل بن هرون هبني مالا مرزئة عليك فيه قال وماذا يا ابن أخى قال درهم واحد قال يا ابن أخي لقد هونت الدرهم وهو طابع الله فى أرضه الذى لا يعصي والدرهم ويحك عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف دية المسلم ألا ترى يا ابن أخى الي اين انتهاء الدرهم الذي هونته وهل بيوت المال الا درهم على درهم (وروى) عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يابنى أوصيك باثنتين ما تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك (وقال) أبو الاسود امساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك وأنشد فى المعنى

يلومونني فى البخل جهلا وضلة * وللبخل خير من سؤال بخيل

﴿ ونظيره قول المتلمس ﴾

وحبس المال خير من نفاد * وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقيل لخالد بن صفوان) مالك لا تنفق فان مالك عريض قال الدهر اعرض منه قيل له كانك تؤمل أن تعيش الدهر كله قال لا ولكن أخاف ان لا أموت فى أوله (وقال الجاحظ) للخزامى أترضي أن يقال لك بخيل قال لا أعدمني الله هذا الاسم لانه لا يقال لى بخيل الا وأنا ذو مال فسلم لى المال وسمني باي اسم شئت فقال جمع الله لاسم السخاء المال والحمد وجمع لاسم البخل المال والذم قال بينهما فرق عجيب وبون بعيدان فى قولهم بخيل سببا لمكث المال وفى قولهم سخى سببا لخروج المال عن ملكى واسم البخيل فيه حزم واسم السخي فيه تضييع وحمد والمال ناض نافع ومكرم لاهله والحمد ريح وسخرية ومسمعة وطرمذة وما أقل غني الحمد عنه اذا جاع بطنه وعرى ظهره وضاع عياله وشمت به عدوه (وقال محمد بن الجهم) من شان من استغنى عنك ان لا يقيم عليك ومن احتاج اليك ان لا يزول عنك فمن حبك لصديقك وضنك بمودته ان لا تبذل له ما يغنيه عنك وأن تتلطف له فيما يحوجه اليك وقد قيل فى مثل هذ أجع كلبك يتبعك وسمنه يا كلك فمن أغني صديقه فقد أعانه على الغدر وقطع أسبابه من الشكر والمعين على الغدر شريك الغادر كما أن مزين الفجور شريك الفاجر (وقال يزيد بن عمر الاسدى) لبنيه يابني تعلموا الرد فانه أسد من العطاء ولان تعلم بنو تميم ان عند أحدكم مائة الف درهم أعظم له فى أعينهم من أن يقسمها عليهم ولان يقال لاحدكم بخيل وهو غنى خير له من ان يقال له سخى وهو فقير (وقال) الخزامى يقولون ثوبك على صاحبك أحسن منه عليك فما ظنك ان كان أقصر مني أليس يتخيل فى قميصي وان كان أطول مني أليس يصير آية للسائلين فمن أسوأ أثرا على صديقه ممن جعله ضحكة فما ينبغى لى أن أكسوه حتي أعلم انه فيه مثلى فمتى يتفق هذا (وقال) ابو نواس كان معنا فى السفينة ونحن نريد بغداد رجل من أهل خراسان وكان من فقهائهم وعقلائهم وكان يا كل وحده فقلت لم تا كل وحدك فقال ليس على فى هذا مسئلة انما المسالة على من اكل مع الجماعة لانه يتكلف وأكلى وحدي هو الاصل وأكلى مع الجماعة تكلف ماليس على (ووقع) درهم بيد سليمان بن مزاحم فجعل يقلبه و يقول فى شق لا اله الا الله محمد رسول الله وفي شق آخر قل هو

الله أحد ماينبغى لهذا أن يكون الاتعويذا ورقية ورمي به في الصنـدوق (وكان) أبو عيسى بخيلا وكان اذاوقع الدرهم بيده طنه بظفره وقال يادرهم كم من مدينة دخلتهـا وأيد دوختها فالآن استقربك القرار وأطمـانت بك الدار ثم رمي به فى الصنـدوق (وقال) رجل لثمامة بن أشرس ان لى اليك حاجة قال وأنا لى اليك حاجة قال وماحاجتك الى قال لا أذكرها حتى تضمن قضـاءها قال قدفعلت قال فان حاجتي اليـك ان لاتسألني حاجـة فانصرف الرجل عنه (وكان) ثمامة يقول مابال أحـدكم اذا قال له الرجل أسقني أتى باناء على قدر اليـد أو أصغر واذا قال أطعمنى أتاه من الخبز بمايفضل عن الجماعـة والطعام والشراب اخوان امانه لولا رخص الماء وغلاء الخبز ما كلبوا على الخبز وزهدوا فى الماء الناس أرغب شيء فى المأكول اذا كثر ثمنه أوكان قليلا فى منبته ألا ترى الباقلا الاخضر أطيب من الكمثرى والباذنجان أطيب من الكمأة ولكن أهل التحصيـل والنظر قليل وانمـا يشتهون على قدر الثمن (وكان) يقول اياكم وأعداء الخبز ماتأدمون به وأعدي عـدوله المالح فلولا ان الله أعان عليـه بالماء لاهلك الحرث والنسل (وكان) يقول كلوا الباقلا بقشره فان الباقلا يقول من أكلني بقشري فقـد أكلنى ومن اكلنى بغير قشرى فقدأ كلته فماحاجتكم ان تصيروا طعاما الى طعامكم (الاصمعى) قال جاء رجل من بني عقيل الى عمرو بن هبيرة فمت اليه بقرابة وسأله ان يعطيه فلم يعطه شيأثم عاداليه بعد أيام فقـال أنا العقيلى الذى سألتك منذ أيام فقال له ابن هبيرة وأنا الفزاري الذي منعتك منذ أيام فقال معذورة اليك انى سألتك وأباأظنك يزيد بن هبيرة المحاربي قال ذلك ألأم لك عندى وأهون بك على فما فى قومك مثلي فلم تعرفه ومات مثل يزيد ولم تعلم به ياحرسى اسفع بيده ﴿ومن أشعار البخلاء﴾ الذين يتمثلون بها

وزهدنى فى كل خير صنعته * الى الناس ماجربت من قلة الشكر

﴿ولآخر﴾

ارقع قميصك مااهتديت لجيبه * فاذا أضلك جيبه فاستبدل

﴿ولابن هرمة﴾

قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

﴿ومن أمثالهم﴾ فى البخل وخلف الوعد قولهم تختلف الاقوال اذا اختلفت

الاخوان وقولهم

كلام الليل يمحوه النهار

﴿ وقولهم ﴾

بروق السيف كاذبة الرعود

٥ — رسالة سهل بن هرون فى البخل — بسم الله الرحمن الرحيم أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله قال الاحنف بن قيس يامعشر بني تميم لا تسرعوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون اذا أردت ان ترى العيوب جمة فتامل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل مافيه من العيب ومن أعيب العيب ان تعيب ماليس بعيب وقبيح ان تنهى مرشدا وان تغرى بمشفق وما أردنا بماقلنا الاهدايتكم وتقويمكم واصلاح فسادكم وابقاء النعمة عليكم ولئن أخطانا سبيل ارشادكم فما أخطانا سبيل حسن النية فيمابيننا وبينكم وقد تعلمون انا ما أوصيناكم الا بما اخترناه لكم ولانفسنا قبلكم وشهرنا به فى الآفاق دونكم ثم نقول فى ذلك ماقال العبد الصالح لقومه وما اريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت فما كان احقنا بكم في حرمتنا بكم ان ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقكم فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر الرأينا فى أنفسنا من ذلك شغلا . عبتموني بقولى لخادمي أجيدى العجين فهو أطيب لطعمه وأزيد فى ريعه وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه املكوا العجين فانه أحد الريعين . وعبتمونى حين ختمت على شيء عظيم وفيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقية ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وأمة لكعاء وزوجة مضيعة وليس من أصل الادب ولا فى ترتيب الحكم ولا فى عدالة العادة ولا فى تدبير السادة ان يستوى فى نفيس الماكول وغريب المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوى مواضعهم فى المجالس ومواقع أسمائهم فى العنوان ومن شاء أطعم كلبه الدجاج السمين وعلف حماره السمسم المقشر . وعبتموني بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وعلى كيس فارغ وقال طينة خير من ظنة فامسكتم عمن ختم على لاشيء وعبتم من ختم على شيء . وعبتمونى ان قلت للغلام اذا زدت فى المرق فزد في الانضاج ليجتمع

مع التأدم باللحم طيب المرق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طبخ أحدكم لحما فليزد من الماء فمن لم يصب لحما أصاب مرقا . وعبتموني بخصف النعل وبتصدير القميص وحين زعمت ان المخصوفة من النعل أبقى وأقوى واشبه بالشد وان الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع والاجماع مع الحفظ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلعق اصابعه ويقول لو اهدى الى ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وقال عليه الصلاة والسلام من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وقل كبره وقالت الحكماء لا جديد لمن لم يلبس الخلق وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه به موافقا فقال له أكنت بهذا معرفة قال لا ولكني رأيته في يوم قائظ يلبس خلقا ويلبس الناس جديدا فتفرست فيه العقل والأدب وقد علمت أن الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه وقد جعل الله لكل شيء قدرا وسما به موضعا كما جعل لكل زمان رجالا ولكل مقام مقالا وقد أحيا الله بالسم وأمات بالدواء واغص بالماء وقد زعموا أن الاصلاح أحد الكاسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز وأمر مالك بن أنس بفرك النعل وقال عمر بن الخطاب من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ولبس سالم بن عبدالله جلد أضحية وقال رجل لبعض الحكماء أريد ان أهدى اليك دجاجة فقال ان كان لا بد فاجعلها بيوضا وعبتموني حين قلت من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية فلما صرت الى تفريق أجزائه على الاعضاء والى التوفير عليها من وضيعة الماء وجدت في الاعضاء فضلا عن الماء فعلمت ان لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر فعبتموني بذلك وشنعتم علي وقد قال الحسن وذكر السرف اما انه ليكون في الماء والكلأ فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ وعبتموني ان قلت لا يغترن أحدكم بطول عمره وتقويس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته وان يرى نحوه أكثر ذريته فيدعوه ذلك الى اخراج ماله من يده وتحويله الى ملك غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله أن يكون معمرا وهو لا يدري وممدودا له في السن وهو لا يشعر ولعله أن يرزق

الولد على اليأس و يحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يدركه عقل فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه أصعب ما كان عليه الطلب وأقبح ما كان به أن يطلب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاصى اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتمونى بأن قلت بأن السرف والتبذير الى مال المواريث وأموال الملوك وان الحفظ للمال المكتسب والغني المجتلب والى من لا يعرض فيه بذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب أسرع ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الاصل ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر وطاب نفسا بالذل وعبتمونى بأن قلت ان كسب الحلال يضمن الانفاق فى الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق فى الهوي حجاب دون الهوي فعبتم على هذا القول وقد قال معاوية لم أر تبذيرا قط الا والى جنبه تضييع وقد قال الحسن ان أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيماذا ينفقه فان الخبيث انما ينفق فى السرف وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر منى لكم وأنتم فى دار الآفات والجوائح غير مأمونات فان أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع الى نفسه فاحذروا النقم واختلاف الأمكنة فان البلية لا تجري فى الجميع الا بموت الجميع وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأمة والشاة والبعير فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين وقال ابن سيرين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نفرقها فى السفن فان عطب بعض سلم بعض ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا فى البحر قال ابن سيرين يحسبها حذقاء وهى ضياع وعبتموني بان قلت لكم عند اشفاقى عليكم ان للغني لسكرا وللمال لثروة فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله فعبتمونى بذلك وقد قال زيد بن جبلة ليس أحد أقصر عقلا من غنى أمن الفقر وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر وقال الشاعر فى يحيى بن خالد بن برمك

وهوب تلاد المال فيما ينوبه * منوع اذا ما منعه كان احزما

وعبتموني حين زعمتم أنى اقدم المال على العلم لان المال به يفاد العلم وبه تقويم النفس قبل ان تعرف فضل العلم فهو اصل والاصل احق بالتفضيل من الفرع فقلتم

كيف هذا وقد قيل لرئيس الحكماء الاغنياء أفضل أم العلماء قال العلماء قيل له فما بال العلماء يأتون أبواب الاغنياء أكثر مما يأتي الاغنياء أبواب العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الاغنياء بحق العلم فقلت حالهما هي القاضية بينهما وكيف يستوي شيء حاجة العامة اليه وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج وقال أبو بكر رضى الله عنه اني لابغض أهل بيت ينفقون نفقة الايام في اليوم الواحد وكان أبو الاسود الدؤلي يقول لولده اذا بسط الله لك الرزق فابسط واذا قبض فاقبض. وعبتموني حين قلت فضل الغني على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في البيت ان احتيج اليها استعملت وان استغنى عنها كانت عدة وقد قال الحصين بن المنذر وددت أن لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء قيل له فما كنت تصنع به قال لكثرة من كان يخدمني عليه لان المال مخدوم وقد قال بعض الحكماء عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتاديب الحكماء لاصحاب اللهو ولستم على تردون ولا رأيي تفندون فقدموا النظر قبل العزم وادركوا مالكم قبل أن تدركوا مالكم والسلام عليكم ﴿ ومن اللؤم التطفيل ﴾ وهو التعرض للطعام من غير أن يدعي اليه

٦ — أخبار الطفيليين — أولهم طفيل العرائس واليه نسب الطفيليون وقال لاصحابه اذا دخل أحدكم عرسا فلا يلتفت تلفت المريب ويتخير المجالس وان كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر في عيون الناس ليظن أهل المرأة انه من أهل الرجل ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة فان كان البواب غليظا وقاحا فتبدأ به وتأمره وتنهاه من غير أن تعنف عليه ولكن بين النصيحة والادلال (قال) يقول الطفيليون ليس في الارض عود أكرم من ثلاثة أعواد عصا موسى وخشب منبر الخليفة وخوان الطعام (وكان أبو العرنين الطفيلي) قد نقش في خاتمه اللؤم شؤم فقيل له هذا رأس التطفيل (احمد بن علي الحاسب) قال مر طفيلي بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي فانكره صاحب المجلس فقالوا له لو تأنيت أو وقفت حتي يؤذن لك أو يبعث اليك قال انما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت

الموائد ليؤكل عليها وما وجهت بهدية فانوقع الدعوة والحشمة قطيعة وطرحها صلة وقد جاء في الاثر صل من قطعك واعط من حرمك وانشد

كل يوم أدور فى عرصة الدا * ر أشم القتار شم الذباب
فاذا ما رأيت آثار عرس * أودخان اودعوة الاصحاب
لم أعرج دون التقحم لا أر * هب طعنا أو لكزة البواب
مستهينا بمن دخلت عليهم * غير مستأذن ولا هياب
فتراني ألف بالرغم منهم * كل ماقدموه لف العقاب

(ومنهم أشعب الطماع) قيل له مابلغ من طمعك قال لم أنظر الى اثنين يتساران الا ظننتهما يأمران لى بشىء وفيه يقال اطمع من أشعب (وقف) أشعب الى رجل يعمل طبقا فقال له أسالك بالله الا مازدت فى سعته طوقا أو طوقين فقال له وما معناك فى ذلك قال لعل يهدى الى فيه شيء (سلوم) أشعب رجلا فى قوس عربية فساله دينارا فقال له والله لوأرمي بهـا طائر فى جـو السماء وقع مشـويا بين رغيفـين ما أعطيتك بهـا دينارا (وبينا) قوم جلوس عند رجل من أهـل المدينة يأكلون عنده حيتانا اذا استأذن عليهم أشعب فقال أحـدهم ان من شأن أشعب البسط الى أجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية ويأكل معنا الصغار ففعلوا وأذن له فقالوا له كيف رأيك فى الحيتان فقال واللّه ان لى عليها لحردا شديدا وحنقا لان أبي مات فى البحر وأكلته الحيتان قالوا له فدونك خذ بثار ابيك فجلس ومد يده الى حـوت منها صغير ثم وضعه عند أذنه وقد نظر الى القصعة التى فيها الحيتان فى زاوية المجلس فقال أتدرون ما يقول لى هذا الحوت قالوا لا قال انه يقول انه لم يحضر موت أبي ولم أدركه لان سنه يصغر عن ذلك ولكن قال لى عليك بتلك الكبار التي فى زاوية البيت فهي أدركت أباك وأكلته (وكان) رجل من الامراء يستظرف طفيليا يحضر طعامه وشرابه وكان الطفيلى أكولا شروبا فلما رأى الامير كثرة أكله وشربه اطرحه وجفاه فكتب اليه الطفيلى

قد قل أكلى وقل شربي * وصرت من بغية الامير
فليدع بي وهو فى أمان * ان أشرب الراح بالكبير

(وأقبل) طفيلى الى صنيع فوجد بابا قد ارتج ولا سبيل الى الوصول فسال عن صاحب

الصنيع ان كان له ولد غائب أو شريك فى سفر فاخبر عنه ازله ولدا ببلد كذا فاخذ رقا أبيض وطواه وطبع عليه ثم أقبل متدللا فقعقع الباب قعقعة شديدة واستفتح وذكر انه رسول من عند ولد الرجل ففتح له الباب وتلقاه الرجل فرحا فقال كيف فارقت ولدى قال له باحسن حال وما أقدر أن أكلمك من الجوع فامر بالطعام فقدم اليه وجعل يأكل ثم قال له الرجل ما كتب كتابا معك قال نعم ودفع اليه الكتاب فوجد الطين طريا فقال له أرى الطين طريا قال نعم وازيدك انه من الكد ما كتب فيه شيا فقال أطفيلى انت قال نعم أصلحك الله قال كل لا هناك الله (وقيل) لاشعب ماتقول فى ثردة مغمورة بالزبدة مشققة باللحم قال فاضرب كم قيل له بل تاكلها من غير ضرب قال هذا مالا يكون ولكن كم الضرب فاتقدم على بصيرة (وقيل) لمزيد المدينى وقد أكل طعاما كظه قيء قال أقيء خبزا نقيا ولحم جدي امرأتى طالق لو وجدتهما قيأ لأكلتهما (وقيل) لطفيلى ما أبغض الطعام اليك قال القريض قيل له ولم ذا قال لانه يؤخر الى يوم آخر (ومر) طفيلى بقوم من الكتبة فى مشربة له فسلم ثم وضع يده يأكل معهم قالوا له أعرفت منا أحدا قال نعم عرفت هذا وأشار الى الطعام فقالوا قولوا بنا فيه شعرا فقال الاول * لم أر مثل سرطه ومطه * و قال الثانى * ولقه دجاجة ببطه * وقال الثالث * كان جالينوس تحت ابطه فقال الاثنان للثالث أما الذى وصفناه من فعله فمفهوم فما يصنع جالينوس تحت ابطه قال يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة يهضم بها طعامه (ومر طفيلى) على الجماز فقال له ما تاكل قال كلب فى قحف خنزير (ودخل طفيلى) على قوم يأكلون فقال ما تأكلون فقالوا من بغضه سما فادخل يده وقال الحياة حرام بعدكم (ومر طفيلى) على قوم كانوا يأكلون وقد أغلقوا الباب دونه فتسور عليهم من الجدار وقال منعتمونى من الارض فجئتكم من السماء (وقيل لطفيلى) كم اثنان فى اثنين قال أربعة أرغفة (وقيل) لآخر كم كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر درهما ﴿ قال محمد بن أحمد الكوفى ﴾ حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أبيه قال أمر المامون أن يحمل اليه عشرة من الزنادقة سموا له بالبصرة فجمعوا وأبصرهم طفيلي فقال ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فانسل فدخل وسطهم ومضى بهم المتوكلون حتى انتهوا بهم الى زورق قد أعدلهم فدخلوا الزورق فقال الطفيلى هى نزهة فدخل معهم فلم يكن باسرع من ان قيدوا وقيد معهم الطفيلى ثم سير بهم

الى بغداد فادخلوا على المامون فجعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيامر بضرب رقابهم حتى وصل الى الطفيلي وقد استوفى العدة فقال للموكلين ماهذا قالوا والله ماندري غيرانا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المامون ماقصتك وبلك قال ياامير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيا ولا مما يدينون الله به انما انا رجل طفيلي رأيتهم مجتمعين فظننتهم ذاهبين لدعوة فضحك المامون وقال يؤدب وكان ابراهيم بن المهدي قائمة على رأس المامون فقال يا أمير المؤمنين هب لى ذنبه وأحدثك عن حديث عجيب عن نفسى قال قل ياابراهيم قال خرجت ياأمير المؤمنين من عندك يوما فطفت فى سكك بغداد متطربا فانتهيت الى موضع فشممت روائح أبازير قدور قد فاح طيبها فتاقت نفسي اليها والى طيب ريحها فوقفت على خياط فقلت لمن هذ. الدار قال لرجل من التجار من البزازين قلت مااسمه قال فلان بن فلان فنظرت الى الدار فاذا بشباك فيها مطل فنظرت الى كف قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم فشغلني ياأمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور وبقيت باهتا ساعة ثم أدركني ذهني فقلت للخياط أهو ممن يشرب قال نعم وأحسب ان عنده اليوم دعوة وليس ينادمه الا تجار مثله مستورون فبينا انا كذلك اذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال الخياط هؤلاء منادموه فقلت مااسماهما وما كناهما قال فلان وفلان فحركت دابتي وداخلتهما وقلت جعلت فدا كماقد استبطا كما ابو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى بلغا الباب فادخلاني وقدماني فدخلنا فلما رآني صاحب المنزل لم يشك اني منهما بسبيل اوقادم قدمت عليهما من موضع فرحب بي واجلست فى أفضل المواضع فجيء بالمائدة وعليها خبز نظيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها أطيب من ريحها فقلت في نفسي هذه الالوان قد اكلتها وبقى الكف والمعصم كيف اصل الى صاحبتهما ثم رفع الطعام وجاؤنا بوضوء فتوضانا وصرنا الى بيت المنادمة فاذا اشكل بيت ياأمير المؤمنين وجعل صاحب المنزل يلطف بي ويميل على بالحديث وجعلوا لا يشكون ان ذلك منه على معرفة متقدمة حتي اذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية كانها بان تنثني كالخيزران فاقبلت فسلمت غير خجلة وثنيت لها وسادة فجلست واتى بالعود فوضع فى حجرها فجسته فاستبنت فى جسها حذقها ثم اندفعت تغني

توهمها طرفى فاصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفي فآلم كفها ❊ فمن مس كفي من أناملها عقر

فجعلت يا أمير المؤمنين بلابلي تطرب لحسن شعرها ثم اندفعت تغني

أشرت اليها هل عرفت مودتي ❊ فردت بطرف العين اني على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا لسرها ❊ وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت يا سلام وجاءني من الطرب مالا أملك نفسي ثم اندفعت فغنت الثالث

أليس عجيبا ان بيتا يضمني ❊ واياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تشكو الهوى بجفونها ❊ وتقطيع أنفاس على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب ❊ وتكسير أجفان وكف يسلم

فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء واصابتها لمعنى الشعر وانها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت فقلت بقي عليك ياجارية فضربت بعودها الارض وقالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان مني ورأيت القوم كأنهم تغيروا الى فقلت أما عندكم عود غير هذا قالوا بلى فأتيت بعود فاصلحت من شأنه ثم غنيت

ما للمنازل لا يجبن حزينا ❊ أصممن أم قدم المدي فبلينا

راحوا العشية روحة منكورة ❊ ان متن متنا أوحيين حيينا

فما أتممته حتى قامت الجارية فاكبت على رجلى تقبلها وقالت معذرة اليك فوالله ماسمعت أحدا يغني هذا الصوت غناءك وقام مولاها وأهل المجلس ففعلوا كفعلها وطرب القوم والله واستحثوا الشراب فشربوا بالكاسات والطاسات ثم اندفعت أغنى

أبي الله ان تمشى ولا تذكرينني ❊ وقد سفحت عيناى من ذكرك الدما

فودى بصاب القلب انت قتلته ❊ ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

الى الله أشكو بخلها وسماحتي ❊ لها عسل مني وتبذل علقما

الى الله اشكو انها أجنبية ❊ وانى لها بالود ما عشت مكرما

فطرب القوم حتي خرجوا من عقولهم فامسكت عنهم ساعة حتي تراجعوا ثم اندفعت أغنى الثالث

هذا محبك مطوى على كمده ❊ حرا مدامعه تجري على جسده

له يد تسال الرحمن راحته * مما جنى و يد أخري على كبده

فجعلت الجارية تصيح هذا الغناء والله ياسيدي لا ما كنا فيه وسكر القوم وكان صاحب المنزل حسن الشرب صحيح العقل فامر غلمانه ان يخرجوهم ويحفظوهم الى منازلهم وخلوت معه فلما شربنا اقداحا قال ياهذا ذهب مامضى من أيامى ضياعا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت يامولاى ولم يزل يلح حتي أخبرته الخبر فقام وقبل رأسي وقال وأنا أعجب ياسيدى ان يكون هذا الادب الا لمثلك وأنى لى أجالس الخلفاء ولا أشعر ثم سالني عن قصتي فاخبرته حتى بلغت خبر الكف والمعصم فقال للجارية قومى فقولى لفلانة تنزل ثم لم يزل ينزل جواريه واحدة بعد أخرى وانظر الى كفها ومعصمها وأقول ليست هى حتي قال والله مابقى غير زوجتي وأختى ووالله لانزلنهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداءك ابدا بالاخت قبل الزوجة فعساها هي فبرزت فلما رايت كفها ومعصمها قلت هي هذه فامر غلمانه فمضوا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانه فاقبلوا بهم وامر ببدرتين فيهما عشرون الف درهم فقال للمشايخ هذه اختي فلانة اشهدكم انى قد زوجتها من سيدى ابراهيم بن المهدى وامهرتها عنه عشرين الفا فرضيت النكاح فدفع اليها البدرة وفرق الاخرى على المشايخ وقال لهم انصرفوا ثم قال ياسيدي امهد لك بعض البيوت فتنام مع اهلك فاحتشمني مارأيت من كرمه فقلت بل احضر عمارية واحملها الى منزلى قال ماشئت فاحضرت عمارية وحملتها الى منزلى فوالله ياأمير المؤمنين لقد اتبعها من الجهاز ماضاق عنه بعض بيوتنا فاولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين فعجب المامون من كرم الرجل وأطلق الطفيلى وأجازه والحق الرجل فى أهل خاصته (ومر طفيلى) بقوم يتغدون فقال سلام عليكم معشر اللئام فقالوا لا والله بل كرام فثني رجله وجلس وقال اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلنى من الكاذبين (ودخل طفيلى) من أهل المدينة على الفضل بن يحيي و بيده تفاحة فالقاها اليه وقال حياك الله يامدنى فلزمها وأكلها فقال له شؤم عليك يامدنى أتأكل التحيات قال أى والله والزاكيات الطيبات كنت آكلها (وقال) لابراهيم الموصلى فى طفيلي كان يصحبه

نعم النديم نديم لا يكلفنى * ذبح الدجاج ولا ذبح الفراريج
يكفيه لونان من كشك ومن عدس * وان يشاء فزيتون بطسوج

﴿ وقال طفيلي فى نفسه ﴾

نحن قوم اذا دعينا أجبنا * ومتى نمس يدعنا التطفيل
ونقل علنا دعينا فغبنا * وأتانا فلم يجدنا الرسول

(وقال) آخر وأتى طعاما لم يدع اليه فقيل له من دعاك فانشا

دعوت نفسي حين لم تدعني * فالحمد لى لا لك فى الدعوه
وكان ذا أحسن من موعد * مخلفه يدعو الى الجفوه

(ودخل طفيلى) فى صنيع رجل من القبط فقال له من أرسل اليك فانشا

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم * ان المحب اذا مالم يزر زارا

فقال له القبطى زرزارا ليس ندرى من هو أخرج من بيتي (ونظر) رجل من الطفيليين الى قوم من الزنادقة يشار بهم الى القتل فرأى لهم هيئة حسنة وثيابا نقية فظنهم يدعون الى وليمة فتلطف حتى دخل في لفيفهم وصار واحدا منهم فلما بلغ صاحب الشرطة قال أصلحك الله لست والله منهم وانما أنا طفيلى ظننتهم يدعون الى صنيع فدخلت فى جملتهم فقال ليس هذا مما ينجيك منى اضرب بواعنقه فقال أصلحك الله ان كنت ولا بد فاعلا فامر السياف ان يضرب بطني بالسيف فانه هو الذى ورطني هذه الورطة فضحك صاحب الشرطة وكشف عنه فاخبروه انه طفيلى معروف فخلى سبيله (وقال طفيلى)

ألا ليت لى خبزا تسربل رائبا * وخيلا من البرني فرسانها الزبد
فاطلب فيما بينهن شهادة * بموت كريم لا يشق له لحد

(وكان) أشعب يختلف الى قينة بالمدينة يطارحها الغناء فلما أراد الخروج الى مكة قال لها ناوليني هذا الخاتم الذى فى أصبعك لاذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود لعلك تعود (اصطحب) شيخ وحدث من الاعراب فكان لهما قرص فى كل يوم وكان الشيخ متخلع الاضراس بطىء الاكل فكان الحدث يبطش بالقرص ثم يقعد يشتكي العشق ويتضور الشيخ جوعا وكان اسم الحدث جعفرا فقال الشيخ فيه

لقد رابني من جعفر ان جعفرا * يطيش بقرصي ثم يبكى على جمل
فقلت له لو مسك الحب لم تبت * سمينا وانساك الهوي شدة الاكل

﴿ وقال الحدث ﴾

اذا كان في بطني طعام ذكرتها * وان جعت يوما لم تكن لي على ذكر
و يزداد حبي ان شبعت تجددا * وان جعت غابت عن فؤادي وعن فكري

(وكان) أشعب يختلف الى جارية في المدينة ويظهر لها التعاشق الى أن سألته سلفة نصف درهم فانقطع عنها وكان اذا لقيها في طريق سلك طريقا أخرى فصنعت له نشوقا وأقبلت به اليه فقال لها ما هذا قالت نشوق عملته لك لهذا الفزع الذي بك فقال اشربيه أنت للطمع فلو انقطع طمعك انقطع فزعي وأنشا يقول

اخلفي ماشئت وعدي * وامنحيني كل صد
قد سلا بعدك قلبي * فاعشقي من شئت بعدي
انني آليت لا أعـ * ـشق من يعشق نقدي

(وقيل) لاشعب ما أحسن الغناء قال نشيش المقلى قيل له فما أطيب الزمان قال اذا كان عندك ما تنفق (وكان أشعب يغني)

ألا أخبرت اخبارا * أنت في زمن الشده
وكان الحب في القلب * فصار الحب في المعده

﴿ وقال آخر في طفيلي من أهل الكوفه ﴾

زرعنا فلما تمم الله زرعنا * وأوفي عليه منجل بحصاد
بلينا بكوفي حليف مجاعة * أضر بزرع من دبي وجراد

(وقال) هشام أخو ذي الرمة لرجل أراد سفرا ان لكل رفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد فان استطعت ان لا تكون كلب الرفاق فافعل (وخرج) ابو نواس متنزها مع شطار من أصحابه فنزلوا روضة ووضعوا اشرابا فمر بهم طفيلي فتطارح عليهم فقال له أبو نواس ما اسمك قال أبو الخير فرحب به وقعد معهم ثم مرت بهم جارية فسلمت فردعليها وقال لها ما اسمك قالت زانة قال أبو نواس لاصحابه اسرقوا الياء من أبي الخير فاعطوها زانة فتكون زانية ويكون أبو الخير أبا الخر كما هو ففعلوا (الجاحظ قال) دعا أبو عبد الله الواسطي الى صنيع فدعاني فدعوت أبا الفلوسكي فلما كان من الغد صبح الفلوسكي الجاحظ فقال له أما تذهب بنا هناك يا أبا عثمان قال نعم قال فذهبنا حتى أتينا دار صاحب الصنيع فلم يكن علينا كسوة رائقة ولا تحتنا دواب فتدخل تجاهنا فوجدنا البواب ذا غلظ وجفاء فمنعنا فانحدرنا في جانب الايوان ننتظر أحدا يعلم

أباعبدالله الواسطي بحالنا فمكثنا حينا حتي أتي من نعرفه فسالناه أن يعلم أباعبد الله الواسطى بنا فلما أخبرخرج الينا يتلقانا فتقدمني الفلوسكى وتقدمه حتي أتي صدر المجلس فقعد فيه ثم قال لى ههنا عندنا ياأباعثمان فلما خلونا تلا تنقاقات للفلوسكي كيف تسمي العرب من أمالت الى أنفسها قال الفلوسكى تسميه ضيفا فقال له الجاحظ وكيف تسمي من أماله الضيف قال تسميه ضيفنا قال الجاحظ وكيف تسمي من أمله الضيفن قال مالمثل هذا عند العرب تسميه قال الجاحظ فقلت قد رضيت أن تكون فى منزلة من التطفيل لم تجد لها العرب اسما ثم تتحكم تحكم صاحب البيت

٧ — باب من أخبار المحارفين الظرفاء — (منهم أبوالشمقمق الشاعر) وكان أديبا ظريفا محارفا وكان صعلوكا متبرما بالناس وقد لزم بيته فى اطمار مسحوقة وكان اذا استفتح عليه أحد بابه خرج فينظر من فروج الباب فان أعجبه الواقف فتح له والا سكت عنه فاقبل اليه يوما بعض اخوانه المطفين له فدخل عليه فلما رأى سوء حاله قال له أبشر أباالشمقمق فانا روينا في بعض الحديث ان العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فقال ان صح والله هذا الحديث كنت أنا في ذلك اليوم بزازا ثم أنشا يقول

أنا فى حال تعالى الله ربى أى حال
ليس لى شىء اذا قيـــل لمن ذا قلت ذالى
ولقد أفلست حتى ＊ محت الشمس خيالى
ولقد أفلست حتي ＊ حل أكلى لعيالى

﴿ وله ﴾

أترانى أري من الدهر يوما ＊ لى فيه مطيـة غير رجـلى
كلما كنت فى جمع فقـالوا ＊ قربوا للرحيل قربت نعـلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا ＊ من رآنى فقـد رآنى ورحـلى

﴿ وقال أبوالشمقمق أيضا ﴾

لو قد رأيت سريرى كنت ترحمني ＊ الله يعـلم مالى فيـه تلبيس
والله يعـلم مالى فيـه شائبـة ＊ الا الحصيرة والاطمار والديس

﴿ وقال أيضا ﴾

برزت من المنازل والقباب * فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي * سماء الله أو قطع السحاب
فانت اذا أردت دخلت بيتي * عليّ مسلما من غير باب
لاني لم أجد مصراع باب * يكون من السحاب الى التراب
ولا انشق الثري عن عود تخت * أؤمل أن أشاريه ببابي
ولا خفت الاباق على عبيدى * ولا خفت الهلاك على دوابي
ولا حاسبت يوما قهرمانى * محاسبة فاغلط فى حسابي
وفى ذا راحة وفراغ بال * فدأب الدهر ذا أبدا ودابي

﴿ وقال أيضا ﴾

لو ركبت البحار صارت فجاجا * لاترى فى متونها أمواجا
فلو أني وضعت ياقوتة حمـ * ـراء في راحتى لصارت زجاجا
ولوانى وردت عذبا فراتا * عاد لاشك فيه ملحا أجاجا
فالى الله أشتكى والى الفضـ * ـل فقد أصبحت بزاتى دجاجا

﴿ وقال عمرو بن المنذر ﴾

وقفت فلا أدرى الى أين أذهب * وأي أمورى بالعزيمة أركب
عجبت لاقدار عليّ تتابعت * بنحس فافني طول دهرى التعجب
ولما التمست الرزق فانحل حبله * ولم يصف لى من بحره العذب مشرب
خطبت الى الاعدام احدي بناته * لدفع الغني اياى اذ جئت اخطب
فزوجنيها ثم جاء جهازها * وفيه من الحرمان تخت ومسحب
فاولدتها الحزن النقي فماله * على الارض غيري والدحين ينسب
فلو تهت فى البيداء والليل مسبل * على دياجيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة * لاقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان على بدرهم * لرحت الى رحلى وفى الكف عقرب
ولو يمطر الناس الدنانير لم يكن * بشيء سوى الحصباء رأسي يحصب
ولو لمست كفاى عقدا منظما * من الدهر أضحى وهو ودع مثقب

وان يقترف ذنبا بيرقة مذنب * فان برأسي ذلك الذنب يعصب
وان أرخيرا في المنام فنازح * وان أرشوا فهو مني مقرب
ولم أغد في أمر أريد نجاحه * فقابلني الاغراب وأرنب
أمامي من الحرمان جيش عرمرم * ومنه ورائي جحفل حين اركب

﴿ وقال آخر ﴾

ليس اغلاقي لبابي ان لي * فيه ما أخشي عليه السرقا
انما اغلقته كي لا يري * سوء حالي من يمر الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلو * يدخل السارق فيه سرقا

﴿ وقال الحسن بن هانيء في هذا المعني ﴾

الحمد لله ليس لي نشب * خف ظهري وقل زواري
من نظرت عينه الى فقد * احاط علما بما حوت داري
جري في البيت كامن وعلي * مدرجة الرائحين اسراري

﴿ وقال بعض الحارفين ﴾

لزمتني حرفة ماتنقضي * أبدا حتي أواري في الجدث
كلزوم الطرق الا انها * تستجد الدهر والطوق يرث



٢٣

فرش كتاب الزبرجدة الثانية

﴿في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان﴾

﴿قال أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله﴾ قد مضى قولنا في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان والنعمة والسرور اذ لم يكن مدار الدنيا الا عليها ولا قوام الا بد ان الا بها واذهى نمو الفراسة وتركيب الغريزة واختلاف الهمم وطيب الشيم وتفاضل الطعوم وقد تكلم الناس في النعمة والسرور على تباين احوالهم واختلاف هممهم وتفاوت عقولهم وما يجانس كل رجل منهم في طبعه ويؤالفه في نفسه ويميل اليه في وهمه وانما اختلف الناس في هذا المذهب لاختلاف أنفسهم فمنهم من نفسه عصبية فانما همه منافسة الاكفاء ومغالبة الاقران ومكابرة العشيرة ومنهم من نفسه ملكية فانما همه اليقين في العلوم وادراك الحقائق والنظر في العواقب ومنهم من نفسه بهيمية فانما همه طلب الراحة واهتبال النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسمت الفرس دهرها كله فقالوا يوم المطر للشرب ويوم الريح للنوم ويوم الدجن للصيد ويوم الصحو للجلوس وهي أغلب الطبائع على الانسان لاخذها بمجامع هواه وايثار الراحة وقلة العمل فمنه قولهم الرأى نائم والهوى يقظان وقولهم الهوى إله معبود وقولهم ربيع القلب ما اشتهى وقولهم لا عيش كطيب النفس ﴿النفس الملكية﴾ قيل لضرار بن عمرو ما السرور قال اقامة الحجة وادحاض الشبهة (وقيل) لآخر ما السرور قال احياء السنة واماتة البدعة (وقيل) لآخر ما السرور قال ادراك الحقيقة واستنباط الدفينة (وقال) الحجاج ابن يوسف لخريم الناعم ما النعمة قال الامن فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش قال له

زدني قال فالصحة فاني رأيت المريض لا ينتفع بعيش قال له زدني قال له الغني فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال له زدني قال فالشباب فاني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش قال له زدني قال ما أجد مزيدا (وقيل) لاعرابي ما السرور قال الامن والعافية ﴿ النفس العصبية ﴾ قيل لحصين بن المنذر ما السرور قال لواء منشور والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الامير (وقيل) للحسن بن سهل ما السرور قال توقيع جائز وأمر نافذ (وقيل) لعبدالله بن الاهتم ما السرور قال رفع الاولياء ووضع الاعداء وطول البقاء مع الصحة والنماء (وقيل) لزياد ما السرور قال من طال عمره ورأى في عدوه ما يسره وقيل لابي مسلم صاحب الدعوة ما السرور قال ركوب الهمالجة وقتل الجبابرة (وقيل) له ما اللذة قال اقبال الزمان وعز السلطان ﴿ النفس البهيمية ﴾ قيل لامرئ القيس ما السرور قال بيضاء رعبوبة بالطيب مشوبة باللحم مكبوبة وكان مفتونا بالنساء (وقيل) لاعشى بكر ما السرور قال صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية وكان مغرما بالشراب (وقيل) لطرفة ما السرور فقال مطعم هني ومشرب روي وملبس دفء ومركب وطيء وكان يؤثر الخفض والدعة (وقال طرفة)

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتي * وربك لم أحفل متى قام عوّدى
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرّي اذا نادى المصاف محنبا * كسيد الغضا في الطخية المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

(وسمع) بهذه الابيات عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فقال وانا والله لولا ثلاث لم احفل متي قام عوّدى لولا ان اعدل في الرعية واقسم بالسوية وانفر في السرية (وقال عبدالله بن نهيك)

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتي * وربك لم أحفل متى قام رامس
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كان أخاها مطلع الشمس ناعس
ومنهن تقريط الجواد عنانه * اذا ابتدر الشخص الكمى الفوارس
ومنهن تجريد الكواعب كالدما * اذا انتزعت أكفالهن الملابس

(وقيل) ليزيد بن مزيد ما السرور قال قبلة على غفلة وكان صاحب وصائف
(وقيل) لحرقة بنت النعمان ما كانت لذة أبيك قالت شرب الجريال ومحادثة الرجال
(وقيل) لحصين بن المنذر ما السرور قال دار قوراء وجارية حوراء وفرس مرتبط بالفناء
(وقيل) للحسن بن هانيء ما السرور قال مجالسة الفتيان فى بيوت القيان ومنادمة الاخوان على قضب الريحان وأنشأ يقول

قلت بالعين لموسي * وندامای نيام
يارضيعي ثدى أم * ليس لى عنه فطام
انما العيش سماع * ومدام وندام
فاذا فاتك هذا * فعلى الدنيا السلام

(وقال) معاوية لعبد الله بن جعفر ما أطيب العيش قال ليس هذه من مسائلك يا أمير المؤمنين قال عزمت عليك لتقولن قال هتك الحيا واتباع الهوي (وقال) معاوية لعمرو بن العاص ما العيش قال ليخرج من ههنا من الاحداث فخرجوا فقال العيش كله فى اسقاط المروءة (وقال) هشام بن عبد الملك ألذ الاشياء كلها جليس مساعد يسقط عني مؤنة التحفظ (وقيل) لاعرابى ما السرور قال لبس البالى فى الصيف والجديد فى الشتاء (وقيل) لآخر ما النعيم قال الماء الحار فى الشتاء والبارد فى الصيف ﴿ البنيان ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى بنيانا فليتقنه (وقالت) الحكماء لذة الطعام والشراب ساعة ولذة الثوب يوم ولذة المرأة شهر ولذة البنيان دهر كلما نظرت اليه تجددت لذته فى قلبك وحسنه فى عينك (وقالوا) دار الرجل جنته فى الدنيا (وقالوا) ينبغي للدار ان تكون أول ما تبتاع وآخر ما تباع (وقال) يحيى بن خالد لابنه جعفر بن يحيى حين اختط داره ليبنيها هى قميصك ان شئت فضيق وان شئت فوسع (وقال) هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح كيف منزلك بمنبج قال دون منازل أهلي وفوق منازل أهلها قال وكيف ذلك وقدرك فوق أقدارهم قال ذلك خلق أمير المؤمنين احتذى مثاله (ولما) دخل هرون منبجا قال لعبد الملك بن صالح هذا منزلك قال هو لامير المؤمنين ولى به قال كيف ماؤه قال أطيب ماء قال كيف هواؤه قال أفسح هواء (وذكر) عند جعفر بن يحيي الدار الفسيحة الجو الطيبة النسيم فقال رجل عنده لقد دخلت الطائف فكأني كنت أبشر وكان قلبي ينضح

بالسرور ولا أجد لذلك علة الا طيب نسيمها وانفساح هوائها (وقيل) للحسن بن سهل كيف نزلت الاطراف قال لانها منازل الاشراف ينالون فيها ما أرادوا بالقدرة ويناهم فيها من أرادهم بالحاجة ﴿ وقولهم في الدار الضيقة ﴾ ماهي الاقرار حافر وماهي الا وجار ضبع وماهي الا فترة قانص وماهي الا مفحص قطاة وقالوا ماهي الا محلة يعسوب برأس سنان ومن مات في دار ضيقة قيل فيه خرج من قبر الى قبر ﴿ من كره البنيان ﴾ كتب سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في بناء بيته فقال ابن مايكنك عن الهواجر وأذى المطر (وكتب) عامل لعمر بن عبد العزيز يستأذنه في بناء مدينة فكتب اليه ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم (ومر) عمر بن الخطاب ببناء يبنى بآجر وجص فقال لمن هذا فقيل لعامل من عمالك فقال أبت الدراهم الا أن تخرج أعناقها وأرسل اليه من يشاطره ماله (وقيل) لزيد بن مزيد بن المهلب مالك لا تبني قال منزلي دار الامارة أو الحبس (ومر) رجل من الخوارج بدار تبنى فقال من هذا الذي يقيم كفيلا والخوارج تقول كل مال لا يخرج بخروجك ويرجع برجوعك فانما هو كفيل بك (ولما) بني أبو جعفر داره بالانبار دخلها مع عبد الله ابن الحسن فجعل يريه بنيانه فيها وماشيد من المصانع والقصور فتمثل عبد الله بن الحسن بهذه الابيات

ألم تر حوشبا أضحى يبني ❊ قصورا نفعها لبني نفيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح ❊ وأمر الله يحدث كل ليله

(وقالوا) في الحجاج بن يوسف اذ بني مدينته واسطا بناها في غير بلده وأورثها غير ولده ﴿ اللباس ﴾ اسمعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة (على بن عاصم) عن أبي اسحق الشيباني قال مررت بمحمد بن الحنفية واقفا بعرفات وعليه برد وعليه مطرف خز أصفر (الشيباني) عن ابن جريج أن ابن عباس كان يرتدي رداء بألف (أبو حاتم) عن الاصمعي أن ابن عون اشتري برنسا فمر على معاذة العدوية فقالت مثلك يلبس هذا فقال قد ذكرت ذلك لابن سيرين فقال ألا أخبرتها أن تميما الداري اشترى حلة بألف يصلي فيها (وقال) معمر رأيت قميص أيوب السختياني كاد يمس الارض فسألته عن ذلك فقال ان الشهرة كانت فيما مضى في تذييل القميص وانها اليوم في تشميره (وفي موطا) مالك بن أنس رضي الله عنه ان جابر بن عبد الله قال

خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة انمار فبينا أنا نازل تحت شجرة اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هلم يارسول الله الى الظل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر وعندنا صاحب له نجهزه يذهب يرعى ظهرنا قال فجهزته ثم أدبر يذهب الى الظهر وعليه ثوبان قد أخلقا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أله ثوبان غير هذين قلت بلى يارسول الله له ثوبان فى العيد كسوته اياهما قال فادعه فمره فليلبسهما قال فدعوته فلبسهما ثم ولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله ضرب الله عنقه أليس هذا خيرا له قال فسمعه الرجل فقال فى سبيل الله يارسول الله فقتل الرجل فى سبيل الله (العتبى) قال أصابت الربيع بن زياد الحارثى نشابة على جبينه فكانت تنتقض عليه فى كل عام فأتاه علي بن أبي طالب عائدا فقال كيف تجدك ياأباعبد الرحمن قال أجدنى لوكان لايذهب مابى الاذهاب بصرى لتمنيت ذهابه قال له وماقيمة بصرك عندك قال لوكانت لى الدنيا فديته بها قال لاجرم ليعطينك الله على قدر ذلك ان شاء الله ان الله يعطى على قدر الالم والمصيبة وعنده بعد تضعيف كثير قال له الربيع ياأمير المؤمنين ألا أشكو اليك عاصم بن زياد قال وماله قال لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وأحزن ولده فقال على عليّ عاصما فلما أتاه عبس فى وجهه وقال ويلك ياعاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره أخذك منها لانت أهون على الله من ذلك أوماسمعته يقول مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها أما والله ان ابتذال نعم الله بالفعال أحب اليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعته عز وجل يقول وأما بنعمة ربك فحدث ويقول قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وأن الله عز وجل خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم وقال ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم فقال عاصم فعلام اقتصرت أنت ياأمير المؤمنين قال على لبس الخشن وأكل الخبيث قال ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا لانفسهم بالقوام لئلا يتبيغ على الفقير فقره قال فما برح حتي لبس الملاء ونبذ العباء ﴿ لباس الصوف ﴾ قدم حماد بن سلمة البصرة فجاء فرقد السنجى وعليه ثياب صوف فقال له حماد ضع عنك نصرانيتك هذه فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم فخرج علينا وعليه معصفرة ونحن نري ان الميتة قد حلت له (قال) أبو الحسن

المداينى دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة أكلمك فلا تجيبني قال أكره أن أقول زهدا فازكى نفسي أو أقول فقرا فاشكو ربى (وقال) ابن السماك لاصحاب الصوف والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم لقد أحببتم ان يطلع الناس عليها ولئن كان مخالفا لها لقد هلكتم (وكان) القاسم بن محمد يلبس الخز وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ومقعدهما واحد فى مسجد المدينة فلا ينكر بعضهما على بعض شيئا (وقال) محمود الوراق فى أصحاب الصوف

تصوف كى يقال له أمين ✽ ومامعنى التصوف والامانه

ولم يرد الاله به ولكن ✽ أراد به الطريق الى الخيانه

﴿التزين والتطيب﴾ دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب فوجده قاعدا على حشايا معصفرة وجارية تغلفه بالغالية فقال له يرحمك الله جئت أسألك عن شيء فوجدتك فيه قال على هذا ادركت الناس (وفى حديث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشعث حتى لولم يجد أحدكم الا زيتونة فليعصرها وليدهن بها (وقال) عليه الصلاة والسلام لعائشة مالى أراك شعثاء مرهاء سلتاء قالت يارسول الله أولسنا من العرب قال بلى ربما انسيت العرب الكلمة فيعلمنيها جبريل الشعثاء التي لا تدهن والمرهاء التي لا تكتحل والسلتاء التي لا تختضب (وقال) صلى الله عليه وسلم مانلت من دنيا كم الا النساء والطيب (وروى) مالك عن يحيى بن سعيد ان أبا قتادة الانصارى قال يارسول الله ان لى جمة أفأرجلها يارسول الله قال نعم وأكرمها قال فكان ابو قتاده ربما دهنها فى اليوم مرتين (وروى) مالك عن زيد بن اسلم ان عطاء بن يسار اخبره قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية فاشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج فاصلح رأسك ولحيتك ففعل ثم رجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كانه شيطان (وقد) تمادحت العرب بحسن الهيئة وطيب الرائحة فقال النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم ✽ يحيون بالريحان يوم السباسب

تحييهم بيض الولائد بينهم ✽ وأكسية الاضريج بين المساحب

يصونون أجسادا قديما نعيمها ✽ بخالصة الاردان خضر المناكب

(وقال الفرزدق)

بنو دارم قومي ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها
يجرون هداب اليماني كانهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

(وقال طرفة)

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل امون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

(وقال كثير عزة)

اشم من الغادين في كل حلة * يميسون في صبغ من العصب متقن
لهم ازر حمر الحواشي بطونها * باقدامهم في الحضرمي الملسن

(وقال آخر)

من النفر الشم الذين اذا اعتزوا * وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه * وطيب الدهان رأسه فهو انزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا * له حول برديه ازفوا وأوسعوا

(وقال آخر)

يشبهون ملوكا في تجلتهم * وطول انضية الاعناق واللمم
اذا بدا المسك يجري في مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(وقال آخر في علي بن داود الهاشمي)

أما أبوك فذاك الجود نعرفه * وأنت أشبه خلق الله بالجود
كان ديباجتي خديه من ذهب * اذا تعصب في اثوابه السود

﴿ الرحلة والركوب ﴾ سمع عمرو بن العاص رجلا يقول الرحلة قطعة من العذاب فقال له لم تحسن بل العذاب قطعة من الرحلة (ولما) مشي هرون الى مكة ومشت معه زبيدة كانت تبسط الدرانك امامهم وتطوى خلفهم فلما اعيادعا بخادم له فالقى ذراعه عليه وتأوه وقال والله لركوب حمار مشوس خير من المشي على الدرانك قال الشاعر

وما عن رضى صار الحمار مطيتي * ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

﴿ وقال اعرابي ﴾

يا ليت لى نعلين من جلد الضبع * كل الحذاء يحتذي الحافى الوقع

﴿ الخيل ﴾ قد مضى من قولنا فى وصف الخيل وفضائلها فى كتاب الحروب ما كفى عن اعادتها هنا

﴿ البغال ﴾ قال مسلمة بن عبد الملك ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان قصيرة العذار سفواء العرف حصاء الذنب سوطها عنانها وهمها أمامها (وعاتب) الفضل ابن الربيع بعض الهاشميين فى ركوب بغلة فقال هذا مركب تطاهر عن خيلاء الفرس وارتفع عن ذلة الحمار وخير الامور أوسطها

﴿ الحمير ﴾ قيل للفضل الرقاشى انك لتؤثر الحمير على سائر الدواب قال لانها أرفق وأوفق قلت ولم ذلك قال لا يستدل بالمكان على طول الزمان ثم هي أقل داء وأيسر دواء وأخفض مهوي وأسلم صريعا وأقل جماحا وأشهر فارها وأقل نظيرا يزهي راكبه وقد تواضع بركوبه ويعد مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه (وقال جرير بن عبد الله) لا تركب حمارا ان كان حديدا أتعب يديك وان كان بليدا أتعب رجليك .

﴿ طباع الانسان وسائر الحيوان ﴾ زعم علماء الطب ان فى الجسد من الطبائع الاربع اثنى عشر رطلا فالدم منها ستة أرطال وللمرة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال فان غلب الدم الثلاث طبائع تغير منه الوجه وورم ويخرج ذلك الى الجذام وان غلب الثلاث طبائع الدم أنيت الد فاذا خاف الانسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا فليعدل جسده بالاقتصاد وينقيه بالمشي فان لم يفعل اعتراه ما وصفنا اما جذام واما مد أسأل الله العافية ولا باس بعلاج الجسد فى جميع الازمان الامن النصف من تموز الى النصف من آب فذلك ثلاثون يوما لا يصلح فيها علاج الا أن ينزل مرض لابد من مداواته (جعفر) بن محمد بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم قال الغلام يشب كل سنة أربع أصابع (حدثنى) عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب ابن منبه انه قرأ فى التوراة ان الله عز وجل حين خلق آدم ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثة فى ولده تنمو فى أجسادهم وينمون عليها الى يوم القيامة رطب ويابس وسخن وبارد قال وذلك اني خلقته من تراب وماء وجعلت فيه يبسا فيبوسة كل جسد من قبل التراب ورطوبته من قبل الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته

من قبل الروح ثم خلقت للجسد بعد هذا الخلق الاول أربعة أنواع أخر وهي ملاك الجسد وقوامه فاذا لا يقوم الجسد الا بهن ولا تقوم واحدة الا بالاخرى المرة السوداء والمرة الصفراء والدم الرطب الحار والبلغم البارد ثم أسكنت بعض هذا الخلق فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء ومسكن الرطوبة فى الدم ومسكن البرودة فى البلغم ومسكن الحرارة فى المرة الصفراء فايما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع وكانت كل واحدة فيه وفقا لا تزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته وان زادت واحدة منهن غلبتهن وقهرتهن ومالت بهن ودخل على اخواتها السقم من ناحيتها بقدر مازادت وان كانت ناقصة عنهن ملن بها وعلونها وأدخل عليها السقم من نواحيهن لقلتها عنهن حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهن (قال) وهب بن منبه وجعل عقله فى دماغه وشرهه فى كليته وغضبه فى كبده وصرامته فى قلبه ورعبه فى رئته وضحكه فى طحاله وحزنه وفرحه فى وجهه وجعل فيه ثلثمائة وستين مفصلا (الاصمعى) من لم يخف شعره قبل الثلاثين لم يصلع أبدا ومن لم يحمل اللحم قبل الثلاثين لم يحمله أبدا (حدث) زيد بن أحزم قال حدثنى بشر بن عمر عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب (وقالت) الحكماء الخنث يعترى الاعراب والاكراد والزنج والمجانين وكل صنف الا الخصيان فانه لا يكون خصى مخنثا (وقالوا) كل ذي ريح منتنة وزفير كالتيس وما أشبهه اذا خصي نقص ريحه وذهب صنانه غير الانسان فانه اذا خصى زادت نتنه واشتد صنانه وخبث عرقه وريحه (قالوا) وكل شيء من الحيوان يخصي فان عظمه يرق وان ارق عظمه استرخى لحمه الا الانسان فانه اذا خصي طال عظمه وعرض وقالوا الخصى والمرأة لا يصلعان أبدا والخصى تطول قدمه وتعظم (وبلغنى) أنه كان لمحمد بن الجهم برذون رقيق الحافر فخصاه فجاد حافره وحسن (قالوا) والخصي تلين معاقد عصبه وتسترخي ويعتريه الاعوجاج والفدع فى أصابعه وتسرع دمعته ويجود جلده ويسرع غضبه ورغاؤه ويضيق صدره عن كتمان السر (وزعم) قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع كما تطول أعمار البغال وقالوا ان قلة أعمار العصافير من كثرة الجماع (وقالوا) فى الغلمان من لا يحتلم أبدا وفى النساء من لا تحيض أبدا وذلك عيب ومن الناس من لا يسقط شعره ولا يتبدل سنه

(فنهم) عبد الصمد بن على ذكروا انه دخل قبره برواضعه وقالوا الضب والخنزير لايلقيان سنا من أسنانهما أبدا (وقالت الحكماء) انه ليس شىء من الحيوان يستطيع أن ينظر الى أديم السماء غير الانسان كرمه الله بذلك وقالوا ان الجنين يغتذي بدم الحيض يقبل اليه من قبل السرة ولذلك لاتحيض الحوامل الا القليل وقد رأينا من الحوامل من تحيض وذلك لكثرة الدم وتقول العرب حملت المرأة شهرا اذا حاضت عليه وقال الهذلى

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

يعني انها لم ترد عليه دم حيض فى حملها به قالوا فاذا خرج الولد من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذى كان الجنين يغتذيه الي الثديين وهما عضوان باردان عصبيان يصيرانه لبنا خالصا سائغا للشاربين (وقالوا) يعيش الانسان حيث تعيش النار ويتلف حيث لاتبقي النار وأصحاب المعادن والحفائر اذا هجموا على فتق فى بطن الارض أو مغارة قدموا شمعة فى طرف قناة فان عاشت بالنار وثبتت دخلوا فى طلبها والا أمسكوا والعرب تتشاءم ببكر ولد الرجل اذا كان ذكرا (وكان) قيس بن زهير ازرق بكر بن بكر بن (وحدث) محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن حارث بن نوفل قال بكر البكرين شيطان مخلد لايموت الى يوم القيامة يعني من الشياطين قالوا وابن المذكر من النساء والمؤنث من الرجال أخبث مايكون لانه ياخذ خبث خصال أبيه وخصال أمه والعرب تذكران الغير لاتخبث وقال عمرو بن معديكرب

ألست تصير اذا ما نسبت بين المغارة والاحمق

(قالت) الحكماء كل امرأة أودابة تبطىء عن الحمل ان واقعها الفحل فى الايام التي يجرى فيها الماء فى العود فانها تحمل باذن الله (وقالت) الحكماء الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركيبا لان بلادهم سخنت جدا فاحرقتهم في الارحام وكذلك من بردت بلاده فلم تنضجه الرحم وانما فضل أهل بابل لعلة الاعتدال والشمس هي التي شمطت شعور الزنج فقبضته والشعران ادنيته من النار تقبض فاذا زدته شيا تفلفل فان زدته احترق (وقالوا) أطيب الامم أفواها الزنج وان لم تستن وذلك لرطوبة أفواهها وكثرة الريق فيها وكذلك الكلاب من سائر الحيوان أطيبها أفواها لكثرة الماء فيها وخلوف فم الصائم يكون لقلة الريق وكذلك الخلوف فى آخر الليل (وقالت) الحكماء أيضا كل حيوان

اذا ألقى فى الماء سبح الا الانسان والقرد والفرس الاعسر فان هذه تغرق ولا تسبح قالوا وليس فى الارض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الخطر الا اذا أخذ على يساره ولذلك قالوا فمال على وحشيه وانحنى على شؤم بدنه (وقالوا) كل ذى عين من ذوات الاربع السباع والبهائم الوحشية والانسية فانما الاشفار منها بجفنها الاعلى الا الانسان فان الاشفار يعنى الهدب بجفنيه معا الاعلى والاسفل (وقالوا) كل جلد ينسلخ الا الانسان فان جلده لا ينسلخ (وحدث) أبو حاتم عن الاصمعى قال اختصم رجلان الى عمر رضى الله عنه فى غلام كلاهما يدعيه فسال عمر أمه فقالت غشيني أحدهما ثم أهرقت دما ثم غشيني الآخر فدعا عمر بالرجلين فسالهما فقال أحدهما أعلن أم اسر قال اسر قال اشتركنا فيه فضربه عمر حتي اضطجع ثم سال الآخر فقال مثل ذلك فقال عمر ما كنت أرى مثل هذا يكون ولقد علمت ان الكلبة يسفدها الكلاب فتؤدي الى كل كلب نجله وركب الناس في أرجلهم وركب ذوات الاربع فى أيديها وكل طائر كفه رجله (الليث بن سعد) عن ابن عجلان عن امرأة حملت فقامت حاملا خمس سنين ثم ولدت وحملت له مرة أخرى فقامت حاملا ثلاث سنين ثم ولدت (وولد) الضحاك بن مزاحم وهو ابن ثلاثة عشر شهرا (وقال) جرير ولد الضحاك لسنين وشعبة لسنتين ﴿ما نقص من خلقة الحيوان﴾ حدث أبو حاتم عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد قالوا الفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ له (وقال زهير) * من الظلمان جؤجؤه هواء * وكذلك طير الماء والحيتان لا ألسنة لها ولا أدمغة لها وصفن البعير لا بيضة فيه والسمكة لا رئة لها ولا تتنفس وكل ذى رئة يتنفس ﴿المشتركات من الحيوان﴾ الراعى بين الورشان والحمامة والجوامز من الابل بين العراب والفوالج والحمير الاخدرية من الاخدر فرس كان لازدشير كسري توحش واجتمع بعانات حمير فضرب فيها وأعمارها كأعمار الخيل والزرافة بين الناقة من نوق الحبش وبين البقرة الوحشية وبين الضبعان وأنها اشتراكا أولئك وذلك ان الضبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجيء بولد خلقه بين خلق الناقة والضبعان فان كانت ولدت تلك الناقة ذكرا عوض المهاة فالحقها زرافة وسميت زرافة لانها جماعة وهى واحدة كأنها جمل وبقرة وضبع والزرافة فى كلام العرب الجماعة (وقال) صاحب المنطق الكلاب تسفدها الذئاب في ارض سلوقة فتكون منها الكلاب السلوقية

﴿ الانعام ﴾ حدث يزيد عن عمرو عن عبد العزيز الباهلى عن الاسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله دابة أكرم من النعجة وذلك انه ستر حياها دون حياغيرها (وحدث) أبو حاتم عن الاصمعى عن ابان بن عمر قال كان لنا جمل يعرف حمل الحامل من غير ان يشمها (وقيل) لابنة الحسين ماتقولين فى مائة من المعز قالت قنى قيل فمائة من الضان قالت غنى قيل فمائة من الابل قالت منى والعرب تضرب المثل فى الصرد بالمعز فتقول اصرد من عنز جرباء (سئل) دغفل العلامة عن بنى مخزوم فقال معزى مطيرة عليها قشعريرة الا بنى المغيرة فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام (ومما) تقوله الاعراب على ألسنة البهائم تقول المعزى الاست جهوى والذنب ألوى والجلد زقاق والشعر رقاق والضان تضع مرة فى السنة وتفرد ولا تتئم والمعز قد تلد مرتين فى السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل والنماء والعدد والبركة فى الضان ونحو هذا الخنازير بما تضع الانثى عشرين خنزيرا ولانماء فيها ولا بركة ويقال الجواميس ضان البقر والبخت ضان الابل والبراذين ضان الخيل والجرذان ضان الفار والدلدل ضان القنا فذو النمل ضان الذر (وتقول) الاطباء فى لحم المعز انه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويخبل الاولاد ويفسد الدم ولحم الضان يضر بمن يصرع من المرة ضررا شديدا حتى يصرعهم فى غير أوان الصرع الاهلة وأنصاف الشهور وهذان الوقتان هما وقت مد البحر وزيادة الماء ولزيادة القمر الى ان يصير بدرا أثر بين فى زيادة الدماغ والدم وجميع الرطوبات (قال الشاعر)

كأن القوم عشوا لحم ضان ❊ فهم يفجون قد مالت طلاهم

وفى الماعز أيضا انها ترضع من خلفها وهى محفلة حتى تاتى على كل ما فى ضرعها (وقال ابن أحمر)

انى وجدت بنى اعناء حائلهم ❊ كالعنز تعطف روقيها فتحتفل

واذا رعت الماعزة فى فضل نبت ما تاكله الضائنة لم ينبت ما تاكله الماعزة لان الضائنة تقرض باسنانها والماعزة تقلعه وتجذبه من أصله واذا حملت الماعزة أنزلت اللبن فى أول الحمل الى الضرع والضائنة لا تنزل اللبن الا عند الولادة ولذلك تقول العرب رمدت المعزى فرنق رنق ورمدت الضان فربق ربق وذكور كل شىء أحسن من اناثه الا التيوس فان الصفايا أحسن

منها وأصوات ذكور كل شيء أجهر وأغلظ الاناث البقر فانها أجهر أصواتا من ذكورها (وقرأت) في كتاب للروم اذا أردت أن تعرف مالون جنين النعجة فانظر الى لسانها فان الجنين يكون على لونه (وقرأت) فيه ان الابل تتحامي أمهاتها فلا تسفدها (وقالوا) كل ثور أفطس وكل بعير أعلم وكل ذباب أقرح (وقالوا) البعير اذا صعب وخافوه استعانوا عليه حتى يبرك ويعقل ثم يكرمه فحل آخر فيذل وقد يفعل ذلك بالثور (وقال) بعض القصاص مما فضل الله به الكبش أن جعله مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس ان جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر وفى مناجاة عزير اللهم انك اخترت من الانعام الضائنة ومن الطير الحمامة ومن النبات الحبة ومن البيوت مكة وايلياء ومن ايلياء بيت المقدس وفى الحديث ان الغنم اذا أقبلت أقبلت واذا أدبرت أقبلت والابل اذا أدبرت أدبرت واذا أقبلت أدبرت ولا يأتى نفعها الا من جانبها الامام والاقط قد يكون من المعزى (قال امرؤ القيس)

لنا غنم نسوقها غزار * كان قرون جلتها عصى
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا * وحسبك من غني شبع وري

﴿ النعام ﴾ قالوا في الظليم ان الصيف اذا أقبل وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون قطيفته الى ان تنتهي حمرة البسرة ولذلك قيل له خاضب وللنعام خواضب وفى الظليم ان كل ذي رجلين اذا انكسرت احدى رجليه نهض على الاخرى والظليم اذا انكسرت احدى رجليه جثم ولذا قال الشاعر فى نفسه وأخيه

اذا انكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا ولا دونها صبرا

قالوا وعلة ذلك انه لامخ فى عظمه وكل عظم كسر يجبر الا عظما لامخ فيه والظليم يغتذي المدر والصخر فتذيبه قانصتها بطبعها حتى يصير كالماء وفي النعامة أنها أخذت من البعير المنسم والوظيف والعنق والخدامة ومن الطير الريش والجناحين والمنقار فهي لا بعير ولا طائر (وقال الاحيمر السعدى) كنت ممن خلعني قومى وأطل السلطان دمي وهربت وترددت في البوادي حتى ظننت اني قد جزت نخل وبار أو قريبا من ذلك واني كنت أرى النوى فى رجيع الذئاب وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ولا تنفرمني لانها لم تر أحدا قبلى وكنت أمشى الى الظبي السمين فآخذه الا النعام فانى لم أره قط الا نافرا فزعا ﴿ الطير ﴾ بلغنى عن

مكحول انه قال كان من دعاء داود النبي عليه السلام يارازق النعاب في عشه وذلك ان الغراب اذافقس عن فراخه خرجت بيضاء فاذارآها كذلك نفرعنها وتفتح أفواهها فيرسل الله ذبابا يدخل في أفواهها فيكون ذلك غذاءها حتي تسود فاذا اسودت عاد الغراب اليها فغذاها ورفع الله الذباب عنها (قال الرياشي) ليس شيء تغيب أذناه من جميع الحيوان الا وهو يبيض وليس شيء تظهر أذناه الا وهو يلد قال وهذا يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (وقد نهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الطير الصرد والهدهد والذرة والنحلة (وقالوا) الطير ثلاثة أضرب بهائم الطير وهو مالقط الحبوب والبزور وسباع الطير وهي التي تتغذي باللحم ومشترك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير فانه ليس بذي مخلب ولا منسر واذاسقط الطير على عود قدم أصابعه الثلاثة وأخر الدائرة وسباع الطير تقدم أصبعين وتؤخر أصبعين ويشارك سباع الطير فانه يلقم فراخه ولا يزقها وانه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل وقالوا العصفور شديد الوطء والفيل خفيف الوطء (وقال صاحب الفلاحة) العقاب والحدأة تتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا والارانب تتبدل فتصير الانثى ذكرا والذكر أنثى وذكر الغربان لا يحضن وكذلك ذكر الاوز وذكر الدجاج (وقال كعب الاحبار) ماذهب طائر في السماء قط أكثر من اثني عشر ميلا ومن حديث سفيان الثوري عن انس بن مالك قال عمر الذباب أربعون يوما والبعوضة ثلاثة أيام والبرغوث خمسة أيام قال والحمام تعجب بالكمون وتألف الموضع الذي يكون فيه وكذلك العدس ولاسيما اذا انقع في عصير حلو ومما يصلحن عليه ويكثرن ان تدخن بيوتهن باللبان وأيمن مواضعها وأصلحها ان يبنى لها بيت على أساطين خشب ويجعل فيه ثلاث كوى كوة في سمك البيت وكوة من قبل المغرب وباب من قبل الجنوب قال والسذاب اذا ألقي في اللبن تحامته السنانير البرية (هشام بن محمد) قال حدثني ابن الكلبي قال أسماء نساء بني نوح صلى الله عليه وسلم اذا كتبن في زوايا بيت البرج سلمت الفراخ ونمت وسلمت من الآفات قال هشام فجربته أنا وغيري فوجدناه كما قال واسم امرأة سام ابن نوح محلت محم واسم امرأة حام نف نسا واسم امرأة يافث فالر والطير الذي يخرج من وكره بالليل البومة والصدا والهامة والصواع والوطواط والخفاش وغراب الليل قالوا واذاخرج فرخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه لتتسع الحوصلة بعد التحامها وتنفتق فاذا اتسعت زقاه عند ذلك اللعاب ثم زقاه بعد ذلك الحب (قال المثنى بن زهير) لم أر

شياقط فى رجل أو امرأة الا رأيته في الحمام رأيت حمامة لا تريد الا ذكرها وذكرا لا يريد الا أنثاه الا أن يهلك أحدهما أو يفقد ورأيت حمامة لا تمنع شيئا من الذكور ورأيت حمامة لا تقمط الا بعد شدة الطلب ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها ورأيت حمامة تقمط الذكور ورأيت ذكرا يقمط كل ما لقي ولا يزاوج ورأيت ذكرا له انثيان يحضن مع هذه وهذه (قالوا) ومن عجائب الخفاش انه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتحبل وتلد وتحيض وترضع وتطير بلا ريش وتحمل ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها وربما ولدت وهي تطير ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها قالوا والخطاف يتبع الربيع حيث كان وتقلع احدي عينيه وترجع ﴿البيض﴾ قالوا والبيض يكون من أربعة أشياء منه ما يتكون من السفاد ومنه ما يتكون من التراب ومنه ما يتكون من نسيم ريح يصل الى أرحامها وهو شيء يعتري الحجل وما شاكلها في الطبيعة فربما كانت الانثي على قبالة الريح التي تهب في بعض الزمان فتحتشى لذلك بيضا وكذلك النخلة التي تكون الفحال هي تحت ريحه فتلقح تلك الرائحة وتكتفى بذلك والدجاجة اذا هرمت لم يكن لبيضها مخ واذا لم يكن لها مخ لم يكن لبيضها فرخ لان الفرخ يخلق من بياض البيض وغذاؤه الصفرة ﴿السباع﴾ يقال انه ليس في السباع أطيب أفواها من الكلاب ولا في الوحش أطيب أفواها من الظباء ويقال ليس أشد بخرا من الاسد والصقر ولا في السباع أسمح من كلب وليس في الارض فحل من سائر الحيوان لذكره حجم الا الانسان والكلب والاسد لا يأكل الحار ولا الحامض ولا يدنو من النار وكذلك أكثر السباع (وتقول) الروم الاسد يذعر لصوت الذئب ولا يدنو من المرأة الطامث والاسد ذابل شفر كما يشفر الكلب وهو قليل الشرب ونجوه كنجو الكلب ودواء عضته كدواء عضة الكلب (قالوا) والعيون التي تضيء بالليل عيون الاسد والنمور والافاعى والسنانير ❊ وقالوا ثلاثة من الحيوان ترجع في قيئها الاسد والكلب والسنور وقالوا أيام حمل الكلبة ستون يوما فان وضعت قبل ذلك لم تكد أولادها تعيش واناث الكلاب تحيض كل سبعة أيام يوما وعلامة ذلك ان يدمى شفر الكلبة ولا تريد السفاد في ذلك الوقت وذكور السلوقية تعيش عشرين سنة وتعيش اناثها اثنتى عشرة سنة وليس يلقى الكلب من أسنانه الا النابين والذئب تسفد الكلاب في أرض سلوقة فتكون منها الكلاب السلوقية والكلب من الحيوان يحتلم كما يحتلم الانسان (وقالوا) في طبع الذئب محبة الدم ويبلغ بطبعه ان

يرى ذئبا مثله قد دمى فيثب عليه فيمزقه (قال الشاعر)

وكنا كذئب السوء لما رأى دما ✻ بصاحبه يوما أحال على الدم

ويقولون ربما ينام الذئب باحدي عينيه ويفتح الاخري (قال حميد بن ثور)

ينام باحدي مقلتيه ويتقي ✻ بأخرى الاعادي فهو يقظان نائم

(قالوا) والذئب أشد السباع مطالبة واذا عجز عوى عواء استغاثة فتسامعت به الذئاب فاقبلت حتى تجتمع على الانسان أوغيره فتأكله وليس فى السباع من يفعل ذلك غيرها وقضيب الذكر من الارانب من عظم وكذلك قضيب الثعلب والارنب تنام مفتوحة العين وتحيض وليس لشيء من ذكرا الحيوان ثدي في صدره الا الانسان والفيل ولسان الفيل مقلوب على طرفه داخل ✻ وزعمت الهند أن نابي الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك ويخرجان منكسين (وقال صاحب المنطق) ظهر فيل عاش أربعمائة سنة (وحدثنى) شيخ لنا عن الزيادي قال رأيت فيلا أيام أبي جعفر قيل انه سجد لسابور ذى الاكتاف ولابي جعفر والفيلة تضع فى سبع سنين ✻ الحيوان الذي لا يصلح الا بأمير ✻ الناس والفار والغرانيق والكراكى والنحل والحشرات (قتادة) عن ابن عمر قال الفأرة يهودية ولوسقيتها ألبان الابل ماشربته والفارة أصناف منها الذباب وهو أصم لا يسمع والخلد وهو أعمى وتقول العرب هو اسود من ذبابة وفأرة البيش والبيش سم قاتل يقال هو قرون السنبل وله فأرة تغتذبه لا تأكل غيره وفأرة المسك من غير هذا وفأرة الابل أرواحها اذا عرقت قالوا والافعي اذا نشت في فيها حماض الاترج وأطبقت لحييها الاعلى على الاسفل لم تقتل بعضتها أياما (قالوا) الثوم والملح وبعر الغنم نافع جدا اذا وضع على موضع لسعة الحية والحيات تقتل بريح السذاب والشيح وتعجن باللفاح والبسباس والبطيخ والخردل والحرف واللبن والخمر وليس فى الارض حيوان أصبر على الجوع من الحية ثم الضب بعدها واذا هرمت الحية صغر بدنها وقنعت بالنسيم ✻ قالوا وكل شيء يأكل فهو يحرك فكه الاسفل ماعدا التمساح فانه يحرك فكه الاعلى وبمصر سمكة يقال لها الرعاد من اصطادها لم تزل يده ترعد مادامت فى شبكته والجعل اذا دفنته فى الورد سكنت حركته حتى تحسبه ميتا فاذا دفنته فى الروث تحرك ورجعت نفسه والبعير اذا ابتلع خنفساء قتلته اذاوصلت جوفه حية والضب يذبح ثم يمكث ليلة ثم يقرب من النار فيتحرك والافعى تذبح فتبقى أياما تتحرك

واذا وطئها أحد نهشته و يقطع ثنثها الاسفل فتعيش و ينبت ذلك المقطوع (قالوا) وللضب ذكران وللضبة حران حكاه أبو حاتم عن الاصمعي و يقال لذلك النزك (وأنشد)

سجل له نزكان كانا فضيلة ❊ على كل حاف فى البلاد و ناعل

وسام أبرص لا يدخل بيتا فيه زعفران ومن نضد كلب كلب احتاج أن يستر وجهه من الذباب لئلا تسقط عليه وخرطوم الذباب يده ومنه يغني وفيه يجرى الصوت كما يجرى الزامر الصوت فى القصبة بالنفخ والسلحفاة اذا أكلت أفعى أكلت سعترا جبليا وابن عرس اذا قاتل الحية أكل السذاب والكلاب اذا كان فى أجوافها داء أكلت سنبل القمح والابل اذا نهشته الحية أكل السراطين (قال) ابن ماسويه فلذلك يظن أن السراطين صالحة لمن نهشته الحية (قال) صاحب المنطق الحية اذا اشتكت كبدها من وقع الارانب والثعالب تعالجت بأكل الكمأة حتى تبرأ و بعض الناس يعملون من الاوزاغ سما أنفذ من البيش ومن ريق الافاعى واذا زرع فى نواحى الزرع خردل يجتنبه دبي الجراد واذا أخذ المرداسنج وخلط بعجين الدقيق ثم طرح للفار وأكل منه مات وكذلك برادة الحديد واذا أخذ الافيون والشونيز والفار وقرون الابل وبابونج وظلف من أظلاف المعز فخلط ذلك جميعا ثم يدق و ينخل نخلا جيدا و يعجن بخل عتيق ثم يقطع قطعا فيدخن قطعة منه هربت الحيات والهوام والنمل والعقارب من ريحه والبعوض يهرب من دخان الكبريت والعلك (وقالت) الحكماء لحم ابن عرس نافع من الصرع ولحم القنفذ نافع من الجذام والسل والشنج ووجع الكلى يجفف و يشوي و يطعمه العليل مطبوخا و يضمد به الشنج وعين الافعي وعين الجرذ لا تدوران وانما يذبح من العناكب الانثي من ساعة تولد والقمل يخلق فى الرؤس على لون الشعر ان كان أسود أو أبيض أو مصبوغا وأم حبين لا تقيم بمكان تكون فيه السدفة وهى دويبة يضرب بها المثل فى الصنعة فيقال أصنع من سدفة (أبو حاتم) عن الاصمعى قال قال أبو بكر الهجرى مامن شىء يضر الا وفيه منفعة (وقيل) لبعض الاطباء ان فلانا يقول انما أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع فقال ما أقل علمه بها انها لتنفع اذا شق بطنها ووضعت على مكان اللدغة (وقد) تجعل فى جوف فخار مسدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار فى تنور فاذا صارت العقرب رمادا سقى من ذلك الرماد مثل نصف دانق من به حصاة فتتها من غير أن يضر سائر الاعضاء (وقد) تلسع من به حمي

عتيقة فتقلع عنه وقد تلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج (وقد) تلقى العقرب فى الدهن وتترك فيه حتى ياخذ الدهن منها و يجتذب قواها فيكون ذلك الدهن مفرقا للاورام الغليظة (وقال) المامون قال لى بختيشوع وسلمويه وابن ماسويه ان الذباب اذا دلك على لسعة الزنبور سكن ألمها فلسعني زنبور فحككت على موضع لسعته عشرين ذبابة فما سكن الا قدر الحين الذى يسكن فيه من غير علاج فلم يبق فى يدى منهم الا أن قالوا كان هذا الزنبور حنقا ولولا هذا العلاج له لقتلك (وقال) محمد بن الجهم لا تتهاونوا بكثير مما يروون من علاج العجائز فان كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الاطباء كالذباب يلقي فى الاثمد فيسحق معه يزيد فى نور البصر و يشد مراكز شعر الاجفان فى حافات الجفون (قالوا) وللسع الافاعى والحيات ينفع ورق الآس الرطب يعصر و يسقي من مائه قدر نصف رطل ﴿ مصايد الطير ﴾ قال صاحب الفلاحة من أراد أن يحتال للطير والدجاج حتى يتحيرن و يغشى عليهن فيصيدهن فاعمد الى الحلتيت أذبه بالماء ثم اجعل فيه شيا من عسل وانقع فيه برا يوما وليلة ثم القه الى الطير فاذا لقطه تحير وغشي عليه فلا يقدر على الطيران الا أن يسقى لبنا خالطه سمن (قال) وان عمد الى طحين بر غير منخول فعجن بجير ثم طرح للطير والحجل فاكلا منه تحيرت وأخذت (ومما يصاد) به الكراكى وغيرها من الطيران يوضع لهن فى مواقعهن اناء فيه خمر و يجعل فيه خربق أسود و ينقع فيه شعير ثم يلقى لهن فاذا أكلن منه أخذهن الصائد كيف شاء (وقال) غيره تصاد العصافير بايسر حيلة تؤخذ شبكة فى صورة المحبرة و يجعل فى جوفها عصفور فينقض عليه العصافير وتدخل عليه فاذا دخل لم يقدر على الخروج فيصيد الرجل منها من يومه ماشاء وهو وادع (وقال) و يصاد طير الماء الساكن بالقرعة وذلك أن تاخذ قرعة يابسة صحيحة فترمى بها فى الماء فانها تتحرك فى ذلك الماء فاذا أبصرها الطير تحرك وفزع فاذا كثر ذلك عليه أنس حتى ربما سقط عليها ثم تاخذ قرعة مثلها فتقطع رأسها و يفتق فيها موضع عينين ثم يدخل الصائد رأسه فيها و يدخل الماء و يمشي رويدا وكلما دنا من الطائر مد يده تحت الماء حتي يقبض عليه و يغمس يده به تحت الماء و يكسر جناحيه و يخليه فيبقى طافيا على الماء يسبح برجليه ولا يطيق الطيران ولا يمكن انغماسه فى الماء فاذا فرغ من صيد ما يريد رمى بالقرعة ثم التقطه وحمله ﴿ مصايد السباع ﴾ السباع العادية تصاد بالزبا والمغارات وهي آبار تحفر فى انشاز الارض ولذلك يقال قد بلغ

السيل الزبا (قال) صاحب الفلاحة ومما تصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الكبار السمان فيقطع قطعا ثم يشرح ويكتل كتلا ثم تؤجج نار في غائط من الارض تقرب منه السباع ثم تقذف تلك الكتل فيها واحدة بعد أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار وقتار تلك الكتل في تلك الارض ثم يطرح حول تلك النار قطع من لحم قد جعل فيه الخربق الاسود والافيون وتكون تلك النار في موضع لا ترى فيه حتى تقبل تلك السباع لريح القتار وهي آمنة فتأكل من قطع ذلك اللحم ويخرج عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاؤا (تفاضل البلدان) الاصمعي يرفعه الى قتادة قال الدنيا كلها أربعة وعشرون الف فرسخ فبلد السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ وبلد الفرس ثلاثة آلاف فرسخ وبلد العرب ألف (الاصمعى) قال جزيرة العرب ما بين نجران الى العذيب (وقال) غيره أرض العرب ما بين بحر القازم وبحر الهند قالوا وسواد البصرة الاهواز وفارس وسواد الكوفة كسكر الى الزاب الى عمل حلوان الى القادسية وهذه كلها من عمل العراق وعمل العراق من هيت الى الصين والهند والسند ثم كذلك الى الرى وخراسان كلها الى الديلم والجبال واصفهان سرة العراق وافتتحها أبو موسى الاشعري والجزيرة ليست من عمل العراق وهي ما بين الدجلة والفرات والموصل من الجزيرة ومكة والمدينة ومصر ليست من عمل العراق (الاصمعى) قال البصرة كلها عثمانية والكوفة كلها علوية والشام كلها أموية والجزيرة خارجية والحجاز سنية وانما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل اذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير فقتلهم على بن أبي طالب رضى الله عنه (وقيل) لرجل من أهل البصرة أتحب عليا قال كيف أحب رجلا قتل من قومى من لدن كانت الشمس هكذا الى أن صارت هكذا ثلاثين الفا والكوفة علوية لانها وطن على رضى الله عنه وداره والشام أموية لانها مركز ملك بني أمية وبيضتهم والجزيرة خارجية لانها مسكن ربيعة وهى رأس كل فتنة وأكثرها نصارى وخوارج ومنازلهم الخابور وهو وادبالجزيرة (قال) على بن أبي طالب رضى الله عنه لبنى تغلب يا خنازير العرب والله لئن صار هذا الامر الى لأضعن عليكم الجزية وقال هرون الرشيد ليزيد بن مزيد ما أكثر الخلفاء فى ربيعة قال بلى ولكن منابرهم الجذوع (الاعمش) عن سليم قال ذكر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الكوفة فقال جمجمة العرب وكنز الايمان ورمح الله فى الارض ومادة

الامصار (على بن محمد المديني) قال الكوفة جارية حسناء تصنع لزوجها فكلما رآها سرته (وقال) حميد بن عمير الكوفة سفلت عن الشام ووباها وارتفعت عن البصرة وعمقها فهي مرية مريعة عذبة ندية * واذا انتهي الشمال هبت على مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور واذا هبت الجنوب جاءت بريح السواد وورده وياسمينه وأترجه فماؤها عذب وعيشها خصب (قال) ابن عياش الهمداني لابي بكر الهذلى عن أبي العباس وذكرت عنده الكوفة والبصرة فقال انما مثل الكوفة مثل اللهات من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته ومثل البصرة مثل المثانة يأتيها الماء بعد تغير وفساد (وقال) الحجاج الكوفة بكر حسناء والبصرة عجوز بخراء أوتيت من كل حلى وزينة (وقال) جعفر ابن سليمان العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد (وقال) الاصمعى تذاكروا عند زياد الكوفة والبصرة فقال زياد لو أضلت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلني عليها (وقال) حذيفة اهل البصرة لا يفتحون باب هدى ولا يغلقون باب ضلالة وقد رفع الطاعون عن جميع أهل الارض الا عن أهل البصرة (ومما) نقم على أهل الكوفة أنهم أغدر الناس طعنوا الحسن بن على وانتهكوا عسكره وخذلوا الحسين بن على بعد ان استدعوه حتى قتل وشكوا سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب وزعموا أنه لا يحسن أن يصلي فدعا عليهم أن لا يرضيهم الله عن وال ولا يرضى واليا عنهم وقد دعا عليهم على بن أبي طالب فقال اللهم ارمهم بالغلام الثقفى يعني الحجاج بن يوسف وشكوا عمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وطردوا سعيد بن العاص وخذلوا زيد بن على وادعى النبوة منهم غير واحد منهم المختار بن أبي عبيد وكتب الى الاحنف بلغنى انكم تكذبوني وتكذبوا رسلي وقد كذبت الانبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم (وقيل) لعبد الله بن عمر ان المختار يزعم أنه يوحى اليه قال صدق الشياطين يوحون الى أوليائهم (ولما) أرادت سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم الرحيل من الكوفة الى المدينة بعد قتل زوجها المصعب حف بها أهل الكوفة وقالوا أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا جزاكم الله خيرا من قوم ولا أحسن الخلافة عليكم قتلتم أبي وجدي وأخي وعمي وزوجي ايتمتموني صغيرة وأيمتموني كبيرة (ولما) دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل المصعب أقبل اليه جماعة فقال من هؤلاء قالوا أمراؤك أهل الكوفة قال قتلة عثمان قالوا نعم وقتلة على قال هذه بهذه (قدم) عبد الله بن الكواء على معاوية فقال أخبرني

عن أهل البصرة قال يقبلون معاويد برون شتي قال فاخبرني عن اهل الكوفة قال انظر الناس في صغيرة وأوفقهم في كبيرة قال فاخبرني عن أهل المدينة قال أحرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها قال فاخبرني عن أهل مصر قال لقمة آكل قال فاخبرني عن أهل الجزيرة قال كناسة بين حشين قال فاخبرني عن أهل الشام قال جند أمير المؤمنين ولا أقول فيهم شيئا قال لتقولن قال أطوع خلق الله لمخلوق وأعصاهم للخالق ولا يخشون في السماء سا كنا (قتادة) قال قيست البصرة في زمن خالد بن عبد الله القسري فوجدوا طولها فرسخين وعرضها فرسخين (الاصمعي) قال قال ابن شهاب الزهري من قدم أرضا فاخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عوفي من وبائها (الاصمعي) قال دخلت الطائف فكاني كنت أبشر وكان قلبي ينضح بالسرور وما أجد لذلك علة الا انفساح جوها وطيب نسيمها (ودخل) سليمان بن عبد الملك الطائف فنظر الى بيادر الزبيب فقال ما تلك الجرار السود قيل له ليست بجرار يا أمير المؤمنين ولكنها بيادر الزبيب قال لله درقيس في أي عش أودع فراخه يريد بقيس ثقيفا كذلك كان اسمه (الاصمعي) قال من أمثال العامة يقولون حمى خيبر وطحال البحرين ودماميل الجزيرة وطواعين الشام (الاصمعي) قال ذكروا ان على باب سمرقند مكتوبا بين هذه المدينة وبين صنعاء الف فرسخ (قال) الاصمعي وبين بغداد وافريقية الف فرسخ وبين البصرة والكوفة ثمانون فرسخا وواسط بينهما متوسطة فلذلك سميت واسط «الشامات» أول حد الشام من طريق مصر امج ثم غزة ثم الرملة ثم مدينة فلسطين ومدينتها العظمي فلسطين وعسقلان وبها بيت المقدس وفلسطين هي الشام الاولى ثم الشام الثانية وهي الاردن ومدينتها العظمي طبرية وهي التي على شاطىء البحيرة والغور واليرموك وبيسان فيما بين فلسطين والاردن ثم الشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمي دمشق ومن سواحلها طرابلس ثم الشام الرابعة وهي أرض حمص ثم الشام الخامسة وهي قنسرين ومدينتها العظمي حيث السلطان حلب ومن قنسرين وحلب أربعة فراسخ وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطيء البحر في داخلها البساتين والانهار والمزارع وهي مدينة حبيب النجار الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وبها مسجد ينسب الى حبيب النجار (ومن ثغور) الشام الخامسة المصيصة وطرسوس ونهرا جيحان وسيحان الجزيرة ثم الجزيرة وهي ما بين دجلة والفرات وبهما نهران يقال لهما الخابور والبلخ ومخرجهما من رأس

العين مدينة عظيمة بالجزيرة في داخلها عين هي عنصر الخابور والبلخ وعلى الخابور منازل ربيعة واكثرها نصارى وخوارج ونصيبين من الجزيرة وهي مدينة عظيمة مطلة على جبل الجودى والموصل من الجزيرة ايضا والرقة وحران من الجزيرة أيضا ومن ثغور الجزيرة في جهة عمورية من أرض الروم بطرة وملطة وفي جوف الفرات جزائر فيها مدن يقال لها غانة وغانات وعلى شط الفرات مما يلى الجزيرة ترسيسا ومما يلى الشام الرحبة رحبة مالك بن طوق (العراقان) هما البصرة والكوفة وقد تقدم ذكرهما واختلاف الناس فيهما وفيما أحدثت خلفاء بنى هاشم بالعراق الانبار وهي مدينة أبي العباس أول من ولى الخلافة من بني هاشم ابتناها واتخذها دار خلافته ثم ولى اخوه ابو جعفر المنصور فانتقل الى بغداد وابتنى بها الكرخ وهي مدينة السلام في جوف بغداد وهي دار خلافة بني هاشم حتى قام المعتصم محمد بن هرون فانتقل منها الى سامرا وتفسير سامرا ان سام بن نوح عليه السلام بناها وانما هو بالسريانية وهي دار الخلافة الى الآن (فارس) منها الاهواز مدينة عظيمة وبلدها واسع جدا وهي من سواد البصرة وتستر مدينة يعمل فيها التسترى وهي ملاحف ومدينة يقال لها جور واليها ينسب ماء الورد الجورى ومدينة يقال لها اصطخر بها تعمل الاكسية الاصطخرية الجياد السود ومدينة يقال لها السوس بها تعمل الثياب السوسية من الخز وغيره ومدينة يقال لها العسكر واليها تنسب الثياب العسكرية ومدينة يقال لها الاقساسا وبها تعمل الاكسية الاقساسادية الجياد ومدينة يقال لها دستوا وبها تعمل الثياب الدستوائية ومدينة يقال لها ميسان وبها يعمل الميسانى ومدينة يقال لها الدسكرة دسكرة الملك كانت لكسري ومدينة يقال لها حلوان وهي أول الجبال من خراسان وآخر العراق (خراسان) أول مدنها الرى وهي آخر الجبال من خراسان واليها ينسب من الرجال الرازى ومن خراسان مرو وهي دار خلافة المامون ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ومن ينسب اليها من الرجال يقال له مروزي ومن الثياب مروى ومدينة يقال لها قومس واليها تنسب الطبقات القومسية ومدينة يقال لها سابور بها ملك بنى طاهر ومدينة يقال لها هراة اليها ينسب الهروي من الرجال والمتاع ومدينة يقال لها بلخ واليها ينسب البلخى وبها معادن البجادى العتيق وهو جنس من الفصوص تسميه

العامة البزادى ومدينة يقال لها خوارزم واليها ينسب الخوارزمي وهى على شط البحر المحيط وبلخ على شط النهر العظيم الذي يقال له جيحان بخراسان ثم جرجان وهى مدينة عظيمة على شط البحر المحيط واليها ينسب الوشى الجرجانى والمتاع ثم قوهى وهي مدينة عظيمة اليها ينسب القوهي من الثياب ثم كابل وهى مدينة يؤتى منها بالهليلج الكابلى ثم سمر قند وهى مدينة عظيمة اليها ينسب السمرقندى من الثياب وبين بغداد وبينها مسيرة ستة اشهر وهي مما يلى كرمان وهى على بطائح السند وبلاد السند من آخر خراسان ما بين المغرب والمشرق من جهة القبلة وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تبت وهي من أرض الترك وبها مجمع المسك ومدينة يقال لها فرغانة وأهلها جنس من العجم يقال لهم الصفد وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن اذا مات لهم كبير ومن المدن التى فى صدر خراسان مع الجبال مدينة يقال لها قرميسين ثم الدينور واليها ينسب الدينوري ومدينة همدان مدينة عظيمة وطبرستان مدينة عظيمة فيها تعمل الاكسية الطبرية ثم قم وهي مدينة عظيمة منها يؤتي بالزعفران ثم اصبهان وهي مدينة عظيمة ثم طوس وهي من ثغور الجبال (مصر) من ناحية الشام الفسطاط وهى مدينة بها منبران ومسجدان يجمع فيهما العسكر حيث السلطان وعين شمس بها منبر وكانت مدينة فرعون وفيها بنيانه قائم والفرمى لها منبر والعريش الذي يقال له عريش مصر له منبر وهى آخر مصر وأول الشام ومن اسفل الارض بوصير لها منبر وتنيس لها منبر واليها تنسب الثياب التنيسية وبها طراز للخليفة وشطا لها منبر واليها ينسب الشطوى ودبيق لها منبر واليها ينسب الدبيقى من الثياب والاسكندرية لها منبر ومن ناحية الحجاز القلزم لها وايلة لها منبر منبر ومن ناحية الصعيد القيس واليها ينسب القيسى من الثياب والصفن واليها تنسب الاكسية الصفنية الحمر ودلاص لها منبر وهى مجمع سحرة مصر والفيوم مدينة لها منبر تؤدى كل يوم الف دينار وخلف ذلك فرق وبها تكون معادن الذهب والجوهر والزبرجد (صفة المسجد الحرام) صحنه كبير واسع ذرعه طولا من باب بنى جمح الى باب بني هاشم الذى يقابل دار العباس بن عبد المطلب أربعمائة ذراع وأربعة أذرع وذرعه عرضا من باب الصفا الى دار الندوة لاصقا بوجه الكعبة الشرقى ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع وله ثلاث بلاطات به محدقة من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض وهى داخلة فى الذرع الذى ذكرت فوقها سماوتها مذهبة وحافاتها على عمد

رخام بيض عددها فى طوله من الشرق الى الغرب مع وجه الصحن خمسون عمودا وفى عرضه ثلاثون عمودا بين كل عمودين مثل عشرة اذرع وجملة عمد المسجد اربعمائة وأربعة وثلاثون عمودا طول كل عمود منها عشرة اذرع ودوره ثلاثة اذرع والمذهبة من رؤس العمد ثلثمائة وعشرون رأسا وسور المسجد كله من داخله مزخرف بالفسيفساء وأبوابه على عمد رخام ما بين الاربعة الى الثلاثة الى الاثنين وهي ثلاثة وعشرون بابا لا غلق عليها يصعد عليها فى عدة من درج ﴿ صفة الكعبة ﴾ وبيت الله الحرام بوسط المسجد كان ارتفاعه فى عهد ابراهيم عليه السلام فيما يقال والله أعلم تسعة أذرع وطوله فى الارض ثلاثون ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وكان له ثلاثة سقوف ثم بنته قريش فى الجاهلية فاقتصرت على قواعد ابراهيم ورفعته ثمانية عشر ذراعا ونقصت من طوله فى الارض ستة اذرع وشبر تركته فى الحجر فلما هدمه ابن الزبير رده على قواعد ابراهيم ورفعه سبعا وعشرين ذراعا وفتح له بابين بابا الى الشرق وبابا الى الغرب يدخل على الشرقى ويخرج على الغربى فكان كذلك حتى قتل فلما تغلب الحجاج على مكة استاذن عبد الملك بن مروان فى هدم ما كان ابن الزبير زاده من الحجر في الكعبة فاذن له فرده على قواعد قريش وسد الباب الغربى ولم ينقص من ارتفاعه شيأ فذرع وجه القبلى اليوم من الركن الاسود الى الركن اليماني عشرون ذراعا ووجهه الجنوبي من الركن العراقى الى الركن الشامى وهو الذي يلي الحجر أحد وعشرون ذراعا ووجهه الشرقى من الركن العراقى الى الركن الذى فيه الحجر الاسود خمسة وعشرون ذراعا ووجهه الغربي من الركن اليمانى الى الركن الشامى خمسة وعشرون ذراعا وحول البيت كله الا موضع الركن الاسود درجة مخصصة يكون ارتفاعها عظم الذراع فى عرض مثله وقاية للبيت من السيل وباب البيت فى وجهه الشرقي على قدر القامة من الارض طوله ستة اذرع وعشرة أصابع وعرضه ثلاثة أذرع وثمان عشرة أصبعا والباب من ساج غلظ كل باب ثلاث أصابع ظاهرها ملبس بالذهب وباطنها بالفضة في كل باب ستة عوارض ولها عروتان يضرب فيهما قفل من ذهب وحواجبه كلها مذهبة ما عدا الحاجب الايمن فان العلوى الثائر لما تغلب على مكة قلع ذهبه فترك على حاله وتحت العتبة العليا عتبة مذهبة والبابان من ورائهما والعتبة السفلى مستورة بالديباج الى الارض وبين الركن الاسود والباب خمسة أذرع أو نحوها وهو الملتزم فيما يذكر عن ابن عباس والحجر الاسود على رأس صخرتين من وجه

الارض قد نحت من الصخر مقدار ما دخل فيه الحجر واشفت الصخرة الثالثة عليهما مثل اصبعين والحجر أملس مجزع حالك السواد فى قدر الكف المحنية قد لزمن جوانبه بمسامير الفضة وفيه صدوع وفى جانب منه صفيحة فضة حسبتها شظية منه شظيت فجبرت بها وصخر الركن الاسود أحرش أكبر من صخرنا قليلا وللبيت سقفان سقف دون سقف وفيهما أربع روازن ينفذ بعضها الى بعض للضوء وللسقف الاسفل ثلاث جوائز من ساج منقشة مذهبة وفى داخل البيت فى الحائط الغربى قبالة الباب الجزعة على ستة أذرع من قاع البيت وهي سوداء مخططة بياض طولها اثنا عشر أصبعا فى مثل ذلك وحولها طوق من ذهب عرضه ثلاثة أصابع ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم جعلها على حاجبه الايمن حين صلى فى البيت والحجر بجوفى البيت محجورا من الركن العراقى الى الركن الشامى تحجيرا محنيا غير مرتفع قد انقطع طرفاه دون الركنين اللذين يليانه بمثل ذراعين للدخول والخروج يكون ما بين موسطه على التحجير والبيت كما بين الركنين وارتفاع التحجير نصف قامة وهو ملبس بالرخام من داخله وخارجه واعلاه وجعل بين كل رخامتين عمود من رصاص وقاع الحجر كله مفروش بالرخام ومصب الميزاب فيه وقبلتها اليه والميزاب موسط على جدار الكعبة خارجا عنها مثل أربعة أذرع فى سعته وارتفاع حيطانه ثمان أصابع ملبس ظاهره وباطنه بصفائح الذهب والصفائح مسمرة بمسامير مروسة من ذهب والبيت كله مستور الا الركن الاسود فان الاستار تفرج عنه مثل القامة و نصف واذا دنا وقت الموسم كسى القباطى وهو ديباج أبيض خراسانى فيكون بتلك الكسوة ما كان الناس محرمين فاذا حل الناس وذلك يوم النحر حل البيت فكسي الديباج الاحمر الخراسانى وفيه دارات مكتوب فيها حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه فيكون كذلك الى العام القابل ثم يكسى أيضا على حال ما وصفت فاذا كثرت الكسوة يخشى على البيت من ثقلها خفف منها فاخذ ذلك سدنة البيت وهم بنو شيبة

وذكر بعض المصريين انه حضر كشف البيت سنة خمس وستين فرأى ملاطه الزعفران واللوبان

وذكر أيضا عن بعض المكيين حديث يرفعونه الى مشايخهم انهم نظروا الى الحجر الاسود اذ هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه فقدروا طوله ثلاثة أذرع وهو ناصع البياض

فيما ذكروا الا الوجه الظاهر واسوداده فيما ذكر والله أعلم لاستلام الجاهلية اياه ولطخه بالدم والمقام بشرقي البيت على سبعة وعشرين ذراعا منه وجه المصلى خلفه مستقبل البيت الى الغرب والركن العراقى على يمينه والباب والركن الاسود على يساره وهو فيما ذكر من رآه حجر غير مربوع يكون ذراعا في ذراع وفيه أثر قدم ابراهيم عليه السلام وطول القدم مثل عظم الذراع والحجر موضوع على منبر لئلا يمر به السيل فاذا كان وقت الموسم وضع عليه تابوت حديد مثقب لئلا تناله الايدى وحول البيت كله سوارست غلاظ مربعة من حديد مذهبة ورؤسها مذهبة أيضا يوقد عليها بالليل للطائفين بين كل عمودين منها والبيت نحو ما بين المقام والبيت وزمزم بشرقى الركن الاسود بينهما مثل الثلاثين ذراعا وهي بئر واسعة تنورها من حجر مطوق أعلاه بالخشب وسقفها قبو مزخرف بالفسيفساء على أربعة أركان تحت كل ركن منها عمودان من رخام متلاصقان قد سدما بين كل ركنين منها بشرحب خشب وردالى باب من جهة المشرق وحول القبو كله مثل البرطلة وبشرقى زمزم بيت مقدر سقفه مزخرف بالفسيفساء أيضا مقفل عليه وشرقى هذا البيت بيت كبير مربع له ثلاثة اقباء وفى كل وجه منه باب وحمام المسجد كثير أنيس يكاد الانسان أن يطأه بقدمه لانسه بالناس وهو فى لون حمام الابرجة عندنا الا انه أقدر منه وليس منها حمامة تجلس على البيت ولا تطير عليه ولقد همنى ذلك فرأيتها حين تكاد أن تحاذى البيت وهى مستعلية فى طيرانها ذلك غطست حتى تصير دونه وأخذت عن يمينه أو يساره وزرقها ظاهر بارز على البيوت التى فى المسجد الا بيت الله الحرام فانه نقى ليس فيه ولا عليه أثر فسبحان معظمه ومقدسه ومطهره وتعالى علوا كبيرا وبين باب الصفا وهو بقبلى البيت والصفا الشارع وهو ببطن الوادي وبعد الشارع فناء كبير فيه الباعة ثم الصفا في أصل جبل أبى قبيس قد أحدق به البناء الا من الوجه الذى يرقى اليه منه والرقي اليها علي ثلاث درج مبنية بالصخر والواقف على الصفا مستقبل الجوف ينظر الى البيت من باب الصفا والمروة بشرقي المسجد وهى من الصفا بين المشرق والمغرب قد أحدق بها البناء أيضا الا من وجه المصعد اليها وهدم من أعلى القصور بينها وبين المسجد الحرام الزقاق الضيق فالواقف على المروة مستقبل البيت تجاه الفرجة يرى الميزاب وما اتصل به من البيت وبين الصفا والمروة ما بين باب الضاعة والمسجد الجامع

الساعى بينهما اذا هبط من الصفا يريد المروة سلك فى الشارع وهو بطن الوادى عن يمينه القصور وعن يساره المسجد ويعترضه بطن وادا اذا انصب فيه أو غسل حتى يخرج عن آخره وله علمان أخضران في جانبي الوادى أحدهما وهو الاول خلف باب الصفا لاصقا بالسور والثانى امامه بائن عن السور جعلا ليفهم بهما حد الوادى الذى يرمل فيه ﴿ ومنى ﴾ قربة بشرقى مكة تنحو الى القبلة قليلا خارجة عن الحرم على نحو الفرسخ منها وفيها بنيان وسقايات وأول مايلتقي منها الخارج من مكة اليها جمرة العقبة بعد يوم النحر أيام التشريق و بها مسجد أكبر من جامع قرطبة وهو مسجد الخيف له مما يلى المحراب أربع بلاطات معترضة سقفها من جرائد النخل وعمدها مجصصة والمنبر على يسار المحراب والباب الذى يخرج منه الامام عن يمينه وفى وسط صحن المسجد منارة وفى كل جانب منه سقيفة (والمزدلفة) وهى المشعر الحرام بين مني وعرفة وهى من مني على نحو الفرسخين مسجد مجصص لا بناء فيه الا الحائط الذي فيه المحراب والباب الذى يخرج منه الامام عن يمينه وفى وسط صحن المسجد وليس فيها ساكن ﴿ وعرفة ﴾ بشرقي مني على نحو الفرسخين منها ليس بها ساكن ولا بناء الا سقايات وقنوات يجري فيها الماء وليس بمسجدها بنيان الا الحائط الذى فيه المحراب وموقف الناس يوم عرفة بعرفة فى الجبل ومايليه مما تحته والجبل بين المشرق والجوف من مسجدها وفى الموضع الذى يقف فيه الامام ماء جار ومحراب مني وعرفة والمزدلفة الى نحو المغرب

﴿ صفة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ بلاطاته فى قبلته معترضة من الشرق الى الغرب فى كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عمودا ما بين كل عمودين منها نجوة كبيرة واسعة والعمد التي فى البلاطات القبلية بيض مجصصة شاطة جدا وسائر عمد المسجد رخام والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤسها مذهبة عليها نجف منقشه مذهبة ثم السموات على النجف وهى أيضا منقشة مذهبة وقبالة المحراب مواسطة البلاطات بلاط مذهب كله شقت به البلاطات من الصحن الى ان ينتهي الى البلاط الذى بالمحراب ولا يشقه وفي البلاط الذي يلى المحراب تذهيب كثير وفى وسطه سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب وقد أخذ وجه السور القبلي من داخل المسجد بازار رخام من أساسه الى قدر القامة منه وافى على الازار بطوق رخام فى غلظ الاصبع

ثم من فوقه ازار دونه فى العرض مخلق بالخلوق ثم فوقه ازار مثل الاول فيه أربعة عشر بابا فى صف من الشرق الى الغرب فى تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة منقشة مذهبة ثم فوقه ازار رخام أيضا فيه صفة سماوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين غليظ قدر أصبع من سور قصار المفصل ثم فوقه ازار رخام مثل الاول الاسفل الذى فيه ترسة من ذهب منقشة وبين كل ترسين منها عمود أخضر فى حافاته قضيبان من ذهب ثم فوقه ازار رخام ضيقة منقشة عرضها مثل عظم الذراع لها قضبان وأوراق من ذهب ناتئة غليظة فى وسطها مرآة مربعة ذكرانها كانت لعائشة رضى الله عنها ﴿ قبو المحراب ﴾ مقدر جدا وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها خمرية وسود وتحت القبو صفة ذهب منقشة تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل فى جمجمة الصبي الصغير مسمرة ثم تحتها الى الارض ازار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الاول عند قيامه من السجود فيما ذكر والله أعلم وعن يمين المحراب باب يدخل منه الامام ويخرج وعن يساره باب صغير مشطرج قد سد بعوارض من حديد وبين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف ﴿ والمقصورة ﴾ من السور الغربي لاصقة بالباب الى الفصل اللاصق بالسور الشرقي ومن هذا الفصل يصعد الى ظهر المسجد وهي قديمة مختصرة العمل لها شرافات وأربعة أبواب وخارج المقصورة قريب منها عن يسار المحراب سرب فى الارض يهبط فيه على درج يفضى منها الى دار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿ والمنبر ﴾ عن يمين المحراب فى أول البلاط الثالث من المحراب فى روضة مفروشة من الرخام محجوز حولها به وله درج وسمر فى أعلاه لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل مافى منابر زماننا الآن والجذع امام المنبر وشرقي المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وقبره ﴾ صلوات الله عليه وسلامه بشرقي المسجد فى آخر مسقفه القبلى مما يلى الصحن بينه وبين السور الشرقى مثل عشرة أذرع قد حظر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاثة أذرع وله ستة أركان ولبس بازار رخام أكثر من قامة ومافوق القامة مخلق بالخلوق (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر

محجور لئلا يمشي عليه والبلاطات الجنوبية والغربية أربع منتظم بعضها فوق بعض في طولها مع وجه الصحن من القبلة الى الجوف ثمانية عشر عمودا وخبايا المسجد كلها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الاربع الى مناكب العمد بخشب منقش وللمسجد ثلاث منارات اثنان للجنوب وواحدة للمشرق وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها وله ثمانية عشر بابا عتبها مذهبة وهي أبواب عظيمة لا غلق عليها أربعة منها في الجنوب وسبعة في الشرق وسبعة في الغرب وقاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر ووجه سور المسجد كله من خارج منقش بالكذان وكذلك الشرافات فينبغي للداخل في المسجد أن يأتي الروضة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها روضة من رياض الجنة فيصلى فيها ركعتين ثم ياتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ولا يلصق بالقبر فانه من فعل الجهال وقد كره ذلك فاذا فعل ما ذكر استقبل القبلة ودعا بما أمكنه بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعرفنا به ورزقنا شفاعته برحمته آمين

﴿ صفة مسجد بيت المقدس ومافيه من آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾ طول المسجد سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعا وعرضه أربعمائة ذراع وخمس وخمسون ذراعا بذراع الامام ويسرج في المسجد الف وخمسمائة قنديل وعدة مافيه من الخشب ستة آلاف خشبة وتسعمائة خشبة وعدد مافيه من الابواب خمسون بابا وعدد مافيه من العمد ستمائة وأربعة وثمانون عمودا والعمد التى داخل الصخرة ثلاثون عمودا والعمد التى خارج الصخرة ثمانية عشر عمودا وفيه الصخرة الملبسة صفائح الرصاص عليها ثلاثة آلاف صفيحة وثلثمائة واثنان وتسعون صفيحة ومن فوق ذلك صفائح النحاس مطلية بالذهب يكون عليها عشرة آلاف صفيحة ومائتان وعشر صفائح وجميع مايسرج في الصخرة من القناديل أربعمائة قنديل وأربعة وستون قنديلا بمعاليق النحاس وسلاسل النحاس وكان طول صخرة بيت المقدس في السماء اثني عشر ميلا وكان أهل اريحاء يستظلون بظلها وأهل عمواس مثل ذلك وكان عليها ياقوتة حمراء تضيء لاهل البلقاء وكان يغزل في ضوئها أهل البلقاء وفي المسجد ثلاث مقاصير للنساء طول كل مقصورة ثمانون ذراعا في عرض خمسين ذراعا وفيه من السلاسل لتعليق القناديل ستمائة سلسلة طول كل سلسلة ثمان عشرة ذراعا وفيه من غرابيل النحاس سبعون غربالا

وفيه من الصنوبر التي للقناديل سبع صنوبرات وفيه من المصاحف الجامعة سبعون مصحفا وفيه من الكبار التي في الورقة منها جلد ستة مصاحف على كراسي تجعل فيها وفيه من المحاريب عشرة ومن القباب خمسة عشر قبة وفيه أربعة وعشرون جبا للماء وفيه أربعة مناور للمؤذنين وجميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبسة صفائح مذهبة وله من الخدم بعيالاتهم مائتا مملوك وثلاثون مملوكا يقبضون الرزق من بيت مال المسلمين ووظيفته في كل شهر من الزيت سبعمائة قسط بالابراهيمي وزن القسط رطل ونصف بالكبير ووظيفته في كل عام من الحصر ثمانية آلاف ووظيفته في كل عام من المرافة لفتائل القناديل اثنا عشر دينارا ولزجاج القناديل ثلاثة وثلاثون دينارا ولصناع يعملون في سطوح المسجد في كل عام خمسة عشر دينارا

﴿ آثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس ﴾ مربط البراق الذي ركبه النبي صلى الله عليه وسلم تحت ركن المسجد وفي المسجد باب داود عليه الصلاة والسلام وباب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وباب حطة التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى وقولوا حطة وهي قول لا اله الا الله فقالوا حنطة وهم يسخرون فلعنهم الله بكفرهم وباب محمد صلى الله عليه وسلم وباب التوبة الذى تاب الله فيه على داود وباب الرحمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يعني وادى جهنم الذى بشرقي بيت المقدس وأبواب الاسباط اسباط بني اسرائيل وهى ستة أبواب وباب الوليد وباب الهاشمي وباب الخضر وباب السكينة وفيه محراب مريم ابنة عمران رضى الله عنها التي كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ومحراب زكريا الذي بشرته فيه الملائكة بيحيي وهو قائم يصلي في المحراب ومحراب يعقوب وكرسى سليمان صلوات الله عليه الذى كان يدعو الله عليه ومنارة ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الذي كان يتخلى فيه للعبادة والقبة التي عرج النبي صلى الله عليه وسلم منها الى السماء والقبة التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالنبيين والقبة التي كانت السلسلة تهبط فيها زمان بني اسرائيل للقضاء بينهم ومصلي جبريل عليه السلام ومصلى الخضر عليه السلام فاذا دخلت الصخرة فصل في ثلاثة أركانها وصل على البلاطة التي تسامى الصخرة فانها على باب من أبواب الجنة

ومولد عيسى ابن مريم على ثلاثة أميال من المسجد ومسجد ابراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلا من المدينة بحراب المسجد بغربيه

﴿ فضائل بيت المقدس ﴾ ينصب الصراط ببيت المقدس و يؤتي بجهنم نعوذ بالله منها الى بيت المقدس وتزف الجنة يوم القيامة مثل العروس الى بيت المقدس و تزف الكعبة فيجاء بها الى بيت المقدس و يقال لها مرحبا بالزائرة والمزوة و يزف الحجر الاسود الى بيت المقدس والحجر يومئذ أعظم من جبل أبي قبيس ومن فضائل بيت المقدس ان الله رفع نبيه صلى الله عليه وسلم الى السماء من بيت المقدس ورفع عيسى ابن مريم عليه السلام الى السماء من بيت المقدس و يغلب المسيح الدجال على الارض كلها الا بيت المقدس وحرم الله على يأجوج ومأجوج ان يدخلوا بيت المقدس والانبياء كلهم من بيت المقدس والابدال كلهم من بيت المقدس وأوصى آدم وموسى ويوسف وجميع أنبياء بني اسرائيل صلوات الله عليهم ان يدفنوا ببيت المقدس ﴿ نتف من الاخبار ﴾ فرج بن سلام قال حدثني سليمان بن المغيرة قال كنت أجد من أبي أيوب المرز بانى رائحة طيبة ليست برائحة شراب ولا رائحة طيب فقلت له أخبرني عن هذه الرائحة فقال عفص آمر به فيدق و ينخل فألته بقطران شامى ثم آخذ منه كل غداة على أصبعى فادلك به أسنانى وعمورها فتطيب نكهتها وتشتد لثتها وعمورها (الرياشي) قال كانوا اذا أرادوا جارية مضغت نصف جوزة وأكلتها فلا تزال طيبة النكهة سائر ليلتها (عبد الصمد بن همام) قال كتب عامل عمان الى عمر بن عبد العزيز انا أتينا بساحرة فألقيناها فى الماء فطفت على الماء فكتب اليه لسنا من الماء فى شيء ان قامت عليها بينة والا خل عنها (وقال) رجل للحسن أبا سعيد الملائكة خير أم الانبياء فقال قال الله جل ثناؤه قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك وقال لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (العتبى) قال حدثني أبو النصر عن جرير عن الضحاك قال من سمع الاذان فى بيته فقام فصلى فقد أجاب (أبو حاتم) عن العتبى قال سمى المحرم لانه جعل حراما وصفر لاصفار مكة من أهلها والربيعان للخصب فيهما والجمادان لجمود الماء فيهما من شدة البرد ورجب لترجيب العرب اسنتها وشعبان لانه شعب بين رجب ورمضان ورمضان لارماض الارض من الحر وشوال لان الابل شالت باذنابها فيه

لحمها وذو القعدة لقعودهم فيه عن الغزو ومن أجل الحج وذو الحجة للحج (الرياشي) عن محمد بن سلام عن يونس النحوي قال قال لي رؤبة وأنا أسأله عن الغريب حتى متى تسألني عن هذه الاباطيل وأذوقها لك أما ترى الشيب قد أخذ في عارضيك ولحيتك (وقال) الخليل بن أحمد أنك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجلس عند غيره (الرياشي) عن الاصمعي قال لا تكون حطمة حتى يكون قبلها ترفيق تأنى فتحطم (ومن حديث) أبي رافع عن أبي ذر قال قلت يارسول الله صلى الله عليك كم عدد النبيين قال مائة الف وأربعة وعشرون ألفا (أبو بكر بن عياش) عن العجلي عن قتادة قال طول الدنيا مائة ألف وأربعة وعشرون الف فرسخ ومن حديث عبد الله بن عمر قال العرش مطوق بحية والوحي ينزل في السلاسل ومن حديث بن أبي شيبة أن العباس بن عبد المطلب كان أقرب شحمة أذن الى السماء وكان اذا طاف بالبيت يشبه الفسطاط العظيم واذا مشى بين قوم تحسبه راكبا ومن حديث عروة بن الزبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الملائكة من نور والجان من نار وآدم من تراب (وسال) اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم متى القيامة قال له وما أعددت لها قال لا شيء والله غير اني أحب الله ورسوله قال المرء مع من أحب (زياد) عن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء (زياد) عن مالك قال اذا لم يكن في الرجل خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره واذا رأيت الرجل يستحل مال عدوه فلا تأمنه على مال صديقه (وقال بعضهم) سمعت حذيفة يحلف لعثمان في شيء بلغه عنه ماقاله ولقد سمعته يقوله فسألته عن ذلك فقال يا ابن أخي اشترى ديني بعضه ببعض لئلا يذهب كله (أخذه الشاعر فقال)

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ❊ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(زياد) عن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الغيرة من الايمان والمراء من النفاق (الاصمعي) قال سال علي بن أبي طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم كم بين الايمان واليقين قال أربع أصابع قال وكيف ذلك قال الايمان كل ما سمعته أذناك وصدقه قلبك واليقين ما رأته عيناك فايقن به قلبك وليس بين العين والاذنين الا أربع أصابع (الرياشي) قال ضرب علي كرم الله وجهه بيده زانيا فاوجعه ايجاعا شديدا فقال له عم المضروب بعض هذا الضرب فقد قتلته فقال علي رضى الله عنه انه وترمن ولدها من قبل أبيها وأمها من

النبيين والصالحين الى آدم قال الرياشي فكنت أعجب من شنعة حد الرجم فلما سمعت شنعة الذنب هان على الحد (الاصمعى) عن أبي عمرو قال دم الحيض غذاء المولود (أقبل) اعرابى الى النبي صلى الله عليه وسلم ينشد ضالة له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدتها انما المساجد لما بنيت له (الاصمعى) عن أبي عمرو قال أعرق الناس فى الخلافة عاتكة بنت يزيد بن معاوية أبوها خليفة وجدها خليفة وأخوها معاوية بن يزيد خليفة وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة وولدها يزيد بن عبد الملك خليفة وأرباؤها الوليد وسليمان وهشام خلفاء (قتادة) عن أنس بن مالك قال أمن النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة الا أربعة فانه قال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة وهم عبد العزى ابن حنظلة ومقيس بن ضباب الكندي وعبد الله بن أبي سرح وأم سارة فاما عبد العزى فانه قتل وهو متعلق باستار الكعبة وأما عبد الله بن أبي سرح فانه كان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه وشفع له عنده وأما مقيس فانه كان له أخ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل خطأ فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر لياخذ له عقله من الانصار فلما اجتمع له العقل أخذه وانصرف مع الفهري فنام الفهري فى بعض الطريق فوثب عليه مقيس فقتله ثم أقبل وهو يقول

شفى النفس من قد مات بالقاع مسندا * يضرج ثوبيه دماء الاخادع
قتلت به فهرا وأغرمت عقله * سراة بنى النجار أرباب فارع
حللت به نذري وأدركت ثؤرتى * وكنت الى الاوثان أول راجع

وأما سارة فانها كانت مولاة لقريش فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكت اليه الحاجة فاعطاها شيأ ثم أتاها رجل فبعث معها كتابا الى أهل مكة يتقرب به اليهم ليحفظ فى عياله وكان عياله بمكة فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب فلحقاها ففتشاها فلم يقدرا على شيء فاقبلا راجعين ثم قال أحدهما لصاحبه والله ما كذبنا ولا كذبنا ارجع بنا اليها فرجعا اليها فسلا سيفيهما ثم قالا لتدفعن الينا الكتاب أو لنذيقنك الموت فانكرته ثم قالت ادفعه اليكما على أن لا ترداني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلا منها ذلك فحلت عقاص رأسها وأخرجت الكتاب من قرن من قرونها فرجعا بالكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعاه اليه فدعا الرجل وقال له

ماهذا الكتاب فقال له أخبرك يارسول الله انه ليس ممن معك أحد الا وله بمكة من يحفظه في عياله غيري فكتبت بهذا الكتاب ليكافؤني في عيالي فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة (أمر) المصعب بن الزبير رجلا من بني أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدي فقال مرة

بني أسد ان تقتلوني تحاربوا * تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
ولست وان كانت الى حبيبة * بباك على الدنيا اذا ما تولت

(كان) ابن سعد الاسدي قد تولى صدقات الاعراب لعمر بن عبد العزيز واعطياتهم فقال فيه جرير يشكوه الى عمر

حرمت عيالا لا فواكه عندهم * وعند ابن سعد سكر وزبيب
وقد كان ظني بابن سعد سعادة * وما الظن الا مخطيء ومصيب
فان ترجعوا رزقي الي فانني * متاع ليال والاداء قريب
يحيي العظام الراجعات من البلى * وليس لداء الركبتين طبيب

(لما) توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان أبو خيثمة فيمن تخلف عنه فاقبل وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانها ومهدت له في ظلل حائط فقال ظل ممدود وثمرة رطبة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ماهذا بخير ثم ركب ناقته ومضى في أثره فقالوا يارسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال كن أبا خيثمة فكانه * الضح الشمس تقول العرب في أمثالها جاء فلان بالضح والريح اذا اقبل بخير كثير

﴿نتف من الطب﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم يريد ما نزعتم عن القسي ونزوتم على ظهور الخيل وانما أراد الحركة والله أعلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا (وقال بعض الحكماء) لا ينبغي للعاقل ان يخلي نفسه من ثلاث في غير افراط الأكل والمشي والجماع فاما الاكل فان الامعاء تضيق لتركه وأما المشي فان من لم يتعاهده أوشك ان يطلبه فلا يجده وأما الجماع فانه كالبئران نزحت جمت وان تركت تخثر ماؤها وحق هذا كله القصد فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم من استقل برأيه فلا يتداوى فرب دواء يورث الداء (وقالت الحكماء) اياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة (وقالوا)

مثل الدواء في البدن مثل الصابون في الثوب ينقيه ويخلقه (الاصمعى) عن رجل عن عمه قال لقيت طبيب كسري شيخا كبيرا قدشد حاجبيه بخرقة فسألته عن دواء المشى فقال سهم يرمى به فى جوفك أصاب أم أخطأ (وفى كتاب) التفصيل للهند الدواء من فوق والدواء من تحت والدواء لا من فوق ولا من تحت. تفسيره من كان داؤه فوق سرته سقي الدواء ومن كان داؤه تحت سرته حقن بالدواء ومن لم يكن له داء لا من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء ولم يحقن به وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس بم كنت تستمشين فى الجاهلية قالت بالشبرم قال حار حار ثم قالت استمشيت بالسنا قال لو ان شيا يرد القدر لرده السنا ومن حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يتذاكرون الكمأة ويقولون فيها جدري الارض فقال ان الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وهى شفاء من السم (واهدي) تميم الداري الى النبي صلى الله عليه وسلم زبيبا فلما وضعه بين يديه قال لاصحابه كلوا فنعم الطعام الزبيب يذهب النصب ويشد العصب ويطفىء الغضب ويصفي اللون ويطيب النكهة ويرضي الرب (وقال طلحة بن عبيد الله) دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى جماعة من اصحابه وفى يده سفر جلة يقلبها فلما جلست اليه دحرج بها نحوى وقال دونكها أبا محمد فانها تشد القلب وتطيب النفس وتذهب بطخاء الصدر. وقال النبي صلى الله عليه وسلم أربع من النشر شرب العسل نشرة والنظر الى الماء نشرة والنظر الى الخضرة نشرة والنظر الى الوجه الحسن نشرة (وقال عثمان ابن عفان) سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ الخمسين أمن الادواء الثلاث الجنون والجذام والبرص (ومن حديث) زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من داء الا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله ومن حديث أبي سعيد الخدري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال انزل الدواء الذى أنزل الداء ومن حديث زيد بن أسلم ان رجلا أصابه جرح فى بعض مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له رجلين من بنى انمار فقال أيكما أطب فقال له رجل من أصحابه فى الطب خير قال ان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية يسعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب يريد القسط الهندى وهو الذى تسميه العامة الكسب وقال النبي صلي الله عليه وسلم عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها دواء من كل داء الا السام يعني الشونيز (وفى مسند) ابن أبي شيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالاثمد عند النوم فانه

يحد البصر وينبت الشعر وفيه ان عبد الله بن مسعود قال عليكم بالشفاءين القرآن والعسل (الاصمعى) قال ثلاث ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم الجراد ولحوم الابل والفطر وهو الفقع (ويقول) أهل الطب ان أردأ الفطر ماينبت في ظلال الشجر ولا سيما في ظلال الزيتون فانه قتال (وقال) وهب بن منبه اذا صام الرجل زاغ بصره فاذا أفطر على الحلوى رجع اليه بصره (وأقبل) رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني كنت في الجاهلية ذا فطنة وذا ذهن وانكرت نفسى فى الاسلام فقال له أكنت تنام فى القائلة قال نعم قال فعد الى ما كنت عليه من نوم القائلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالشجرة التي كلم الله منها موسى بن عمران زيت الزيتون فادهنوا به فان فيه شفاء من الباسور (وقال) فى الزيتونة يقول الله وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (وتقول الاطباء) اذا خرج الطعام من قبل ست ساعات فهو من ضرر واذا أقام فى الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو من ضرر (دخل) المغيرة بن شعبة على معاوية فقال له معاوية انكرت من نفسى خصلتين قل طعمي ورق عظمي فان تدثرت بالثقيل اثقلني وان تدثرت بالخفيف أصابني البرد قال نعم ياأمير المؤمنين بين جاريتين سمينتين يدفيانك بشحومهما ويحملان عنك ثقل الدثار بما كبهما وأكثر من الالوان وكل من كل لون ولو لقمة فان ذلك اذا اجتمع كثيره نفع فدخل عليه بعد ذلك فقال له معاوية ياأعور قد جربنا ماقلت فوجدناه موافقا ﴿التعويذ والرقى﴾ أبو بكر ابن أبي شيبة عن عقبة عن شعبة عن أبي عصمة قال سالت سعيد بن المسيب عن تعليق التعويذ قال لاباس به (وكان) مجاهد يكتب للصبيان التعويذ ويعلقه عليهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح أعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة لم يضره عين ولا حية ولا عقرب (وفى مسند) ابن أبي شيبة ان خالد بن الوليد كان يفزع فى نومه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أخبرني جبريل ان عفريتا من الجن يكيدك فقل أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماينزل من السماء ومايعرج فيها ومن شر ماذرأ في الارض ومايخرج منها ومن شر كل ذي شر فقالهن خالد فذهب ذلك عنه (وفى مسند) ابن أبي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يصلى ذات ليلة اذ وضع يده على الارض فلدغته عقرب فتناول نعله فقتلها فلما

انصرف قال لعن الله العقرب ماتدع نبيا ولا غيره ثم دعا بماء وملح فجعله في اناء ثم صب على أصبعه منه ومسحها وعوذها بالمعوذتين (وفى مسند) ابن أبي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لارقية الا من عين أو حمة والحمة السم (سفيان بن عيينة) قال بينا عبد الله ابن مسعود جالسا تعرض عليه المصاحف اذ أقبلت اعرابية فقالت أبافلان لرجل جالس اليه لقد لدغ مهرك وتركته كانه يدور فى فلك فقم فاسترق له فقال له ابن مسعود لاتسترق له واذهب فانفث فى منخره الايمن أربعا وفى الايسر ثلاثا وقل أذهب الباس رب الناس فانه لا يذهبه الا أنت ففعل فلم يبرح حتى أكل وشرب وبال وراث (دخل) أبو بكر على عائشة وهي تشكي ويهودية ترقيها فقال لها ارقيها بكتاب الله ﴿الحجامة والكي﴾ قال عبد الله بن عباس احتجم النبي صلى الله عليه وسلم فى رأسه من اذى كان به (وفى مسند) ابن أبي شيبة ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فى رأسه فقال ما هذا قال هذا خير ماتداويتم به (وفى مسند) ابن أبي شيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير ماتداويتم به الحجامة والقسط البحرى ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم تحتجمون فيه سبع عشرة وتسع عشرة واحدي وعشرون (وفيه) انه قال ان كان فى شيء مما تعالجون به خير ففي شرطة من محجم أو لذعة من نار توافق ألما أو شربة من عسل وما أحب ان اكتوى ﴿السم والسحر﴾ فى مسند ابن أبي شيبة ان يهود خيبر أهدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الى من ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال ماحملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا أن نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك السم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم مازالت أكلة خيبر تعتادنى فهذا أوان قطع ابهرى (الليث بن سعد) عن الزهرى قال اهدى لابى بكر طعام وعنده الحرث بن كلدة طبيب العرب فاكلا منه فقال الحرث لابى بكر لقد أكلنا والله فى هذا الطعام سم سنة وانى واياك لميتان عند رأس الحول فماتا جميعا عند انقضاء السنة (وفى مسند) ابن أبي شيبة ان رجلا من اليهود سحر النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى لذلك أياما فاتاه جبريل فقال له ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا وجعلها في مكان كذا فارسل عليا رضى الله عنه فاستخرجها وجاء بها فجعل يحلها فكلما حل عقدة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة ثم قام رسول الله صلى الله

عليه وسلم كأنما نشط من عقال (وفى مسند) ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى انه قال طب رسول الله صلى الله عليه وسلم والطب السحر فبعث الى رجل فرقاه ﴿ العين ﴾ تقول العرب رجل معين اذا أخذ بالعين (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لو سبق القدر شىء لسبقته العين (وتقول) العرب ان العين تسرع بالابل الى أوصامها وبالرجال الى أسقامها (ونظر) عامر بن أبى ربيعة الى سهل بن حنيف يستحم فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخباة قال فلبط به فامر النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن أبي ربيعة ان يتوضأ له ثم يطهره بمائه ففعل فقام سهل بن حنيف كأنما نشط من عقال

﴿ أبيات فى الطب ﴾ وجدناها في كتاب فرج بن سلام

الفانخات بشيرج ملتوت * فيه شفاء للرياح مميت
يغلى اراك حلبة فى مائها * يسقيه مصطبحا وحين يبيت

﴿ وقال ﴾

ليس شىء أبقي على الجسم بالر يح من الانجدان والحروث

﴿ وقال ﴾

فى الحرف سبعون دواء وفى السكون فيما قيل ستونا
قد قاله هرمس فى كتبه * فلا تدع حرفا ولا كمونا

﴿ وقال ﴾

وسمتر بر نافع كل بلغم * وذو المرة الصفراء بالراز يانق
وذو المرة السوداء ذاك علاجه * تعاهد فصد العرق من كف حاذق
وذو الدم فليكثر لذاك حجامة * فما غيرها شىء له بموافق

﴿ وقال ﴾

لا تكن عند أكل سخن وبهر * ودخول الحمام تشرب ماء
فاذا ما اجتنبت ذلك منه * لم تخف ما حييت فى الجوف داء

﴿ وقال ﴾

ان أردت الرقاد في الليل فاجعل * قطنة عندها على الاذنين
فبه تظهر السلامة للاذ * نين مما يضر بالعينين

﴿ وقال ﴾

لا تشرب الماء بعد النوم من ظما * ولا تبت أبدا في غير منقبض
فجوف من بات من ماء ومن ثقل * ومن رياح دعا كل الى مرض

﴿ وقال ﴾

أحسن في الحمام ماء مسخنا * وليكن ذلك في البيت السخن
تسلم البطن من الداء ولا * يعتريه وجع طول الزمن

﴿ وقال ﴾

ان دخلت الحمام فاضرب على رأ * سك بالماء السخن سبع مرار
فبه تظهر السلامة من كل صداع بقدرة الجبار

﴿ وقال ﴾

لا تجامع ولا تمطى ولا تد * خل اذا ماشبعت في الحمام
فهو دفع لكل مايتقيه الـ * ـمرء من فالج وكل سقام

﴿ وقال ﴾

ما كان في الرأس اخرجه بغرغرة * فالقيء يخرج ما في الصدر من عفن
وكل ما كان في صاب فذلك لا * يسيل الا باخلاط من الحقن

﴿ وقال ﴾

على الريق في البرد احسن ماء مسخنا * وفي الصيف ماء باردا حين تصبح
وذلك فيما قيل فيه مصحة * وذاك على ادمانه الجسم يصلح

﴿ وقال ﴾

ان من باكر الغداة وبعد الـ * ـعصر منه تعاهد للعشاء
فباذن الاله يبقى صحيحا * سالما في الحياة من كل داء

﴿ وقال ﴾

ان رأس الطب ان تد * لك بالزئبق دلكا
باطن الرجلين عند النوم ينفي السقم عنكا

﴿ وقال ﴾

شجر البراغيث الكريه مشمه * يبري باذن الله من داء الحبن

﴿ وقال ﴾

ان السواك لبستحب لسنة * ولانه مما يطيب به الفم

لم تخش من حفر اذا أدمنته * وبه يسيل من اللهاة البلغم

﴿ وقال ﴾

احتجم بين كل شهرين ولتلـــف على أثره من الايام

سبعة منك لازبيب بلاعجـــم تبـديه قبل كل طعام

فهو للعـين وللهـاة وللحلـــق أمان له من الاسقام

﴿ وقال ﴾

ولا تغط الرأس في وقت ما * تخرج من الحمام واخش الضرر

ان بخـار الرأس في وقت ما * وصفتـه داء يصيب البصر

﴿ وقال ﴾

ان الجماع على الحمـام مصحة * ولذاذة تاهت على اللذات

﴿ وقال ﴾

السمك المـالح ان لم يكن * بد من الاكل له فانعم

بالطبخ واكثر زيته ثم كل * من قبل ما أدوم امن المطعم

﴿ وقال ﴾

اطل منـك الشعر في كل أربعـاء لا تدور

وليكن غسلك بالبا * ردمنـه والطهور

انه يرعن منـه * شعر الجسم الكثير

انـني طب بمـا يجـــهله الناس خبـير

(وحدث) محمد بن ابراهيم الوراق قال حدثني محمد بن عبيد الله بن الحرث بن اسحق بمصر قال حـدثنـا محمد بن داود بن ناجيـة قال حـدثنا زياد بن يونس الحضرمي عن محمد ابن هلال المدني عن أبيـه عن أبي هريرة قال جاءت امرأة الى رسول الله صـلى الله عليـه وسلم تشتـكي زوجها فقال انها تذكر كثرة الجمـاع قال يارسـول الله أفاْزني قال لا ولكن

اذا جاءنا سبي فتعال حتى نعطيك جارية فقدم عليه سبي فجاء اليه فقال له يارسول الله وعدي فقال له اختر فقال له اخترلى فقال خذ هذه فانى أراها زرقاء فلعلها قال فما لبثنا ان جاءت المرأة فقالت يارسول الله مازاده الامر الا تحددا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ماهذا فقال يارسول الله أفأزني قال لا ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك تكثر الاطلاء قال نعم قال فأقل طلاءك يقل جماعك . قال محمد قال لى ابن ناجية وأنا كما ترانى شيخ كبير قد أتى على ثمانون سنة اذا أحببت الوطء أطليت فى كل خمس عشر ليلة

﴿ الهدايا ﴾ (كتب) سعيد بن حميد الى بعض أهل السلطان فى يوم النيروز أيها السيد الشريف عشت أطول الاعمار بزيادة من العمر موصولة بفرائضها من الشكر لا ينقضى حق نعمة حتى يجدد لك أخرى ولا يمر بك يوم الا كان مقصرا عما بعده موفيا عما قبله انى تصفحت أحوال الاتباع الذين يجب عليهم الهدايا الى السادة فالتمست التأسي بهم فى الاهداء وان قصرت بى الحال عن الواجب وانى وان أهديت نفسى فهى ملك لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجدتها منك فان كنت أهديت منها شيأ لم أهد مالك اليك ونزعت الى مودتى فوجدتها خالصة لك قديمة غير مستحدثة فرأيت ان جعلتها هديتي لم أجد لهذا اليوم الجديد برا ولا لطفا ولم أمز منزلة من شكري بمنزلة من نعمتك الا كان الشكر مقصرا عن الحق والنعمة زائدة على ماتبلغه الطاقة فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية اليك والاقرار بما يجب لك برا أتوصل به اليك وقلت فى ذلك

ان اهد مالا فهو واهبه ✽ وهو الحقيق عليه بالشكر
أو أهدي شكري فهو مرتهن ✽ بجميل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغني اذا طلعت ✽ ان تستضيء بسنة البدر

(وكتب) بعض الكتاب الى بعض الملوك النفس لك والمال منك والرجاء موقوف عليك والامل مصروف نحوك فما عسى ان أهدى اليك فى هذا اليوم وهو يوم سهلت فيه العادة سبيل الهدايا للسادة وكرهت أن نخليه من سنته فنكون من المقصرين أو ان ندعى ان فى وسعنا مايفى بحقك علينا فنكون من الكاذبين فاقتصرنا على هدية تقتضي بعض الحق وتنفى بعض الحقد وقوم عندك مقام أجمل البر ولازلت أيها الامير دائم السرور

والغبطة فى أتم احوال العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الاعياد الصالحة والايام المفرحة فتخلقها وانت جديد تستقبل أمثالها فتلقاك ببهائها وجمالها وقد بعثت الرسول بالسكر لطيبه وحلاوته وتركت السفرجل لفاله والدرهم لبغائه على كل من ملكه ولا زالت حلو المزاق على أوليائك مرا على أعدائك متقدما عند خلفاء الله الذين تليق بهم خدمتك وتحسن أفنيتهم بمثلك وقد جمعنا فى هذه القصيدة ثناء ومشورة واعتذارا وتهنئة وهى

عاط فى المهرجان كأسا شمولا * وأطعني ولا تطيعن عذولا
فهو يوم قد كان آباؤك الغر يحلونه محلا جليلا
ان للصيف دولة قد تقضت * وأراك الشتاء وجها جميلا
وتجلت لك الرياض عن النو * ر فكانت عن كل شيء بديلا
فتمتع باللهو لا زلت جذلا * ن وطرف الزمان عنك كليلا
لو أجد لى هدية حين حصلـت كثيرا ملكته وقليلا
يعدل الشكر والثناء وان لم * يك شكرى لما أتيت عديلا
فجعلت الذي أطيق من الشكر علي ما عجزت عنه دليلا
يا لها من هدية تقنع المهدى اليه ولا تعني الرسولا

(وكتب) بعض الشعراء الى بعض اهل السلطان فى المهرجان هذه ايام جرت فيها العادة بالطاف العبيد للسادة وان كانت الصناعة تقصر عما تبلغه الهمة فكرهت ان أهدي فلا أبلغ مقدار الواجب فجعلت هديتى هذه الابيات وهى

ولما ان رأيت ذوى التصابى * تباروا فى هدايا المهرجان
جعلت هديتي ودا مقيما * على مر الحوادث والزمان
وعبدا حين تكرمه ذليلا * ولكن لا يعز على الهوان
يزيدك حين تعطيه خضوعا * ويرضى من نوالك بالامانى

(أهدى أبو العتاهية الى بعض الملوك نعلا وكتب معها)

نعلى بعثت بها لتلبسها * رجل بها تسمى الى المجد
لو كان يصلح ان أشركها * خدى جعلت شرا كها خدى

(وأهدى على بن الجهم كلبا وكتب)

استوص خيرا به فان له * عندي يدا لا أزال أحمدها
يدل ضيفى على فى غسق الليل اذا النار نام موقدها

(أهدى) أحمد بن يوسف ملحا مطيبا الى ابراهيم بن المهدى وكتب اليه الثقة بك سهلت السبيل اليك فاهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم (وأهدى) ابراهيم ابن المهدي الى اسحق بن ابراهيم الموصلى جراب ملح وجراب أشنان وكتب اليه لولا ان القلة قصرت عن بلوغ الهمة لانعبت السابقين الى برك ولكن البضاعة قعدت الهمة وكرهت أن تطوى صحيفة البر وليس لى فيها ذكر فبعثت بالمبتدا به ليمنه وبركته والمختوم به لطيبه ونظافته وأما ماسوي ذلك فالمعبر عنا فيه كتاب الله تعالى اذ يقول ليس على الضعفاء ولا على المرضي ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج الى آخر الآية (وكتب) ابراهيم بن المهدى الى صديق له لو كانت التحفة على حسب مايوجبه حقك لاجحف بنا أدني حقوقك ولكنه على قدر مايخرج الوحشة ويوجب الانس وقد بعث بكذا وكذا (وكتب) رجل الى المتوكل على الله وقد أهدى اليه قارورة من دهن الاترج ان الهدية ياأمير المؤمنين اذا كانت من الصغير الى الكبير كلما لطفت ودقت كانت أبهي وأحسن وكلما كانت من الكبير الى الصغير كلما عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع وأرجو ان لا يكون قصرت بي همة أصارتني اليك ولا أحرى ارشاد دلني عليك وأقول

ما قصرت همة بلغت بها * بابك ياذا النداء والكرم
حسبي بودك ان ظفرت به * ذخرا وعزا ياواحد الامم

(أهدي) حبيب بن أوس الطائي الى الحسن بن وهب قلما وكتب معه اليه هذه الابيات

قد بعثنا اليك أكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه الى ندى كفك الغمر ولا نيلك الكثير الجزيل
فاستجز قلة الهدية منى * فقليل المقل غير قليل

(ومن قولنا فى هذا المعنى وقد أهديت سلة عنب ومعها)

أهديت بيضا وسودا فى تلونها * كانها من بنات الروم والحبش
عذراء تؤكل أحيانا وتشرب احيانا فتعصم من جوع ومن عطش

﴿ وأهديت حوتين وكتبت معهما ﴾

أهديت أزرق مقرونا بزرقاء * كالماء لم يغذها شيء سوى الماء
ذكانها الاخذ ماتنفك طاهرة * بالبر والبحر أمواتا كاحياء

﴿ وأهديت طبق ورد ومعه ﴾

رياحين اهديها الريحانة المني * جنتها يد التخجيل عن حمرة الخد
وورد به حييت غرة ماجد * شمائله أذكى نسيما من الورد
ووشي ربيع مشرق اللون ناضر * يلوح عليه ثوب وشي من البرد
بعثت بها زهراء من فوق زهرة * كتركيب معشوقين خدا على خد

﴿ وكتبت على كاس ﴾

اشرب على منظر انيق * وامزج بريق الحبيب ريقي
واحلل وشاح الكعاب رفقا * واحذر على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي * اليك خلى عن الطريق

﴿ وأنشد أحمد بن أبي طاهر في هذا المعنى ﴾

ماترى في هدية من فقير * حيل ما بينه و بين اليسار
ترك المال والهدايا الى النا * س واهدى غرائب الاشعار
محكمات كانها قطع الرو * ض تحلت أنواره بالبهار

﴿ وأنشد ابن يزيد المهلبي في المعتمد ﴾

سيبقى فيك مايهدي لساني * اذا فنيت هدايا المهرجان
قصائدا تملأ الآفاق مما * أحل الله من سحر البيان

﴿ وقال آخر ﴾

جعلت فداك للنيروز حق * وأنت على أوجب منه حقا
ولو أهديت فيه جميع ملكي * لكان جميعه لك مسترقا
وأهديت الثناء بنظم شعر * وكنت لذاك مني مستحقا
لان هدية الالطاف تفنى * وان هدية الاشعار تبقى

﴿ وقال حبيب ﴾

فو الله لا انفك اهدى شواردا * اليك يحملن الثناء التجملا
ألذ من السلوى وأطيب نفحة * من المسك مفتوقا وايسر محملا

﴿ وقال مروان بن أبي حفصة ﴾

بدولة جعفر حمد الزمان * لبابك كل يوم مهرجان
جعلت هديتى لك فيه وشيا * وخير الوشى مانسج اللسان

﴿ وقال أحمد بن أبي طاهر ﴾

من الاسنة الاملاك فيما مضي * من سالف الدهر واقباله
هدية العبد الى ربه * فى جدة الدهر واجلاله
فقلت ما أهدي الى سيدي * حالى وما خولت من حاله
ان أهد نفسى فهي من نفسه * أو أهد مالى فهو من ماله
فليس الا الحمد والشكر والمدح الذي يبقى لامثاله

﴿ وقال الحمدونى وأهدى اليه السعيد بن حميد أضحية مهزولة ﴾

لسعيد شويهة * نالها الضر والعجف فتغنت وأبصرت * رجلا حاملا علف
بابي من بكفه * برء دائى من الدنف فأتاها مطعما * فأتته لتعتلف
ثم ولى فاقبلت * تتغني من الاسف ليته لم يكن وقف * عذب القلب وانصرف

(وقال) الحمدونى كتبت الى الحسن بن ابراهيم وكان كل سنة يبعث الى باضحية فتاخرت عنى سنة فكتبت اليه

سيدي أعرض عنى * وتناسى الود منى
مربي أضحي وأضحى * أخلفانى فيه ظني
لايرانى فيهما أهلا لظلف ولقرن
فتعزيت بياس * ثم ضحيت بجنى
واصطبحت الراح يوما * ثم أنشدت أغنى
لاجرم صدعني * صدعني بالتجنى

(أهدت) جارية من جواري المامون تفاحة له وكتبت اليه انى يا أمير المؤمنين لما

رأيت تنافس الرعية فى الهدايا اليك وتواتر الطافهم عليك فكرت فى هدية تخف مؤنتها وتهون كلفتها ويعظم خطرها ويجل موقعها فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت ويكمل فيه هذا الوصف الا التفاح فاهديت اليك منها واحدة فى العدد كثيرة فى التقرب وأحببت يا أمير المؤمنين ان أعرب لك عن فضلها وا كشف لك عن محاسنها واشرح لك لطيف معانيها وما قالت الاطباء فيها وتفنن الشعراء فى أوصافها حتى ترمقها بعين الجلالة وتلحظها بمقلة الصيانة فقد قال أبوك الرشيد رضى الله عنه أحسن الفاكهة التفاح اجتمع فيه الصفرة الدرية والحمرة الخمرية والشقرة الذهبية وبياض الفضة ولون التبر يلذ بها من الحواس العين ببهجتها والانف بريحها والفم بطعمها . وقال ارسطاطاليس الفيلسوف عند حضور الوفاة واجتمع اليه تلاميذه التمسوا الى تفاحة اعتصم بريحها واقضى وطرى من النظر اليها . وقال ابراهيم بن هانىء ماعلل المريض المبتلي ولا سكنت حرارة الثكلى ولا ردت شهوة الحبلى ولا جمعت فكرة الحيران ولا سكنت حنقة الغضبان ولا تحدث الفتيان فى بيوت القيان بمثل التفاح والتفاحة يا أمير المؤمنين ان حملتها لم تؤذك وان رميت بها لم تؤلمك وقد اجتمع فيها الوان قوس قزح من الخضرة والحمرة والصفرة وقال فيها الشاعر

حمرة التفاح مع خضرته * أقرب الاشياء من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح
ثم غنيني لكى تطربنى * طرفك الفتان قلبي قد جرح

فاذا وصلت اليك يا أمير المؤمنين فتناولها بيمينك واصرف اليها بغيتك وتامل حسنها بطرفك ولا تخدشها بظفرك ولا تبعدها عن عينك ولا تبذلها لخدمك فاذا طال لبثها عندك ومقامها بين يديك وخفت أن يرميها الدهر بسهمه ويقصدها بصرفه فتذهب بهجتها وتحيل نضرتها فكلها * هنيئا مريئا غير داء مخامر * والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته : وكتب العباس الهمداني الى المامون فى يوم نيروز

أهدى لك الناس المرا * كب والوصائف والذهب
وهديتي حلو القصا * ئد والمدائح والخطب
فاسلم سلمت على الزما * ن من الحوادث والعطب

فقال المامون احملوا اليه كل ما أهدى لنا فى هذا اليوم

٢٤

فرش كتاب الفريدة الثانية

﴿ في الطعام والشراب ﴾

﴿ قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ﴾ قد مضى قولنا في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان والتحف ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الطعام والشراب اللذين بهما تنمو الفراسة وهما قوام الابدان وعليهما بقاء الارواح (قال المسيح) عليه الصلاة والسلام في الماء هذا أبي وفي الخبز هذا أمي بريد انهما يغذيان الابدان كما يغذيها الابوان وهذا الكتاب جزآن جزء في الطعام وجزء في الشراب فالذي في الطعام منهما متقص جميع ما يتم ويتصرف به أغذية الطعام من المنافع والمضار وتعاهد الابدان بما يصلحها من ذلك في أوقاته وضروب حالاته واختلاف الاغذية مع اختلاف الازمنة بما لا يخلي المعدة ومالا يكظها فقد جعل الله لكل شيء قدرا والذي في الشراب منهما مشتمل على صنوف الاشربة وما اختلف الناس فيه من الانبذة ومحمود ذلك ومذمومه فانا نجد النبيذ قد أجازه قوم صالحون وقد وضعنا لكل شيء من ذلك بابا فيحتاط كل رجل لنفسه بمبلغ تحصيله ومنتهى نظره فان الرائد لا يكذب أهله

١ — أطعمة العرب — الوشيقة من اللحم وهو ان يغلي اغلاءة ثم يرفع يقال منه وشقت أشق وشقا قال الحسن بن هاني ء

حتى رفعنا قدرنا بضرامها ✻ واللحم بين موزم وموشق

والصفيف مثله ويقال هو القديد يقال صففته اصفه صفا ✻ والربيكة شيء يطبخ من بر وتمر ويقال منه ربكته اربكه ربكا ✻ والبسيسة كل شيء خلطته بغيره مثل السويق بالاقط ثم تلته بالسمن أو بالزيت أو مثل الشعير بالنوى للابل يقال بسسته أبسه بسا ✻ والعثيمة

بالعين غير معجمة طعام يطبخ ويجعل فيه جرادوهو الغثيمة أيضا * والبغيث والغليث الطعام المخلوط بالشعير فاذا كان فيه الزؤان فهو المغلوث * والبكيلة والبكالة جميعا وهي الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أوسمن أوزيت يقال بكلته أبكله بكلا * والعريقة شيء يعمل من اللبن فاذا قطعت اللحم صغارا قلت كتفته تكتيفا (أبوزيد) قال اذا جعلت اللحم على الجمر قلت حسحسته وهو ان تنسر عنه الرماد بعد ان يخرج من الجمر فاذا ادخلته النار ولم تبالغ في طبخه قلت ضهبته وهو مهضب * سميت المضيرة بذلك لانها طبخت باللبن الماضر وهو الحامض والهريسة لانها تهرس والعصيدة لانها تعصدوا للفيتة لانها تلفت * والفالوذ وهو السرطراط ومن أسماء الفالوذ أيضا السريط لانه يسترط مثل يزدرد ولا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقي يقال اعقى الشيء اشتدت مرارته * الرغيدة اللبن الحليب يغلي ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلعق لعقا * الحريرة الحساء من الدسم والدقيق * والسخينة حساء كانت تعمله قريش في الجاهلية فسميت به قال حسان

زعمت سخينة ان ستغلب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

* والعكيس الدقيق يصب عليه الماء ثم يشرب قال منظور الاسدى

ولما سقيناها العكيس تمدحت * خواصرها وازداد رشحا وريدها

﴿ أسماء الطعام ﴾ الوليمة طعام العرس. والنقيعة طعام الاملاك. والاعذار طعام الختان والخرس طعام الولادة والعقيقة طعام سابع الولادة والنقيعة طعام يصنع عند قدوم الرجل من سفره يقال انقعت انقاعا والوكيرة طعام البناء يبنيه الرجل في داره . والمأدبة كل طعام يصنع لدعوة يقال آدبت أودب ايدابا وأدبت أدبا (قال طرفة)

نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لاترى الآدب فينا ينتقر

الآدب صاحب المأدبة والجفلى دعوة العامة والنقرى دعوة الخاصة * والسلفة طعام يتعلل به قبل الغداء * والقفي الطعام الذى يكرم به الرجل يقال منه قفوته فانا اقفوه قفوا والقفاوة مايرفع من المرق للانسان قال الشاعر

ونقفي وليد الحي ان كان جائعا * ونحسبه ان كان ليس بجائع

﴿ صفة الطعام وفضله ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله سخر له

السموات والارض وكلوا اسقطة المائدة (وقال) الحسن البصرى ليس في الطعام سرف ولا قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا (وقال) الاصمعي الكبادات أربعة العصيدة والهريسة والخيس والسميذ (أبوحاتم) والسويق طعام المسافر والعجلان والحريق والنفساء وطعام من لا يشتهى الطعام (أبوخالد) عن الاصمعى قال قال أبو صوارة الارز الابيض بالسمن المسلى والسكر الطبرزد ليس من طعام أهل الدنيا (وقال) مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أكل الخبيص يزيد في الدماغ (وقال) الحسن لفرقد بلغنى انك لا تأكل الفالوذج قال يا أباسعيد أخاف ان لا أؤدى شكره قال يالكع وهل تؤدى شكر الماء البارد فى الصيف والحار فى الشتاء أما سمعت قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما كسبتم وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ماعاب هذا مسلم (وقال) رجل فى مجلس الاحنف ما شيء ابغض الى من الزيت والكمأة فقال الاحنف رب ملوم لا ذنب له (وقيل) لشريح القاضى أيهما أطيب اللوز ينق أو الجوز ينق فقال لا أحكم على غائب (وولد) لعبد الرحمن بن أبي ليلى مولود فصنع الاخبصة ودعا الناس وفيهم مساور الوراق فلما أكلوا قال مساور الوراق

من لم يدسم بالثريد سبالنا ٭ بعد الخبيص فلا هناه الفارس

(الرقاشى) قال اخبرنا أبو هفان ان رقبة بن مصقلة طرح نفسه بقرب حماد الراوية فى المسجد فقال له حماد مالك قال صريع فالوذج قال له حماد عند من فطال ما كنت صريع سمك مملوح خبيث قال عند من حكم فى الفرقة وفصل فى الجماعة قال وما أكلت عنده قال أتانا بالابيض المنضود والملوز المعقود والدليل الرعديد والماضى المردود (محمد) بن سلام الجمحى قال قال بلال بن أبي بردة وهو أمير على البصرة للجارود بن أبي بسرة الهذلى أتحضر طعام هذا الشيخ يعنى عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر قال نعم قال فصفه لى قال تأتيه فتجده مضطجعا يعنى نائما فتجلس حتى يستيقظ فيأذن لنا فنساقطه الحديث فان حدثناه احسن الاستماع وان حدثنا أحسن الحديث ثم يدعو بمائدته وقد تقدم الى جواريه وامهات أولاده ان لا يلطفه واحدة منهن الا اذا وضعت مائدته ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه فيقول ماعندك اليوم فيقول عندى كذا عندي كذا فيعدد كل ماعنده و يصفه يريد بذلك أن يحبس كل رجل

نفسه وشهوته عـلى ما يريد من الطعام وتقبل الالطاف من ههنا وههنا وتوضع على المائدة ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات جفافين من العراق فنا كل معـه حتى اذا ظن ان القوم قد كادوا يمتلؤن جثا عـلى ركبتيه ثم استأنف الاكل معهم فقال أبو بردة لله در عبد الاعلى ما أربط جاشه على وقع الاضراس (وحضر) اعرابي طعام عبـد الاعـلى فلمـا وقف الخباز بين يديه ووصف ما عنده فقال أصلحك الله أتامر غلامك يسقيني ماء فقد شبعت من وصف هـذا الخباز قال له عبـد الاعـلى يوما ما تقول يا اعرابي لو امرت الطباخ فعمل لون كذا ولون كذا قال اصلحك الله لو كانت هـذه الصفة في القرآن لكانت موضع سجود (أبو عبيدة) قال مر الفرزدق بيحيى بن المنذر الرقاشي فقال له هـل لك أبا فراس في جدي رضيع ونبيذ من شراب الزبيب قال وهـل يابى هذا الا ابن المراغة (وقال) الاخوص لجرير لما قدم المدينة ماذا ترى ان نعدلك قال شواء وطلاء وغناء قال قد اعدلك * وقال مساور الوراق في وصف الطعام

اسمع بنعتي للملوك ولا ترى * فيما سمعت كميت الاحياء
ان الملوك لهـم طعام طيب * يستأثرون به عـلى الفقراء
اني نعت لذيذ عيشي كله * والعيش ليس لذيذه بسواء
ثم اختصصت من اللذيذ وعيشه * صفة الطعام بشهوة الحلواء
فبدأت بالعسل الشديد بياضه * شهـد تباكره بماء سماء
اني سمعت لقول ربك فيهما * فجمعت بين مبارك وشفاء
أيام أنت هنـاك بين عصابة * حضر واليوم تنـم الاكفاء
لا ينطقون اذا جلست اليهـم * فيما يكون بلفظة عوراء
متنسمين رياح كل هبـوبة * بين النخيـل بغـرفة فيحاء
فقعدت ثم دعوت لي ببذرق * متشمر يسعى بغـير رداء
قذاف كميه عـلى عضلاته * قلص القميص مشمر سعاء
فاتى بخـبز كالملاء منقط * فبناه فوق أخاون السيراء
حـتى ملاها ثم ترجم عنـدها * بالفـارسية داعيا بوجاء
فاذا القصاع من الخليج لديهم * تبدو جوانبها مع الوصفاء
ارفع وضع ههنا وهاك وههنا * قصف الملوك ونهمة القراء

يأتون ثم بلون كل ظريفة * قد خالفته موائد الخلفاء
من كل ذي قرن وجدي راضع * ودجاجة مربوبة عشواء
ومصوص دراج كثير طيب * ونواهض يرنى له بهن شواء
وثريدة ملمومة قد صففت * من فوقها باطايب الاعضاء
وتزينت بتوائل معلومة * وخبيصات كالجمان نقاء
هذا الثريد وما سواه تعلل * ذهب الثريد بنهمتي وهوائي
ولقد كلفت بنعت جدى راضع * قد صنته شهرين بين رعاء
قد نال من ابن كثير طيب * حتى تفتق من رضاع الشاء
من كل أحمر لا يقر اذا ارتوى * من بين رقص دائم وثغاء
متعكن الجنبين صاف لونه * عبل القوائم من غذاء رخاء
فاذا مرضت فداوني بلحومها * اني وجدت لحومهن دوائي
ودع الطبيب ولا تثق بدوائه * ما خالفتك رواضع الاجداء
ان الطبيب اذا حباك بشربة * تركتك بين مخافة ورجاء
واذا تطمع فى دواء صديقه * لم يعد مافى جونة الرقاء
نعت الطبيب هليلجا وبليلجا * ونعت غيرها من الادواء
رطب المشاش مجزعا يؤتى به * والرازقي فماهما بسواء
وضآنيا زرقا كأن بطونها * قطع الثلوج بقبة الامعاء
ليست بآكلة الحشيش ولا التي * يبتاعها الختان فى الظلماء

٢ — باب آداب الاكل والطعام — قال النبي صلى الله عليه وسلم «الاكل فى السوق دناءة» وقال صلى الله عليه وسلم «اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ويشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» (وقال) صلى الله عليه وسلم «سموا اذا أكلتم واحمدوا اذا فرغتم» (وكان) يلعق أصابعه بعد الطعام (وقال) صلى الله عليه وسلم «الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعد الطعام ينفى اللمم» (ومن الادب) فى الوضوء ان يبدأ صاحب البيت فيغسل يده قبل الطعام ويتقدم أصحابه الى الطعام (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافى الاربعة»

(وقال) صلى الله عليه وسلم امالكوا العجين فانه أحد الريعين (وكان) فرقد يقول لاصحابه اذا أكلتم فشدوا الازار على أوساطكم وصغروا اللقم وشدوا المضغ ومصوا الماء ولا يحل أحدكم ازاره فيتسع معاه وياكل كل واحد من بين يديه (وقالوا) كان ابن هبيرة يباكر الغذاء فسئل عن ذلك فقال ان فيه ثلاث خصال أما الواحدة فانه ينشف المرة والثانية يطيب النكهة والثالثة انه يعين على المروءة قيل وكيف يعين على المروءة قال اذا خرجت من بيتي وقد تغذيت لم أتطلع الى طعام أحد من الناس ﴿البطنة وقولهم فيها﴾ قالوا البطنة تذهب الفطنة (وقال) مسلمة بن عبد الملك لملك الروم ما تعدون الاحمق فيكم قال الذي يملأ بطنه من كل ما وجد (وحضر) أبو بكر سفرة معاوية ومعه ولده عبد الرحمن فرآه يلتقم لقما شديدا فلما كان بالعشي راح اليه أبو بكر فقال له معاوية ما فعل ابنك التقامه قال اعتل قال أما والله لا يعدم العلة (ورأى) أبو الاسود الدؤلي رجلا يلقم لقما منكرا فقال كيف اسمك قال لقمان قال صدق الذي سماك (ورأى) اعرابي رجلا سمينا فقال له أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك (وقعد) اعرابي على مائدة المغيرة فجعل ينهش ويتعرق فقال المغيرة ياغلام ناوله سكينا قال الاعرابي كل امرىء سكينه في رأسه (قال) اعرابي كنت اشتهي ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات خفاقين من العراق فاضرب فيها كما يضرب الولي السوء في مال اليتيم (وقال أعرابي)

ألا ليت لي خبزا تسربل رائبا ❊ وخيلا من البرني فرسانها الزبد
فاطلب فيما بينهن شهادة ❊ بموت كريم لا يعد له لحد

(واصطحب) شيخ وحدث من الاعراب في سفر وكان لهما قرص في كل يوم وكان الشيخ مخلع الاضراس وكان الحدث يبطش بالقرص ويقعد يشكو العشق والشيخ يتضور جوعا وكان الحدث يسمي جعفرا فقال الشيخ فيه

لقد رابني من جعفر ان جعفرا ❊ يطايش بقرصي ثم يبكي على جمل
فقلت له لو مسك الحب لم تبت ❊ بطينا وانساك الهوى شدة الاكل

(الاصمعي) قال تقول العرب في الرجل الاكول انه برم قرون البرم الذي ياكل مع الجماعة ولا يجعل شيأ والقرون الذي ياكل تمرتين تمرتين وياكل أصحابه تمرة تمرة وقد نهي

النبي صلى الله عليه وسلم عن القران (وكان) عبـد الله بن الزبير اذا قدم التمر الى أصحابه قال عبد الله بن عمر اياكم والقران فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه (قيل) لبسرة الاحول كم تاكل كل يوم قال من مالى أو من مال غيرى، قيل له من مالك قال مكوك قيل فمن مال غيرك قال أخبزوا واطرحوا (وقال) رجل من العراق فى قينة حفص الكاتب

قينة حفص ويلها * فيها خصال عشره
أولها ان لها * وجها قبيح المنظره
ودارها فى وهدة * أوسع منها القنطره
تاكل فى قعدتها * ثورا وتخرى بقره

(وقال أبو اليقظان) كان هلال بن سعد التميمي أكولا فيزعمون انه أكل جملا وأكلت امرأته فصيلا فلما أراد ان يجامعها لم يصل اليها فقالت له وكيف تصل الى وبيني وبينك بعيران (وكان) الواثق واسمه هرون بن محمد بن هرون أكولا وكان مفتونا بحب الباذنجان وكان ياكل فى أكلة واحدة أربعين باذنجانة فاوصى اليه أبوه وكان ولى عهده ويلك متى رأيت خليفة أعمي فقال للرسول أعلم أمير المؤمنين أني تصدقت بعيني جميعا على الباذنجان (وكان) سليمان بن عبد الملك من الاكلة حدث عنه العتبى عن أبيه عن الشمردل وكيل عمرو بن العاص قال لما قدم سليمان الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه بستانا لعمرو بن العاص فجال فيه ساعة ثم قال ناهيكم بما لكم هذا مالا ثم أتي صدره على غصن وقال ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني قال بلى ان عندي جديا كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخري قال عجل فاتيته به كانه عكة سمن فاكله وما دعا عمرو ولا ابنه حتي اذا بقى الفخذ قال هلم أبا حفص قال اني صائم فاتى عليه ثم قال ويلك ياشمردل ماعندك شيء تطعمني قال بلى والله عندي خمس دجاجات هنديات كانهن رئلات النعام قال فاتيت بهن فكان ياخذ برجلى الدجاجة فيلقى عظامها بفيه حتي أتى عليهن ثم قال ياشمردل ماعندك شيء تطعمنى قلت بلى والله ان عندى حريرة كانها قراضة الذهب فقال عجل بها فاتيته بعس تغيب فيه الرأس فجعل يلا فيها بيده ويشرب فلما فرغ تجشأ فكانما صاح فى جب ثم قال ياغلام أفرغت من غدائى قال نعم قال وما هو قال ثمانون قدرا قال ائتني بها قدرا قدرا قال فاكثر ما أكل من كل قدر ثلاث لقم

وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه ثم أذن للناس ووضعت المائدة وقعد فأكل مع الناس فما أنكرت من أكله شيا (وقال الاصمعى) كنت يوما عند هرون الرشيد فقدمت اليه فالوذجة فقال يا أصمعى قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال حدثني بحديث مزود أخى سماح قلت نعم يا أمير المؤمنين ان مزودا كان رجلا جشعا نهما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد عليه وكان ذلك مما يضربه و يحفظه فذهبت يوما فى بعض حقوق أهلها وخلفت مزودا في بيتها ورحلها فدخل الخيمة فاخذ صاعين من دقيق وصاعا من عجوة وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض فأكله ثم أنشأ يقول

ولما مضت أمى تزور عيالها * أغرت على العكم الذى كان تمنع
خلطت بصاعى حنطة صاع عجوة * الى صاع سمن فوقه يتربع
وذبلت أمثال الاثافى كأنها * رؤس رجال قطعت لاتجمع
وقلت لبطنى أبشري اليوم انه * حمي آمن مما تفيد وتجمع
فان كنت مصفورا فهذا دواؤه * وان كنت غرثانا فذا يوم تشبع

قال فاستضحك هرون حتى أمسك واستلقى على ظهره ثم قعد فمد يده وقال خذ فذا يوم تشبع يا أصمعى (وقال حميد) الارقط وهو الذى هجا الاضياف يصف أكل الضيف

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت * و بين أخرى قيد أظفور

﴿ وقال أيضا ﴾

يجهز كفاه و يحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل
أتانا وما سواه سحبان وائل * بيانا وعلما بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العى لما ان تكلم باقل

﴿ وقال ﴾

لا أبغض الضيف مابي حل ما كله * الا بنفخته حولى اذا قعدا
مازال ينفخ جنبيه وحبوته * حتي أقول لعل الضيف قد ولدا

﴿ وقال ﴾

لا مرحبا بوجوه القوم اذ نزلوا * دسم العمائم تحكيها الشياطين

الفيت جلتا شطر بن بيهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين
فاصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى تلقى المساكين

(أبو الحسن) المدائني قال أقبل نصرانى الى سليمان بن عبد الملك وهو بدابق بسلين أحدهما مملوء بيضا والآخر مملوء تينا فقال أقشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ثم أتوه بقصعة مملوءة مخا بسكر فأكله فاتخم ومرض فمات (والأكلة) كلهم يعيبون الحمية ويقولون الحمية احدى العلتين (وقالوا) من احتمى فهو على يقين من المكروه وهو فى شك من العافية (وقالوا) الحمية للصحيح ضارة وللعليل نافعة

﴿الحمية وقولهم فيها﴾ قيل لبقراط مالك تقل الاكل جدا قال انى انما آكل لأحيا وغيرى يحيا ليأكل (وأجمعت الاطباء) على أن رأس الداء كله ادخال الطعام على الطعام (وقالوا) احذروا ادخال اللحم على اللحم فانه ربما قتل السباع فى القفر وأكثر العلل كلها انما يتولد من فضول الطعام والحمية ماخوذة عن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صهيبا يأكل تمرا وبه رمد فقال أتاكل تمرا وأنت أرمد (ودخل) على على رضى الله عنه وهو عليل وبيده عنقود عنب فنزعه من يده وقال عليه الصلاة والسلام لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم (وقيل) للحرث بن كلدة طبيب العرب ما أفضل الدواء قال الازم يريد قلة الاكل (ومنه) قيل للجاعة الازمة وللكثير ازمات (وقيل) لآخر ما أفضل الدواء قال ان ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه (أبو الاشهب) عن أبى الحسن قال قيل للمنذر بن جندب ان ابنك ذا أكل طعاما كظه حتى كاد أن يقتله قال لو مات ما صليت عليه (ودعا) عبد الملك بن مروان رجلا الى الغداء فقال ما فى فضل يا أمير المؤمنين قال لا خير فى الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل (وقال الاحنف بن قيس) جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام فانى أبغض الرجل يكون وصافا لبطنه وفرجه (وقيل) لبعض الحكماء أي الادواء أطيب قال الجوع ما القيت عليه من شىء قبله (وقال) رجل من أهل الشام لرجل من أهل المدينة عجبت منكم أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا ومجانينكم أظرف من مجانيننا قال أو تدرى من أين ذلك قال لا أدرى قال من الجوع ألا ترى ان العود انما صفا صوته لما خلا جوفه (وقال الجاحظ) كان أبو عثمان الثوري يجلس ابنه معه ويقول له اياك يا بني ونهم الصبيان وأخلاق النوائح ونهش الاعراب وكل مما يليك واعلم أنه اذا كان فى الطعام لقمة كريمة أو مضغة شهية او شيء مستظرف فانما ذلك للشيخ المعظم أو للصبي المدلل ولست بواحد منهما وقد قالوا ادمن اللحم كمدمن الخمر أى بني عود نفسك الاثرة ومجاهدة

الهوي والشهوة ولا تنهش نهش السباع ولا تخضم خضم البراذين ولا تدمن الا كل ادمان النعاج ولا تلقم لقم الجمال فان الله جعلك انسانا فلا تجعل نفسك بهيمة واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة فقد قال بعض الحكماء اذا كنت نهما فعد نفسك من الزمني واعلم ان الشبع داعية الى البشم والبشم داعية الى السقم والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة لانه قاتل نفسه وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره أى بني والله ماأدى حق الركوع والسجود ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة والصوم مصحة والوجبات عيش الصالحين اى بني لامر ماطالت أعمار الهند وصحت ابدان العرب ولله در الحرث ابن كلدة اذ زعم ان الدواء هو الازم فالداء كله من فضول الطعام فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة أى بني لم صار الضب أطول عمرا الا انه يبتلع النسيم ولم قال الرسول عليه الصلاة والسلام ان الصوم وجاء الا انه جعله حجابا دون الشهوات فافهم تاديب الله عز وجل وتاديب رسوله عليه الصلاة والسلام أى بني قد بلغت تسعين عاما مانقص لى سن ولا انتشر لى عصب ولا عرفت دنين انف ولا سيلان عين ولا سلس بول مالذلك علة الا التخفيف من الزاد فان كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وان كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك

﴿ سياسة الابدان بما يصلحها ﴾ قال الحجاج بن يوسف ليتذادون طبيبه صف لى صفة آخذ بها فى نفسى ولا أعدوها قال له لا تتزوج من النساء الا شابة ولا تأكل من اللحم الا فتيا ولا تأكله حتى تنعم طبخه ولا تشرب دواء الا من علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكل طعاما الا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام واشرب عليه فاذا شربت فلا تأكل ولا تحبس الغائط ولا البول واذا أكلت بالنهار فنم واذا أكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة (وسئل) يهود خيبر بم صححتم على وباء خيبر قالوا باكل الثوم وشرب الخمر وسكون البقاع وتجنب بطون الاودية والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه (وقال قيصر) لقس بن ساعدة صف لى مقدار الاطعمة فقال الامساك عن غاية الاكثار والبقية على البدن عند الشهوة قال فما أفضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما أفضل العقل قال وقوف الانسان عند علمه (وسال) عبد الملك بن مروان أبا المغور هل اتخمت قط قال لا قال وكيف ذلك قال لانا اذا طبخنا

أنضجنا واذامضغنا دققنا ولا نكظ المعدة ولانخليها (وقيل) لبزرجمهر أى وقت فيه الطعام أصلح قال امالمن قدر فاذاجاع ولمن لم يقدر فاذا وجد (وقال) أربع تهدم العمر وربما قتلن الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء واكل القديد الحار وشرب الماء البارد على الريق (وقال ابراهيم النظام) ثلاثة اشياء تفسد العقل طول النظر فى المرآة والاستغراق فى الضحك ودوام النظر فى البحر (الاصمعى) قال جمع هرون من الاطباء أربعة عراقيا وروميا وهنديا ويونانيا فقال ليصف لى كل واحد منكم الدواء الذى لاداء معه فقال العراقى الدواء الذى لا داء معه حب الرشاد الابيض وقال الهندى الهليلج الاسود وقال الرومى الماء الحار وقال اليوناني وكان اطبهم حب الرشاد الابيض يولد الرطوبة والماء الحار يرخى المعدة والهليلج الاسود يرق المعدة لكن الدواء الذى لاداء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه

﴿ تدبير الصحة ﴾ ثم نذكر بعد هذا من وصف الطعام وحالاته وما يدخل على الناس من ضروب آفاته بابا فى تدبير الصحة التى لا تقوم الابدان الا به ولا تنمي النفوس الا عليه وقد قال الشافعي العلم علمان علم الاديان وعلم الابدان ولم نجد بدا اذا كانت جملة هذه المطاعم التي بها نمو الفراسة وعليها مدار الاغذية تضر فى حالة وتنفع في أخرى من ذكر ماينفع منها ومقدار نفعه ومايضر منها ومبلغ ضره وان نحكم على كل ضرب منها بالاغلب عليه من طبائعه وقلما نجد شيا ينفع فى حالة الا وهو ضار فى الاخرى ألا ترى ان الغيث الذى جعله الله رحمة لخلقه وحياة لارضه قد يكون منه السيول المهلكة والخراب المخيف وان الرياح التي سخرها الله مبشرات بين يدي رحمته قد أهلك بها قوما وأنتقم من قوم (وفى هذا المعنى قال حبيب الطائى)

ولم تر نفعا عند من ليس ضائرا ✽ ولم تر ضرا عند من ليس ينفع

(قال خالد بن صفوان) لخادمه أطعمنا جنبا فانه يشهى الطعام ويهيج المعدة وهو حمض العرب قال ماعندنا منه شيء فقال لاباس عليك فانه يقدح الاسنان ويشد البطن (ولما) كانت أبدان الناس داعية التحلل لمافيها من الحرارة الغريزية من داخل وحرارة الهواء المحيط بها من خارج احتاجت الى ان يخلف عليها ماتحلل واضطرت لذلك الى الاطعمة والاشربة وجعلت فيها قوة الشهوة ليعلم بها وقت الحاجة منها اليها ومقدار

ما يتناول منها والنوع الذي يحتاج اليه ولانه لا يخلف الشيء الذى يتحلل ولا يقوم مقامه الامثله وليس تستطيع القوة التي تحيل الطعام والشراب فى بدن الانسان ان تحيل الا ماشا كل البدن وقاربه فاذا كان هذا هكذا فلا بد لمن أراد حفظ الصحة أن يقصد لوجهين أحدهما أن يدخل على البدن الاغذية الموافقة لما يتحلل منه والاخرى ان ينفى عنه ما يتولد فيه من فضول الاغذية

﴿ ما يصلح لكل طبيعة من الاغذية ﴾ وينبغي لك أن تعرف اختلاف طبائع الابدان وحالاتها لتعرف بذلك موافقة كل نوع من الاطعمة لكل صنف من الناس وذلك أن الاغذية مختلفة منها معتدله كالتي يتولد منها الدم الخالص النقي ومنها غير معتدلة كالتي يتولد منها البلغم والمرة الصفراء والسوداء والرياح الغليظة ومنها لطيفة ومنها غليظة ومنها ما يتولد عنه كيموس لزج وكيموس غير لزج ومنها ماله خاصة منفعة أو مضرة فى بعض الاعضاء دون بعض وكذلك الابدان أيضا منها معتدل مستول عليه فى طبيعته الدم الخالص النقي ومنها غير معتدل يغلب عليه البلغم أو احدى المرتين ومنها متخلخل سريع التحلل ومنها مستحصف عسر التحلل ومنها ما يكون فى بعض أعضائها دون بعض فقد يجب متى كان المستولى على البدن الدم النقي أن تكون أغذيته قصدا فى قدرها معتدلة فى طبائعها ومتى كان الغالب عليه البلغم فيجب أن تكون مسخنة وانما يغتذى بما يدفى الحرارة ويقمع فى الرطوبة ومن كان الغالب عليه المرة السوداء فينبغي له أن يغتذى بالاغذية الحارة الرطبة ومن كان الغالب عليه المرة الصفراء فيغتذى بالاغذية الباردة الرطبة ومن كان بدنه مستحصفا عسر التحلل فينبغي أن يغتذي باغذية يسيرة لطيفة جافة ومتي كان متخلخلا فينبغي له أن يغتذى باغذية لزجة لكثرة ما يتحلل من البدن فهذا التدبير ينبغي ان يلتزم مالم يكن فى بعض أعضاء البدن فينبغى ان يستعمل النظر فى الاغذية الموافقة للعضو الالم لانا ربما اضطررنا الى استعمال ما يوافق العضو الالم وان كان مخالفه لسائر البدن كما أنه لو كانت الكبد باردة ضيقه المجارى احتجنا الى استعمال الاغذية اللطيفة وتجنب الاغذية الغليظة وان كان سائر البدن غير محتاج اليها لضعف أو نحافة لئلا تحدث الطبيعة فى الكبد سددا وربما كانت الكبد حارة فتحذر الاغذية الحلوة وان احتاج اليها بسرعة استحالتها الى المرة الصفراء وربما كانت المعدة ضعيفة فتحتاج الى

مايقويها من الاغذية وربما كان يولد الطعام فيها بلغما فتحتاج الى مايجلوها و يقطعه وربما كان يتولد فيها المرة الصفراء سريعا فتحتاج الى مايقمع الصفراء والى تجنب الاشياء المولدة لها وربما كان الطعام يبقى على رأس المعدة طافيا فيستعمل الاغذية الغليظة الراسبة لينتقل بثقلها الى أسفل المعدة وتامره بحركة يسيرة بعد الطعام لينحط الطعام عن رأس المعدة وربما كان فضل الطعام بطيء الانحدار عن المعدة والامعاء فتحتاج الى ما يحضره و يلين البطن وربما كان رأس المعدة حارا قابلا للحار فيتجنب الاغذية الحارة وان احتاج اليها سائر البطن

﴿ الحركة والنوم مع الطعام ﴾ وينبغى أن لا نقتصر على ماذكرنا دون النظر فى مقدار الحركة قبل الطعام والنوم بعده فمتى كانت الحركة قبل الطعام كثيرة غذيناه باغذية غليظة لزجة الى اليبس ما هي بطيئة التحلل ولم نأمره بالحمية لقلة الحاجة اليها ومتى لم تكن قبل الطعام حركة أو كانت يسيرة فينبغي ان لا يقتصر علي الحمية بقلة الطعام ولطافته دون أن يستعين على تخفيف مايتولد فى البدن من الفضول باستفراغ الأدوية المسهلة وبالحمام و باخراج الدم ومتى كانت الحركة كافية استعملنا الاغذية المعتدلة فى كثرتها وقدر لطافتها وغلظها ومتى كان النوم بعد الطعام كثيرا احتجنا الى استعمال اغذية كثيرة غزيرة بالغذاء لطول الليل وكثرة النوم ومتى كان النوم قليلا احتجنا الى الطعام القليل الخفيف اللطيف كالذى يغتذى به في الصيف لقصر الليل وقلة النوم

﴿ تقدير الطعام ومايقدم منه ومايؤخر ﴾ ويجب فى الطعام أن يقدر فيه أربعة انحاء أولها ملايمة الطعام لبدن المغتذى به فى الوقت الذى يغتذى به فيه كما ذكرنا أيضا انه متي كان الغالب على البدن الحرارة احتاج الى الاغذية الباردة ومتى كان الغالب عليه البرد احتاج الى الاغذية الحارة ومتى كان معتدلا احتاج الى الاغذية المعتدلة المشاكلة له

والنحو الثاني تقدير الطعام بان يكون على مقدار قوة الهضم لانه وان كان فى نفسه محمودا وكان ملايما للبدن وكان أكثر من قدر احتمال قوة الهضم ولم يستحكم هضمه تولد منه غذاء رديء

والنحو الثالث تقديم ماينبغي ان يقدم من الطعام وتأخير ماينبغى ان يؤخر منه ومثل ذلك انه ربما جمع الانسان فى أكلة واحدة طعاما يلين البطن وطعاما يحبسه فان هو قدم الملين واتبعه الآخر سهل انحدار الطعام منه ومتي قدم الطعام الحابس وأتبعه الملين

لم ينحدر وفسد اجميعا وذلك ان الملين حال فيما بينه و بين نزول الطعام الحابس فبقى فى المعدة بعد انهضامه فيفسد به الطعام الآخر ومتى كان الطعام الملين قبل الحابس انحدر الملين بعد انهضامه وسهل الطريق لانحدار الحابس وكذلك أيضا لو جمع أحد فى أكلة واحدة طعاما سريع الانهضام وآخر بطىء الانهضام فينبغى له ان يقدم البطىء الانهضام ويتبعه السريع الانهضام ليصير البطيء الانهضام فى قعر المعدة لان قعر المعدة أسخن وهو أقوى على الهضم لكثرة ما فيه من اجزاء اللحم المخالطة له وأعلى المعدة عصبي بارد لطيف ضعيف الهضم ولذلك اذا طفا الطعام على رأس المعدة لم ينهضم

والنحو الرابع ان يتناول الطعام الثانى بعد انحدار الاول وقد قدم قبله حركة كافية واتبعه بنوم كاف استمراءه ومن اخذ الطعام وقد بقي فى معدته او امعائه بقية من الطعام الاول غير منهضمة فسد الطعام الثانى ببقية الاول

٣ — باب الحركة والنوم مع الطعام — ومن أكل الطعام بعد حركة كافية وأخذه على حاجة من البدن اليه وافى الطعام الحركة الغريزية قد اشتعلت ومن تناول طعاما من غير حركة وأخذه مع غير حاجة من البدن اليه وافى الطعام الحركة الغريزية خامدة بمنزلة النار الكامنة في الزناد ومن اتبع الطعام بنوم بطنت الحرارة الغريزية فيه فاجتمعت فى باطن البدن فهضمت طعامه ومن اتبع الطعام بحركة انحدر عن معدته غير منهضم وانبث فى العروق غير مستحكم فاحدث سددا وعللا فى الكبد والكلى وسائر الاعضاء وربما كانت الاطعمة تضعف المعدة تطفو فيها وتصير فى أعلاها فلا نامره بالنوم حتي ينحدر الطعام عن المعدة بعض الانحدار و يصير فى قعر المعدة وربما أمرنا بحركة يسيرة كما ذكرنا آنفا لانحدار الطعام عن المعدة بعد الانحدار وان أكثر الشراب منع الطعام من الانهضام لانه يحول فيما بين جرم المعدة و بين الطعام واذا لم تلق المعدة الطعام لم تحله الى مشاكلة البدن وموافقته فيبقى فيها غير منهضم فيجب لذلك على من أخذ الطعام ان يتناول معه من الشراب ما يسكن به حر العطش ويصبر على قدر احتماله من العطش ويصبر حتي ينهضم ثم يتناول بعد ذلك من الشراب ما أحب فانه بعد ذلك يعين على انحدار الطعام وترقيقه لتنفيذه في المجارى الدقاق ويجب أيضا ان يكون أخذه فى وقت حركة الشهوة وذلك انه اذا تحركت الشهوة ولم يبادر باخذ الطعام اجتذبت

المعدة من فضول البدن ما اذا صار فى المعدة أبطل الشهوة وافسد الطعام اذا خالطه

﴿ الاوقات التي يصلح فيها الطعام ﴾ أجود الاوقات كلها للطعام الاوقات البـاردة لجمعها الحرارة فى باطن البدن فاما الاوقات الحارة فينبغى أن يجتنب أخذ الطعام فيها لان حرارة الهواء تجذب الحرارة الباطنة الغريزية الى ظاهر البدن ويخلو منها باطنـه فتضعف الحرارة فى باطنه عن هضمه فلذلك كانت القدماء تفضل العشاء على الغـداء لما يلحق العشاء من اجتماع الحرارة فى باطن البدن لبرد الليل والنوم ولان الحراة فى النوم تبطيء وتسخن باطن البدن ويبرد ظاهره واليقظة على خلاف ذلك لان الحرارة تنتشر فى ظاهر البـدن وتضعف فى باطنه والذي يحتاج الى كثرة الغذاء من الناس من كان الغالب على بدنه الحرارة وكانت معدته لحرارتها سريعة الانهضام وكانت كبده لحرارتها سريعة التوليد للمرة الصفراء فلذلك يحتاج الى الاطعمة الغليظة البطيئة الانهضام ويستمرئها ويستمريء لحم البقر ولا يستمرى لحم الدجاج وما أشبهه من الاطعمة الخفيفة ولا يصلح شيء من هذه الا فى وقت تحرك الشهوة فانه أفضل وقت يؤخذ فيه الطعام وللعادة فى هـذا حظ عظيم ألا ترى انه من اعتاد الغـداء فتركه واقتصر على العشاء عظم ضرر ذلك عليه ومن كانت عادته اكلة واحدة فجعلها اكلتين لم يستمريء طعامه ومن كانت عادته ان يجعل طعامه فى وقت من الاوقات فنقـله الى غـير ذلك الوقت أضر ذلك به وان كان قد نقـله الى وقت محمود فيجب لذلك ان يتبـع العـادة اذا تقادمت فطالت وان كانت ليست بصـواب اذا لم يجـد شيا أضطره الى نقـله لان العـادة طبيعة ثانيـة كما ذكر الحكيم ابقراط فان حدث شيء يدعو الى الانتقال عنهـا فاوفق الامور فى ذلك ان ينقل عنها قليلا قليلا وللشهوة أيضا فى استمراء الطعام أعظم الحظ لانها دليل على الموافقة والملايمة فمتي كان طعامان متساويان فى الجودة وكانت شهوة المحتاج اليهما الى أحدهما أميل رأينا ايثار المشتهي على الآخر لانه أوفق للطبيعة وأسهل عليها فى الاستمراء ومتى كان أحـدهما اجود من الآخر وكانت شهوة المحتـاج اليهما أميـل الى أردئهما اخترناه على الاجود اذا لم نخف منه ضرر الكثير ما ينال منه من المنفعة لقبول المعدة له واستمرائها اياه فقـد بان انه يحتـاج فى حال الاغـذية وجود تخير الاطعمة الى معرفة اختـلاف الطبـائع وحالاتها فقد بينت اختـلاف طبائع الابدان وحالاتها وما يجب على كل واحدة منها من انواع الاطعمة والاشربة وبقى أن نبـين اختـلاف قوى الاطعمة والاشربة وان أصفا انواع الاغـذية واسمي ما فى كل صنف منهـا ان شاء الله تعـالى

﴿ الاطعمة اللطيفة ﴾ هي التي يتولد منها دم لطيف فمنها لباب خبز الحنطة والحب المغسول ولحم الفراريج ولحم الدراج والطيهوج والحجل وفراخ الحجل وأجنحة الطيور وما لان لحمه من صغار السمك ولم تكن فيه لزوجة والقرع والماش وما أشبهه وهذا الجنس من الاطعمة نافع لمن ليست له حركة وكانت الحرارة الغريزية في بدنه ضعيفة ولم يأمن ان يتولد في بدنه كيموس غليظ ويتولد في كبده أو طحاله سدد أو في كلاه أو في صدره أو في دماغه أو في شيء من مفاصله من البلغم

﴿ الاطعمة اللطيفة في نفسها الملطفة لغيرها ﴾ هي التي يكون ما يتولد منها لطيفاً ويلطف ما يلقاه من الكيموس اللزج الغليظ في البدن وهذا الجنس من الاطعمة أربعة أصناف صنف منها حلو لطيف لما فيه من قوة الجلاء مثل ماء الشعير والبطيخ والتين اليابس والجوز والعسل والفستق وما يعمل منه من الناطف وهذا الجنس في منفعته من جنس الاول من الاطعمة اللطيفة الا انه ابلغ في تلطيف البدن والصنف الثاني حار حريف كالحرف والثوم والكراث والكرفس والكرنب والصعتر والنعنع والرازيانج والشراب الاصفر اللطيف العتيق الحار وهذا كله نافع لمن احتاج الى فتح السدد التي في الكبد والطحال والصدر والدماغ وتقطيع البلغم وترقيقه ولا ينبغي لاحد ان يكثر استعماله لانه يرقق الدم أولاً ويصيره مائياً فيقل لذلك غذاء البدن ويضعف ثم انه يسخن البدن سخونة مفرطة فيصير أكثره مرة صفراء ثم انه بعد ذلك اذا تمادي مستعمله في استعماله حلل لطيف الدم وترك غليظه فصار أكثره مرة سوداء وربما تولد من ذلك حجارة في الكلي ومضرة هذا الصنف أشد ما تكون على من كانت المرة الصفراء غالبة عليه والصنف الثالث يذهب ويلطف بملوحته كالمري وما لان لحمه وقل شحمه من السمك اذا ملح والسلق وماء الجبن وكل ما جعل فيه من الاطعمة الملح والمري والبورق ومنافع هذا الصنف ومضاره قريبة من منافع الاشياء الحريفة ومضارها الا ان هذا الصنف في تنقية المعدة والامعاء وتليين الطبيعة أبلغ والصنف الرابع يقطع ويلطف بحموضته كالخل والسكنجبين وحماض الاترج وماء الرمان الحامض وكل ما يتخذ بها من الاطعمة وهذا الصنف نافع لمن كانت معدته وسائر بدنه حاراً اذا تولد فيه بلغم من غلظ ما يتناول من الاغذية ومن كثرتها

﴿ الاطعمة الغليظة في نفسها الملطفة لغيرها ﴾ منها البصل والجزر والفجل والسلجم وما أشبه ذلك فهذه الاطعمة في نفسها غليظة وتلطف ما تلقي من الشيء الغليظ بما فيها

من الحدة والحرافة وهى تولد كيموسا غليظا ومتى ماطبخ شىء منها أوشوي ذهب عنه قوة الحرافة والتقطيع و بقى جرمه غليظا رديئا وقد يتناول المنفعة بتقطيع هذه الاطعمة وتلطيفها و يسلم من غلظ جرمها على احدى ثلاث جهات اما ان تطبخ فتلطف كالذى يفعل بالبصل واما ان تعصر أوتطبخ ثم يستعمل ماؤها واما ان تؤكل نيئة فتقطع البلغم كالذى يفعل بهما جميعا

﴿ الاطعمة الغليظة ﴾ الغالب على الاطعمة الغليظة كلها اليبس واللزوجة فمنها شىء يكون اليبس واللزوجة من طبعه ومنها مايكتسب اليبس من غيره فالذى يكون اليبس من طبعه العدس ولحم الارانب والبلوط والشاه بلوط والكمأة والباقلا المقلو هذه كلها غليظة لان اليبس فى طبائعها واما الذى يكتسب اليبس من غير فالكبود والبيض المصلوق والمشوي وماقلى واللبن المطبوخ طبخا كثيرا والضروع وعضير العنب المطبوخ لاسيما ان كان العصير غليظا فهذه كلها غليظة لان الحرارة بالطبخ احدثت لها يبسا وانعقادا وأما لحوم الابل ولحوم التيوس ولحوم البقر والكروش والامعاء فانها غليظة بصلابتها وكذلك الترمس وثمر الصنوبر والسلجم واللوبيا وماخبز على الفرن فان ظاهره غليظ لما احدثت له النار من اليبس وباطنه غليظ لما فيه من اللزوجة وكذلك كل مالم يجد عجنه أوخبزه أوانضاجه من خبز التنور وكل ماخبز على الطابق بدهن أوغيره والفطير والشهد واللبن والادمغة فانها كلها غليظة اللزوجة فيها طبيعية وأما الفالوذج فانه غليظ للزوجته والانعقاد الحادث له من الطبخ وأما الباذنجان فانه غليظ لليبس وللزوجة فى طبعه وأما الخبز فانه غليظ لاجتماع الحالات الثلاث فيه فاما السمك الصلب اللزج فانه غليظ لاجتماع الصلابة واللزوجة فيه وأما الآذان والشفاه وأطراف العضو فانها تولد كيموسا لزجا ليس بالغليظ وقد تولد مما يعرض من الاغذية الباردة عن هضمها وتلطيفها كالذى يعرض من أكل الفاكهة قبل نضجها ومن أكل الخيار والقثاء وشحم الاترج واللبن الحامض فهذه الاطعمة الغليظة كلها ان صادفت بدنا حارا كثير التعب قليل الطعام كثير النوم بعيد الطعام انهضمت وغذت البدن غذاء كثيرا نافعا وقوته تقوية كثيرة واحمد ماتستعمل هذه الاغذية فى الشتاء لاجتماع الحرارة فى باطن البدن وطول النوم ومتى أحس أحد فى نومه نقصانا بينا وأكلها من يجد الحرارة فى بدنه قليلة ولاسيما فى معدته وتعبه قليل و نومه بعد الطعام قليل لم يستحكم انهضامها وتولد منها فى البدن كيموس غليظ حار يابس يتولد منه سدة فى الكبد والطحال فلذلك

ينبغي لمن أكل طعاما غليظا من غير حاجة اليه لعلة أو شهرة ان يقل منه ولا يعوده ولا يدمنه وما كان من الاطعمة الغليظة له مع غلظه لزوجة فهو أغذاها للبدن فان لم تنهضم فهو أكثرها توليدا للسدد

﴿ الاطعمة المتوسطة بين اللطيفة والغليظة ﴾ تصلح لمن كان بدنه معتدلا صحيحا ولم يكن تعبه كثيرا وأجود الاغذية له المتوسطة لانها لا تنهكه ولا تضعفه كاللطيفة ولا تولد خاما ولا سددا كالغليظة وهي كل ما احكم صنعه من الخبز ولحوم البقر والدجاج والجداء والحولية من المعز وأما لحوم الخرفان والضأن كلها فرطبة لزجة وأما لحم فراخ الحمام والقطا فهو يولد دما سخنا واغلظ من الدم المعتدل وأما فراخ الوراشين فانها مثل فراخ الحمام والقطا والاوز فاجنحتها معتدلة وسائر البدن كثير الفضول وكل ما كثرت حركته من الطير وكان مرعاه في موضع جيد الغذاء صافي الهواء كان أجود غذاء وألطف وكل ما كان على خلاف ذلك فهو أردأ غذاء وأوسخ وكل مالم يستحكم نضجه من البيض وخاصة ما القي على الماء الحار وأخذ من قبل ان يشتد فهو معتدل وكل ما كان من لحم السمك ليس بصلب ولا كثير اللزوجة والزهومة وكان مراعه ماء نقيا من الاوساخ والحماة فهو معتدل جيد الغذاء ومن الفواكه التين والعنب اذا استحكم نضجها على الشجر وأسرعت الانحدار الى الجوف كان ما يتولد منها معتدلا فان لم تسرع الانحدار فلا خير فيها ومن البقول الهندبا والخس والهليون ومن الاشربة كلها ما كان لونه ياقوتيا صافيا ولم يكن عتيقا جدا

﴿ الاطعمة الحارة ﴾ يحتاج اليها من كان الغالب عليه البرودة والاوقات والبلاد الباردين وينبغي أن يتجنبها من كان حار البدن وفي الاوقات الحارة والبلاد الحارة منها الحنطة المطبوخة والخبز المتخذ من الحنطة والحمص والحلبة والسمسم والشهدانج والعنب الحلو والكرفس والجرجير والفجل والساجم والخردل والثوم والبصل والكراث والخمر العتيق واسخن الاشربة الحارة العتيق الاصفر

﴿ الاطعمة الباردة ﴾ ينبغي أن يستعملها من كان حار البدن وفي الاوقات الحارة والبلد الحار وهي الشعير وما يتخذ منه والجاورس والدخن والقرع والبطيخ والخيار والقثاء والاجاص والخوخ والجمار وما بين الحموضة والعفوصة من العنب والزبيب والطلع والبلح والخس والهندبا والبقلة الحمقاء والخشخاش والتفاح والكمثرى والرمان فما كان من الرمان عفصا فهو

بارد غليظ وما كان حامضا فهو بارد لطيف فاما الخل فهو بارد لطيف وهو ضار بالعصب وما كان أيضا من الشراب عفصا فهو أقل حرارة وما كان من ذلك حديثا غليظا فهو بارد

﴿ الاطعمة اليابسة ﴾ يحتاج الى الاطعمة اليابسة من كان الغالب على بدنه لرطوبة وفى الاوقات الرطبة وللبلد الرطب منها العدس والكرنب والسويق وكل مايشوى و يطبخ ويقلى وكل ما أكثر فيه السذاب والمرى والخل والابزار والخردل ولحم المسن من جميع الحيوان

﴿ الاطعمة الرطبة ﴾ يحتاج الى الاطعمة الرطبة من أفرط عليه اليبس وفى الاوقات اليابسة والبلد اليابسة وهي الشعير والقرع والبطيخ والقثاء والخيار والجوز الرطب والعنب والنبق والاجاص والتوت والجمار والخس والبقلة اليمانية والقطف والباقلا الرطب والحمص الرطب واللوبيا الرطبة وكل ما طبخ بالماء و يسلق به وثقل فيه الابزار والخل والمرى والسذاب وجميع لحوم صغار الحيوان

الاطعمة القليلة الفضول ﴾ أجنحة الطيور وأكارع المواشى ورقابها وما يربي فى البر من الحيوان فى المواضع الجافة

﴿ الاطعمة الكثيرة الفضول ﴾ منها لحم الاوز خلا الاجنحة والاكباد كلها من جميع الحيوان والنخاع والدماغ والطيور التى في الفيافى والآجام والحمص الطري والباقلا الطرى ولحم الضأن ولحم المراضع من كل الحيوان ولحم كل ساكن غير سريع النهوض وما كان من السمك على ما ذكرنا صلبا لزجا

﴿ الاطعمة التى غذاؤها كثير ﴾ كل ما غلظ من الاطعمة اذا انهضم غذى غذاء كثيرا وكل ما كان له فضول كان غذاؤه كثيرا وقد يحتاج الى الاطعمة الكثيرة الغذاء من احتاج الى أن يأخذ طعاما قليلا يغذى غذاء كثيرا كالناقه والمسافر وكالذى يثقل معدته الكثير من الطعام و بدنه يحتاج الى غذاء كثير فمن ذلك لحم البقر والادمغة والافئدة وحواصل الطير كلها والسمك الغليظ اللوح والسميد والباقلا والحمص واللوبيا والترمس والعدس والتمر والبلوط والشاه بلوط والسلجم تغذو غذاء كثيرا لغلظها واللبن الحليب والشراب الاحمر وغذاء اللبن كله أغلظه وأرقه أقل غذاء وأغلظ اللبن لبن البقر ولبن النعاج وأرقه لبن الاتن وألبان

اللقاح وألبان الماعز متوسطة بين ذلك وأغذى الاشربة النبيذ الاحمر الغليظ الحلو ثم الغليظ الاسود الحلو ثم الغليظ الابيض الحلو ثم من بعد هذه الاشربة العفصة الغليظة الحلوة وكل ما مال الى الحمرة والحلاوة كان أغذي والابيض اقلها غذاء

﴿ الاطعمة التي غذاؤها قليل ﴾ كل ما كان من الاطعمة لطيفا كان غذاؤه قليلا وكل ما افرط فيه اليبس أو الرطوبة أو كثرة الفضل قل غذاؤه كالاكارع والكروش والمصارين والشحم والآذان والرئة ولحم الطير كله وماملح من الحيوان قليل الغذاء لليبس الذي فيه وكذلك الزيتون والفستق والجوز واللوز والبندق والغبيرا والزعرور والخروب والبطم والكمثرى العفص والزبيب العفص فانما قل غذؤه للعفوصة وأما السمك والقرع والرمان والتوت والاجاص والمشمش فانما قل غذاؤها لكثرة رطوبتها وغذاؤها غير باق سريع التحلل وأما خبز الشعير والخشكار والباقلا الرطب وجميع البقول مثل الكرنب والسلق والحماض والبقلة الحمقاء والفجل والخردل والحرف والجزر فقليل الغذاء لكثرة الفضل فيها وأما البصل والثوم والكراث فانها اذا أكلت نيئة لم تغذو اذا أطبخت غذت غذاء يسيرا وأما التين والعنب فانهما بين ماقل غذاؤه وما كثر غذاؤه

﴿ الاطعمة التي تولد كيموسا جيدا ﴾ كل ما كان معتدلا من الاطعمة لم تفرط فيه قوة ولا تجاوز القدر فيه ولد دما خالصا نقيا صحيحا وكل ما كان كذلك فهو موافق لجميع الابدان وفي جميع الاوقات وهو لجميع الابدان المعتدلة في الاوقات وفي جميع الاوقات المعتدلة أوفق لان ماتجاوز الاعتدال من الابدان يحتاج من الاطعمة الى مافيه قوة تجاوز الاعتدال وكذلك الابدان المعتدلة في الاوقات التي ليست بمعتدلة وفي الاطعمة ماهو غليظ وماهو لطيف وماهو بين ذلك وأجودها لجميع الناس ما كان معتدلا منها بين الغليظ واللطيف وقد وصفنا الاطعمة الغليظة واللطيفة والمتوسطة ومتى يصلح كل صنف منها فبقى علينا ان نخبر بجملة الاطعمة المولدة الكيموس الجيد وقسمتها على ماقسمناها (فمن ذلك) خبز الحنطة النقي المحكم الصنعة ان كان من يومه ولحم الدجاج والجداء وحولية الماعز وماكان من السمك ليس بصلب ولا كثير اللزوجة ومالم يكن له زهومة ولم يكن له سمن كثير وما كان مرعاه فيما ليس فيه أوساخ ولا حمأة ولم يكن سريع العفونة وكل ما اشتد واستحكم نضجه من البيض وكل شراب طيب الريح ياقوتي اللون ليست فيه حلاوة كل ذلك يولد كيموسا

معتدلا بين اللطيف والغليظ وأما الدراج والفراريج وأجنحة جميع الطير وماصغر من السمك وكان مرعاه على ماوصفنا وما ألقي عليه من السمك الملح فصار رخصا وذهبت لزوجته وماء كشك الشعير والشراب الطيب الرائحة الاحمر فكل ذلك جيد الكيموس لطيف وأما اللبن الحليب فانه جيد الكيموس الا ان فيه غلظا ولذلك ربما تجبن في المعدة فلهذه العلة يخلط به العسل والملح ويرق بالماء وأجود اللبن وأعدله ابن الماعز لانه ألطف من لبن الضأن والبقر وأغلظ من ابن الاتن واللقاح وينبغى للبن أن يؤخذ من حيوان صحيح شاب جيد الغذاء ولا يحتلب في وقت مايضع الحيوان ولا بعد ذلك بزمان طويل لان اللبن من الحيوان في وقت مايضع غليظ ثم يرق بعد ذلك قليلا قليلا حتى يصير مائيا فلذلك كان أوله وآخره رديئا وأجود مايؤخذ اللبن ساعة يحلب قبل أن يغيره الهواء لانه سريع الاستحالة وأما الخشكار من الخبز الرطب وكل مالم تحكم صنعته من الخبز السميد وخبز الفرن ولحم العجل ومن أجزاء الغنم الضرع والكبد والفؤاد ومن الحبوب الباقلا ومن الشراب ما كان طيب الرائحة حلوا فكل ذلك يولد كيموسا غليظا جدا

﴿الاطعمة التي تولد كيموسا رديئا﴾ كل مالم يكن معتدلا من الاغذية لم يولد دما خالصا صافيا والاطعمة الرديئة الكيموس ثلاثة أصناف منها مايزيد في البلغم ومنها مايزيد في الصفراء ومنها مايزيد في السوداء وينبغي لجميع الناس أن يجتنبوا الاكثار منها وادمان استعمالها وان كانوا لها مستمرئين لانها وان لم يتبين لها ضرر في عاجل الامر يجتمع منها في بدن مستدمن استعمالها مع طول الزمان كيموس رديء وكذا أمراض رديئة وأولى الناس بتجنيب كل صنف من أصنافها من كان الغالب على بدنه مايزيد فيه ذلك الصنف فاقول ان كل مايتخذ من الخبز من دقيق كثير النخالة أوما عتق من الحنطة رديء الكيموس يزيد في السوداء ولحم الضأن كله يزيد في البلغم ولحم الماعز المسن كله يزيد في السوداء وأردؤه لحم التيوس ولحم البقر والجزور والارانب والظباء والايايل كل هذا يزيد في السوداء وشر هذه اللحوم لحم الجزور وبعده لحم التيوس لاسيما مالم يخص منها وبعده لحم المسن من الضأن وبعده لحم البقر وكل ماخصى من هذه كان أجود غذاء وأما لحوم الارانب والظباء والايايل فهو دون جميع ماذكرنا في الرداءة ومن أعضاء الحيوان الكلى رديئة الكيموس لزهومتها وما استفادت من رداءة البول والدماغ يزيد في البلغم وكل البطون يزيد في البلغم لكثرة الزلال فيها والبيض

المطجن يولد غذاء غليظا فاسدا وكذا الجبن ولا سيما ماعتق منها والعدس يزيد في السوداء والدخن والجاورس يولدان دما غليظا وماصلب لحمه من السمك وغلبت عليه اللزوجة يولد البلغم فان ملح وعتق يولد السوداء والتين اليابس ان أكثر أكله ولد فضلا عفنا يكثر منه القمل والكمثرى والتفاح ان أكلا غير نضيجين ولدا كيموسا رديئا وكذلك القثاء والخيار فاما البطيخ والقرع فربما انهضما ولم يحدثا في البدن حدثا رديئا وربما فسدا في المعدة فولدا كيموسا رديئا ولا سيما ان صادفا في المعدة فضلا رديئا فلذلك تعرض الهيضة كثيرا من أكل البطيخ والبقول كلها رديئة الكيموس لكثرة الفضل فيها وقلة الغذاء وأما البصل والثوم والكراث والفجل والجوز والساحج فرديئة لما فيها من الحرارة والحرافة وربما زادت في الصفراء وربما زادت في السوداء أيضا كما ذكرت آنفا الا انها ان طبخت وصب ماؤها وطبخت بماء ثان ذهبت الحرافة والرداءة عنها والباذروج يسخن الدم ويجففه شديدا والكرنب يولد السوداء وكذلك جميع البقول الرديئة

﴿ الاطعمة المتوسطة الكيموس ﴾ وهي بين مايولد الكيموس الجيد ومايولد الكيموس الردي‌ء فمنها خبز الخشكار ولحم الخصيان من المعز والضان ومن الاعضاء اللسان والامعاء والذنب ومن الفاكهة العنب والبطيخ والمعلق من العنب أجود والتين واليابس من الجوز والشاهبلوط ومن البقول الخس وبعده الهندبا وبعده الخبازى وبعده القطف والبقلة الحمقاء اليمانية والحامض ومالم يكن فيه حدة كثيرة من الاصول

﴿ الاطعمة السريعة الانهضام ﴾ انما يسرع الانهضام لاحد وجهين فالوجه الاول منها اذا كانت الاطعمة غير يابسة كالعدس ولا صلبة كالترمس ولا لزجة كالحنطة ولا خشنة كالسمسم ولا كريهة كالسذاب ولا كثيرة الفضول كالارز ولا يغلب عليها برد شديد كاللبن الحامض ولا حر شديد كالعسل والوجه الثاني لطبيعة البطن المستمرى‌ء لها وذلك لاحد وجهين الاول موافقة الاغذية ومشاكلة الابدان الطبيعية كالاطعمة التي يشتهيها ويلذها الانسان فقد تجد الناس يختلفون في شهواتهم ويستمري‌ء كل واحد منهم ماشهوته اليه أميل وان كان الذى لا يشتهيه أحمد من الذي يشتهيه والوجه الثاني لمزاج عارض يصادف من الاطعمة مضادة كالذى ترى ان من غلب عليه الحر لعلة من العلل كان للاطعمة الباردة أشد استمراء لما يطفي‌ء من حرارة البدن ويعدل البدن ومن عليه البرد استمرأ الحار

ولم يستمرىء البارد ومن رطب بدنه أكله أو معدته استمرأ الاطعمة الجافة ولم يستمرىء الرطبة ومن عرض له اليبس خلاف ذلك فقد بان بما ذكرناه ان الاطعمة اللطيفة والمتوسطة فى نفسها سريعة الانهضام وقد يجوز أن تكون الاطعمة الغليظة أسرع انهضاما فى بعض الابدان أيضا فقشر الخبز المحكم ولحم الدجاج والفراريج والدراج والحجل وكبود الاوز وأجنحتها سريعة الهضم وفى الجملة الجناح من كل طائر أسرع انهضاما من سائره وليس فى الطير كلها أسرع انهضاما من المواشى وكل ما كان من الحيوان يابسا فصغيره أسرع انهضاما وكذلك لحم العجاجيل أسرع من لحم البقر ولحم الجدى الحولى أسرع انهضاما من لحم المسن من الماعز وكل ما كان من الحيوان أرطب فكبيره من قبل أن يسن أسرع انهضاما من صغيره ألا ترى ان الحولى من الضان أسرع انهضاما من الخروف وكل ما كان مرعاه فى المواضع اليابسة كان أسرع انهضاما مما مرعاه فى المواضع الرطبة وكل ما كان جرمه متخلخلا فهو أسرع انهضاما مما كان جرمه متلززا ولذلك كان الجوز أسرع انهضاما من البندق والبيض الحار من البيض البارد والشراب الحلو أمرأ من العفص

﴿ الاطعمة البطيئة الانهضام ﴾ انما يعسر الانهضام من الطبيعة فى الطعام اذا كان يابسا أو صلبا أو لزجا أو متلززا أو كثير الدسم أو كثير الفضول أو كريه الطعم أو الحرافة فيه مفرطة أو البرد أو الحر أو مخالفا للمزاج الطبيعى اذا لم يشتهه فلحم البقر ولحم الابل والكروش والامعاء والاوز والآذان من جميع الحيوان والجبن والبيض البارد عسرة الانهضام ليبسها وصلابتها وكذلك من الطير الوراشين والفواخت والطواويس والقوانص من جميع الطير عسرة الانهضام ومن الحبوب الارز والترمس والعدس والدخن والجاورس والبلوط والشاهبلوط وأما لحم التيوس وأكارع البقر فعسرة الانهضام لزهومتها وكراهتها وأما لحم الضان والكبود من جميع الحيوان والاوز فلكثرة الفضول فيها وأما الجبن الحامض فلبرده وأما الحنطة المسلوقة فلازوجتها وتلززها وأما الباقلاء واللوبياء فلكثرة النفخ فيها وأما السمسم فلكثرة دهنه وأما العنب والتين وسائر الفواكه اذا لم يستحكم نضجها والاترج والبادروج والسلجم والجوز والشراب الحديث الغليظ فلكثرة الفضول فيه

﴿ الاطعمة الضارة للمعدة ﴾ السلق ردىء للمعدة للذعه اياها ولما فيه من الحدة البورقية والبادروج والسلجم ما لم يستقص طبخها للذع فيهما والبقلة اليمانية والقطف

للزوجتهما فلذلك ينبغي أن يؤكلا بالخل والمرى والحلبة رديئة للمعدة للذعها اياها والسمسم ردىء للمعدة للزوجته وكثرة دهنه واللبن لسرعة استحالته فى المعدة والعسل ما أكثر منه لذع المعدة وغثاها والبطيخ أيضا بغثي اذا لم ينضج فى المعدة ولد كيموسا رديئا فينبغى بعد أكل البطيخ أن يأكل طعاما كثيرا جيد الكيموس والادمغة أيضا كلها رديئة للمعدة فلذلك ينبغى ان تؤكل بالصعتر والفودنج البري والخردل والملح وكذلك المخاخ والنبيذ الحديث الغليظ الاسود العفص يسرع الحموضة فى المعدة ويغثى

﴿ الاطعمة التى تفسد فى المعدة ﴾ المشمش والسمسم والتوت والبطيخ اذا لم يسرع انحدارها عن المعدة وصادفت كيموسا رديئا أسرع اليها الفساد فيجب أن تؤكل قبل الطعام والمعدة نقية ليسرع انحدارها عنها ويسهل الطريق لما يؤكل بعدها من الطعام فان أكلت بعد الطعام فسدت لبقائها فى المعدة وأفسدت سائر الطعام بفسادها وربما بلغ الفساد بها الى ان تصير بمنزلة السم القاتل

﴿ الاطعمة التى لا يسرع اليها الفساد فى المعدة ﴾ من كان يفسد طعامه فى معدته فاجود الاطعمة له ما كان غليظا بطيء الانحدار مثل لحم البقر وأكارعها وما أشبه ذلك مما ذكرناه فى الاطعمة الغليظة

﴿ الاطعمة الملينة المسهلة للبطن ﴾ كل ما كان من الاطعمة فيه حلاوة أو حدة أو ملوحة أو لزوجة فمن ذلك ماء العدس وماء الكرنب يلينان الطبع وجرمهما يمسك البطن وكذلك مرقة الديوك الهرمة وخبز الخشكار مع العسل وزيتون الماء اذا كان قبل الطعام مع مرى لين البطن فاذا كان أيضا مع الطعام بلا مرى فانه يقوي المعدة على دفع الطعام لعفوصته وكذلك ما عمل بالخل منه وكل طعام عفص فانه دابغ المعدة مقو لها فاما اللبن وماء الجبن فيلينان البطن ولا سيما اذا خالط بهما الملح ولحم الصغير من الحيوان والساق والقطف والبقلة اليمانية والقرع والبطيخ والتين والزبيب الحلو والتوت الحلو والجوز الرطب ولاجاص الرطب والسكنجبين والنبيذ الحلو ملين للبطن

﴿ الاطعمة التى تحبس البطن ﴾ اذا كان الطعام ينحدر عن المعدة قبل انهضامه احتجنا الى الاطعمة الممسكة الحابسة للبطن وكل ما غلب عليه من الاطعمة اليبس أو العفوصة أو الغلظ كالسفرجل والكمثرى وحب الآس وثمر العوسج وجرم العدس والبلوط

والشاهبلوط والنبيذ العفص يمسك البطن لعفوصته وقبضه والجاورس والدخن وسويق الشعير تمسك البطن بيبوستها ولحم الارانب والكرنب المطبوخ بعد صب مائه الاول عنه ثم يطبخ بماء ثان فانه يمسك البطن ليبسه واللبن المطبوخ والجبن كلاهما يمسك البطن لغلظه وذلك ان يطبخ اللبن حتى تفنى مائيته ويبقى جرمه وربما ولد سدد فى الكبد وحجارة فى الكلى وأما الاشياء الحامضة كالتفاح الحامض والرمان الحامض فان صادفت فى المعدة كيموسا غليظا قطعته وحدرته ولينت البطن وان صادفت المعدة نقية أمسكت البطن

﴿الاطعمة التي تولد السدد﴾ اللبن الغليظ والجبن ربما أحدثا سددا فى الكبد وحجارة فى الكلى لمن أكثر استعمالها وكانت كلاه وكبده مستعدة لقبول الآفات وجميع الاطعمة الحلوة رديئة للكبد والطحال فاذا أكل معها الفودنج الجبلى والصعتر والفلفل فتح سدد الكبد والطحال والرطب والتمر وجميع مايتخذ من الحنطة سوى الخبز الجيد المضغة والاشربة الحلوة ايضا تولد سددا فى الكبد وحجارة فى الكلى وتغلظ الطحال

﴿الاطعمة التى تجلو المعدة وتفتح السدد﴾ ماء الكشك كشك الشعير يجلو المعدة ويفتح السدد والحلبة والبطيخ والزبيب الحلو والباقلاء والحمص الاسود ينقي الكلى ويفتت الحجارة المتولدة فيها والكبر بالخل والعسل اذا أكل قبل الطعام فانه يجلو وينقي المعدة والامعاء ويفتح السدد والسلق أيضا يجلو ويفتح السدد فى الكبد لاسيما اذا أكل بخردل والبصل والثوم والكراث والفجل يقطع ويلطف الكيموس الغليظ والتين رطبه ويابسه يجلو وينقى الكلى واللوز كله ولا سيما المر منه فانه يجلو ويلطف ويفتح سدد الكبد والطحال ويعين على نفث الرطوبة من الصدر والرئة والفستق يقوى الكبد ويفتح سدد الكبد وينقى الصدر والرئة والنبيذ اللطيف اذا كانت له حدة وحرافة يصفى اللون وينقى العروق من الكيموس الغليظ وينتفع به من كان يجد في بدنه كيموسا غليظا باردا وأما النبيذ الرقيق فانه يعين على نفث الرطوبة من الرئة بتقويته الاعضاء وتلطيف ما فيها من الفضل الغليظة وقد يفعل ذلك النبيذ الحلو

﴿الاطعمة التي تنفخ﴾ الحمص والباقلاء ولاسيما ان طبخ بقشره فان طبخ مقشرا أو مسحوقا كان أقل نفخا وان قلي أيضا كان أقل نفخا وبعد هذه اللوبياء الماش والعدس والشعير اذا لم ينعم طبخها والنعناع والانجذان والحلتيت والتين الرطب يولد نفخا الا انه ينحل سريعا لسرعة

انحداره وما استحكم نضجه من التين والعنب كان أقل نفخا ويابس التين أقل نفخا من رطبه واللبن يولد رياحا في المعدة والعسل اذا طبخ ونزعت رغوته قل نفخه والنبيذ الحلو العفص يولد نفخا

﴿ ما يذهب النفخ من الاطعمة ﴾ كل طعام نافخ اذا احكمت صنعته وأجيد طبخه وانضاجه قل نفخه وكل ما قلى منه قل نفخه وكل ما خلط به الابازير المحللة للرياح كالكمون والسذاب والانيسون والكاشم يقل نفخه والخل الممزوج بالعسل يلطف الرياح (كتب) اسحق بن عمران المعروف بسم ساعة الى رجل من اخوانه اعلمك رحمك الله ان الخام والبلغم يظهران على الدم والمرة بعد الاربعين سنة حتى كلاهما وهما عدوا الجسد وهادماه ولا ينبغى لمن خاف الاربعين سنة ان يحرك طبيعة من طبائعه غير الخام والبلغم ويقوي الدم جاهدا غير انه ينبغى له فى كل سبع سنين ان ينجر من دمه شيأ ومن المرة مثل ذلك لقلة صبره عن الطعام اللذيذ والمشروب الروى فتعاهد أصلحك الله ذلك من نفسك واعلم ان الصحة خير من المال والأهل والولد ولا شيء بعد تقوى الله سبحانه خير من العافية وما تأخذ به نفسك وتحفظ به صحتك ان تلزم ما اكتب به اليك فى شهر يناير لا تأكل السلق واشرب شرابا شديدا كل غداة وفى شهر فبراير لا تأكل السلق وفى مارس تأكل الحلوا كلها وتشرب الافسنتين فى الحلاوة وفى شهر ابريل لا تأكل شيأ من الاصول التى تنبت فى الارض ولا الفجل وفى مايه لا تأكل رأس شيء من الحيوان وفى يونيه تشرب الماء البارد بعدما تطبخه وتبرده على الريق وفى يوليه تجنب الوطء وفي اغسطس لا تأكل الحيتان وفى سبتمبر تشرب اللبن البقرى وفي اكتوبر لا تأكل الكراث نيأ ولا مطبوخا وفى نوفمبر لا تدخل الحمام وفي دسمبر لا تأكل الارنب (زعم) علماء الطب ان فى الجسد من الطبائع الاربع اثنى عشر رطلا فللدم منها ستة ارطال وللمرة والسوداء والبلغم ستة ارطال فان غلب الدم الطبائع تغير منه الوجه وورم وخرج ذلك الى الجذام وان غلبت تلك الطبائع الدم انبتت المدد قال فاذا خاف الانسان غلبة هذه الطبائع بعضها بعضا فليعدل جسده بالاقتصاد وينقيه بالمشى فانه ان لم يفعل اعترادما وصفنا اما جذام واما مرة نسأل الله العافية ولا بأس بعلاج الجسد فى جميع الازمان الا أيام السموم الا أن ينزل فيها مرض شديد لا بد من مداواته أو يظهر مرموم أو ذات الجنب فانه ينبغى للطبيب أن يعانيه بفصاد او شيء خفيف فانها أيام ثقيلة وهى خمسة عشر يوما من تموز الى النصف من آب فذلك

ثلاثون يوما لا يصلح فيها علاج وكان بقراطيس يجملها تسعة وأربعين يوما ويقطع الغرر والخطر في أيام القيظ فاذا مضى لا يلول ثلاثة أيام طاب التداوى كله (امر) جالينوس في الربيع بالحجامة والنورة وأكل الحلاوة وشربها ونهي عن القطاني واللبن الرائب وعتيق الجبن والملح والفاكهة اليابسة الاماكان مصلوقا وفي القيظ وهو زمان المرة الحمراء بأكل البارد الرطب على قدر قوة الرجل في طبعه وسنه وترك الجماع وأكل الحوت الطرى والفاكهة الرطبة والبقول ولحم البقر والمعز ومن القطاني العدس ومن الاشربة المربب بالورد والسكركة من الشعير والسكر بالماء المطبوخ وأكل الكزبرة الخضراء في الاطعمة وأكل الخيار والبطيخ ولزوم دهن الورد وماء الورد ورش الماء وبسط البيت بورق الشجر ومن الدواء السكر بالمصطكى يسحقهما مثلا بمثل ويأخذهما على الريق قدر الدرهم أو أكثر قليلا وفي زمان الخريف وهو زمان السوداء وهو أثقل الازمنة على أهل تلك الطبيعة من الطعام والشراب بالحار الرطب مثل الاحساء بالحلاوة وأكل العسل وشربه ونهى فيه عن الجماع وأكل لحم المعز والبقر وأمر بأكل صنوف حيوان البر والبحر وحسو البيض والدهن قبل الحمام واتيان النساء على غير شبع في آخر الليل وفي أول النهار والتماس الولد على الريق من الرجل والمرأة فان أولاد ذلك الزمان أشد وأقوي تركيبا من غيرهم كما قالت الحكماء

﴿الخمر المحرمة في الكتاب﴾ أجمع الناس على ان الخمر المحرمة في الكتاب خمر العنب وهى ما غلا وقذف الزبد من عصير العنب من غير أن تمسه نار ولا يزال خمرا حتى يصير خلا وذلك اذا غلبت عليه الحموضة وفارقتها النشوة لان الخمر ليست محرمة العين كما حرمت عين الخنزير وانما حرمت لعرض دخل لها فاذا زايلها ذلك العرض عادت حلالا كما كانت قبل الغليان حلالا وعينها في كل ذلك واحدة وانما انتقلت اعراضها من حلاوة الى مرارة ومن مرارة الى حموضة كما ينتقل طعم الثمرة اذا اينعت من حموضة الى حلاوة والعين قائمة كما ينتقل طعم الماء بطول المكث فيتغير طعمه وريحه والعين قائمة (ونظير الخمر) فيما يحل ويحرم بعرض المسك الذى هو دم عبيط حرام ثم يجف ويجد رائحة فيصير حلالا طيبا فهذه الخمر بعينها المجمع على تحريمها وأصحاب النبيذ انما يدورون حولها ويتعللون انهم يشربون مادون السكر ولا لذة لهم دون موافقة السكر كما قال الشاعر

يدورون حول الشيخ يلتمسونه * بأشربة شتي هي الخمر تطلب

وكقول القائل * اياك أعني فاسمعي ياجاره * (قيل) للاحنف بن قيس أى الشراب أطيب فقال الخمر قيل له وكيف علمت ذلك وأنت لم تشربها قال اني رأيت من أحلت له لا يتعداها ومن حرمت عليه انما يدور حولها (وقال ابن شبرمة)

ونبيذ الزبيب ماشتد منه * فهو للخمر والطلاء نسيب

﴿ وقال عبدالله بن القعقاع ﴾

أتانا بها صفراء يزعم انها * زبيب فصدقناه وهو كذوب

نهل هي الاساعة غاب نحسها * أصلى لربي بعدها وأتوب

(وقال ابن شبرمة) أتانا الفرزدق فقال اسقونى فقلنا وماتريد أن نسقيك قال أقربه الى الثمانين يعني حد الخمر (وقال) قيصر لقس بن ساعدة أي الاشربة أفضل عاقبة فى البدن قال ماصفا في العين واشتد على اللسان وطابت رائحته فى الانف من شراب الكرم قيل له فما تقول فى مطبوخه فقال مرعى ولا كالسعدان قيل له فما تقول فى نبيذ التمر قال ميت أحيي فيه بعض المنفعة ولا يكاد يحيا من مات مرة قيل له فما تقول فى العسل قال نعم شراب الشيخ ذي الابردة والمعدة الفاسدة (على بن عياش) قال اني عند الوليد ابن يزيد فى خلافته اذ أتى بابن شراعة من الكوفة فوالله ماساله عن نفسه ولاسفره حتى قال له يا ابن شراعة اني والله ما بعثت اليك لأسالك عن كتاب الله ولاسنة رسوله قال فوالله لوسالتني عنهما لالفيتني فيهما احمارا قال وانما أرسلت اليك لأسالك عن القهوة قال دهقانها الخبير وطبيبها العليم قال فاخبرني عن الطعام قال ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم غير ان أنفعه واشهاه امرؤه قال فما تقول في الشراب قال ليسال أمير المؤمنين عما بداله قال فما تقول فى الماء قال لابدلى منه والحمار شريكى فيه قال فما تقول فى السويق قال شراب الحزين والمستعجل والمريض قال فما تقول فى اللبن قال مارأيته قط الا استحييت من أمى من طول ما أرضعتنى به قال فنبيذ التمر قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش قال فنبيذ الزبيب قال حاموا به عن الشراب قال ماتقول فى الخمر قال أوه تلك صديقة روحى قال وأنت والله صديق روحى قال وأى المجالس احسن قال ماشرب الناس على وجه قط أحسن من السماء (قال الاصمعى) دخلت على الرشيد وهو في الفرش منغمس كما ولدته أمه فقال لى يا أصمعى من أين طرقت اليوم قال قلت احتجمت قال وأي شيء أكلت عليها قلت

سكباجة وطباجة قال رميتها بحجرها قال هل تشرب قالت نعم يا أمير المؤمنين

اسقني حتى تراني مائلا * وترى عمران ديني قد خرب

قال يا مسرور أي شيء معك قال ألف دينار قال ادفعها اليه

﴿ آفات الخمر وخبائثها ﴾ أول ذلك انها تذهب العقل وأفضل ما في الانسان عقله وتحسن القبيح وتقبح الحسن قال أبو نواس

اسقني حتى تراني * حسن عند القبيح

﴿ وقال أيضا ﴾

اسقني صرفا حميا * تترك الشيخ صبيا

وتريه الغي رشدا * وتريه الرشد غيا

﴿ وقال أيضا ﴾

عتقت في الدن حولا * فهي في رقة ديني

﴿ وقال الناطق بالحق ﴾

تركت النبيذ وأصحابه * وصرت خدينا لمن عابه

شراب يضل سبيل الرشاد * ويفتح للشر أبوابه

وانما قيل لشارب الرجل نديم من الندامة لان معاقر الكاس اذا سكر تكلم بما يندم عليه فقيل لمن شاربه نادمه لانه فعل مثل ما فعله فهو نديم له كما يقال جالسه فهو جليس له والمعاقر المدمن كانه لزم عقر الشيء أي فناءه وقال أبو الاسود الدؤلي

دع الخمر يشربها الغواة فانني * رأيت أخاها مغنيا بمكانها

فان لا تكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

وقد شهر أصحاب الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وانهم أصدقاؤك ما استغنيت حتى تفتقر وما عوفيت حتى تنكب وما غلت دنانك حتى تنزف وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك قال الشاعر

أرى كل قوم يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم

أخاؤهم ما دارت الكاس بينهم * وكلهم رث الحبال سؤوم

اذا جئتهم حيوك ألفا ورحبوا * وان غبت عنهم ساعة فذميم

فهذا ثنائي لم أقل بجهالة * ولكنني بالفاسقين عليم

(وقال) قصى بن كلاب لبنيه اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان و تفسد الاذهان (وقيل) لعدى بن حاتم مالك لا تشرب الخمر قال لا أشرب ما يشرب عقلي (وقيل) له مالك لا تشرب النبيذ قال معاذ الله أصبح حكيم قومي وأمسى سفيههم (وقال) يزيد بن الوليد النشوة تحمل الجفوة (وقيل) لعثمان بن عفان رضي الله عنه مامنعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها قال اني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيا يذهب جملة ويعود جملة (وقال) أيضا ماتغنيت ولا تفتيت ولا شربت خمرا ولا مسست فرجي بيدي بعد ان خططت بها المفصل (وقال) عبد العزيز بن مروان لنصيب ابن رباح هل لك فيما يثير المحادثة يريد المنادمة قال أصلح الله الامير الشعر مفلفل واللون مرمد ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر وانما هو عقلي ولساني فان رأيت ان لا تفرق بينهما فافعل وربما ذهب الكاس بالبيان وغيرت الخلقة فيعظم أنف الرجل ويحمر ويذهل وقال جرير في الاخطل

وشربت بعد أبي ظهير وابنه * سكر الدنان كان أنفك دمل

شبه بالدمل في ورمه وحمرته (وقال آخر) في حماد الراوية

نعم الفتى لو كان يعرف وجهه * ويقيم وقت صلاته حماد
هدلت مشافره الدنان فانفه * مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه * فبياضه يوم الحساب سواد

(ودخل) أمية بن عبد الله بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه أثر فقال ماهذا فقال قمت بالليل فاصاب الباب وجهي فقال عبد الملك

رأتني صريع الخمر يوما بسوقها * وللشاربيها المد منيها مصارع

فقلت لا آخذك الله أمير المؤمنين بسوء ظنه فقال بل آخذك الله بسوء مصرعك (وقال حسان بن ثابت)

تقول شعثاء لو صحوت عن الـكاس لاصبحت مثري العدد
أنسي حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المسامر الغرد

لا حدس لحدس بالجليس ولا * يخشى نديمي اذا انتشت يدي

﴿ وقال ابن الموصلي ﴾

سلام على سير القلاص مع الركب * ووصل الغواني والمدامة والشرب
سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب
لعمري لئن نكبت عن منهل الصبا * لقد كنت وراد المنهل العذب
ليالي أمشي بين بردي لاهيا * أميس كغصن البانة الناعم الرطب

(ويروى) أن الحسن بن زيد لما ولى المدينة قال لابراهيم بن هرمة لا تحسبني كمن باع لك دينه رجاء مدحك وخوف ذمك فقد رزقني الله بولائه نبيه المادح وجنبني القبائح وان من حقه على ان لا أعصي على تقصير في حقه واني أقسم لئن أتيت بك سكران لاضربنك حدين حد الخمر وحد السكر ولازيدنك لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تجعله للناس لتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وقال

نهاني ابن الرسول عن المدام * وأدبني بآداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها * لخوف الله لا خوف الانام
وكيف تصبري عنها وحبي * لها حب تمكن في عظامي
أرى طيب الحلال على خبثا * وطيب النفس في خبث الحرام

(وذكروا) ان حارثة بن زيد كان فارس بني تميم وكان قد غلب على زياد وكان الشراب غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو رجل مستهتر بالشراب فقال لهم كيف اطراحي لرجل ما راكبني قط فمست ركبتي ركبته ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تاخر عني فلويت اليه عنقي ولا سألته عن شيء قط الا وجدت علمه عنده فلما مات زياد جفاه ولده عبيد الله بن زياد فقال له حارثة أيها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بحالي عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة قد برع بروعا لم يلحقه معه عيب وأنا حدث وانما أنسب الى من تغلب علي وأنت نديم الشراب فدع النبيذ وكن أول داخل وآخر خارج فقال حارثة أنا لا أدعه لله أفادعه لك قال فاختر من عملي ما شئت قال ولني رامهرمز فانها أرض عذبة وشرف فان بها شرابا وصف لي عنه فولاه اياها فلما خرج شيعه الناس وكتب اليه أنس بن أبي أنس

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حارشيا تخونه * فحظك من ملك العراقين سرق
وباد تميما بالغني ان للغني * لسانا به المرء الهيوبة ينطق
فان جميع الناس اما مكذب * يقول بما يهوى و إما مصدق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها * ولوقيل يوما حققوا لم يحققوا

فوقع حارثة في أسفل كتابه لا بعد عنك الرشد (وقال الشاعر)

شربنا من الداري حتى كاننا * ملوك لهم في كل ناحية وفر
فلما اعتلت شمس النهار رأيتنا * تخلى الغني عنا وعاودنا الفقر

(وكان) أبو الهندي من ولد شبيب بن ربعي الرياحي من بني يربوع وكان قد غلب عليه الشراب على كريم منصبه حتي كاد يبطله وكان قد ضاف على راع يسمى سالما فسقاه قدحا من لبن فكرهه وقال

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم * أباريق كالغزلان بيضا نحورها
مقدمة فزا كأن رقابها * رقاب كراك افزعتها صقورها
فما ذرقرن الشمس حتي كأننا * أري قرية حولى تزلزل دورها

وكان عجيبا بالجواب فجلس اليه رجل كان صلب أباه في جناية فجعل يعرض له بالجواب فقال أبو الهندى أحدهم يبصر القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع المعترض فى است أبيه (ولقيه) نصر بن سيار والى خراسان وهو يميد سكرا فقال له أفسدت مروأتك وفرشرفك قال لولم أفسد مروأتي لم تكن أنت والى خراسان (ومرض) أبو الهندى فلما وجد فقد الشراب جعل يبكي ويقول

رضيع الدام فارق روحه * فظل عليها مستهل المدامع
اديرا على الكاس اني فقدتها * كما فقد المفطوم در المراضع

(وكان) يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني وكان أبوه الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهرب منه وقال فيه أبو الهندى

قل للسري بن هند ظلت توعدنا * ودارنا أصبحت من داركم صددا
أبا الوليد اما والله لو عملت * فيك الشمول لما فارقتها أبدا
ولا نسيت حمياها ولذتها * ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

﴿ وقال عبد الرحمن ابن أم الحكم ﴾

وكاس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم ابان
ترى شاربيها حين يعبق ريحها * يميلان أحيانا ويعتدلان
فما ظن ذا الواشي باروع ماجد * وعذراء خود حين يلتقيان
دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتني أخاها بعد ما كان بيننا * من الامر ما لم يفعل الاخوان

﴿ وقال ﴾

لاهنيا لما شربت مريئا * ثم قم صاغرا وغير كريم
لا أحب النديم يومض بالعين اذا ما انثني لعرس النديم

(وقال) أبو العباس المبرد دخل عمرو بن مسعدة على المامون وبين يديه جام زجاج فيه سكر طبرزد وملح جريش قال فسلمت عليه فرد وعرض على الاكل فقلت ما أريد شيا هناك الله يا أمير المؤمنين فلقد باكرت الغذاء قال بت جائعا ثم أطرق ورفع رأسه وهو يقول

اعرض طعامك وابذله لمن دخلا * واعزم على من أبى واشكر لمن أكلا
ولا تكن سابري العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ودعا برطل ودخل شيخ من جلة الفقهاء مد يده اليه فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها ناشئا ولا سقيتها شيخا فرد يده عمرو بن مسعدة فاخذها منه وقال يا أمير المؤمنين فاني عاهدت الله في الكعبة ان لا أشربها أيضا ففكر طويلا والكاس في يد عمرو بن مسعدة فقال

ردا على الكاس انكما * لا تعلمان الكاس ما تجدى
لو ذقتما ماذقت ما امتزجت * الا بدمعكما من الوجد
خوفتماني الله ربكما * وكخيفتيه رجاؤه عندى
ان كنتما لا تشربان معي * خوف العقاب شربتها وحدى

(شرب) المامون ويحيي بن أكثم وعبد الله بن طاهر فتغامز المامون وعبد الله على سكر يحيي فغمز الساقي فاسكره وكان بين أيديهم رزم من رياحين فامر المامون فشق له لحد في الورد والرياحين وصيروه فيه وعمل بيتين من شعر ودعا قينه فجلست عند رأسه وحركت العود وغنت

ناديته وهو حي لاحراك به * مكفن في ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني * فقلت خذ قال كفي لا تواتيني

فانتبه يحيي لرنة العود وقال مجيبا لها

ياسيدي وأمير الناس كلهم * قد جار في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني * كما تراني سليب العقل والدين
لا استطيع نهوضا قد وهي جسدي * ولا اجيب المنادي حين يدعوني
فاختر لبغداد قاضيا انني رجل * الراح يقتلني والعود يحييني

(حدثنا) أبو جعفر البغدادى قال كان بالجزيرة رجل يبيع نبيذا في ناجود له وكان بيته من قصب وكان يأتيه قوم يشربون عنده فاذا عمل فيهم الشراب قال بعضهم لبعض أما ترون بيت هذا النباذ من قصب فيقول بعضهم على الآجر ويقول الآخر على الجص ويقول الآخر على أجرة العامل فاذا أصبحوا لم يعملوا شيأ فلما طال ذلك على النباذ قال

لنا بيت يهدم كل يوم * ويصبح حين يصبح جذم خص
اذا مادارت الاقداح قالوا * غدا نبني بآجر وجص
وكيف يشيد البنيان قوم * يمرون الشتاء بغير قمص

(ودخل) حارثة بن بدر على زياد وبوجهه أثر فقال له ماهذا قال ركبت فرسي الاشقر فصرعني قال اما انك لو ركبت الاشهب ماصرعك أراد حارثة بالاشقر النبيذ وأراد زياد بالاشهب اللبن (وكان) قيس بن عاصم يأتيه في جاهليته تاجر خمر فيبتاع منه ولا يزال الخمار في جواره حتى ينفد ماعنده فشرب قيس ذات يوم فسكر سكرا قبيحا فجذب ابنته وتناول ثوبها ورأى القمر فتكلم بشيء ثم انتهب مال الخمار وأنشأ يقول

من تاجر فاجر جاء الاله به * كأن لحيته أذناب اجمال
جاء الخبيث ببيسانية تركت * صحبي واهلي بلا عقل ولا مال

فلما صحا أخبر بما صنع وما قال فآلى ان لا يذوق خمرة أبدا (وربما) بلغت جناية الكاس الى عقب الرجل ونجله (قال) المأمون يا نطف الخمار ونرابع الطنبور واشباه الخؤلة وقال الشاعر

لما رأيت الحظ حظ الجاهل * ولم أر المغبون غير العاقل
رحلت عيسا من كروم بابل * فبت من عقلي على مراحل

﴿ وقال آخر يصف السكر ﴾

أقبلت من عند زياد كالخرف * أجر رجلي بخط مختلف
كأنما يكتبان لام ألف

﴿ وقال آخر يصف السكر ﴾

شربنا شربة من ذات عرق * باطراف الزجاج من العصير
وأخرى بالمروح ثم رحنا * نري العصفور أعظم من بعير
كأن الديك ديك بني تميم * أمير المؤمنين على السرير
كأن دجاجهم في الدار رقطا * بنات الروم في قمص الحرير
فبت أري الكواكب دانيات * ينلن أنامل الرجل القصير
ادافعهن بالكفين مني * وألثم لبة القمر المنير

﴿ وقال الشاعر ﴾

دع النبيذ تكن عدلا وان كثرت * فيك العيوب وقل ماشئت يحتمل
هو المشيد باخبار الرجال فما * يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا
كم زلة من كريم ظل يشهرها * من دونها تستر الابواب والكلل
أضحت كنار على علياء موقدة * ما يستسن لها سهل ولا جبل
والعقل عقل مصون لو يباع لقد * ألفيت بياعه أضعاف ماسألوا
فاعجب بقوم مناهم في عقولهم * ان يذهبوها بعل بعده نهل
قد عقدت بخمار الكاس السنهم * عن الصواب ولم يصبح بها علل
وزررت بسنات النوم أعينهم * كأن احداقها حول وما حولوا
تخال رائيهم من بعد غدوته * حبلى اضر بها في مشيها الحبل
فان تكلم لم يقصد لحاجته * وان مشي قلت مجنون به خبل

﴿ وقال ﴾

أخو الشراب ضائع الصلاة * وضائع الحرمة والحاجات
وحاله من اقبح الحالات * في نفسه والعرس والبنات

﴿ من حد من الاشراف فى الخمر وشهر بها ﴾ منهم يزيد بن معاوية وكان يقال له يزيد الخمور وبلغه ان مسور بن مخرمة يرميه بشرب الخمر فكتب الى عامله بالمدينة أن يجلد مسورا حد الخمر ففعل فقال مسور

أيشربها صرفا بطين دنانها * أبو خالد ويضرب الحد مسور

(وممن) حد فى الشراب الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان بن عفان لامه شهد أهل الكوفة عليه انه صلى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ثم التفت اليهم فقال ان شئتم زدتكم فجلده علي بن أبي طالب بين يدي عثمان وفيه يقول الحطيئة وكان نديمه أبو زبيد الطائى

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * لنزيدهم خيرا ولا يدري
لنزيدهم خيرا ولو قبلوا * لجمعت بين الشفع والوتر
كبحوا عنانك اذ جريت ولو * تركوا عنانك لم تزل تجرى

(ومنهم) عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده هناك عمرو بن العاص سرا فلما قدم على عمر جلده حدا آخر علانية (ومنهم) العباس بن عبد الله بن عباس وكان ممن شهر بالشراب ومنادمة الاخطل وفيه يقول الاخطل

ولقد غدوت على التجار بمنبج * هرت هوادله هرير الاكلب
لباس أردية الملوك يروقه * من كل مرتقب عيون الربرب

(ومنهم) قدامة بن مظعون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلده عمر بن الخطاب بشهادة علقمة الخصى وغيره فى الشراب (ومنهم) عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بابى شحمة حده أبوه فى الشراب وفى أمر أنكره عليه (ومنهم) عبد الله بن عروة ابن الزبير حده هشام بن اسمعيل المخزومى فى الشراب (ومنهم) عاصم بن عمر بن الخطاب حده بعض ولاة المدينة فى الشراب (ومنهم) عبد العزيز بن مروان حده عمرو الاشدق (وممن) فضح بالشراب بلال بن أبي بردة الاشعرى وفيه يقول يحيي بن نوفل الحميري

وأما بلال فذاك الذى * يميل الشراب به حيث مالا
يبيت يمص عتيق الشراب * كمص الوليد يخاف الفصالا

ويصبح مضطربا ناعسا * تخال من السكر فيه انحلالا
ويمشي ضعيفا كمشي النزيف * تخال به حين يمشي شكالا

(وممن شهر) بالشراب عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي القاضي بالكوفة وفضح بمنادمة سعد بن هبار وفيه يقول حارثة بن بدر

نهاره في قضايا غير عادلة * وليله في هوى سعد بن هبار
ما يسمع الناس أصواتا لهم عرضت * الا دويا دوي النحل في الغار
يدين أصحابه فيما يدينهم * كاسا بكاس وتكرارا بتكرار
فاصبح الناس اطلاحا اضربهم * حث المطى وما كانوا بسفار

(ومنهم) أبو محجن الثقفي وكان مغرما بالشراب وقد حده سعد بن أبي وقاص في الخمر مرارا وشهد القادسية مع سعد وأبلى فيها بلاء حسنا وهو القائل

اذا مت فادفني الى ظل كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

ثم حلف بالقادسية ان لا يشرب خمرا أبدا وأنشأ يقول

ان كانت الخمر عزت وقد منعت * وحال من دونها الاسلام والحرج
فقد أباكرها صهباء صافية * طورا واشربها صرفا وامتزج
وقد تقوم على رأسي مغنية * فيها اذا رفعت من صوتها غنج
فتخفض الصوت أحيانا وترفعه * كما يطن ذباب الروضة الهزج

(ومنهم) عبد الملك بن مروان وكان يسمي حمامة المسجد لاجتهاده في العبادة قبل الخلافة فلما أفضت اليه الخلافة شرب الطلا وقال له سعيد بن المسيب بلغني يا أمير المؤمنين انك شربت بعدي الطلا فقال أي والله وقتلت النفس (ومنهم) يزيد بن الوليد ذهب به الشراب كل مذهب حتي خلع وقتل وهو القائل

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم * ثباتا يساوى ما حييت عقالا
دعو لى سليمي والنبيذ وقينة * وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
أبالملك ارجو ان أخلد فيكم * ألا رب ملك قد أزيل فزالا

(وسقي) قوم اعرابية مسكراً فقالت أيشرب نساؤكم مثل هذا قالوا نعم قالت فما يدري

أحـدكم من أبوه (ومنهم) ابراهيم بن هرمة وكان مغرما بالشراب وحـده عليه جماعة من عمال المـدينة فلما ألحوا عليـه وضاق ذرعه بهم دخـل الى المهدى بشعره الذى يقول فيه

له لحظـات فى خفـاء سريرة * اذا كرهـا منها عـقاب ونائـل
لهم طينة بيضاء من آل هاشم * اذا اسود من لؤم التراب القبائل
اذا ما أتي شيأ مضي كالذى أتى * وان قال اني فاعل فهو فاعـل

فاعجب المهدى بشعره وقال سل حاجتك قال تامر لى بكتاب الى عامل المدينة أن لا يحدنى على شراب فقال له ويلك كيف نامر بذلك لو سألتنى عزل عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلت قال يا أمير المؤمنين لو عزلت عامل المدينة ووليتني مكانه أما كنت تعزلنى أيضا وتولى غيري قال بلى قال فكنت أرجع الى سيرتى الاولى فقال المهدي لوزرائه ما تقولون فى حاجة ابن هرمة وما عندكم من التلطف قالوا يا أمير المؤمنين انه يطلب مالا سبيل اليه إسقاط حد من حدود الله قال المهدى ان عندي له حيلة اذا عيتكم حيلته اكتبوا الى عامل المدينة من أتاك بابن هرمة سكران فاضرب ابن هرمة ثمانين واضرب الذى يأتيك به مائة فكان ابن هرمة اذا مشى فى أزقة المدينة يقول من يشتري مائة بثمانين (وكان) بامج رجل يقال له حميد وكان مفتونا بالخمر فهجاه ابن عم له وقال فيه

حميد الذى بامج داره * اخو الخمر ذو الشيبة الاصلع
علاه المشيب على شربها * وكان كريما فما ينزع

(ودخل) حميد يوما على عمر بن عبد العزيز فقال له من أنت قال أنا حميد قال حميد الذى قال فيه الشاعر قال والله يا أمير المؤمنين ما شربت مسكرا منذ عشرين سنة فصدقه بعض جلسائه فقال لله أنماد اعينك

﴿ الفرق بين الخمر والنبيذ ﴾ أول ذلك ان تحريم الخمر مجمع عليه لا اختلاف فيه بين اثنين من الائمة والعلماء وتحريم النبيذ مختلف فيه بين الاكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين حتي لقد اضطر محمد بن سيرين مع علمه وورعه أن يسال عبيدة السلماني عن النبيذ فقال له عبيدة اختلف علينا فى النبيذ وعبيدة ممن أدرك أبا بكر وعمر فما ظنك بشيء اختلف فيه الناس وأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام متوافرون فمن بين مطلق له ومحظر عليه وكل واحد منهم مقيم الحجج لمذهبه والشواهد على قوله والنبيذ كل ما ينبذ فى الدباء والمزفت فاشتد حتي

يسكر كثيره وما لم يشتد فلا يسمي نبيذا كما انه ما لم يعمل من عصير العنب حتى يشتد لا يسمى خمرا كما قال الشاعر

نبيذ اذا مر الذباب بدنه * تعطر لو خر الذباب وقيدا

(وقيل) لسفيان الثوري وقد دعا بنبيذ فشرب منه ووضعه بين يديه يا أبا عبد الله اخشي الذباب أن تقع فى النبيذ قال قبحه الله ان لم يذب عن نفسه (وقال) حفص بن غياث كنت عند الاعمش وبين يديه نبيذ فاستاذن عليه قوم من طلبة الحديث فسترته فقال لى لم سترته فكرهت أن أقول لئلا يراه من يدخل فقلت كرهت أن يقع فيه الذباب فقال لى هيهات انه أمنع من ذلك جانبا ولو كان النبيذ هو الخمر التى حرمها الله فى كتابه ما اختلف فى تحريمه اثنان من الامة (حدث) محمد بن وضاح قال سالت سحنونا فقلت ما تقول فيمن حلف بطلاق زوجته ان المطبوخ من عصير العنب هو الخمر التى حرمها الله فى كتابه قال بانت زوجته منه (وذكر) ابن قتيبة فى كتاب الاشربة ان الله تعالى حرم علينا الخمر بالكتاب والمسكر بالسنة فكان فيه فسحة فما كان محرما بالكتاب فلا يحل منه لا قليل ولا كثير وما كان محرما بالسنة فان فيه فسحة أو بعضه كالقليل من الديباج والحرير يكون في الثوب والحرير محرم بالسنة وكالتفريط فى صلاة الوتر وركعتي الفجر وهما سنة فلا نقول ان تاركهما كتارك الفرائض من الظهر والعصر (وقد) استاذن عبد الرحمن بن عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لباس الحرير لبلية كانت به وأذن لعرفجة بن سعد وكان أصيب أنفه يوم الكلاب باتخاذ أنف من الذهب وقد جعل الله فيما أحل عوضا مما حرم فحرم الربا وأحل البيع وحرم السفاح وأحل النكاح وحرم الديباج وأحل الوشى وحرم الخمر وأحل النبيذ غير المسكر والمسكر منه ما أسكر

﴿مناقضة ابن قتيبة فى قوله فى الاشربة﴾ قال فى كتابه فان قال قائل ان المنكر هى الاشربة المسكرة اكذبه النظر لان القدح الاخير انما أسكر بالاول وكذلك اللقمة الاخيرة انما أشبعت بالاولى ومن قال السكر حرام قال فانما ذلك مجاز من القول وانما يريد ما يكون منه السكر حرام وكذلك التخمة حرام وهذا الشاهد الذي استشهد فى تحريمه قليل ما أسكر كثيره وتشبيهه ذلك بالتخمة شاهد عليه لا شاهد له لان الناس مجمعون على أن قليل الطعام الذي تكون منه التخمة حلال وان التخمة حرام وكذلك ينبغي أن يكون قليل النبيذ الذى يسكر كثيره حلالا وكثيره حراما وأن الشربة الاخيرة المسكرة هي المحرمة ومثل الاربعة أقداح التي يسكر

حنها القدح الرابع مثل أربعة رجال اجتمعوا على رجل فشجه أحدهم موضحة ثم شجه الثاني منقلة ثم شجه الثالث مامومة ثم أقبل الرابع فاجهز عليه فلا نقول ان الاول هو قاتله ولا الثاني ولا الثالث وانما قتله الرابع الذي أجهز عليه وعليه القود (وذكر) ابن قتيبة في كتابه بعد ان ذكر اختلاف الناس في النبيذ وما أدلى به كل قوم من الحجة فقال واعدل القول عندي ان تحريم الخمر بالكتاب وتحريم النبيذ بالسنة وكراهية ما تغير وخدر من الاشربة تاديب ثم زعم في هذا الكتاب بعينه ان الخمر نوعان فنوع منهما اجمع على تحريمه وهو خمر العنب من غير ان تمسه نار لا يحل منه لا قليل ولا كثير ونوع آخر مختلف فيه وهو نبيذ الزبيب اذا اشتد ونبيذ التمر اذا اصاب ولا يسمى سكرا الا نبيذ التمر خاصة (وقال) بعض الناس نبيذ التمر حل وليس بخمر واحتجوا بقول عمر فما انتزع بالماء فهو حلال وما انتزع بغير الماء فهو حرام (قال) ابن قتيبة وقال آخرون هو خمر حرام كله وهذا هو القول عندي لان تحريم الخمر نزل وجمهور الناس مختلفة وكلها يقع عليها هذا الاسم في ذلك الوقت (وذكر) ان أبا موسى قال خمر المدينة من البسر والتمر وخمر اهل فارس من العنب وخمر أهل اليمن من البتع وهو نبيذ العسل وخمر الحبشة السكركة وهي من الذرة وخمر التمر يقال له البتع والفضيخ (وذكروا) ان عمر قال الخمر من خمسة أشياء من البر والشعير والتمر والزبيب والعسل والخمر ما خامر العقل ولأهل اليمن أيضا شراب من الشعير يقال له المزر وزعم ههنا ابن قتيبة ان هذه الاشربة كلها خمر وقال هذا هو القول عندي وقد تقدم له في صدر الكتاب ان النبيذ لا يسمي نبيذا حتى يشتد ويسكر كثيره كما ان عصير العنب لا يسمى خمرا حتى يشتد وان صدر هذه الامة والأئمة في الدين لم يختلفوا في شيء كاختلافهم في النبيذ وكيفيته ثم قال فيما حكم بين الفريقين أما الذين ذهبوا الى تحريمه كله ولم يفرقوا بين الخمر وبين نبيذ التمر وبين ماطبخ وبين ما نقع فانهم غلوا في القول جدا ونحلوا قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البدريين وقوما من خيار التابعين وأئمة من السلف المتقدمين شرب الخمر وزينوا ذلك بان قالوا اشربوها على التاويل وغلطوا في ذلك فاتهموا القوم ولم يتهموا نظرهم ونحلوهم الخطا وبرؤا أنفسهم منه فعجبت منه كيف يعيب هذا المذهب ثم يتقلده ويطعن على قائله ثم يقول به الا اني نظرت الى كتابه فرأيته قد طال جدا فاحسبه انسي في آخره ماذهب اليه في أوله والقول الاول من قوله هو المذهب الصحيح الذي تانس اليه القلوب وتقبله العقول لا قوله الآخر

الذى غلط فيه

﴿ احتجاج المحرمين لقليل النبيذ وكثيره ﴾ ذهبوا أجمعون الى ان ما اسكر كثيره من الشراب فقليله حرام كتحريم الخمر وقال بعضهم بل هو الخمر بعينها ولم يفرقوا بين ماطبخ وبين ما انقع وقضوا عليه كله انه حرام وذهبوا من الاثر الى حديث رواه عبدالله بن قتيبة عن محمد بن خالد بن خداش عن أبيه عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وكل مسكر خمر وحديث رواه ابن قتيبة عن اسحق بن راهويه عن المعتمر بن سليمان عن ميمون بن مهدى عن ابي عثمان الانصاري عن القاسم عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فالحسوة منه حرام والفرق ستة عشر رطلا وللعرب اربعة مكاييل مشهورة أصغرها المد وهو رطل وثلث فى قول الحجاز بين ورطلان فى قول العراقيين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضا بالمد والصاع وهو أربعة أمداد خمسة أرطال وثلث فى قول الحجازيين وثمانية ارطال فى قول العراقيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع والقسط وهو رطلان وثلثان فى قول الناس جميعا والفرق وهو ستة عشر رطلا ستة أقساط فى قول الناس أجمعين وذهبوا الى حديث رواه ابن قتيبة عن محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن الزهرى عن أبي سلمة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام مع أشياء كهذا من الحديث يطول الكتاب باستقصائها الا ان هذه اغلظها فى التحريم وأبعدها من حيلة المتاول (قالوا) والشاهد على ذلك من النظر ان الخمر انما حرمت لاسكارها وجناياتها على شاربها ولا نها رجس كما قال الله ثم ذكروا من جنايات الخمر ماقد ذكرناه فى صدر كتابنا هذا من آفات الخمر وجناياتها (ثم) قالوا والعلة التي لها حرمت الخمر من الاسكار والصداع والصد عن ذكر الله وعن الصلاة قائمة بعينها فى النبيذ كله المسكر فسبيله سبيل الخمر لافرق بينهما فى الدليل الواضح والقياس الصحيح كما ان حديث النبي صلى الله عليه وسلم فى الفارة اذا وقعت فى السمن انه ان كان جامدا القيت والتي ماحولها وان كان جاريا اريق السمن فحملت العلماء الزيت ونحوه محمل السمن بالدليل الصحيح وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الى السمن خاصة بنجس الفارة وانما سئل عن الفارة تقع فى السمن فافتى فيه فقاس العلماء الزيت وغيره بالسمن وكما أمر بالاستنجاء بثلاثة

أحجار للتنقية من الاذى فاجازوا كل ما أنقى من الخزف والخرق وغير ذلك وحملوه محمل الاحجار الثلاثة ولما حرمت الخمرة بعلة هي قائمة في النبيذ المسكر حمل النبيذ محمل الخمر فى التحريم (قالوا) ووجدناهم يقولون لمن غلب عليه غلب النفس وصداع الرأس من الخمر مخمور و به خمار (و يقال) مثل ذلك فى شارب النبيذ ولا يقولون منبوذ ولا به نباذ والخمار ماخوذ من الخمر كما يقال الكباد فى وجع الكبد والصدار في وجع الصدر وذهبوا فى تحريم النبيذ الى حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهي عن أن ينبذ فى الدباء والمزفت (وقالوا) لمن أجاز قليل ما أسكر كثيره انه ليس بين شارب المسكر وموافقة السكر حد ينتهى اليه ولا يوقف عنده ولا يعلم شارب المسكر متى يسكر كما لا يعلم الناعس متى يرقد وقد يشرب الرجل من الشراب المسكر قدحين وثلاثة أقداح ولا يسكر و يشرب منه غيره قدحا واحدا فيسكر لانه قد يختلف طبع الرجل فى نفسه فيسكر مرة من القدحين ويشرب مرة أخرى ثلاثة أقداح فلا يسكر

﴿ رسالة عمر بن عبد العزيز الى أهل الامصار فى الانبذة ﴾ أما بعد فان الناس كان منهم فى هذا الشراب المحرم أمر ساءت فيه رغبة كثير منهم حتى سفه أحلامهم واذهب عقولهم فاستحل به الدم الحرام وفرج الحرائر وان رجالا منهم ممن يصيب ذلك الشراب يقولون شربنا طلاء فلا بأس علينا فى شربه ولعمرى ان فيما قارأت مما حرم الله بأسا وان في الاشربة التى أحل الله من العسل والسويق والنبيذ من الزبيب والتمر لمندوحة عن الاشربة الحرام غير أن كل ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا ينبذ الا فى أسقية الادم التى لازفت فيها ولا يشرب منها ما يسكر فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن شرب ما جعل فى الجرار والدباء والظروف المزفتة وقال كل مسكر حرام فاستغنوا بما أحل لكم عما حرم عليكم وقد أردت بالذى نهيت عنه من شرب الخمر من الطلاء وما جعل فى الدباء والجرار والظروف المزفتة وكل مسكر اتخاذ الحجة عليكم فمن يطع منكم فهو خير له ومن يخالف الى ما نهي عنه نعاقبه على العلانية و يكفينا الله ما أسر فانه على كل شيء رقيب ومن استخفى بذلك عنا فان الله أشد بأسا وأشد تنكيلا

﴿ احتجاج المحلين للنبيذ كله ﴾ قال المحلون لكل ما أسكر كثيره من النبيذ انما حرمت الخمر بعينها خمر العنب خاصة بالكتاب وهي معقولة مفهومة لا يمتري فيها أحد

من المسلمين وانما حرمها الله تعبدا لا لعلة الاسكار كما ذكرتم ولا لانها رجس كما زعمتم ولو كان ذلك كذلك لما أحلها الله للانبياء المتقدمين والامم السالفين ولا شربها نوح بعد خروجه من السفينة ولا عيسى ليلة رفع ولا شربها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى صدر الاسلام (وأما) قولكم انها رجس فقد صدقتم فى اللفظ وغلطتم فى المعنى اذ كنتم أردتم انها منتنة فان الخمر ليست بمنتنة ولا قذرة ولا وصفها أحد بنتن ولا قذر وانما جعلها الله رجسا بالتحريم كما جعل الزنا فاحشة ومقتا أى معصية وانما بالتحريم وانما هو جماع كجماع النكاح وهو عن تراض و بذل كما أن النكاح عن تراض و بذل وقد يبذل فى السفاح مالا يبذل فى النكاح ولذلك سمي الله تبارك وتعالى المحرمات كلها خبائث فقال تعالى ويحرم عليهم الخبائث وسمي المحلات كلها طيبات فقال يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وسمى كل ما جاوز أمره أو قصر عنه سرفا وان اقتصد فيه وقد ذكر الخمر فيما امتن به على عباده قبل تحريمها فقال تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ولو أنها رجس على ما تأولتم ما جعلها الله فى جنته وسماها لذة للشاربين وان قلتم ان خمر الجنة ليست كخمر الدنيا لان الله نفى عنها عيوب خمر الدنيا فقال تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون وكذلك قوله فى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى عنها عيوب فواكه الدنيا لانها تأتى فى وقت وتنقطع فى وقت ولانها ممنوعة الا بالثمن ولها آفات كثيرة وليس فى فواكه الجنة آفة وما سمعنا أحدا وصف الخمر الا بضد ما ذكرتم من طيب النسيم وذكاء الرائحة

﴿ قال الاخطل ﴾

كانها المسك رهنا بين أرحلنا ✻ وقد تضوع من ناجودها الجادى

﴿ وقال آخر ﴾

فتنفست فى البيت اذ مزجت ✻ كتنفس الريحان فى الانف

﴿ وقال أبو نواس ﴾

نحن نخفيها فيأبى ✻ طيب ريح فتفوح

وانما قوله فيها رجس كقوله تعالى وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم أي كفرا الى كفرهم (وأما) منافعها التي ذكرها الله تعالى في قوله يسألونك عن

الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فانها كثيرة لا تحصى فمنها انها تدر الدم وتقوى المعدة وتصفي اللون وتبعث النشاط وتفتق اللسان ما أخذ منها بقدر الحاجة ولم يجاوز المقدار فاذا جاوز ذلك عاد نفعها ضررا (وقال) ابن قتيبة فى كتاب الاشربة كانت بنو وائل تقول الخمر حبيبة الروح ولذلك اشتق لها اسم من الروح فسميت راحا وربما سميت روحا

﴿ وقال ابراهيم النظام ﴾

مازلت آخذ روح الدن من لطف * واستبيح دما من غير مجروح
حتي انثنيت ولى روحان فى جسدى * والدن مطرح جسم بلا روح

وقد تسمي دما لانها تزيد في الدم (قال) مسلم بن الوليد الانصارى

مزجنا دما من كرمة بدمائنا * فاظهر فى الالوان منا الدم الدم

قال ابن قتيبة وحدثني الريائى ان عبيدا راوية الاعشى قال سالت الاعشى عن قوله

وسلافة مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتها جريالها

فقال شربتها حمراء وبلتها بيضاء يريد ان حمرتها صارت دما. ومن منافع الخمر انها تزيد فى القوة وتولد الحرارة وتهيج الانفة وتسخى البخيل وتشجع الجبان

﴿ قال حسان بن ثابت ﴾

ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا ماينهنهنا اللقاء

﴿ وقال طرفة ﴾

واذا ما شربوها وانتشوا * وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر

﴿ وقال مسلم بن الوليد ﴾

يصد بنفس الخمر عما يغمه * وينطق بالمعروف السنة البخل

﴿ وقال الحسن بن هانىء ﴾

اذا ما أتت دون اللهاة من الفتي * دعا همه من صدره برحيل

ومن تسخيتها للبخيل المخبول قول بعض المحدثين

كسانى قميصا مرتين اذا انتشا * وينزعه عني اذا كان صاحيا

فلي فرحة في سكره بقميصه * وفي الصحو روعات تشيب النواصيا
فياليت حظي من سروري وفرحتي * ومن جوده لي لا علي ولا ليا

(قالوا) ولولا ان الله تعالى حرم الخمر في كتابه لكانت سيدة الاشربة وماظنك بشراب الشربة الثانية منه أطيب من الاولى والثالثة أطيب من الثانية حتى يؤديك الى أرفق الاشياء وهو النوم وكل شراب سواها فالشربة الاولى أطيب من الثانية والثانية أطيب من الثالثة حتى تمله وتكرهه (وسقى) قوم اعرابيا كؤسا ثم قالوا كيف تجدك قال أجدني أسر وأجدكم تحسنون الي (وقالوا) ماحرم الله شيئا الا عوضنا ماهو خير منه أو مثله وقد جعل الله النبيذ عوضا من الخمر نأخذ منه مايطيب النفس ويصفي اللون ويهضم الطعام ولا نبلغ منه الى مايذهب العقل ويصدع الرأس ويغثي النفس ويشرك الخمر في آفاتها وعظيم خبائثها (قالوا) وأما قولكم ان الخمر كل ماخمر والنبيذ كل ماخمر فهو خمر فان الاسماء قد تتشاكل في بعض المعاني فتسمي ببعضها لعلة فيها وهي في آخر ولا يطلق ذلك الاسم على الآخر ألا ترى ان اللبن قد يخمرونه بروبة تلقى فيه ولا يسمى خمرا وان العجين قد يخمر فيسمى خميرا ولا يسمى خمرا وان نقيع التمر يسمى سكرا لاسكاره ولا يسمى غيره من النبيذ سكرا وان كان مسكرا وهذا أكثر في كلام العرب من أن يحاط به وقد رأيت اللبن يسكر اسكارا كسكر النبيذ ويقال قوم ملبونون وقوم روبى اذا شربوا الرائب فسكروا منه

﴿ وقال بشر بن أبي حازم ﴾

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

(وأما قولكم) الرجل مخمور وبه خمار اذا أصابه صداع من الخمر وقد يقال مثل ذلك لمن أصابه صداع من النبيذ فيقال به خمار ولا يقال به نباذ فان حجتنا في ذلك ان الخمار انما يكون مما أسكر من النبيذ وذلك حرام لافرق بينه وبين الخمر عندنا فيقال فيه مايقال في الخمر وانما كان شرب النبيذ من أسلافنا مايشربون من اليسير على الغداء والعشاء ومما لا يعرض منه خمار وقد فرقت الشعراء بين النبيذ والخمر فقال الاقيشر وكان مغرما بالشراب

وصهباء جرجانية لم يطف بها * حنيف ولم تغلى بها ساعة قدر
أتاني بها يحيي وقد نمت نومة * وقد غارت الشعرى وقد خفق النسر

فقلت اصطبحها أولغيرى فاهدها * فما أنا بعد الشيب ويلك والخمر
اذا المرء وافى الاربعين ولم يكن * له دون ما يأتى حياء ولا ستر
فدعه ولا تنكر عليه الذي أتى * وان جر أرسان الحياة له الدهر

فاعلمك ان الخمر هي التي لم تغل بها القدور (وأما قول بعض الشعراء) فى شاربى النبيذ وماعابوهم به من قلة الوفاء ونقض العهد فقد قالوا أقبح من ذلك فى تارك النبيذ قال حيص بيص

ألا لا يغرنك ذو سجدة * يظل بها دائما يخدع
وما للتقي لزمت وجهه * ولكن ليأتي مستودع
ثلاثون الفا حواها السجود * فليت الى ربها ترجع
ورد أخو الكاس ماعنده * وما كنت فى رده أطمع

﴿ وقال آخر ﴾

أما النبيذ فلا يذعرك شاربه * واحفظ ثيابك ممن يشرب الماء
قوم يداوون عماق نفوسهم * حتي اذا استمكنوا كانوا هم الداء
مشمرين الى انصاف سوقهم * هم الذئاب وقد يدعون قراء

﴿ وقال اعرابى ﴾

صلى فازعجني وصام فراعنى * نح القلوص عن المصلى الصائم

﴿ وقال ﴾

شمر ثيابك واستعد لقابل * واحكك جبينك للقضاء بثوم
وامش الدبيب اذا مشيت لحاجة * حتى تصيب وديعة ليتيم

﴿ وقال بعض الظرفاء ﴾

أظهروا والله سمتا * وعلى المنقوش داروا
وله صلوا وصاموا * وله حجوا وزاروا
لو يري فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

فهؤلاء المراؤن باعمالهم العاملون للناس والتاركون للناس هم شرار الخلق وأراذل البرية

وقد فضل شربة النبيذ عليهم بارسال الانفس على السجية واظهار المروءة ولست أصف بهذا منهم الادينا فليس فى الناس صنف الاولهم حشو

﴿ ومن احتجاج المحلين للنبيذ ﴾ ما رواه مالك بن أنس فى موطئه من حديث أبى سعيد الخدري انه قدم من سفر فقدم اليه لحم من لحوم الاضاحى فقال ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاكم عن هذا بعد ثلاثة أيام فقالوا قد كان بعدك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمر فخرج الى الناس فسالهم فاخبروه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن لحوم الاضاحى بعد ثلاثة أيام فكلوا وادخروا وتصدقوا وكنت نهيتكم عن الانتباذ فى الدباء والمزفت فانتبذوا وكل مسكر حرام وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديثان صحيحان رواهما مالك بن أنس وأثبتهما فى موطئه وانما هو ناسخ ومنسوخ وانما كان نهيه ان ينتبذوا فى الدباء والمزفت نهيا عن النبيذ الشديد لان الاشربة فيها تشتد ولا معني للدباء والمزفت غير هذا وقوله بعد هذا كنت نهيتكم عن الانتباذ فانتبذوا وكل مسكر حرام اباحة لما كان حظر عليه من النبيذ الشديد وقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ينهاكم بذلك ان تشربوا حتى تسكروا وانما المسكر ما أسكرك ولا يسمي القليل الذى لا يسكر مسكرا ولو كان ما يسكر كثيره يسمي قليله مسكرا ما اباح لنا منه شيا والدليل على ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم شرب من سقاية العباس فوجده شديدا فقطب بين حاجبيه ثم دعا بذنوب من ماء زمزم فصب عليه ثم قال اذا اغتلمت اشربتكم فاكسروها بالماء ولو كان حراما لاراقه ولما صب عليه ماء ثم شربه (وقالوا) فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خمر مسكر هو ما أسكر الفرق منه فملء الكف حرام هذا كله منسوخ نسخه شربه للصلب يوم حجة الوداع (قالوا) ومن الدليل على ذلك أنه كان ينهي وفد عبد القيس عن شرب المسكر فوفدوا اليه بعد فرآهم مصفرة ألوانهم سيئة حالهم فسالهم عن قصتهم فاعلموه انه كان لهم شراب فيه قوام أبدانهم فمنعهم من ذلك فاذن لهم فى شربه وان ابن مسعود قال شهدنا التحريم وشهدتم وشهدنا التحليل وغبتم وانه كان يشرب الصلب من نبيذ التمر حتي كثرت الروايات به عنه وشهرت وأذيعت واتبعه عامة التابعين من الكوفيين وجعلوه أعظم حججهم وقال فى ذلك شاعرهم

من ذا يحرم ماء المزن خالطه * فى جوف خابية ماء العناقيد

اني لاكره تشديد الرواة لنا * فيه ويعجبني قول ابن مسعود

وانما أراد أنهم كانوا يعمدون الى الرب الذى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه فيزيدون عليه من الماء قدر ماذهب منه ثم يتركونه حتى يغلي ويسكن جاشه ثم يشربونه (وكان) عمر يشرب على طعامه الصلب ويقول يقطع هذا اللحم في بطوننا (واحتجوا) بحديث زيد ابن أخرم عن أبي داود عن شعبة عن مسعر بن كدام عن ابن عون الثقفي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس أنه قال حرمت الخمر بعينها والمسكر من كل شراب وبحديث رواه عبد الرحمن ابن سليمان عن يزيد بن أبي زياد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف وهو شاك على بعير ومعه محجن فلما مر بالحجر استلمه بالمحجن حتى اذا انقضى طوافه نزل فصلى ركعتين ثم أتي السقاية فقال اسقوني من هذا فقال له العباس ألا نسقيك مما يصنع في البيوت قال ولكن اسقوني مما يشرب الناس فاتى بقدح من نبيذ فذاقه فقطب وقال هلموا فصبوا فيه الماء ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ثم قال اذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا والحديث رواه يحيي بن اليمان عن الثوري عن منصور بن خالد عن سعيد عن أبي مسعود الانصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش وهو يطوف بالبيت فاتي بنبيذ من السقاية فشمه فقطب ثم دعا بذنوب من ماء زمزم فصب عليه ثم شربه فقال له رجل أحرام هذا يارسول الله فقال لا (وقال الشعبي) شرب اعرابي من اداوة عمر فاغشى فحده عمر وانما حده للسكر لا للشرب (ودخل) عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قوم يشربون ويوقدون في الاخصاص فقال نهيتكم عن معاقرة الشراب فعاقرتم وعن الايقاد في الاخصاص فاوقدتم وهم بتاديبهم فقالوا يا أمير المؤمنين نهاك الله عن التجسس فتجسست ونهاك عن الدخول بغير اذن فدخلت فقال هاتان بهاتين وانصرف وهو يقول كل الناس أفقه منك يا عمر وانما نهاهم عن المعاقرة وادمان الشراب حتى يسكروا ولم ينههم عن الشراب وأصل المعاقرة من عقر الحوض وهو مقام الشاربة ولو كان عنده ماشربوا حراما لحدهم (وبلغه) عن عامل له بميسان أنه قال

ألا أبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية * وصناجة تشدو على كل ميسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني * ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه * تنادمنا في الجوسق المتهدم

فقال إي والله انه ليسوؤني ذلك فعزله وقال والله لا عمل لى عملا أبدا وانما أنكر عليه المدام وشربه بالكبير والصنج والرقص وشغله باللهو عما فوض اليه من أمور الرعية ولو كان ماشرب عنده خمرا لحده (محمد بن وضاح) عن سعيد بن نصر عن يسار عن جعفر قال سمعت مالك بن دينار وسئل عن النبيذ أحرام هو فقال أنظر ثمن التمر من أين هو ولا تسال عن النبيذ أحلال هو أم حرام (وعوتب) سعيد بن زيد فى النبيذ فقال أما أنا فلا أدعه حتى يكون شر عملى (وقيل) لمحمد بن واسع أتشرب النبيذ فقال نعم فقيل وكيف تشربه فقال عند غدائى وعشائى وعند ظمئى قيل فما تركت منه قال النكاة ومحادثة الاخوان (وقال) المامون اشرب النبيذ مااستبشعته فاذا سهل عليك فدعه وانما أراد به يسهل على شاربه اذا أخذفى الاسكار (وقيل) لسعيد بن أسلم أتشرب النبيذ فقال لا قيل ولم قال تركت كثيره لله وقليله للناس وكان سفيان الثوري يشرب النبيذ الصلب الذى تحمر منه وجنتاه (واحتجوا) من جهة النظر ان الاشياء كلها حلال الاماحرم الله قالوا فلا نزيل نفس الحلال بالاختلاف ولو كان المحللون فرقة من الناس فكيف وهم أكثر الفرق وأهل الكوفة أجمعوا على التحليل لايختلفون فيه وتلوا قول لله عز وجل قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون (حدث) اسحق بن راهويه قال سمعت وكيعا يقول النبيذ أحل من الماء وعابه بعض الناس فى ذلك وقالوا كيف يكون أحل من الماء وهو وان كان حلالا فهو بمنزلة الماء وليس على وكيع فى هذا الموضع عيب ولا يرجع عليه فيه كذب لان كلمته خرجت مخرج كلام العرب فى مبالغتهم كما يقولون هو أشهر من الصبح وأسرع من البرق وأبعد من النجم واحلى من العسل وأحر من النار ولم يكن أحد من الكوفيين يحرم النبيذ غير عبد الله بن ادريس وكان بذلك معيبا (وقيل) لابن ادريس من خيار أهل الكوفة فقال هؤلاء الذين يشربون النبيذ قيل وكيف وهم يشربون ما يحرم عندك قال ذلك مبلغهم من العلم (وكان ابن المبارك) يكره شرب النبيذ ويخالف فيه رأي المشايخ وأهل البصرة قال أبو بكر بن عياش من أين جئت بهذا القول فى كراهيتك النبيذ ومخالفتك أهل بلدك قال هوشيء اخترته لنفسى قلت فتعيب من شربه قال لاقلت أنت وما اخترت (وكان) عبد الله بن داود يقول ماهو عندى وماء الفرات الاسواء (وكان) يقول أكره ادارة القدح وأكره نقيع الزبيب وأكره المعتق (قال) ومن ادار القدح لم تجز شهادته (وشهد) رجل عند سوار القاضى فرد شهادته لانه كان يشرب

النبيذ فقال

أما الشراب فاني غير تاركه * ولا شهادة لى ماعاش سوار

(حدث شبابة) قال حدثني غسان بن أبي صباح الكوفى عن أبي سلمة يحيى بن دينار عن أبي المظهر الوراق قال بينما زيد بن على في بعض أزقة الكوفة اذ مر به رجل من الشيعة فدعاه الى منزله واحضر طعاما فتسامعت به الشيعة فدخلوا عليه حتى غص المجلس بهم فاكلوا معه ثم استسقى فقيل له أي الشراب نسقيك يا ابن رسول الله قال أصلبه واشده فاتوه بعتيق من نبيذ فشرب وادار العس عليهم فشربوا ثم قالوا يا ابن رسول الله لو حدثتنا فى هذا النبيذ بحديث رويته عن أبيك عن جدك فان العلماء يختلفون فيه قال نعم حدثنى أبي عن جدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتركبن طبقة بنى اسرائيل حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل الا وان الله ابتلى بني اسرائيل بنهر طالوت أحل منه الغرفة والغرفتين وحرم منه الرى وقد ابتلاكم بهذا النبيذ أحل منه القليل وحرم منه الكثير (وكان) أهل الكوفة يسمون النبيذ نهر طالوت (وقال فيه شاعرهم)

اشرب على طرب من نهر طالوت * حمراء صافية فى لون ياقوت
من كف ساحرة العينين شاطرة * تربي على سحر هاروت وماروت
لها تماوت الحاظ اذا نظرت * فنار قلبك من تلك التماويت

﴿ حديث الحرث بن كلدة طبيب العرب مع كسرى انوشروان الفارسي ﴾ روى ان الحرث بن كلدة الثقفي وفد على كسرى أنوشروان فاذن له بالدخول فانتصب بين يديه فقال له كسري من أنت قال أنا الحرث بن كلدة قال أعرابي قال نعم من صميمها قال فما صناعتك قال طبيب قال وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها فقال ذلك أجدر أيها الملك اذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج الى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل اسنادها قال الملك كيف لها بان تعرف ماتعهد عليها لو عرفت الحق لم تنتسب الى الجهل قال الحرث أيها الملك ان الله جل اسمه قسم العقول بين العباد كما قسم الارزاق وأخذ القوم نصيبهم ففيهم مافى الناس من جاهل وعالم وعاجز وحازم قال الملك فما الذى تجد فى اخلاقهم وتحفظ من مذاهبهم قال الحرث لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحية مرضية واحساب نقية فيمرق

الكلام من افواههم مروق السهم من الوتر الين من الماء وأعذب من الهواء يطعمون الطعام ويضربون الهام وعزهم لا يرام وجارهم لا يضام ولا يروع اذا نام لا يقرون بفضل أحد من الاقوام ماخلا الملك الهمام الذي لا يقاس به أحد من الانام (قال) فاستوى كسرى جالسا ثم التفت الى من حوله فقال أطرى قومه فلولا أن تداركه عقله لذم قومه غيراني أراه ذا عمى ثم أذن له بالجلوس فقال كيف نظرك بالطب قال ناهيك قال فما أصل الطب قال ضبط الشفتين والرفق باليدين قال أصبت الدواء فما الداء قال ادخال الطعام على الطعام هو الذى افني البرية وقتل السباع فى البرية قال أصبت فما الجمرة التي تلهب منها الادواء قال هى التخمة ان بقيت فى الجوف قتلت وان تحللت اسقمت قال فما تقول فى اخراج الدم قال فى نقصان الهلال فى يوم صحو لا غيم فيه والنفس طيبة والسرور حاضر قال فما تقول فى الحمام قال لا تدخل الحمام شبعان ولا تغش أهلك سكران ولا تنم بالليل عريان وارفق بجسمك يكن ارجى لنسلك قال فما تقول فى شرب الدواء قال اجتنب الدواء مالزمتك الصحة فاذا احسست بحركة الداء فاحسمه بما يردعه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وان افسدتها خربت قال فما تقول فى الشراب قال اطيبه أهناه وارقه امراه ولا تشرب صرفا يورثك صداعا ويثير عليك من الداء أنواعا قال فاى اللحمان أحمد قال الضان الفتي أسمنه وأبذله واجتنب أكل القديد والمالح والمعز والبقر قال فما تقول فى الفاكهة قال كلها فى اقبال دولتها واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها وافضل الفاكهة الرمان والاترج وافضل البقول الهندبا والخس وأفضل الرياحين الورد والبنفسج قال فما تقول فى شرب الماء قال هو حياة البدن وبه قوته وينفع ماشرب منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر وأفضل المياه مياه الانهار العظام ابرده واصفاه قال فما طعمه قال شيء لا يوصف ومشتق من الحياة قال فما لونه قال اشتبه على الابصار لونه يحكى لون كل شيء يكون فيه قال فاخبرنى عن أصل الانسان ماهو قال أصله من حيث يشرب الماء يعني رأسه قال فما هذا النور الذى يبصر به الاشياء قال العين مركبة من أشياء فالبياض شحمة والسواد مائع قال فعلى كم طبع هذا البدن قال اربع طبائع على المرة السوداء وهى باردة يابسة والمرة الصفراء وهى حارة يابسة والدم وهو حار رطب والبلغم وهو بارد رطب قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من شيء واحد لم ينحل ولم يمرض ولم يمت قال فمن طبعين ما حال الاقتصار عليهما قال لم يجز

لانهما ضدان قبيلان ولذلك لم يجز من ثلاثة موافقين ومخالف قال فاجمل لي الحار والبارد في أحرف جامعة قال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مز معتدل وفي المرحار وبارد قال فما أفضل ما عولج به المرة السوداء قال بكل حار لين قال فالرياح قال الحقن اللينة والادهان الحارة قال أفتأمر بالحقن قال نعم قرأت في بعض الكتب ان الحقنة تنقى الجوف وتكسح الادواء عنه وعجبت لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد وان الجهل كل الجهل من أكل ما قد عرف مضرته فيؤثر شهوته على راحة بدنه قال فما الحمية قال الاقتصاد في كل شيء فانه اذا أكل فوق المقدار ضيق على الروح ساحته قال فما تقول في اتيان النساء قال كثرة غشيانهن رديء واتيان المرأة المولية فانها كالشن البالي تسقم بدنك وتجذب قوتك ماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك ولا تعطيك عليك باتيان الشباب فان الشابة ماؤها عذب زلال ومعانقتها غنج ودلال فوها بارد وريحها طيب ورحمها حرج تزيدك قوة ونشاطا قال فاي النساء القلب لها ابسط والعين برؤيتها آنس قال ان اصبتها مديدة القامة عظيمة الهامة واسعة الجبين عريضة الصدر مليحة النحر ناهدة الثديين ضيقة الخصر والقدمين بيضاء فرعاء جعدة غضة تخالها في الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن اقحوان باهر وان تكشف تكشف عن بيضة مكنونة وان تعانق تعانق ماهوا لين من الزبد وأحلى من الشهد وأعظم من القند وأبرد من الفردوس والخلد وأذكى ريحا من الياسمين والورد قال فاستضحك كسرى حتي اختلفت كتفاه قال فاي الاوقات أفضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى والنفس اشهى والرحم ادفا قال فأي الاوقات ألذ وأطرب قال نهارا يزيدك النظر انتشارا قال كسرى لله درك من عربي لقد أعطيت علما وخصصت به من بين الحمقى وفطنة وفهما ثم أمر باعطائه وصلته وقضي حوائجه (وجدت) في بعض النسخ زيادة فاوردتها وهي حضر ابن أبي الحوارى بالشام وكان معروفا بالرقائق والزهد مائدة صالح العباسي مع فقهاء البلد فحدثني البحتري عن عبادة وكان ممن حضر المجلس أنه بعث اليه بقدح نبيذ فشربه ثم بعث اليه بثان فامتنع من شربه فاخذه الناس بالسنتهم وقالوا شربت المسكر على اخونة هؤلاء وصرت لهم حجة قال حسبكم أردتم ان أكون ممن قال الله تعالى فيهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم فكيف ادعه لكم وأشربه بعين الله (وقال) بعض القضاة لرجل كان يعذله بلغني انك تشرب المسكر فقال ما اشرب المسكر ولكني اشرب النبيذ الصاب فاين

هؤلاء فى ترك الرياء والتصنع من رجل سرقت نعله فلم يشتر نعلا حتي مات فعوتب فى ذلك فقال اخشى ان اشتري نعلا فيسرقها أحد فيأثم (وآخر) لما نظر أهل عرفات قال ما أظن الله الا قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم (وآخر) أمر له عمر بن الخطاب بكيس فقال آخذ الكيس والخيط فقال عمر دع الكيس (ورجل) سال ابن المبارك فقال انى قاسمت اخوني مقسما فى بطن افترى لى ان ادخله أكثر مما يدخله شركائي (وآخر) قال افطرت البارحة على رغيف وزيتونة وثلث أو زيتونة وربع أو ما علم الله من زيتونة أخري فقال له بعض من حضر اجلس يافتى انه بلغنا من الورع ما يبغضه الله وأظنه ورعك هذا (الاعمش) قال أتانى عبد الله بن سعيد بن أبى بكر فقال لى ألا تعجب جاءني رجل فقال دلني على شيء اذا اكلته أمرضنى فقد استبطأت العلة وأحببت ان اعتل فاوجر فقلت له سل الله العافية واستدم النعمة فان من شكر على النعمة كمن صبر على البلية فالح على فقلت له كل السمك واشرب نبيذ الزبيب ونم فى الشمس واستمرض الله يمرضك ان شاء الله (هرون بن داود) قال شرب رجل عند خمار نصرانى فاصبح ميتا فاجتمع عليه الناس وقالوا للخمار أنت قتلته قال لا والله ولكن قتله استعماله قوله

وأخرى تداويت منها بها



٢٥

كتاب اللؤلؤة الثانية

﴿ فى الفكاهات والملح ﴾

﴿ قال الفقيه ﴾ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه تغمده الله برحمته قدمضى قولنا فى الطعام والشراب وما يتولد منهما وينسب اليهما ونحن قائلون بما ألفناه فى كتابنا هذا من الفكاهات والملح التى هى نزهة النفس وربيع القلب ومرتع السمع ومجاب الراحة ومعدن السرور قال النبي صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت (وقال) على بن أبي طالب رضوان الله عليه أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرف الحكمة فانها تمل كما تمل الابدان والنفس مؤثرة الهوى آخذة الهوينى جانحة الى اللهو أمارة بالسوء مستوطنة للعجز طالبة للراحة نافرة عن العمل فان اكرهتها انضيتها وان أهملتها ارديتها (ودخل) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه وهو ينام نومة الضحى فقال يا أبت أتنام وأصحاب الحوائج راكدون ببابك قال يا بني ان نفسى مطيتي فان أنضيتها قطعتها ومن قطع المطي لم يبلغ الغاية (وكان) النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه (وكان) محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه (وقال) صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يطرب وقال كل كريم طروب (وقال) هشام بن عبد الملك قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طعما وشممت الطيب حتى ما أجد له رائحة وأتيت النساء حتى ما أبالى امرأة أتيت أو حائطا ماوجدت شيأ ألذ من جليس تسقط بيني وبينه مؤنة التحفظ (وقيل) لعمرو بن العاص ما ألذ الاشياء قال ليخرج من ههنا من الاحداث فخرجوا فقال ألذ الاشياء اسقاط المروءة وقيل لمسلم بن عبد الملك ما الذ الاشياء فقال هتك

الحياء واتباع الهوى وهذه المنزلة من أعمال النفس وهتك الحياء قبيحة كما ان المنزلة الاخرى من الغلو في الدين والتعسف في الهيبة قبيحة أيضا وانما المحمود منهما التوسط وأن يكون لهذا موضعه ولهذا موضعه (وقال) مطرف بن عبد الله لولده يابني ان الحسنة بين السيئتين يريد بين المجاوزة والتقصير وخير الامور أوساطها وشر السير الحقحقة (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى (وفي بعض الكتب المترجمة) ان يوحنا وشمعون كانا من الحواريين وكان يوحنا لا يجلس مجلسا الا ضحك وأضحك من حوله وكان شمعون لا يجلس مجلسا الا بكى وأبكى من حوله فقال شمعون ليوحنا ما أكثر ضحكك كانك قد فرغت من عملك فقال له يوحنا ما أكثر بكاءك كانك قد يئست من ربك فأوحى الله الى المسيح ان أحب السيرتين الى سيرة يوحنا (وفي بعض) الكتب أيضا ان عيسى ابن مريم لقي يحيي بن زكريا عليهم الصلاة والسلام فتبسم اليه يحيي فقال له عيسى انك لتبسم تبسم آمن فقال له يحيي انك لتعبس عبوس قانط فأوحي الله الى عيسي ان الذي يفعل يحيي أحب الى (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عثمان الجنة ضاحكا لانه كان يضحكني وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو أرمد فوجده يأكل تمرا فقال له أتأكل تمرا وأنت أرمد فقال انما آكل من الجانب الآخر فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتي بدت نواجذه (وكانت) سويداء لبعض الانصار تختلف الى عائشة فتلعب بين يديها وتضحكها وربما دخل النبي صلى الله عليه وسلم علي عائشة فيجدها عندها فيضحكان جميعا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم فقدها فقال ياعائشة مافعلت السويداء قالت له انها مريضة فجاءها النبي صلي الله عليه وسلم يعودها فوجدها في الموت فقال لاهلها اذا توفيت فآذنوني فلما توفيت آذنوه فشهدها وصلى عليها وقال اللهم انها كانت حريصة على أن تضحكني فاضحكها فرحا (وقيل) لابي نواس قد بعثوا الى أبي عبيدة والاصمعي ليجمعوا بينهما فقال اما أبو عبيدة فان خلوه وسفرا قرأ عليهم أساطير الاولين والآخرين وأما الاصمعي فبلبل في قفص يطربهم بصفيره (قال) ابن اسحق وقد طرب الصالحون وضحكوا ومزحوا واذا مدحت العرب رجلا قالوا هو ضحوك السن بسام الثنيات هش الى الضيف فاذا ذمته قالوا هو عبوس الوجه جهم المحيا كريه المنظر جاحظ الوجه كأنما وجهه بالخل منضوح وكأنما اسعط خيشومه بالخردل (وكتب) يحيي بن خالد الى الفضل ابنه وهو بخراسان يابني لا تغفل نصيبك من الكسل وهذا

جزء جامع لكل ما قصدنا اليه من هذا المعنى لان بالكسل تكون الراحة وبالراحة يكون ثبات النشاط وبالنشاط يصفو الذهن ويصدق الحس ويكثر الصواب قال الشاعر

انما للناس منا * حسن خلق ومزاح
ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح

١ — باب من المفاكهات — (حدث) عباس بن الاحنف حدث أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قال حدثنا محمد بن عامر الحنفي وكان من سادات بكر بن وائل وأدركته شيخا كبيرا مملقا وكان اذا أفاد على املاقه شيأ جاد به وقد كان قديما ولي شرطة البصرة فحدثني هذا الحديث الذي ذكره ووقع الي من غير ناحيته ولا اذكر ما بينهما من الزيادة والنقصان الا أن معاني الحديث مجموعة فيما اذكر لك ذكران فتيانا كانوا مجتمعين في نظام واحد كلهم ابن نعمه وكلهم قد شرد عن أهله وقنع باصحابه فذكر ذاكر منهم قال كنا اكترينا دارا شارعة على أحد طرق بغداد المعمورة بالناس وكنا نفلس احيانا ونوسر أحيانا على مقدار ما يمكن الواحد من أهله وكنا لا ننكر أن تقع مؤنتنا على واحد منا اذا أمكنه ويبقى الواحد منا لا يقدر على شيء فيقوم به أصحابه الدهر الاطول وكنا اذا أيسرنا اكلنا من الطعام ألينه ودعونا الملهين والملهيات وكان جلوسنا في أسفل الدار فاذا عدمنا الطرب جلسنا في غرفة لنا نتمتع منها بالنظر الى الناس وكنا لا نخل بالنبيذ في عسر ولا يسر فانا لكذلك يوما اذا بفتى يستاذن علينا فقلنا له اصعد فاذا رجل نظيف حلو الوجه سرى الهيئة ينبيء رواؤه على انه من أبناء النعم فاقبل علينا فقال اني سمعت مجتمعكم وحسن منادمتكم وصحة الفتكم حتى كانكم أدرجتم في قالب واحد فاحببت أن أكون واحدا منكم فلا تحتشموني قال وصادف ذلك منا اقتارا من القوت وكثرة النبيذ وقد كان قال لغلام له أول ما ياذنون لي ان أكون كاحدهم هات ما عندك فغاب الغلام عنا غير كثير ثم أتانا بسلة خيزران فيها طعام المطبخ من جدي ودجاج وفراخ ورقاق واشنان ومحلب وأخلة فاصبنا من ذلك ثم افضنا في شرابنا وانبسط الرجل فاذا أحلى خلق الله اذا حدث واحسنهم استماعا اذا حدث وامسكهم عن ملاحاة اذا خولف ثم أفضينا منه الى أكرم مخالفة وأجمل مساعدة وكنا ربما امتحناه بان ندعوه الى الشيء الذي نعلم انه يكرهه فيظهر لنا أنه لا يحب غيره ويرى ذلك في اشراق وجهه فكنا نغني به عن حسن الغناء ونتدارس أخباره وآدابه فشغلنا ذلك عن تعرف اسمه ونسبه فلم يكن منا الا نعرف الكنية فانا سالناه عنها فقال أبو الفضل فقال لنا يوما بعد

اتصال الانس الا اخبركم بم عرفتكم قلنا انا لنحب ذلك قال أحببت جارية فى جواركم وكانت سيدتها ذات حبائب فكنت أجلس لها فى الطريق التمس اجتيازها فاراها حتى اخلقني الجلوس على الطريق ورأيت غرفتكم هذه فسألت عن خبرها فخبرت عن ائتلافكم وتمالؤكم ومساعدة بعضكم بعضا فكان الدخول نيما أنتم فيه أسر عندى من الجارية فسألناه عنها فخبرنا فقلنا له نحن نختدعها حتى نظفرك بها فقال يا اخواني اني والله على ماترون مني من شدة الشغف والكلف بها ماقدرت فيها حراما قط ولا تقديري الا مطاولتها ومصابرتها الى أن يمن الله بثروة فاشتريها فاقام معنا شهرين ونحن على غاية الاغتباط بقربه والسرور بصحبته الى أن اختلس فنالنا بفراقه ثكل ممض ولوعة مؤلمة ولم نعرف له منزلا نلتمسه فيه فكدر علينا من العيش ما كان طاب لنا به وقبح عندنا ما كان حسن بقربه وجعلنا لا نرى سرورا ولا غما الا ذكرناه لافضال السرور بصحبته وحضوره والغم بمفارقته فكنا فيه كما قال الشاعر

يذكرنيهم كل خير رأيته * وشر فما انفك منهم على ذكر

فغاب عنا زهاء عشرين يوما فبينما نحن مجتازون يوما من الرصافة اذا به قد طلع فى موكب نبيل وزى جليل فلما بصر بنا انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال يا اخواني والله ماهنا لي عيش بعدكم ولست أماطلكم بخبري حتى آتي المنزل ولكن ميلوا بنا الى المنزل فملنا معه فقال اعرفكم أولا بنفسي أنا العباس بن الاحنف وكان من خبري بعدكم اني خرجت الى منزلي من عندكم فاذا المسودة محيطة بي فمضي بي الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيي بن خالد فقال لي ويحك ياعباس انما اخترتك من ظرفاء الشعراء لقرب ماخذك وحسن تأتيك وان الذي ندبتك له من شانك وقد عرفت خطرات الخلفاء واني أخبرك ان ماردة هي الغالبة على أمير المؤمنين اليوم وانه جرى بينهما عتب فهي بدلة المعشوق تابى ان تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك يابى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فاعياني وهو أحرى ان تستعبده الصبابة فقل شعرا يسهل عليه هذه السبيل فقضي كلامه ثم دعاني الى أمير المؤمنين فصرت اليه وأعطيت قرطاسا ودواة فاعتراني الزمع واذهب عني ما أريد للاستحثاث فتعذرت علي كل عروض ونفرت عني كل قافية ثم انفتح لي شيء والرسل تعتبني فجاءتني أربعة أبيات رضيتها وقعت صحيحة المعني سهلة الالفاظ ملايمة لما طلب مني فقلت لاحد الرسل أبلغ الوزير اني قد قلت أربعة أبيات فان كان بها مقنع وجهت بها فرجع الى الرسول بان هاتها ففى أقل منها مقنع وفى ذهاب الرسول ورجوعه قلت

جبتين من غير ذلك الروى فكتبت الابيات الاربعة في صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فقلت

العاشقان كلاهما متغضب * وكلاهما متوجد متعتب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا * وكلاهما مما يعالج متعب
راجع احبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قلما يتجنب
ان التجنب ان تطاول منكما * دب السلو له وعز المطلب

(ثم كتبت تحت ذلك)

لا بد للعاشق من وقفة * تكون بين الهجر والصرم
حتى اذا الهجر تمادى به * راجع من يهوى على رغم

ثم وجهت بالكتاب الى يحيي بن خالد فدفعه الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأني قصدت به فقال له يحيي وأنت والله يامير المؤمنين المقصود به هذا يقوله العباس فى هذه القصة فلما قرأ البيتين وأفضى الى قوله * راجع من يهوى على رغم * استغرب ضحكا حتي سمعت ضحكه ثم قال اى والله أراجع على رغم ياغلام هات نعلى فنهض واذهله السرور عن ان يامرلى بشيء فدعانى يحيي وقال ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة واذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يامر لك بشيء قلت لعل هذا الخبر ماوقع مني بغاية الموافقة ثم جاء غلام فساره فنهض وثبت مكانه فنهضت بنهوضه ثم قال لى ياعباس أمسيت أنبل الناس أتدري ماسارني به هذا الرسول قلت لا قال ذكرلى ان ماردة تلقت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه ثم قالت له يا أمير المؤمنين كيف كان هذا فناولها الشعر وقال هذا أتي بي اليك قالت فمن يقوله قال عباس بن الاحنف قالت فبم كوفيء قال مافعلت شيا بعد قالت اذا والله لا أجلس حتي يكافأ قال فامير المؤمنين قائم لقيامها وانا قائم لقيام أمير المؤمنين وهما يتناظران فى صلتك فهذا كله لك قلت مالى من هذا الا الصلة ثم قال هذا أحسن من شعرك قال فامر لى أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت لى ماردة بمال دونه وأمرلى الوزير بمال دون ماأمرت به وحملت على ماترون من الظهر ثم قال الوزير من تمام اليد عندك ان لاتخرج من الدار حتى يؤهل لك هذا المال ضياعا فاشتريت لى ضياعا بعشرين الف درهم ودفع الى بقية المال فهذا الخبر الذى عاقني عنكم فهلموا حتى أقاسمكم الضياع وافرق فيكم المال قلنا له هناك الله فكل منا يرجع الى نعمة من أبيه فاقسم وأقسمنا فقال أسرفي فيه فقلنا اما هذه فنعم قال فامضوا بنا الى الجارية حتي نشتريها فمشينا الى صاحبتها

وكانت جارية جميلة حلوة لا تحسن شيأ أكثر ما فيها ظرف اللسان وتادية الرسائل وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار فلما رأى مولاها ميل المشترى استام بها خمسمائة فاجبناه بالعجب فحط مائة ثم حط مائة ثم قال العباس يافتيان انى والله احتشم أن أقول بعد ما قلتم ولكنها حاجة في نفسى بها يتم سرورى فان ساعدتم فعلت قلنا له قل قال هذه الجارية انا أعاينها منذ دهر وأريد ايثار نفسي بها فاكره أن تنظر الى بعين من قد ماكس في ثمنها دعونى أعطه بها خمسمائة دينار كما سال قلنا الله وانه قد حط مائتين قال وان فعل قال فصادفت من مولاها رجلا حرا فاخذ ثلثمائة وجهزها بالمائتين فما زال الينا محسنا حتى فرق الموت بيننا

﴿ حديث المجرد ﴾ قال اسحق بن ابراهيم قال لى وهب الشاعر والله لاحدثنك حديثا ما سمعه مني أحد قط قال وهو بامانة ان يسمعه أحد منك مادمت حيا قلت انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها قال يا أبا محمد انه حديث ماظن فى أذنك أعجب منه قلت كم هذا التعقيد بالامانة آخذه على ما أحببت قال بينا انا بسوق الليل بمكة بعد أيام الموسم اذا انا بامرأة من نساء مكة معها صبي يبكي وهى تسكته فيابى ان يسكت فسفرت فاخرجت من فيها كسرة درهم فدفعتها الى الصبي فسكت فاذا وجه رقيق كانه كوكب درى واذا شكل رطب ولسان فصيح فلما رأتنى احد النظر اليها قالت اتبعني فقلت ان شريطتى الحلال قالت ارجع فى حرامك ومن يريدك على حرام فخجلت وغلبتني نفسى على رأيي فتبعتها فدخلت زقاق العطارين فصعدت درجة وقالت اصعد فصعدت فقالت انا مشغولة وزوجى رجل من بني مخزوم وأنا امرأة من زهرة ولكن عندى حر ضمن عليه وجه أحسن من العافية فى مثل خلق ابن سريج وترنم معبد وتيه ابن عائشة اجمع لك هذا كله فى بدن واحد باشقر سليم قلت وما أشقر سليم قالت دينار واحد يومك وليلتك فاذا قمت جعلت الدينار وظيفة وتزوجا صحيحا قالت فذلك لك اذا جمع لى ماذكرت قال فصفقت بيدها الى جاريتها فاستجابت لها قالت قولى لفلانة البسى عليك ثيابك وعجلى وبالله لا تمسي غمرا ولا طيبا فحسبك بدلالك وعطرك قال فاذا جارية أقبلت ما أحسب ان الشمس وقعت عليها كانها دمية فسلمت وقعدت كالخجلة فقالت لها الاولى ان هذا الذى ذكرته لك وهو فى هذه الهيئة التى ترين قالت حياه الله وقرب داره قالت وقد بذل

لك من الصداق دينارا فقالت أى أم أخبرتيه شريطتي قالت لا والله يابنية لقد نسيتها ثم نظرت الي فغمزتني وقالت أتدرى ماشريطتها قلت لا قالت أقول لك بحضورها ما اخالها تكرهه هي والله أفتك من عمرو بن معديكرب وأشجع من ربيعة بن مكدم ولست بواصل اليها حتى تسكر ويغلب على عقلها فاذا بلغت ذلك الحال ففيها مطمع قلت ما أهون هذا وأسهله قالت الجارية وتركت شيأ آخر قالت نعم والله أعلم انك لن تصل اليها حتى تتجرد لها وتراك مجردا مقبلا ومدبرا قلت وهذا أيضا أفعله قالت هلم دينارك فأخرجته دينارا فنبذته اليها فصفقت صفقة أخرى فاجابتها امرأة قالت قولي لابي الحسن وأبي الحسين هلما الساعة فقلت في نفسي أبو الحسن وأبو الحسين هو علي بن أبي طالب قال فاذا شيخان خاضبان نبيلان قد أقبلا فصعدا فقصت المرأة عليهما القصة فخطب أحدهما وأجاب الآخر وأقررت بالتزويج وأقرت المرأة فدعوا بالبركة ثم نهضا فاستحييت أن أحمل المرأة شيا من المؤنة فاخرجت دينارا آخر فدفعته اليها وقلت اجعلي هذا الطيبك قالت يا أخي است ممن يمس طيبا لرجل انما أتطيب لنفسي اذا خلوت قلت فاجعلي هذا لغدائنا اليوم قالت أما هذا فنعم فنهضت الجارية وأمرت باصلاح مايحتاج اليه ثم عادت وتغذينا وجاءت بدواة وقضيب وقعدت تجاهي ودعت بنبيذ فاعدته واندفعت تغنى بصوت لم أسمع مثله قط فاني ألفت القينات نحوا من ثلاثين سنة ماسمعت مثل ترنمها قط فكدت أجن سرورا وطربا فجعلت أربعان تدنو مني فتابى الى أن أغنت بشعر لم أعرفه وهو

راحوا يصيدون الظباء وانني * لارى تصيدها على حراما
اعزز على بان أروع شبهها * أوان تذوق على يدى حماما

فقلت جعلت فداك من يغني هذا قالت اشترك فيه جماعة هو لمعبد وتغني به ابن شريح وابن عائشة فلما انعي الينا النهار وجاءت المغرب تغنت بصوت لم أفهمه للشقاء الذى كتبه على فقالت

كاني بالمجرد قد علته * نعال القوم أوخشب السواري

قلت جعلت فداك ما أفهم هذا البيت ولا أحسبه مما يتغنى به قالت أنا أول من تغني به قلت فانما هو بيت عابر لا صاحب له قالت معه آخر ليس هذا وقته وهو آخر ما تغني به قال وجعلت لا أنازعها في شيء اجلالا لها فلما أمسينا وصلينا المغرب وجاءت العشاء

الاخيرة وضعت القضيب وقمت فصليت العشاء وما أدري كم صليت عجلة وشوقا فلما صليت قلت تأذنين جعلت فداك فى الدنو منك قالت تجرد وأشارت الى ثيابها كانها تريد أن تتجرد فكدت أن أشق ثيابي عجلة للخروج منها فتجردت وقمت بين يديها قالت امض الى زاوية البيت وأقبل وأدبر حتي أراك مقبلا ومدبرا قال واذا حصير فى الغرفة على الطريق الى زاوية البيت فخطرت عليه واذا تحته خرق الى السوق فاذا أنا في السوق مجردا منعظا واذا الشيخان الشاهدان قد اعدا نعالهما على قفاى واستعانا باهل السوق فضربت والله يا أبا محمد حتي نسيت اسمي فبينا أنا أضرب بنعال مخصوفة وايد مشدودة فاذا صوت يغني به من فوق البيت وهو

ولو علم المجرد ما أردنا ※ لحار بنا المجرد بالصحاري

فقلت فى نفسي هذا والله وقت هذا البيت فنجوت الى رحلى وما فى عظم صحيح فسالت عنها فقيل لى انها امرأة من آل أبى لهب فقلت لعنها الله ولعن الذى هي منه

﴿ يوم دارة جلجل ﴾ قال الفرزدق وأصابنا بالبصرة ليلا مطر جود فلما أصبحت ركبت بغلتى وسرت الى المربد فاذا أنا بآثار دواب وقد خرجت الى ناحية البرية فظننت انهم قوم خرجوا للنزهة وهم خلفاء ان يكون معهم سفرة فاتبعت آثارهم حتى انتهيت الى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير فاسرعت الى الغدير فاذا فيه نسوة مستنقعات فى الماء فقلت لم أر كاليوم قط ولا يوم دارة جلجل وانصرفت مستحيا فنادينني ياصاحب البغلة ارجع نسالك عن شيء فرجعت اليهن فقعدن فى الماء الى حلوقهن ثم قلن بالله الا ما أخبرتنا ما كان من حديث دارة جلجل فلت حدثنى جدى وأنا يومئذ غلام حافظ ان امرأ القيس كان عاشقا لابنة عمه و يقال لها عنيزة وانه طلبها زمانا فلم يصل حتي كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل وذلك ان الحي تحملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع رجال قومه غلوة فكمن فى غابة من الارض حتى مر به النساء وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا واغتسلنا فى هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال فنزلن فى الغدير ونحين العبيد ثم تجردن فوقفن فيه فاتاهن امرؤ القيس فاخذ ثيابهن فجمعها وقعد عليها وقال والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ولو قعدت فى الغدير يومها حتي تخرج متجردة فتاخذ ثوبها فابين ذلك عليه حتى تعالى

النهار وخشين أن يقصرن عن المنزل الذي يردنه فخرجن جميعا غير عنيزة فناشدته الله ان يطرح ثوبها فابي فخرجت فنظر اليها مقبلة ومدبرة وأقبلن عليه فقلن له انك عذبتنا وحبستنا وأجعتنا قال فان نحرت لكن ناقتي أتأكلن معي قلن نعم فجرد سيفه فعرقبها ونحرها ثم كشطها وجمع الخدم حطبا كثيرا فأججن نارا عظيمة فجعل يقطع أطايبها ويلقي على الجمر ويأكلن ويأكل معهن ويشرب من فضلة كانت معه ويسقيهن وينبذ الى العبيد من الكباب فلما أرادوا الرحيل قالت احداهن أنا أحمل طنفسته وقالت الاخرى انا أحمل رحله ونساعده فتقسمن متاعه وزاده وبقيت عنيزة لم تحمل له شيا فقال لها يابنت الكرام لابد أن تحمليني معك فانى لا أطيق المشي فحملته على غارب بعيرها فكان يجنح اليها فيدخل رأسه فى خدرها فيقبلها فاذا امتنعت مال حدجها فتقول عقرت بعيري فانزل ففى ذلك يقول

ويوم عقرت للعذارى مطيتي * فياعجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها * وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا * عقرت بعيرى ياامرأ القيس فانزل
فقلت لها سيرى وارخى زمامه * ولاتبعديني من جناك المعلل

وكان الفرزدق أروى الناس لاخبار امرىء القيس واشعاره وذلك ان امرأ القيس رأى من ابيه جفوة فلحق بعمه شراحيل بن الحرث وكان مسترضعا فى بني دارم فاقام فيهم وهم رهط الفرزدق

﴿ خبر دعبل وصريع الغوانى ﴾ حدثنا ابو سويد بن أبي عتاهية عن دعبل بن على الشاعر قال بينا أنا ذات يوم بباب الكوخ وأنا سائر وقد احتوى الفكر على قلبي فى أبيات شعر قد نطق بها اللسان من غير اعتقاد جنان فقلت

دموع عيني لها انبساط * ونوم عيني به انقباض

فاذا أنا بجارية فائقة الجمال حوراء الطرف يقصر عن نعتها الوصف لها وجه زاهر ونور باهر فهى كما قال الشاعر

كأنما أفرغت فى قشر لؤلؤة * فى كل جارحة منها لها قمر

وهي تسمع فاعترضتني فقالت

هـذا قليـل لمن دهتـه * بلحظها الاعين المراض

﴿ فاجبتها ﴾

فهـل لمولاي عطف قلب * أوللذى فى الحشا انقراض

﴿ فاجابتني فقالت ﴾

ان كنت تبغي الوداد منـا * فالود فى ديننـا قـراض

قال دعبل فلم أعلمنى خاطبت جارية تقطع الانفاس بعذوبة الفاظها وتختلس الارواح ببراعة منطقها وتذهل الالباب برخيم نعمتها مع تلاعة جيد ورشاقة قدوكمال عقل وبراعة شكل واعتدال خلق فحار والله البصر وذهب اللب وجل الخطب وتلجلج اللسان وتغللت الرجلان وماظنك بالحلفاء اذدنت من النار ثم ثاب الى عقلى وراجعني حلمي فذكرت قول بشار

لا يمنعنك من مخدرة * قول تغلظه وان جرحا

عسر النساء الى مياسرة * والصعب يمكن بعدما جمحا

هذا لمن حاول مادون الطمع فيه الياس فكيف بمن وعد قبـل المسئلة وبذل قبل الطلبة فقلت مسمعا لها

أترى الزمان يسرنا بتـلاق * ويضم مشتـاقاالى مشتـاق

﴿ فقالت مجيبة لى فى أسرع من نفس ﴾

ماللزمان يقال فيـه وانما * أنت الزمان فسرنا بتـلاق

قال دعبل فلحظتها ومضيت وتبعتني وذلك فى أيام إملاقى فقلت مالى الا منزل مسلم صريع الغوانى فسرت الي بابه فاستوقفتها وناديته فخرج فقلت له أكمل الخير معي وجه صبيح يعدل الدنيا بمافيها وقدحصل على ضيقة وعسر فقال قدشكوت ماكدت أباديك لشكواه ائت بها فلما دخلت قال والله لا أملك غير هذا المنديل فقلت هو البغية فتناولته فقال خذه لابارك الله لك فيه فاخذته فبعته بدينار وكسر فاشتريت لحما وخبزا ونبيذا وصرت اليه فاذاهما يتساقطان حديثا كانه قطع الروض الممطور قال ماصنعت فاخبرته قال كيف يصلح طعام وشراب وجلوس مع وجه نظيف بلانقل ولاريحان ولاطيب اذهب فالطف لتمام ما كنت أوله

قال فخرجت فاضطربت فى ذلك حتى أتيت به فالفيت باب الدار مفتوحا فدخلت فاذا لا يرى لهما ولا لشيء مما أوتيت به أثر فسقط فى يدى وقلت أرى صاحب الربع أخذهما فبقيت متلهفا حائرا أرجم الظنون وأجيل الفكر سائر يومى فلما أمسيت قلت فى نفسى أفلا أدور فى البيت لعل الطلب يوقفني على أثر ففعلت فوقفت على باب سرداب له واذاهما قد هبطافيه وأنزلا معهما جميع مايحتاجان اليه فأكلا وشربا وتنعما فلما احسستهما دليت رأسي ثم ناديت مسلم ويلك فلم يجبنى حتي ناديت ثلاثا فكان من اجابته لى ان غرد بصوت يقول فيه

بت فى درعها وبات رفيقى * جنب القلب طاهر الاطراف

﴿ ثم قال دعبل ويلك من يقول هذا قلت ﴾

من له فى حرامه ألف قرن * قد أنافت على علو مناف

قال فضحكا ثم سكتا واستجلبت كلامهما فلم يجيبانى وأخذا فى لذتهما وبت بليلة يقصر عمر الدهر عن ساعة منها طولا وغما حتي اذا أصبحت ولم أكد خرج الى مسلم فجعلت أؤنبه فقال لى ياصفيق الوجه منزلى ومنديلى وطعامي وشرابى فما شأنك في الوسط قلت له حق القيادة والفضول والله لاغيرفولى وجهه اليها وقال بحياتي الاأعطيتيه حق قيادته وفضوله قالت أماحق قيادته فعرك أذنه واماحق فضوله فصفع قفاه فاستقبلني مسلم فعرك أذني وصفعني فقلت ماهذا فقال جرى الحكم عليك بماجرى لك من العذل والاستحقاق (حدثنا) عيسي بن أحمد الكاتب قال قال الحسين بن الضحاك دخلت على جعفر المتوكل وشفيع الخادم ينضد وردا بين يديه ولم يعرف فى ذلك الزمان خادم كان أحسن منه ولا أجمل وعليه ثياب موردة فامره ان يسقينى ويغمز كفى ثم قال لى ياحسين قل فى شفيع وقد كان حيا المتوكل بوردة فجعل المتوكل يشرب ويشم الوردة فقلت

فيادرة بيضاء حيا باحمر * من الورد يمشى فى قراطق كالورد
ويغمز كفى عند كل تحية * وكفيه تستدعى الشجي الى الورد
سقانى بكفيه وعينيه شربة * فاذكرنى ما قد نسيت من العهد
سق الله دهرا لم أبت فيه ليلة * من الدهر الا من حبيب على وعد

فامر المتوكل شفيعاً أن يسقيني وبعث معه الى تحافا فى عنبر وسماها (وروى) ان محمد بن

عبد الملك الزيات وزير المتوكل كان يتعشق خادما للمتوكل يقال له شفيع وكان الحسن بن وهب كاتبه كلفا بذلك الخادم فلقيه الحسن بن وهب يوما فسأله عن خبره فاخبره انه يريد ان يحتجم فلم يبق بالعراق غريبة الا بعث بها اليه ولا ظريف من الاشربة الا أدخله عليه وكتب اليه بهذه الابيات

ليت شعري يا أملح الناس عندي * هل تعالجت بالحجامة بعدي
قد كتمت الهوى بمبلغ جهدي * ففشا منه بعض ما كنت أبدي
وخلعت العذار فليعلم النا * س بأني اليك أصفي بودي
من عذيري من مقلتيك ومن اشـ * ـراق وجه من حول حمرة خدي

فصادف رسوله رسولا لمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير فرأى رقعة الحسن فاحتال لها حتى أخذها وأوصلها الى محمد بن عبد الملك فلما قرأها كتب الى كاتبه الحسن ابن وهب

ليت شعرى عن ليت شعرك هذا * أبهزل تقوله أم بجد
فلئن كان ما تقول بجد * يا ابن وهب لقد تفتيت بعدي
وتشبهت بي وكنت أري انى أنا الهائم المتيم وحدي
لأرى القصد فى الامور ولولا * غمرات الصبا لابصرت قصدي
سيدي سيدي ومولاى من الـ * ـبسني ذله وأخلف وعدي
لا أحب الذي يلوم وان كا * ن حريصا على صلاحي ورشدي
وأحب الاخ المشارك فى الحب وان لم يكن به مثل وجدى
كصديقي أبى على وحاشا * لصديقي من مثل شقوة جدى
ان مولاى عبد عبدى ولولا * شؤم جدى لكان مولاى عبدي

فلما التقى ابن الزيات الوزير وكاتبه الحسن بن وهب فى بيت الديوان تداعبا فى ذلك وساله ابن الزيات ان يتجافى له عنه فقال له الحسن طاعتك واجبة فى المحبوب والمكروه ولكن الرئيس أدام الله عزه كان أولى بالفضل فقال له ابن الزيات هيهات هذه علة نفسانية تؤدى الى التلف فتنح عن نصيبك منى فقال الحسن اركان هذا هكذا سمعنا وأطعنا وأنشد

شهيدى على ما فى فؤادي من الهوى * دموع تبارى المستهل من القطر

فاسلمني من كان بالامس مسعدى * وصار الهوي عونا على مع الدهر

(قال) على بن الجهم دخلت يوما على المتوكل فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال دخلت الساعة الى قبيحة وقد كتبت على خدها بالمسك اسمي فوالله ما رأيت سوادا فى بياض أحسن منه فى ذلك الخد فقل فيه شعرا فقلت يا أمير المؤمنين أمظلومة معى قال نعم ومظلومة خلف الستارة فدعت بدواة وبدرتني بالقول فقالت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسى بخط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الحب اسطرا
فيامن لمملوك تملك مالكا * مطيعا له فيما أسر وأظهرا
ويامن مناها فى السرائر جعفر * سقى الله من صوب الغمامة جعفرا

قال وأفحمت فلم أنطق وتغلبت على خواطرى فما قدرت على حرف أقوله فضحك أمير المؤمنين (الاصمعي) قال دخلت على هرون أمير المؤمنين وبين يديه جارية حسناء عليها لها جعدة وذؤابة تضرب الحقو منها وهلال بين عينيها مكتوب عليه بالذهب هذا ما عمل فى طراز الله فقال يا أصمعى صفها فانشأت أقول

كنانية الاطراف سعدية الحشا * هلالية العينين طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم

فقال أحسنت والله يا أصمعى فهل عرفت اسمها قلت لا يا أمير المؤمنين فقال اسمها دنيا فاطرقت ساعة ثم قلت

ان دنيا هي التي * تملك القلب قاهره
ظلموها شطر اسمها * فهى دنيا وآخره

قال الاصمعى فامر لى بعشرة آلاف درهم (اسحق بن ابراهيم الموصلى) قال دخلت على الرشيد وعنده جارية قد أهديت له ماجنة شاعرة أديبة وبين يديه طبق فيه ورد فقال لى أما تري ما أحسن هذا الورد ونضرة لونه قلت بك والله حسن ذلك يا أمير المؤمنين قال قل فيه بيتا يشبهه فاطرقت ساعة ثم قلت

كانه خد مرموق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

﴿ فاعترضتني الجارية فقالت ﴾

كأنه لون خدي حين يدفعني * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يا اسحق فقد حركتني هذه الفاسقة (وحدثنا أيضا) قال كان هرون الرشيد جالسا بين جاريتين من جواريه فقال لهما من يبيت عندي منكما فقالت احداهما أنا فقالت الاخرى لا بل انا فقال للاولى ماحجتك فيما ادعيت قالت قول الله والسابقون السابقون أولئك المقربون ثم قال للثانية وما حجتك أنت قالت قول الله وللآخرة خير لك من الاولى فقال انقل كل واحدة منكما شعرا في الغزل فمن كانت أرق شعرا باتت عندي فقالت الاولى

أنا التي أمشي كما يمشي الوجي * يكاد ان يصرعني تفحجي
من جنة الفردوس كان مخرجي

وقالت الاخرى

أنا التي لم ير مثلي بشر * كلامي اللؤلؤ حين ينتثر
أسحر من شئت ولست أسحر * ان سمع الناس كلامي كفروا

فقال لهما قد احسنتما وما لواحدة منكما فضيلة على صاحبتها ولكني أبيت معكما (أخبرنا) أبو الطيب الكاتب ان أمير المؤمنين هرون الرشيد كان ليلة بين جاريتين مدنية وكوفية فجعلت الكوفية تغمز يديه والمدنية تغمز رجليه فجعلت المدنية ترفع الى فخذيه حتى ضربت بيدها الى متاعه حتى انعظ فقالت لها الكوفية نحن شركاؤك في البضاعة وأراك قد انفردت دوننا برأس المال وحدك فانيلي منه فقالت المدنية حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال من احيا أرض موات فهي له ولعقبه قال فاستقبلتها الكوفية ودفعتها ثم أخذته بيدبها جميعا وقالت حدثنا الاعمش عن خيثمة عن ابن مسعود انه قال الصيد لمن صاده لا لمن أثاره (أخبرنا) الانماطي ان المتوكل كان طلب من محمود الوراق جارية مغنية فاعطاه بها عشرة آلاف درهم فلما مات محمود اشتراها من ميراثه بخمسة آلاف وقال لها كنا أعطينا مولاك بك عشرة آلاف وقد اشتريناك من ميراثه بخمسة آلاف قالت يا أمير المؤمنين اذا كانت الخلفاء تتربص بلذاتها المواريث فسنشتري بارخص مما اشتريت (أخبرنا) اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لاعب هرون الرشيد جارية من جواريه على امرة مطاعة نقمرته فقال لها تمني قالت المعاودة ففشيها ثم لاعبته فقمرته فقالت قم لميعادك فقال لا أقدر على ذلك قالت فاكتب لي به عليك كتابا آخذ به متى شئت قال ذلك لك فدعت

بدواة وقرطاس ثم كتبت هذا كتاب فلانة على مولاها أمير المؤمنين ان لى عليك قرضا آخذك به متي شئت واني شئت من ليل أو نهار وكان على رأسها وصيفة فقالت تزيدى فى الكتاب فانك لا تأمنين الحدثان ومن قام بهذا الذكر حق قيامه فهو ولى مافيه فضحك الرشيد حتي استلقى على فراشه واستظرفها وأمر بان تنزل مقصورة وأمر بان يجري عليها رزق سني وشغف بها ويقال انها مراجل أم المامون (تنفس) محمد بن هرون الامين يوما فى مجلسه أيام الحصار فالتفت الى جليس له وهو محمد بن سلام صاحب المظالم فقال له ويحك يا محمد أترانى قلت نعم يا أمير المؤمنين ذكرت قول الشاعر

ذكر الهوي فتنفس المشتاق * وبدا عليه الذل والاطراق

يامن يصبرنى فاصبر بعده * الصبر ليس يطيقه العشاق

فقال لا والله ما تكلمتها ثم التفت الى جليس له آخر فقال ويحك أترانى قال نعم يا أمير المؤمنين ذكرت قول الاحنف

تذكرت بالريحان منك شمائلا * وبالراح عذبا من مقبلك العذب

فقال لا والله ما تكلمتها ثم التفت الى كوثر الخادم فقال ويحك أترانى فقال نعم يا أمير المؤمنين ذكرت قول ابن نفيلة الغساني

ان كان دهر بني ساسان فرقهم * فانما الدهر أطوار دهارير

وربما أصبحوا يوما بمنزلة * تهاب صولتها الاسد المهاصير

قال صدقت (وكتبت) جارية على بن الجهم له رقعة فاجاب فيها

مارقعة جاءتك مختومة * كانها خد على خد

تبدو سوادا فى بياض كما * ذر فتيت المسك فى الورد

ساهمة الاسطر مصروفة * عن جهة الهزل الى الجد

ياكاتبا أسلمني عتبه * اليه حسبي منك ما عندي

﴿ وكتبت أيضا ﴾

قلب يملى على لسان ناطق * ويد تخط رسالة من عاشق

مرج المداد بعبرة شهدت له * من كل جارحة بقلب صادق

فيمينه تحت الوساد وخده * ويساره فوق الفؤاد الخافق

(اهدت) جارية من جوارى المهدى تفاحة الى المهدى مطيبة وكتبت فيها

هدية مني الى المهدي * تفاحة تقطف من خدى
محمرة مصفرة طيبت * كأنها من جنة الخلد

(فاجابها المهدي)

تفاحة من عند تفاحة * جاءت فماذا صنعت بالفؤاد
والله ما أدرى أأبصرتها * يقظان أم أبصرتها فى الرقاد

(وكتب) بعض الكتاب الى مدام جارية المازنى و بعث اليها بقنينة من مدام

قل لمن يملك الفؤا * دوان كان قد ملك
قد شربنا ك مدة * و بعثنا اليك بك

(وقال) على بن الجهم دخلت على أبي عثمان المازنى وعنده جارية كانها شقة قمر و بيدها تفاحة مقصومة فقالت عرفت ما أراد الشاعر بقوله

خبريني من الرسول اليك * واجعليه من لا ينم عليك

قلت ما أعرفه قالت هو هذه ورمت الى بالتفاحة فوالله ما وجدت لها جوابا من نظير كلامها

(وقال) شيخ من أهل البصرة لقيت الحسن بن وهب فاردت أن أمتحن سلامة طبعه ومعى تفاحة فاريته اياها وسألته أن يصفها فقال لى نحن على طريق ولكن من بنا الى المسجد فملنا اليه فاخذها وقلبها بيده وقال

يارب تفاحة خلوت بها * تشعل نار الهوي على كبدى
قد بت فى ليلتي أقلبها * أشكو اليها تطاول الكمد
لو أن تفاحة بكت لبكت * من رحمة هذه التى بيدى

(وعد) المأمون جارية ان يبيت عندها وأخلفها الوعد فكتبت اليه

أرقت عيني ونامت * عين من هنت عليه
ان نفسى فاعذرنها * أصبحت فى راحتيه
رحم الله رحيما * دل عيني عليه

فلما قرأ رقعتها ضحك ولم يبت ليلته الا عندها (عتب) المامون على جارية من جواريه وكان كلفا بها فاعرض عنها وأعرضت عنه ثم أسلمه الهوى واقلقه الشوق حتى أرسل يطلب مراجعتها

وأبطا عليه الرسول فلما رجع انشا يقول

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة * وأغفلتني حتى أسات بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مبعدا * ليت شعرى عن دنوك فيا ما أغنى
ونزهت طرفا في محاسن وجهها * ومتعت باستظراف نغمتها اذنا
أرى أثرا منها بعينيك لم يكن * لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا

﴿ زيادة من غير الام ﴾

فيا ليتني كنت الرسول وكنتني * وكنت الذي يقصي وكنت أنا المدني

ثم ان المأمون أقبل مسترضيا لها فسلم عليها فلم ترد عليه السلام وكلمها فلم تجبه فانشا يقول

تكلم ليس بوجهك الكلام * ولا يؤذى محاسنك السلام
أنا المامون والملك الهمام * ولكنى بحبك مستهام
يحق عليك ان لا تقتليني * فيبقى الناس ليس لهم إمام

(كتبت) امرأة عمر بن عبد العزيز الى عمر لما شتغل عنها بالعبادة

ألا أيها الملك الذى قد * سبي عقلى وهام به فؤادى
أراك وسعت كل الناس عدلا * وجرت على من بين العباد
واعطيت الرعية كل فضل * وما أعطيتني غير السهاد

فصرف وجهه اليها (قعد) الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة عند رأسها فاشار اليها ان تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فوقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فوقعت فيه

فما برحت مكانى * حتى وثبت عليه

فلما قرأ ما كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فمضي بها وأقام معها أسبوعا لا يدرى مكانهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقه * كأنما قلباهما قلب
روحاهما روح ونفساهما * نفس كذا فليكن الحب

(حدث) أبو جعفر قال بينا محمد بن زبيدة الامين يطوف فى قصر له اذمر بجارية له سكرى وعليها كساء خز تسحب أذياله فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين انا على ماتري ولكن اذا كان فى غد ان شاء الله فلما كان من الغد مضي اليها فقال لها الوعد فقالت يا أمير المؤمنين أما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج الى مجلسه فقال من بالباب من شعراء الكوفة فقيل له مصعب والرقاشى وابو نواس فامر بهم فادخلوا عليه فلما جلسوا بين يديه قال ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره كلام الليل يمحوه النهار فانشا الرقاشى يقول

متي تصحو وقلبك مستطار * وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت * كلام الليل يمحوه النهار

(وقال مصعب)

اتعذلني وقلبي مستطار * كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي * بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدى اليها * لالمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا * فقالت فى غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت * كلام الليل يمحوه النهار

(وقال أبو نواس)

وخود أقبلت فى القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وهز المشي أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له اخزاك الله أكنت معنا ومطلعا علينا فقال يا أمير المؤمنين عرفت ما فى نفسك فاعربت عما فى ضميرك فامر له باربعة آلاف درهم ولصاحبيه بمثلها (وقال بعض الوراقين)

غضبت من قبلة بالكره جدت بها * فها أنا جئت فاقتضيه اضعافا
لم يامر الله الا بالقصاص فلا * تستجورى ما رآه الله انصافا

(عتبت) ماردة على هرون الرشيد فكانت تظهر له الكراهة وتضمر المحبة فقال فيها

تبدي صدوداً وتخفي تحته صلة * فالنفس راضية والطرف غضبان
يامن وضعت له خدي فذلله * وليس فوقي سوى الرحمن سلطان

﴿ حديث الحسن بن هانيء مع الاسود ﴾ ابو بكر الوراق قال قال الحسن بن هانيء حججت مع الفضل بن الربيع حتى اذا كنا ببلاد فزارة وذلك إبان الربيع نزلنا منزلا بازاء ماء لبني تميم ذا روض أريض و نبت غريض تخضع لبهجته الزرابي المبثوثة والنمارق المصفوفة فقرت بنضرتها العيون وارتاحت الى حسنها القلوب وانفرجت لبهائها الصدور فلم نلبث ان أقبلت السماء فانشق غمامها وتداني من الارض ركامها حتى اذا كانت كما قال أوس بن حجر حيث يقول

وان مسف فويق الارض هيدبه * يكاد يدفعه من قام بالراح

همت برذاذ ثم بطش ثم برش ثم بوابل ثم أقلعت وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق والقيعان تتألق رياض مونقة و نوافح من ريحها عبقة فسرحت طرفي راتعا منها في أحسن منظر و نشقت من رباها أطيب من المسك الاذفر قال فلما انتهينا الى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مشرقة ترنو بطرف مريض الجفون وسنان النظر أشعرت حماليقه فترة وملئت سحرا فقلت لزميلي استنطقها قال وكيف السبيل الى ذلك قلت استسقها فاستسقاها فقالت نعم ونعماعين وان نزلتم ففي الرحب والسعة ثم مضت تتهادى كأنها خوط بان أو قضيب خيزران فراعني ما رأيت منها ثم أتت بالماء فشربت منه وصببت باقيه على يدي ثم قلت وصاحبي أيضا عطشان فاخذت الاناء فذهبت فقلت لصاحبي من الذي يقول

اذا بارك الله في ملبس * فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون الدمى غرة * ويكشف عن منظر أشنع

قال وسمعت كلامي فاتت وقد نزعت البرقع ولبست خمارا أسود وهي تقول

ألا حي ربعي معشر قد أراها * أقاما فما أن يعرفا مبتغاها
هما استسقيا ماء على غير ظماة * ليستمتعا باللحظ ممن سقاها

فشبهت كلامها بعقد در وهي فانتثر بنغمة عذبة رقيقة رخيمة لو خوطب بها صم الصلاب لانبجست مع وجه يظلم من نوره ضياء العقول وتتلف من روعته مهج النفوس وتخف في محاسنه رزانة الحليم ويحار في بهائه طرف البصير فرقت وجلت واستبطرت وأكملت فلوجن

انسان من الحسن جننت فلم أتمالك ان خررت ساجدا فاطلت من غير تسبيح فقالت ارفع رأسك غير مأجور ولا تذم بعدها برقعا فلربما انكشف عما يصرف الكرى ويحل القوى ويطيل الجوي من غير بلوغ ارادة ولادرك طلبة ولاقضاء وطر ليس الا للحين المجلوب والقدر المكتوب والامل المكذوب فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب حيران لا أهتدي لطريق فالتفت الى صاحبي فقال ماهذا الجهد بوجه برقت لك منه بارقة لا تدرى ماتحته أما سمعت قول ذي الرمة

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقالت أما ماذهبت اليه فلا أبالك والله لانا بقول الشاعر

منعمة حوراء يجرى وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
لها أثر صاف وعين مريضة * وأحسن ايهام وأحسن معصم
خزاعية الاطراف سعدية الحشا * فزارية العينين طائية الفم

أشبه من قولك الآخر ثم رفعت ثيابها حتي بلغت بها نحرها وجاوزت منكبيها فاذا قضيب فضة قد اشرب ماء الذهب يهتز مثل كثيب النقا وصدر كالوذيلة عليه كالرمانتين وخصر لو رمت عقده لانعقد منطوى الاندماج على كفل رجراج وسرة مستديرة يقصر فهمي عن بلوغ نعتها من تحتها أرنب جاثم جبهته أسد خادر وفخذان مدملجان وساقان خدلجان يخرسان الخلاخيل وقدمان كانهما لسانان ثم قالت أعارا ترى لا أبالك قلت لا والله ولكن سبب القدر المتاح ومقربي من الموت الذباح يضيق على الضريح ويترك جسدا بغير روح فخرجت عجوز من الخباء فقالت له امض لشانك فان قتيلها مطلول لا يؤدي وأسيرها مكبول لا يفدي فقالت لها دعيه فان له مثل قول غيلان

وان لم يكن الا تعلل ساعة * قليلا فاني نافع لي قليلها

فولت العجوز وهي تقول

وما نلت منها غير انك نائك * بعينيك عينها اوايرك خائب

فنحن كذلك حتي ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل وكرب خابل وأنا أقول

ياحسرتي مما يجن فؤادى * أزف الرحيل بعبرتي وبعادي

فلما قضينا حجنا وانصرفنا راجعين مررنا بذلك المنزل وقد تضاعف حسنه ونمت بهجته

فقلت لصاحبي امض بنا الى صاحبتنا فلما أشرفنا على الخيام وصعد نا ربوة و نزلنا وهدة فاذا هي تتهادي بين خمس ماتصلح أن تكون خادما لادناهن وهن يجنين من نور ذلك الزهر فلما رأيننا وقفن وقلنا السلام عليكن فقالت من بينهن وعليك السلام ألست صاحبي قلت بلى قلن وتعرفينه قالت نعم وقصت عليهن القصة ماخرمت حرفا فقلن لها ويحك مازودتيه شيأ يتعلل به قالت بلى زودته لحداضامرا وموتا حاضرا فانبرت لها أنضرهن خدا وأرشقهن قدا وأسحرهن طرفا وأبرعهن شكلا فقالت والله ما أحسنت بدأ ولا أجملت عودا ولقد أسأت فى الرد ولم تكافئيه على الود فما عليك لو أسعفتيه بطلبته وأنصفتيه فى مودته وان المكان لخال وان معك من لا ينم عليك فقالت أما والله لا أفعل من ذلك شيأ أو تشركيني فى حلوه ومره قالت لها تلك اذا قسمة ضيزى تعشقين أنت وآتاك أنا قالت أخري منهن قد أطلتن الخطاب فى غير ارب فسلن الرجل عن نيته وقصده وبغيته فلعله بغير ماأنتن فيه قصد فقلن حياك الله وأنعم بك عينا ممن تكون وممن أنت وماتعانى وإلام قصدت فقلت أما الاسم فالحسن بن هانى من اليمن ثم من سعد العشيرة وخير شعراء السلطان الاعظم ومن يدنى مجلسه ويتقي لسانه ويرهب جانبه وأما قصدى فنير يدغلة واطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابتها قالت لقد أضفت الى حسن المنظر كرم المخبر وأرجو أن يبلغك الله أمنيتك وتنال بغيتك ثم أقبلت عليهن فقالت ما الواحدة منكن غير ملتمسة مرغبة فتعالين نشترك فيه ونتقارع عليه فمن واقعتها القرعة منا كانت هي البادية فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة التي قامت بامرى فعلق ازار على باب الغار وأدخلت فيه وأبطأت علىّ وجعلت أتشوف لدخول احداهن علىّ اذ دخل علىّ اسود كانه سارية وبيده شيء كالهراوة قد أنعظ بمثل رأس الحنيذ قلت ماتريد قال أنيكك ثم صحت بصاحبي وكان متدانيا الحرأى والله ماتخلصت منه حتي خرجنا من الغار واذا هن يتضاحكن ويتهادين الى الخيمات فقلت لصاحبي من أين أقبل الاسود قال كان يرعي غنما الى جانب الغار فدعونه فوسوسن اليه شيأ فدخل عليك فقلت أتراه كان يفعل فىّ شيأ فقال أتراك خلصت منه فانصرفت وأنا أخزى الناس قال اسمعيل فقلت نكك والله الاسود فقال مالك أبعدك الله فوالله لقد كتمت هذا الحديث مخافة هذا التأويل حتي ضاق به صدرى فرأيتك موضعا له فبحقي عليك ان أذعته قال اسمعيل فما فهت به حتى مات

﴿ خبر ذي الرمة ﴾ قال أبو صالح الفزاري ذكرنا ذا الرمة فقال عصمة بن عبد الملك شيخ مناقد بلغ عشرين ومائة سنة لاياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس آدم خفيف العارضين حسن المضحك حلو المنطق واذا أنشد حسن صوته واذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه وكان له اخوة يقولون الشعر منهم مسعود وهشام وأوفى كانوا يقولون القصيدة فيزيد عليها الابيات فتذهب له فجمعني واياه مربع فأتاني يوما فقال لي خفيا ان مية منقرية وبنو منقر أخبث حي أقفى للاثر فهل عندك ناقة نزدار عليها مية قلت والله ان عندي للجودة قال علي بها فركبنا جميعا وخرجنا حتى أشرفنا على بيوت الحي واذا بيت مية ناحية فعرفته ذا الرمة فتعرض النساء الى مية وجئنا ثم أنخنا ثم دنونا فسلمنا وقعدنا نتحدث فاذا هي جارية املود واردة الشعر بيضاء يغمرها صفرة وعليها ثوب أصفر وطاق أخضر فقلن أنشد نا ياذا الرمة فقال انشدهن ياعصمة فأنشدتهن

نظرت الى اظعان مي كأنها * ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه
فأعربت العينان والصدر كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حال الفراق ولم يحل * حوائلها اسرارها ومعايبه

فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليحل قال فنظرت الى مية متكرهة ثم مضيت في القصيدة حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح * على القلب أتته جميعا غرائبه

فقالت الظريفة قتلته قاتلك الله قالت مية ما أصحه وهنيأ له فتنفس ذو الرمة تنفسا ظننت معه ان فؤاده قد انصدع ومضيت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي * أقول لها الا الذي أنا كاذبه
اذا فرماني الله من حيث لا أرى * ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فالتفتت اليه فقالت خف عواقب الله ومضيت في القصيدة حتى انتهيت الى قوله

اذا راجعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها أو نضا الثوب سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل جاذبه

فقالت الظريفة أما هذه قد راجعتك وقد بدا لك الوجه منها فمن لك بان ينضو الدرع سالبه فالتفتت مية اليها فقالت قاتلك الله ما أنكر ما تجيبين به فتحدثن ساعة ثم قالت الظريفة

للنساء ان لهذين لشأنا فقمن بنا وقمت معهن فجلست في بيت أراهما منه فما رأيته برح من مقعده ولا قعدته فسمعتها قالت له كذبت والله ولا أدري ما قال لها فلبثت قليلا ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن ومعه قلائد فقال هذا دهن طيب أتحفنا به وهذه قلائد للجودة فلا والله ما أقلدهن بعيرا أبدا وشد بهن ذوائب سيفه وانصرفنا فكنا نختلف اليها حتى انقضى الربيع ودعا الناس المصيف فاتاني فقال هيا عصمة رحلت مية ولم يبق الا الآثار والرسوم من الديار وأنشدني

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

﴿الفضل بن الربيع﴾ قال قعد المخلوع للناس يوما وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع في ثمانمائة قضية فوالله لقد أصاب فما أخطا وأسرع فما أبطا ثم قال لي يا فضل أتراني أحسن التدبير والسياسة ولكني وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهي الي من ذلك (قال ابن قتيبة) خرج أبو عيسي جبريل بن أبي عيسي الى متنزه له بالقفص ومعه الحسن بن هانىء في آخر شعبان فلما كان اليوم الذي أوفى به الشهر ثلاثين يوما قيل له ان هذا يوم شك وبعض أهل العلم يصومه فقال لا عليك ليس الشك حجة على اليقين حدثنا أبو جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ثم قال لابن أبي عيسى

لو شئت لم تبرح من القفص * نشربها حمراء كالحص
نسرق هذا اليوم من شهرنا * والله قد يعفو عن اللص

(وذكروا) أن أبا عيسي خرج الى القفص متنزها ومعه الحسن بن هانىء فحمله وخلع عليه فاقام فيها اسبوعا ثم قال بحياتي صف مجلسنا والايام كلها فقال في ذلك

يا طيبة بقصور القفص مشرقة * بها الدساكر والانهار تطرد
لما أخذنا بها الصهباء صافية * كأنها النار وسط الكاس تتقد
جاءتك من بيت خمار بطينتها * صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد
وقام كالبدر مشدودا قراطقه * ظبي يكاد من التهييف ينعقد
نصبها من فم الابريق فانبعثت * مثل اللسان جرى واستمسك الجسد
فلم نزل في صباح السبت ناخذها * والليل ياخذنا حتى بدا الاحد

واستشرفت غرة الاثنين واضحة * والجدى معترض والطالع الاسد
وفى الثلاثاء أعملنا المطي بها * صهباء ما قرعتها بالمزاج يد
والاربعاء صفا فيه النعيم لنا * والكاس تضحك فى حافاتها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليلته * وتم فيه لنا بالجمعة العدد
ياحسننا وبحار القفص تغمرنا * فى لجة الليل والاوتار تجتلد
فى مجلس حوله الاشجار محدقة * وفى جوانبه الاطيار تغترد
لانستخف بساقينا لعزته * ولايرد عليه حكمه أحد
عند الهمام أبى عيسى الذى كملت * أخلاقه فهى كالاوراق تتقد

(أبو جعفر) البغدادي قال حدثنا أبو محمد الدمشقى قال مررت ذات ليلة أيام فتنة المستعين والقمر يزهر بباب الشام فاذا أنا بشيخ غليظ أصلع نشوان قد توشح فى ازار أحمر ومال على شقه الايمن وفى يده خوصة يشمها ويقول

عشرون ألف فتى مامنهم أحد * الا كالف فتى مقدامة بطل
أضحت مزاودهم مملوأة نشبا * ففرغوها وأوكوها على الامل

فقلت له أحسنت لله أنت فقال نحب رقيقة فقلت ما أحوجني اليها فقال

انما هيج البلا * يوم عض السفرجلا
وعلا الورد وجنتيـه فابدي التخجلا
يفضح البدر فى الكما * ل اذا البدر اكملا
ولقد قام لحظ عينى على القلب بالقلا

قلت له أبو من أعزك الله قال أبو عشيرة الخياط شهدت حروب ابن زبيدة كلها وحاربت الفتيان فى غاية كل ميدان واعترف لى كل فاتك وأذعن لى كل شاطر ونزلت تلك الدار عشرين سنة وأوما الى سجن بغداد ثم تنفس الصعداء وقال أنا الذى أقول

لى فؤاد مستهام * وجفون لا تنام
ودموع آخر الدهـر على عينى سجام
وحبيب كلما خا * طبته قال سلام
فاذا ماقلت زرني * قال لي ذاك حرام

ثم بكى فلما أفاق قلت ما يبكيك قال وكيف لا أبكى ولى حبيب بالبصرة علقته وهو ابن سبع عشرة سنة ثم غبت عنه ثلاثا وثلاثين سنة فلما عيل صبرى خرجت الى البصرة فطفت في شوارعها حتي رأيته فما رأيت وجها أحسن منظرا ولا أزهي منه ثم أنشا يقول

مردد فى كمده * معذب فى سعده

خلا به السقم فما * أسرعه فى جسده

يرحمه لما بدا * من ضره ذو حسده

ثم ودعني ومضيت (وحدث) أبو الفضل قال اني بالطواف أمام الحجر اذ سمعت حنينا يخرج من بين الاستار واذا بقائل يقول

عفا الله عمن يحفظ الود جهده * ولا كان عهد الله للناقض العهد

وضعت على الاستار خدى ليلة * ليجمعني مع من وضعت له خدى

قال فرفعت الاستار فاذا جارية منفردة كانها شمس تجلت عنها غمامة فقلت ياهذه لو سالت الله الجنة مع هذا التضرع والبكاء ماحرمك اياها قال فسترت وجهها وقالت سبحان من خلق فسوي ولم يهتك العلانية والنجوى أما والله اني لفقيرة الى رحمة ربى وقدسا لته أكبر الامرين عندي رجاء فضله واتكالا على عفوه ثم ولت عني فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم (حدث) مسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب قال دخلت أنا وزبان السوّاق الى العقيق فلقينا نسوة نازلات من العقيق لهن جمال وشارة وفيهن جارية خضابية العينين فلما رآها زبان قال لي يا ابن الكرام دم أبيك والله فى ثيابها فلا نطلب أثرا بعد عين وأنشد قول أبى مسلم بن جندب

ألا ياعباد الله هذا أخوكم * قتيل فهل منكم له اليوم ثائر

خذوا بدمى ان مت كل مليحة * مريضة جفن العين والطرف ساحر

قال فقالت لي الجارية أنت ابن جندب قلت نعم قالت فاغتنم نفسك واحتسب أباك فان قتيلنا لا يودى وأسيرنا لا يفدي (الزبير بن بكار) عن عبد الله بن مسلم بن جندب قال قلت

تعالوا أعينوني على الليل انه * على كل عين لاتنام طويل

قال فطرقني عيسي بن طلحة قال انى سمعت قولك فجئت أعينك فقلت يرحمك الله أغفلت

الاجابة حتى أتى الله بالفرج (أبو المهلهل الخزاعى) قال ارتحلت الى الدهناء فسألت عن مي صاحبة ذى الرمة فدفعت الى خيمة فيها عجوز هيفاء فسلمت عليها وقلت أين منزل مى فقالت ها أنا مى فقلت عجبا من ذى الرمة وكثرة قوله فيك قالت لا تعجب فانى ساقوم بعذره ثم قالت فلانة فخرجت من الخيمة جارية ناهدة عليها برقع فقالت لها أسفرى فلما أسفرت تحيرت لما رأيت من حسنها وجمالها فقالت علقني ذو الرمة وأنا فى سن هذه وكل جديد الى بلى قلت عذرته والله واستنشدتها من شعره فانشدتنى

﴿ ما يكتب على العصائب وغيرها ﴾ أبو الحسن قال دخلت على هرون الرشيد وعلى رأسه جوار كالتماثيل فرأيت عصابة منظمة بالدر والياقوت مكتوب عليها بصفائح الذهب

ظلمتني فى الحب ياظالم * والله فيما بيننا حاكم

﴿ قال ورأيت في عصابة أخرى ﴾

مالى رميت فلم تصبك سهامى * ورميتني فاصبتني يارامى

قال ورأيت على أخرى وضع الخد للهوى عز قال ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوبا عليه

أقلت من حور الجنان * وخلقت فتنة من يرانى

(قال اسحق بن ابراهيم) دخلت على الامين محمد بن زبيدة وعلى رأسه وصائف في قراطق مفروجة بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها

بي طاب العيش فى الصيف وبى طاب السرور
ممسكى ينفى أذى الحر اذا اشتد الحرور
الندى والجود في وجه أمين الله نور
ملك أسلمه الشبه وأخلاه النظير

﴿ وفى عصابة ﴾

ألا بالله قولوا يارجال * أشمس فى العصابة أم هلال

﴿ وفى أخرى ﴾

أتهوون الحياة بلا جنون * فكفوا عن ملاحظة العيون

(وكتبت) ورد جارية الماهانى على عصابتها وكانت تجيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها

تمت وتم الحسن في وجهها * فكل شيء ماسواها محال
للناس فى الشهر هلال ولى * فى وجهها فى كل يوم هلال

(وكتبت) فى عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هانىء وهما

يارامياً ليس يدرى ماالذى فعلا * عليك عقلى فان السهم قد قتلا
اجريته فى مجارى الروح من بدني * فالنفس فى تعب والقلب قد شغلا

(قال على بن الجهم) خرجت علينا عالج جارية خالصة كانها خوط بان وهي تميس فى ورقه وعلى طرتها مكتوب بالغالية وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء

ياهلالا من القصور تجلى * صام طرفى لمقلتيك وصلى
لست أدري أطال ليلى أم لا * كيف يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى * ولرعى النجوم كنت مخلا

(قال) وخرجت الينا منال وعليها درع خام على جانبه الايمن مكتوب

كتب الطرف فى فؤادى كتابا * هو بالشوق والهوى مختوم

﴿ وعلى الايسر مكتوب ﴾

كان طرفى على فؤادى بلاء * ان طرفى على فؤادي مشوم

(قال) وكان على عصابة ظبي جارية سعيد الفارسى مكتوب بالذهب

العين قارئة لما كتبت * فى وجنتي أنامل الشجن

(قال) وحدثني الحسن بن وهب قال كتبت شعب على قلنسوة جار يتها شكل

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه * الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وانني بك واثق * ان لا ينال سواى منك نصيبا

(وكتب) شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الايمن

بدر على غصن نضير * شرق الترائب بالعبير

﴿ وعلى عاتقه الايسر ﴾

خطت صفيحة وجهه * فى صفحة القمر المنير

(وكتبت) وصيف جارية الطائي على عصابتها

فمازال يشكو الحب حتى حسبته * تنفس فى احشائه وتكلما
فابكى لديه رحمة لبكائه * اذا مابكى دمعا بكيت له دما

(وكان على عصابة مزاج وهي من مواجن أهل بغداد)

قالوا عليك دروع الصبر قلت لهم * هيهات ان سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها * حتي يعود اليه الطرف مشتاقا

﴿ وكتبت جارية الناطفى على عصابتها ﴾

الكفر والسحر فى عينى اذا نظرت * فاغرب بعينيك يامغرور عن عيني
فان لى سيف لحظ لست أغمده * من صنعة الله لا من صنعة القين

(وكتبت حدائق فى كفها بالحناء)

ليس حسن الخضاب زين كفى * حسن كفى زين لكل خضاب

(قال) وخرجت علينا جارية حمدان وقد تقلدت سيفا محلي وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها

تامل حسن جارية * يحار بوصفها البصر
مذكرة مؤنثة * فهى أنثى وهي ذكر

﴿ وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب ﴾

لم يكفه سيف بعينيه * يقتل من شاء بحديه
حتي تردى مرهفا صارما * فكيف أبقي بين سيفيه
فلو تراه لابسا درعه * يخطر فيها بين صفيه
علمت ان السيف من طرفه * اقتل من سيف بكفيه

﴿ وكتبت واحدة على منطقة جاريتها منصف الكوفية ﴾

تكني من غمزة العين اذا ما مست تنحل
وفؤادى رق حتى * كادمن صدرى ينسل
بعض ما بى يصدع القلب فما ظنك بالكل

﴿ ومن قولى فيما كتبت على كاس مذهبة ﴾

اشرب على منظر انيق * وامزج بريق الحبيب ريقي

واحلل وشاح الكعاب رفقا * واحذر على خصرها الدقيق
وقل لمن لام فى التصابي * اليك خلى عن الطريق

وقف صريع الغواني بباب محمد بن منصور فاستسق فامر وصيفا له فاخرج اليه خمرا فى كاس مذهبة فلما نظر اليها فى راحته قال

ذهب فى ذهب را * ح بها غصن لجين
فانت قرة عيني * من يدي قرة عين
قمرا يحمل شمسا * مرحبا بالقمرين
لاجرى بيني ولا بينهما طائر بين
و بقينا ما بقينا * أبدا متفقين
فى غبوق وصبوح * لم نبع نقدا بدين

(محمد بن اسحق) قال حدثنى أحمد بن عبد الله قال رأيت على مروحة مكتوبا

الحمد لله وحده * وللخليفة بعده
وللمحب اذا ما * حبيبه بات عنده

(قال) ورأيت فى مجلس سريرا مكتوبا عليه بالذهب

أشهي وأعذب من راح ومن ورد * إلفان قد وضعا خدا على خدى
وضم احداهما احشاء صاحبه * حتى كانهما للقرب فى عقد
هذا يبوح بما يلقاه من حزن * وذاك يظهر ما يخفى من الوجد

﴿ وفى عصابة أخرى ﴾

وان يحجبوها بالنهار فما لهم * بان يحجبوا بالليل عني خيالها

﴿ قال أبو عبيدة ورأيت على جبينها مكتوبا ﴾

كتبت فى جبينها * بعبير على قمر
فى سطور ثلاثة * لعن الله من غدر
وتناولت كفها * ثم قلت اسمعي الخبر
كل شيء سوى الخيا * نة فى الحب يغتفر

(قال الاصمعى) رأيت على باب الرشيد وصائف على عصابة واحدة منهن مكتوب

نحن خود نواعم * من أراض مقدسه
احسن الله رزقنا * ليس فينا منحسه
فاتق الله يافتي * لاتدعني موسوسه

(وقال) أبو جعفر الكرمانى يوما للمأمون أتأذن لى فى دعابة قال هاتها و يحك فما العيش الا فيها قال يا أمير المؤمنين انك ظلمتني وظلمت غسان بن عباد قال وكيف ذلك ويلك قال رفعت غسان فوق قدره ووضعتني دون قدرى الا أنك لغسان أشد ظلما قال وكيف قال لانك أقمته مقام هر وأقمتني مقام رخمة فاستظرف ذلك منه ورفع درجته (أبو زيد) قال كان عطاء مع ابن الزبير وكان أملح الناس جوابا فلما قتل ابن الزبير أمنه عبد الملك ابن مروان فقدم عليه فسال الاذن فقال عبد الملك لا أريده يضحكني قد أمنته فلينصرف قال أصحابه فنحن نتقدم اليه ان لا يفعل فاذن له عبد الملك فدخل وسلم عليه و بايعه ثم ولى فلم يصبر عبد الملك ان صاح به ياعطاء أما وجدت أمك اسما الا عطاء قال قد والله استنكرت من ذلك ما استنكرته يا أمير المؤمنين لو كانت سمتني بامي المباركة صلوات الله عليها مريم فضحك عبد الملك وقال اخرج (اختصم) الى زياد بنو راسب وبنو طفاوة فى غلام ادعوه وأقاموا جميعا البينة عند زياد فاشكل على زياد أمره فقال سعد الرابية من بني عمرو بن يربوع أصلح الله الامير قد تبين لى فى هذا الغلام القضاء ولقد شهدت البينة لبنى راسب والطفاوة فولني الحكم بينهما قال وما عندك فى ذلك قال أرى ان يلقي فى النهر فان رسب فهو لبني راسب وان طفا فهو للطفاوة فاخذ زياد نعليه وقام وقد غلبه الضحك ثم أرسل اليه انى أنهاك عن المزاح في مجلسي قال أصلح الله الامير حضرني أمر خفت أن أنساه فضحك زياد وقال لا تعودن (أبو زيد) قال لم يكن بالبصرة أفصح لسانا ولا أظهر جمالا من الحسن بن أبي الحسن البصري وزرعة ابن أبى حمزة الهلالى (قال) وأخبرنى الوليد بن عبيد البحترى الشاعر قال كنا عند المتوكل يوما و بين يديه عبادة المخنث فامر به فالقي فى بعض البرك فى الشتاء فابتل وكاد يموت بردا قال ثم اخرج من البركة وكسى وجعل فى ناحية المجلس فقيل له ياعبادة كيف أنت وما حالك قال يا أمير المؤمنين جئت من الآخرة فقال له كيف تركت أخى الواثق قال لم أجز بجهنم فضحك المتوكل وأمر له بصلة

﴿نوادر أشعب﴾ قال أشعب فى وفى أبى زياد عجب كنت أنا وهو فى كفالة فاطمة

ثنت عثمان فمازال يعلو واسفل حتى بلغنا غايتنا هذه (قيل) لاشعب لو أنك حفظت الحديث حفظك هذه النوادر لكان أولى بك قال قد فعلت قالوا له فما حفظت من الحديث قال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان فيه خصلتان كتب عند الله خالصا مخلصا قالوا ان هذا حديث حسن فما هاتان الخصلتان قال نسي نافع واحدة ونسيت آنا الاخرى (وقال أشعب) رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل قالوا كيف ذلك قال رأيتني أحمل بدرة فمن شدة ثقلها على كنت أسلح في ثيابي ثم انتبهت فاذا أنا بالسلح ولا بدرة (ساوم) أشعب رجلا بقوس فقال أقل ثمنها دينار قال أشعب والله لو أنك اذا رميت بها طائرا في السماء فوقع مشويا بين رغيفين مااشتريتها منك بدينار أبدا (وقيل) لاشعب خففت صلاتك قال لانها صلاة لايخالطها رياء (وضرب) الحجاج اعرابيا سبعمائة سوط وهو يقول عند كل سوط شكرا لك يارب فلقيه أشعب فقال أتدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط قال ما أدري قال لكثرة شكرك الله تعالى يقول لئن شكرتم لأزيدنكم فقال

يارب لاشكرا فلا تزدني ❊ باعد ثواب الشاكرين عني

وسأل رجل أشعب أن يسلفه ويؤخره فقال هاتان حاجتان فاذا قضيت لك احداها فقد انصفت قال الرجل رضيت قال فانا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك (أبو حاتم) عن الاصمعي عن أبي القعقاع قال رأيت أشعب في السوق يبيع قطيفة ويقول للمشترى أريد أن أبرأ اليك من عيب قال وما ذاك قال يحترق تحتها من دفن فيها (قال) أشعب من بال ولم يضرط كتب من الكاظمين الغيظ (وقيل) لاشعب هل خلق خلق أطمع منك قال نعم أمي فاني كنت اذا جئتها بفائدة قد اعطيتها قالت ماجئت به فانهجي لها الشيء حرفا حرفا ولقد أهدى لنا مرة غلام فقالت ما أهدي لنا قلت غين قالت ثم ماذا قلت لام ألف ميم فغمي عليها وجعلت تضرط ولو أكملت لها الحروف لماتت فرحا (وقيل) له ما بلغ من طمعك قال لم انظر الى اثنين يتساران الا حسبت أنهما يامران لي بشيء (ونظر) أشعب الى شيخ قبيح الوجه فقال ألم ينهكم سليمان بن داود عن أن تخرجوا بالنهار (ومر) أشعب على رجل نجار يعمل طبقا فقال له زد فيه طوقا واحدا تتفضل به علي قال وما يدخل عليك قال لعل يوما يهدى الي فيه شيء (قال) الاصمعي أخبرني هرون بن زكريا عن أشعب قال

أدركت الناس يقولون قتل عثمان قال الاصمعي وعاش أشعب الى زمان المهدي ورأيته (دخل) رجل على الاعمش يسئله عن مسئلة فرد عليه فلم يسمع فقال له زدني في السماع قال ما ذلك لك ولا كرامة قال فبيني وبينك رجل من المسلمين قال فخرجا الى الطريق فمر بهما شريك القاضي قال فاني حدثت هذا بحديث فلم يسمع فسألني أن أزيده في السماع لانه ثقيل السمع وزعم أن ذلك واجب له فابيت قال له شريك عليه أن تزيده لانك تقدر أن تزيد في صوتك ولا يقدر أن يزيد في سمعه (أتت) ليلة الشك من رمضان فكثر الناس عند الاعمش يسالونه عن الصوم فضجر ثم بعث الى بيته فجيء اليه برمانة فشقها ووضعها بين يديه فكان اذا نظر الى رجل قد أقبل يريد أن يساله تناول حبة فأكلها فيكفي الرجل السؤال ونفسه الرد (قال) رقية بن مصقلة سفه علينا الاعمش يوما فقالت امرأته من وراء ستر احملوا عنه فوالله ما يمنعه من الحج منذ ثلاثين سنة الا مخافة أن يلطم كريه أو يشتم رفيقه (طلبت) بنت الاعمش من الاعمش حاجة فحجبها بالرد فقالت والله ما أعجب منك ولكني أعجب من قوم زوجوك (ودخل) رقية بن مصقلة على الاعمش فقال والله انا لنأتيك فما تنفعنا ونتخلف عنك فما تضرنا وان الوقوف اليك لذل وان تركك لحسرة تسئل الحكمة فكأنما تستمط الخردل وما أشبهك الا بالصاحيقون فانه كريه الشربة نافع للمعدة فرفع الاعمش رأسه وقال من هذا المتكلم فقيل له رقبة بن مصقلة فنكس رأسه (وقال) رجل من تلاميذ الاعمش صنعت للاعمش طعاما ثم دعوته فمضى معي وأنا أقوده حتى سقطت رجله في حفرة تعملها الصبيان للكرة فقال ما هذا قلت حفرة يعملها الصبيان للكرة قال لا ولكنك حفرتها لتقع رجلي فيها والله لا أكلت عندك يومي هذا طعاما قال فحملت الطعام اليه ثم صنعت له بعد ذلك طعاما ودعوته اليه فقال ادخل بنا الحمام قبل ذلك فادخلته الحمام فلما جئت لاصب الماء الحار على رأسه قال ما دعاك الى هذا أردت أن تسلخ قفاي والله لا أكلت عندك يومي هذا طعاما قال فحملت الطعام اليه (وكثر) الشعر على الاعمش فقلت له لم لا تأخذ من شعرك قال لا أجد حجاما يسكت حتى يفرغ قلنا له فانا نأتيك بحجام ونتقدم اليه أن يسكت حتى يفرغ قال فافعلوا قال فاتيناه بحجام واعذرنا اليه ان لا يتكلم حتى يتقفى أثره فبدأ الحجام بحلقه فلما أمعن في حلقه ساله عن مسئلة فعض بنابه وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته ثم جئناه بغيره فقال لا والله لا أخرج اليه حتى تحلفوه فحلفناه أن لا يساله عن شيء فخرج اليه (ولمحمد) بن مطروح الاعرج من التبرم الملح والضجر المتوقع ما هو أحسن من هذا وأوقع

(وقال) له رجل يوما ما تقول يرحمك الله في رجل مات يوم الجمعة أيعذب عذاب القبر قال يعذب يوم السبت (وقال) له آخر أتجد في بعض الحديث ان جهنم تخرب قال ما أشقاك ان اتكلت على خرابها (واستسقى) بالناس يوما فاسرع بالصلاة قبل ان يتوا في الناس فلما انصرف تلقاه بعض الوزراء فقال له اسرعت أبا عبد الله قال ليس علينا ان ننتظر حتى تشربوا وتأكلوا (وكانت) لفراس الكاتب منه منزلة وجوار وكان يتحفه ويتفقده بما أمكنه من الهدايا وكانت صلاته معه في الجامع والاعرج صاحب الصلاة فاذا حضرت الصلاة ولم يحضر فراس قال لبعض القومة أنت ياشيطان كلم هؤلاء الكلاب لا يقيمون الصلاة حتى يأتي ذلك الخنزير فكان بره في حبس الصلاة عليه برا العقوق خير منه (وكان) يجلس اليه خصي لزرياب قد حج وتنسك ولزم الجامع فيتحدث في مجلسه باخبار زرياب و يقول كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا وكذا فقال له الاعرج من أبو الحسن هذا قال زرياب قال بلغني انه كان أخرق الناس لاست خصي (وسأله) مرة وقال له ما تقول في الكبش الاعرج أيجوز في الاضحية قال نعم والخصي أيضا مثلك (وسمع) أبو يعقوب الخريمي منصور بن عمار صاحب المجالس يقول في دعائه اللهم اغفر لاعظمنا ذنبا وأقسانا قلبا وأقربنا بالخطيئة عهدا وأشدنا على الدنيا حرصا فقال له امرأتي طالق ان كنت دعوت الا لابليس (الاصمعي) قال حدثنا بعض شيوخنا عن ابن طاوس قال اقبلت الى عبد الله بن الحسن فادخلني بيتا قد نجد بالرهاوي والمباني وكل فرشه حرير قال فبسطت نطعا وجلست عليه وابناه محمد وابراهيم صبيان يلعبان فلما نظرا الى قال أحدهما لصاحبه ميم فقال الآخر جيم فقلت أنا نون واو نون فاستغرقا ضحكا وخرجا الى أبيهما (أبو زيد) قال سكر حائك من الزط فحلف بالطلاق ليغنينه أبو علي الاشراسي فمضى معه جماعة الى أبي علي فاخبروه وقالوا اسكر فابتلي وحلف بالطلاق لتغنينه فاقبل على الحائك فقال ياقرد سعد أيام حسابا ردبدا اياك أن تعود قال أبو زيد تفسيره ياسمين أخضر ياسمين طيب ياسمين رطب (وكان) شيخ من البخلاء يأتي ابن المقفع فالح عليه يسأله الغداء عنده وفي كل ذلك يقول له أترى انك تراني أتكلف لك شيأ لا والله لا أقدم لك الا ما عندي فاجابه يوما فلما أتاه اذ ليس عنده ولا في منزله الا كسرة يابسة وملح جريش ووقف سائل بالباب فقيل له بورك فيك فالح عليه بالسؤال فقال له لئن خرجت اليك لادقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل أنت والله لو علمت من صدق وعيده ماعلمت من صدق وعوده لم

تراده كلمة ولا وقفت طرفة عين (مر) برقية بن مصقلة رجل زاهد غليظ الرقبة فقال هذا رجل زاهد والعلامات فيه بخلاف ذلك فقال له رجل أكلمه بذلك أصلحك الله لئلا يكون غيبة قال كلمه حتى يكون نميمة (قال) شريك بن عبد الله القاضي سبع من العجائب عمياء منتقبة وسوداء مخضبة وخصي له امرأة ومخنث يؤم قوما وشيعي أشعري ونخعي مرخي وعربي أشقر ثم قال شريك من المحال عربي أشقر (قالوا) كانت في أبي عمرو ضرار بن عمرو ثلاثة من المحال كان كوفيا معتزلا وكان من بني عبد الله بن غطفان ويرى رأى الشعوبية ومحال ان يكون عربي شعوبيا ومات وهو ابن سبعين سنة (وقيل) لشريح القاضي أيهما أطيب اللوز ينق أو الجوز ينك فقال لا أحكم على غائب (وسأل) رجل عمر بن فنن عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الانسان في ثوبه أو خفه أو جبهته قال له ارم بها فقال الرجل زعموا انها تصيح حتى ترد الى المسجد قال دعها تصيح حتى ينشق حلقها قال الرجل أولها حلق قال فمن أين تصيح (وسئل) عامر الشعبي عن المسجد الخراب أيجامع فيه قال نعم ويخرأ فيه (الاصمعي) قال ولي رجل قضاء الاهواز فابطأت عليه أرزاقه وليس عنده ما يضحي به ولا ما ينفق فشكا ذلك الى امرأته وأخبرها ماهو فيه من الضيق وأنه لا يقدر على أضحية فقالت له لا تغتم فان عندي ديكا عظيما قد سمنته فاذا كان يوم الاضحى ذبحناه فبلغ جيرانه الخبر فاهدوا له ثلاثين كبشا وهو في المصلى لا يعلم فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الاضاحي قال لامرأته من أين هذا قالت أهدى لنا فلان وفلان وفلان حتى سمت له جماعة فقال لها ياهذه تحفظي بديكنا هذا فلهو أكرم على الله من اسحق بن ابراهيم انه فدي ذلك بكبش واحد وفدي ديكنا هذا بثلاثين كبشا (خرج) أبو دلامة مع المهدي في مصاد لهم فعن لهم ظبي فرماه المهدي فاصابه ورمي علي بن سليمان فاخطأ وأصاب الكلب فضحك المهدي وقال لابي دلامة قل فقال

قد رمى المهدي ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمي كلبا فصاده
فهنيأ لهما كل * امرىء يأكل زاده

(وكتب) أبو دلامة الى عيسى بن موسي وهو والى الكوفة رقعة فيها هذه الابيات

اذا جئت الامير فقل سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم * من الاعراب أقبح من غريم

لزوم ما علمت بباب داری * لزوم الكهف أصحاب الرقيم
له مائة على ونصف أخرى * ونصف النصف فی صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن * حبوت بها شيوخ بنی تيم

(ودخل) أبو دلامة على المهدي وعنده محمد بن الجهم وزيره وكان المهدى يستثقله فقال لابي دلامة والله لا تبرح مكانك حتي تهجو احد الثلاثة فهم أبو دلامة بهجاء ابن الجهم ثم خاف شره فرأى ان هجاء نفسه أقل ضررا عليه فقال

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا اذا وضع العمامه
وان لبس العمامة كان فيها * كثور لا تفارقه الكمامه

(وعرض) أبو دلامة ليزيد بن مزيد وهو قادم من الري فاخذ بعنان فرسه وأنشد

انی نذرت لئن رأيتك سالما * بقری العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * وتملأن دراهما حجري

فقال له أما الصلاة على محمد فصلي الله على سيدنا محمد وأما الدراهم فالى أن أرجع ان شاء الله فقال له لا تفرق بينهما لا فرق الله بينك وبين محمد صلى الله عليه وسلم فی الجنة فاقترضها من أصحابه وصبها في حجره حتى أثقلته (ودخل) أبو دلامة على المهدى فاسمعه مديحا فاعجبه وقال له سل حاجتك قال كلب صيد اصطاد به قال قد أمرنا لك بكلب تصطاد به قال وغلام يقود الكلب قال قد أمرنا لك بغلام قال وخادم تطبخ لنا الصيد قال وأمرنا لك بخادم قال ودار نأوي اليها قال أمرنا لك بدار قال بقي الآن المعاش قال قد أقطعناك ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة قال وما الغامرة قال التي لا تعمر قال فانا أقطع أمير المؤمنين خمسين الفا من فيافی بني أسد قال فانا نجعلها عامرة كلها قال فيأذن أمير المؤمنين فی تقبيل يده قال أما هذه فدعها قال ما تمنعنی شيئا أحب الى منها

﴿ المضحكات ﴾ أبو الحسن المداينی قال خطب رجل من بنی كلاب امرأة فقالت أمهادعني حتي أسال عنك فانصرف الرجل فسال عن أكرم الحی عليها فدل على شيخ منهم كان يحسن التوسط فی الامر فاتاه يساله ان يحسن عليه الثناء وانتسب له فعرفه ثم ان

العجوز غدت عليه فسألته عن الرجل فقال أنا أعرف الناس به قالت فكيف لسانه قال مدره قومه وخطيبهم قالت فكيف شجاعته قال منيع الجار حامي الذمار قالت فكيف سماحته قال ثمال قوم ور بيعهم وأقبل الفتي فقال الشيخ ما أحسن والله ما أقبل ما انثني ولا انحنى ودنا الفتي فسلم فقال ما أحسن والله ماسلم ما فار ولا ثار ثم جلس فقال ما احسن والله ما جلس مادنا ولا ناي وذهب الفتى ليتحرك فضرط فقال ما أحسن والله ماضرط ما أطنها ولا أغنها ولا بربرها ولا فرقرها ونهض الفتي فقال ما أحسن والله مانهض ما ارقد ولا اقطوطى فقالت العجوز حسبك ياهذا وجه اليه من برده فوالله ولو سلح في ثيابه لزوجناه (محمد) بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وهو يعبث وكان مات له حمار قبل ذلك قال رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك مالك مت قال انك ركبتني يوم كذا فمررنا على باب الاصبهاني فرأيت أتانا عند بابه فعشقتها فمت وأنشد

سيدى خذلى أمانا * من أمان الاصبهانى
ان بالباب أتانا * فضلت كل أتان
تيمتنى يوم رحنا * بثناياها الحسان
و بغنج ودلال * سل جسمي وبراني
ولها خد اسيل * مثل خد الشنقرانى
فبهامت ولو عشت اذا طال هوانى

فقال له رجل من القوم يا أبامعاذ ما الشنقرانى قال هو شيء يتحدث به الحمير فاذا لقيت حمارا فاسأله (وأخذ) رجل شرب فاتى به الوالى فقال استنكهوه فقالوا ان نكهته لاتبين عليه قال فقيؤه فقال الشارب فان لم أقيء شرابا فمن يضمن لي عشائي (رانق) اعرابي اعرابيا في سفر فقال أنا والله أشتهي كشكية ومدصوته فضرط فقال له صاحبه ما نفختك يا ابن أم (أبوالخطاب) قال كان عندنا رجل أحدب فسقط في بئر فذهبت حدبته وصار آدر فدخلوا ليهنؤه فقال الذي جاء شر من الذى ذهب (أبو حاتم) قال رمى رجل أعور بنشابة فاصابت عينه الصحيحة فقال امسينا وأمسى الملك لله (وقال) رجل للجماز ولدت امرأتي لستة أشهر فقال لقد كان آتيها ضاريا (قالوا) أتى الحجاج بسفط قد أصيب في بعض خزائن كسرى مقفل فامر بالقفل فكسر فاذا فيه سفط آخر

مقفل فقال الحجاج من يشترى منى هذا السفط بما فيه فتزايد فيه أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار فاخذه الحجاج ونظر فيه فقال ماعسى أن يكون فيه الاحماقة من حماقات العجم ثم أنفذ البيع وعزم على المشتري أن يفتحه ويريه مافيه ففتحه بين يديه فاذا فيه رقعة مكتوب فيها من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل (الزبير بن بكار) قال جاءت امرأة الى ابن الزبير تستعدي على زوجها وتزعم انه يصيب جاريتها فامر به فاحضر فساله عما ادعت فقال هى سوداء وجاريتها سوداء وفى بصرى ضعف ويضرب الليل برواقه فانا آخذ من دنا منى (قال) وخطب رجل خطبة نكاح واعرابى حاضر فقال الحمد لله أحمده واستعينه وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله حي على الصلاة حي على الفلاح فقال الاعرابى لا تقم الصلاة فانى على غير وضوء (قال العوام بن حوشب) قال لى عيسي بن موسي من أرضعتك قلت ماأرضعتني الا أمي قال قد علمت ان ذلك الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى أمك (وكان) رجل مقتب قد تنسك وتشبه بالحسن البصري فشهد جنازة فوقف على القبر والى جانبه رجل مليح فضحك فقال له الناسك ماأعددت لهذه الحفرة يافلان قال قذفك فيها الساعة (ودخل) اعرابى الحمام فضرط فقال نبطى كان في الحمام صبحان الله فقال له الاعرابي ياابن اللخناء ضرطتى أفصح من تسبيحك (وقيل) لاعرابي مالك لا تجاهد قال والله أني أبغض الموت على فراشى فكيف أسعى اليه ركضا (واستشهد) أعرابى على رجل وامرأة فقال رأيته داخلا وخارجا كالمرود في المكحلة فقال والله لو كنت جلدة استها مارأيت هذا (وجد) منبوذ فى بعض العراق وعند رأسه مائة دينار ورقعة مكتوب فيها أنا ابن الشقي وابن الشقية وابن القدح والركبة وابن البغى والبغية من كفلني فله هذه الميه (السندي بن شاهك) قال بعث الى المامون بريدا وأنا بخراسان فطويت المراحل حتى أتيت باب أمير المؤمنين وقد هاج بى الدم فوجدته نائما فاعلمت الحاجب بقصتى وقدمت اليه عذرى وماهاج بي من الدم فانصرفت الى منزلى فقلت أحضروا الى الحجام قالوا هو محموم قلب فهاتوا حجاما غيره ولا يكون فضوليا فاتونى به فما هو الاان دارت يده على وجهى حتى قال جعلت فداك هذا وجه لا أعرفه فمن أنت قلت السندى بن شاهك قال ومن أين قدمت فانى أري اثر السفر عليك قلت من خراسان قال وأى شيء أقدمك قلت وجه الى أمير المؤمنين بريدا ولكن اذا

فرغت ساخبرك بالقصة على وجهها قال وتعرفني بالمنازل والسكك التي جئت عليها قلت نعم قال فها هو الان فرغ حتى دخل رسول أمير المؤمنين ومعه كركى فقال ان أمير المؤمنين يقرئك السلام وهو يعذرك فيما هاج بك من الدم وقد أمرك بالتخلف فى منزلك الى ان تغدو عليه ان شاء الله ويقول ما أهدي الينا اليوم غير هذا الكركى فشانك به قال فالتفت السندى الى جلسائه فقال ما يصنع بهذا الكركى فقال الحجام يطبخ سكباجا قال السندى يصنع كما قال وحلف على الحجام أن لا يبرح فحضر الغداء فتغدينا قال ثم قلت يعلق الحجام من العقبين ثم قلت جعلت فداك سألتني عن المنازل والسكك التي قدمت عليها وانا مشغول فى ذلك الوقت وأنا أقصها عليك فاستمع خرجت من خراسان وقت كذا فنزلت كذا ياغلام اوجع فضربه عشرة أسواط ثم قلت وخرجت منه الى مكان كذا ياغلام اوجع فضربه عشرة أخرى ولم يزل يضربه لكل سكة عشرة حتى انتهى الى سبعين سوطا فالتفت الى الحجام وقال ياسيدي سألتك بالله الى اين تريد ان تبلغ قلت الى بغداد قال لست تبلغ حتى تقتلني قلت فاتركك على ان لا تعود قال والله لا اعود ابدا قال فتركته وأمرت له بسبعين درهما فلما دخلت على المامون اخبرته الخبر قال وددت انك بلغت به الى ان تاتى على نفسه (أتت جارية) أبا ضمضم فقالت ان هذا قبلنى فقال قبليه فان الله يقول والجروح قصاص (وارتفع) رجلان الى أبي ضمضم فقال أحدهما أبقاك الله ان هذا قتل ابني قال هل لابنك أم قال نعم قال ادفعها اليه حتى يولدها لك ولدا مثل ولدك وبربيه حتى يبلغ مثل ولدك ويبرأ به اليك (وكان) بالمدينة أعمى يكني أبا عبد الله أتى يوما يغتسل من عين فدخل بثيابه فقيل له بللت ثيابك قال تبتل على أحب الي من أن تجف على غيرى (وفى كتاب الهند) ان ناسكا كان له سمن فى جرة معلقة على سريره ففكر يوما وهو مضطجع على سريره وبيده عكازه فقال أبيع الجرة بعشرة دراهم فاشترى بها خمسة أعنز فاولدهن فى كل سنة مرتين حتى تبلغ ثمانين وأبيعهن وابتاع بكل عشرة بقرة ثم ينمو المال بيدى فابتاع العبيدة والاماء ويولد لى ولد فآخذه فى الادب فان عصاني ضربته بهذه العكازة وأشار بالعصا فاصاب الجرة فانكسرت وانصب السمن على وجهه ورأسه (الزبير) قال حدثنا بكار بن رباح قال كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء ويحمل لهم الشراب فشكى الى عامل مكة فنفاه الى عرفات فبني بها منزلا وأرسل الي اخوانه فقال ما منعكم ان تعاودوا ما كنتم فيه قالوا وأين بك

وأنت فى عرفات قال حمار بدرهم وقد صرتم على الاثر والنزهة ففعلوا فكانوا يركبون اليه حتى فسدت احداث مكة فاعادوا شكايته الى والى مكة فارسل اليه فاتى به فقال ياعدو الله طردتك فصرت تفسد فى المشعر الحرام قال يكذبون على أصلح الله الامير فقالوا أصلحك الله الدليل على صحة ما تقول ان تامر بجميع حمير مكة فترسل بها أمناء الى عرفات فيرسلوها فان يهتدوا الى منزله دون المنازل كعادتها فنحن غير مبطلين فقال الوالى ان فى هذا لدليلا وشاهدا عدلا فامر بحمير من حمر مكة التى للكراء فارسلت فصارت الى منزله كانها بها عليه دليل فاعلمه بذلك امناؤه فقال ما بعد هذا شىء جردوه فلما نظر الى السياط قال لابد أصلحك الله من ضربى قال نعم ياعدو الله قال والله ما فى ذلك شىء هو أشد على من أن يشمت بنا أهل العراق ويضحكون منا ويقولون أهل مكة يجيزون شهادة الحمير قال فضحك الوالى وخلى سبيله (هنا) رجل رجلا فى أعرابية فقال باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر فى المعركة (الهيثم بن عدي) قال بينا انا بكناسة الكوفة اذا برجل مكفوف البصر قد وقف على نخاس بسوق الدواب فقال له أبغي حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر اذا خلاله الطريق تدفق واذا كثر الزحام ترفق وان أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر واذا ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له النخاس ياعبد الله اصبر فان مسخ الله القاضى حمارا أصبت حاجتك ان شاء الله تعالى (قال) ودخل رجل السوق فى شراء فرس فقال له النخاس صفه لى فقال اريده حسن القميص جيد الفصوص وثيق العصب نقى القصب يشير باذنيه ويشرف برأسه ويخطر بيده ويدحر برجله كانه موج فى لجة أو سيل فى حدور أو منحط من جبل فقال له النخاس نعم كذلك كان صلوات الله عليه قال انما أصف لك فرسا قال ما حسبتك الا فى وصف فرس نبى هذا اليوم (قال) ودخل ابن بجيلة اليمن فلم ير بها أحدا حسنا ورأى نفسه وكان قبيحا أحسن من بها فقال

لم أر غيرى حسنا ✽ منذ دخلت اليمنا
ففى حرام بلدة ✽ أحسن ما فيها أنا

(محمد بن اسحق) قال قال سفيان بن عيينة دخلت الكوفة فى يوم فيه رذاذ من مطر فاذا انا بكناس فتح كنيفا ووقف على رأس البئر وهو يقول

بلدة طيب ويوم مطير ✽ هذه روضة وهذا غدير

ثم قال لصاحبه انزل فيه فأبي عليه فنزل وهو يقول

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا * واخو الحرب من أطاق النزولا

(الاصمعي) قال بينا أنا سائر بالفيفاء اذ سمعت صوتا يقول

جنبوني ديار هند وسعدى * ليس مثلى يحل دار الهوان

قال فالتفت يمنة وشمالا فاذا الصوت خارج من حش فاقبلت حتى وقفت عليه فاذا بكناس وبيده فاس فقلت ياسبحان الله انت تكنس عذرة وتقول ليس مثلى يحل دار الهوان فأي ذلك وأي هوان أكثر مما أنت فيه قال فرفع رأسه الىّ وقال

لا تلمني فانني نشوان * أنا في الملك ماسقتني الدنان

فقلت ماهو الا كقول الآخر * من قرعينا بعيشه نفعه *

﴿ ولعلى بن الجهم ﴾

أعظم ذنب عندكم ودى * وليت هذا ذنبكم عندى

يا حسرتا أملك وجدا بمن * لا يعرف الشكوى من الوجد

﴿ حماد الرواية ﴾ قال أتيت مكة وجلست في حلقة منها فيها عمر بن أبي ربيعة القرشي واذاهم يتذاكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم فقال عمر بن أبي ربيعة أحدثكم عن بعض ذلك كان لى خليل من عذرة يكنى أبا مسهر وكان مشتهرا باحاديث النساء يصبو بهن وينشد فيهن على انه كان لاعاهر الخلوة ولا حديث السلوة وكان يوافى الموسم فى كل سنة فاذا أبطأت السفار استوقف واذا أبطا استوقفت له وانه غاب على سنة من ذلك خبره حتى قدم وفد عذرة فاتيت القوم أنشد صاحبي فاذا رجل يتنفس الصعداء فقال عن أبي مسهر تسال قلت نعم قال هيهات هيهات أصبح والله ابو مسهر لا حيا يرجى ولا ميتا ينسى ولكنه كما قال الشاعر

لعمرك ماهذا الغرام بتاركى * صحيحا ولا أقضى به فاموت

فقلت وما الذى به قال مثل الذي بك من انهما كـكما فى الضلال وجركما أذيال الخسران كانكما لم تسمعا بجنة ولا نار قلت ما أنت منه يا ابن اخى قال أخوه قلت والله انك وأخاك كالوشى والبجاد لا يرقعك ولا ترقعه ثم أنطلقت وانا أقول

أرائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح فى القوم قيس بن مهجع

خليلى يشكو مايلاقى من الهوى * ومهما يقل اسمع وان قلت يسمع

ألا ليت شعري أي خطب أصابه * أمن زفرات الهجر من بين أضلع
فلا يبعدنك الله خلا فانني * سالقي كما لاقيت في الحب مصرعي

قال فلما حججت ووقفت بعرفات اذا به قد أقبل وقد تغير لونه وساءت هيئته وما عرفته الا بناقته فاقبل حتى خالف بين أعناقهما ثم اعتنقني وجعل يبكي فقلت له ما الذي دهاك قال برح الخفاء وكشف الغطاء ثم أنشد يقول

لئن كانت عديلة ذات مطل * لقد علمت بان الحب داء
وانك لو تكلفت الذي بي * لزال الستر وانكشف الغطاء
وان معاشري ورجال قومي * حتوفهم الصبابة واللقاء
اذا العذري مات بحتف انف * فذاك العبد تحكيه الرشاء

فقلت يا أبا مسهر انها ساعة عظيمة تضرب فيها اكباد الابل من شرق الارض وغربها فلو دعوت الله كنت قمنا ان تظفر بحاجتك وتنصر على عدوك فجعل يدعو حتى اذا مالت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا سمعته يهينم بشيء فاصغيت مستمعا فجعل يقول

يارب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضبا ونوحه
* أنت حسيب الخلق يوم الدوحه *

فقلت له وما يوم الدوحة قال ساخبرك ان شاء الله ولو لم تسلني فيممنا نحو المزدلفة فاقبل عليّ وقال اني رجل ذو مال كثير ونعم وشاه واني خشيت على مالي عام أول التلف فاتيت أخوالي كلبا فاوسعوا الي عن صدر المجلس وسقوني جمة البئر وكنت منهم في خير أحوالي ثم اني عزمت على مرافقة أهل ماء لهم يقال له الحوادث فركبت يوما فرسي وعلقت معي شرابا أهداه الي بعض الكلبيين فانطلقت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النعم رفعت في دوحة عظيمة فقلت لو نزلت تحت هذه الشجره ثم تروحت مبردا ففعلت فشددت فرسي ببعض أغصانها ثم جلست تحتها فاذا الغبار سطع من ناحية الحي ثم تبينت فبدت لي شخوص ثلاث فاذا فارس يطرد مسحلا وأتانا فلما قرب مني فاذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء فما لبث ان لحق المسحل فطعنه فصرعه ثم ثنى طعنة بالاتان وأقبل

وهو يقول

نطعنهم سلكى ومخلوجة * كرك لامين على نابل

فقلت له انك قد تعبت وأتعبت فلو نزلت فثنى رجله فنزل وشد فرسه ببعض أغصان الشجرة ثم أقبل حتى جلس فجعل يحدثني حديثا ذكرت به قول الشاعر

وان حديثا منك لم تبذلينه * جني النحل في ألبان عوذ مطافل

فبيناهو كذلك اذ نكت بالسوط على ثنيتيه فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط وقلت مه فقال ولم قلت ان تكسرهما قال انهما رقيقتان عذبتان قال فرفع عقيرته وجعل يقول

اذا قبل الانسان آخر واشتهي * ثناياه لم يأثم وكان له أجر

وقال ماهذا الذي جعلت في سرجك قلت شراب أهداه الى بعض أهلك فهل لك به قال وما انكرهه اذا كرهه فاتيته به فوضعته بيني وبينه فلما شرب منه شيا نظرت الى عينيه كانهما عينا مهاة قد ضلت ولدها ثم رفع عقيرته يتغني

ان العيون التي في طرفها مرض * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتي لاحراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

ثم قمت لاصلح من أمر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه واذا كان وجهه دينار هرقلي فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك قال فكيف قلت ذلك مما راعني من نورك وبهرني من جمالك قال وما الذي يروعك من زرق العيون وحبيس التراب ثم لا تدري أينعم بعدك أم ييأس قلت لا يصنع الله الاخيرا بك ثم قام الى فرسه فلما أقبل برقت لى بارقة من تحت الدرع فاذا ثدى كانه حق عاج قلت نشدتك الله امرأة أنت قالت أى والله ونكره العهر ونحب الغزل قلت وأنا والله كذلك فجلست والله تحدثني ما أنكر من أمرها شيا حتي مالت على الدوحة سكري فاستحسنت والله يا ابن أبي ربيعة الغدر وزين في عيني ثم ان الله عصمني فما لبثت ان انتبهت مذعورة فلاثت عمامتها برأسها وأخذت الرمح وجالت في متن فرسها فقلت مضيت ولم تزوديني منك زادا فاعطتني ثناياها فمسست والله منها كالثلج الممطور ثم قلت أين الموعد قالت ان لى اخوة شرسا وأباغيورا والله لان أسرك احب الى من أن أضرك ثم مضت فكان والله آخر العهد بها الى يومي هذا وهي التي بلغتني هذا المبلغ وأحلتني

هذا المحل قال فدخلتني له رقة فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته وحملت غلاما لى على بعير وحملت عليه قبة حمراء من أدم كانت لابى ربيعة وأخذت معى الف دينار ومطرف خز ثم خرجنا حتى أتينا بلاد كلب فاذا الشيخ في نادى الحي فسلمت عليه فقال وعليك السلام من أنت فقلت عمر بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى قال المعروف غير المنكور فما الذى جاء بك قلت جئتك خاطبا قال أنت الكفء لا يرغب عن وصله والرجل الذى لا يرد عن حاجته قال قلت اني لم آتك لنفسي وان كنت فى موضع الرغبة ولكننى أتيتكم لابن أختكم العذرى قال والله انه الكفء الحسب كريم النسب غير ان بناتي لم يعرفن هذا الحي من قريش قال فعرف الجزع من ذلك فى وجهى فقال امانى أصنع فى ذلك مالم أصنعه قط لغيرك أخيرها فى نفسها فهي وما اختارت فقلت خيرها فارسل اليها ان من الامر كذا وكذا فالرأى رأيك فقالت ما كنت لاستبد برأي دون رأى القرشى خياري ما اختار قال قد رددت الامر اليك فحمدت الله وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وقلت قد زوجتها العذرى مهجعا وأصدقتها عنه الالف دينار وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوة الشيخ المطرف فسر به وسالته ان يبني بها من ليلته فاجابني الى ذلك فضربت القبة فى وسط الحى وأهديت اليه ليلا وبت عند الشيخ فى خير مبيت فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة فخرج الى وقد تبين الجذل فيه فقال كيف كنت بعدى أبا مسهر قال أبدت لى كثيرا مما كانت تخفيه يوم رأيتها فقلت أقم عند أهلك بارك الله لك ثم انطلقت الى أهلى وأنا أقول

كفيت الفتى العذري ما كان نابه * ومثلى لاثقال النوائب يحمل
اما استحسنت منى المكارم والعلا * اذا صرحت انى أقول وأفعل

(حدث) أبو محمد الشعبي الوراق وكان عند باب خراسان على باب الجسر الاول عن حماد بن اسحق عن ابيه اسحق بن ابراهيم بن ميمون الموصلي قال بينا أنا ذات يوم عند المامون وقد خلا وجهه وطابت نفسه اذ قال لى يا اسحق هذا يوم خلوة وطيب فقلت طيب الله عيش أمير المؤمنين ودام سروره وفرحه فقال يا غلمان خذوا علينا الباب واحضروا الشراب قال ثم أخذ بيدي وأدخلني فى مجلس غير المجالس التى كنا فيها واذا قد نصبت الموائد وأصلح ما كان يحتاج اليه الحال حتى كانه شيء قد كان تقدم فيه قال فاكلنا وأخذنا

فى الشراب فاقبلت الستيرات من كل ناحية بضروب من الغناء وصنوف من اللهو فلم نزل على ذلك الى آخر النهار فلما غربت الشمس قال لى يا اسحق خير أيام الفتى أيام الطرب قلت هو والله ذاك يا أمير المؤمنين قال فانى فكرت في شيء فهل لك فيه قلت لا أتاخر عن رأى امير المؤمنين أطال الله بقاءه قال لعلنا نباكر الصبوح فى غدوتنا هذه وقد عزمت على دخلة الى الحرم فكن بمكانك ولا ترم فانى أوافيك عن قريب قلت السمع والطاعة ثم نهض الى دار السلام فما عرف له خبر الى ان ذهب من الليل عامته قال اسحق وكان المامون من أشغف خلق الله بالنساء وأشدهم ميلا اليهن واستهتارا بهن وعلمت ان النبيذ قد غلب عليه وانهن قد انسينه أمري وما كان تقدم الىّ ووعدنى من رجوعه فقلت فى نفسى هو فى لذته وأنا ههنا فى غير شيء وفى بقية وعندى صبية كنت قد اشتريتها ونفسى متطلعة الى افتضاضها فقمت مسرعا عند ذكرها فقال الخدم على أى شيء عزمت والى أين تريد قلت أريد الانصراف قالوا فان طلبك أمير المؤمنين قلت هو فى سروره قد شغله الطرب ولذة ما هو فيه عن طلبي وقد كان بيني وبينه موعد قد جاز وقته ولا وجه لجلوسى قال وكنت مقدم الامر فى دار المامون مقبول القول فيه لا أعارض فى شيء اذا أومات اليه فخرجت مبادرا الى باب الدار فلقيني غلمان الدار وأصحاب النوبة فقالوا ان غلمانك قد انصرفوا وكانوا قد جاؤك بدابة فلما علموا بمبيتك انصرفوا فقلت لا ضير أنا أتمشي الى البيت وحدي قالوا نحضرك دابة من دواب النوبة قلت لا حاجة لى فى ذلك قالوا فنمضي بين يديك بمشعل قلت لا ولا أريد أيضاً وأقبلت نحو البيت حتي اذا صرت ببعض الطريق أحسست بحرقة البول فعدلت الى بعض الازقة لئلا يجوز أحد من العوام فيراني أبول على الطريق فبلت حتي اذا قمت الى المسح ببعض الحيطان اذا بشيء معلق من تلك الدار الى الزقاق فما تمالكت ان تمسحت ثم دنوت الى ذلك الشيء لا أعرف ماهو فاذا بزنبيل معلق كبير بأربع مقابض ملبس ديباجا وفيه أربعة أحبل ابريسم فلما نظرت اليه وتبينته قلت والله ان لهذا لسببا وان له لامرا فاقمت ساعة أتروى فى أمرى وافكر فيه حتي اذا طال ذلك بي قلت والله لاتجاسرن ولاجلسن فيه كائنا ما كان ثم لففت رأسى بردائى وجلست فى جوف الزنبيل فلما أحس من كان على ظهر الحائط بثقله جذبوا الزنبيل حتي انتهوا الى رأس الحائط فاذا باربع جوار فقلن انزل بالرحب والسعة اصديق أم جديد فقلت لا بل جديد فقلن ياجارية هاتى الشمعة فابتدرت احداهن الى طست فيه شمعة

وأقبلت بين يدى حتى نزلت الى دار نظيفة فيها من الحسن والظرف ما حرت له ثم أدخلتني الى مجالس مفروشة ومناص مرصوصة بصنوف الفرش مالم أره مثله الا في دار الخليفة فجلست فى أدنى مجلس من تلك المجالس فما شعرت بعد ذلك الا بضجة وجلبة وستور قد رفعت فى ناحية من نواحى الدار واذا بوصائف يتسابقن فى أيدي بعضهن الشمع وبعضهن المجامر يبخرن فيها العود والندو بينهن جارية كأنها تمثال عاج تتهادي بينهن كالبدر الطالع بقد يزرى على الغصون فما تمالكت عند رؤيتها ان نهضت فقالت مرحبا بك من زائر أتى وليست تلك عادته وجلست ورفعت مجلسى عن الموضع الذي كنت فيه فقالت كيف كان ذا والله لى ولك ولا علم كان وقع الىّ فما السبب قال قلت انصرفت من عند بعض اخوانى وظننت أني على وقت فخرجت فى وقت ضيق وأخذنى البول فاخذت الى هذا الطريق فعدلت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملني النبيذ فجلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه وان كان صوابا فالله ألهمنيه قالت لا ضير ان شاء الله وأرجوان تحمد عواقب أمرك فما صناعتك قلت بزاز قالت وأين مولدك قلت بغداد قالت ومن أى الناس أنت قلت من أمثالهم وأوساطهم قالت حياك الله وقرب دارك قالت فهل رويت من الاشعار شيئاً قلت شيئاً يسيرا قالت فذاكرنا بشىء مما حفظت قلت جعلت فداك ان للداخل دهشة وفىّ انقباض ولكن تبتدئين بشىء من ذلك فالشىء يأتى بالمذاكرة قالت لعمرى لقد صدقت فهل تحفظ لفلان قصيدته التي يقول فيها كذا وكذا ثم أنشدتنى لجماعة من الشعراء والقدماء والمحدثين من أحسن أشعارهم وأجود أقاويلهم وأنا مستمع أنظر من أي أحوالها أعجب من ضبطها أم من حسن لفظها أم من حسن أدبها أم من حسن جودة ضبطها للغريب أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر ثم قالت ارجوان يكون ذهب عنك بعض ما كان من الحصر والانقباض والحشمة فقلت ان شاء الله لقد كان ذلك قالت فان رأيت ان تنشدنا من بعض ما تحفظ فافعل قال فاندفعت أنشد لجماعة من الشعراء فاستحسنت نشيدى وأقبلت تسالني عن أشياء فى شعري كالمختبرة لى وأنا أجيبها بما أعرف فى ذلك وهي مصغية الىّ ومستحسنة لما آتى به حتى أتيت على ما فيه مقنع قالت والله ما قصرت ولا توهمت فى عوام التجار وأبناء السوقة مثل ما معك فكيف معرفتك بالاخبار وأيام الناس قلت قد نظرت أيضا فى شىء من ذلك فقالت ياجارية احضرينا ما عندك فما غابت عنا حينا حتى قدمت الينا مائدة لطيفة قد جمع

عليها غرائب الطعام المري فقالت ان المماجأ أول الرضاع فدونك فتقدمت فاقبلت أعذر بعض التعذير وهي ممى تقطع وتضع بين يدى وأنا اغتنم ما أرى من ظرفها وحسن ادبها حتى رفعت المائدة وأحضرت آنية النبيذ فوضعت بين يدى صنية وقنينة وقدح ومغسل وبين يديها مثل ذلك وفي وسط المجلس من صنوف الرياحين وغرائب الفواكه مالم أره اجتمع لاحد الاولى عهد أو سلطان وقد عبي أحسن تعبية وهيء أحسن تهيئة قال اسحق فتثاقلت عن الشراب لتكون هي المبتدئة فقالت مالى أراك متوقفا عن الشراب قلت انتظارا لك جعلت فداك فسكبت قدحا فشربت ثم سكبت قدحا آخر وشربت ثم قالت هذا اوان المذاكرة فان المذاكرة بالاخبار وذكر ايام الناس مما يطرب قلت لعمري ان هذا لمن اوقاته فاندفعت فقلت بلغني انه كذا وكذا وكان رجل من الملوك يقال له فلان بن فلان وكان من قصته كذا وكذا حتى مررت بعدة اخبار حسان من اخبار الملوك ومالا يتحدث به الا عند ملك اوخليفة فسرت بذلك سرورا شديدا ثم قالت والله لقد حدثتني باحاديث حسان ولقد كثر تعجبي من ان يكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذا من احاديث الملوك ومالا يتحدث به الا عند ملك اوخليفة فقلت جعلت فداك كان لى جارا ينادم بعض الملوك وكان حسن المعرفة كثير الحفظ فكان ربما تعطل عن نوبته التي كان يذهب فيها الى دار صاحبه لشغل يمنعه من ذلك اولامر يقطع فامضى اليه واعزم عليه واصيره الى منزلى فربما اخبرني من هذه الاحاديث شيا الى ان صرت من خاصة اخدانه وممن كان لا يفارقه فما سمعت مني فمنه اخذته وعنه استفدته فقالت يجب ان يكون هذا كذا ولعمري لقد حفظت فاحسنت الحفظ وما هذا الا لقريحة جيده وطبع كريم قال اسحق واخذنا في الشراب والمذاكرة ابتدئ الحديث فاذا فرغت ابتدأت هي في آخر حتى قطعنا بذلك عامة الليل والند وفائق البخور يجددوأنا في حالة لو توهمها المامون أو تاملها لاستطار سرورا وفرحا ثم قالت لى يافلان وكنت قد غيرت عليها اسمى وكنيتى والله انى لاراك كاملا وانك في الرجال لفاضل وانك لوضيء الوجه مليح الشكل بارح الادب وما بقي عليك الاشيء واحد حتى تكون قد برزت وبرعت فقلت وما هو ياسيدتى دفع الله الاسواء عنك قالت لو كنت تحرك بعض الملاهى أو تترنم ببعض الاشعار فقلت والله قديما أشتهيه وطالما كلفت به وحرصت عليه فلم أرزقه ولا تعلق بى شيء منه فلما أطال عناني به وكلما تقدمت في طلبه كنت عنه أبعد وعنه أذهب تركته وأعرضت عنه

وان فى قلبي من ذلك لحرقة وانى لمستهتر به مائل اليه وما أكره ان اسمع فى مجلسى هذا من جيده شيأ لتكمل ليلتي ويطيب عيشي قالت كانك قد عرضت بنا فقلت لا والله ماهو تعريض وماهو الا تصريح وأنت بدأت بالفضل وأنت أولى من اتم مابدأ به فقالت ياجارية عودا فأحضرت عودا فأخذته فما هو الا ان جسته حتى ظننت ان الدار قد سارت بى وبمن فيها واندفعت تغني مع صحة أداء وجودة صوت فقلت والله لقد جمع الله لك خلال الفضل وحباك بالكمال الرائع والعقل الزائد والاخلاق المرضية والافعال السنية فقالت ما تعرف لمن هذا الصوت ومن غني به قلت لا والله قالت الغناء لاسحق والشعر لفلان وكان من سببه كذا وكذا فقلت هذا والله أحسن من الغناء فلم تزل تلك حالها فى كل صوت تغنيه ومع ذلك تشرب وأشرب حتى اذا كان عند انشقاق الفجر جاءت عجوز كأنها داية لها فقالت أي بنية ان الوقت قد حضر فاذا شئت فانهضى فلما سمعت مقالها نهضت فقالت عزمت قلت أي والله فقالت مصاحبا للسلامة عليك لتستر ما كنا فيه فان المجالس بالامانة فقلت جعلت فداك أفاحتاج الى وصية فى ذلك فودعتها وودعتنى وقالت ياجارية بين يديه فأتى بي باب فى ناحية الدار ففتح لى وأخرجت منه الى طريق مختصرة وبادرت البيت فصليت ووضعت رأسي فما انتبهت الا ورسل الخليفة على الباب فقمت فركبت فسرت اليه فلما مثلت بين يديه قال لى يااسحق جفوناك بما كنا ضمناه لك وتشاغلنا عنك فقلت ياسيدى ليس شيء آثر عندى وأسر الى قلبي من سرور يدخل على أمير المؤمنين فاذا كمل سروره وطاب عيشه فعيشنا يطيب وسرورنا متصل بسروره ثم قال ما كانت حالتك قلت ياسيدى كنت اشتريت من السوق صبية وكنت متعلق القلب بها فلما تشاغل أمير المؤمنين عنى وقد كانت فى بقية طالبتنى نفسى بها فمضيت مسرعا وأحضرتها وأحضرت نبيذا فسقيتها وشربت معها وغلب على السكر فقطعت عما أردت وذهب بى النوم الى ان أصبحت فقال لى ما أكثر ما يتهيأ على الناس من هذا فهل لك في مثل ما كنا فيه أمس فقلت ياأمير المؤمنين وهل أحد يمتنع من ذلك قال فاذا شئت فنهض ونهضت فصرنا الى المجلس الذى كنا فيه بالامس على مثل حالنا وأفضل حتى اذا كان ذلك الوقت وثب قائما ثم قال يااسحق لا ترم فانى أجيئك وقد عزمت على الصحبة فما هو الا ان فارقني حتى تصور لى ما كنت فيه فاذا هو شيء لا يصبر عنه الا جاهل فنهضت فقال لى الغلمان الله الله وانه قد أنكر علينا تخليتك وطالبنا بك وقال لم تركتموه ولا نحسبك الا تحب الايقاع بنا فقلت والله لا ذل أحدكم

بسببي مكروه أبدا ولكن أبادر بحاجتي والله لا كان لي حبس ولا تريث وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه اذا دخل أبطأ وأنا موافيكم قبل خروجه ان شاء الله قال فنهضت فما شعرت الا وأنا في الزقاق فوافيت الزنبيل على ما كان عليه فاقعدت فيه وأصعدت وصرت الى الموضع فلم ألبث الا هنيهة واذا بها قد طلعت فقالت ضيفنا قلت أي والله قالت أوقد عاودت قلت نعم وأظنني اني قد اثقلت فقالت مادح نفسه يقرئك السلام فقلت هفوة فمني بالصفح قالت قد فعلنا فلا تعد قلت ان شاء الله ثم جلست واخذنا فيما كنا فيه من المذاكرة والانشاد والشرب ولم نزل على تلك الحال وأفضل وقد انست وانبسطت بعض الانبساط وهي مع ذلك لا تزال تقول لو كنت على ما انت عليه احكمت من تلك الصنعة شيأ لقد تناهيت وبرعت فاقول والله لقد حرصت على ذلك وجهدت فيه فما رزقته ولا قدرة عليه ثم قلت جعلت فداك لا تخلنا مما كان من فضلك البارحة فاخذت في الاغاني وكلما مر صوت طيب قالت أتدري لمن هذا فاقول لا فتقول لاسحق فاقول واسحق هكذا في الحذق فتقول بخ اسحق في هذا البيت بديع الصوت وعميق الغناء فاقول سبحان الله لقد أعطى اسحق هذا مالم يعطه أحد فتقول لو سمعت هذا منه لكنت أشد استحسانا له وكلفا به حتى اذا كان ذلك الوقت وجاءت العجوز نهضت وودعتها وبادرت جارية ففتحت الباب فخرجت منه وبادرت المنزل فتوضأت للصلاة وصليت الصبح ووضعت رأسي فنمت فما انتهيت الا ورسل أمير المؤمنين يطلبونني فركبت الى الدار فما هو الا أن مثلت بين يديه فقال لي يا اسحق أبيت الامكافأة لنا ومعاملة بمثل ما عاملناك قلت لا والله يا أمير المؤمنين مالي ذلك ذهبت ولا اليه قصدت ولكني ظننت أن أمير المؤمنين تشاغل عني بلذته وأغفل أمري وجاء الشيطان فذكرني أمر الجارية فبادرت فقال وكان من أمرك ماذا قلت قضيت الحاجة وفرغت الامر فقال قد انقضى ما كان بقلبك منها وواحدة بواحدة والبادي أظلم فقلت أنا يا أمير المؤمنين ألوم وأظلم والمعذرة اليك فقال لا تثريب عليك هل لك في مثل حالنا الاول قلت أي والله قال فانهض بنا فقمنا حتى صرنا الى الموضع الذي كنا فيه فاخذنا في لذتنا حتى اذا كان الوقت قال لي يا اسحق ما عزمت قلت لا عزم لي يا امير المؤمنين قال عزمت عليك لتجلس حتى أخرج اليك لنصطبح فاني عازم على الصبوح وقد نقضت على منذ يومين قلت ان شاء الله وقام فما هو الا أن توارى حتى قمت وقعدت وجالت وساوسي وجعلت أفكر في مجلسي معها وأفكر فيها وفي الخروج عن طاعة المأمون

وما يخرجني من سخطه وموجدته فسهل كل صعب اذ فكرت في أمرها فقمت مبادرا فاجتمع على جند الدار فقالوا أين تريد فقلت الله الله ان لي قصة وأنا معلق القلب ببعض من في منزلي وأحتاج الى مطالعتهم في بعض الامر فقالوا ليس الى تركك سبيل فلم أزل أرفق بهذا وأقبل رأس هذا ووهبت لواحد خاتمي ولآخر ردائي حتى تركوني فلما خرجت عن جماعتهم فلم أرتد عنها حاسرا حتى وافيت الزنبيل وصعدت السطح وصرت الى الموضع فلما رأتني قالت ضيفنا قلت نعم قالت جعلتها دار مقام قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة أيام فان عدت بعد ها فانت في حل من دمي قالت والله لقد أتيت بحجة ثم جلسنا وأخذنا في مثل حالنا الاول من الشرب والانشاد والمذاكرة حتى اذا علمت أن الوقت قد قارب فكرت في قصتي وان المامون لا يفارقني على هذا واني لا أتخلص منه الا بشرح قصتي وأكشف له عن حالي وعلمت أني ان قلت له ذلك طالبني بمعرفة الموضع والمسير اليه مع ما كان غلب عليه من الميل الى النساء فقلت لها أتاذنين في ذكر شيء خطر ببالي قالت قل ما بدا لك قلت جعلت فداك اني أراك ممن يقول بالغناء ويعجب به وبالادب ولي ابن عم هو أحسن مني وجها وأظرف قدا وأكثر أدبا وأغزر معرفة وأنا تلميذ من تلاميذه وحسنة من حسناته وهو أعرف الناس بغناء اسحق قالت طفيلي ومقترح لم ترض ان سمحنا لك ثلاثة أيام حتى طلبت أن تاتي معك بآخر فقلت لها جعلت فداك ذكرته لتكوني انت المحكمة فان اذنت واردت ذلك والا فلا اذكره فقالت ان كان ابن عمك هذا على ما ذكرت فلا ننكره ان نعرفه فقلت هو والله اكثر مما وصفت فقالت ان شئت فالليلة الآتية ائت به ثم حضر الوقت فنهضت حتى وافيت منزلي واذا برسل الخليفة قد هجموا على منزلي واصحاب الشرطة فلما بصروا بي سحبت على ما بي بحالتي تلك حتى انتهوا بي الى الدار فاذا المامون جالس على كرسي وسط الدار مغتاظ حرد فقال أخروجا عن الطاعة قلت لا والله يا أمير المؤمنين انه كانت لي قصة احتاج فيها الي الخلوة فاوما الى من كان واقفا فتنحوا فلما خلونا قلت كان من خبري كذا وكذا وفعلت وصنعت فوالله ما فرغت من حديثها حتى قال يا اسحق اتدري ما تقول فقلت اي والله اني لا ادري فقال ويحك كيف لي بمشاهدة ما شاهدت قلت ما الى ذلك سبيل قال لا بد ان تتلطف وتوصلني اليها فهذا ما بقي لي صبر عنه قلت والله اني قد فكرت في قصتها وفيما قدمت عليه من عصيانك وعلمت انه لا ينجيني الا الصدق وكشف الحال وعلمت أنك تطالبني به أشد مطالبة فقدمت لها ذكرك

ووعدتني في امرك بكذا وكذا قال احسنت والله ولولا ذلك لنالك مني كل مكروه فقلت فالحمد لله الذى سلم ثم نهض ونهضت الى مجلسنا واخذنا وهو مع ذلك يقول يا اسحق صف لى حالها واشرح لى امرها فقطعنا يومنا فى مذاكرتها الى ان مضى النهار فلما ان مضى من الليل هدأة جعل يقول ماجاء الوقت وأنا اقول بقي قليل والقلق غالب عليه حتي جاء الوقت فنهضنا وخرجنا من بعض ابواب القصر معنا غلام وهو على حمار وانا على حمار فلما صرنا بالقرب من منزلها نزلنا ثم سلمنا الحمارين للغلام وقلنا له انصرف فاذا كان الفجر فكن ههنا بالحمارين وأقبلنا نمشي متنكرين وأنا أقول يجب ان نظهر بري بحضرتها واكرامى وتطرح نخوة الخلافة وتجبر الملك بل كن كأنك تبع لى وهو يقول نم اويحتاج أن توصيني ثم قال ويحك يا اسحق فان قالت لى غن كيف أصنع قلت أنا أكفيك وأدفعها عنك برفق فلما صرنا الى الزقاق فاذا بزنبيلين معلقين بثمان حبال فقعد كل منا فى واحد وجذبنا الجوارى واذا نحن فى السطح وبادرن بين أيدينا حتي انتهينا الى المجلس فاقبل المامون يتامل الفرش والدار والزي ويتعجب عجبا شديدا ثم قعدت فى موضعى الذى كنت أقعد فيه وقعد المامون دونى فى المرتبة ثم أقبلت فسلمت فما تمالك ان بهت من حسنها فقالت حيا الله ضيفنا فوالله ما أنصفت ابن عمك الا رفعت مجلسه فقلت ذلك اليك جعلت فداك فقالت ارتفع فديتك فانت جديد وهذا قد صار من اهل البيت ولكل جديد لذة فنهض المامون حتي صار فى صدر المجلس ثم اقبلت عليه تذاكره وتناشده وتمازحه وهو ياخذ معها في كل فن ويفحمها قال ثم التفتت الى وقالت وفيت بوعدك وصدقت فى قولك ووجب شكرك على صنيعك قال ثم احضر نبيذ واخذنا فى الشراب وهي مع ذلك مقبلة عليه وهو مقبل عليها ومسرورة به ومسرور بها فقالت لى ابن عمك هذا من ابناء التجار قلت نم فديتك نحن لا نعرف الا التجارة قالت وانكما فيها الغريبان ثم قالت موعدك فقلت لعمرى انه لمجيب ولكن حتى نسمع شيا قالت لك ذاك فاخذت العود فغنت صوتا فشربنا عليه رطلا ثم غنت بصوت كان المامون يقترحه علي فشربنا عليه رطلا فلما شرب المامون ثلاثة ارطال داخله الفرح والارتياح وقال يا اسحق فوالله لقد رأيته ينظر الى نظر الاسد الى فريسته فنهضت وقلت لبيك يا امير المؤمنين قال غنى بهذا الصوت فلما رأتنى قمت بين يديه واخذت العود ووقفت بين يديه اغنيه علمت انه الخليفة وانى اسحق فنهضت فقالت ههنا واومات

الى كلة مضروبة فدخلتها ثم فرغت من ذلك الصوت وشرب رطلا وقال لى ويحك
يا اسحق انظر من رب هذه الدار فخرجت الى تلك العجوز فسالتها عن صاحب الدار
فقالت الحسن بن سهل قلت ومن هذه قالت بوران ابنته فرجعت واعلمته قال ثم انصرفنا
فقال لى يا اسحق اكتم هذا الامر ولا تتفوه به ومضينا الى دار الخلافة فلما كان
الصباح وحضر الحسن بن سهل على عادته قال له المامون ألك بنت قال نعم يا أمير
المؤمنين قال ما اسمها قال بوران قال فاني أخطبها اليك قال هى امتك يا أمير المؤمنين وأمرها
اليك قال فانى قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألف دينار فاذا قبضت المال فاحملها اليناثم تزوجها
فكانت أحظى نسائه عنده وآثرهن لديه وكنت أستر هذا الحديث الى ان مات المامون
الجتمع لاحد ما اجتمع لى فى تلك الاربعة الايام اذ كنت انصرف من مجلس أمير
المؤمنين الى مجلسها ووالله ما رأيت من الرجال وملوكهم وخلفائهم وشرفائهم أحدا يفى
بالمامون ولا شاهدت من النساء امرأة كبوران فى عقلها وأما معرفتها وأدبها فما
أظن من يتهيأ له ان يقف من العلوم على ما وقفت عليه ولقد سالت بعض من يتولي
خدمتها من العجائز ما حملها على ما أري فقالت انها تفعل ذلك منذ كذا وكذا سنة ولقد
عاشرت الظرفاء والملاح والادباء أكثر من ان يقع عليه احصاء ولم يكن جرى بينها
وبين احد مكروه ولاخني ولا كلمة قبيحة ولم يكن مذهبها فى ذلك الاحب الادب
والمذاكرة ومعاشرة الظرفاء وأهل المروأة والاقدار والنبل والاخطار لالريبة
تظهر ولا لحالة تنكر قال فوالله لقد تضاعف قدرها عندي وعظم خطرها فى نفسى
وعلمت شرف همتها وفضلها فهذا خبر بوران على الحقيقة وسبب تزوج المامون
بها (قال هشام) بن الكلبي والهيثم بن عدي ان ناسا من بني حنيفة خرجوا يتنزهون الى
جبل لهم فرأى فتي منهم فى طريقه جارية فرمقها وقال لاصحابه لا انصرف والله حتى
أرسل اليها واخبرها بحبي لها فطلبوا اليه فابي ان يكف وأقبل يراسل الجارية وتمكن
حبها من قلبه فانصرف أصحابه وأقام الفتى فى ذلك الجبل فمضى اليها ليلة متقلدا
سيفا وهى بين اخوين لها نائمة فايقظها فقالت انصرف لئلا ينتبه اخواى فيقتلاك
فقال الموت أهون والله مما أنا فيه ولكن أعطيني يدك أضعها على قلبي وانصرف
فاعطته يده فوضعها على قلبه وانصرف فلما كانت الليلة الثانية اتاها
وهى على مثل تلك الحال فايقظها فقالت له مثل مقالها الاول فقال لك الله ان

امكنتيني من شفتيك ارشفهما ان انصرف فامكنته فرشفهما ثم انصرف فوقع في قلبها من حبه مثل ماكان به وفشا خبرهما في الحى فقال أهل الجارية مامقام هذا الفاسق فى هذا الجبل امضوا بنا اليه الليلة فبعثت اليه الجارية أن القوم سيا تونك الليلة فاحذر على نفسك فلما أمسى قعد على مرقاة ومعه قوسه وسهمه ووقع بالحي فى الليل مطر فاشتغلوا عنه فلما كان آخر الليـل وانقشع السحاب وطلع القمر اشتاقته الجارية فخرجت تريده ومعها صاحبة لهـا من الحى كانت تثق بها فنظر الفتى اليهمـا فظن انهمـا يطلبانه فرمى فما اخطا قلب الجارية فوقعت ميتة وصاحت الاخرى ورجعت فانحدر الفتى من الجبل فاذا الجارية ميتة فقال

نعب الغراب بما كرهـــت ولا ازالة للقدر

تبكى وانت قتلتها * فاصبرو الا فانتحر

ثم وجا بمشاقصة فى أوداجه حتى مات فجاء أهل المرأة فوجد وهما ميتين فدفنوهما فى قبر واحد

٢ — باب اللغز — كانت فى أبى عطاء السندى لثغة قبيحة فاجتمع يوما فى مجلس بالكوفة فيه حماد الراوية وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان وبكر بن مصعب فنظر بعضهم الى بعض وقالوا مابقى شيء الا وقد تهيا فى مجلسنا هذا فلو بعثنا الى أبى عطاء السندى فارسلوا اليه فاقبل يقول مرهبا مرهبا هيا كم الله وقد كان قال أحدهم من يحتال لابى عطاء حتى يقول جرادة وزج وشيطان فقال حماد الراوية انا فقال يا أبا عطاء كيف علمك باللغز قال هسن يرد حسن فقال له

فما صفراء تكني أم عوف * كان سويقتيها منجلان

قال زرادة فقال أصبت ثم قال

اتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى أبان

قال فى بنى سيطان فقال أصبت (ثم قال)

فما اسم حديدة فى الرمح ترمي * دوين الصدر ليست بالسنان

فقال زز فقال أصبت (وقال) المامون يصف خاتما

وأبيض أما جسمه فمدور * نقي واما رأسه فمعار

ولم يكتسب الا ليسكن وسطه * مؤنثة لم تكس قط خمار

لها اخوات اربع هن مثلها * ولكنها الصغرى وهن كبار

﴿ وقال آخر في أرنب ﴾

لهوت بذات رأس والثياث * كرفع الاصبعين على الثلاث
اذا السبابة ارتفعت مع الخنـــصر اجتمع الثلاث بلا انتكاث
لهوت بها تطير بلا جناح * وتنسب في الذكور وفي الاناث

وقال

رب ثور رأيت في حجر نمل * وقطـاة تحمل الاثقـالا
ونسور تمشي بغـير رؤس * لا ولا ريش تحمل الابطالا
وعجوزا رأيت في بطن كلب * جعل الكلب للامير جمالا
وغلاما رأيتـه صار كلبـا * ثم من بعد ذاك صار غزالا
وأتانا رأيت واردة المـــا * ءزمانا وما تذوق بلالا
وعقابا تطير من غير ريش * وعقابا مقيمـة أحـوالا

الثور النمل الذى يخرج التراب من الحجر العظيم والقطاة موضع الرديف من الفرس والنسور بطون الحوافر والعجوز السيف وبطن الكلب الجلد الذى يعمل منه غمد السيف وصار كلبا ضم كلبـا وأخذه من صار بصور من قول الله فصرهن اليـك والاتان الصخرة والعقاب التي تطير من غـير ريش البكرة والمقيمـة أحوالا اللواء

﴿ وقال آخر في البيضة ﴾

ألا قل لاهل الرأي والعلم والادب * وكل بصير بالامور لدى أرب
ألا خبروني أي شيء رأيتم * من الطير في أرض الاعاجم والعرب
قديم حديث قد بدا وهو حاضر * يصاد بلا صيد وان جد في الطلب
و يؤكل أحيانا طبيخا وتارة * قليا ومشويا اذا دس في اللهب
وليس له لحم وليس له دم * وليس له عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يد * وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حي ولا هو ميت * ألا خبروني ان هذا هو العجب

﴿ وقال غيره ﴾

اني رأيت عجوزا بين حاجبها * ونابها حبشي قائم رجـل
له ثلاثون عينا بين ركبته * و بين عاتقه في رجله فزل

في ظهره حية حمراء قانية * في ظهره رجل

العجوز الناقة والحبشي الذي بين حاجبها ونابها الاسود الحابس بالخطام (وقوله) ثلاثون عينا بين عاتقه ومرفقه مثاقيل كانت مصورة في عضده وقوله حية حمراء قانية كانت عليه برنس فيه تصاوير بعضها داخل في بعض

﴿وقال آخر في القلم﴾

فلا هو يمشي لا ولا هو مقعد * وما ان له رأس ولا كف لامس
ولا هو حي لا ولا هو ميت * ولكنه شخص يرى في المجالس
يزيد على سم الافاعي لعابه * يدب دبيبا في الدجا والحنادس
يفرق أوصالا لصمت يجبنه * وتفرى به الاوداج تحت القلانس
اذا ما رأته العين تحقر شانه * وهيهات يبدي النفس عند الكرادس

﴿وقال آخر فيه﴾

ضئيل الرواء كبير العناء * من البحر في المنصب الاخضر
عليه كهيئة مر الشجا * ع في دعص محنية أعفر
اذا رأسه صح لم ينبعث * وحاد السبيـل ولم يبصر
وان مدية صدعت رأسه * جرى جري صائب لم يقصر
جرى بكف فتى كفه * يسوق الثراء الى المقتر

﴿أبيات من الشعر المحدث﴾

ماء النعيم بوجهه متحـير * والصدغ منه كعطف للراء
وكانما نهكت قوى أجفانه * بالراح أو قد شيب بالاغفاء
لو باشر الماء القراح بكفه * لجرت أنامـله بنبع المـاء

غيره

عجبت لمن يطيبني بمسك * وبي يتطيب المسك الفتيت
خلا خيل النساء لها وجيب * ووسواس وخلخالي صموت
ولو أن النسـاء غنين يوما * عن المسك الذكي كما غنيت
لاصبح كل عطار فقيرا * قليـلا ماله ما يستبيت

﴿تم بعون الله وحسن توفيقه﴾

﴿ يقول راجى عفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومى ابراهيم ﴾

حمدا لمن خلق الانسان فى ابدع تقويم وعلمه مالم يكن يعلم * وزينه بمحاسن الآداب واحاسن الخلال وكريم الشيم * وفضله على ماسواه من العالمين * وخلق له الكائنات من الخلق أجمعين * وجعله بشرا سويا في احسن تقويم * وسخرله جميع العوالم مذللة من حكيم قادر عليم * وصلاة وسلاما على من أفرغت عليه جميع الكمالات * سيدنا محمد القائل (أدبني ربي فاحسن تاديبي) موهبة من رب البريات * وآله الممنوحين من ربنا جلت قدرته مزايا الهبات * وأصحابه الكملة الحائزين قصبات السبق في مضمار أحاسن الصفات * وجميع التابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ﴿ وبعد ﴾ فقد تم طبع الكتاب الذى هو كاسمه ﴿ العقد الفريد ﴾ الجامع لمحاسن الآداب طريفها والتليد * كيف لا وهو نسيج وحيد دهره وأديب عصره سيدى أحمد المعروف بابن عبد ربه الاندلسى المالكى فلله دره لقد جمع فى عقده من محاسن آداب المنظوم والمنثور كل جميلة * ومن بدائع الكمالات كل فضيلة وقد أذعنت لآدابه الفضلاء واستنارت بشموس بيانه الأدباء فرحمه الله وأثابه من فيض فضله رضاه آمين وذلك بالمطبعة الازهرية الثابت محل ادارتها بسراى رقم ٦ بشارع رقعة القمح من الرحاب الازهرية من مصر المحروسة المحمية وقد وافق التمام أوائل أول الربيعين من سنة ١٣٤٧ من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين

آمـــين



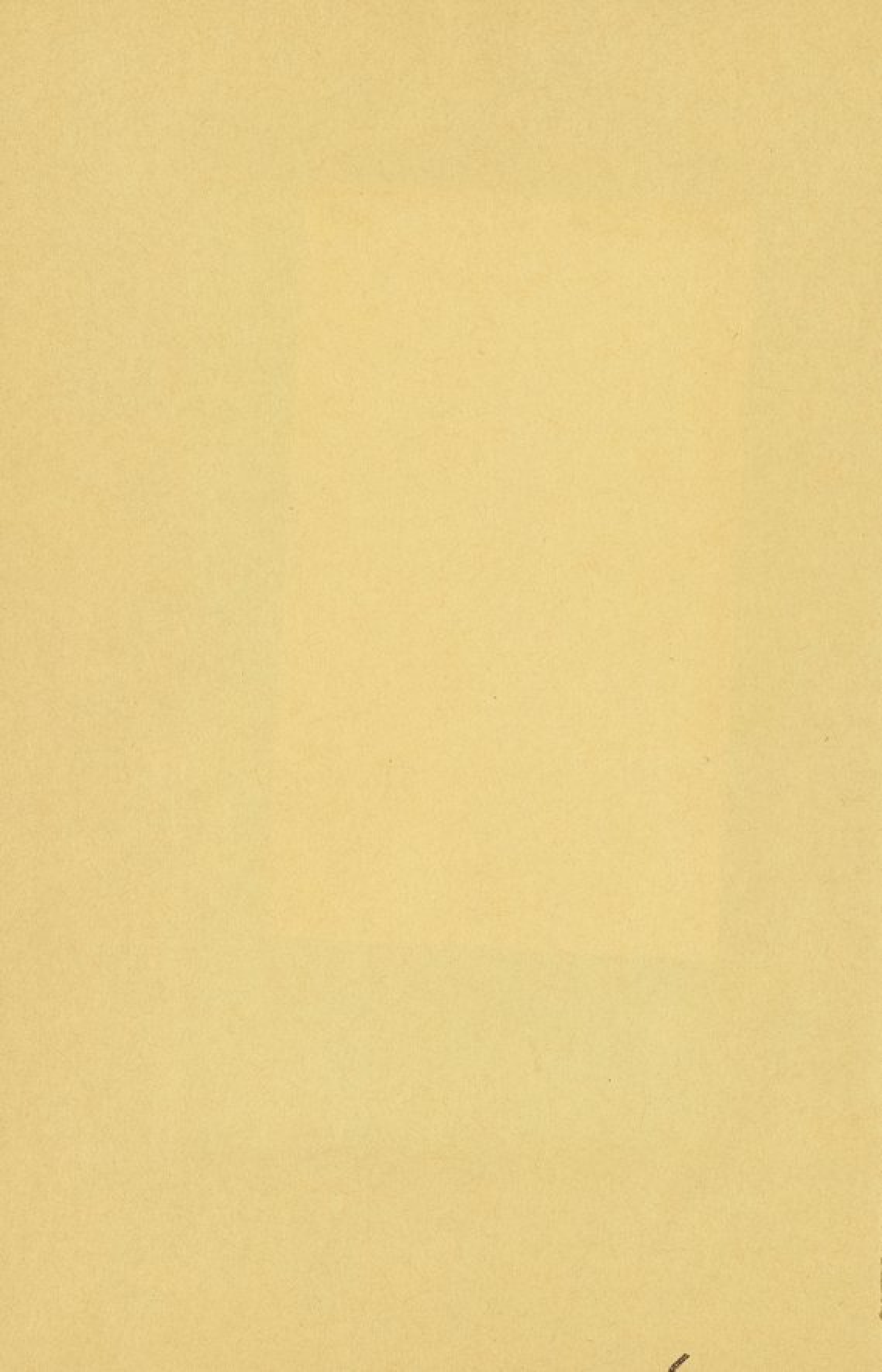
فهرست

﴿ الجزء الرابع ﴾

﴿ من كتاب العقد الفريد ﴾

(ذكر مافيه من الكتب)

﴿ تمت ﴾




COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0114349299
BUTLER STACKS

